الملا الخليل الاسعردي الخيزاني

بصيرة القلوب
في كلام علاّم الغيوب

تقديم وتحقيق

الملا صبغة الله البروقبادي من أحفاد المؤلف

Nabihar

بصيرة القلوب

في كلام علاّم الغيوب

اسم الكتاب

بصيرة القلوب في كلام علام الغيوب

تأليف

الملا الخليل الأسعردي الخيزاني

تقديم وتحقيق

الملا صبغة الله الذوقيدي من أحفاده

تصميم

عبد السلام البيجرماني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2011/1432

Baskı & Cilt
Ravza Yayıncılık ve Matbaacılık
Davutpaşa Cad. Kale İş Merkezi
No: 51-52
Topkapı - İstanbul

İSBN: 978-9944-360-20-3
Yayın Sertifika No: 16919

Nûbihar
Pak Ajans Yayıncılık Ltd. Şti.
Büyük Reşitpaşa Cad. Yumni İş Merkezi
No: 22/29 Vezneciler/İstanbul
www.nubihar.com
nubihar@gmail.com

بصيرة القلوب
في كلام علاّم الغيوب

تاليف

الملا الخليل الاسعردي الخيزاني

تقديم وتحقيق

الملا صبغة الله الزوقيدي من أحفاد المؤلف

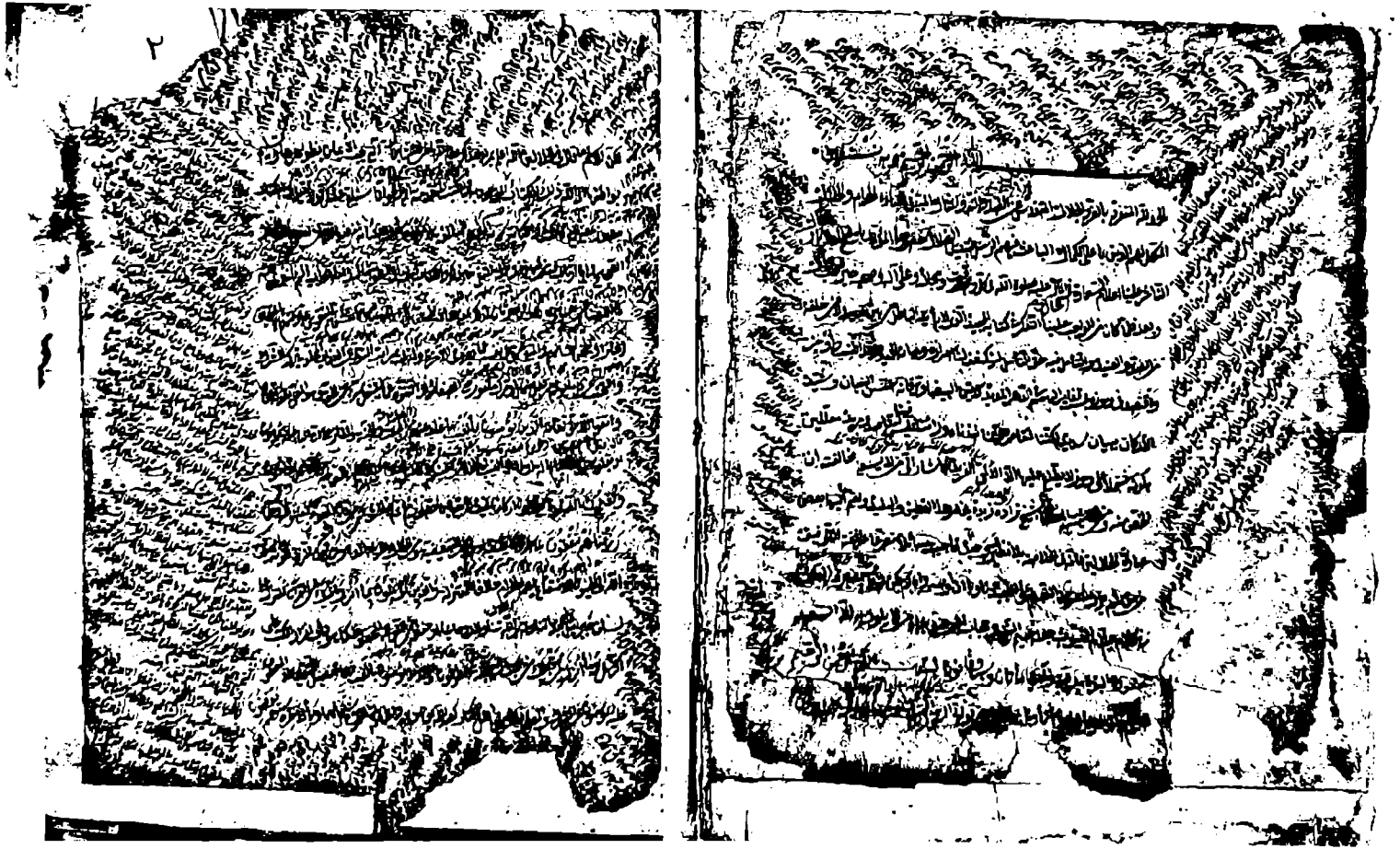

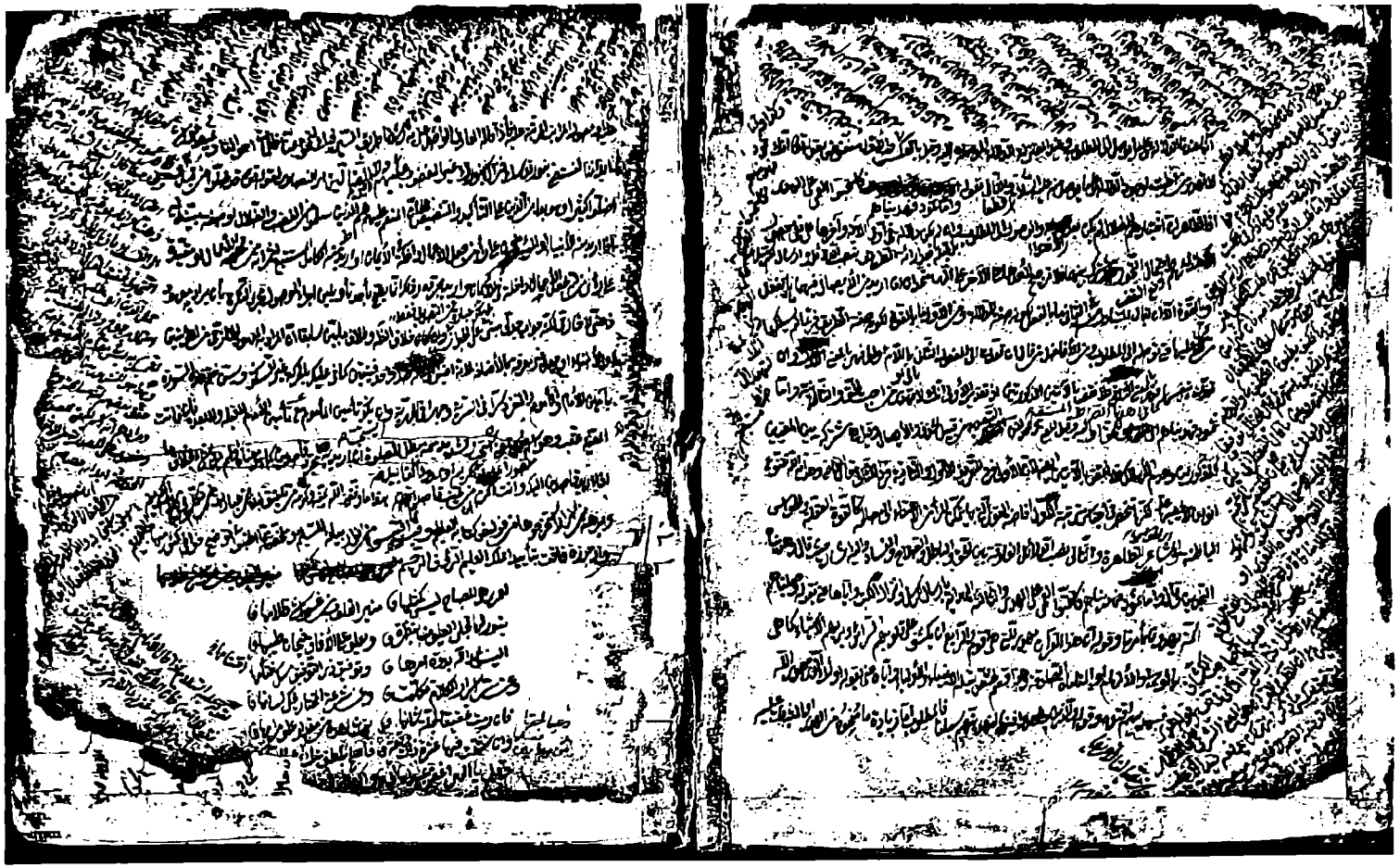

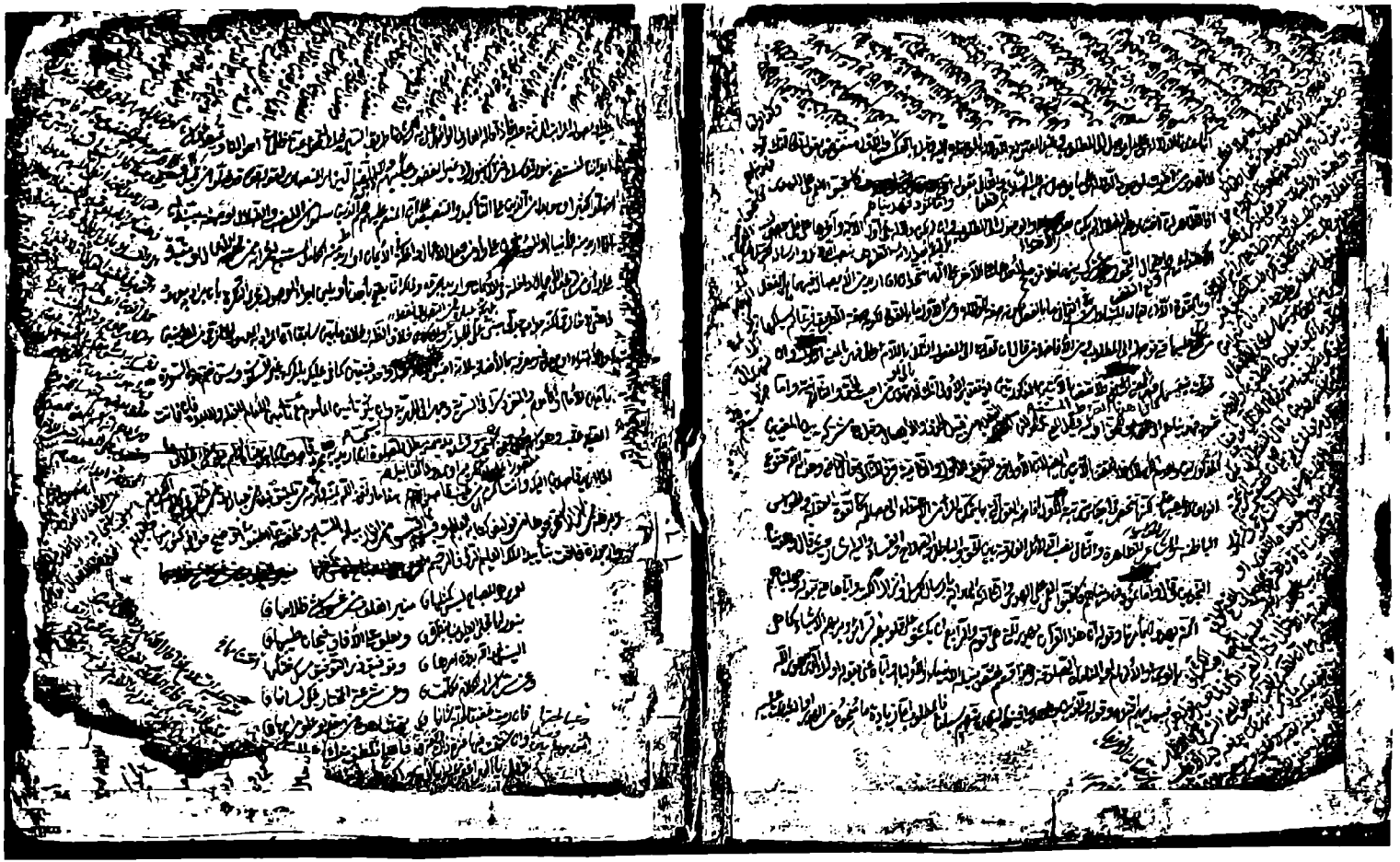

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء، وبارك فيهم كما بارك في لا ولا بركة ليس لها انتهاء، وشرفهم بالهدى والتقى وشاركه معه في الشهادة على وحدانيته بلا ريب وامتراء.

والصلاة والسلام على من افتخر بهم بقوله: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» وممن تصدى بالتزين بزيهم واقتفى إثرهم سيدي ومولاي وجدي الملا الخليل العمري الإسعردي الخزاني ابن الملا حسين بن الملا خالد، الذي نوّر الله قلبه مثل الشعاع حتى صار العلم بيده كالكرة بلا وقاع، وصنف في كل علم كتاباً جليلاً بل في بعض العلوم أكثر من كتاب واحد؛ كعلم التفسير والتجويد والنحو وغيرها؛ بعضاً باللغة العربية، وبعضا باللغة الكردية. ومن أجلّ مؤلفاته وأشهرها هذا التفسير الجليل القدر الذي سماه "بصيرة القلوب في كلام علام الغيوب" متوسطاً بين التطويل الممل والإيجاز المخل، استنسخه الولد العزيز نعمة الله من نسخة خطّه الغير المقروئة إلا بمشقة شديدة بمعونة والده الفقير صبغة الله. ولكن بحمد الله وتوفيقه كتبناه وصححناه بقدر علمنا وطاقتنا فصار كتاباً لائقاً لأن يكتب بماء العيون. ونرجو من الله أن يعمّ النفع به آمين.

وللمؤلف رحمه الله ولد بـ"هيزان" ودفن بـ"اسعرد" كما قاله في مرثيته ابنه الملا مصطفى المتوفى بـ"جدة" وقت زيارته للحرمين الشرفين:

أَفَلَتْ شَمْسُ الْبَدِيعِ فِي الْعُلُومِ وَالْفُنُونْ ... إِنَّ لِلّٰهِ وَإِنَّا لِلْإِلٰهِ رَاجِعُونَ

قَمَرٌ هَالَّ بِهِيزَانْ بِإِسْعِرْدَ غَرَبْ ... نَشَرَ الْعِلْمَ فَأَهْلُ الْعِلْمِ مِنْهُ آخِذُونَ

إِنَّهُ الْقَائِمُ وَالضَّيْغَمُ وَالْفَحْلُ الْبَدِيعْ ... مِنْ بِحَارِ عِلْمِهِ أَلْفَى اللَّآلِي السَّائِلُونَ

أُخْمِدَتْ نَارُ الْعُلُومِ وَانْطَوَى بَسْطُ الْفُحُولْ ... مُذْ سَقَاهُ اللهُ كَأْسًا مِنْ كُؤُسَاتِ الْمَنُونْ

إِنَّهُ بِاسْمِ الْخَلِيلِ امْتَازَ وَالْفَضْلِ الْجَزِيلْ ... يَا إِلٰهِي اجْعَلْهُ مِمَّنْ فِي الْقُصُورِ آمِنُونْ

مِنْ صَمِيمِ الْقَلْبِ حَقًّا قِيلَ فِي تَارِيخِهِ ... تَاجُ أَهْلِ الْعِلْمِ طُرًّا هَا هُوَ الدُّرُّ الْمَصُونْ

ولد الأستاذ العلا خليل: ١١٦٤هـ ١٧٥٤م وتوفي: ١٢٥٩هـ ١٨٤٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله المتفرّد بالعزّ والجلال، المتقدّس عن الضدّ والنّد والمثال، المبيّن لعباده الحرامَ والحلال المكمِّل لهم الدّينَ بأعلى الكمال، الباعث فيهم الرّسل لتبديل الضلال، خصوصاً المؤيّد بأوضح الدلائل والمقال، النّاشر علينا أعلام السعادة في الحال والمآل، عليه صلوة الله في كلّ وقت ومجال. وعلى آله وصحبه خير صحب وآل.

وبعد؛ فلمّا كان من الواجب علينا التّفكرُ في كتابه المجيد الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من الضدّ والعنيد والتأمل فيه حقّ التأمل لينكشف لنا أسراره وبيانه الحميد، وقد أُطْنِب وأُوْجِز واقتُصِد في رموزه بحسب تغاير الهمم في الدّهر المديد لا سيّما البيضاويّ فإنّه أسّس البنيان وشيّد الأركان ببيان سديد لكنّنا لتقاصر همنا نبذناه ورائنا فليس فينا قاصد ومريد معلّلين بكونه مشتملاً على رموز لا يطّلع عليها إلاّ الألمعي الفريد أشار إلي من لا يسعني مخالفته أن أُلَخّصَ منه ومن حاشيتيه الشيخ زاده والعصام زبدةً يخامرها الفطين والبليد وأضم إليها بعض عبارات الجلالين فإنّه في الخلاصة بلا نظير وَوَحيد مقتصراً فيها على قرائة حفص راوي عاصم إلاّ نادراً لأنّها المشهورة في إقليمنا بالمزيد فأجبته سائلاً متضرّعاً مرافقة التّوفيق ممّن لم يزل في مزيد النّعم على العبيد ناوياً أن أوسمه وإن لم يكن دأبي "بصيرة القلوب في كلام علاّم الغيوب" جعله عميم النفع وحجاب الوعيد بجاه من لا يلوذ به إلاّ السّعيد.

سورة البقرة

مدنيّة وآيها مائتان وسبع وثمانون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ (١)﴾ ولقد طال ما أطنبوا فى تأويل هذا وأمثاله من فواتح السّور التسع والعشرين المؤدّات بأسماء حروف الهجاء لكنّ الاسلم ما قال فى الجلالين الله اعلم بمراده بذلك يعنى انّها من المتشابهات الّتى يجب الإيمان بظواهرها وتسليم بواطنها الى الله ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ اى هذا الكتاب وصيغة البعد للمبالغة للتّعظيم او ذلك الكتاب الموعود به فى الكتب المتقدّمة او فى نحو ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[1] والكتاب مصدر بمعنى الجمع كالكتب والكتابة سمّى به المفعول للمبالغة ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ انّه من عندالله لمن امعن فيه النظر الصّحيح وان ارتاب فيه من لم يذق وجملة النفى خبر ذلك والكتاب صفته او عطف بيان له وامّا اعراب (الٓمٓ) فلنغمض عنه كما اغمضنا عن تفسيره ﴿هُدًى﴾ خبر ثان لذلك بمعنى هاد ﴿لِلْمُتَّقِينَ (٢)﴾ اى المهيئين انفسهم للتقوى عبّر عنهم بالمتقين ايجازا وتفخيما لشأنهم والمتقى من يتقى نفسه عما يضرّه فى الآخرة وله ثلث مراتب التوقى عن العذاب المخلّد بترك الشّرك والتّجنب عن كل ما يؤثم من فعل منهى او ترك مأمور حتى الصغائر والتّنزّه عمّا يشغل سرّه عن الحق وهو المعنىّ بقوله تعالى: ﴿اتقوا الله حقّ تقاته﴾[2] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ما غاب عنهم من الصانع والبعث والجنّة والنّار على انّ الباء صلة يؤمنون او بقلوبهم على انّها آلة او فى حال الغيب والخفاء عن اعينكم لا كالمنافقين على انّها للمصاحبة حالا عن فاعل يؤمنون ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ يعدّلون

---

[1] ـ سورة المزمل: ٥

[2] ـ سورة آل عمران: ١٠٢

اركانها بحيث لا يقع فيها قصور مع تمام الخشوع مستعار تبعية من اقام العود بمعنى قوّمه ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)﴾ بلا اسراف كما يقتضيه ادخال من التبعيضيّة ومن الحلال بقرينة المدح وان كان الرزق لكونه ما يسوقه الله الى الحيوان للانتفاع يعمه والحرام خلافا للمعتزلة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن المنزل على لسان جبرائيل بعد ما تناوله من الله تناولا روحانيا او حفظه من اللّوح المحفوظ كما هو دأب انزال الكتب على الرّسل ﴿وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الكتب السابقة، معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب فهما تفصيل للمتّقين اذ المعطوف عليه المؤمنون عن الشرك والمعطوف مؤمنوا اهل الكتب كعبد الله بن سلام وامثاله والمتقون شامل لهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)﴾ يعلمون علما يقينيّا يزول معه العقائد الفاسدة وتقديم صلة يوقنون وبنائه على هم الذى فاعل له فى المعنى ليفيد قصر ايقانهم على الآخرة وقصر الإيقان بالآخرة عليهم فيكون تعريضا بمن عداهم بانّ ايقانهم ليس فى الآخرة بل فى الباطل وانّه لا ايقان لهم بل معتقد باطل ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَى هُدًى﴾ عظيم اى مستقرون عليه كمن اعتلى شيئا وركبه ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ﴾ كرّر اسم الأشارة للتّنبيه على انّ اتصافهم بتلك الصفات يقتضى كلاّ من الخصلتين الهدى فى الدّنيا والفلاح فى العقبى ﴿هُمُ﴾ كلمة فصل يفيد قصر المسند على المسند اليه ﴿الْمُفْلِحُونَ (٥)﴾ الفائزون بالجنّة والجملتان استيناف لبيان فائدة توصيف المتقين بالصّفات المتقدّمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كابى جهل وابى لهب ونحوهما عقّب المتأهّلين للهدى والفلاح باضدادهم كما هو عادته فى اغلب التعبيرات ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر خبر انّ وما بعده مرتفع به على الفاعلية او خبر ما بعده والجملة خبر انّ والتقدير ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او انذارك وعدمه سيّان عليهم اذ الفعل اذا اريد به مطلق الحدث مجازا او اللّفظ نفسه جاز الاخبار عنه والأضافة اليه نحو واذا قيل لهم آمنوا اى هذا اللفظ وتسمع بالمعيدى خير من ان تراه اى سماعك ويوم ينفع الصّادقين اى نفعهم

والهمزة وام جرّدتا عن معنى الاستفهام لتأكيد الاستواء ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ (٦)﴾ جملة مفسرة لما فيه الاستواء لا محلّ لها وفائدة الانذار والتّخويف بعد العلم بعدم النفع الزام الحجّة واستحقاق الرسول فضل الأبلاغ ﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ﴾ وحّده للأمن من اللّبس ولانّه فى الاصل مصدر وهو لا يثنّى ولا يجمع وكرّر الجار ليكون ادلّ على شدّة الختم ﴿وَعَلى أَبْصارِهِمْ﴾ خبر او عامل لقوله ﴿غِشاوَةٌ﴾ اى غطاء والمعنى احدث فى نفوسهم بسبب غيهم وانهماكهم فى التّقليد هيئة تعوّدهم على استحباب الكفر والمعاصى واستقباح الإيمان والطّاعة بحيث لا ينفذ فى قلوبهم الحقّ ولا يطيب لاسماعهم استماعه ولا يتجلّى لأبصارهم الآيات المنصوبة عليه فاستعاره الختم والتغشية ثم اشتق ختم لاحدث استعارة تبعية ويجوز ان تكون الاستعارة مكنية او تمثيليّة بناء على كون المشبّهين امورا متعددة والمعتزلة لما لم يجوّزوا اسناد القبيح العقلى ايضا اليه تعالى ذكروا فى امثال هذا وجوها من التأويل منها انّ الاعراض عن الحقّ لمّا صار طبيعة لهم شبّه بالوصف الخلقىّ المجبول عليه وباقى الوجوه فى القاضي فراجعه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)﴾ فى الخطر بالقياس الى ما يجانسه من عذاب غيرهم لا بالقياس الى طاقتهم فقط كما هو المتعارف وتقديم المسند للاختصاص المفيد للتّهويل ﴿وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمنّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ اى يوم القيامة لانّه آخر الأيّام من موصوفة بمعنى إناس مبتدأ على انّ اللاّم فى الخبر وهومن النّاس للجنس بدأ ببيان المنافقين بعد بيان القسمين الخالصين إيمانا وكفرا وطوّل بحثهم وضرب فيهم الامثالَ لانّهم اخبث النّاس على الله وقصتُهم باجمعها معطوفة على قصّة المصرين على الكفر فلا يشترط فيه تناسب آحاد جمل المجموعين بل تناسب الغرضين فقط وهو موجود هنا كما لا يخفى ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)﴾ حال من فاعل يقول وجمع الضمير باعتبار معنى من وفى العدول عن ما آمنوا مع انّه الموافق لتصريحهم بالفعل وزيادة الباء فى خبرما واطلاق الإيمان تاكيد ومبالغة فى تكذيبهم لانّ اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفى الإيمان عنهم فى الماضى ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ والَّذِينَ آمَنُوا﴾ اى يخدعون

باظهار خلاف ما ابطنوه ليدفعوا عنهم الاحكام الدنيويّة رسولَ الله على حذف المضاف لعدم تصوّر الخدع مع الله لعلمهم ايضا بانّه لا يخفى عليه خافية على انّ بناء المفاعلة للمبالغة لكونها صيغة المبالغة ويؤيّده كونه بيان يقول وامّا اذا حمل على الاشتراك فالخدع مجاز من الجانبين سواء كان مع الله او الرّسول بان يستعار لصورة صنعهم مع الله من اظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم استدراجا مع خبثهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله فى اخفاء حالهم على وفق صنيعهم ما وضع لصورة صنع المخادعين تبعيّة او تمثيليّة ﴿وَما يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ﴾ اى ما يضرّون الاّ ايّاها اذ يفتضحون فى الدّنيا باظهار الله حالهم للنّبى ﷺ ويعاقبون فى الآخرة فهو مجاز من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللاّزم الذى هو الضّرر لانّ المخادعة كانت مع الله والمؤمنين فلا يتصوّر قصرها على انفسهم وذواتهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ (٩)﴾ لا يحسّون بذلك الضّرر مع كونه كالمحسوس لغاية غفلتهم وصيرورتهم كالجمادات ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ اى اَلَمٌ ما فاتهم من الرّياسة واستعلاء شأن الرسول يوما فيوما او سوء الاعتقاد ومعاداة النبى ﴿فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ اَلَمًا ناشيا من اغتمامهم بما زاد فى اعلاء امره او زادهم الله ذلك السّوء بالختم على قلوبهم ﴿وَلَهُمْ عَذابٌ اَلِيمٌ﴾ صفة مشبهة بمعنى مُؤْلِمٌ على صيغة المفعول وصف به العذاب مع كونه وصف صاحبه للمبالغة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)﴾ اى بسبب كذبهم وهو حرام كلّه بقرينة تعليل استحقاق العذاب به وتسمية الأقوال الثلاثة الصادرة عن ابراهيم كذبا كما فى الحديث لمشابهتها به صورة و الاّ فهى تعريضات كما سياتى فى سورة الانبياء[1] وقد جوّزه الحنفية فى الصّلح بين النّاس والحرب ومع المرأة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ من جانب الرّسول او المؤمنين ﴿لاَ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر وتعويق النّاس عن الإيمان وتهييج الفتن ﴿قَالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)﴾ جواب اذا ورد النّاصح على سبيل المبالغة الناشية من اختيار الجملة الاسمية وانّما الدالة على قصر ما دخلت عليه على ما بعده و

[1] - فى آية: ٦٢

بجموع الشّرط والجزاء عطف على يكذبون او يقول امنّا ﴿اَلاَ اِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٢)﴾ لمّا ادعوا اصلاحهم على سبيل المبالغة ردّه بكلام ابلغ لاستينافه وتصديره بالا التّنبيهية وانّ المقررة للنّسبة وتعريف الخبر وزيادة ضمير الفصل المفيدان هنا قصر المسنداليه على المسند والاستدراك بقوله: ﴿لا يشعرون﴾ أي لا يحسّون ﴿وَاِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾ من تمام النّصح لانّ كمال الإيمان بترك ما لا ينبغى والأتيان بما ينبغى وهو المطلوب بآمنوا ﴿كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ اى إيمانا مثلَ إيمان الرّسول ومن معه ﴿قَالوَا اَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ الجهّال والهمزة للأنكار اى لا نفعل كفعلهم وليس هذا القول منهم صريح كفر لاحتمال ان يؤوّلوه بانّا نؤمن إيمانا اكمل من إيمانهم لا مثلهم ﴿اَلاَ اِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٣)﴾ نفى الشعورَ عنهم فى الأولى والعلمَ هنا لكونه اشدَّ مطابقة مع السّفه المقتضى للجهل ﴿وَاِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ اوّل القصّة اى قوله ﴿ومن النّاس﴾ بيان نفاقهم وهذه بيان معاملتهم مع المؤمنين واهلِ دينهم فلا تكرار نزلت لمّا استقبل نفر من الصّحابة اُبيّاً واصحابَه فقال انظروا كيف اردّ هؤلاء السّفهاء عنكم فاخذ بيد كلّ من الخلفاء الثلثة غير عثمان واثنا عليه بما فيه ﴿وَاِذَا خَلَوْا اِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ اى انفردوا مع كبارهم ورأسائهم عبر عنهم بالشّياطين استعارة مصرّحة والشيطان اما من الشطن بمعنى البعد لبعده من الرّحمة او من شاط اذا هلك وبطل ويؤيّده تسميته بالباطل ﴿قَالُوا اِنَّا مَعَكُمْ﴾ فى الذّين خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعليّة والشّياطين بالاسميّة المؤكّدة بانّ مع انّ القياس العكس لأنكار المؤمنين عليهم دون شياطينهم اذ هم فى صدد دعوى احداث الإيمان عند اولئك وتحقيق ثباتهم على ماكانوا عليه عند هؤلاء ﴿اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ (١٤)﴾ بالمؤمنين بمانظهر من الاسلام استيناف وجواب لقول شياطينهم ان كنتم معنا فلِمَ توافقون المؤمنين ﴿اَللّٰهُ يَسْتَهْزِأُ بِهِمْ﴾ يجازيهم باستهزائهم سمى استهزاء للمقابلة كما فى مثل ﴿ومكروا ومكر الله﴾[1]

[1] - سورة آل عمران: ٥٤

﴿وجزاء سيئة سيئة﴾[1] فليس على حقيقته حتى يقال انّه عبث مخالف لمقتضى الحكمة مستحيل فى حقه تعالى ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يقوّيهم ﴿فِي طُغْيانِهِمْ﴾ تجاوزهم الحد فى الكفر والمغتزلة لمّا اوجبوا الأصلح على الله وهذا ليس منه تكلّفوا بان المدّ مجاز عن ازدياد قلوبهم رينا وظلمة لانه مسبب عن المدّ ونسبته اليه تعالى مع كونه فعلهم لانّه المسبب فى ذلك الرّين لمنعه عنهم الطافه بسبب كفرهم واضيف الطغيان اليهم لئلاّ يتوهّم انّ الاسناد على حقيقته ﴿يَعْمَهُونَ (١٥)﴾ يتحيّرون حال لهم والعمه فى البصيرة بمنزلة العمى فى العين لكن هذا يعمّها ايضا وذاك يخصها ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى﴾ استبدلوها بالهدى الّذى كان مجبولا فى فطرتهم او استحبوها واختاروها عليه وهذا لا يقتضى ان يكون فى ايديهم هدى بخلاف الاوّل وعلى التقديرين فيه استعارة تبعيّة ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ﴾ ترشيح للاستعارة واسناد الرّبح الى التّجارة مجاز عقليّ اذ هو لاربابها ﴿وَمَا كانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)﴾ لطريق التجارة اذ ضيّعوا رأس المال الذى هو فطرتهم السّليمة باعتقاد الضلالات ففوتوا الرّبح ايضا عطف على اشتروا ليكون عدم الرّبح مفرّعا عليهما لا على ربحت حتى يقال انّ اشتراء الضلالة بالهدى متفرع على عدم الأهتداء فى التّجارة فكيف يصح العكس ﴿مَثَلُهُمْ﴾ فى اظهار الإيمان واستبطان الكفر ﴿كَمَثَلِ الَّذِي﴾ بمعنى الذين بقرينة رجوع ضمير بنورهم اليه وان افرد الضمير نظرا الى اللفظ فى قوله ﴿اسْتَوقَدَ﴾ اوقد ﴿نَارًا﴾ فى ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضاءَتْ﴾ انارت النار ولمّا هنا لمجرّد الظّرفية مجازا فلايرد انّ مدخولها ليس سببا لجوابها كما هو قاعدتها والجملة الشّرطيّة عطف على استوقد ﴿ما حَوْلَهُ﴾ اى ماحول المستوقد من الأمكنة فاستدفأ بها وأمنّ ما يخافه ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾ اذهبه واطفأه ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ﴾ عطف على ذهب تعدّى الى مفعولين لتضمّنه معنى صيّر وجمعُ ظلمات وتنكيرُها للمبالغة ﴿لاَ يُبْصِرُونَ (١٧)﴾ ماحولهم خائفين متحيّرين فكذا هؤلاء استأمنوا باظهار كلمة الإيمان فاذا ماتوا او اظهرحالهم جائهم الخوف والعذاب ﴿صُمٌّ﴾

[1] - سورة الشورى: ٤٠

اى هم كصم من حيث انهم لا يصغون الى الحقّ ﴿بُكْمٌ﴾ كخرس لا ينطقون به ﴿عُمْىٌ﴾ كعمى لا يبصرون فى الآيات كى يهتدوا فحذف ادات التّشبيه للمبالغة ﴿فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ (١٨)﴾ عن الضّلالة بسبب اوصافهم فالجملة مفرّعة على ما قبلها ﴿اَوْ﴾ مثلهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾ اى كمثل اصحاب مطر واصله صَيْوِبٌ من صاب يصيب اى نزل ولذا تعلّق به قوله ﴿مِنَ السَّماءِ﴾ السّحاب واللاّم للجنس ﴿فِيهِ﴾ اى السّحاب ﴿ظُلُماتٌ﴾ ظلمة سواده وظلمة تكاثفه وظلمة اللّيل ﴿وَرَعْدٌ﴾ وهو الملك الموكّل به ويطلق على صوته مجازا ﴿وَبَرْقٌ﴾ اجنحته ويطلق على لمعانه ﴿يَجْعَلُونَ﴾ اى اصحاب الصّيب ﴿اَصابِعَهُمْ﴾ اناملهم من اطلاق الكلّ على الجزء ﴿فِى آذَانِهِمْ مِنَ﴾ اجل ﴿الصَّوَاعِقِ﴾ لئلاّ يسمعوه وهو شدّة صوت الرّعد وتطلق على النّار النّازلة معه ايضا ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿الْمَوْتِ﴾ من سماعها مفعول له ليجعلون ﴿وَاللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩)﴾ لا يفوتونه لشمول علمه وقدرته اياهم ففيه استعارة تبعيّة وهو اعتراض على مذهب من يجوّز وقوعه فى الآخر وان شرط فى المشهور كونه بين كلامين متّصلين معنى بان يكون الثّانى بيانا او تاكيدا او بدلا للاوّل ﴿يَكادُ﴾ يقرب ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ اَبْصارَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كُلَّمَا اَضاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ اى فى ضوئه وكلّما ادات شرط دالة على التكرار مضافة الى شرطها منصوبة بجوابها وايرادها للاشارة الى انّ حرصهم على المشى ازيد من التّوقف ولذا ذكره باذا فقال: ﴿وَاِذَا اَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ اى وقفوا الجملتان استيناف وبيان لحالهم مع البرق ولمعانه وخفائه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ اى اسماعهم بشدّة صوت الرّعد ﴿وَاَبْصارِهِمْ﴾ بلمعان البرق اشارة الى انّ تأثير الاسباب فى المسببات مشروط بمشية الله ﴿اِنَّ اللّهَ عَلى كُلِ شَىْءٍ﴾ شائه ﴿قَدِيرٌ (٢٠)﴾ كالتاكيد لما قبلها ولذا لم تعطف عليها فكذا هؤلاء فى حيرة النّفاق وشدّة سخط الله وعقابه السّرمد وان انتفعوا قليلا بما جرى على السنتهم من الإيمان ﴿يا اَيُّهَا النّاسُ اُعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ التفتَ الى خطابِ الفرقِ المتقدّمةِ اهتماما بامر العبادة وجبرا لكلفتها وما روى انّ يا ايّها النّاس مكىّ ويا ايّها الذين آمنوا مدنىّ فغير

مرفوع حتى ينافى تعميم الخطاب للفرق المتقدمة وعلى تقديره لا يوجب تخصيص الخطاب بكفّار مكّة اذ من اهلها مَنْ هو مؤمن خالص وايضا لا يوجب امرهم بالعبادة حال الكفر بل بما بعد تحصيل شرطها الذى هو الإيمان ﴿الَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ من العدم صفة مادحة للربّ وبيان علّة الربوبيّة ﴿وَ﴾ خلق ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)﴾ حال من فاعل اعبدوا اى راجين ان تنخرطوا فى سلك المتّقين المستوجبين لجوار الله فلعلّ هنا للتّرجى من المخاطب وقد تجئ للاشفاق منه فيما فيه ضرّ وقد تقع لأطماع المتكلّم غيره بشرط ان يكون فى فعل من افعاله ولا تجئ بمعنى كى الاّ مجازا عند تعذّر الحقيقة وسياتى الكلام عليها فى مواضع.[1] وما قيل انّها فى كلامه تعالى للتحقيق دائما فغير وجيه لانتقاضه بنحو لعلّه يتذكّر او يخشى ﴿الَّذِى جَعَلَ﴾ صيّر ولذا تعدّى الى مفعولين ﴿لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ متوسّطة فى الصّلابة والرّخاوة صالحة للأستقرار كالفراش المبسوط ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ كقبّة مضروبة عليكم ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ﴾ اى بسبب الماء الممتزج بالتّراب الّذى بمنزلة النّطفة للحيوان بعضا ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ فمن للتّبعيض قائمة مقام المفعول المحذوف وهو بعضا او هى المفعول ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾ مصدر مفعول له لأخرج اى لرزقكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾ نهى معطوف على اعبدوا ﴿لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء فى العبادة ﴿وَ﴾ حال ﴿أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ انّها لا تماثله فى مقتضى العبوديّة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾ اتى بان جريا على قاعدتهم من استعمالها كثيرا فى الأمور المتحقّقة او بمعنى اذ ﴿فِى رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ اى بسبب ما نزلنا على محمّد صفة ريب ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ وهى طائفة من القران مترجمة باسم لا تكون اقلّ من ثلث آيات مأخوذة من سورالبلد لاحاطتها بانواع من العلم او بقاريها فتحفظه كاحاطته بها والحكمة فى تقطيعه سورا افراد الانواع وتنشيط القارى وتسهيل الحفظ ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ اى سورة هى مثل المنزل فى حسن النّظم فمن للتّبيين والآية تدلّ على انّه انزل سورة سورة على ما هو عليه الآن وفى قول

---

[1] – ﴿واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ لعل وعسى في أمثال هذا دليل عزة التوصل إلى ما خير. [سورة آل عمران: ١٣٢].

كثيرمن المحدّثين انه نظم على هذا الترتيب فى خلافة عثمان بمشورة الصّحابة ووضع فى بيت حفصة ثم كتب منه عثمان اربع مصاحف او اكثر وارسلها الى البلاد فاشتهر بجامع القرآن ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ اى استعينوا بحاضريكم اومن ترجون معونته ليعاونوكم او ليشهدوا انّكم قادرون عليه ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ اى حالكونكم او كونهم متجاوزين الله فى الاستعانة فانّ دون فى الاصل لأدنى مكان من الشيء ثم استعير لادنى المرتبة تشبيها لها بالمكان ثم استعمل بمعنى التّجاوز مجازا من اطلاق المقيّدعلى المطلق ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)﴾ فى دعوى انه من كلام البشر ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ فيما مضى على انّ ان لم تجعله مستقبلا ليصحّ ان يعطف عليه قوله ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ فيما يأتى والاّ فلن تفعلوا جملة معترضة ﴿فَاتَّقُوا﴾ والتقدير ظهرانّه معجز فاتّقوا لكن نزّل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية ﴿النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا﴾ بالفتح اسم لما توقدبه النّار وبالضم مصدر وقد يعكس ﴿النَّاسُ﴾ الكفّار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ اصنامهم التى منها ﴿أُعِدَّتْ﴾ هيّأت ﴿لِلْكَافِرِينَ (٢٤)﴾ يعذّبون بها والجملة مستأنفة لبيان سبب كونها بهذه الشدّة اوحال لازمة منها ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا محمّد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صدقوا بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اى المستحسنة شرعا والعطف يدلّ على انّه خارج عن الإيمان واستحقاق البشارة بمجموعهما ﴿أَنَّ﴾ اى بان وحذفُ الخافض مع انّ قياسٌ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ اى تحت اشجارها وقصورها اماّ فى الأخدود على الطّريق المعتاد او على سطح الجنّة حيث شاء اهلها منضبطا بقدرته تعالى ﴿الْأَنْهَارُ﴾ اى مائها على حذف المضاف او تسمية الحال باسم المحلّ ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾ اى اطعموا ﴿مِنْهَا﴾ اى من تلك الجنّات حال من رزقا الآتى و ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ حال من الضّمير المستكنّ فى الحال ﴿رِزْقًا﴾ بمعنى مرزوقا مفعول به ﴿قَالُوا هَذَا﴾ مثل ﴿الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ اى قبله فى الجنّة لتشابه ثمرها بقرينة ﴿وَأُتُوا﴾ جيؤا ﴿بِهِ﴾ بالرّزق ﴿مُتَشَابِهًا﴾ صورة ومختلف طعما او متشابها فى سهولة الحصول للفقير والغنى بلافرق فعلى هذا معطوفة على قالوا آه وعلى الأوّل معترضة مقرّرة لما قبلها ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾ من الحور وغيرها

﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وسوأ الخلق وكل قذر ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)﴾ دائمون لما يشهد به النّصوص وان كان الخلود اعم من الدّوام. ونزل ردّا لقول اليهود لما ضرب تعالى المثل بالذباب فى قوله: ﴿كمثل العنكبوت﴾[1] ما اراد الله بذكر هذه الاشياء الخسيسة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ لا يترك ترك من يستحيي ان يمثّل بالحقير فهو من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللاّزم لانه بمعنى الانقباض والترك لازم له ﴿أَنْ يَضْرِبَ﴾ اى من ضرب مفعول يستحيي باعتبار لفظه لا معناه المراد والاّ لما احتاج الى تقدير من ﴿مَثَلًا مَا﴾ مفعول اوّل ليضرب لتضمّنه معنى الجعل و﴿بَعُوضَةً﴾ مفعوله الثّانى والأولى العكس وما صفة مثلا لزيادة ابهامه او زائدة لتاكيد الخسّة ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ عطف على بعوضة بفاء التّرتيب على سبيل التّرقى او التنزّل ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ اى المثل ﴿الْحَقُّ﴾ الثّابت الّذى لا يسوغ انكاره ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ حال من ضمير الحق ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ تميز اوحال لهذا وما استفهام انكار مبتدأ وذا بمعنى الّذى مع صلته خبره او ماذا بمجموعه بمعنى ايّ شيء مفعول اراد وهذا حكمها وحكم من ذا اين ما وقعا والمعنى ايّ فائدة فيه وفى هذا استحقار واسترذال قال تعالى فى جوابهم ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ اى بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحقّ لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به وصف المهتدين بالكثرة بالنّظر الى انفسهم او شرفهم وان كانوا قليلين بالنّسبة الى اهل الضّلال ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾ الخارجين عن طاعته وللفسق ثلث مراتب التّغابى وهو ارتكاب الكبيرة احيانا مع استقباحها والأنهماك وهو الارتكاب من غيرمبالات بها والجحود وهو الارتكاب مع استصوابها ويكفر بهذا دون الأوّلين ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ ما عهده اليهم من يوم الست او فى الكتب من الإيمان بمحمّد صفة ذمٍّ للفاسقين وفيه استعارة مكنيّة ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ تاكيدِه عليهم بالآيات والكتب او بالترامهم وقبولهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من صلة الرّحم وموالاة المؤمنين وعدم التفرقة بين الأنبياء وغير

[1] - سورة العنكبوت: ٤١

ذلك وان يوصل بدل من ضميربه ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ بالمنع عن الإيمان والمعاصى وغيرذلك ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)﴾ لا غيرهم لمصيرهم الى النّارالمؤبّدة عليهم ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ ياكفار التفت الى الخطاب معهم مبالغة فى توبيخهم اذ الاستفهام للتّوبيخ والتّعجب من كفرهم بطريق البرهان لانّ فيه انكار الحالة الّتى عليها الكفر اللاّزمة له وانكار اللاّزم يستلزم انكار الملزوم بطريق ابلغ ولذا اختاره على اتكفرون وكيف حال من فاعل تكفرون وكذا قوله ﴿وَ﴾ قد ﴿كُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ اى عناصر او مضغا من شأنكم الحيوة ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ بنفخ الرّوح فيكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم عدّه من النّعم باعتبار كونه وصلة الى الحيوة الأبدية ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث او للسؤال فى القبور ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)﴾ بعد البعث او من قبوركم فيجازيكم بأعمالكم وقال دليلا على البعث لمآ انكروه واثباتا لنعمة اخرى مرتبة على الاولى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ﴾ اى ما فى الغبراء من الأشياء اى ما فى جهة السّفل من الأرض وما فيها لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ما ﴿ثُمَّ﴾ للتّراخى الرّتبى وفضل خلق السّماء على خلق الأرض لا للتّراخى الزّمانى حتى ينافى ظاهر قوله: ﴿والأرض بعد ذلك دحيها﴾[1] ﴿اسْتَوَى﴾ قصد بارادته ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ اى جهة العلو ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ اى عدّلهنّ وخلقهنّ مصونة من العوج والفطور والضّمير للسّماء او مبهم يفسره ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ غير العرش والكرسىّ فيوافق قول الحكماء انّها تسعة وهو على الاوّل بدل من الضمير ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)﴾ مجملا ومفصّلا فاعتبروا وتيقّنوا انّ العليم القادر على خلق ذلك ابتداء وهو اعظم منكم قادرعلى اعادتكم وبدأ بنعمة ثالثة تعمّ النّاس كلّهم بقوله ﴿وَإِذْ﴾ اى اذكر يا محمّد الحادث اذ فهى ظرف للحادث المقدّر مفعولا لاذكر مقدّرا لا له لعدم اتحاد الزمان وقس عليه اينما وقعت فى حيز اذكر[2] ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ كلّهم او التّى فى الأرض او ابليس

---

[1] – سورة النازعات: ٣٠

[2] – مثل قوله تعالى: ﴿واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقف﴾ و ﴿اذكر عبدنا ايوب...﴾

ومن معه فى محاربة الجنّ حين افسدوا فى الأرض فدمّروهم وفرقوهم فى الجزائر والجبال ﴿إِنِّ جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفنى لقصور المستخلف عليهم عن قبول فيضى بلا واسطة لا لعجزى او يخلف من سكن الأرض قبله وهو آدم بقرينة السّياق وافراد الخليفة فنسبة الافساد والفسك اليه مجاز او هو وذريته بقرينة النّسبة والخليفة بمعنى من يخلف ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يريقها بالقتل قاسوهم على بنى الجان والاستفهام تعجّب واستكشاف عن حكمة تغلّب هذه المفاسد كسؤال متعلّم معلّمه لا اعتراض عليه تعالى ولا غيبة بنى آدم وتزكية انفسهم لعصمتهم عن ذلك ﴿وَ﴾ حال ﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ ملتبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ اى ونقول سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ اى ننزّهك عمّا لا يليق بك فاللاّم زائدة والمعنى اتجعلهم ونحن احق بالاستخلاف ﴿قَالَ إِنِّ أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٣٠)﴾ من المصلحة فى الاستخلاف ومزيّة نفعهم على ضرّهم وهذا يتحمّل لذاك ثم انّه تعالى قبض قبضة من جميع الوان الأرض وعجنت بالمياه المختلفة فخلق منها آدم ولذا يأتى بنوه اصنافا ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ﴾ اسم اعجمى كآزر ليس مشتقا من شىء كما زعموا فى امثاله ﴿الأَسْمَاءَ﴾ اى اسماء المسمّيات فاللاّم عوض عن المضاف اليه ﴿كُلَّهَا﴾ حتّى القصعة والمغرفة بأن القى علمها فى قلبه ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ اى المسمّيات وضمير العقلاء الذكور لتغلبهم ﴿عَلَى الْمَلَئِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم تبكيتا لا تكليفا بالمحال ﴿أَنْبِؤُنِى﴾ اخبرونى ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ﴾ المسميات ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١)﴾ فى دعوى انّكم احقّ بالخلافة وجواب الشرط دلّ عليه ماقبله ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ مصدر كغفران منصوب بفعله او اسم مصدر يصدّربه الكلام للأعتذار ﴿لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ ايّاه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ ضمير فصل او تاكيد للكاف ﴿الْعَلِيمُ﴾ الّذى لا يخفى عليه خافية ﴿الْحَكِيمُ (٣٢)﴾ المحكم لمبدعاته موجدها على وجه الحكمة ﴿قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ اى الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ اى المسمّيات ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ فسمّى كل شىء باسمه وذكر حكمته التّى خلق بها ﴿قَالَ﴾ تعالى موبخا لهم لعدم انتظارهم الى ان يتبيّن لهم الامر ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّ أَعْلَمُ

غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما خفى عليكم من امورهما ﴿وَاَعْلَمُ مَاتُبْدُونَ﴾ تظهرون اى احوالكم الظاهرة او قولكم اتجعل آه ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)﴾ تسرون اى احوالكم الباطنة او قولكم لن يخلق اكرم واعلم عليه منّا او ما اسر ابليس من المعصية ﴿وَ﴾ اذكر ﴿اِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحيّة بالانحناء اوسجود شرعٍ لله متوجهين فيها لآدم تفخيما لشأنه ﴿فَسَجَدُوا اِلاَّ اِبْلِيسَ﴾ قيل كان منهم بقرينة الاستثناء وقوله تعالى: ﴿كان من الجنّ﴾[1] اى فعلا او من ضرب من الملائكة متوالد مسمّى بالجنّ لكنّ الأصحّ انّه كان حيّا بل ابا الجان سبته الملائكة حين غزوا الجنّ المفسدين فى الأرض فعبد بينهم دهرا طويلا فتسمّى ملكا ﴿اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ﴾ اى امتنع من السّجود استكبارا عليه وقال انا خير منه ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)﴾ فى علم الله ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اُسْكُنْ﴾ من السّكنى اى الاقامة والاتّخاذ منزلا لكنّه مأخوذ من السّكون اى ترك الحركة ﴿اَنْتَ﴾ تاكيد للضمير المستتر ليصح ان يعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حوّاء وكان خلقها من ضلعه الايسر ﴿الْجَنَّةَ﴾ المعهودة للثواب فى السّماء السّابعة اوجنّة البرزخ فيها او بستان بفلسطين على علو عند من قال انها غير مخلوقة الآن ﴿وَكُلاَ مِنْهَا﴾ اكلا ﴿رَغَدًا﴾ واسعا لا حجر فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ اى فى اىّ مكان منها اردتما وسّع عليهما الأمر لئلاّ يبقى لهما عذر فى المخالفة ﴿وَلا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ اى شجرة الحنطة او الكرم او التينة او العلم على ما فى العصام ممّا حاصله انّهما امرا بالتّوجّه اليه تعالى بالمشاهدة ونهيا عن الأكتفاء فى معرفته بالعلم فخالفا مرّة فعوتبا وانّما نهيا عن القرب الّذى من مقدّمات التّناول مبالغة فى تحريمه ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)﴾ فتصيرا مجزوم بالعطف على النّهى او منصوب فى جوابه والفاء للسّببيّة فيهما ﴿فَاَزَلَّهُمَا﴾ ابعدهما وفى قرائة فأزالهما وفيه معنى الزّلق ﴿الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ اى الجنّة بقوله: هل ادلّكما على شجرة الخلد وقاسمهما بالله انّه لهما من النّاصحين بالنّداء من الباب او الدّخول فى فم الحيّة او غيرذلك فاكلا منها ﴿فَاَخْرَجَهُمَا

[1] - سورة الكهف: ٥٠

مِمَّا كَانا فِيهِ﴾ من النّعيم ﴿وَقُلْنا اهْبِطُوا﴾ الى الأرض اى انتما وما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذريّة ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ حال دائمة ولذا استغنى عن الواو ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ استقرار او موضع قرار ﴿وَمَتاعٌ﴾ تمتّع ﴿إِلى حِينٍ (٣٦)﴾ اى وقت الموت او القيامة ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ﴾ حال من ﴿كَلِماتٍ﴾ اى استقبلها بالأخذ والعمل حين علمها وفى قرائة بنصب آدم ورفع كلمات اى استقبلته وبلغته وهى ﴿رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا...﴾[1] فدعا بها وتاب ﴿فَتابَ عَلَيْهِ﴾ اى رجع عليه بالرّحمة وقبول توبته فهى من العبد الرّجوع عن المعصية الى الطاعة ومن الله الرّجوع من العقوبة الى المغفرة واكتفى بذكر آدم لانّ حوّاء تابعته فى الحكم ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ الرّجاع على عباده ﴿الرَّحِيمُ (٣٧)﴾ بهم ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كرّره للتّاكيد او ليعطف عليه ﴿فَإِمَّا﴾ فيه ادغام نون ان الشّرطية فى ما المزيدة للتّاكيد فلذا حسن ان يؤكد بالنّون قوله ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ﴾ كرّره لانّ المراد به اعمّ من الأوّل وهو ما اتى به الرّسل واقتضاه العقل من موصولة مبتدأ وخبرها ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)﴾ بفوات محبوب بل يدخلون الجنّة آمنين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جنانا ﴿وَكَذَّبُوا﴾ لسانا ﴿بِآياتِنا﴾ المنزّلة او ما يعمّها والعقلية جمع آية وهى العلامة الظّاهرة وتقال للمصنوعات لدلالتها على الصّانع ولكل طائفة من القرآن متميّزة عن غيرها بفاصل لانّها دالّة على ما فى ضمنها من المقاصد ﴿أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ (٣٩)﴾ دائمون لا يفنون ولا يخرجون ﴿يا بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ اى اولاد يعقوب واسرائيل بمعنى صفوة الله او عبده لقب له ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ من ادراك زمان محمّد وعلى آبائكم من الأنجاء من فرعون وفلق البحر وتظليل الغمام وغيرذلك ففيه تغليب الحاضرين ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الّذى عهدت اليكم من الإيمان بمحمّد ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الّذى وعدته اليكم من الثّواب عليه بدخول الجنّة ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)﴾ خافون والتقدير ان كنتم راهبين شيئا فايّاى ارهبوا

---

[1] - سورة الأعراف: ٢٢

ارهبون فحذف الشّرط ثم الجزاء وابقى مفعوله عوضا عن الشرط وادخل الفاء على مفسّره ففيه من تاكيد الأختصاص ماليس فى ايّاك نعبد ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَامَعَكُمْ﴾ من التّورية بموافقته له فى التّوحيد والنّبوّة والقصص وغيرها وان خالفه فى جزئيّات الأحكام بسبب تفاوة الاعصار ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ من اهل الكتاب والاّ فقد سبقهم مشركوا العرب لانّ خَلْفَكُمْ تبع لكم فأثمهم عليكم ﴿لَا تَشْتَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾ الّتى فى كتبكم من نعت محمّد ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عوضا يسيرا من الدّنيا اى لا تكتموها خوفَ فوات ما تأخذونه من سَفَلَتِكُمْ اوتحرفونها باخذ الرّشى ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)﴾ فصلّها بالتّقوى وما قبلها بالرّهبة لاشتمالها على ما هو كالمبادى لهذه وتقديرهما واحد ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ تخلطوا ﴿الْحَقَّ﴾ المنزّل ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الّذى تفترونه ﴿وَ﴾ لا ﴿تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ نعت محمّد ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)﴾ انّه حقّ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَآتُوا الزَّكَوةَ﴾ مثل ما للمسلمين فانّ غيره كالعدم ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)﴾ فى جماعتهم محمّد واصحابه فانّها تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة عبّر بالرّكوع عن الصّلوة احترازا عن صّلوة اليهود ونزل فى علمائهم كانوا يأمرون سرّا من نصحوه باتباع محمّد ولايتبعونه ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمّد ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تامرونها به والاستفهام تقرير مع توبيخ وتعجيب ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ التّورية وفيها الوعيد على العناد وترك البرّ ومخالفة القولِ العملَ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤)﴾ قبحَ صنعكم فترجعون ﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ اطلبوا العون يابنى اسرائيل على حوائجكم ومايشقّ عليكم من ترك الرّياسة والأعراض عن المال والجاه ﴿بِالصَّبْرِ﴾ اى حبس النّفس على ما تكره او بالصّوم الّذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشّهوة ﴿وَالصَّلَوةِ﴾ لانّها اذا انضافت الى الاوّل استنار القلب بانوارمعرفة الله فيزول عنه شوق المال والجاه وفى الحديث: «كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصّلوة»[1] ﴿وَإِنَّهَا﴾ اى الاستعانة بهما او الصلوة وافرادها بالضمير لعظم شأنها

[1] - فتح الباري: ١/١٨٤

﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة ﴿إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)﴾ الساكنين الى الطّاعة ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يتيقنون ﴿أَنَّهُمْ مُلاَقُوا رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦)﴾ فى الآخرة فيجازيهم ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كرّره للتاكيد وتوطئة التفصيل الآتى ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ اى آبائكم عطف على نعمتى ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧)﴾ عالمى زمانهم ﴿وَاتَّقُوا﴾ اى خافوا ﴿يَوْمًا﴾ اى ما فيه من العذاب ﴿لاَ تَجْزِي﴾ لا تقضى فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ من الحقوق او من الجزاء فيكون نصبه على المصدر ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ اى من النّفس الثّانية العاصية ﴿شَفَاعَةٌ﴾ اتت بها من شافع ﴿وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلاَ هُمْ﴾ اى النّفوس الدّالة عليها النّفس الثانية الواقعة فى حيّز النّفى والتذكير باعتبار العباد ﴿يُنْصَرُونَ (٤٨)﴾ يمنعون من عذاب الله والآية مخصوصة بالكفّار اذ الخطاب معهم ونزلت ردّا عليهم انّ آبائهم تشفع لهم فلا تكون تمسّكا للمعتزلة فى نفى الشّفاعة لأهل الكبائر الثّابتة بالأحاديث[1] والآيات[2] ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ اى آبائكم يا موجودين فى زمان النبىّ ﷺ عطف على نعمتى وتفصيل لما اجمله فيها ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ مصعب بن ريّان ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ اشدّه والجملة حال من ضمير نجّيناكم ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ بيان ليسمونكم ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ اى بناتكم ولا شك ان ابقائها مع ذبح البنين من اشدّ العذاب لبقائهنّ بلا ازواج وذلك لما رأى فى المنام او اخبره الكهنة سيولد منهم من تزول مملكته على يده لكن ما ردّ صنيعه من قدر الله شيئا ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ العذاب او الأنجاء ﴿بَلاَءٌ﴾ ابتلاء او انعام ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)﴾ صفتا بلاء وفيه اشارة انّ ما يصيب الأنسان كلّه من الله فيشكر على النفع ويصبر على الضرر ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ فلقنا ﴿بِكُمُ﴾ بسببكم ﴿الْبَحْرَ﴾ اثنى عشر فرقا فيها كوى يرى بعضكم بعضا امّنا لكم ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه بذهاب جبرئيل قدامه راكبا

---

[1] – مثل: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» التاج الجامع الأصول: ٣٤٨/٥

[2] – مثل سورة الزخرف: ٤٦

على حجرة مال اليها حصانه فاقتحم البحر وصاح عليهم ميكائيل فليلحق بعضكم بعضا ﴿وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠)﴾ غرقهم وهذه الواقعة من اعظم نعمه على بنى اسرائيل ﴿وَاِذْ وَاعَدْنا﴾ بالف ودونه ﴿مُوسَى﴾ بعد هلاك فرعون ورجوعكم الى مصر ﴿اَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ من رأس ذى القعده نعطيه التورية عند انقضائها لتعملوا بها ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ الّذى صاغه السامرىّ الها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ اى بعد ذهاب موسى الى الطور للميعاد ﴿وَاَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١)﴾ باتّخاذه لوضعكم العبادة فى غير محلّها ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ محونا ذنوبكم ﴿مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ﴾ الاتّخاذ حين تبتم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢)﴾ لعفوه ﴿وَاِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التورية ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ عطف تفسير اى الفارق بين الحق والباطل ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣)﴾ به من الضّلال ﴿وَاِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الّذين عبدوا العجل ﴿يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿فَتُوبُوا اِلٰى بَارِئِكُمْ﴾ اعزموا على التّوبة والرّجوع الى خالقكم بلا تفاوة ﴿فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ﴾ بقطع الشهوات او بتسليمها الى البارى منكم ليقتلها فعلى هذين القتل مجاز او ليقتل بعضكم بعضا ففى انفسكم تشبيه بليغ ﴿ذٰلِكُمْ﴾ اى القتل ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ وقد وفّقكم عليه بارسال سحابة سوداء لئلاّ يبصر بعضكم بعضا فيرحمه حتى قتل منكم سبعين الفا ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبِلَ توبتكم عطف على وفقكم للقدّر وخطاب منه تعالى معهم على طريق الالتفات ﴿اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) وَاِذْ قُلْتُمْ﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا من عبادة العجل الى الله وسمعتم كلامه ﴿يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ﴾ نقرّ ﴿لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً﴾ عيانا نصب على مصدر او الحال ﴿فَاَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ نار من السّماء او صيحة هلكتم بها ﴿وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥)﴾ ما حل بكم بنفسه او اثره ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ احييناكم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بالصّاعقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)﴾ نعمة البعث ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ سترناكم بالسّحاب الرّقيق من حرّ الشمس فى التّيه ﴿وَاَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى﴾ التَّرَنْجُبين والطّير السّمانى بتخفيف الميم والقصر وكان ثيابكم لا تتّسخ ولا تبلى ويضيأ لكم عمود من نار باللّيل وقلنا ﴿كُلُوا مِنْ

طَيِّبَاتِ﴾ اى حلالات او متلذذات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تدخروا فظلموا بكفران النّعمة والذّخر ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ التفت عن خطابهم للتّوبيخ ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧)﴾ فانّ وباله عليهم ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعد التيه ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدّس او اريحا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعا ونصبه على المصدر او الحال ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ اى بابها او باب القبّة الّتى كانوا يصلّون اليها فى التّيه ﴿سُجَّدًا﴾ منحنين ﴿وَقُولُوا﴾ مسئلتنا ﴿حِطَّةٌ﴾ وهى فعلة من الحط كالجلسة اى ان تحطّ عنّا خطايانا ﴿نَغْفِرْ﴾ وفى قرائة بالتاء والياء مبنيّا للمفعول فيهما ﴿لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ لسجودكم ودعائكم ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)﴾ بالطاعة ثوابا ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ منهم بما امروابه ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ قالوا حنطة اوحبّة فى شعرة ودخلوا يزحفون على استاههم ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ اعاد هم مظهرا مبالغة فى تقبيح شأنهم ﴿رِجْزًا﴾ عذابا طاعونا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)﴾ بسبب فسقهم اى خروجهم من الطاعة فمات منهم فى ساعة اربعة وعشرون الفا او اكثر ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى﴾ اى طلب السّقيا منّا ﴿لِقَوْمِهِ﴾ لمّا عطشوا فى التّيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ كانت من آس الجنّة عشرة ازرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان فى الظّلمة اَهْبَطَها والحجرَ آدمُ من الجنّة ووصلا الى شعيب فاعطاه ايّاهما وقيل الحجر ما فرّ بثوبه الى ان اتى به الى قوم رموه بالأدرة لما كان يسترعورته منهم فظهر كذبهم فاخذه موسى وكان خفيفا مربّعا من رخام او كذان فضرب ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط من كل وجه ثلث اعين تذهب كل فى جدول الى سبط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ موضع شربه لئلاّ يتنازعوا وقلنالهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)﴾ حال مؤكّدة لعاملها ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ﴾ نوع منه ﴿وَاحِدٍ﴾ وهو المنّ والسّلوى ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ﴾ يظهر جزم فى جواب فادع ﴿لَنَا﴾ شيئا ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ الاسناد مجازىّ باقامة القابل مقام الفاعل ومن للتّبعيض ﴿مِنْ﴾ للبيان ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ حنطتها وقيل

ثومها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ تعالى او موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾ الهمزة للانكار ﴿الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ﴾ اخسّ ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ اشرف اى اتاخذونه بدله ولمّا لم يمكن مسؤلهم لتعلّق ارادة الله ببقائهم فى التّيه اربعين سنة امرهم احد القائلين امر تعجيز ﴿اهْبِطُوا﴾ انزلوا وعلى تقديركون القائل موسى يحتمل ان يكون التّقدير فدعا موسى فاستجيب له فقيل لهم على لسان يوشع بهذا الامر ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾ فيه ﴿مَا سَأَلْتُمْ﴾ من النّبات ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ جعلت محيطة بهم ﴿الذِّلَّةُ﴾ الذل والهوان ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ اى اثر الفقر من السّكون فهى لازمة لليهود وان كانوا اغنياء مخافة ان تضاعف جزيتهم ﴿وَبَاءُوا﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ﴾ اى الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ اى بسبب انهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ اى المعجزات الّتى من جملتها ما عدّ عليهم من النّعم السّابقة او بالكتب المنزّلة ومافيها من الأحكام ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ كشعيا وزكريا ويحى وغيرهم ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ اى ظلما عندهم ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)﴾ اى الكفر والقتل بسبب عصيانهم وتجاوزهم الحدّ فى المعاصى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالانبياء من قبل ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ تهوّدوا اى اليهود ﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾ جمع نصرانىّ بياء المبالغة كما فى احمرىّ سمّوا بذلك لانّهم نصروا عيسى عليه السلام ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ طائفة من اليهود او النصارى مغايرة لهم فى بعض الاعتقدات من صاب اذا مال ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فى زمن نبيّنا ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ على وفق شريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ اى ثواب اعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العقاب كالكفار ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾ على تضييع العمر كالمقصرين خبر من آمن رُوعى فيه معنى من وفى آمنَ وعملَ لفظُه والجملة خبر انّ او هذا خبرها ومن آمن بدل عن اسمها ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم بالعمل بما فى التّورية ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ﴾ حين شقّ عليكم ما فيه ﴿الطُّورَ﴾ الجبل من جبال فلسطين بان قلعه جبرائيل من اصله فوق راوسكم وادناه منكم شيئا فشيئا حتى قبلتم وسجدتم على جانب من وجوهكم ناظرين من جانب هل يقع الجبل عليكم ام لا فصار سنتكم هذا

السّحود وتقولوا به رفع عنّا العذاب وقلنا ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ وعزيمة ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالدرس او الفكر او العمل ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)﴾ النّار او المعاصى ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ اعرضتم عن الميثاق ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الأخذ ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيقكم للتّوبة او بمحمّد ﷺ يدعوكم الى الحقّ ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤)﴾ الهالكين ﴿وَلَقَدْ﴾ اللاّم للقسم ﴿عَلِمْتُمُ﴾ عرفتم ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾ تجاوزوا الحدّ كائنين ﴿مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ اى فى تعظيم يوم السّبت مصدر سبّتت اليهود اى عظّمت يوم السّبت هم اهل ايلة خصّهم الله به كالنّصارى بالأحد والمسلمين بالجمعة وامرهم ان يتركوا فيه الاشتغال الدّنيويّة حتّى الصّيد فجعلت السّمك تجتمع فيه فى ساحل البحر وتخرج خرطومها فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضًا تدخلها يومَ السّبت ويصطادوها يوم الأحد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥)﴾ مبعّدين ذليلين خبر ثان لكونوا فصاروا ثم هلكوا بعد ثلثة ايّام كما هو حال المنسوخ وقيل يعيش وينسل ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ اى تلك العقوبة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ماعملوا ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ اى الأمم التّى فى زمانها وبعدها ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦)﴾ لانّهم المنتفعون بها دون غيرهم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ وقد قتل شيخًا موسرًا بنو عمّه تسارعا فى ميراثه والقوه على باب المدينة وجاؤا يطلبون دمه فدعى موسى من الله بيانه قدّم هذا على اوّل القصة اى اذ قتلتم نفسا آه ليكون مستقلاًّ فى افادة نوع آخرَ من عيوبهم وهو ظنّ الاستهزاء من موسى وعدم السّرعة الى امتثال الامر ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ اهلَ هُزُوٍ أَوْ مَهْزُوًّا بنا حيث تأمرنا بمثل هذا لِكَشْفِ القتيلِ ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾ امتنع ﴿بِاللَّهِ﴾ من ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧)﴾ لان الهزو فى مثل ذلك جهل فلمّا علموا انّه عزم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ اى ما حالها وصفتها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُ﴾ اى الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ مُسِنَّةٌ من فرضت البقرةُ سنّها اى قطعتها صفة لبقرة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾ نصف ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور من الفارض والبكر ﴿فَافْعَلُوا مَا

تُؤْمَرُونَ (٦٨)﴾ به من ذبحها فى هذا الأمر زَجْرٌ عن المراجعة لكن ما انزجروا ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ﴾ شديد الصّفرة ﴿لَوْنُهَا﴾ فاعل فاقع اسنده اليه مع انّه صفة صفراء لفضل التّاكيد فكانّه قيل صفراء شديد الصّفرة صفرتها ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩)﴾ اى تعجبهم ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ اسائمة ام عاملة تكرير للسّؤال الاوّل واستكشاف زائد وقوله ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ اعتذار عنه يعنى انّ البقر الموصوف بالتّعوين والصّفرة كثير فاشتبه علينا ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠)﴾ الى البقرة. فى الحديث: «لو لم يستثنوا لما بيّنت لهم آخر الأبد»[1] ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ غير مذلّلة بالعمل صفة بقرة ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ تقلبها للزّراعة صفة ذلول وكذا قوله ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ الزّرع ولا فيه مزيدة لتأكيد الأولى ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ عن العيوب وآثارِ العمل ﴿لَا شِيَةَ﴾ لون ﴿فِيهَا﴾ غيرلونها ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ نطقتَ بالبيان التّام المميّزلها عمّا عداها فوجدوها عند فتى بارّ بامّه بحيث يقسم الليل فيجلس ثلثا عند رأس امّه وينام ثلثا ويعبد الله ثلثا وكان ابوه شيخا صالحا استودع الله البقرة عجلةً فى غيضة حتّى يكبر ابنه فاشتروها ملأ جلدها ذهبا وكانت البقرة حينئذ بثلاثة دنانير ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١)﴾ لغلاّ ثمنها او لتطويلهم السؤال ولا منافات بينه وبين فذبحوها لاختلاف وقتيهما يعنى ماقاربوا ان يفعلوا حتّى انتهت سؤالاتهم واضطروا ففعلوا ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ خطاب للجمع لوجود القتل فيهم ﴿فَادَّارَأْتُمْ﴾ فيه ادغام التّاء فى الاصل فى الدّال اى تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيهَا﴾ فى شأنها ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ولكونه حكاية حال مستقبل اعمل فى ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢)﴾ من امرها ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ اى القتيل عطف على ادّارأتم وما بينهما اعتراض ﴿بِبَعْضِهَا﴾ اى البقرة اىّ بعض كان او بلسانها او عجب ذنبها فضربوه فحيى وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمّه ثم مات فحرما الميراث وقتلا ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل احياء القتيل ياسامعين ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾

[1] - الشيخ للساوي بتخريج أحاديث الغالي. وغايا الأرب في فنون الأدب

دلائل قدرته ﴿لعلّكُمْ تعْقِلُون (٧٣)﴾ تتدبّرون فتعلمون انّ القادرعلى احياء نفس واحدة قادرعلى احياء النّفوس كلّها وانّ اموره لا يلزم ان توافقَ العقولَ وانّ التمرّل بيده حيث اغنى اليتيمَ بثمنِ البقرة وحرّم القاتل ﴿ثُمّ﴾ ايّها اليهود ﴿قستْ قُلُوبُكُمْ﴾ غلظت وصلبت ببعدها عن التأثّر من المواعظ والآيات ففيه استعارة تبعيّة ﴿مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾ المذكور من احياء القتيل وما قبله من الآيات ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ مثلها فى القسوة ﴿أَوْ﴾ بل هى ﴿أَشَدُّ﴾ منها ﴿قَسْوَةً﴾ وعلّل بهذا التفضيل بما عطف عليه من قوله ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ﴾ بكثرة ﴿مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ فيه ادغام التاء فى الأصل فى الشّين ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ القليل على حدّ العين لا الأنهار ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ ينزل من علو الى سفل ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ اى انقياده وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين مع انّكم مميّزين وما فى المواضع الثّلثة موصولة اسم انّ دخل عليه اللاّم لتقدّم الخبر وهو الظّرف ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)﴾ وانّما يؤخّركم لوقتكم وفى قرائة بالتاء وفيه التفات عن الخطاب ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ ايّها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ اليهود ﴿لَكُمْ﴾ اى لاجل دعوتكم ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ طائفة من اسلافهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ﴾ فى التّورية ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ يغيّرونه كما غيروا نعت محمّد من ابيض ربع الى اسمر طويل وآية الرّجم الى تسويد الوجه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ولم يبق لهم فيه ريبة ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾ انّهم مفترون والاستفهام للأنكار اى لا تطمعوا فلهم سابقة فى الكفر ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ يعنى منافقيهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بانّكم على الحقّ وانّ محمّدا هو المبشّربه فى التّورية ﴿وَإِذَا خَلاَ﴾ رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ اى رأسائهم الّذين لم ينافقوا لمن نافق عتابا وتقريعا عليهم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ اى المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ اى بما بيّن لكم فى التّورية من نعت محمّد ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ ليحتجّوا عليكم واللاّم للصّيرورة ﴿بِهِ﴾ اى بذلك المبيّن كائنا ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ اى فى كتابه فانّ المحاجة به جعلوها محاجة بما عند الله وقيل فى الآخرة بترك اتباعه مع علمكم بصدقه وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (٧٦)﴾ انّهم يحاجونكم اذا

حدّثتموهم فيلزمونكم قال تعالى ﴿أَوَلاَ يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير والآية مرتبطة بقوله: واذا لقوا آه ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ (٧٧)﴾ ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الإيمان ﴿وَمِنْهُمْ﴾ اى من اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ جهلة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ اى الكتابة او التّورية الجملة صفة الأميّون ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿أَمَانِيَّ﴾ اكاذيب اخذوها من رأسائهم فاعتمدوها فالاستثناء منقطع ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ فى جحد نبوّة النّبىّ وغيره ممّا يختلقونه ﴿إِلاَّ﴾ قوم ﴿يَظُنُّونَ (٧٨)﴾ ظنّا لا علم لهم بل هم مقلّدون وتابعون للشّبهة ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدّة عذاب ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾ المحرّف وتاويلاتهم الزّائغة من تبديل نعت الرّسول ﷺ وآية الرّجم وغيرها لبسا على من يريد اتباعه ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكيد يقرر اسناد الكتابة اليهم كقولك كتبته بيمينى ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدّنيا وهو المأكل والهدايا الّتى يصيبونها من سفلتهم وجهّالهم ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المحرّف ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)﴾ من الرّشى على تحريفه فما موصولة فى الموضعين ﴿وَقَالُوا﴾ لما وعدهم ﷺ النّار ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تصيبنا ﴿النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ قليلة اربعين يوما مدّة عبادة آبائهم العجل او سبعة مدّتها كما عند بعض او مدّة الدّنيا وهى سبعة آلاف سنة عندهم عن كلّ الف يوم ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ﴾ حذف منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام وهو فى القرآن كثير ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ ميثاقا منه بذلك ان اخذتم عند الله عهدا ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ اذ الخلف منه محال ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٨٠)﴾ عديلة لهمزة الاستفهام ان كان للتقرير لعلمه ﷺ بوقوع احدهما على التّعيين او منقطعة بمعنى بل اتقولون استيناف استفهام آخر للتّقرير والتّقريع ﴿بَلَى﴾ تمسّكم وتخلّدون فيها ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شركا ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ اى استولت عليه واشتملت من كلّ جانب بان مات مشركا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ خبرُ منِ الشرطيّة روعى فيه معناها وفى كسب لفظها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١)﴾ دائمون ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

فى التّورية على التّكاليف الثّمانية الآتية قلنا ﴿لاَ تَعْبُدُونَ اِلاَّ اللّٰهَ﴾ خبر بمعنى النّهى ويؤيّده قرائة لا تعبدوا وهو ابلغ من صريح النّهى اذ فيه ايهام انّ المكلّف مسارع الى الانتهاء عن المنهى عنه فالنّاهى يخبر عن انتهائه ﴿وَ﴾ احسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا﴾ برّا ﴿وَذِى الْقُرْبٰى﴾ القرابة عطف على الوالدين وكذا قوله ﴿وَالْيَتَامٰى﴾ جمع يتيم كنديم وندامى ﴿وَالْمَسَاكِيْنِ﴾ جمع مسكين من السّكون كانّ الفقر اسكنه ﴿وَقُوْلُوا لِلنَّاسِ﴾ قولا ﴿حُسْنًا﴾ مصدر وصف به القول للمبالغة وهو ما فيه ارشاد واتّصاف بمكارم الاخلاق ﴿وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ﴾ المفروضتان فى ملّتكم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ اعرضتم فيه التفات عن الغيبة ان كان الخطاب لآبائهم او تغليب الموجودين على مَنْ قبلهم ان كان لهم ﴿اِلاَّ قَلِيْلًا مِنْكُمْ وَاَنْتُمْ مُعْرِضُوْنَ (٨٣)﴾ اعتراض او حال مؤكدة من فاعل تولّيتم او مقيّدة من قليلا ﴿وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ﴾ قلنا ﴿لاَ تَسْفِكُوْنَ﴾ تريقون ﴿دِمَائَكُمْ﴾ بقتل بعضكم بعضا ﴿وَلاَ تُخْرِجُوْنَ اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضا من دياره ففى دمائكم وانفسكم تشبيه بليغ من حيث جعل المفعول به نفس الفاعل للملابسة بينهما دينا او نسبا ﴿ثُمَّ اَقْرَرْتُمْ﴾ بقول ذلك الميثاق ﴿وَاَنْتُمْ تَشْهَدُوْنَ (٨٤)﴾ على انفسكم تأكيد لجملة الأقرار ﴿ثُمَّ اَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ﴾ مبتدأ وخبر بمعنى انتم هؤلاء المخالفون المناقضون وقوله ﴿تَقْتُلُوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُوْنَ فَرِيْقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ حال والعامل فيها معنى الاشارة او هؤلاء بدل من المبتدأ وهذا خبره ﴿تَظٰهَرُوْنَ﴾ فيه ادغام التّاء فى الأصل فى الظّاء وفى قرائة عاصم بالتخفيف على حذفها اى تتعاونون حال من فاعل تخرجون او من مفعوله ﴿عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ﴾ المعصيّة ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم ﴿وَاِنْ يَأْتُوْكُمْ اُسٰرٰى تُفٰدُوْهُمْ﴾ من الاسر بالمال او غيره وهو ممّاعهد اليهم ايضا ﴿وَهُوَ﴾ اى الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ خبر ﴿اِخْرَاجُهُمْ﴾ والجملة خبر ضميرالشأن والجملة حال من فاعل تخرجون كانت قريظة حلفاء الأوس والنّضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كلّ فريق حلفائه فى القتل وتخريب الدّيار والأخراج منها واذا أُسِرَ احدمن الفريقين فدوهم فكانوا يقولون نفدوهم لانّا مأمورون به ونقاتلهم حياء ان يستذل حلفاؤنا قال

تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتال والأخراج ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ﴾ هوان وذلّ ﴿فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ وقد خُزُوا بقتل قريظة ونفى النّضير الى الشّام وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ لانّ عصيانهم اشدّ ﴿وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ آثروها عليها ﴿فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ لا فى الدّنيا ولا فى الآخرة ﴿وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ (٨٦)﴾ بدفعه عنهم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التورية ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ اى اتبعناهم اياه رسولا اثر رسول ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الواضحة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والأبرص والانجيل ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قوّيناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ من اضافة الموصوف الى الصّفة اى الرّوح المقدّس اى جبرائيل يسير معه حيث سار ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ﴾ تحبّ من هوى بالكسر احبّ واما هوى بالفتح فبمعنى سقط ﴿أَنْفُسُكُمُ﴾ من الحق ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبّرتم عن اتّباعه جواب كلّما وهى منصوبة على الظّرف به والفاء للعطف على ولقد آتينا موسى اوعلى مقدّر بعد الهمزة اى افعلتم ما فعلتم فكلّما آه ويكون الكلام استينافا والهمزة على التّقديرين للتّوبيخ والتّعجب ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كموسى وعيسى عطف على استكبرتم والفاء للسّببية او التّفصيل ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧)﴾ كزكريّا ويحيى اتى بالمضارع استحضارا للصّورة الماضية لفضاعتها ﴿وَقَالُوا﴾ للنّبى ﷺ استهزاء ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ مغشاة باغطية خلقيّة لا تعقل ما تقول قال تعالى ﴿بَلْ﴾ للاضراب ﴿لَعَنَهُمُ اللّٰهُ﴾ ابعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ اى بسببه لا لخلل خلقىّ فى قلوبهم ﴿فَقَلِيلاً مَّا﴾ إيمانا قليلا ﴿يُؤْمِنُونَ (٨٨)﴾ وما مزيدة للمبالغة فى القلّة ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ﴾ وهو القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التّورية وجواب لمّا محذوف دلّ عليه جواب لمّا الآتية ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ بمجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ويقولون اللّهم انصرنا بالنّبى المبعوث آخر الزّمان المنعوت فى التّورية ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق وهو بعثة النّبى ﷺ ﴿كَفَرُوا

بِهِ﴾ حسدا وخوفا على الرّياسة جواب لمّا ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾ اى عليهم ففيه اقامة المظهر مقام المضمر ليدلّ ان لعنهم بسبب الكفر ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ اى حظّها من الثّواب وما نكرة بمعنى شيء مميّزة لفاعل بئس المستكنّ واشتروا صفتها والمخصوص بالذّم ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ اى كفرهم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ من القرآن ﴿بَغْيًا﴾ مفعول له ليكفروا اى حسدا على ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ﴾ قرأ بالتشديد والتخفيف ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحى ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرّسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُ﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما انزل والتّنكير للتّعظيم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقّوه بحسدهم ممّن هو افضل الخلق او بكفرهم بكتابهم او بعيسى ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠)﴾ ذو اهانة واذلال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ اى التّورية ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ اى بعده وهو القران حال من فاعل قالوا ﴿وَ﴾ حال ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكّدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ﴾ لهم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ اى قتلتم ﴿أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)﴾ بالتّورية وهى ناهية عنه اسند الى الموجودين فى زمن نبيّنا فعلُ آبائهم لرضائهم به ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات كالعصى واليد وفلق البحر وغيرها ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد ذهابه الى الطّور ﴿وَ﴾ حال ﴿أَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢)﴾ باتّخاذه ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ وقد مرّ تفسيره ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ امرك ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ اى تداخل فى قلوبهم حبّه كما يتداخل الشّراب اعماق البدن ﴿بِكُفْرِهِمْ قُلْ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ شيئا ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ بالتّورية صفة ما والمخصوص بالذّم محذوف اى عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)﴾ بها كما زعمتم لكن لستم بمؤمنين لانّ الإيمان لا يأمر بمثل هذا والمراد آبائهم لكنّه تعريض بهم ايضا بانهم ليسوا بمؤمنين بها لتكذيبهم النّبى ﷺ والإيمان بها لا يأمرهم به ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ اى الجنّة ﴿عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً﴾ خاصّة بكم كما تزعمون حال من الدّار ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ

كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤)﴾ لانّ من اتقن انّه من اهل الجنّة اشتاقها ليخلص من هذه الدّار الدّنية ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ اَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ اَيْدِيهِمْ﴾ انفسهم من موجبات النّار كالكفر بمحمّد وغيره ﴿وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥)﴾ الكافرين فيجازيهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ لام قسم ﴿اَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ﴾ والتنكير للنّوع اى الحيوة المتطاولة ﴿وَ﴾ احرص ﴿مِنَ الَّذِينَ اَشْرَكُوا﴾ المنكرين للبعث وافرادهم بالذّكر لشدّة حرصهم على الحيوة العاجلة اذ لا حيوة عندهم غيرها ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنّى استيناف لبيان زيادة حرصهم ﴿اَحَدُهُمْ﴾ قائلا ﴿لَوْ﴾ ليت ﴿يُعَمَّرُ اَلْفَ سَنَةٍ﴾ فهو حكاية لوداده‌م وزعم بعض انّ لو مصدريّة بمعنى ان وهى مع مابعدها فى تأويل المصدر مفعول يودّ ﴿وَما هُوَ﴾ اى احدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ مبعّده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ النّار ﴿اَنْ يُعَمَّرَ﴾ اى تعميره فاعل مزحزحه ﴿وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ فيجازيهم وسأل عبدُ الله بن صُوريَا النبيَ ﷺ او عمرَ عمنْ يأتى بالوحى من الملائكة فقال جبرائيل فقال هو عدوّنا عادانا مرارا ويأتى بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنّا لانه يأتى بالخَصَبِ والسَّلَمِ فنزل ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ معناه عبد الله فليمت غيظا ﴿فَاِنَّهُ﴾ جبريل ﴿نَزَّلَهُ﴾ القرآن واضماره غير مسبوق الذكر لفخامته ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ خصّه بالذّكر لانّه القابل الاوّل للوحى ومحل الحفظ ﴿بِاِذْنِ اللّٰهِ﴾ بامره حال من فاعل نزّل وقوله ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَى﴾ بالجنّة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)﴾ احوال من مفعوله ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للّٰهِ﴾ اى مخالفا له ﴿وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ عُطِفَا على الملائكة عطفَ خاصّ على عام لفضلهما كانّهما من جنس آخر ﴿فَاِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)﴾ اتى بالمظهر للدّلالة على ان العداوة بسبب كفرهم وانّ عداوة المذكورين كفر ﴿وَلَقَدْ اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات نزلت ردّا لقول ابن صُوريَا للنّبى ﷺ ما جئتنا بشيء نعرفه ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا﴾ اى بالآيات ﴿اِلاَّ الْفَاسِقُونَ (٩٩) اَ﴾ كفروا بها ﴿وَكُلَّمَا عَاهَدُوا﴾ الله ﴿عَهْدًا نَبَذَهُ﴾ طرحه ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ بنقضه جواب كلّما منصوبة به فهو محلّ الاستفهام الانكارى ﴿بَلْ﴾ للانتقال وردّ مايتوهّم انّ من لم ينبذ جهارا فهم

يؤمنون خفاء ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ محمّد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ﴾ اى التّورية ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ اى لم يعملوا بما فيه من الإيمان بالرّسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٠١)﴾ مافيها من انّه نبيّ حقّ او انّها كتاب الله ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ عطف على نبذ ﴿مَا تَتْلُوا﴾ اى كتب السّحر الّتى قرأتها او تبعتها فهو حكاية حال ماضية ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ من الجن ﴿عَلَى﴾ اى فى عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ وكانت دفنتها تحت كرسيّه لمّا نزع ملكه او كانت تسترق السّمع وتضمّ اليه اكاذيب وتلقيه الى الكهنة فيدوّنونه وفشى ذلك وشاع ان الجنّ تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلمّا مات دلّت الشّياطين عليها النّاس واستخرجوها فوجدوا فيها السّحر فقالوا انما ملككم بهذا فتعلّموه ورفضوا كتب انبيائهم قال تعالى تبرية لسليمان وردّا على اليهود فى قولهم انظروا الى محمّد يذكر سليمان فى الأنبياء وما كان الاّ ساحرا ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ اى لم يعمل السّحر لانّ بعض انواعه واعتقاده كفر ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ باستعماله ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ الجملة حال من فاعل ﴿كفروا﴾ ولا يظهر الاّ على يد الفاسق فتميّز عن المعجزة والكرامة ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ من السّحر والعطف على السّحر للتغاير الأعتبارى او لانّ المراد به نوع اقوى منه الكائنَيْن ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد من سواد العراق ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بدل او عطف بيان للملكين كانا ملكين انزلهما الله فى زمان ادريس لتعليم السّحر ابتلاء للناس وقيل مثلا بشرين وركب فيهما الشّهوة وبعثا للفصل بين الناس لأمتحان الملائكة حين اعترضوا على بنى آدم بكثرة المعاصى فتعرّضا لأمرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشّرك ثم صعدت الى السّماء بما تعلّمت منهما من اسم الله الأعظم الّذى كانا يصعدان به الى السّماء ليلا وينْزلان نهارا فمسخها الله كوكبا وهما امتنعا من الصّعود فذهبا الى ادريس عليه السلام فاستشفع لهما فخيّرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختاروا الاوّل لعلمهما بانقطاعه فعلّقا بين السّماء والأرض فى بئر ببابل يعذّبان الى يوم القيامة ويعلّمان

من ذهب اليهما السّحر لكن طعن فى هذه القصة بعض وقال على تقدير صحتها لها تأويل تصوّق لطيف ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ﴾ له نصحا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ ابتلاء من الله للنّاس فمن تعلّم منّا كفر ومن ترك فهو مؤمن حتى يقولا انّا مفتونان على القيل ﴿فَلاَ تَكْفُرْ﴾ بتعلّمه واعتقاده فان ابى الاّ التعلّم علّماه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ الناس ﴿مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ اى من السّحر ما يكون سبب تفريقهما ﴿وَمَا هُمْ﴾ اى السّحرة ﴿بِضَارِّينَ بِهِ﴾ بالسّحر ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بامره اذلا تأثير لسبب بدونه ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ فى الآخرة لانّ العلم يجرّ الى العمل سيّما عمل الشّر ﴿وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمُوا﴾ اليهود ﴿لَمَنِ﴾ لام ابتداء معلّقة لعلموا عن العمل ومن موصولة ﴿اشْتَرَاهُ﴾ اختاره واستبدله بكتاب الله ﴿مَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ نصيب ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾ شيئا ﴿شَرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ اى حظّها من الآخرة حيث وجب لهم النّار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾ حقيقة ما يتبعه من العذاب ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ اى اليهود ﴿آمَنُوا﴾ بالنّبى والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ عقاب الله بترك المعاصى كالسّحر وجواب لو محذوف اى لكان خيرا لهم او لأثيبوا دل عليه ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ ثواب وهو مبتدأ واللاّم فيه للقسم ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ صفته ﴿خَيْرٌ﴾ خبره اى خير ممّا شروا به انفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)﴾ انّه خير لما آثروه عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا﴾ للنّبى ﷺ ﴿رَاعِنَا﴾ امر من المراعاة وحفظ الغير لمصلحته كانوا يقولونها عند تعليمهم الأحكام وهى بلغة اليهود سبّ من الرّعونة اى الحماقة فسرّوا بذلك وخاطبوا بها النّبى فنهى المؤمنون عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها ﴿انْظُرْنَا﴾ اى انظر الينا او انتظرنا ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تأمرون به سماع قبول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ المتهاونين بالرسول ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ﴾ للتّبيين ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب عطف على اهل الكتاب ولا لتأكيد النّفى ﴿أَنْ يُنَزَّلَ﴾ مفعول يودّ ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿خَيْرٍ﴾ وحى وغيره ﴿مِنْ﴾ للابتداء ﴿رَبِّكُمْ﴾ حسدا لكم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ بنبوّته وغيرها ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

(١٠٥)﴾ ولمّا طعن الكفّار فى النّسخ وقالوا انّ محمّدا يأمر اصحابه اليوم بامر وينهى عنه غدا نزل ﴿مَا﴾ شرطيّة ﴿نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ اى نزيل حكمها امّا مع لفظها او لا ﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ من النسيان اى ننسكها ونمحها عن قلبك وقرأ نُنْسِأْهَا من النَّسْأِ اى نؤخّرها فلا نبدّل حكمها ونرفع تلاوتها او نؤخّرها فى اللّوح المحفوظ وجواب الشّرط ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ انفع للعباد فى السّهولة اوكثرة الأجر ﴿أَوْ مِثْلِهَا﴾ فى التّكليف والثّواب ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)﴾ ومنه النّسخ والتّبديل والاستفهام للتّقرير واستدلّ بهذه الآية على منع النّسخ بلابدل اوباثقل ونسخ الكتاب بالسّنة فانّ الناسخ ما اتى للبدل والسّنة ليست كذلك والكلّ ضعيف وكذا استدلال المعتزلة بها على حدوثه فانّ التّغاير والتّفاوة من ملزوماته لانّهما من عوارض الفاظ الكلام النّفسى فلا تنافى قدمه ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ افراد النّبى بالخطاب مع انّ غيره ايضا داخل فى الخطاب لانّه اعلمهم ومبدأعلمهم ﴿أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفعل ما يشاء فيهما ترك العاطف لكونه كالدّليل على ماقبله ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ اى غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَلِيٍّ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧)﴾ يمنع عذابه منكم ان اتاكم ونزل حين سألوه ان ينزّل عليهم كتابا من السّماء جملة واحدة او قريش ان يجعل الصّفى لهم ذهبا ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ سأله قومه ارنا الله جهرة وغيرذلك ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ ياخذه بدله بترك النّظر فى الآيات البيّنة واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾ اخطأ ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨)﴾ الطريق المستقيم والسّواء فى الأصل الوسط ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اى احبارهم ﴿لَوْ﴾ مصدريّة ﴿يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ حال من مفعول يردّونكم ﴿حَسَدًا﴾ علة ودّ كائنا ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ اى حملتهم على ذلك الحسد انفسُهُم الخبيثة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ فى التّورية ﴿الْحَقُّ﴾ فى شأن النّبى ﴿فَاعْفُوا﴾ اى اتركوا عقابهم ﴿وَاصْفَحُوا﴾ اعرضوا عن التّوبيخ به لسانا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ فيهم من اذن القتال او قتل قريظة واخراج بنى نضير ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ عطف

على فاعفوا كانّه امرهم بالطّاعة والبرّ صبرا لهم ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ كصلاة او صدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ اى ثوابه ﴿عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْلَمُونَ بَصِيرٌ (١١٠)﴾ فيجازيكم به ﴿وَقَالُوا﴾ يهود المدينة ونصارى نجران لمّا تناظروا بين يدى النّبى ﷺ ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا﴾ جمع هائد قول الأولى ﴿أَوْ نَصَارَى﴾ قول الثانية ﴿تِلْكَ﴾ الأقولة ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾ جمع امنية افعولة من التمنى والجملة اعتراض ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجّتكم على اختصاصكم بدخول الجنّة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١)﴾ فى دعواكم ﴿بَلَى﴾ يدخل غيرهم الجنّة ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ اى اخلص لانقياده نفسه وذكرالوجه لانّه اشرف الاعضاء ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فى عمله او موحّد ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ ثابتا ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ لاينقص الجملة جواب من ان كانت شرطيّة وخبرها ان كانت موصولة ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)﴾ فى الآخرة ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ معتدّبه وكفرت بعيسى ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ معتدّبه وكفرت بموسى ﴿وَ﴾ حال ﴿هُمْ﴾ الفريقان ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وفى كتاب كل تصديق نبىّ الآخر ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل قول هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ من مشركى العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ اى قالوا لكلّ ذى دين ليسوا على شيء بيان لمعنى ذلك او مقول قال وكذلك مفعول مطلق له فلا تكرار ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)﴾ من امر الدّين فيدخل المحق الجنّة والمبطل النّار ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ اى لا احد اظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بالصّلوة والتّسبيح مفعول ثان لمنع ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بالهدم او التّعطيل نزلت اخبارا عن الرّوم الّذين خرّبوا بيت المقدّس او فى المشركين لمّا منعوه ﷺ عام الحديبيّة عن البيت لكن حكمها عام ﴿أُولَئِكَ﴾ المانعون ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغى ﴿لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ﴾ خاشعين فضلا عن التّخريب او خبر بمعنى الامر اى اخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها احد آمنا ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوان بالقتل والسّبى والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)﴾ بكفرهم وظلمهم ﴿وَلِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ اى كل الأرض لا

الناحيتان فقط ﴿فَأَيْنَمَا﴾ اى فى اىّ مكان ﴿تُوَلُّوا﴾ وجوهكم نحو القبلة ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهُ اللهِ﴾ اى ذاته اى عالم مطّلع بما يفعل فيه فكلّ الأرض مسجد لكم فلاضير فى منعكم عن المساجد فالآية مرتبطة بما قبلها وقيل نزلت فى صلوة النّفل على الرّاحلة او توطئة لنسخ القبلة ﴿إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ﴾ يسع فضله كلّ شىء ﴿عَلِيمٌ (١١٥)﴾ بتدبير خلقه ونزل لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابنه ومشركوا العرب الملائكة بناته ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ عطف على منع او قالت اليهود قال تعالى ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عنه ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا والمالكيّة تنافى الولادة وعبّر بما تغليبا لما لا يعقل ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (١١٦)﴾ مطيعون لما يراد منهم وفيه تغليب العقلاء فالآية مشعرة بفساد قولهم من ثلاثة اوجه ﴿بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ موجدهما لا على مثال سبق حجّةٌ رابعة على الفساد ﴿إِذَا قَضَى﴾ اراد من قبيل ذكر اللاّزم اى القضاء الذى اتمام الشيء قولا او فعلا وارادة للملزوم ﴿أَمْرًا﴾ شيأ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ أَحْدِثْ ﴿فَيَكُونُ (١١٧)﴾ اى فهو يحدث تمثيل لسرعة نفاد قدرته فى تكوين الاشياء حجة خامسة مقرّرة لمعنى الأبداع ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ اى جهلة المشركين ﴿لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿يُكَلِّمُنَا اللهُ﴾ انّك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ حجة على صدقك ﴿كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من طلب الآيات كأرنا الله الجهرة وغيره بدل او تاكيد او بيان لكذلك ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ اى قلوبهم وقلوب من قبلهم فى الكفر والعناد فيه تسلية للنّبى ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)﴾ اى يطلبون اليقين بلا عناد ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمّد ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالهدى والآيات ﴿بَشِيرًا﴾ بالجنّة لمن اجابك ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنّار لمن لم يجبك ﴿وَلاَ تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)﴾ بما لهم لم يؤمنوا انما عليك البلاغ ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دينهم لعلّهم كانوا يقولون ذلك قال تعالى تعليما للجواب ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾ وما عداه ضلال ﴿وَلَئِنْ﴾ اللاّم موطئة للقسم وان للشّرط ﴿اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الّتى

يدعونك اليها فرضا ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ اى الوحى او الدّين الصّحيح ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ (١٢٠)﴾ يدفع عنك عقابه وهو جواب للقسم ويدلّ على جواب ان ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ اى مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه والأربعين الآتين من الحبشة مع جعفر اخ على ﴿يَتْلُونَهُ﴾ يقرؤنه ﴿حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾ مفعول مطلق والجملة حال مقدّرة وخبر الّذين ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بكتابهم دون المحرّفين ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ بالتّحريف ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١)﴾ باشتراء الكفر بالإيمان ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ (١٢٣)﴾ ختم الكلام معهم بما صدّره به مناسبة بين الخاتمة والفاتحة وتنبيها على انّه للمقصود من القصة ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ابْتَلَى﴾ اختبر ﴿إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ باوامر ونواهى كلّفه بها والكلمات قد تطلق على المعانى فلذا فسّرت هنا بمناسك الحجّ او المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقصّ الشّارب والسّواك والختان وحلق العانة ونتف الابط والاستنجاء وتقليم الأظفار فكانت الخصال العشرة فرضا عليه ولنا سنة ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فادّاهنّ تماما وقام بهنّ حقّ القيام لقوله تعالى: ﴿وابراهيم الّذى وفّى﴾[1] ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوة فى الدّين والجملة استيناف وبيان لما قال له ربه حين اتمهنّ ﴿قَالَ﴾ ابراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ اى وبعضا من ذريّتى فهو عطف على الكاف والذريّة نسل الرّجل من الذر بمعنى التّفريق فاصلها ذرورة او ذريرة قلبت رائها الثالثة ياء وادغمت ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي﴾ امانتى لانّ الأمامة امانة منه تعالى ﴿الظَّالِمِينَ (١٢٤)﴾ الكافرين منهم وبنال غير الظّالم ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ اى الكعبة عطف على اذ ابتلى ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ مرجعا يثوبون اليه من كلّ جانب ﴿وَأَمْنًا﴾ موضع امن من الظّلم والأغارات الواقعة فى غيره او من عذاب الآخرة اذ الحج يمحى ما قبله ﴿وَ﴾ قلنا ﴿اتَّخِذُوا﴾

---

[1] - سورة النجم: ٣٧

ايّها النّاس استحبابا ﴿مِنْ مَقَامِ اِبْرَاهِيمَ﴾ وهو الحجرالّذى قام عليه وبناالبيت وهو موضعه اليوم ﴿مُصَلًّى﴾ مكان صلاة لركعتى الطّواف ﴿وَعَهِدْنَا اِلَى اِبْرَاهِيمَ وَاِسْمَاعِيلَ﴾ امرناهما ﴿اَنْ﴾ اى بان ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ من الأوثان وجميع ما لا يليق ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ حوله ﴿وَالْعَاكِفِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)﴾ اى والمصلّين جمع راكع وساجد ﴿وَاِذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ المكان ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ اى ذا امن وقد اجاب الله دعاه فجعله حرما لا يظلم فيه احد ولايصاد صيده ولا يختلى خلاه ﴿وَارْزُقْ اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وقد فعل بنقل الطّائف من الشام اليه وكان اقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بدل من اهله خصّهم بالدّعاء موافقة لقوله: ﴿لا ينال عهدى الظالمين﴾[1] ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿وَ﴾ ارزق ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ تنبيها على انّ الرزق رحمة عامّة لا يقاس على الامامة ﴿فَاُمَتِّعُهُ﴾ بالرّزق تمتعا ﴿قَلِيلًا﴾ مدّة حياته ﴿ثُمَّ اَضْطَرُّهُ﴾ الجأه فى الآخرة ﴿اِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ لايجد عنه محيصا ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)﴾ المرجع هو اوهى ﴿وَ﴾ اذكر ﴿اِذْ يَرْفَعُ اِبْرَاهِيمُ﴾ حكاية حال ماضية ﴿الْقَوَاعِدَ﴾ جمع قاعدة وهى الاساس ورفعه البناء عليه والجمع باعتبار اجزائه ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ متعلّق بيرفع اوحال من القواعد ومن ابتدائية ﴿وَاِسْمَاعِيلُ﴾ عطف على ابراهيم كان يناوله الحجارة او يبنيان فى طرفين او على التّناوب يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بنائنا ﴿اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا ﴿الْعَلِيمُ (١٢٧)﴾ بنيّاتنا والجملة حال منهما ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ منقادين او مخلصين ﴿لَكَ وَ﴾ احعل بعضا ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِنَا اُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ خصّ الذّريّة بالدّعاء اذ صلاحهم صلاح اتباعهم والبعض لما تقدّم من لا ينال عهدى الظّالمين ولعدم امكان اخلاص الجميع عادة لانه يشوّش المعاش كما قيل لولا الحمقى لبطلت الدنيا ﴿وَاَرِنَا﴾ علّمنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ شرائع حجّنا او عبادتنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا اِنَّكَ اَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)﴾ سألاه التّوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليما لذّريّتهما وتكفيرا لسهوهما ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ فى الأمة المسلمة ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ واجيب دعوتهما

---

[1] - سورة البقرة: ١٢٤

بمحمّد ﷺ لانّه الّذى من ذريتهما كما قال ﷺ انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى ورأيا امّى ﴿يَتْلُوا﴾ يقرأ ﴿عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ القرآن ليضبطوه ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن اى ما فيه من الاسرار الدّقيقة ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ اى ما يكمل به انفسهم من احكامه او سنة الرسول ﷺ ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهّرهم من الشّرك والمعاصى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ فى صنعه ﴿وَمَنْ﴾ استفهام انكار اى لا ﴿يَرْغَبُ﴾ اى يعرض ﴿عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ إِسْتَهْنَهَا واذلّها ولم يصرفها فى حقّها من عبادته تعالى ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترنا ابراهيم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالرسالة والخلّة ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)﴾ الّذين لهم الدّرجات العلى فلا يرغب عن ملّته الاّ السّفه ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ انقد واخلص دينك لله ظرف و تعليل لاصطفيناه او لقوله ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا﴾ الملّة ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ وكانوا اربعة اسماعيل واسحاق ومدين ومَدَانُ ﴿وَ﴾ وصّى ﴿يَعْقُوبُ﴾ بنيه وهم اثنى عشر رَوْبِينُ وشَمْعُونُ ولاَوَى ويَهُوذَا ويشنوخون وزَيُوَلُونُ ودُوِنَى وتَقْتُونَى وكودَا وأُوشِيرُ وبُنْيَامِينُ ويُوسُفُ قال ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ دين الاسلام ﴿فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)﴾ ظاهره النّهى عن الموت على خلاف الاسلام والمقصود النّهى عن ترك الاسلام والامر بالثبات عليه الى مصادفة الموت ولمّا قالت اليهود للنّبى أَلَسْتَ تعلم انّ يعقوب اوصى بنيه باليهوديّة يوم مات نزل ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضورا فام منقطعة والهمزة للإنكار اى ماكنتم ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ بدل من اذ حضر ﴿مَا﴾ ايّ شيء ﴿تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى﴾ ارادبه تقريرهم على التّوحيد واخذ ميثاقهم على الثّبات عليه وكلمة ما عام فى كلّ شيء مالم يعرف ولم يسأل عن وصفه واختصاص من بذوى العلم عند المعرفة والسّؤال عن التّعيين ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ عدّ اسماعيل من الآباء مع انّه عمّه تغليبا ولانّ العم بمنزلة الاب ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ بدل من الهك وفائدته التّصريح بالتّوحيد ودفع توهّم التّعدد الباطل النّاشى من تكرير اله لتعذّر العطف على المجرور ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)﴾ حال

من فاعل اومفعول نعبد او منهما ﴿تِلْكَ﴾ ابراهيم ويعقوب وبنيهما والتّأنيث باعتبارالخبر وهو ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل اى جزائه استيناف اوحال من ضمير خلت او نعت لامّة ﴿وَلَكُمْ﴾ يايهود ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ لا ينفعكم انتسابكم بهم بل موافقتكم ايّاهم ﴿وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤)﴾ لا تؤخذون بسيّأتهم كما لا تثابون بحسناتهم ﴿وَقَالُوا﴾ يهودالمدينة ونصارى نجران ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ او للتّفصيل فالاوّل قول الأولى والثّانى قول الثانية ﴿تَهْتَدُوا﴾ جواب الامر ﴿قُلْ بَلْ﴾ نكونُ او نتّبعُ ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلا عن الأديان كلّها الى الدّين الحقّ حال من ابراهيم او ملّة ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)﴾ تعريض بمن يدّعى اتّباعه ﴿قُولُوا﴾ يامؤمنون ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ من الصّحف العشرة ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ جمع سبط وهوالحافد والمراد حفدة يعقوب وانزال الصّحف الى غير ابراهيم باعتبار تعبّدهم بها ودخولهم تحت احكامها ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ من التّورية والانجيل افردا بالذّكر وخصّا بحكم الأيتاء الّذى هو ابلغ من الأنزال لوقوع النّزاع فيهما ونسخهما لما قبلهما ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ المذكورون وغيرهم منزّلا ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالإيمان ببعض والكفر ببعض كاليهود والنّصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ لله ﴿مُسْلِمُونَ (١٣٦)﴾ فَإِنْ آمَنُوا﴾ اليهود والنّصارى ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ فرضا فالمقصود تبكيتهم والزامهم بارخاء العنان والاّ فلا مثل لما آمن به المسلمون وقيل مثل زائدة ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ اى خلاف معكم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ﴾ يا محمّد شقاقهم تسلية وتسكين له ﷺ ولامّته ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم او اقوالكم ﴿الْعَلِيمُ (١٣٧)﴾ باحوالهم او اخلاصكم فهى وعيد او من تمام الوعد ﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد لآمنّا ونصبه بفعل مقدّر اى صبغنا الله والمراد بها دينه الّذى فطر النّاس عليه سمّاه صبغة لظهور اثره على صاحبه كالصّبغ فى الثّوب او للمشاكلة لانّ

النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه العموديّة ويقولون به تحقّ نصرانيتهم ﴿وَمَنْ﴾ اى لا احد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ تميز ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)﴾ عطف على آمنّا وتعريض بانّهم مشركون قال اليهود الأنبياء كلّهم منّا فلو كنت نبيّا لكنت منا فنزل ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا﴾ أتخاصموننا ﴿فِي اللهِ﴾ ان اصطفى نبيّا من العرب دونكم ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ يصطفى من عباده من يشاء ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩)﴾ الدّين والعمل دونكم فنحن اولى بالاصفاء ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ وقد برّأ ابراهيم من الأمرين بقوله: ﴿ما كان ابراهيم يهوديّا ولا نصرانيّا﴾[1] والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ﴾ أي لا احد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ اخفى النّاس ﴿شَهَادَةً عِنْدَهُ﴾ كائنة ﴿مِنَ اللهِ﴾ وقد كتمتم شهادة الله له فى التّورية بالحنفيّة ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠)﴾ وعيد لهم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١)﴾ كرّره للمبالغة فى التّحزير والزّجر من الافتخار بالآباء ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ الجهال منهم اليهود والمشركين اخبربه قبل الوقوع لتوطين النّفس واعداد الجواب ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ ايّ شيء صرف النّبي والمؤمنين ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ على استقبالها فى الصّلوة وهى بيت المقدّس ﴿قُلْ لِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ اى الجهات كلّها فيأمر الى ايّ جهة اراد ولا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)﴾ دين الاسلام ﴿وَكَذَلِكَ﴾ اى كما هديناكم الى الصّراط ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ يا امّة محمّد ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ خيارا عدولا ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة انّ رسلهم بلّغتهم حين ينكرون التّبليغ ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾ دون غيركم ﴿شَهِيدًا﴾ بالعدالة وان شهد بالتّبليغ على غيركم ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ وما صيّرنا لك الآن

---

[1] ـ سورة آل عمران: ٦٧

﴿الْقِبْلَةَ﴾ الجهة ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ اوّلا وهى الكعبة فانّه كان يصلّى اليها بمكة فلمّا هاجر امر باستقبال بيت المقدس تالّفا لليهود ستة او سبعة عشر شهرا ثم حوّل ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ﴾ يتعلّق علمنا به موجودا ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ فيصدّقه ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ اى يرجع الى الكفر ظنّا انّ النّبى فى حيرة وقد ارتد بذلك جماعة ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من المثقلة واللام هى الفاصلة ﴿كَانَتْ﴾ اى التّولية اليها ﴿لَكَبِيرَةً﴾ شاقّة على النّاس ﴿إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ اى صلوتكم الى البيت المقدس فلا تغتمّوا لمن مات قبل التّحويل وهو سبب النّزول ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ﴾ المؤمنين ﴿لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)﴾ فى عدم اضاعة اعمالهم والرّأفة شدّة الرّحمة قدّم الأبلغ للفاصلة ﴿قَدْ﴾ للتّحقيق ﴿نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ تردّدها ﴿فِي﴾ جهة ﴿السَّمَاءِ﴾ متطلعا الى الوحى باستقبال الكعبة وكان يودّ ذلك لانّها قبلة ابراهيم ولانّه ادعى الى اسلام العرب ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ نحوّلنّك ﴿قِبْلَةً تَرْضَيهَا﴾ تحبّها لمقاصد دينيّة على وفق مشيّة الله ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ اى اصرفه ﴿شَطْرَ﴾ نحو ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ اى المحرّم فيه القتال والمراد به الكعبة او ذكر لانّ جهته هى القبلة للبعيد دون عين الكعبة وتحويل القبلة كان فى اثناء صلوة الظّهر فى رجب قبل قتال بدر بشهرين فى مسجد بنى سِلْمة فسمى مسجد القبلتين ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ فى الصّلوة ﴿شَطْرَهُ﴾ خصّ الرّسول بالخطاب اوّلا تعظيما ثم عمّم تصريحا بعموم الحكم ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ اى التّولى الى الكعبة ﴿الْحَقُّ﴾ الثّابة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لما فى كتبهم فى نعت النّبى انّه يصلى الى القبلتين ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)﴾ بالياء فهو وعيد لليهود على انكارالقبلة وفى قرائة بالتّاء فيكون وعدا للمؤمنين ووعيدا لليهود ان جعل الخطاب لهما تغليبا ﴿وَلَئِنْ﴾ لام موطئة القسم ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ اى حجّة على صدقك فى امرالقبلة ﴿مَا تَبِعُوا﴾ اى ما يتّبعون جواب القسم وهو مع جوابه سادّ مسدّ جواب الشرط ﴿قِبْلَتَكَ﴾ عنادا ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ فليقطعوا طمعهم فى عودك الى قبلتهم ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾

فانّ قبلة اليهود الصّخرة وقبلة النّصارى مطلع الشّمس ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوَائَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَائَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الوحى ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ فحذف المضاف اليه لاذا وعوض عنه التّنوين اى اذا اتبعتهم فرضا ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعنى علمائهم ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ اى محمّدا لدلالة الكلام عليه ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ اَبْنَائَهُمْ﴾ بنعته فى كتابهم قال ابن سلام لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابنى ومعرفتى لمحمّد اشدّ ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ﴾ الّذى انت عليه فاللاّم للعهد وارد ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ والجملة مستأنفة ويجوز ان يكون الحقّ خبرمبتدأ محذوف ومن ربّك حال مؤكّدة لمضمون الجملة ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧)﴾ الشّاكين فى انّه من ربّك نهى بمعنى الأخبار لكافة النّاس بانّ المقام ليس بمظنّة للشكّ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الأمم ﴿وِجْهَةٌ﴾ قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه فى صلوته وفى قرائة مُوَلاّهَا ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ من امرالقبلة وغيره ممّا ينال به سعادة الدّارين ﴿اَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا﴾ بجمعكم يوم القيامة فيجازيكم باعمالكم والفعلان مجزومان بكلمة اينما وهى خبر تكونوا ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ﴾ اى هذا الأمر ﴿لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)﴾ بالتاء والياء وقد تقدم مثله الاّ انّ التاء هنا قرائتنا وكرر هذا الحكم لبيان تساوى حكم السّفر وغيره ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ كرره للتّاكيد والتّقرير حتّى ينقادوا لامر التّحويل او لتعدّد علله فقارن بكلّ معلوله ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ علة لفولّوا ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ اى التّولية تقطع حجة اليهود ومجادلتهم بانّ المنعوت فى التّورية قبلة الكعبة وهذا ليس كذلك وبانّه كيف يجحد ديننا ويتّبع قبلتنا وحجة المشركين ايضا بانّه يدّعى ملّة ابراهيم ويخالف قبلته ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ عنادا فانّهم يقولون ما تحوّل اليها الاّ ميلا الى دين آبائه والاستثناء متّصل على انّ المراد بالحجة المستثنى منها مطلق التّمسك حقّا كان او باطلا حتّى يتناول تمسّك هؤلاء المعاندين ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ﴾

تخافوا جدالهم فى التولّى اليها ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ فى امتثال امرى ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ عطف على لئلاّيكون ﴿نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بالهداية الى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)﴾ الى الحقّ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلّق بأتم اى اتماما كاتمامها بارسالنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ محمّدا ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن لحفظ نظمه ولفظه ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهّركم من الشّرك والمعاصى ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ اى ما فيه من الحقائق والاسرار ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ مافيه من الأحكام او المراد من الآيات مايوحى اليه من دلائل التّوحيد والنّبوّة ومن الكتاب القرآن ومن الحكمة المعارف الالهية والاحكام العمليّة ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)﴾ كرّر الفعل للدّلالة على انه جنس آخر لاطريق الى معرفته سوى الوحى ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالطّاعة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالثّواب واطلاقه على اللّطف بطريق المجاز والمشاكلة ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ ماانعمت به عليكم آثره على واشكروني علما بقصورهم عن ادراكه ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾ بجحد النعم وعصيان الامر اردف الشّكر به لئلاّ يتوهّم انّه حثّ على الفعل الجميل من غير ان ينهى عن الفعل القبيح ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على الآخرة ﴿بِالصَّبْرِ﴾ عن المعاصى وحظوظ النّفس ﴿وَالصَّلَوةِ﴾ الّتى هى امّ العبادات ومناجات ربّ العالمين ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)﴾ بالعون ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هم ﴿أَمْوَاتٌ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ امّا بالبدن لانّ ارواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنّة حيث شائت وتأوى فى قناديل معلّقة بالعرش كما فى حديث او بالرّوح فتتنعّم الى يوم القيامة كما تنأ لم روح المسيئ فعلى هذا تخصيصهم لاختصاصهم بالبهجة والكرامة فكانّهم الاحياء ويؤيّد هذا قوله ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤)﴾ ما حالهم فانّه تنبيه على انّ حياتهم امر لايدرك بالعقل بل بالوحى نزلت فى شهداء بدر كانوا اربعة عشر ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لنختبركم ﴿بِشَيْءٍ﴾ قليل ﴿مِنَ الْخَوْفِ﴾ العدوّ او خوف الله ﴿وَالْجُوعِ﴾ القحط او صوم رمضان ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾ الهلاك او الزّكوة ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالقتل والموت او الامراض ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوايح او الأولاد ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾ على البلايا بالجنّة هم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾

بلاء ﴿قَالُوا﴾ لسانا وقلبا ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ ملكا وعبيدا يفعل بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)﴾ فى الآخرة فيجازينا والمبشّربه محذوف دلّ عليه ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ تزكية وثناء ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ لطف واحسان. فى الحديث: «من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها واخلف عليه» ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ الى الصّواب بتسليم القضاء ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان بمكّة ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ اعلام دينه جمع شعيرة وهى العلامة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ اى تلبّس بالحج والعمرة وهما فى الاصل القصد والزّيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ اثم ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ بان يسعى بينهما سعيا نزلت لمآ كره المسلمون ذلك لانّ اهل الجاهلية كانوا اذا سعوا مسحوا صنمين لهم اساف ونائله وهو ركن عند الشّافعى لا يجبر بالدم لقوله عليه السلام: «كتب عليكم السّعي» ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ اى يخير اى فعل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله بالاثابة عليه ﴿عَلِيمٌ (١٥٨)﴾ به ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ كاحبار اليهود ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ كآية نعت محمّد ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ التّورية ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يبعّدهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)﴾ الملائكة والمؤمنون او كلّ شيء بالدعاء عليهم باللّعنة ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ماكتموه ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ اقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)﴾ المبالغ فى هذين الوصفين ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَ﴾ حال ﴿هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١)﴾ هذه دالة على استقرار اللّعنة والأولى على التّجدد عند استحقاق اللّعن فلا تكرار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ اى اللّعنة او النّار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (١٦٢)﴾ لا يمهلون ليعتذروا ﴿وَإِلَهُكُمْ﴾ اى المستحق للعبادة والخطاب عام ﴿إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نظير له فى ذاته ولا فى صفاته ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)﴾ لمآ سمعه المشركون تعجبوا وطلبوا آية تدل على صدقه فنزلت ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جمع السّموات لاختلافها ذاتا بخلاف الارض فانّ كلّها من جنس

التّراب ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزّيادة والنّقصان ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السّفن والقصد الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانّه سبب الخوض فيه ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا﴾ الّذى ﴿يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارة والحمل ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ﴾ مطر بيان لما ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كمّلها بالنّبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَبَثَّ﴾ نشر وفرق به عطف على انزل ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ لنمائهم بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ تقليبها جنوبا وشمالا حارة وباردة ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿الْمُسَخَّرِ﴾ المذلّل بامر الله يسير حيث شاء الله ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بلا علاقة ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾ يتدبّرون وفى الآية تبينة على شرف علم الكلام ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ اى غيره ﴿أَنْدَادًا﴾ اصناما والنّد المثل ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ يعظّمونهم ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ اى كتعظيمهم له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ من حبّ الكافر للأنداد لانّهم يعدلون عنه فى الشّدة الى الله وحبّ المؤمنين لله لاينقطع ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ اذ عاينوه يوم القيامة فاذ بمعنى اذا او اجرى المستقبل مجرى الماضى لتحقّقه ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ساد مسد مفعولى يرى وجواب لو محذوف اى لو يعلمون الآن انّ القوّة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لما اتخذوا من دونه اندادا وفى قراءة ولو ترى على انّه خطاب للرّسول ﷺ اى وتبصر الّذين ظلموا آه لرأيت امرًا عظيما وحينئذ انّ القوّة بتقدير لانّ علة الجواب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)﴾ عطف على انّ القوّة لله ﴿إِذْ﴾ بدل من اذ يرون ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ اى الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ اى الأتباع ﴿وَ﴾ قد ﴿رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ حال من فاعل تبرّأ ﴿وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على تبرأ ﴿بِهِمُ﴾ عنهم ﴿الْأَسْبَابُ (١٦٦)﴾ الوُصَل الّتى كانت بينهم من الأرحام والمودة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة الى الدّنيا ولو للتّمنى ولذا اجيب بالفاء فى قوله ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُا مِنَّا﴾ اليوم ﴿كَذَلِكَ﴾ كما اراهم شدّة عذابه وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيئة ﴿حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ مفعول

ثالث لیری ان کان من رأیة القلب والاّ فحال ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)﴾ عدل عن ما یخرجون للمبالغة فی الخلود ونزل فیمن حرّم رفیع الاطعمة والملابس ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا﴾ مفعول کلوا او حال من ما فی الأرض ﴿طَيِّبًا﴾ مستلذّا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ فتحرّموا الحلال وتحللوا الحرام ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)﴾ بیّن العداوة ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ ای القبیح شرعا بیان لعداوته ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)﴾ من تحریم ما لم یحرّم وغیره ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ ای للنّاس عدل عن خطابهم لاعلام غیرهم حمقهم ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحید وتحلیل الطیّبات ﴿قَالُوا﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من الأصنام وتحریم الحلال لانّهم کانوا اعلم منّا قال الله تعالی: ﴿أَ﴾ یتّبعونهم ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾ الی الحقّ الهمزة للأنکار والواو للحال او العطف وجواب لو محذوف ای لا تبعوهم ﴿وَمَثَلُ﴾ داعی ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾ یصوت ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ ای هم فی سماع الموعظة وعدم تدبرها کالبهائم تسمع صوت راعها ولا تفهمه ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ رفع علی الذمّ ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١)﴾ الموعظة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ علی ما احلّ لکم ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)﴾ فانّ عبادتکم لا تتم الاّ بالشکر فی الحدیث یقول الله تعالی انّی والانس والجنّ فی نبأ عظیم اخلق ویعبد غیری وارزق ویشکر غیری ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ ای اکلها اذ الکلام فیه وهی ما لم تذکّ شرعا وألحق بها ما ابین من حیّ والآیة عامة خصّصت بقوله ﷺ: «احلّت لنا میتتان السّمك والجراد ودمان الکبد والطّحال» ﴿وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ تخصیصه بالذکر لانه معظم ما یؤکل من الحیوان ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ ای ذبح علی اسم غیره والأهلال رفع الصوت وکانوا یرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ ای الجأته الضّرورة الی اکل شیء ممّا ذکر فاکله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ علی مضطر آخر بحرمانه او علی السّلطان ﴿وَلَا عَادٍ﴾ بالزّیادة علی سد الرّمق او بقطع الطریق فعلی هذا لا یباح لکلّ

عاص بسفره حتى الآبق اكل شيء من ذلك كما هو مذهب الشّافعى ﴿فلا اثم عليه﴾ فى اكله ﴿انّ الله غفور﴾ لاوليائه ﴿رحيم (١١٣)﴾ باهل طاعته حيث وسّع لهم ونزل فى رأساء اليهود غيّروا نعت محمّد لئلا يتبعه سفلائهم فينقطع ما يأخذونه منهم ﴿انّ الّذين يكتمون مَا انْزَلَ اللهُ من الْكتاب﴾ المشتمل على نعت محمّد ﴿ويشترون به﴾ بالكتمان ﴿ثمنا قَلِيلًا﴾ عوضا حقيرا ﴿اولئك ما يأكلون فى بطونهم﴾ ملأ بطونهم ﴿الاّ النّار﴾ الآن لانّه سبب النّار فكانّ اكله اكلها او فى المآل ياكلون عين النّار ﴿ولا يكلّمهم الله يوم القيمة﴾ كناية عن الغضب فلا ينافى السؤل عنهم ﴿ولا يزكّيهم﴾ اى لا يطهرهم من دنس الذّنوب ﴿ولهم عذاب اليم (١٧٤)﴾ مؤلم ﴿اولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى﴾ فى الدّنيا ﴿والعذاب بالمغفرة﴾ فى الآخرة ﴿فما اصبرهم على النّار (١٧٥)﴾ تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها والاّ فلاصبر لهم ما بمعنى شيء مبتدأ مخصّص بما خصّص به شر اهرّ ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر ﴿ذلك﴾ العذاب ﴿بانّ﴾سبب ﴿انّ الله نزّل الكتاب بالحقّ﴾ متعلّق بنزّل فاختلفوا بالإيمان بالبعض والكفر بالبعض ﴿وانّ الّذين اختلفوا فى الْكتاب﴾ بما ذكرنا وهم اليهود وقيل المشركون فى القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة ﴿لفى شقاق﴾ خلاف ﴿بعيد (١٧٦)﴾ عن الحقّ ﴿ليس الْبرّ انْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ نزلت ردّا على اهل الكتاب حيث زعموا ذلك ﴿ولكنّ الْبرّ﴾ اى ذا البرّ ويؤده قرءة ولكنّ البار ﴿من آمن بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ اى جنس الكتب ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ اى حبّ المال او حبّ الله والجار والمجرور فى موضع الحال ﴿ذَوِى الْقُرْبَى﴾ القرابة فانّ الصدقة عليهم صدقة وصلة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ المسافر سمى به لملازمته السّبيل ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ الطالبين عن حاجة ﴿وَفِى﴾ فك ﴿الرِّقَابِ﴾ المكاتبين والاسرى ﴿وَاقَامَ الصَّلٰوةَ وَآتَى الزَّكٰوةَ﴾ المفروضة وماقبله فى التّطوع ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عٰهَدُوا﴾ الله او النّاس عطف على من آمن ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نصب على المدح ولم يعطف لفضل الصبر ﴿فِى

الْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ وقت شدة القتال فى سبيل الله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فى إيمانهم او ادعاء البرّ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ المماثلة ﴿فِي الْقَتْلَى﴾ وصفا و فعلا ﴿الْحُرُّ﴾ يقتل ﴿بِالْحُرِّ﴾ ولا يقتل بالعبد ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ وبيّنت السّنة انّ الذكر يقتل بها وانّه تعتبر المماثلة فى الدّين فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر ولو حرّا ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ من القاتلين ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول او من جهة اخيه يعنى ولى الدم وفى التعبير بالأخ تعطف داع الى العفو وايذان بانّ القتل لايقطع اخوّة الإيمان ﴿شَيْءٌ﴾ اى شيء من العفو لان عفى لازم وتنكير شيء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة ومن شرطيّة او موصولة والجزاء او الخبر ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾ اى فعلى العافى اتباع القاتل ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بان يطالبه بالدّية بلا عنف ﴿وَ﴾ على القاتل ﴿أَدَاءٌ﴾ للدّية ﴿إِلَيْهِ﴾ الى العافى وهو الوارث ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بلا مطل ولا بخس ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور من القصاص والعفو منه على الدّية ﴿تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بكم حيث لم يحتم واحدا منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النّصارى الدّية ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ اى ظلم بان قتل القاتل ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ اى العفو ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)﴾ فى الآخرة او فى الدّنيا بالقتل ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ﴾ اى فى هذا الجنس ﴿حَيَاةٌ﴾ بقاء عظيم لانّ العلم به يردع القاتل فيكون سبب حياة نفسين وهذا الكلام فى غاية الفصاحة من حيث جعل الشيء محلّ ضدّه ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ذوى العقول فشرع ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)﴾ فى المحافظة على القصاص او القتل مخافة القود ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ اى اسبابه ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ اى مالا وقيل مالا كثيرا ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ مرفوع بكتب واذا ظرف لكتب على انّه ظرف محض غير متضمن للشّرط والاّ فهى ظرف لجزائها وجواب ان فليوص للوالدين آه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل فلا يزيد على الثلث ولا يفضل الغنىّ ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)﴾ الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله

اى حق ذلك حقًا وهذا منسوخ بآية الميراث، وبحديث: «لا وصيّة لوارث»[1] ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ اى غير الأيصاء من شاهد ووصيّ ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ علمه ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ اى الايصاء المبدّل ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ فيه اقامة المظهر مقام المضمر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول الموصى ﴿عَلِيمٌ (١٨١)﴾ بفعل الوصيّ فيجازيه عليه ﴿فَمَنْ خَافَ﴾ اى توقع وعلم ﴿مِنْ مُوصٍ﴾ مخفّفا ومثقّلا ﴿جَنَفًا﴾ ميلا عن الحقّ خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بان تعمّد بالزّيادة على الثلث وتخصيص غنيّ مثلا ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الموصى لهم باحرائهم على نهج الشّرع ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فى ذلك لانّه تبديل باطل الى الحقّ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)﴾ وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الأثم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم فيه تطييب النفس وترغيبها على الفعل ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾ المعاصى فانّه يكسر الشهوة الّتى هى مبدأها ﴿أَيَّامًا﴾ نصب باضمار صوموا ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ موقّتات بعدد معلوم او قلائل فانّ القليل يعدّ عدّا والكثير يهال هيلا والمراد بها رمضان ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ حين الشهود يعسر معه الصوم ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ اى مسافر سفر قصر لا مسافر اثناء اليوم فانه لا يفطر ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ اى ان افطر فعليه صوم عدة ايام الفطر من ايام آخر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه ﴿وَعَلَى الَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ لكبر او مرض لا يرجى برئه وقيل كان القادرون مخيّرين فى اوّل الاسلام بين الصوم والفدية لانّهم لم يتعوّدوه ثم نسخ بتعيين الصّوم بقوله: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ فعلى هذا لا يقدّر لا ﴿فِدْيَةٌ﴾ هى ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ اى قدر ما ياكله كلّ يوم وهو مدّ من غالب قوة البلد لكلّ يوم وقرأ باضافة فدية الى طعام على سبيل البيان ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فزاد فى الفدية ﴿فَهُوَ﴾ اى التطوّع ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ بتأويل صومكم مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الأفطار والفدية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾ ما فى الصّوم من الفضيلة وبرائة الذّمة اخترتموه ﴿شَهْرُ

[1] - صحيح البخاري: ٢٧٩/٩

رَمَضَانَ﴾ مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف اى ذلك الأيام شهر رمضان وقرأ بالنصب على انه بدل من ايّاما ﴿الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ﴾ اى فى ليلة القدر منه ﴿الْقُرْآنُ﴾ اى اوّله او مجموعه من اللّوح المحفوظ الى السّماء الدّنيا ثم منه منجّما الى الأرض ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ حال اى هاديا اياهم من الضّلالة ﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾ ايات واضحات ﴿مِنَ الْهُدَى﴾ ممّا يهدى الى الحقّ من الاحكام ﴿وَ﴾ من ﴿الْفُرْقَانِ﴾ ممّا يفرق بين الحقّ والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾ اى حضر فيه ولم يكن مسافرا ﴿فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ كرره.لئلا يتوهّم نسخه بتعميم من شهد كما نسخ قرينه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولذا اباح لكم الفطر فى المرض والسفر ولكون ذلك فى معنى العلّة للامر بالصوم عطف عليه قوله ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف وجاء التّشديد او هو عطف على علّة مقدّرة اى ليسهل عليكم او لتعلموا ماتعملون ولتكمّلوا ﴿الْعِدَّةَ﴾ اى عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ اى تعظّموه بالحمد والثناء ولذا عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ اى على ارشادكم لمعالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)﴾ الله على ذلك وسأل جماعة النبى ﷺ اقريب ربّنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ اى فقل لهم انّى قريب منهم بعلمى ففى الكلام استعارة تمثيليّة ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ صفة قريب او خبر ثان لانّ ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى﴾ اى لدعائى اياهم بالطاعة كما اجيبهم فى دعائهم ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِى﴾ يدوموا على الإيمان ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)﴾ يهتدون واردف الامر بالصوم ببيان انّه خبير بالاحوال حثّا عليه ثم بيّن احكامه فقال ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ كناية عن الجماع ولتضمّنه معنى الافضاء تعدى بالى نزل نسخا لما كان اوّل الاسلام من تحريمه وتحريم الاكل والشرب بعد العشاء حين ما اقرّ عمر وغيره واعتذروا الى النّبى ﷺ ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كناية عن تعانقهما او احتياج كل منهما لصاحبه والكلام استيناف ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تظلمونها بتعريضها للعقاب بالجماع ليلة الصّيام ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾

قبل توبتكم ﴿وَعَفَى عَنْكُمْ فَالْآنَ﴾ اذا احلّ لكم ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهنّ ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ اى قدره فى اللّوح المحفوظ من الولد فينبغى ان يكون هو الغرض من الوطئ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ اللّيل كلّه ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ يظهر ﴿لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ اى الصّادق بيان للخيط الأبيض وبيان الاسود محذوف اى من اللّيل شبّه ما يبدوا من البياض وما يمتد معه من ظلمة اللّيل بخيطين ابيض واسود فى الامتداد وهو من باب التّشبيه البليغ ﴿ثُمَّ اَتِمُّوا الصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى الَّيْلِ﴾ اى غروب الشّمس واخرجت الى اللّيل عنه فينفى صوم الوصال ﴿وَلاَتُبَاشِرُوهُنَّ﴾ اى نسائكم ﴿وَاَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مقيمون بنيّة الاعتكاف ﴿فِى الْمَسَاجِدِ﴾ متعلّق بعاكفون نهى لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الاحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللهِ﴾ حدّها لعباده ليقفوا عندها ﴿فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾ فهو ابلغ من ﴿لا تعتدوها﴾ الواقع فى آية اخرى.[1] ﴿كَذَلِكَ﴾ اى كما بيّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)﴾ محارمه ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ حال من الاموال اى لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام شرعا كالسّرقة والغصب ﴿وَتُدْلُوا﴾ اى تلقوا عطف على النّهى اونصب باضمار ان فى جوابه ﴿بِهَا﴾ اى بحكومتها او بالأموال رشوة ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِنْ اَمْوَالِ النَّاسِ﴾ ملتبسين ﴿بِالْإِثْمِ﴾ او بما يوجب اثما ﴿وَاَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)﴾ انّكم مبطلون نزلت حين ادّعى عبدان الحضرميّ على امرأ القيس ولم يكن له بيّنة فامر النّبى ﷺ امرأ القيس بالحلف وخوّفه بقوله تعالى: ﴿انّ الذين يشترون﴾[2] آه فلم يحلف وسلّم الارض وهو دليل على انّ حكم القاضى لا ينفذ باطنا ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾ يامحمّد ﴿عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ لم تبدوا دقيقة ثم تزيد حتّى تمتلى نورا ثم تعود كما بدت ولا يكون على حالة واحدة كالشّمس ﴿قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات من الوقت ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون

---

[1] - من سورة البقرة: ٢٢٩

[2] - سورة آل عمران: ٧٧

بها اوقات زرعهم وعدّة نسائهم وصيامهم وافطارهم ﴿وَالْحَجِّ﴾ عطف على النّاس اى يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك سئلوا عن الحكمة فى الاختلاف امره بالجواب عن الحكمة الظّاهرة ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ فى الاحرام بان تنقبوا فيها نقبا تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب كانوا يفعلون ذلك ويزعمونه برّا ووجه اتصاله بما قبله كونه من افعالهم فى الحج ﴿وَلَكِنَّ﴾ ذا ﴿الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ الله بترك مخالفته ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فى الإحرام كغيره ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)﴾ تفوزون ونزل لمّا منع رسول الله ﷺ عام الحديبيّة عن البيت وصالح الكفّار على ان يعود العام القابل ويخلوا له مكّة ثلثة ايّام وتجهّز لعمرة القضاء وخافوا ان لا تفى قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم فى الحرم والأحرام والشهر الحرام ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ اى لأعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ من الكفّار ﴿وَلاَ تَعْتَدُوا﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾ المتجاوزين ما حدّ لهم وهذا منسوخ بآية البرائة او بقوله: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ حيث وجدتموهم فى حلّ او حرم ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ اى مكة وقد فعل ذلك بهم عام الفتح ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ اى المحنة كالأخراج من الوطن ﴿أَشَدُّ﴾ اصعب ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ لدوام تعبها او المعنى شركهم فى الحرم وصدهم ايّاكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فى الحرم ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فيه وفى قرائة بلا الف فى الافعال الثلاثة والمعنى حتى يقتلوا بعضكم ﴿كَذَلِكَ﴾ القتل والأخراج ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الكفر واسلموا ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما قدسلف ﴿رَحِيمٌ (١٩٢)﴾ بهم ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ العبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا يعبد سواه ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دلّ عليه ﴿فَلاَ عُدْوَانَ﴾ اعتداء بقتل او غيره ﴿إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)﴾ ومن انتهى ليس منهم الفاء الأولى للتّعقيب والثّانية للجزاء ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾ المحرّم مقابل ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ فكما قاتلوكم فى ذى القعدة وهتكوا حرمته

عام حديبة قاتلوهم فيه فى عمرة القضاء ولاتستعظموه ﴿وَالْحُرُمَاتُ﴾ جمع حرمة ما يجب احترامه ﴿قِصَاصٌ﴾ اى يقتص بمثلها اذا اهتكت حجة لما قبله ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ وهو نتيجة التقرير سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل له فى الصّورة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى الانتصار وترك الأعتداء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)﴾ بالعون والنّصر ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته الجهاد وغيره ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ اى انفسكم والباء زائدة ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك بالامساك عن النفقة فى الجهاد او تركه لانّه يقوّى العدوّ عليكم ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بالنفقة وغيرها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)﴾ اى يثيبهم ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ادّوهما بحقوقهما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ منعتم عن اتمامهما بعدوّ يدل عليه نزولها فى الحديبيّة ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ اى فعليكم ماتيسّر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ وهو شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ﴾ اى لا تتحلّوا ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ المذكور جمع هدية ﴿مَحِلَّهُ﴾ حيث يحلّ ذبحه وهو مكان الاحصار عند الشّافعى فيذبح فيه بنيّة التحلّل ويفرق على مساكينه وبه يحصل التحلّل وهو بكسر الحاء للمكان والزّمان.﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ كجراحة وصداع وقمل فحلّق فى الأحرام ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه ﴿مِنْ صِيَامٍ﴾ لثلاثة ايّام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ لثلاثة آصع من غالب قوة البلد على ستّة مساكين ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ اى ذبح شاة كلمة او للتّخيير وألحق به من حلق لغير عذر او استعمل الطيب او الدّهن او لبس لعذر او غيره ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ العدوّ بذهابه او لم يكن ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ﴾ استمتع ﴿بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ اى بسبب فراغه منها بمحظورات الأحرام ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ وهو شاة يذبحها بعد الأحرام به والافضل يوم النحر ولا ياكل منها ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الهدى ﴿فَصِيَامُ﴾ اى فعليه صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ اى فى حال احرامه به فيحرم قبل السّادس ويصومه والسّابع والثامن لكراهة صوم عرفة لهم ولا يجوز صومها يوم النحر و ايّام التّشريق ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ الى وطنكم او ما تريدون توطّنه ولو مكّة وقيل اذا فرغتم من اعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ﴾ جملة

مؤكّدة لما قبلها اتى بها ليعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ﴿كَامِلَةٌ﴾ صفة مؤكّدة او مفيدة تفيد كمال بدليّتها من الهدى ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من وجوب الهدى او الصّيام على من تمتع ﴿لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ اَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بان لم يكونوا على مرحلتين من الحرم والاّ فلا دم ولا صيام إن تمتّعوا وفى ذكر الأهل اشعار باشتراط الاستيطان فلو اقام قبل اشهر الحجّ ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو احد وجهين عند الشافعى والثانى لا والأهل كناية عن النفس والحق بالمتمتع فيما ذُكِرَ الْقَارِنُ وهو من يحرم بالعمرة والحجّ معا او يدخل الحج عليه قبل الطواف ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)﴾ لمن خالفه ﴿اَلْحَجُّ﴾ وقته ﴿اَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ شوّال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجّة ﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾ اوجب على نفسه ﴿فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ بالأحرام به ﴿فَلاَ رَفَثَ﴾ جماع فيه او فلا فحش من الكلام ﴿وَلاَ فُسُوقَ﴾ معاصى ﴿وَلاَ جِدَالَ﴾ ولا مراء مع الخدم والرفقة نفى الثلاث على قصد النّهى للمبالغة ﴿فِى الْحَجِّ﴾ ايّامه ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقة ﴿يَعْلَمْهُ اللّٰهُ﴾ فيجازيكم به فبذّلوا الشر به ﴿وَتَزَوَّدُوا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ وتزوّدوا لمعادكم التقوى فانّه خير زاد وقيل نزلت فى اهل اليمن كانوا يحجّون بلا زاد فيكونون كلاّ على النّاس فمعنى التّقوى ما يتّقى به سؤال النّاس وغيره ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ (١٩٧)﴾ امرهم بعد الحثّ على التقوى بان يكون المقصود بما هو الله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فى ﴿اَنْ تَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿فَضْلًا﴾ رزقا ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالتّجارة نزلت لكراهتهم ايّاها مواسم الحجّ باسواق لهم ﴿فَاِذَا اَفَضْتُمْ﴾ دفعتم بكثرة ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ بعد الوقوف بها سمّى الموقف عرفة لانّه نعت لابراهيم فلمّا ابصره عرفه او لانّ آدم وحوّى التقيا فيه فتعارفا وعرفات للمبالغة فى ذلك ﴿فَاذْكُرُوا اللّٰهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتّلبية والتّهليل والدّعاء تأتّيا به عليه السّلام ﴿عِنْدَ مَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ هو جبل فى آخر المزدلفة يقال له قزح سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ لمعالم دينه والكاف للتعليل او التّشبيه وما مصدرية او كافة ﴿وَاِنْ كُنْتُمْ مِنْ

قَبْلِهِ﴾ اى الهدى ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨)﴾ ان هى المخففة واللاّم فارقة وقيل نافية واللام بمعنى الاّ ﴿ثُمَّ اَفِيضُوا﴾ ياقريش ﴿مِنْ حَيْثُ اَفَاضَ النَّاسُ﴾ اى من عرفة لا من مزدلفة كما تفعلون ترفعا على النّاس بل ساووهم فى الوقوف بعرفة وكلمة ثم لتفاوت ما بين الأفاضتين ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ﴾ من ذنوبكم لتغيير المناسك وغيره ﴿إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ﴾ للمستغفرين ﴿رَحِيمٌ (١٩٩)﴾ بهم ﴿فَاِذَا قَضَيْتُمْ﴾ ادّيتم ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾ عبادات حجّكم بان رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى ﴿فَاذْكُرُوا اللّٰهَ﴾ بالتكبير والثّناء ﴿كَذِكْرِكُمْ آبَائَكُمْ﴾ كماكنتم تذكرونهم عند فراغ حجّكم بالمفاخر بمنى بين المسجد والجبل ﴿اَوْ اَشَدَّ ذِكْرًا﴾ من ذكركم ايّاهم ونصب اشدّ على الحال من ذكرا المنصوب باذكروا اذ لو تأخر عنه لكان صفة له ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ﴾ تفصيل للذاكرين الى مقلّ لا يطلب بذكر الله الاّ الدّنيا ومكثر يطلب به خير الدّارين والمراد الحثّ على هذا ﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾ نصيبا ﴿فِى الدُّنْيَا﴾ يؤتاه فيها ﴿وَمَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ (٢٠٠)﴾ اى نصيب لانّ همه مقصور بالدّنيا ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعنى الصّحة والكفاف وتوفيق الخير ﴿وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ يعنى الثواب والرّحمة ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)﴾ بالعفو والمغفرة وتفسير حسنة الدّنيا بالمرأة الصّالحة اوالعلم والعبادة والآخرة بالحور او الجنّة وعذاب النّار امرأة السّوأ او الشهوات المؤدّية الى النّار امثلة للمراد بها ﴿أُولَئِكَ﴾ اشارة الى الفريق الثّانى ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا﴾ اجل ﴿مَا كَسَبُوا﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿وَاللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)﴾ يحاسب الخلق كلّهم فى مقدار لمحة ﴿وَاذْكُرُوا اللّٰهَ﴾ بالتكبير ادبار الصّلوة وعند رمى الجمرات وغيرها ﴿فِى اَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ اى ايام التّشريق الثلثة ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ اى استعجل بالنفر من منى ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ اى فى ثانى ايّام التّشريق بعد رمى الجمار ﴿فَلاَ اِثْمَ عَلَيْهِ﴾ باستعجاله ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ بها حتى رمى اليوم الثالث بعد الزّوال ﴿فَلاَ اِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك اى مخيّرون فى ذلك لا اثم للمتعجّل ولا للمتأخر كما قال اهل الجاهلية ونفى الأثم ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ الله فى حجّه لانّه الحاج حقيقة او لأجله حتى لا يتضرّر بترك مايهمّه منهما ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ﴾ فى

جميع اموركم ﴿وَاعْلَمُوا اَنَّكُمْ اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)﴾ فى الآخرة فيجازيكم باعمالكم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾ متعلّق بالقول اى ما يقوله فى امور الدّنيا او يعجبك اى يعجبك قوله فى الدّنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك فى الآخرة لدهشته او لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ اللّٰهَ عَلٰى مَافِى قَلْبِهِ﴾ انّه موافق لكلامه ﴿وَهُوَ اَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤)﴾ شديد العداوة لك ولاتباعك نزلت فى الاخنس بن شريق الثّقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوال رسول الله ﷺ ويدّعى الاسلام ﴿وَاِذَا تَوَلّٰى﴾ ادبر وانصرف عنك ﴿سَعٰى فِى الْاَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ اذ بيّت ثقيف واحرق زروعهم واهلك مواشيهم ﴿وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)﴾ لا يرتضيه ﴿وَاِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ اَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بِالْاِثْمِ﴾ الّذى امر باتّقائه ﴿فَحَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)﴾ الفراش هى جواب القسم المقدّر ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ يبيعها ويبذلها فى طاعة الله ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللّٰهِ﴾ رضاه وقيل نزلت فى صهيب لمّا آذاه المشركون هاجر الى المدينة وترك لهم ماله ﴿وَاللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)﴾ حيث ارشدهم لما فيه رضاه من هذا الشراء وغيره ونزل فى عبد الله بن سلام واصحابه لمّا عظموا السّبت وكرهوا الابل بعد اسلامهم ﴿يٰاَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ﴾ بكسر السين وفتحها الاستسلام ﴿كَافَّةً﴾ حال من الضمير او السلم لانّها تونث كالحرب ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ اى تزيينه بالتفريق ﴿اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)﴾ بيّن العداوة ﴿فَاِنْ زَلَلْتُمْ﴾ عن الدّخول فى جميعه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الدّالة على انّه الحقّ ﴿فَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه الانتقام منكم ﴿حَكِيمٌ (٢٠٩)﴾ لاينتقم الاّ بحقّ ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر التّاركون الدخول فيه ﴿اِلَّا اَنْ يَاْتِيَهُمُ اللّٰهُ﴾ اى امره وعذابه ﴿فِى ظُلَلٍ﴾ جمع ظلّة ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾ السّحاب الأبيض لانّه مظنّة الرّحمة فاذا جاء منه العذاب كان اقطع ﴿وَالْمَلٰئِكَةُ﴾ فانّهم الواسطة فى اتيان امره ﴿وَقُضِىَ الْاَمْرُ﴾ تمّ امر هلاكهم وضع الماضى موضع المستقبل لدنوّه ﴿وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ (٢١٠)﴾ بالبناء

للمفعول، من الرّجع والفاعل من الرّجوع فى الآخرة فيجازيهم ﴿سَلْ﴾ يامحمّد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ تبكيتا ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ خبرية او استفهاميّة ثانى مفعولى آتيناهم ومميّزها ﴿مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة كفلق البحر وانزال المنّ والسّلوى فبدّلوها كفرا ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ اى آياته لانّها سبب الهداية ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ وصلت اليه وتمكّن من معرفتها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)﴾ له ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اهل مكّة ﴿الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه فأحبّوها ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لفقرهم كبلال و عمار و صهيب اى يستهزؤن بهم بالمال ومن للابتداء ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بالمكان او الوسعة ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فى الدّارين ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)﴾ رزقا واسعا بان يملك المسخور منهم اموال السّاخرين ورقابهم ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح فاختلفوا إيمانا وكفرا ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ اليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنّة ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ من كفر بالنّار ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ الكتب ﴿بِالْحَقِّ﴾ حال من الكتاب او متعلّق بانزل ﴿لِيَحْكُمَ﴾ اى الكتاب او النبى به ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من الدين ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ اى الدّين ﴿إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ اى الكتاب المنزّل لازالة الخلاف ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الظّاهرة على التّوحيد ومن متعلّقة باختلف وهى وما بعدها مقدّم على الاستثناء فى المعنى ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ حسدا بينهم ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ بيان لما اختلفوا فيه ﴿بِإِذْنِهِ﴾ اى بارادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)﴾ طريق الحقّ ونزل فى جهد اصاب المسلمين ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِكُمْ مَثَلُ﴾ شبه ما اتى ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من المؤمنين من المحق فتصبروا كما صبروا ﴿مَسَّتْهُمُ﴾ استيناف لبيان مثل الخالين ﴿الْبَأْسَاءُ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾ المرض ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ ازعجوا بانواع البلاء ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ بالنّصب او الرفع على انّها حكاية حال ماضية ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاء للنّصر لتناهى الشدة عليهم ﴿مَتَى﴾ يأتى

﴿نَصْرُ اللهِ﴾ الّذِى وعدنا به فاجيبوا من قبل الله ﴿أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ (٢١٤)
يَسْئَلُونَكَ﴾ يامحمّد ﴿مَاذَا﴾ اى الّذى ﴿يُنْفِقُونَ﴾ والسّائل عمرو بن الجموح الأنصارى
كان شيخا ذامال فسئل النبى ما ينفق وعلى من ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ مال حلال
بيان لما وفيه بيان المنفق الّذى هو احد شقى السؤال واجاب عن الشق الآخر وهو
المصرف بقوله ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ اى هم اولى به
﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ فى معنى الشرط ﴿فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)﴾ يوفى ثوابه جواب
الشرط ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ للكفّار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾ مكروه او مصدر نعت به
للمبالغة ﴿لَكُمْ﴾ طبعا لمشقّته ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ كالتكليفات الّتى
هى سبب الفلاح ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ كالمناهى الموجبة للهلاك
فالقتال وان كرهتموه خير لانّ فيه امّا الظفر والغنيمة اوالشهادة والأجر وتركه وان
احببتموه شرّ لانّ فيه الذّل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ ماهو خير لكم ﴿وَأَنْتُمْ لاَ
تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾ ذلك فبادروا لامره ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾ المشركون او المسلمون ايضا ﴿عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ﴾ المحرّم نزلت لمّا بعث ﷺ اوّل سرية عليها ابن عمته عبد الله بن جحش فقتلوا من
المشركين ابن الحضرمىّ واسروا اثنين وضبطوا العير فى آخر يوم من جمادى الأخر والتبس
عليهم برجب فعيرهم الكفار باستحلاله ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ بدل اشتمال من الشهر ﴿قُلْ قِتَالٌ
فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ذنب عظيم مبتدأ وخبر ﴿وَصَدٌّ﴾ مبتدأ منع النّاس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرٌ
بِهِ﴾ بالله ﴿وَ﴾ صد عن ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ اى مكّة ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ وهم النّبى
والمؤمنون ﴿أَكْبَرُ﴾ خبر المبتدأ اى اعظم وزرا ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ من القتال فيه ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك
منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلاَ يَزَالُونَ﴾ اى الكفار ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ ايّها المؤمنون
﴿حَتَّى﴾ كى ﴿يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ الى الكفر ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ استبعاد لاستطاعتهم
﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ﴾ حال ﴿هُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت
﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصّالحة ﴿فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا ثواب عليها ولو رجع الى الاسلام لم يبطل

عمله كما يفيد التقييد بالموت عليه ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)﴾ ظنّ السرية انّهم سلموا من الأثم ولكن لا اجر لهم فنزل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ عن اوطانهم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لاعلاء دينه كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ ثوابه اثبت لهم الرّجاء اشعارا بانّ العمل غير موجب ولا قاطع فى الدّلالة سيما والعبرة بالخواتيم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما فعلوه خطأ ﴿رَحِيمٌ (٢١٨)﴾ باجزال الثواب ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ فى الاصل مصدر بمعنى الستر سمى بها العصير المشتد لستره العقل ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ مصدر ميّ بمعنى اليسر سمى به القمار ما حكمهما ﴿قُلْ فِيهِمَا﴾ اى فى تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ من الطرب وكسب المال ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ اى ما ينشأ منهما من المفاسد ﴿أَكْبَرُ﴾ اعظم ﴿مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ ولمّا نزلت شربها قوم وامتنع آخرون الى ان حرّمتهما أية المائدة[1] ﴿وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ اى عن قدره ﴿قُلْ﴾ انفقوا ﴿الْعَفْوَ﴾ اى الفاضل عن الحاجة لا ماتحتاجون اليه فتضيقون على انفسكم كما قال ﷺ لمن اتاه ببيضة من ذهب: «انّما الصدقة عن ظهر غنى»[2] وألقاها. وقرأ بالرفع بتقدير هو ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما بيّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي﴾ امر ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فتأخذون بالاصلح فيهما ونزل لمّا شقّ عليهم اعتزال مال اليتامى لثقل المؤنة والمخالطة لآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾[3] فشكوا الى رسول الله ﷺ ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾ بتنمية اموالهم ومداخلتهم لايصال النفع ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ بالنّفقة ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ اى فهم اخوانكم فى الدّين ومن شأن الأخ ان يخالط اخاه فعليكم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لاموالهم بمخالطته ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ لها فيجازى كلاّ منهما ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لضيّق عليكم بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب

---

[1] – وهو قوله تعالى: ﴿يا ايها الذين آمنوا انما الخمر ...﴾ سورة المائدة: ٩٠

[2] – مسند الإمام احمد: ٢١/١٥١

[3] – سورة النساء: ١٠

على امره ﴿حَكِيمٌ (٢٢٠)﴾ فى صنعه ونزل لماّ استامر مرثد الغنوى الّذى بعثه ﷺ الى مكة لاخراج بعض من المسلمين فى نكاح عناق وكان يهواها فى الجاهليّة ﴿وَلاَ تَنْكِحُوا﴾ تتزوّجوا ايّها المسلمون ﴿الْمُشْرِكَاتِ﴾ الكافرات غير الكتابيّات بقرينة قوله ﴿والمحصنات من الّذين اوتوا الكتاب﴾[1] ﴿حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ﴾ حرّة ﴿وَلَوْ اَعْجَبَتْكُمْ﴾ بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ﴿وَلاَ تُنْكِحُوا﴾ تزوّجوا ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ الكفار مطلقا المؤمنات ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ اَعْجَبَكُمْ﴾ مالا وجمالا ﴿أُولَئِكَ﴾ اهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ اى الكفر المؤدى الى النّار فلا يليق مناكحتهم ﴿وَاللهُ﴾ اى اوليائه للمؤمنون على حذف المضاف ﴿يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ اى العمل الموجب لهما ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بارادته ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)﴾ يتّعظون لم يساكنوا ولا يواكلوا اهل الجاهليّة الحيّض كاليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سئل ﷺ عن ذلك فنزل ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ اى الحيض او مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه ﴿قُلْ هُوَ اَذًى﴾ قذر ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ اتركوا وطيهنّ ﴿فِى الْمَحِيضِ﴾ اى وقته اومكانه ﴿وَلاَتَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ بسكون الطاء وتشديدها والهاء وفيه ادغام التّاء فى الأصل فى الطاء اى يغتسلن بعد انقطاعه تاكيد للحكم وبيان غايته ﴿فَاِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ بالجماع هذا يقتضى تأخر جواز الأتيان عن الغسل ﴿مِنْ حَيْثُ اَمَرَكُمُ اللهُ﴾ بتجنّبه فى الحيض وهو القبل فلا تعتدون الى غيره ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ من الذّنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(٢٢٢)﴾ عن الاقذار ﴿نِسَائُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ اى محلّ زرعكم الولد ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ اى محلّه وهو القبل ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿شِئْتُمْ﴾ من قيام وقعود واضطجاع واقبال وادبار، نزل ردا لقول اليهود: من اتى امرأته فى قبلها من جهة دبرها جاء الولد احول. ﴿وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ﴾ اى العمل الصّالح كالتّسمية عند الجماع وطلب الولد به ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ فى امره ونهيه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاَقُوهُ﴾ بالبعث فتزوّدوا

---

[1] - للعلمة: د

ما ينفعكم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)﴾ الّذين اتّقوه بالجنّة ونزل فى الصّديق رضى الله عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عايش او فى عبدالله بن رواحة حلف لا يصلح بين ختنه بشير بن نعمان وبين اخته وكان قد طلّقها واراد تزوجها ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ﴾ معرضا ونصبا لها بان تكثروا الحلف به ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ فتكره اليمين على ذلك ويسنّ فيه الحنث ويكفر بخلافها على فعل البرّ ونحوه فهى طاعة او يجعل ان تبروا علّة التقدير انهاكم عنه ارادة برّكم وتقواكم واصلاحكم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لاقوالكم ﴿عَلِيمٌ (٢٢٤)﴾ باحوالكم ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما سبق به اللّسان بغير قصد الحلف كلا والله وبلى والله فلا اثم فيه ولا كفارة ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ اى قصدته وفق اللّسان اذا حنثتم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للغوكم ﴿حَلِيمٌ (٢٢٥)﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ اى يحلفون ان لا يجامعهنّ ولتضمّنه معنى البعد عدى بمن ﴿تَرَبُّصُ﴾ انتظار مبتدأ خبره ماقبله ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاؤُ﴾ رجعوا فيها او بعدها عن اليمين الى الوطى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لاضرارهم المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ (٢٢٦)﴾ بهم ﴿وَإِنْ عَزَمُوا﴾ على ﴿الطَّلاَقَ﴾ بان لم يفيؤا فليوقعوه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لطلاقهم ﴿عَلِيمٌ (٢٢٧)﴾ بعزمهم يعنى ليس لهم بعد تربّص ماذكر الاّ الفيئة او الطلاق ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ اى ينتظرن خبر فى معنى الامر ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ عن النّكاح ﴿ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾ نصب على الظرف او مفعول به اى يتربّصن مضيها من حين الطلاق جمع قرأ بالضم والفتح من الأضداد يقع على الحيض والطهر والمراد به الثانى عند الشافعى وهذا فى المدخول بهنّ امّا غيرهنّ فلا عدّة لهنّ لقوله تعالى: ﴿فما لكم عليهن من عدة﴾[1] وفى غير الآيسة والصغيرة فعدتهنّ ثلثة اشهر والحوامل فعدّتهن ان يضعن حملهنّ والاماء فعدتهنّ قرآن ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطال حق الرّجعة ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ

[1] - سورة الأحزاب: ٤٩

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ ازواجهنّ ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ اى بمراجعتهنّ وان لم يرضين ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ اى زمن التربّص وهذا فى الطّلاق الرّجعى واحقّ لا تفضيل فيه اذ لا حق لغيرهم فى نكاحهنّ فى العدّة ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بالرجعة لا اضرار المرأة وهو تحريض على قصد الاصلاح لا شرط لجواز الرّجعة ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الازواج ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق فى الوجوب لا فى الجنس ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعا من حسن المعاشرة وترك الضرار ونحو ذلك ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ فضيلة فى الحقّ من وجوب طاعتهنّ لهم لما ساقوه من المهر والنفقة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب يقدر على الانتقام من المخالف ﴿حَكِيمٌ (٢٢٨)﴾ فى ما دبّره لخلقه ﴿الطَّلَاقُ﴾ اى التطليق الرجعىّ ﴿مَرَّتَانِ﴾ ثنتان ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ بان تراجعهنّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ ارسال لهنّ ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بالطلقة الثالثة او عدم الرجعة الى البينونة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ ايها الأزواج او الحكام لئلاّ يتشوش النظم ﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْئًا﴾ اذا طلّقتموهنّ جائت جميلة بنت اخت عبد الله بن ابىّ بن سلول اليه ﷺ وشكت استكراهها لزوجها ثابة بن قيس لنكد عيشه وقبح منظره وحلفت بعدم الموافقة معه فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ اى الزّوجان ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ اى لا يأتيا بماحدّه لهما من حقوق الزوجيّة وقرأ يخافا بالبناء للمفعول وابدال ان مع صلته من الضمير فيه بدل اشتمال وقرأ الفعلان بالفوقانية ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ ايّها الحكام ﴿أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ نفسها من المال ليطلقها اى لا حرج عليه فى اخذه ولا عليها فى بذله ﴿تِلْكَ﴾ اى ما حد من الأحكام ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)﴾ عقّب النّهى بالوعيد مبالغة فى التّهديد ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ بعد الثّنتين فهو تفسير لقوله: ﴿او تسريح باحسان﴾ اعترض بينهما ذكر الخلع ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾ اى بعد الطلقة الثّالثة ﴿حَتَّىٰ تَنْكِحَ﴾ تتزوّج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ويطأها كما فى حديث: «حتّى تذوقى

عسيلته ويذوق عسيلتك»[1] وحكمته الرّدع عن التّسرع الى الطّلاق والرّغبة فى المطلقة ثلاثا ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزّوج الثّانى ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ اى الزّوجة والزّوج الاوّل ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ الى النّكاح بعد انقضاء العدة ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ ما حدّه من حقوق الزّوجيّة ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)﴾ يتدبّرون ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدّتهنّ ليترتب عليه ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بالمراجعة ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير اضرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهنّ حتى تنقضى عدتهنّ بلا تطويل ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿ضِرَارًا﴾ مفعول له ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ عليهنّ بالتّطويل او الألجاء الى الافتداء واللام متعلّق بالضرار ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها لعذاب الله ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا﴾ بمخالفتها ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالاسلام ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ ما فيه من الأحكام اوالسّنة افردهما بالذكر لشرفهما ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ اى بالمنزّل ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)﴾ تاكيد وتهديد ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ اى انقضت عدّتهن ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾ اى تمنعوهنّ من ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ المطلّقين لهنّ الخطاب للأولياء لانّها نزلت فى معقل بن يسار حين منع اخته جملا ان ترجع الى زوجها الاوّل بالاستيناف وان اقتضى وقوعه جواب اذا ان يكون للازواج المانعين نسائهم عن التّزويج عدوانا ﴿إِذَا تَرَاضَوْا﴾ اى الأزواج والنّساء ظرف لاحد الفعلين المتقدّمين ﴿بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعا حال من فاعل تراضوا ﴿ذَلِكَ﴾ النهى عن العضل افرد خطاب الجمع على تاويل القبيل ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لانّه المنتفع ﴿ذَلِكُمْ﴾ اى العمل بما ذكر ﴿أَزْكَى﴾ انفع ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكم من دنس الآثام الطّارية بسبب مابين الزوجين من العلاقة ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ المصلحة ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٢٣٢)﴾ فاتبعوا امره ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ بمعنى الامر اى ليرضعن ﴿أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صفة مأكّدة ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ

[1] - فتح الباري: ١٥/١٦٩

الرَّضَاعَةَ﴾ دليل على انّه لا عبرة بالرضاع بعدهما ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ اى الابّ ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ اطعام الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ اجرة على الارضاع اذا كن مطلّقات ويجوز استيجار الامّ له مطلقا عند الشّافعى ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر طاقته ﴿لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلاَّ وُسْعَهَا﴾ طاقتها تعليل للتقييد بالمعروف ﴿لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ بسببه بان تكره على ارضاعه اذا امتنعت ﴿وَلاَ﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ اى بسببه بان يكلّف فوق طاقته واضافة الولد الى كلّ منهما للاستعطاف ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ اى وارث الأب وهو الصّبى ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ الّذى على الاب للوالدة من الرّزق والكسوة فيصرفه الولىّ من ماله ﴿فَاِنْ اَرَادَا﴾ اى الوالدان ﴿فِصَالاً﴾ فطاما له قبل الحولين صادرا ﴿عَنْ تَرَاضٍ﴾ اتفاق ﴿مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما لتظهر مصلحة الطفل فيه ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فى ذلك ﴿وَاِنْ اَرَدْتُمْ﴾ ايّها الآباء ﴿اَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾ مراضع غير الوالدات فحذف المفعول الاوّل للاستغناء عنه ﴿اَوْلاَدَكُمْ﴾ مفعول ثان ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿اِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ الى المراضع ﴿مَا آتَيْتُمْ﴾ ما اردتم ايتائه لهنّ من الأجرة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالجميل شرعا كطيب النفس صلة سلّمتم وجواب اذا محذوف دلّ عليه ماقبله وهذا الاشتراط لمصلحة الطّفل لا لجواز الاسترضاع ﴿وَاتَّقُوا اللّٰهَ﴾ فى محافظة ما شرع فى امر الأطفال ﴿وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)﴾ حثّ وتهديد ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ اى ازواج الّذين يموتون ﴿مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿اَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ بمعنى ليتربّصن ﴿بِاَنْفُسِهِنَّ﴾ بعدهم عن النّكاح ﴿اَرْبَعَةَ اَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من اللّيالى ولذا ترك التّاء هذا فى غير الحامل والأمة اذ عدة هذه نصف ما ذكر للقياس او السنة وتلك بوضع الحمل لآية سورة الطلاق ﴿فَاِذَا بَلَغْنَ اَجَلَهُنَّ﴾ اى انقضت عدّتهن ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ ايّها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِى اَنْفُسِهِنَّ﴾ من التّزيين والتّعرض للخطاب ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعا ومفهومه عليهم ان يكفوهن من المنكر شرعا ﴿وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ﴾ هو والتّلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا ﴿مِنْ خِطْبَةِ﴾ طلب ﴿النِّسَاءِ﴾ للتزوّج عنهن ازواجهنّ فى العدّة

بالقول لها مثلا انّك لجميلة ومن يجد مثلك وربّ راغب فيك ﴿اوْ كُنتُمْ﴾ اضمرتم ﴿فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهنّ ﴿علم اللهُ انّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهنّ فاذكروهنّ تعريضا ﴿ولَكِن لاَ تُواعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ اى نكاحا او جماعا اطلاق السرّ على الثانى لانّه مما يسرّ وعلى الاوّل لانه سبب فيه ﴿إِلاَّ أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ شرعا وهو التّعريض والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهنّ مواعدة قطّ الاّ مواعدة بقول معروف وجعله استثناء منقطعا من سرّا بمعنى لا تواعدوهنّ سرّا لكن التّعريض ضعيف اذ لا معنى لوعد التّعريض ﴿وَلاَ تَعْزِمُوا﴾ عقد ﴿عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ اى المكتوب من العدّة ﴿أَجَلَهُ﴾ بان ينتهى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ ولاتعزموه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لمن عزم ولم يفعل من خشيته ﴿حَلِيمٌ (٢٣٥)﴾ لا يستعجل فى العقوبة ﴿لاَ جُنَاحَ﴾ لا تبعة من مهر ﴿عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ اى تجامعوهنّ وفى قراءة تماسوهن فى جميع القرآن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ او الاّ ان تفرضوا او حتى تفرضوا وفريضة بمعنى مفروض نصب على المفعوليّة والمعنى لا تبعة على المطلّق زمن عدم المسيس والفرض من مطالبة مهر فطلّقوهنّ ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ اى اعطوهنّ ما يتمتّعن به وقدره برأى الحاكم ويؤيّده قوله ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾ الغنى منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ الضيق الحال ﴿قَدَرُهُ﴾ لا نظر الى قدر المرأة ﴿مَتَاعًا﴾ تمتيعا ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعا صفة متاعا ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقّا ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)﴾ المطيعين سمّاهم محسنين ترغيبا ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ لهن والنصف الآخر لكم ﴿إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ﴾ اى الزّوجات فيتركونه النون ضمير والفعل مبنىّ فلذا لم تؤثر ان فيه واثّرت فى قوله ﴿أَوْ يَعْفُوَ﴾ اى يترك الكل لها ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو الزّوج المالك لعقد النّكاح ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ اى عفو بعضكم بعضا ايّها النّساء والرجال فهو مبتدأ خبره ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ اى ان يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(٢٣٧)﴾ فيجازيكم به ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ بادائها فى وقتها والمداومة عليها ادرجها فى احكام الأولاد والأزواج لئلاّ يلتهوا بهم عنها ﴿وَالصَّلَوةِ الْوُسْطَى﴾ بينها او الفضلى منها وهى العصر لحديث: «شغلونا عن الصّلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارًا»[1] وفضلها الدّال عليه افرادها بالذكر لكثرة اشتغال النّاس فى وقتها واجتماع الملائكة وفى كلّ من الاربعة الاخر قول انّما هى ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾ فى الصلوة ﴿قَانِتِينَ (٢٣٨)﴾ مطيعين لحديث: «كلّ قنوت فى القرآن فهو طاعة»[2] او ذاكرين، او المراد القنوت فى الصّبح ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوّ او غيره ﴿فَرِجَالًا﴾ اى صلوا مشاة جمع راجل ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب اى كيف ما امكن مستقبل القبلة وغيرها ويؤموا بالركوع والسّجود ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ اى صلوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ﴾ اى مثل ما علمكم ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)﴾ من فروضها وحقوقها مفعول علمكم ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليوصوا ﴿وَصِيَّةً﴾ وفى قرأة بالرفع اى عليهم وصيّة ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا﴾ ما يتمتّعون به من النفقة والكسوة والسّكنى ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿الْحَوْلِ﴾ من يوم موتهم ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ بدل من متاعا او حال من ازواجهم اى غير مخرجات من مسكنهنّ ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بانفسهنّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا اولياء الميّت ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ شرعا كالتّزين وترك الاحداد وقطع النفقة هذا يدلّ على انها كانت مخيّرة فى هذه الاشياء لكنها واجبة الآن ولكن لا تمنع العدّة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ ينتقم ممن خالفه منهم ﴿حَكِيمٌ (٢٤٠)﴾ راع مصالحهم ثم الوصيّة المذكورة منسوخة بآية الميراث وتربّص الحول بآية اربعة اشهر وعشر السّابقة[3] المتأخرة فى النّزول والسّكنى ثابتة لها عند الشّافعى ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ يعطينه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الأمكان ﴿حَقًّا﴾ نصب بفعله المقدّر ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١)﴾ كرّره لعمّ الممسوسة ايضا اذ الآية الأولى فى غيرها ﴿كَذَلِكَ﴾

---

[1] - صحيح البخاري: ٨٠/١٠

[2] - المعجم الأوسط للطبراني: ٣٣٦/٤

[3] - سورة البقرة: ٢٣٤

كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)﴾ تتدبّرون ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجيب وتشويق الى استماع ما بعده اى ينته علمك ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وهو قوم من بنى اسرائيل فرّوا من الطّاعون او من جهادٍ امرهم به ملكهم ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ اربعة او ثمانية او عشرة او ثلاثون او اربعون اوسبعون الفا على اختلاف فى ذلك ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ مفعول له ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا﴾ اى تعلّقت ارادته ومشيته بموتهم او ناداهم به الملك واسناده الى الله للتّخويف والتّهديد فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بعد ثمانية ايّام او اكثر بدعاء نبيّهم حِزْقيل فعاشوا دهرا عليهم اثر الموت لا يلبسون ثوبا الاّ عاد كالكفن واستمرت فى اسباطهم وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد وحثهم على التوكّل ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ حيث قصّ عليهم حال هؤلاء ليستبصروا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهو الكفار ﴿لاَ يَشْكُرُونَ (٢٤٣)﴾ الله كما ينبغى او لا يستبصرون ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ اى لاعلاء دينه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لاقوالكم ﴿عَلِيمٌ (٢٤٤)﴾ باحوالكم فيجازيكم ﴿مَنْ﴾ استفهامية مبتدأ ﴿ذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ﴾ صفة ذا او بدله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس واقراض الله مثل لتقديم العمل الصالح او المرادبه الأنفاق فى سبيل الله ﴿فَيُضَاعِفَهُ﴾ اى يضاعف جزائه ذكر بصيغة المغالبة للمبالغة وفى قراءة فيضعّفه بالتشديد ﴿لَهُ أَضْعَافًا﴾ جمع ضعف حال من الضمير المنصوب ﴿كَثِيرَةً﴾ لا يقدّرها الاّ الله ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ﴾ يمسك الرّزق عمن يشاء ابتلاء ﴿وَيَبْسُطُ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحانا فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لئلاّ يبدّل حالكم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)﴾ فيجازيكم بما قدمتم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى﴾ قصة ﴿الْمَلإِ﴾ الجماعة ﴿مِنْ﴾ للتبعيض ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾ وفات ﴿مُوسَى﴾ من للأبتداء ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ﴾ هو يوشع او شمعون او اشمويل ﴿ابْعَثْ﴾ اقم ﴿لَنَا مَلِكًا﴾ اميرا ﴿نُقَاتِلْ﴾ معه مجزوم فى جواب الامر ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ﴾ النبى ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ ادخل هل الاستفهامية على فعل التوقع لتقرير التّوقع ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَنْ لاَ تُقَاتِلُوا﴾ خبر عسى فصل بينه وبينها بالشرط

﴿فهو وم[illegible] لقتال في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ بسببهم وقتلهم فعل ذلك بهم جالوت ومن معه من العمالقة والمعنى لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه قال تعالى ﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا﴾ عنه وتجنّبوا ﴿إلا قليلا منهم﴾ وهو الّذين عبروا النّهر مع طالوت كما سيأتي.[1] ﴿والله عليم بالظالمين (٢٤٦)﴾ فيجازيهم ﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا﴾ روى انّ نبيّهم ﷺ لمّا دعا الله ان يملكهم اتى بعصى يقاس بها من يملك عليهم فلم يساووها الاّ طالوت ﴿قالوا أنّى﴾ كيف ﴿يكون له الملك علينا﴾ حال ﴿ونحن أحق بالملك منه﴾ وراثة لانّه من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك ونحن من سبطين كان فيهم كلاهما ﴿ولم يؤت سعة من المال﴾ يستعين به على اقامة الملك ﴿قال إن الله اصطفاه عليكم﴾ اختاره للملك ﴿وزاده بسطة﴾ سعة ﴿في العلم والجسم﴾ وكان اعلم بنى اسرائيل يومئذ واجملهم واتمهم خلقا فكان الرّجل القائم يمد يده فينال رأسه ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ لا اعتراض عليه ﴿والله واسع﴾ فضله يوسعه على الفقير ويعينه ﴿عليم (٢٤٧)﴾ بمن هو اهل الملك ﴿وقال لهم نبيهم﴾ لمّا طلبوا منه حجة على ملكه ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾ صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموّها بالذهب نحو من ثلثة ازرع فى زراعين وقيل صندوق فيه صور الأنبياء انزل على آدم واستمر اليهم فغلبتهم العمالقة عليه واخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوّهم ويقدّمونه فى القتال ويسكنون اليه كما قال تعالى ﴿فيه﴾ اى فى اتيانه ﴿سكينة﴾ من ربّكم طمأنينة لقلوبكم او مودع فى ذلك التّابوت ما تسكنون اليه وهو التّورية او صور الأنبياء ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ رضاض الألواح وقفيز من المنّ الّذى انزل على بنى اسرائيل ونعلا موسى وعصاه وعمامة هارون وآلهما ابنائهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما ﴿تحمله الملئكة﴾ حال من فاعل ياتيكم ﴿إن في ذلك لآية لكم﴾ على ملكه ﴿إن كنتم مؤمنين (٢٤٨)﴾ من تمام قول النبي او ابتداء خطاب من الله فحملته

[1] - سورة البقرة: ٢٤٩

الملائكة بين السّماء والأرض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت فأقرّوا بملكه وتسارعوا الى الجهاد فاختار من شبابهم سبعين الفا ﴿فصل طالوت بالجنود﴾ انفصل بهم عن بيت المقدّس وكان حرّا شديدا وطلبوا منه ان يجرى الله لهم نهرا ﴿فمن شربه منكم﴾ مختبركم ﴿فليس منّى﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصى وهو بين الأردون وفلسطين ﴿فمن شرب منه فليس منّى﴾ من اتباعى ﴿ومن لم يطعمه﴾ يذقه ﴿فانّه منّى الا من اغترف غرفة﴾ بالفتح والضم ﴿بيده﴾ فاكتفى بها ولم يزد عليها فانّه منى ﴿فشربوا منه﴾ افرطوا فى الشّرب ﴿الا قليلا منهم﴾ فاقتصروا على الغرفة روى انّها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلثماية وبضعة عشر عدد اهل بدر ومن لم يقتصر غلب عليه العطش ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدّنيا لقاصد الآخرة ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾ المقتصرون على الغرفة ﴿قالوا﴾ بعضهم لبعض ﴿لا طاقة﴾ قوّة ﴿لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ لكثرتهم وقوّتهم ﴿قال الذين يظنّون انّهم ملاقوا الله﴾ المتيقنون لقاء الله وثوابه وقيل هم المقتصرون على الغرفة وضمير قالوا للّذين شربوا ﴿كم من فئة﴾ جماعة كم استفهامية او خبرية ومن زائدة ﴿قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله﴾ بحكمه ﴿والله مع الصابرين (٢٤٩)﴾ بالنصر والأثابة ﴿ولمّا برزوا لجالوت وجنوده﴾ اى ظهروا لقتالهم وتصافوا ﴿قالوا ربّنا افرغ﴾ اصبب ﴿علينا صبرا﴾ لتقوية قلوبنا ﴿وثبّت اقدامنا﴾ فى مواقع الحرب ﴿وانصرنا على القوم الكافرين (٢٥٠) فهزموهم﴾ كسروهم ﴿باذن الله﴾ بارادته ونصره ﴿وقتل﴾ ﴿داود﴾ كان فى عسكر طالوت مع اخوته الستة وابيه ايشى فكلمته فى الطّريق ثلثة احجار بانّك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله فزوّجه طالوت بنته ﴿وآتاه﴾ اى داود ﴿الله الملك﴾ فى بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبله على ملك ﴿والحكمة﴾ النبوّة ﴿وعلّمه ممّا يشاء﴾ كصنعة الدّروع ومنطق الدواب والطير ﴿ولولا دفع الله النّاس بعضهم﴾ بدل البعض من النّاس ﴿ببعض﴾ ونصر المسلمين ﴿لفسدت الأرض﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد ﴿ولكنّ الله ذو فضل على العالمين (٢٥١)﴾ فدفع بعضهم ببعض

﴿تِلْكَ﴾ الآيات من حديث الألوف الى هنا ﴿آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصّدق الّذى لا يشك فيه اهل الكتاب واصحاب التّواريخ ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)﴾ لما اخبرت بها من غير استماع وتعرّف ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ المذكورة قصصها فى السّورة او جماعة الرّسل واللام للاستغراق ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بالتخصيص بمنقبة ليست لغيره ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ كموسى فى الطّور وقيل محمّد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وكم بعد بين التكلمين ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ اى محمّدا ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على غيره بعموم الدّعوة والمعجزات المتكاثرة المستمرة والخصائص العديدة وتفضيل امّته على الامم ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى﴾ خصّصه بالتّعيين لافراط اليهود والنّصارى فى تحقيره وتعظيمه ﴿ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الواضحة ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قوّيناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبرائيل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ هدى النّاس جميعا ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد الرسل من الامم لاختلافهم فى الدّين وتضليل بعضهم بعضا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجزات الواضحة ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ لعدم مشية ذلك ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ كالنّصارى بعد عيسى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ كرر للتّاكيد ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)﴾ من توفيق ما شاء فضلا وخذلان ما شاء عدلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ﴾ افتداء ﴿فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ﴾ صداقة تنفع ﴿وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾ بغير اذنه حتى تتكلون عليها وهو يوم القيامة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله او بما فرض عليهم من الزكوة ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)﴾ لوضعهم امر الله او المال فى غير محلّه ﴿اللهُ﴾ مبتدأ خبره ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ اى لا معبود بحق فى الوجود الاّ هو ﴿الْحَيُّ﴾ الدائم البقاء ﴿الْقَيُّومُ﴾ المبالغ فى القيام بتدبير الخلق ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ نعاس ﴿وَلاَ نَوْمٌ﴾ وتقديم السنة عليه مع ان قياس المبالغة العكس لتقدمها فى الوجود والجملة تاكيد لكونه حيّا قيوما فلذا ترك فيه العاطف وفيما بعده من الجمل ﴿لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا تقرير لقيوميّته وتفرّده فى الألوهية ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ استفهام

على سبيل الأنكار اى لا احد ﴿يَشْفَعُ عِنْدَهُ اِلاَّ بِاِذْنِهِ﴾ فيها بيان لكبرياء شأنه فانّه اذا لم يستحق احد الشفاعة عنده فكيف يعاوقه بالعناد ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ اَيْدِيهِمْ﴾ ايدى الخلق الدّال عليهم مافى السّموات اذ فيهم العقلاء من امور الدّنيا ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من امور الآخرة ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ لا يعلمون شيئا من معلوماته ﴿اِلاَّ بِمَاشَاءَ﴾ ان يعلموا منها باخبار الرّسل عطفها على ما قبلها لدلالة مجموعهما على تفرّده بالعلم الذّاتى التام الدّال على وحدانيّته ﴿وَسِعَ﴾ احاط ﴿كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قيل هو مجاز عن علمه او ملكه ولا كرسىّ فى الحقيقة وقيل جسم تحت العرش بعينه مشتمل عليهما لعظمته لقوله ﷺ: «ما السموات السّبع مع الكرسىّ الاّ كحلقة فى فلاة وهو مع العرش كذلك»[1] فلعلّه الفلك المسمى بفلك البروج ﴿وَلاَ يَؤُدُهُ﴾ يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ اى السموات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿الْعَظِيمُ (٢٥٥)﴾ حقير بالنسبة اليه كل ما سواه ﴿لاَ اِكْرَاهَ فِى الدِّينِ﴾ على الدّخول فيه ولكن ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ﴾ اى ظهر بالآيات البيّنات انّ الإيمان رشد موصل الى السّعادة الأبدية والكفر غىّ يؤدى الى الشقاوة السرمدية نزلت فى انصارىّ كان له ابنان تنصّرا قبل البعث اراد ان يكرههما على الاسلام فهى خاص باهل الكتاب ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشّيطان او الاصنام فعلوت من الطّغيان بتقديم اللام على العين فوزنه الآن فلعوت بنى للمبالغة فى المصدر ثم وصف به للمبالغة فى النعت يطلق على الواحد والجمع ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسّك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ اى العقد المحكم على سبيل الاستعارة ﴿لاَانْفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ بالاقوال ﴿عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ بالافعال ﴿اَللهُ وَلِيُّ﴾ محبّ او ناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ارادوا الإيمان بقرينة ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾ بهدايته ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿اِلَى النُّورِ﴾ الإيمان والجملة خبر بعد خبر لقوله والله او استيناف بيان للولاية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا اَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ اِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ من النّور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر او

[1] – تحفة الأحوذي: ١٩١/٨

نزلت فى قوم ارتدّوا عن الاسلام والطاغوت سبب الأخراج فلا ينافى تعلّق ارادة الله به ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)﴾ وعيد لهم ولم يذكر وعد المؤمنين فى مقابلته تعظيما لشأنهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ وهو نمرود والاستفهام تعجيب من محاجّته وحماقته ﴿أَنْ﴾ لان ﴿آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ اى حمله ايتاء الملك والبطر به على المحاجّة ﴿إِذْ﴾ ظرف لحاج ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لمّا قال له من ربّك الّذى تدعونا اليه ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ يخلق الحيوة والموت فى الاجسام ﴿قَالَ﴾ نمرود ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالقتل والعفو عنه ودعى رجلين قتل احدهما وترك الآخر ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ منتقلا الى مثال اجلى من مقدورات الله لا يقدر على تمويه فيه لا الى حجّة اخرى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ انت ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ تحيّر ودهش ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾ الى محجة الأحتجاج ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ اى او ارأيت مثل الّذى فحذف لدلالة الم تر عليه فتخصيصه بحرف التّشبيه لكثرة منكر الاحياء بخلاف مدّعى الرّبوبيّة وهو عزير او كافر بالبعث ويؤيّده نظمه مع نمرود مرّ راكبا على حمار ومعه سلّة تين وقدح عصير على بيت المقدّس ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة حيطانها ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها لما خرّبها بخت نصر ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾ كيف فهو حال من فاعل ﴿يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ اى يعمرها بعد خرابها استعظاما لقدرته تعالى ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ والبثه ميّتا ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ بالاحياء ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى له او ملك ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ مكثت هنا ﴿قَالَ﴾ قبل النظر الى الشمس ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قاله بعد ما التفت فرأى بقيّة منها على الاضراب لانّه مات ضحى وبعث بعد المأية قبل الغروب فظنّ انّه يوم القبض ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ التّين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغيّر بمرور الزّمان والهاء قيل اصل من سانهت وقيل للسّكت من ساينت وفى قرائة بحذفها ﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف هو فرآه ميّتا وعظامه تلوح فعلنا ذلك لتعلم ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ على البعث ﴿آيَةً

للنّاس﴾ روى انّه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذّبوه حتى قرأ لهم التّورية وكان اوّل من حفظها وقيل كان شابا واولاده شيوخا وكان يتكلّم عن حديث مأية سنة ﴿وانظر الى العظام﴾ من حمارك او الاموات الّذين تعجّبت من احيائهم ﴿كيف﴾ حال من مفعول ﴿ننشزها﴾ نحييها او نرفع بعضها على بعض بضم النون من انشز وقرأ بفتحها من نشز بمعنى انشز وفى قراءة بالرّاء من انشر الله الموتى ﴿ثمّ نكسوها لحما﴾ فنظر اليها وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الرّوح ونطق ﴿فلمّا تبيّن له﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قال اعلم انّ الله على كلّ شيء قدير (٢٥٩)﴾ وفى قرائة اعلم امر من الله له او منه لنفسه تبكيتا لها ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ قال ابراهيم ربّ ارنى كيف تحيى الموتى قال﴾ تعالى له ﴿أو لم تؤمن﴾ بقدرتى على الاحياء سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليجيب بما اجاب ليعلم السّامعون غرضه ﴿قال بلى﴾ آمنت ﴿ولكن﴾ سألتك ﴿ليطمئنّ﴾ يسكن ﴿قلبى﴾ بالمعاينة المضمومة الى الاستدلال والوحى ﴿قال فخذ اربعة من الطّير﴾ طاووسا وديكا ونسرا وغرابا ﴿فصرهنّ اليك﴾ امِلْهنّ اليك لتعرف شيّاتها فلا يلتبس عليك بعد الأحياء وقطّعهن واخلط لحمهنّ وريشهنّ ﴿ثمّ اجعل﴾ ﴿على كلّ جبل﴾ من الجبال الّتى بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة ﴿منهنّ جزءا﴾ وامسك راسها عندك ﴿ثمّ ادعهنّ﴾ اليك ﴿يأتينك سعيا﴾ ساعيات مسرعات ﴿واعلم انّ الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيم (٢٦٠)﴾ ذو حكمة بالغة فى صنعه ولما فعل ما امر به تطايرت الأجزاء بعضها الى بعض حتّى تكاملت ثم اقبلت الى رؤسها وفيه اشارة الى ان من اراد الحيوة الأبدية فليقتل القوى البدنيّة ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فتأتينه مسرعات متى دعاهن بالعقل او الشّرع وانظر كم فرق بين ابراهيم وعزير فى كيفيّة السّؤال وارائة الله ﴿مثل﴾ نفقات ﴿الّذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله﴾ اى طاعته ﴿كمثل حبّة انبتت سبع سنابل فى كلّ سنبلة مائة حبّة﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعف بسبع مائة ضعف ﴿والله يضاعف﴾ تلك المضاعفة واكثر منها ﴿لمن يشاء﴾ بفضله وعلى حسب حال المنفق من اخلاصه ولذلك تتفاوت مقادير الثّواب

﴿وَاللّٰهُ وَاسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ (٢٦١)﴾ بمن يستحق المضاعفة ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا اَنْفَقُوا مَنًّا﴾ على المنفق عليه بمثل قد احسنت اليك وجبرت حالك ﴿وَلاَ اَذًى﴾ بالتكبر عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المنّ والأذى ﴿لَهُمْ اَجْرُهُمْ﴾ ثواب انفاقهم ولم تدخل الفاء فيه مع تضمن المبتدأ معنى الشرط ايهاما بانّهم اهل الأجر مطلقا ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)﴾ فى الآخرة ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ كلام حسن وردّ جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ عن السّائل فى الحاجة ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا اَذًى﴾ بالمنّ وتعييره بالسّؤال خبر قول المخصص بالصّفة ﴿وَاللّٰهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة المانّ ﴿حَلِيمٌ (٢٦٣)﴾ بتأخير العقوبة عن المان والمؤذى ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ اى اجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ بكل واحد منهما ابطالا ﴿كَالَّذِي﴾ اى كابطال نفقة الّذى ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ مفعول له او حال بمعنى مرائيا ﴿وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر املس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر عظيم القطر ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ املس لا شيء عليه ﴿لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ استيناف لبيان مثلهم اى لا يجدون له ثوابا فى الآخرة والجمع باعتبار معنى الّذى فانّ المراد به الجمع ﴿وَاللّٰهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)﴾ الى الخير والرشاد وفيه تعريض بانّ الرّياء والمنّ والاذى من صفاتهم لابدّ للمؤمن التجنب عنها ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقات ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ﴾ اى تحقيقا للثّواب من اصل انفسهم فمن ابتدائية لا كالمنافقين الّذين لا يرجونه للانكاره له ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾ بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بضم الراء وفتحها مكان مرتفع مستو فان ثمره ازكى واحسن ﴿اَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ﴾ اعطت ﴿اُكُلَهَا﴾ بضم الكاف وسكونه ثمرتها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثلى ما تثمر غيرها فالضعف هنا بمعنى المثل ﴿فَاِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ اى فيصيبها مطر صغير القطر ويكفيها لارتفاعها يعنى نفقة هؤلاء زاكية عند الله كثرت ام قلت كما تثمر تلك البستان كثر مطرها او قلّ ﴿وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥)﴾ تحذير عن الرّياء وترغيب فى الاخلاص

﴿ايودُّ﴾ ايحبّ والهمزة للانكار ﴿احدُكُمْ انْ تكُونَ لهُ جنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِنْ نخِيلٍ وأعْنابٍ﴾ غلّبهما على ما فيها من الاشجار لكثرة منافعهما ﴿تجْرِى مِنْ تحْتِها الأنْهارُ لهُ فيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ﴾ قد ﴿أصابهُ الْكِبَرُ﴾ سنا فضعف عن الكسب ﴿ولهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعفاءُ﴾ اولاد صغار لا قدرة لهم على الكسب ﴿فأصابها إعْصارٌ﴾ ريح شديد ﴿فِيهِ نارٌ فاحْتَرقَتْ﴾ عطف على اصابه وبقى هو واولاده متحيرين لا حيلة لهم وهو تمثيل نفقة المرائى والمان فى ذهابها وعدم نفعها يوم القيامة عند شدة الاحتياج اليها بمن هذا شأنه واشبههم به من غاص بسرّه فى عالم الملكوت ثم صدّه الشيطان بالمعاصى وجعل سعيه هباء منثورا ﴿كذلِكَ يُبيِّنُ اللهُ لكُمُ الآياتِ لعلَّكُمْ تتفكَّرُونَ (٢٦٦)﴾ فيها فتعتبرون ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا أنْفِقُوا﴾ زكّوا ﴿مِنْ طيِّباتِ﴾ اى خيار او حلال ﴿ما كسبْتُمْ﴾ من المال ﴿ومِنْ﴾ طيّبات ﴿ما أخْرجْنا لكُمْ مِنَ الأرْضِ﴾ من الحبوب والثمار والمعادن ﴿ولا تيمَّمُوا﴾ تقصدوا ﴿الْخبِيثَ﴾ الردّى ﴿مِنْهُ﴾ اى من المذكور ﴿تُنْفِقُونَ﴾ فى الزكوة حال مقدّرة من فاعل تيمّموا او من الخبيث على انّ منه متعلّق به والضمير للخبيث ﴿ولسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ اى وحالكم لا تأخذونه فى حقوقكم لردائته ﴿إلاَّ أنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ الاّ ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضّه كانوا يتصدقون بالرّدى من التمر فنهوا عنه ﴿واعْلمُوا أنَّ اللهَ غنِيٌّ﴾ عن انفاقكم ﴿حمِيدٌ (٢٦٧)﴾ بقبوله ﴿الشَّيْطانُ يعِدُكُمُ الْفقْرَ﴾ يخوّفكم به فى الأنفاق ﴿ويأمُرُكُمْ بِالْفحْشاءِ﴾ البخل ومنع الزكوة ﴿واللهُ يعِدُكُمْ﴾ على الأنفاق ﴿مغْفِرةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وفضْلًا﴾ خلفا افضل ممّا انفقتم ﴿واللهُ واسِعٌ﴾ فضله ﴿علِيمٌ (٢٦٨)﴾ بالمنفق ﴿يُؤْتِى الْحِكْمةَ﴾ العلم النّافع المؤدى الى العمل ﴿مَنْ يشاءُ ومَنْ يُؤْتَ الْحِكْمةَ﴾ بناه للمفعول لانّه المقصود ﴿فقدْ أُوتِىَ خيْرًا كثِيرًا﴾ فى الدّارين ﴿وما يذَّكَّرُ﴾ فيه ادغام التاء فى الذال اى ما يتّعظ ﴿إلاَّ أُولُو الألْبابِ (٢٦٩)﴾ اصحاب العقول ﴿وما أنْفقْتُمْ مِنْ نفقةٍ﴾ اديتم من زكوة او صدقة ﴿أوْ نذرْتُمْ مِنْ نذْرٍ﴾ فوفيتم به ﴿فإنَّ اللهَ يعْلمُهُ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وما لِلظَّالِمِينَ﴾ بمنع الزكوة والنّذر او بالانفاق فى المعاصى ﴿مِنْ أنْصارٍ

(٢٧٠)﴾ يمنعوهم من عقابه ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ اى نعم شاء ابدائها ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾ تسرُّوها ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من ابدائها وايتائها الاغنياء هذا فى التطوع فان اخفائها يفضل علانيّتها سبعين ضعفا وامّا الفرض فهى للفقراء خاصّة ويفضل ابدائها ممن عرف بالمال على سرّها خمسة وعشرين ضعفا ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالنون والياء والرّفع على الاستيناف والجزم عطفا على محلّ فهو خير ﴿عَنْكُمْ مِنْ﴾ بعض ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)﴾ ترغيب فى الاسرار ولمّا منع ﷺ من التصدق على الكفار ليسلموا نزل ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ اى هدا النّاس الى الدّخول فى الاسلام وانّما عليك البلاغ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فالهداية من الله لا غير ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مال ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ لانّ ثوابه لها ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ اى طلب ثوابه لا لغرض دنيوىّ نفى بمعنى النّهى او حال من فاعل تنفقوا ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ ثوابه ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ (٢٧٢)﴾ فى ثواب نفقتكم الجملتان تاكيد لقوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا﴾ آه ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خبر مبتدأ محذوف وهو صدقاتكم ﴿الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ احصرهم الجهاد ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ ذهابا فيها للكسب لاشتغالهم بالجهاد فهى عام او نزلت فى اهل الصّفّة وهم اربع مائة من المهاجرين يسكنون صفة المسجد مترصدين للتعلم والعبادة والخروج مع كل سرية بعثها ﷺ ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ لتعفّفهم عن السّؤال ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ يامحمّد او يا مخاطبا ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ علامتهم من التّواضع واثر الجهد ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شيئا ﴿إِلْحَافًا﴾ الحاحا نصب على المصدر فانّه نوع من السّؤال او الحال والمعنى لم يسئلوا وان سئلوا لم يلحّوا وقيل لا سؤال لهم اصلا فلا يقع منهم الحاف ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)﴾ فانفقوا خصوصا على هؤلاء ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾ نزلت فى ابى بكر تصدّق باربعة الف دينار فى كلّ من الاربعة المذكورة عشرة ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ

(٢٧٤)﴾ خبر ان للّذين والفاء للسببية ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوا﴾ ياخذونه عبر عنه بالاكل لانّه اعظم منافع المال وهو الزّيادة فى المعاملة بالنّقود والمطعومات فى القدر او الاجل ﴿لاَ يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ﴿إلاَّ﴾ قياما ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ﴾ يضربه فيصرعه ﴿مِنَ الْمَسِّ﴾ اى الجنون متعلّق بيقومون هذا وارد على زعمهم من صرع الانسان بخبط الشيطان ﴿ذَلِكَ﴾ العقاب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب انّهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ فى الجواز هذا من عكس التّشبيه مبالغة فقال تعالى ردّا عليهم ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا فَمَنْ جَائَهُ﴾ بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ وعظ ﴿مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ عن اكله ﴿فَلَهُ مَاسَلَفَ﴾ قبل النّهى اى لا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ﴾ يجازيه على انتهائه ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ الى اكله مشبّها له بالبيع فى الحلّ ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)﴾ لانّهم كفروا ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَى﴾ ينقصه ويذهب بركته ويهلك المال الّذى يدخل فيه ﴿وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ﴾ يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه. وعنه ﷺ: «ما نقصت زكوة من مال قطّ»[1] ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليل المحرّمات ﴿أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾ منهمك فى اكل الرّبى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بما جائهم عن الله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ وَآتُوا الزَّكَوةَ﴾ عطفهما على ما يعمّهما لفضلهما على السّائر الاعمال ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من آت ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧)﴾ على فائت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَى﴾ بقية الرّبى الّذى شرطتم على النّاس وكان سبب نزولها مطالبة بعض الصحابة اياه من المدين بعد النّهى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨)﴾ صادقين فى إيمانكم فان شأن المؤمن امتثال امر الله ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ الترك ﴿فَأْذَنُوا﴾ اعلموا ﴿بِحَرْبٍ﴾ عظيم ﴿مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ لكم فيه تهديد شديد ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ﴾ اصول ﴿أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ﴾ باخذ الزّيادة ﴿وَلاَ تُظْلَمُونَ (٢٧٩)﴾ بالمطل والنّقصان يفهم منه انهم ان لم يتوبوا عن الحلّ فليس لهم رأس المال لانّهم

[1] - المعجم الكبير للطبراني: ٩٨/١٠

مرتدون حينئذ فما لهم فيئ ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ وقرأ ذا على انّه خبر كان واسمه الغريم ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ اى فعليكم امهال ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ بفتح السّين وضمّها اى يسار ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ بالابراء او الانظار بالتشديد على ادغام التاء فى الصّاد وبالتخفيف على حذفها اى تتصدّقوا ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ثوابا من عدم الأنظار او الأخذ لحديث: «من انظر معسرا او وضع عنه اظلّه الله فى ظلّه يوم لا ظلّ الاّ ظلّه»[1] ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾ ما فيه من الأجر الجزيل فافعلوه ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول اى تردون او للفاعل اى تصيرون ﴿فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ يوم القيامة او الموت ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ جزاء ما عملت من خير او شرّ ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾ بنقص حسنة وزيادة سيّئة هذه آخر آية نزلت بها جبرئيل وقال ضعها فى رأس المأتين والثمانين من البقرة وعاش ﷺ بعدها احدى وعشرين يوما وقيل ثلث ساعات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كسلم وقرض ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم بما لا يختلف ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ استيثاقا ودفعا للنّزاع ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ ورقة الدين ﴿بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالحقّ فى كتابته لا يزيد فى المال والأجل ولا ينقص كانّه امرهم ان يختاروا كاتبا متديّنا موثوقا به ﴿وَلاَ يَأْبَ﴾ يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ﴾ مثل ما علّمه من الصّواب او لا يأب ان ينفع النّاس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها فالكاف متعلق بيأب ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تاكيد ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ ليكن المملى للكاتب ﴿الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ لانّه المقرّ المشهود عليه ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ فى املائه ﴿وَلاَ يَبْخَسْ﴾ ينقص ﴿مِنْهُ﴾ اى الحقّ ﴿شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مبذّرا ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الاملال لصغر او كبر ﴿أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرس او جهل باللّغة او نحو ذلك ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾ متولى امره من والد ووصىّ او قيم او مترجم ولعلّه مخصوص بما تعاطاه الوكيل او القيم والاّ فلا نيابة فى الاقرار ﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾ اشهدوا على الدّين ﴿شَهِيدَيْنِ﴾

---

[1] – سنن الترمذي: ١٢٧/٥

شاهدين ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ اى من بالغى المسلمين الاحرار ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا﴾ اى الشّاهدان ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ اى فليشهد رجل وامرأتان وهذ مخصوص بالاموال ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لعلمكم بعدالتهم وتعدّد النّساء لاجل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَيهُمَا﴾ الشّهادة لنقص عقلهنّ وضبطهنّ ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بالتّخفيف و التّشديد ﴿إِحْدَيهُمَا﴾ الذاكرة ﴿الْأُخْرَى﴾ الناسية والعلّة فى الحقيقة التذكر اى لتذكر ان ضلّت لكن نزل ضلال منزلته لانّه سببه وقرأ بكسر ان شرطية ورفع تذكر جوابه ﴿وَلَا يَأْبَ شُهَدَاءُ إِذَا مَا﴾ مزيدة ﴿دُعُوا﴾ الى الأداء او التحمل وتسميتهم شهداء قبل التحمل باعتبار ما يؤل ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ تملّوا من ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ اى ما اشهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ قليلا كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ كثيرا ﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾ وقت حلوله حال من مفعول تكتبوه ﴿ذَلِكُمْ﴾ اى الكتب ﴿أَقْسَطُ﴾ اعدل ﴿عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ اى اعون على اقامتها لانّه يذكّرها ﴿وَأَدْنَى﴾ اقرب الى ﴿أَنْ لَا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا فى قدر الحق و الأجل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ تقع استثناء من الامر بالكتابة ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ وقرأ حفص بنصبهما على معنى ان تكون تجارة تجارة آه ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ اى تقبضوها ولا اجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فى ﴿أَنْ لَا تَكْتُبُوهَا﴾ والمراد بها المتجر فيه ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ فانّه ادفع للاختلاف وهذا وما قبله امر ندب ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ على بناء الفاعل اى لا يضار اصاحب الحق ومن عليه بتحريف او امتناع من الشّهادة او الكتابة او بناء المفعول اى لا يضر صاحب الحق ايّاهما بتكليف ما لا يليق فى الكتابة والشّهادة ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ ماتهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ﴾ خروج عن الطاعة لاحق ﴿بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ فى امره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ مصالح اموركم حال مقدّرة او كلام مستأنف ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)﴾ كرّر لفظ الله فى الجمل الثلث لاستقلالها وللتعظيم ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ مسافرين وتداينتم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ﴾ اى فالذى يستوثق به رهان جمع رهن بمعنى مرهون ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ فالجمهور على اشتراط القبض فى

الرّهن وهذا التّقييد لانّ توثّق فيه اشد والاّ فيجوز فى الحضر ايضا لانه ﷺ رهن درعه فى المدينة عن شعير اخذه لاهله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ اى دائن المدين على حقّه فلم يرتهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ اى المدين ﴿أَمَانَتَهُ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ فى ادائه فلا ينكره ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ ايّها الشّهود او المديونون اذ اقرارهم شهادة على انفسهم ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ خص بالذكر لانّه محل الشهادة ولانّه رائيس الأعضاء فاثمه اثمها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣)﴾ تمديد ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقا وملكا ﴿وَإِنْ تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من السّوء والعزم عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تسرّوه ﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ يوم القيامة حجة على منكر الحساب ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ مغفرته ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب والمغفرة وقرأ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط والرفع على الاستيناف اكثر ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)﴾ فيقدر على الاحياء او المحاسبة ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ محمّد ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف على الرّسول فالضمير الّذى ناب عنه تنوين ﴿كُلٌّ﴾ نه وهم لو مبتدأ فالضمير لهم ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ وقرأ كتابه بمعنى القرآن او الجنس ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يقولون ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنّصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ اجبنا ﴿وَأَطَعْنَا﴾ امرك نطلب ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ للرجع بالبعث فهو اقرار منهم به ولمّا نزلت الآية قبلها شكى للؤمنون من الوسوسة وشقّ عليهم المحاسبة بها فنزل ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ اى ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من شر فلا يأخذ احد بذنب احد وتخصيص الكسب بالخير والأكتساب بالشر لانّ هذا فيه اعتمال والشّر تشتهيه النفس فكانت اجد فى تحصيله واَعْمَلَ بخلاف الخير وفيه تنبيه على لطف الله حيث اثبت لهم ثواب الفعل على ايّ وجه كان ولم يثبت عليهم عقاب الفعل الاّ على وجه المبالغة والأعتمال قولوا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾

بالعقاب ﴿انْ نسينا أوْ اخطأنا﴾ اى تركنا الصواب لا عن عمد وقد رفع ذلك عن هذه الامة لحديث: «رفع عن امتى الخطأ والنّسيان»[1] فسؤاله لاستدامته والاعتراف بنعمة الله فيه ﴿ربّنا وَلاَ تَحْملْ علينا اصْرًا﴾ امرا يثقل علينا حمله ﴿كما حَمَلْتَهُ عَلى الَّذِينَ منْ قَبْلِنَا﴾ اى بنى اسرائيل من قتل النفس فى التّوبة وقطع موضع النّجاسة وخمسين صلوة فى اليوم واللّيل وصرف ربع المال فى الزّكوة وما اصابهم من المحن ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ﴾ قوّة ﴿لَنَا بِهِ﴾ من البلاء والتكاليف وفيه دليل على جواز تكليف ما لا يطاق ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ امح ذنوبنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ فى الرّحمة زيادة على المغفرة الّتى هى ستر الذنب ﴿أَنْتَ مَوْلاَنَا﴾ سيّد ومتولّى امرنا ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)﴾ باقامة الحجة والغلبة فى القتال فان من شأن المولى ان ينصر مواليه على الأعداء، فى الحديث لمّا نزلت هذه الآية قرأها ﷺ قيل له عقب كلّ كلمة قد فعلت، وعنه ﷺ من قراها فى ليلة كفتاه اى عن قيام اللّيل او مكروهما، ويضم اليهما ﴿لله ما فى السّموات﴾.

* * *

[1] - فتح الباري: ٢٤٩/٤

سورة آل عمران

مدنيّة وآيها مائتان أو إلاّ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ (١)﴾ الله اعلم بمراده بذلك ﴿اَللّٰهُ لاَ اِلَهَ اِلاَّ هُوَ الْحَیُّ الْقَیُّومُ (٢)﴾ وعنه ﷺ هذا اسم الله الأعظم ﴿الله لا اله الاّ هو الحيّ القيوم﴾ البقرة ﴿وعنت الوجوه للحيّ القيّوم﴾ طه ﴿نَزَّلَ عَلَیْكَ﴾ يا محمّد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن نجوما ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق فى اخباره ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَیْنَ یَدَیْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَاَنْزَلَ﴾ جملة ﴿التَّوْرَیةَ﴾ على موسى ﴿وَالْاِنْجِیلَ (٣)﴾ على عيسى اسمان اعجميّان لا مشتقّان من الوَرْى والنّجل كما توهّم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ اى قبل تنزيل القرآن ﴿هُدًى﴾ حال بمعنى هادى ﴿لِلنَّاسِ﴾ ممّن تبعهما ﴿وَاَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ اى جنس الكتب الفارقة بين الحقّ والباطل وذكره بعد الذكر الثلاثة ليعمّ ما عداها او القرآن كرّره بوصفه تمدّحا ﴿اِنَّ الَّذِینَ كَفَرُوا بِآیَاتِ اللّٰهِ﴾ من الكتب المنزلة وغيرها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِیدٌ وَاللّٰهُ عَزِیزٌ﴾ غالب لا يمنعه شيء من انجاز وعيده ووعده ﴿ذُو انْتِقَامٍ (٤)﴾ عقوبة ممّن عصاه لا يقدر على مثلها احد نزلت السّورة من اوّلها الى آية الملاعنة تقريرا لما اجاب به ﷺ عن احتجاج وفد نجران لمّا قدموا اليه ﷺ ودخل ثلثة من اكابرهم مسجده فادعوا تارة بانّ عيسى هو الله وتارة انّه ابن الله وتارة انّه ثالث ثلاثة واستدلوا على دعاويهم الثلثة بما يظهر بطلانه من هذه الآيات ﴿اِنَّ اللّٰهَ لاَ یَخْفَى عَلَیْهِ شَیْءٌ﴾ كائن ﴿فِی الْاَرْضِ وَلاَ فِی السَّمَاءِ (٥)﴾ لعلمه بما يقع فى العالم من كلىّ وجزئى خصّهما بالذكر لانّ الحسّ لا يتجاوزهما كالدّليل على حياته ﴿هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُكُمْ فِی الْاَرْحَامِ كَیْفَ یَشَاءُ﴾ من ذكورة وانوثة وبياض وسواد وغير ذلك كالدّليل على قيّوميّته ﴿لاَ اِلَهَ اِلاَّ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَكِیمُ (٦) هُوَ الَّذِی اَنْزَلَ عَلَیْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آیَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ احكمت عباراتها بان حفظت

عن الأحتمال فصارت واضحة الدّلالة ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ اصله فى الاعتماد تردّ اليها غيرها وافراد امّ بتأويل كلّ واحدة او لانّ الكلّ بمنزلة آية واحدة ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ محتملات لا يتضح مقصودها كاوائل السّور وغيرها ليزداد حرص العلماء على الاجتهاد فى تدبّرها وامّا جعل كلّه محكمات فى قوله: ﴿احكمت آياته﴾[1] فبمعنى انّه ليس فيه عيب ومتشابها فى قوله كتابا متشابها فبمعنى انّه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ميل عن الحقّ كالمبتدعة ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ﴾ اى يتعلّقون بظاهره او بتأويل باطل ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿الْفِتْنَةِ﴾ للجهال عن الدّين بوقوعهم فى الشبهات واللّبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ على ما يشتهونه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ الحقّ ﴿إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾ الثّابتون المتمكنون ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ فانّهم يعلموه حسبما وفّقهم الله ﴿يَقُولُونَ آمَنَّ بِهِ﴾ اى بالمتشابه والجملة استيناف لبيان حالهم او حال منهم او خبر ان جعلتهم مبتدأ لكن على هذا يفسّر المتشابه بما لا يعلمه الاّ الله كمدّة بقاء الدّنيا ووقت قيام السّاعة وخواص الأعداد كعدد الزّبانية وغير ذلك ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يتّعظ ﴿إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبَابِ (٧)﴾ ذوى العقول مدح للراسخين بجودة النّظر اعترض بين مقالتهم وجه ارتباط هذه الآية بقوله: ﴿يصوّركم فى الأرحام﴾[2] آه انّ هذه فى تصوير الرّوح بالعلم كما انّه فى تصوير الجسد ويقولون ايضا يا ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ عن الحقّ الى تأويل لا ترتضيه او الى اصل التّأويل ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ الى الحقّ واذ فى موضع الجر باضافة بعد وقيل بمعنى اَنْ ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تثبيتا او مغفرة للذّنوب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)﴾ لكل سُؤْلٍ بمحرد الفضل لا الوجوب ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ تجمعهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ اى لجزاء يوم ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ اى فى وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والجزاء نبّهوا بهذا الدّعاء على انّ همّهم امر الآخرة ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)﴾

---

[1] – سورة هود: ١

[2] – سورة آل عمران: ٦

موعوده ما لم يعف بكرمه فلا قطع فيه بوعيد الفسّاق امّا من تتمة قولهم ففيه التفات عن الخطاب او ابتداء كلام من الله عنه ﷺ ما اخاف على امّتى الاّ ثلث خلال وذكر منها انّه يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله وليس يعلم تأويله الاّ الله والرّاسخون فى العلم يقولون آه الحديث ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عام فى الكفرة او مختصّ بوفد نجران او اليهود او مشركوا العرب ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ اَمْوَالُهُمْ وَلاَ اَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللهِ﴾ اى من عذابه ﴿شَيْئًا وَاُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠)﴾ حطبها وقرأ بضم الواو اى اهل وقودها دأبهم ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ اى كعادته وشأنه والجملة استيناف ﴿وَ﴾ كدأب ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كعاد وثمود ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ حال باضمار قد او استيناف لبيان حالهم ﴿فَاَخَذَهُمُ اللهُ﴾ اهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى مشركى العرب ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ يوم بدر ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ فى الآخرة ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ فتدخلونها ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٢)﴾ الفراش هى استيناف وقيل نزلت الآية لمّا امر ﷺ اليهود بالاسلام حين رجع من بدر فقالوا لا يغرنّك ان قتلت نفرا من قريش اغمارا لا يعرفون القتال وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وغير ذلك ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا قريش او يا يهود ﴿آيَةٌ﴾ عبرة وذكر الفعل للفصل ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ﴿الْتَقَتَا﴾ كيوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ اى طاعته وهم النّبى واصحابه كانوا ثلثمأية وثلثة عشر رجلا معهم فرسان وست ادرع وثمانية سيوف واكثرهم رجالة ﴿وَاُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾ اى يرى الكفار المسلمين ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ اى مثلى عددهم وكانوا نحو الف او مثلى عدد المسلمين بعد الملاقات للنصرة وقبلها كانوا قليلا فى اعينهم حتى اجترؤا عليهم ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ رؤية ظاهرة معاينة فنصرهم الله مع قلّتهم ﴿وَاللهُ يُؤَيِّدُ﴾ يقوّى ﴿بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ نصره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقليل والتكثير او غلبة القليل ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة ﴿لأُولِي الأَبْصَارِ (١٣)﴾ لذوى البصائر افلا تعتبرون فتؤمنون ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ من الله ابتلاء او للسعادة الأخرويّة ان عمل فيها بما يرتضيه او من الشيطان فانّ الآية فى معرض الذمّ ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ اى

المشتهيات سمّاها بها مبالغة ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ﴾ جمع قنطار اى المال الكثير ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ المجتمعة مأخوذة منه للمبالغة ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلمة من السّومة اوالحسان ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ اى الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾ الزّرع ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَاعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ ثمّ يفنى ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)﴾ اى المرجع وهى الجنّة فينبغى الرّغبة فيه دون غيره ﴿قُلْ﴾ يامحمّد ﴿أَؤُنَبِّئُكُمْ﴾ اخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ﴾ المذكور من الشهوات استفهام تقرير ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ استيناف لبيان ما هوخير ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من مستقذرات النّساء ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ اى رضى كثير ﴿مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ عالم ﴿بِالْعِبَادِ (١٥)﴾ فيجازى كلاً بعمله ﴿الَّذِينَ﴾ بدل او نعت من للّذين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ﴾ على الطّاعة وعن المعصية نعت الّذين ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ فى الإيمان ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَالْمُنفِقِينَ﴾ المتصدقين ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله بنحو اللّهم اغفرلنا ﴿بِالْأَسْحَارِ (١٧)﴾ اواخر اللّيل خصّت بالذكر لانّ الدّعاء فيها اقرب الى الأجابة لمشقة مواظبتها للذة النّوم فيها وتوسيط الواو للدلالة على استقلال وكمال كلّ منها ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ بيّن لخلقه بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ﴾ اى معبود بحقّ فى الوجود ﴿إِلَّا هُوَ وَ﴾ شهد بذلك ﴿الْمَلَئِكَةُ﴾ باللأقرار ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالإيمان بها والاحتجاج عليها ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ مقيما للعدل فى تدبير مصنوعاته وانتصابه على الحال من الله او من هو والعامل معنى الجملة اى تفرّد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرّره للتّاكيد ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾ بدل من الضمير او صفة لفاعل شهد عنه ﷺ يجاء بصاحب هذه الآية يوم القيامة فيقول الله: «إن لعبدى عندى عهدا وانا احقّ من وفى بالعهد» فسنّ ان يقال هنا: وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله تعالى وديعة الى يوم الدّين ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ المرضىّ ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ هو ﴿الْإِسْلَامُ﴾ اى الشرع المبعوث به محمّد ﷺ المبنىّ على التّوحيد ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود

والنّصارى فى دين الاسلام إيمانا وكفرا ﴿إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بحقّية الامر ﴿بَغْيًا﴾ حسدا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لا لشبهة وخفاء فى الامر ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)﴾ اى المجازاة له ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ خاصمك الكفار فى الدّين بعد ما اقمت الحجج ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ اخلصت نفسى له عبّر عنها بالوجه لانّه اشرف الاعضاء الظّاهرة ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ عطف على التاء بلا تاكيد للفصل او مفعول معه ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنّصارى ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾ الّذين لا كتاب لهم كمشرك العرب ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ اى اسلموا وصورة الاستفهام لتعييرهم بالبلادة والعناد ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ من الضّلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾ اى تبليغ الرّسالة وقد بلغت ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)﴾ فيحازيهم وهذا قبل الامر بالقتال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ اى بالعدل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ وهم اليهود قتل اوّلوهم ثلاثة واربعون نبيّا فنهاهم مأية وسبعون من عبّادهم فقتلوهم من يومهم ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١)﴾ فى ذكر البشارة تهكّم بهم على سبيل الاستعارة دخلت الفاء فى خبر انّ لتضمّن اسمها معنى الشرط ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها لعدم شرطها وهو الإيمان ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢)﴾ تقيهم العذاب ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ التّنوين للتعظيم او التحقير ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ التّورية ﴿يُدْعَوْنَ﴾ حال ﴿إِلَى كِتَابِ اللهِ﴾ القرآن او التّورية لما روى انّه ﷺ دخل مدارسهم فسألوه عن دينه فقال انا على دين ابراهيم فقالوا: انّه كان يهوديّا فقال ﷺ: هلمّوا الى التّورية فأبوا فنزلت وقيل زنا منهم اثنان فتحاكموا اليه ﷺ فحكم بالرّجم فابوا فجىء بالتّورية فوجد فيها فرجما فغضبوا ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين الدّاعى ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ ثم لاستبعاد تولّيهم ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)﴾ اى عادتهم الأعراض حال من فريق ﴿ذَلِكَ﴾ التولّى والاعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ اى بسبب تسليتهم امر العقاب على

انفسهم ﴿وغرّهم فى دينهم﴾ متعلّق بقوله ﴿ما كانوا يفترون (٢٤)﴾ من ﴿لن تمسّنا﴾ آه او غير ذلك ﴿فكيف﴾ حالهم ﴿اذا جمعناهم ليوم﴾ اى لحسابه ﴿لا ريب فيه﴾ فى الحديث: «اوّل من يفضح يوم القيامة اليهود ويصار بهم الى النّار» ﴿ووفّيت كلّ نفس﴾ من اهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿ما كسبت﴾ عملت من خير او شرّ ﴿وهم﴾ اى النّاس الدّال عليهم كلّ نفس ﴿لا يظلمون (٢٥)﴾ بنقص حسنة او زيادة سيّئة ونزل لمّا وعد ﷺ امّته ملك فارس والرّوم لِمَا اضاء له قصورهم حين حفر الخندق بكلّ ضربة ضرب الصّخرة فيه بالمعوال فقال المنافقون هيهات ﴿قل اللّهمّ﴾ يا الله ﴿مالك الملك﴾ نداء ثان او صفة ﴿تؤتى﴾ تعطى ﴿الملك من تشاء﴾ من خلقك ﴿وتنزع الملك ممّن تشاء﴾ الملك الاوّل عام والأخيران بعضان منه ﴿وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء﴾ فى الدّارين بالتّوفيق والخذلان او فى الدّنيا بهما او بأتيان الملك ونزعه ﴿بيدك الخير﴾ والشر لكن خصّه لرياعة الأدب ﴿إنّك على كلّ شىء قدير (٢٦) تولج﴾ تدخل ﴿اللّيل فى النّهار وتولج النّهار فى اللّيل﴾ بايراد احدهما عقيب الآخر بلا فصل كانه يدخله فيه او بالزّيادة والنّقصان لكن لا فى خطّ الاستواء ﴿وتخرج الحىّ من الميّت﴾ كالانسان والطير من النّطفة والبيضة ﴿وتخرج الميّت﴾ كالنطفة والبيضة ﴿من الحىّ وترزق من تشاء بغير حساب (٢٧)﴾ اى رزقا واسعا من غير خوف نفاد او فضل عن حاجة المرزوق ﴿لا يتّخذ المؤمنون الكافرين اولياء﴾ نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية او عن الاستعانة بهم فى الأمور الدنيوية ﴿من دون﴾ غير ﴿المؤمنين﴾ لانّ موالاتهم تكفى عن موالات اولئك ﴿ومن يفعل ذلك﴾ اى يواليهم ﴿فليس من﴾ ولاية ﴿الله فى شىء﴾ يعد من الولاية ﴿إلّا أن تتّقوا منهم تقاة﴾ مصدر تقيته اى تخافوا منهم مخافة فلكم موالاتهم باللّسان دون القلب وهذا قبل عزّة الاسلام ويجرى فى بلد ليس قويّا فيها ﴿ويحذّركم﴾ يخوفكم ﴿الله نفسه﴾ بالغضب ان واليتموهم ﴿وإلى الله المصير (٢٨)﴾ المرجع فيجازيكم ﴿قل إن تخفوا ما فى صدوركم﴾ من موالاتهم وغيرها ﴿او تبدوه﴾ تظهروه ﴿يعلمه الله﴾ يعنى يستوى عنده المخفى والمبدى فلا

يرد انّ معرفة المخفى تستلزم معرفة المبدى بطريق اولى فلاحاجة الى ذكره ﴿وَ﴾ هو ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فيعلم سركم وعلنكم ﴿وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)﴾ ومنه تعذيب من والاهم اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ لَوْاَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ﴾ فح تجد مقصور على ما عملت من خير ﴿اَمَدًا بَعِيدًا﴾ غاية فى نهاية البعد فلا يصل اليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ﴾ كرّره للتأكيد ﴿وَاللّٰهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠)﴾ فنهى كم وحذّركم رأفة بكم ونزل لمآ قال اليهود نحن ابناء الله واحبائه او وفد نجران نحب المسيح حبّا لله او غيره نعبد الأصنام ليقرّبونا اليه ﴿قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مجزوم فى جواب الامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عمّا فرط منكم سمّاه محبّة استعارة او مقابلة ﴿وَاللّٰهُ غَفُورٌ﴾ لمن تبعنى ماسلف منه قبل ذلك ﴿رَحِيمٌ (٣١) قُلْ اَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَاِنْ تَوَلَّوْا﴾ ماض او مضارع بمعنى فان تتولّوا خطابا ﴿فَاِنَّ اللّٰهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)﴾ لا يرض عنهم بل يعاقبهم اقامة المظهر مقام المضمر للدّلالة على ان التولى كفر ولقصد العموم ﴿اِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰى﴾ اختار ﴿آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ اِبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)﴾ بالرّسالة والخصائص الروحانية والجسمانية لمآ اوجب الله طاعة الرسول ومتابعته وجعلها سببا لمحبته تعالى ايّاهم وعدمها سببا لسخطه اكّد ذلك بتعقيبه بما هو عادته تعالى من اصطفاء انبيائه وتذليل اعدائهم تخويفا للمعرضين عن متابعته ﷺ وخصّ آدم ونوحا والآلين بالذكر لانّهم الغالبون على الكلّ اذ ابراهيم مثلا لم يغلب بالكلية على العالم فآل الاوّل اسمعيل واسحاق واولادهما فدخل فيهم نبيّنا ﷺ وآل الثّانى موسى وهرون ابنا عمران الاوّل او عيسى وامّه مريم بنت عمران الثانى وكان بينهما الف وثمانمائة سنة ﴿ذُرِّيَّةً﴾ واحدة ﴿بَعْضُهَا﴾ متشعّب ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ منها والجملة صفة ذرّية وهى حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح ﴿وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)﴾ فيصطفى من يعجبه واذكر ﴿اِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾ الثانى وهى حنّة بنت فاقوذا جدة عيسى لمآ اسنّت واشتاقت

الولد حين رأت طائرا يطعم فرخه فدعت الله واحست الولد بالحمل يا ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ معتقا لخدمة بيتك المقدّس لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ ما نذرت ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للدّعاء ﴿الْعَلِيمُ (٣٥)﴾ بالنيات وهلك عمران وهى حامل ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ اى ما فى بطنها والتأنيث لانّه كان انثى فى الواقع وكانت ترجو ان يكون غلاما اذ لم يكن يحرّر الاّ الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ تحسرا وتحزّنا الى ربّها ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ حال من الضمير لان كونه عبارة عن انثى علم منه فالتقييد به ليس بمستدرك حتى يمنع كونه حالا ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ جملة اعتراضية من كلامه تعالى وفى قرائة بضم التاء على انّه من كلامها تسلية لنفسها ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الّذى طلبت ﴿كَالْأُنْثَى﴾ الّتى وهبت لانّه يعضّد للخدمة وهى لا تصلح لها لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ عطف على ما قبلها من مقالتها وما بينهما اعتراض ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا﴾ اجيرها ﴿بِكَ﴾ بحفظك ﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾ اولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)﴾ المطّرد فى الحديث: «ما من مولود يولد الاّ مسه الشيطان حين يولد فيستهلّ صارخا الاّ مريم وابنها فقد اجاب الله دعائها»[1] ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ من امّها مكان الذّكر ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ انشئها بخلق حسن فكانت تنبت فى اليوم كما ينبت المولود فى العام لمّا ولدت أتتها امها الى احبار بيت المقدس وقالت دونكم هذه النذرة فتنافسوا فيها لانّها كانت بنت امامهم فقال ذكريا انا احقّ بها لانّ خالتها عندى فقالوا لا حتى نقرع فانطلقوا الى نهر الأردون وهم تسعة وعشرون والقوا فيه اقلامهم اى سهامهم على انّ من ثبت قلمه فى الماء وصعد فهو اولى بها فثبت قلم زكريا فاخذها وبنى لها غرفة فى المسجد بسلّم لا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الشّتاء فى الصّيف و بالعكس كما قال تعالى ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بتشديد الفاء وقصر زكريا ومدّه اى جعله الله ضامنا لمصالحها. وفى قرائة بالتخفيف ومدّ زكرياء

[1] - صحيح مسلم: ٦١/١٢

فهو فاعل اى ضمها اليه ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ اى الغرفة وهى اشرف المجالس ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ كما ذكرنا مع انّه كان يغلق عليها سبعة ابواب جواب كلّما وناصب له ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ اَنّٰى﴾ من اين ﴿لَكِ هٰذَا﴾ الرّزق ﴿قَالَتْ﴾ وهى صغيرة كما تكلم ابنها صغيرا ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ﴾ يأتينى به من الجنّة ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾ بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا ﴿هُنَالِكَ﴾ اى حين رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله وتنبّه لوفور قدرة الله بكل شيء وكان اهل بيته قد انقرضوا فهنا مستعار للزمان ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ لمّا دخل المحراب للصّلوة جوف اللّيل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولدا صالحا كما وهبت لحنة العجوز العاقر ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)﴾ بجيبه ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلٰئِكَةُ﴾ اى جبرائيل ﴿وَ﴾ حال ﴿هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ صفة قائم ﴿أَنَّ﴾ بانّ وقرأت بالكسر على تقدير القول ﴿اللّٰهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيٰى مُصَدِّقًا﴾ حال مقدرة ﴿بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِنَ اللّٰهِ﴾ اى بعيسى انّه روح الله وسمّى كلمة لانّه خلق بكلمة كن دون اب ﴿وَسَيِّدًا﴾ يسود قومه ويفوقهم ﴿وَحَصُورًا﴾ منوعا عن الشهوات والملاهى ﴿وَنَبِيًّا مِنَ﴾ عداد ﴿الصّٰلِحِينَ (٣٩)﴾ فانّه ما همّ بمعصية قطّ وكان يدعوه الصّبيان فى صباه الى اللّعب فيقول ما خلقت له ﴿قَالَ رَبِّ أَنّٰى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ ولد فهو استفهام عن كيفية حدوثه رجاء ان يخبر انّه يجعل مع امرأته شابا ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ اى بلغت تسع وتسعين سنة ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ لا تلد من العقر اى القطع وكان لها ثمان وتسعون ﴿قَالَ كَذٰلِكَ﴾ اى مثل انشاء الغلام منكما ﴿اللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠)﴾ من العجائب او كذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر كذلك والله يفعل آه بيان له الهمه السؤال ليجيب بالقدرة الباهرة اظهارا لها ولمّا مالت نفسه الى سرعة المبشربه ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ اى علامة على الحمل لاستقباله بالشكر وتزول مشقة الأنتظار ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ عليه ﴿أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ اى تمتنع عن تكليمهم خاصة لتخلص للذكر والشكر ﴿ثَلٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ بلياليها ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ اشارة بنحو يد ورأس والاستثناء منقطع ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ

كثيرا﴾ فى ايّام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبيّن للغرض منه ﴿وسبّح﴾ صل ﴿بالعشىّ﴾ من الزّوال الى الغروب ﴿والأبكار (٤١)﴾ من طلوع الفجر الى الضّحى ﴿و﴾ اذكر ﴿إذ قالت الملئكة﴾ اى جبرائيل مشافهة كرامة لها ﴿يامريم﴾ ﴿إنّ الله اصطفئ﴾ بالقبول من امّك ولم تقبل قبلك انثى ﴿وطهّرك﴾ عن مستقذرات النساء ومسيس الرجال ﴿واصطفئ على نساء العلمين (٤٢)﴾ من زمانك هداية وكرامة وارسالا للرّسل اليك ﴿يا مريم اقنتى لربّك﴾ اطيعيه ﴿واسجدى واركعى مع الرّكعين (٤٣)﴾ اى صلّى مع المصلّين قدّم السّجود لكونه كذلك فى شريعتهم او للتّنبيه على انّ الواو لا يوجب التّرتيب وصوها الملائكة بهذه لئلاّ تغتر بما مدحوها به فلا تقبل على الطّاعة ﴿ذلك﴾ المذكور من القصص ﴿من أنباء الغيب﴾ اخبار ما غاب عنك ﴿نوحيه إليك﴾ يا محمّد ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم﴾ اى سهامهم فى الماء يقترعون ليظهر لهم ﴿أيّهم يكفل﴾ يربّى ﴿مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون (٤٤)﴾ فى كفالتها فتعرف ذلك فتخبربه وانّما عرفته من جانب الوحى ﴿إذ قالت الملئكة﴾ بدل من اذ قالت الأولى وما بينهما اعتراض ﴿يا مريم إنّ الله يبشّرك بكلمة منه﴾ اى بمولود ﴿اسمه المسيح﴾ لقب مشرّف كالصّديق واصله بالعبرية منسيحا اى المبارك وليس مشتقا من المسح لانّه مسح بالبركة او مسح الأرض اى قطعها ولم يقم فى موضع لانّه تكلّف بلا طائل وكذلك اشتقاق ﴿عيسى﴾ معرّب ايشوع من العيس وهو بياض تعلوه حمرة ﴿ابن مريم﴾ الثلاثة خبر اسمه وانّما قال ابن مريم والخطاب لها لانّه فى قوّة ابن عابدة ﴿وجيها﴾ ذا جاه حال مقدّرة من كلمة ﴿فى الدّنيا﴾ بالنّبوة ﴿والآخرة﴾ بالشفاعة والدّرجات العلى ﴿ومن المقرّبين (٤٥)﴾ من الله ﴿ويكلّم النّاس فى المهد﴾ اى طفلا قبل وقت الكلام ﴿وكهلا﴾ اى ذا ثلثين الى اربعين يعنى يتكلّم فى هذين الحالين كلام الأنبياء بلا تفاوة ﴿ومن الصّلحين (٤٦)﴾ حال ثالث من كلمة او ضميرها الّذى فى يكلّم ﴿قالت ربّ انّى﴾ كيف ﴿يكون لى ولدولم يمسسنى بشر﴾ تعجّبا واستبعادا عادة

﴿قَالَ﴾ جبرائيل ﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ قد مرّ مثله[1] ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧)﴾ فيقدر على الخلق بلا اسباب ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ اى صنعة الكتابة ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ حتى يعلو الحكماء كلّهم مع كمال مهارتهم فى زمانه ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٤٨)﴾ ويقول ارسلت ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي﴾ بانّى ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ دالة على صدقى او عطف على الأحوال المتقدّمة مضمنا معنى النّطق كانّه قال وناطقا بانّى قد آه هى ﴿أَنِّي﴾ او بدل من انّى قد آه او من آية وفى قرائة بكسر انّى استينافا ﴿أَخْلُقُ﴾ اصوّر ﴿لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثل صورته فالكاف اسم مفعول لأخلق ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ حيّا طائرا ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بامره نبّه على ان احيائه من الله لا منه فخلق لهم الخفاش بطلبهم ذلك لانّه اكمل الطّير خلقا فكان يطير وهم ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميّتا تميزا لفعل الخلق عن فعله تعالى ﴿وَأُبْرِئُ﴾ اشفى ﴿الْأَكْمَهَ﴾ الّذى ولد اعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ خصّا لانّهما داآ عياء قيل ابرأ فى يوم خمسين الفا ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ فاحيى عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم وسام بن نوح ومات فى الحال ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ كرّره دفعا لوهم الألوهيّة ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾ تخبؤن ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ فكان يخبر الشّخص بما اكل وما سيأكل ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَ﴾ جئتكم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ عطف على مصدقا ﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فى شريعة موسى من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الأبل والعمل فى السّبت ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كرره تاكيدا وليبنى عليه ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠)﴾ فيما ادعوكم اليه واشار الى دعوته بمجملا بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا﴾ اى الّذى ادعوكم اليه ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١)﴾ فكذّبوه ولم يؤمنوا به ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وارادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي﴾ اعوانى ذاهبا ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لأنْصُرَ دِينَهُ ﴿قَالَ

[1] ـ سورة آل عمران: ٥

الْحَوارِيُّون﴾ وهم اصفياء عيسى اوّل من آمن به وكانوا اثنى عشر من الحور وهو البياض لانّهم كانوا يلبسون البيض وقيل كانوا قصّارين يحورون الثياب اى يبيّضونها ﴿نَحْنُ أَنْصارُ اللهِ﴾ اعوان دينه ﴿آمَنّا بِاللهِ وَاشْهَدْ﴾ يا عيسى يوم القيامة حين تشهد الرّسل لامتهم وعليهم ﴿بِأَنّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنا آمَنّا بِما أَنْزَلْتَ﴾ من الأنجيل ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ (٥٣)﴾ لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق قال تعالى ﴿وَمَكَرُوا﴾ اليهود التى احس منهم الكفر بان وكّلوا عليه من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ اللهُ﴾ بهم بان رفع عيسى والقى شبهه على من قصد قتله فقتل واطلاق المكر عليه تعالى على سبيل المشاكلة ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (٥٤)﴾ اعلمهم بهم اذكر ﴿إِذْ قالَ اللهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ اى قابضك من الأرض او مميتك عن الشهوات المانعة عن العروج الى عالم الملكوت ﴿وَرافِعُكَ إِلَيَّ﴾ مقر ملائكتى بلا موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من سوء جوارهم ﴿وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ صدّقوا بنبوّتك من المسلمين والنّصارى ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف ﴿إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ وقد فعل اذ لم يسمع الى الآن غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ كلّكم ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)﴾ من امر الدّين ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيا﴾ بالقتل والسبى ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنّار ﴿وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء وجاء النّون ﴿أُجُورَهُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ (٥٧) ذلِكَ﴾ المذكور من امر عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره ﴿نَتْلُوهُ﴾ نقصّه ﴿عَلَيْكَ مِنَ الْآياتِ﴾ حال من الهاء ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨)﴾ المحكم اى القرآن ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ﴾ اى شانه الغريب ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ كشان آدم فى خلقه من غير اب كما خلق آدم من التّراب من غير اب وام شبه الغريب بالأغرب فيكون اقطع للخصم واوقع فى النفس ﴿خَلَقَهُ﴾ اى قالب آدم ﴿مِنْ تُرابٍ﴾ والجملة مفسّرة للتمثيل ووجه الشبه الغرابة والمشبه به اتم ﴿ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ﴾ بشرا ﴿فَيَكُونُ (٥٩)﴾ اى فكان فهو حكاية حال ماضية ﴿الْحَقُّ

مِنْ رَبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف اى امر عيسى ﴿فَلاَ تَكُنْ﴾ يا سامع ﴿مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠)﴾ الشاكين فيه ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ من النّصارى ﴿فِيهِ﴾ فى عيسى ﴿مِنْ بَعْدِ مَاجَائَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بامره ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ بالرأى والعزم ﴿نَدْعُ اَبْنَائَنَا وَاَبْنَائَكُمْ وَنِسَائَنَا وَنِسَائَكُمْ وَاَنْفُسَنَا وَاَنْفُسَكُمْ﴾ فنجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرّع فى الدّعاء والبهلة بالضم والفتح اللّعنة واصله الترك سمّى مبتهلا لانخلاعه عن جميع ما يشغل عن التّوجه التام الى جانبه تعالى ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)﴾ بان نقول: اللّهمّ العن الكاذب فى شأن عيسى دعى ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجّوه فيه فقالوا حتى ننظر فى امرنا ثم نأتيك فشاوروا العاقب وكان ذا رأيهم فقال لقد عرفتم نبوّته وانّه ما باهل قوم نبيّا الاّ هلكوا فودعوه واتوا اليه ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم ان دعوت فامنوا فابوا عن الملاعنة وصالحوه على الجزية فقال ﷺ: «لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاحترقوا» ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور من نباء عيسى ومريم ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ لا شكّ فيه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ﴾ زيدت من الاستغراقية تاكيدا للردّ على النّصارى فى تثليثهم ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢)﴾ لا يساويه احد فى القدرة التّامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الألوهيّة ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ اعرضوا عن التّوحيد ﴿فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣)﴾ فيجازيهم وضع الظاهر موضع المضمر للدّلالة على انّ الاعراض فساد للدّين والنفس والعالم ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنّصارى ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ اى مستو امرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هى ﴿أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد ﴿فَقُولُوا﴾ انتم لهم ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾ دونكم المراد انّا لا نتحاشى عن الاسلام ولا نبالى احدا فى هذا الامر فاشهدوا بانّا مسلمون ونزل لمّا قال اليهود ابراهيم يهوديّ ونحن على دينه وقالت النّصارى كذلك وترافعوا اليه ﷺ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بزعمكم انه على دينكم ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَيةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ الأولى بالف سنة والثّانى بثلثة آلاف

والدّينان حدثا بعد نزولهما فكيف يكون عليهما ﴿افلاَ تَعْقِلُونَ (٦٥)﴾ بطلان قولكم ﴿ها﴾ للتّنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هؤُلاءِ﴾ خبره ﴿حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ اى فيما وجدتموه فى التّورية والأنجيل عنادا والجملة مبيّنة للأولى الدّالة على حماقتهم ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ من دين ابراهيم ﴿واللهُ يَعْلَمُ﴾ دينه ﴿وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا﴾ تصريح بمقتضى ما قرّره من البرهان ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مايلا عن العقائد الباطلة ﴿مُسْلِمًا﴾ منقادا لله ﴿وَمَاكَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)﴾ تعريض بانّهم مشركون ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ اقربهم به من الولى وهو القرب ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ فى زمانه ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ محمّد ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من امّته لموافقتهم له فى اكثر شرعه فهم الّذين ينبغى ان يقولوا نحن على دينه لا انتم ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)﴾ ناصرهم وحافظهم ونزل لمّا ادعى اليهود معاذا وعمارا وحذيفة الى دينهم ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ ان ﴿يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ﴾ اى لا يعود اثمه الاّ عليهم فيضاعف عذابهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩)﴾ بذلك ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ بما نطق به كتاباكم من نبوّة محمّد ﷺ او بالقرآن ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠)﴾ تعترفون انّها آيات الله او تعلمون بانّه حقّ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ تخلطون ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بالتحريف والتّزوير ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نبوته ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)﴾ انّها حق ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود لبعضهم ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اى القرآن او الصّلوة الى الكعبة ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾ اوّله ﴿وَاكْفُرُوا﴾ به ﴿آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ﴾ المؤمنين ﴿يَرْجِعُونَ (٧٢)﴾ عن دينهم ظنّا بانّ رجوعكم لخلل علمتم فيه وقالوا ايضا ﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا﴾ تصدّقوا ﴿إِلاَّ لِمَنْ﴾ اللاّم زائدة ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمْ قُلْ﴾ لهم يامحمّد ان مكركم لا يعارض هدانا ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ﴾ وما عداه ضلال والجملة ليست اعتراضا ﴿أَنْ﴾ بان ﴿يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل فان مفعول تؤمنوا والمستثنى منه احد قدّم عليه المستثنى والمعنى لا تقرّوا بانّ احدا يؤتى ذلك الاّ من تبع دينكم ﴿أَوْ﴾ ان

﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ اى المؤمنون يغلبوكم ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة لانّكم اصح دينا ﴿قُلْ﴾ ردا لزعمهم ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ (٧٣)﴾ بمن هو اهله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ﴾ اى بمال كثير ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ كعبد الله بن سلام اودعه قريشىّ الفا ومأتى اوقية ذهبا فادّاه اليه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ كفِنحاص بن عازورا اودعه قريشى آخر دينارا فجحده ﴿إِلاَّ مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ لا تفارقه حتى تأخذه منه ﴿ذَلِكَ﴾ اى ترك الأداء المفهوم من لايؤده ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ بسبب قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي﴾ شأن ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ اى العرب التى ليست من ديننا ﴿سَبِيلٌ﴾ اى اثم وعتاب اى لنا ان نظلمهم ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ فى نسبة ذلك اليه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾ انّهم كاذبون ﴿بَلَى﴾ عليهم فيهم سبيل ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ الّذى عاهد الله عليه من اداء الأمانة وغيره ﴿وَاتَّقَى﴾ الله بترك المعاصى وعمل الطّاعات ﴿فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦)﴾ اى يثيبهم اقام المظهر مقام الضمير الرّاجع الى من المبتدأ والجملة مستأنفة مقرّرة للّتى سدّت بلى مسدّها ونزل فى اليهود لمّا بدلوا نعت النّبى ﷺ وحكم الأمانات وغيرها فى التّورية للرشوة او فى من حلف كاذبا فى دعوى او بيع سلعة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللهِ﴾ اليهم فى الإيمان بالنّبى واداء الأمانة ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ حلفهم به تعالى كاذبا ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ متاع الدّنيا ﴿أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ﴾ اصلا غضبا عليهم ﴿وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ برحمة ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يثنى عليهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)﴾ على ما فعلوه ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ اى اهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾ ككعب بن الاشرف ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ يفتلونها بقرائته عن المنزل الى ما حرّفوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ اى المحرف ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ المنزّل ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)﴾ ونزل ردّا على عبدة عيسى انّه امرنا ان نتخذه الها او لمّا طلب بعض المسلمين السّجود له عليه السلام فابى

﴿مَا كَانَ﴾ ينبغى ﴿لِبَشَرٍ اَنْ يُؤْتِيَهُ اللّٰهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ اى الفهم للشريعة ﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِى مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلٰكِنْ﴾ يقول ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ علماء عاملين منسوبين الى الرب بزيادة الألف والنّون تفخيما ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)﴾ اى بسبب ذلك فانّ فائدته المعرفة للعمل ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ اى البشر فهو بالنصب عطف على يقول وقرأ بالرفع على الاستيناف بل قيل هو الأولى ﴿اَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ اَرْبَابًا﴾ كما اتخذت الصّائبية الملائكة واليهود عزيرا والنّصارى عيسى ﴿اَيَأْمُرُكُمْ﴾ بشر ﴿بِالْكُفْرِ بَعْدَ اِذْ اَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠)﴾ اى لا ينبغى له هذا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿اِذْ اَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ عهدهم ﴿لَمَا﴾ بفتح اللاّم الموطئة للقسم المستفاد من اخذ الميثاق وما شرطيّة او موصولة ﴿آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ محمّد ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم ساد مسد جواب الشرط او الخبر واذا كان هذا حكم الأنبياء كان الامم به اولى ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿ءَاَقْرَرْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَاَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ اِصْرِى﴾ عهدى سمى به لانّه يؤصر اى يشد ﴿قَالُوا اَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ اى بعضكم على بعض بالأقرار ﴿وَاَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)﴾ على اقراركم ايضا وفيه تحذير عظيم ﴿فَمَنْ تَوَلّٰى بَعْدَ ذٰلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) اَفَغَيْرَ دِينِ اللّٰهِ يَبْغُونَ﴾ عطف على الجزاء المتقدم والهمزة متوسطة للأنكار او على محذوف اى ايفسقون فغير آه ﴿وَلَهُ اَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا﴾ طائعين بالنظر فى الحجج ﴿وَكَرْهًا﴾ اى كارهين بالسّيف ومعاينة ما يلجى اليه كَنَتْقِ الجبل وادراك الغرق وغيرهما ﴿وَاِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ﴾ يامحمّد ﴿آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا اُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا اُنْزِلَ عَلٰٓى اِبْرَاهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْاَسْبَاطِ وَمَا اُوتِىَ مُوسٰى وَعِيسٰى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ قدّم المنزّل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه او للأجلال ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤)﴾ مخلصون فى العبادة او منقادين ونزل فيمن ارتدّ ولحق بالكفار ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ

غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾ لمصيره الى النّار المؤبدة عليه ﴿كَيْفَ﴾ نفى وانكار اى لا ﴿يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ اى وشهادتهم او حال من فاعل كفروا ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ على صدق النبى ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦)﴾ ظلم ارتداد او كفر تعليل لما ذكر من عدم هداية الله المرتد ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا﴾ فى اللّعنة او فى تلك المجازات ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨)﴾ يمهلون ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الأرتداد ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩)﴾ يتفضل عليه نزلت فى الحارث بن سويد حين ندم على ردته فبعث هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة وتاب ونزل فى اليهود ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمّد ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ اذا غرغروا او ماتوا كفارا ولا يتوبون كنّى عن عدمها بعدم قبولها ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَ﴾ حال ﴿هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ﴾ مقدار ما يملأها ﴿ذَهَبًا﴾ تميز لمآ كان الموت على الكفر سببا لأمتناع القبول ادخل الفاء على خبر انّ للاشعار به ﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ الباء بمعنى مع اى مع ملأ الأرض او محمول على المعنى كانّه قيل فلن تقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملأ الارض ذهبا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ﴾ مزيدة للاستغراق ﴿نَاصِرِينَ (٩١)﴾ فى دفعه ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ اى ثوابه وهو الرّضى والجنّة بيّن كيفية الإنفاق الذى ينتفع به المؤمن فى الآخرة بعد ما بيّن ان الإنفاق لا ينفع الكافر ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ اى من المال او ما يعمّه وغيره كبذل الجاه فى معاونة النّاس والبدن فى الطّاعة ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ محبوب او غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)﴾ فيجازيكم بحسبه ونزل لمآ قال اليهود انّك على ملّة ابراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ حلالا وهو مصدر نعت به وكذلك يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَى

نفْسه﴾ وهو الأبل لما حصل به عرق النسا بالفتح والقصر فنذر ان شفى لا ياكلها فحرّم عليهم ﴿مِنْ قَبْلِ انْ تُنَزَّل التَّوْرِيةُ﴾ متعلّق بمحذوف اى كان حلاً من قبل ان تنزّل التورية مشتملة على تحريم ما حرّم عليهم لظلمهم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرِية فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِين (٩٣)﴾ فيما قلتم من شان ابراهيم فبهتوا ولم يأتوا بها قال تعالى ﴿فَمنِ افْتَرى على اللهِ الكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ اى ظهور الحجة بانّ التحريم انّما كان من جهة يعقوب وظلما عليهم لا على عهد ابراهيم ﴿فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤)﴾ المتجاوزون الحقّ الى الباطل ﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ﴾ فيما انزل وانتم الكاذبون ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ﴾ اى ملّة الاسلام الّتى هى مثل ملّة ابراهيم فعبر عنها بملّة ابراهيم لكمال المشابهة حتى تتخلّصوا من اليهوديّة المحرّمة عليكم طيبات احلت لابراهيم ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥)﴾ ونزل لمّا قالوا قبلتنا قبل قبلتكم ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ من جهة الله متعبّدا ﴿لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ بالباء لغة فى مكّة سميّت بذلك لانّها تبكّ اعناق الجبابرة اى تدقها بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى وبينهما اربعون سنة كما فى حديث الصّحيحين. وفى حديث: «انه اوّل ما ظهر على وجه الأرض عند خلق السّموات والأرض زبدة بيضاء فدُحيت الأرض من تحته» ﴿مُبَارَكًا﴾ اى ذا بركة وخير كثير لمن اتاه حال من المستكن فى الظّرف ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦)﴾ لانّه قبلتهم ولانّ فيه آيات عجيبة كما قال ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ منها ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ اى حجر الّذى قام عليه عند بناء البيت فغاص فيه قدماه الى الكعبين ومنها تضعيف الحسنات فيه وانّ الطّير لايعلوه ولا يتعرّض ضوار اى السّباع صيده وانّه قهر كلّ جبّار قصده بسوء كاصحاب الفيل ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ فى الدّنيا من كل سوء وفى الآخرة من العذاب عطف على مقام ابراهيم بتقدير مضاف اى ووعد من دخله كان آمنا ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ وجوبا بكسر الحاء وفتحها لغتان فى مصدر حجّ اى قصد وابدل من النّاس قوله ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ﴾ اى الى البيت ﴿سَبِيلًا﴾ طريقا وكلّ ما يؤتى به الى الشيء فهو سبيله فسّره صلّى الله عليه وسلّم بالزاد والمراحلة ﴿وَمَنْ

كَفَرَ﴾ اى لم يحج وضعه موضعه تاكيدا لوجوبه ﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)﴾ اى عن عبادتهم كلّهم فيه دلالة على المقت والخذلان ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ خصّوا بالخطاب للدلالة على انّ كفرهم اقبح ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ القرآن الدّال على وجوب الحج وغيره ﴿وَ﴾ حال ﴿اللهُ شَهِيدٌ﴾ مطّلع ﴿عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨)﴾ فيجازيكم عليه ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ اى دينه ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بتكذيبكم النبى وكتم نعته او التحارش بين المؤمنين كرّر الامر والنّداء والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم واشعارا بانّ كلّ واحد من الأمرين مستقبح مستجلب للعذاب ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ حال من الواو اى باغين طالبين لها اعوجاجا بما ذكر من قبائحكم ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ عالمون انّها سبيل الله والصد عنها ضلال ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)﴾ وانّما يؤخركم الى وقتكم ونزل لمّا مر بعض اليهود على الأوس والخزرج فغاظه تألّفهم فذكرهم بماكان بينهم فى الجاهلية من الفتن فتنازعوا وكادوا يقتتلون لولا النّبى ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ استفهام انكار وتعجيب لكفرهم فى حال اجتماع ما يصدهم عنه ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ﴾ اى يتمسك بدينه او يلتجى اليه فى اموره ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى الواجبات والأجتناب عن المحرّمات فهو كقوله: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[1] وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى فعلى هذا هى منسوخة بالقول المذكور للخروج عن طاقة البشر ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ النّهى راجع الى القيد هنا اى لا تموتنّ على غير حال الاسلام ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ تمسّكوا ﴿بِحَبْلِ اللهِ﴾ اى دينه او قرآنه على سبيل الاستعارة بعلاقة انّ كلا منهما سبب النجاة من العقاب كما انّ الحبل سبب السلامة

[1] – التغابن: ١٦

عن التّردى ﴿جميعا﴾ مجتمعين عليه ﴿ولا تفرّقوا﴾ عن الحقّ بوقوع الاختلاف بينكم ﴿واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء﴾ فى الجاهلية ﴿فألف بين قلوبكم﴾ بالاسلام ﴿فأصبحتم﴾ اى صرتم ﴿بنعمته اخوانا﴾ متحابّين مجتمعين على الأخوة فى الله وقيل الخطاب لاوس والخزرج كانا اخوين لاب وقع بين اولادهما العداوة مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله بالاسلام والّف بين قلوبهم برسوله ﷺ ﴿وكنتم على شفا﴾ طرف ﴿حفرة من النّار﴾ ليس بينكم وبين الوقوع فيها الاّ ان تموتوا كفّارا ﴿فانقذكم منها﴾ اى من الحفرة او النّار بالاسلام ﴿كذلك﴾ مثل ما بيّن لكم ماذكر ﴿يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون (١٠٣)﴾ ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ﴿ولتكن منكم امّة يدعون الى الخير﴾ اى يبلّغون احكام الله ويعلّمونها ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ اى يكلّفونهم بهذين فلا يكون تعميما بعد تخصيص ﴿وأولئك﴾ الدّاعون الآمرون النّاهون ﴿هم المفلحون (١٠٤)﴾ الفائزون ومن للتبعيض لانّ ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كلّ الأمة ولا يليق بكلّ احد كالجاهل بالاحكام وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها لكنّ العاصى يجب عليه النّهى عما يرتكبه لانّه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر وانّما خاطب الكلّ وطلب فعل البعض للدّلالة على الوجوب على الكلّ مع السقوط بفعل بعض كما هو شأن فروض الكفايات وقيل من زائدة او للتّبيين اى كونوا امّة ﴿ولا تكونوا﴾ فى ترك الامر والنّهى ﴿كالّذين تفرّقوا﴾ عن دينهم ﴿واختلفوا﴾ فيه اصولا وفروعا ﴿من بعد ما جاءهم البيّنات﴾ وهم اليهود والنّصارى تفرّقوا ولم تبق كلمتهم واحدة بسبب الترك المذكور ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥)﴾ وعيد لهم وتهديد على التّشبه بهم ونصب بما فى لهم من معنى الفعل او بالعظيم قوله ﴿يوم تبيضّ وجوه وتسوّد وجوه﴾ كنايتان عن ظهور بهجة السّرور وكآبة الخوف فيه وقيل علامة اهل الحقّ بياض الوجه والصّحيفة واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبإيمانه واهل الباطل باضداد ذلك ﴿فأمّا الّذين اسودّت وجوههم﴾ وهم الكفّار فيلقون فى النّار ويقال لهم توبيخا ﴿أكفرتم

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعد اخذ الميثاق يوم السّبت ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم المؤمنون ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ اى جنته من ذكر الحال وارادة المحلّ تنبيها على عدم استحقاق الجنّة الاّ برحمته وفضله اخّرهم ليكون مطلع الآية ومقطعها حليتهم وثوابهم ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾ اخرجه مخرج الاستيناف للتاكيد او خبر بعد خبر لامّا الَّذين ﴿تِلْكَ﴾ اى هذه الآيات ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمّد ملتبسة ﴿بِالْحَقِّ﴾ لا شبهة فيها ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨)﴾ بان ياخذهم بغير جرم ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا فيقدر على اجراء وعده ووعيده ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩) كُنْتُمْ﴾ يا امّة محمّد فى علم الله او فى اللّوح ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ اظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ صفة ثانية للامّة والمراد تفضيلهم على امم موصوفين بهذه الصفات او خبر ثان لكنتم ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ وبكل ما يجب ان يؤمن بطريق اولى اذ لا اعتداد بذاك دون هذا اخّر الإيمان للدلالة على انّ الاوّلين بسببه ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ ممّا هم عليه ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام واصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾ الكافرون هذه الجملة وما بعدها الى وكانوا يعتدون اعتراض ولذلك لم يعطفا على ولو آمن المعطوف على كنتم آه ويجوز ان يكونا مرتبطين بقوله ولو آمن مبيّنين له ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى﴾ اى ضررا يسيرا كطعن وتهديد ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين فلا يضروكم بقتل واسر ﴿ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ (١١١)﴾ عليكم بل لكم النّصر عليهم وثم للترتيب بين التّولّى حين المقاتلة وبين عدم النّصرة اى ثم هم بعد مدّة يعجزون عن المقاتلة ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ هدر النفس والمال والأهل ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾ وجدوا فلا عزّ لهم ولا اعتصام ﴿إِلاَّ﴾ ملتبسين ﴿بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ اى المؤمنين والحبلان واحد اى العهد اليهم بالأمان على اداء الجزية اى لا عصمة لهم غير ذلك ﴿وَبَاؤُ﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ﴾ المذكور من الأمور ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ اى بسبب انّهم ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

ويقتلون الانبياء بغير حقّ ذلك﴾ تأكيد ﴿بما عصوا﴾ امر الله ﴿وكانوا يعتدون (١١٢)﴾ يتجاوزون الى الحرام وقد مرّ لها تفسير آخر فى البقرة ﴿ليسوا﴾ اهل الكتاب ﴿سواء﴾ مستوين ﴿من اهل الكتاب أمّة قائمة﴾ مستقيمة ثابتة على الحقّ وهم الّذين اسلموا منهم استيناف لبيان نفى الاستواء ﴿يتلون آيات الله آناء اللّيل﴾ اى فى ساعاته ﴿وهم﴾ حال ﴿هم يسجدون (١١٣)﴾ يصلّون التهجّد ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات﴾ صفات أخر لامّة لم تكن فى اليهود ﴿وأولئك﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿من الصّالحين (١١٤)﴾ فاستحقوا رضى الله وثوابه ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين ﴿وما يفعلوا﴾ بالياء اى الأمّة القائمة وجاء بالتاء اى ايّها الأمّة ﴿من خير فلن يكفروه﴾ بالقرائتين عدى الى مفعولين لتضمّنه معنى احرم ـ ﴿والله عليم بالمتّقين (١١٥)﴾ ﴿إنّ الّذين كفروا لن تغنى﴾ تدفع ﴿عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ من عذابه ﴿شيئا﴾ خصّهما بالذكر لانّ الانسان يلتجى الى احدهما عند الشّدّة ﴿وأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون (١١٦) مثل ما ينفقون﴾ اى الكفّار قربة او مفاخرة او عداوة للنّبى ﷺ ﴿فى هذه الحيوة الدّنيا كمثل ريح فيها صرّ﴾ حرّ او برد شديد فهو فى الاصل مصدر نعت به ﴿أصابت حرث﴾ زرع ﴿قوم ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والمعاصى ﴿فأهلكته﴾ فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها هو من التّشبيه المركب ولذا لم يحتج الى دخول كلمة التشبيه على الحرث ﴿وما ظلمهم الله﴾ بضياع نفقاتهم ﴿ولكن أنفسهم يظلمون (١١٧)﴾ بالكفر الموجب لضياعها ﴿يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا بطانة﴾ اصفيا تطّلعونهم على اسراركم شبهوا ببطانة الثّوب كما شبّهوا بالشعار ﴿من دونكم﴾ اى غيركم من اليهود متعلّق بلا تتخذوا او صفة بطانة ﴿لا يألونكم خبالا﴾ لا يقصّرون لكم فى الفساد عدّى الألو الّذى بمعنى التقصير مع انّ اصله ان يتعدّى بالحرف الى مفعولين على تضمين معنى المنع او النقص ﴿ودّوا﴾ تمنّوا ﴿ما عنتّم﴾ اى عنتكم وهو شدّة الضّرر ﴿قد بدت﴾ ظهرت ﴿البغضاء﴾ العداوة لكم ﴿من أفواههم﴾

بالوقيعة فيكم واطلاع المشركين على سرّكم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)﴾ ذلك فلا توالوهم والجمل الاربع مستأنفات للتّعليل ﴿هَا﴾ للتّنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿أُولَاءِ﴾ المؤمنون ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لقرابتهم منكم وصداقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لمخالفتهم لكم فى الدّين والجملة مستأنفة ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ اى بجنس الكتاب كله حتّى بكتابهم ولا يؤمنون بكتابكم حال بتقدير المبتدأ اى انتم من لا يحبّونكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ نفاقا وتغريرا ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾ اطراف الأصابع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ اى لاحل شدة الغضب لما يرون من ايتلافكم يعبّر عن شدّة الغضب بعض الأنامل مجازا وان لم يكن ثمه عض ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ دعاء عليهم بدوام الغيظ حتى يهلكوا به او امر لكلّ مؤمن ان يخاطبهم خطاب الخصماء لانّه لا اقطع للمحبة من جراحة اللّسان ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩)﴾ فيخبر ما تخفونه فهو تعليل لموتهم بالغيظ ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةٌ﴾ نعمة كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تحزنهم ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجدب ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ الشرطية بيان لتناهى عداوتهم وما قبلها اعتراض ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على عداوتهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ موالاتهم وغيرها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ بفضل الله وحفظه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿مُحِيطٌ (١٢٠)﴾ عالم فيجازيكم ﴿وَ﴾ اذكر يا محمّد ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تنزّلهم ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ اماكن يقفون فيها له ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لاقوالكم ﴿عَلِيمٌ (١٢١)﴾ باحوالكم وهو يوم احد خرج ﷺ بالف او الاّ خمسين رجلا والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشّعب يوم السّبت سابع شوّال سنة ثلاث من الهجرة وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوّى صفوفهم واجلس جيشا من الرّماة فامّر عليهم عبد الله ابن جبير بسفح الجبل وقال انضحوا عنا بالنبل لا يؤتونا من ورائنا ولا تبرحوا غُلِبْنَا او نُصِرْنَا ﴿إِذْ هَمَّتْ﴾ متعلّق بقوله: ﴿سميع عليم﴾ او بدل من ﴿اذ غدوت﴾ ﴿طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ بنو سلمة من الخزرج وبنو الحارثة من الأوس وكانا جناحى العسكر ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾

تجبّنا وتضعّفا عن القتال لمّا رجع عبد الله ابن ابيّ المنافق واصحابه وقال عَلامَ نقتل انفسنا واولادنا وقال لعمر بن حزم الأنصارى لمّا تبعهم وقال لهم انشدكم الله فى نبيّكم وانفسكم لو نعلم قتالا لأتّبعناكم فثبّت الله الطّائفتين فلم ينصرفا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ناصرهما فما لهما يفشلان ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)﴾ لا على غيره ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ تذكير ببعض ما افادهم التّوكّل وهو موضع بين مكّة والمدينة ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقلّة العدد والسّلاح فانتم اليوم اولى بالنصر لشدّتكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى الثّبات ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)﴾ اى ينعم عليكم فتشكرون وضع الشكر موضع الانعام لانّه سببه ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ظرف لنصركم ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ﴾ اى يعينكم ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى﴾ يكفيكم ذلك وفى الأنفال بألف لانّه امدّهم اوّلا بها ثم صارت ثلثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على لقاء العدوّ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله فى المخالفة ﴿وَيَأْتُوكُمْ﴾ اى المشركون ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ﴾ اى حالهم ووقتهم ﴿هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥)﴾ اى معلمين من التّسويم الّذى هو اظهار سيما الشيء وقد صبروا فقاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر او بيض ارسلوها بين اكتافهم ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾ اى الأمداد ﴿اللَّهُ﴾ ﴿إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ بالنّصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)﴾ لا من الجند ﴿لِيَقْطَعَ﴾ اى ينقص متعلّق بنصركم ﴿طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والأسر فقتل سبعون واسر سبعون من صناديدهم يوم بدر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يخذيهم بالهزيمة واو للتّنويع ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ فيرجعوا ﴿خَائِبِينَ (١٢٧)﴾ لم ينالوا ما راموه ونزل لمّا كسر عتبة ابن وقّاص رباعيّته ﷺ وشجّ وجهه يوم احد فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا نبيّهم بالدّم ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بل الامر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾ بمعنى الى ان ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام فتسرّ به ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فتشتفى به ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)﴾ بالكفر فاستحقوا التّعذيب ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا فله الأمر

كلّه ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ صريح فى نفى وجوب التعذيب والتّقييد بالتّوبة وعدمها كالمنافى له ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢٩)﴾ لعباده فلا تبادر الى الدّعاء عليهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَوا اَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ اى لا تزيدوا زيادات مكرّرة فى المال والأجل حتّى تستغرقوا بالشيء القليل مال المديون ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ فيما نهاكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)﴾ راجين الفلاح ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١)﴾ بالذات وللعصاة بالعرض بالتحرز عن متابعتهم ﴿وَاَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾ لعلّ وعسى فى امثال هذا دليل عزّة التّوصل الى ما هو خير ﴿وَسَارِعُوا﴾ بادروا واقبلوا ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ اى كعرضهما لو وصلت احدهما بالأخرى والعرض السّعة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)﴾ فيه دليل على انّها مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ صفة مادحة للمتقين ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ اليسر والعسر ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ الكافين عن امضائه مع القدرة ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ اى التّاركين عقوبة من ظلمهم ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ بهذه الافعال اى يثيبهم ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ ذنبا قبيحا كالزّنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بما دونه كالقبلة او باىّ ذنب كان ﴿ذَكَرُوا اللهَ﴾ اى وعيده او ذاته ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ بالنّدم والتوبة ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفى واقع بين المعطوفين لوصفه تعالى بسعة الرّحمة اى لا ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ يديموا ﴿عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ بل يستغفرون عنه لقوله ﷺ: «ما اصرّ من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرّة»[1] ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)﴾ حال من فاعل لم يصرّوا اى لم يصرّوا على قبيح فعلهم عالمين به ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ جملة مستأنفة مبيّنة لما قبلها ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾ بالطاعة هذا الأجر ونزل فى هزيمة احد ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ طرائق فى الكفّار بأمهالهم ثم اخذهم ﴿فَسِيرُوا﴾ ايّها المؤمنون ﴿فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ

[1] - سنن الترمذي: ٤/٣١٠

الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧)﴾ آخر امرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فانا امهلهم لوقتهم ﴿هَذَا﴾ اى قد خلت او القرآن ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ كلّهم ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلاَ تَهِنُوا﴾ تضعفوا عن قتال الكفار بما اصابكم ﴿وَلا تَحْزَنُوا﴾ على من قتل منكم باحد ﴿وَ﴾ حال ﴿أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ بالغلبة عليهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ متعلّق بالنّهى اى لا تهنوا ان صحّ إيمانكم ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ﴾ اى اصابكم باحد ﴿قَرْحٌ﴾ بفتح القاف وضمّها جُهْد من جرح ونحوه ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ الكفّار ﴿قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ ببدر ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ مبتدأ خبره ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ نصرفها ونعاودها ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ يوما لفرقة ويوما لأخرى ليتعظوا ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اخلصوا فى إيمانهم من غيرهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يكرمهم بالشهادة يريد شهداء احد ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)﴾ الكافرين اى لا ينصرهم وانّما يغلّبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء لكم والجملة اعتراض ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اى يطهّرهم من الذّنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)﴾ اى يهلكهم بنصر المؤمنين عليهم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ اى بل احسبتم ومعناه الأنكار ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ اى لمّا تجاهدوا ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢)﴾ نصب باضمار ان على انّ الواو للجمع ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ الحرب فانّها من اسباب الموت فيه حذف احدى التّائين ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ حيث قلتم لعدم مشاهدتكم وقعة بدر ليت لنا يوما كيوم بدر ننال ما نال شهدائه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)﴾ ما وقع من قتل اخوانكم فلم انهزمتم ونزل فى الهزيمة لمّا شجّ وجه النبى فذبّ عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الرّاية حتّى قتله الشّاج فزعم انّه قتل النبى فشاع قتله ﷺ فقال المنافقون لو كان نبيّا لما قتل فارجعوا الى دين اخوانكم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ بالموت او القتل فسيخلو مثلهم ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ انكار لأرتدادهم وانقلابهم عن الدّين بخلوّه بموت او قتل بعد علمهم بخلوّ الرّسل قبله وبقاء دينهم متمسّكا به ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ﴾ بارتداده

﴿شَيْئًا﴾ بل يضرّ نفسه ﴿وَسَيَجْزِى اللّٰهُ الشّٰكِرِينَ (١٤٤)﴾ على نعمة الاسلام بالثبات عليه ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ اَنْ تَمُوتَ اِلاّٰ بِاِذْنِ اللّٰهِ﴾ بقضائه ﴿كِتَابًا﴾ مصدر مؤكّد اى كتب الله الموت كتابا ﴿مُؤَجَّلًا﴾ صفة له اى موقّتا لا يتقدّم ولا يتؤخّر فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحيوة ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ولا حظّ له فى الآخرة تعريض لمن اشتغل بالغنائم يوم احد حتّى غلبهم المشركون بعد ما غلبوا ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ اى من ثوابها ﴿وَسَنَجْزِى الشّٰكِرِينَ (١٤٥)﴾ نعمة الله الغير المشتغلين عن الجهاد ﴿وَكَاَيِّنْ﴾ بمعنى كم ونونها تنوين اثبت فى الخطّ على غير قياس ﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾ بيان له ﴿قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ علماء اتقياء او عابدون لربّهم فاعل قاتل او فاعله ضمير النبى ومعه ربيّون جملة اسمية حال منه ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ جبنوا ﴿لِمَا اَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ﴾ من الجزاء وقتل انبيائهم واصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد او فى الدّين ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ اى ماخضعوا لعدوّهم كما فعلتم حين قيل قتل النبى اصله استكن من السّكون والألف من اشباع الفتحة او استكون من الكون ﴿وَاللّٰهُ يُحِبُّ الصّٰبِرِينَ (١٤٦)﴾ فينصرهم ويعظّم قدرهم ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ عند قتل نبيّهم مع صبرهم وثباتهم بالنّصب خبر كان واسمها قوله ﴿اِلاّٰ اَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَاِسْرَافَنَا فِى اَمْرِنَا﴾ ايذانا بانّ ما اصابهم لسوء فعلهم وهضما لانفسهم ﴿وَثَبِّتْ اَقْدَامَنَا﴾ بالقوّة على الجهاد والثبات فى مواطن الحرب ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَاٰتٰهُمُ اللّٰهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النّصر والغنيمة وحسن الذّكر ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ اى الجنة والنّعيم وخصّ ثوابها بالحسن اشعارا بفضله ﴿وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما يأمرونكم به من الرّجوع الى دينهم كما امروكم يوم هزيمة احد ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى اَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللّٰهُ مَوْلاٰكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النّٰصِرِينَ (١٥٠)﴾ فاستغنوا به عن ولاية غيره ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمّها الخوف فرعبوا يوم احد وتركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان موعدنا موسم بدر

القابل ان شأت فقال ﷺ: «ان شاء الله» ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ﴾ اى بسبب اشراكهم به ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة على عباده وهو الأصنام ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الظَّالِمِينَ (١٥١)﴾ هى وضع الظّاهر موضع المضمر للتّغليظ والتّعليل ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ ايّاكم بالنّصر ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ اى تقتلونهم قبل ما خالف الرّماة من حسّه اى ابطل حسّه ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ اى ضعف رأيكم عن القتال ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ اى امر النّبى بالمقام فى سفح الجبل للرّمى فقال بعضهم نذهب فقد نصر اصحابنا وبعضهم لا نخالف امر النّبى فنفرتم الاّ اميركم فى نفر دون عشرة ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ بترك المركز ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ من الظفر والغنيمة وجواب اذا محذوف اى منعكم نصره ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ فتركوا المركز للغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فثبت به حتى قتل ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ بان انهزمتم عطف على جواب اذا المقدّر ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ تفضلا لمآ ندمتم على المخالفة ﴿وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)﴾ بالعفو اذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تذهبون فى الأرض هاربين ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ لا يقف احدكم لاحد ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَيكُمْ﴾ اى من ورائكم بقوله: الىّ عباد الله الىّ عباد الله من يكرّ فله الجنّة ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ عطف على صرفكم اى فجازاكم غمّ الهزيمة بسبب غمّكم الرّسول بالمخالفة ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا﴾ لكى تتمرّنوا على الصّبر فى الشّدائد فلا تحزنوا ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من النّفع ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من الضرّ فيما بعد ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ امنا ﴿نُعَاسًا﴾ بدل ﴿يَغْشَى﴾ النّعاس ﴿طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ وهم المؤمنون فكانوا يمتدّون تحت الحجف وتسقط سيوفهم من ايديهم ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ وهم المنافقون ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ اى حملتهم على الهمّ فلا رغبة لهم الاّ خلاصها فلم يناموا ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ﴾ ظنّا ﴿غَيْرَ﴾ الظنّ ﴿الْحَقِّ﴾ الّذى يحقّ ان يظنّ به ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ بدل عن غير الحقّ والجملة صفة اخرى لطائفة او حال او استيناف على وجه البيان لما قبله ﴿يَقُولُونَ﴾ للرّسول بدل

من يظنّون ﴿هَلْ﴾ ما ﴿لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ اى امر الله ووعده ايّانا من النصر والظفر ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ نصيب قطّ ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ اى القضاء له يفعل ما يشاء وهو اعتراض ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ حال من ضمير يقولون ﴿يَقُولُونَ﴾ اى فى انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استيناف على وجه البيان له ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ اى لو كان الأختيار الينا لم نخرج فلم نقتل لكن اخرجنا كرها ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كتب الله عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ﴾ قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم فيقتلوا ولم ينجيهم قعودهم لانّ قضاه تعالى كائن لا محالة ﴿وَ﴾ فعل ما فعل باحد ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾ يختبر ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من الاخلاص والنّفاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يكشفه ويميّزه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)﴾ بخفيّاتها قبل اظهارها لكن ابتلائه لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع الكافرين بأحد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ﴾ ازلّهم ﴿الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من الذّنوب بترك المركز والحرص على الغنيمة ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لتوبتهم واعتذارهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذّنوب ﴿حَلِيمٌ (١٥٥)﴾ لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى المنافقين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ اى فى شأن من يوافقهم نسبا او مذهبا ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ للتجارة او غيرها كالجهاد فماتوا ذكر اذا الاستقبالية حكاية للحال الماضية والاّ فالمناسب لقالوا اذ ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ جمع غاز فقتلوا ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ مقول قالوا ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ﴾ متعلّق بقالوا او لا تكونوا ﴿ذَلِكَ﴾ الأعتقاد المأخوذ من قولهم ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَ﴾ حال ﴿اللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ولا يجلبه سفر ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦)﴾ فلا تماثلوهم ﴿وَلَئِنْ﴾ اللاّم موطئة للقسم ﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ فى سبيله بضم الميم وكسرها من مات يموت ويمات ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كائنة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾

منه لكم على ذلك ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧)﴾ من الدّنيا ومنافعها والجملة جواب القسم ساد مسدّ جزاء إنْ ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ فى الجهاد او غيره ﴿لَإِلَى اللَّهِ﴾ لا غيره ﴿تُحْشَرُونَ (١٥٨)﴾ فيجازيكم كالجملة السّابقة فى الاعراب ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ اى فبرحمة وما زائدة للتاكيد ﴿مِنَ اللَّهِ لِنْتَ﴾ يا محمّد ﴿لَهُمْ﴾ اى سهلت اخلاقك لهم اذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ سيّئ الخلق حافيا ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قاسيه ﴿لَانْفَضُّوا﴾ تفرّقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فيما يختصّ بك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فيما لله ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ اى امر الحرب وغيره استظهارا برأيهم و تطييبا لقلوبهم وسنّة لأمّتك ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ اى وطّنت نفسك على شيء بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فى تيسير ما هو اصلح لك فانّه العالم به ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾ فيهديهم الى الصّلاح ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ كيوم احد او بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ يترك نصركم كيوم احد اوّل الامر ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ اى بعد خذلانه اى لا ينصركم احد ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠)﴾ ونزل لمّا فُقِدَتْ قطيفة حمراءَ يوم بدر فقال بعض المنافقين اخذها النّبى او لمّا ظنّ الرّماة منه ان لا يقسم معهم الغنائم فتركوا المركز للغنيمة ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ اى ما صحّ له ان يخون فى الغنائم فلا تظنّوا به ذلك ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حاملا له على عنقه او بوباله و اثمه ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ الغال و غيره جزاءَ ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١)﴾ لا المطيع بالنقص ولا العاصى بالزّيادة ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بالطاعة ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ لمعصيته ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢)﴾ هى المصير ما يجب ان يخالف الحالة الأولى بخلاف المرجع ﴿هُمْ﴾ ذوو ﴿دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ اى مختلفوا المنازل لتابع الرضوان الثّواب وللباء بسخط العقاب ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣)﴾ فيجازيهم على وفقها ﴿لَقَدْ مَنَّ﴾ انعم ﴿اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ خصّهم مع انّ نعمة البعثة عامّة لزيادة انتفاعهم بها ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ اى عربيا مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لا ملكا و لا عجميّا ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ القرآن بعد

جهلهم ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهّرهم من الذّنوب ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ اى القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ اى السّنة ﴿وَإِنْ﴾ مخفّفة من المثقّلة واللاّم هى الفارقة اى ان الشّأن ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بعثه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)﴾ بيّن ﴿أَ﴾ فعلتم كذا ﴿وَلَمَّا﴾ ظرف لقلتم الآتىّ ﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ باحد بقتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ اى والحال انكم نلتم مثليها يوم بدر بقتل سبعين واسر سبعين منهم ﴿قُلْتُمْ﴾ متعجّبين ﴿أَنَّى﴾ اى من اين لنا ﴿هَذَا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ لانّكم تركتم المركز فخذلتم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)﴾ ومنه النّصر ومنعه وقد جازاكم بمخالفتكم ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأحد ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بارادته ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ اى ليتميّزا ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ عطف على نافقوا ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اعدائه ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ عن القوم بتكثير السّواد فانّه يروّع العدوّ ان لم تقاتلوا ﴿قَالُوا﴾ استهزاء ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ لانخزالهم وكلامهم هذا فانّها مؤذنة بالكفر ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ بيان لحالهم مطلقا لا هذا اليوم فقط ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧)﴾ جملة حالية للتّنبيه على انّه لا ينفعهم النّفاق ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ بدل او نعة للّذين نافقوا ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ اى لاجل من قتل يوم احد من اقاربهم او جنسهم ﴿وَ﴾ قد ﴿قَعَدُوا﴾ عن الجهاد حال عن فاعل قالوا ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ فى القعود ﴿مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا﴾ ادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨)﴾ فى انكم تقدرون على دفع القتل وانّ القعود ينجى منه ونزل فى الشّهداء ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ اى ذوو قربى منه وقد مرّ بيان كيفية حياتهم فى البقرة ﴿يُرْزَقُونَ (١٦٩)﴾ من الجنّة تاكيد لكونهم احياء ﴿فَرِحِينَ﴾ حال من ضمير يرزقون ﴿بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من الفوز بالحياة الأبدية والقرب الى الله والتّمتع بالنّعيم ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يسرّون بالبشارة ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ من اخوانهم المؤمنين ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ زمانا او رتبة ﴿أَنْ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)﴾

بدل من الّذين والمعنى يستبشرون بأمنهم وفرحهم ايضا اذا ماتوا او قتلوا ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الاوّل بشارة بدفع الضرر وهذا بجلب النفع ﴿بِنِعْمَةٍ﴾ ثواب ﴿مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾ وزيادة عليه ﴿وَاَنَّ﴾ بالفتح عطفا على فضل وبالكسر استينافا دال على انّ ذلك اجر لهم وفيه بشارة عدم تضييع اجرهم ولا اجر اخوانهم ﴿اللهَ لاَ يُضِيعُ اَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ صفة المؤمنين او مبتدأ خبره للّذين الآتى ﴿لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ﴾ دعائه للخروج للقتال لما اراد ابو سفيان واصحابه الرّجوع بعد ما بلغ الى الرّوحاء فخرج ﷺ واصحابه الّذين شهدوا الحرب بالأمس حتى بلغوا حمراء الاسد فاذا ابوسفيان قد ذهب ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ باحد قبل يوم الخروج ﴿لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا اَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)﴾ الجنّة ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ خبره فانقلبوا الآتى ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ اى الرّكب الّذين استقبلهم من عبد قيس او نُعَيْم ابن مسعود الاشجعىّ ﴿اِنَّ النَّاسَ﴾ ابا سفيان واصحابه ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ الجموع ليستأصلوكم ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ ولا تخرجوا لمقاتلتهم كان ابوسفيان واعد النّبى ﷺ سوق بدر العام القابل من يوم احد فخرج من مكة حتى نزل من الظّهران فرعب فرجع ووعد الركب او النّعيم رشوة لأن يخوّفوا النّبى ﷺ واصحابه لئلاّ يذهبوا ففتر بعض وخرج ﷺ فى سبعين راكبا ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذلك القول او قائله ﴿اِيمَانًا﴾ تصديقا بالله ويقينا ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ﴾ اى كافينا امرهم ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)﴾ المفوض اليه الامر هو ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ عافية وثبات على الإيمان ﴿وَفَضْلٍ﴾ ربح فى التجارة فانّهم لمآ اتوا بدرا ولم يجدوا اباسفيان وافوا بها سوقا فاتّجروا وربحوا ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ من جرح وكيد عدوّ ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ﴾ بطاعته ورسوله فى الخروج ﴿وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤)﴾ على اهل طاعته وتسمّى هذه الغزوة غزوة بدر الصّغرى وما قبلها غزوة حمراء الاسد ومن لم يثبت غير الأولى اقتصر على القصّة الثّانية وجعل قوله تعالى: ﴿الّذين قال لهم النّاس﴾ آه بدلا او صفة من الّذين قبله ﴿اِنَّمَا ذٰلِكُمُ﴾ القائل انّ النّاس آه ﴿الشَّيْطَانُ﴾ خبر ذلكم وما بعده بيان شيطنة او صفة وما بعده خبر ﴿يُخَوِّفُ﴾ كم ﴿اَوْلِيَائَهُ﴾ الكفار الّذين هم ابوسفيان

واصحابه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ اولیائه ﴿وَخَافُونِ﴾ فجاهدوا مع رسولی ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾ فانّ الإیمان یقتضی اختیار خوف الله علی خوف النّاس ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ یقعون فیه سریعا حرصا علیه وهم المنافقون ای لا تهتمّ بکفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا﴾ اولیاء ﴿اللَّهَ شَيْئًا﴾ بل انفسهم فقط ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ نصیبا من الثّواب ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ یدلّ علی تمادی طُغْیانِهم ومدّتهم علی الکفر وفی ذلك الأرادة تصریح بانّ ارادته تعالی تتعلّق بالشّر ایضا ولا خارج عنها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦)﴾ فی النّار مع الحرمان عن الثواب ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)﴾ تکریر للتأکید او تعمیم للکفرة بعد تخصیص المنافقین ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي﴾ ای املائنا وامهالنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطویل الاعمار وتأخیرهم ﴿خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ وانّ مع ما بعدها سدّت مسدّ مفعولی لا یحسبنّ او مسدّ الثّانی بتقدیر مضاف ای اصحاب انّ الأملاء خیر لأنفسهم ان قرأ بالتّاء خطابا للرّسول او لکل من یحسب ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ الجملة استیناف وعلّة لما قبلها واللاّم لام الإرادة وعند المعتزلة لام العاقبة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨)﴾ عطف علی یزدادوا ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ یترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ﴾ ایّها المخلصون والمنافقون ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغیره ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾ یفصل ﴿الْخَبِيثَ﴾ المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المخلص بالتکالیف الشّاقة التی لایصبر علیها الاّ المخلصون ففعل ذلك یوم احد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ﴾ جمیعکم ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غیره ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ یختار ﴿مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فیطّلعه علی غیبه کما اطّلع النّبی ﷺ علی حال المنافقین فلا تطمعوا فی ذلك فتخالفوا رسله حسدا ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩) وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالتّاء والیاء ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ الضمیر مفعول اوّل باقامته مقام المنصوب او للفصل والمفعول الاوّل محذوف ای بخلهم علی قرائة الیاء والمفعول الاوّل الّذین یبخلون بتقدیر بخل الذین آه علی قرائة التّاء ﴿بَلْ هُوَ﴾ ای

البخل ﴿شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ﴾ اى بزكاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ بان يجعل حيّة فى عنقه تنهشه يوم القيامة كما ورد فى الحديث. والجملة بيان او بدل لما قبلها ﴿وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ﴾ اى له ما فيهما ممّا يتوارث فما لهم يبخلون عليه بماله ﴿وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ﴾ من المنع والأعطاء ﴿خَبِيرٌ (١٨٠)﴾ فيجازيكم ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِياءُ﴾ وهم اليهود قالوه لمّا نزل ﴿من ذا الّذى يقرض الله قرضا حسنا﴾[1] وقالوا لو كان غنيّا ما استقرضنا ﴿سَنَكْتُبُ ما قالُوا﴾ نأمر بكتبه فى صحائف اعمالهم ليجازوا به ﴿وَقَتْلَهُمُ﴾ بالنصب عطف على ما قالوا ﴿الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ فى الآخرة على لسان الملائكة انتقاما منهم ﴿ذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذلِكَ﴾ العذاب ﴿بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من قتل الأنبياء وغيره عبّر عن النّفس بالأيدى لانّ اكثر اعمالها بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ اى ذى اصل ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ (١٨٢)﴾ عطف على ما قدّمت ﴿الَّذِينَ قالُوا﴾ هم كعب بن الاشرف واضرابه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا﴾ فى التورية ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ وهذه المعجزة كانت لأنبياء بنى اسرائيل وهو ان يتقرّب بقربان فيقوم النّبى فيدعوا فتنزل نار سماوية فتأكله اى تحيله الى طبعها بالأحراق ان قبل والاّ بقى مكانه والمراد انّا لا نؤمن لك حتى تأتينا به وهذا من مفترياتهم لانّه لا يجب الإيمان الاّ لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شَرَع فى ذلك ﴿قُلْ﴾ تكذيبا وتوبيخا لهم ﴿قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّناتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ كزكريا ويحيى ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (١٨٣)﴾ فى انكم تؤمنون عند الأتيان به وانّه موجب للتصديق ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فلا تحزن ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جاؤُ بِالْبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ﴾ جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحِكَم من زبرت الشىء اذا احسنته ﴿وَالْكِتابِ﴾ وهو فى عرف القرآن ما يتضمّن الشّرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة القرآن ﴿الْمُنِيرِ (١٨٤)﴾ الواضح وهو التورية والأنجيل ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّما

[1] - سورة البقرة: ٢٤٥

﴿تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ جزاء اعمالكم خيرا كان او شرّا ﴿يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ﴾ بعّد ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ نال مراده ﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا﴾ اى لذّاتها ﴿إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)﴾ مصدر او جمع غار لكنّها لمن طلب بها الآخرة متاع بلاغ ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ والله لتختبرنّ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بتكليف الأنفاق والآفات ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالجهاد والعبادة والبلاء ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنّصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ من الثب والطّعن والتّشبيب بنسائكم ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصّبر والتّقوى ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦)﴾ من معزومات الأمور الّتى يجب العزم عليها ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اى العهد على العلماء فى التّورية ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ اى الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ﴾ اى طرحوا الميثاق ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ اخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من حطام الدّنيا من سفلتهم فكتموه خوف فواته عليهم ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)﴾ يختارون لانفسهم هذا عنه ﷺ: «مَنْ كتم علما من اهله الجم بلجام من نار»[1] ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ﴾ يا محمّد ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ مفعول اوّل ﴿بِمَا أَتَوْا﴾ فعلوا من اضلال النّاس ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من الوفاء بالميثاق والأخبار بالصدق ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ تاكيد ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ مفعول ثان للا تحسبنّ وامّا على قرائة الياء فالمفعولان محذوفان دلّ عليهما مفعولا فلا تحسبنّهم وهو بضم الباء حينئذ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)﴾ بكفرهم وتدليسهم ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو يملك امرهم ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩)﴾ فيقدّر على عقابتهم ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالتعاقب والزّيادة والنّقصان ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلائل واضحة على قدرته تعالى ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)﴾ لذوى العقول خصّ هذه الثلثة لانها تعمّ جميعهم. وعنه ﷺ: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر» ﴿الَّذِينَ﴾ صفة او بدل لاولى الألباب

[1] - المعجم الكبير للطبراني: ٩/٢١٩

﴿يذْكُرُون الله قيامًا﴾ قائمين ﴿وقُعُودًا﴾ قاعدين ﴿وعلى جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين اى يذكرونه فى كل حال. وعنه ﷺ: «من احبّ ان يرتع فى رياض الجنّة فليكثر ذكر الله»[1] وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث بحسب طاقتهم ﴿ويتفكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ والْأَرْضِ﴾ استدلالا على قدرته تعالى وهو افضل العبادات كقوله ﷺ: «لا عبادة كالتفكّر» لانّه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق قائلين ﴿ربَّنَا ما خَلَقْتَ هٰذَا﴾ الخلق الّذى نراه ﴿بَاطِلًا﴾ عبثا بلا حكمة بل دليلا يدلّ الأنسان على معرفتك وبحثّ على طاعتك لينال السّعادة الأبديّة فى جوارك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك من خلق الباطل اعتراض ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ للأخلال بالنّظر فيه والقيام بما يقتضيه متفرّع على التّنزيه ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ غاية الاخزاء ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ المدخلين وضع المظهر موضع المضمر للدّلالة على انّ ظلمهم سبب لادخالهم النّار وانقطاع النّصرة فى الخلاص ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أَنْصَارٍ (١٩٢)﴾ يدفعون عنهم العذاب قهرا فلا ينافى ثبوت الشّفاعة للعصاة ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ وهو الرّسول او القرآن اوقع الفعل عليه وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست فى ايقاعه على نفس المسموع ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ تعدّى باللاّم لتضمّنه معنى الاختصاص كما يتعدّى بالى لتضمّنه معنى الأنتهاء ومثله الدّعاء ونحوه ﴿أَنْ﴾ بان ﴿آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ امتثالا لأمره ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ﴾ حط ﴿عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ صغائرنا ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ كائنين ﴿مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣)﴾ فى وقت الموت حتّى يعينوننا فى حفظ الإيمان معدودين فى زمرتهم جمع بَرٍّ وهم الأنبياء والصّالحون ﴿رَبَّنَا﴾ تكريره للمبالغة فى التضرع ﴿وَآتِنَا﴾ اعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا عَلَى﴾ تصديق ﴿رُسُلِكَ﴾ من الثّواب وسؤاله لا لخوف اخلاف الوعد بل لمخالفة عدم الاستحقاق لسوء عاقبة او قصور فى الأمتثال ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ اى اعصمنا عمّا يقتضيه ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ باثابة المؤمن واجابة الدّاعى ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دعائهم ﴿أَنِّي﴾ بانّى ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ

[1] - المعجم الكبير للطبراني: ٧/٧٢

مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى﴾ بيان عامل ﴿بَعْضُكُمْ﴾ كائن ﴿مِنْ بَعْضٍ﴾ اى الذكر من الأناث وبالعكس جملة معترضة بيّن بها شركة النّساء مع الرّجال فيما وعد للعمّال نزلت لمّا قالت امّ سلمة يا رسول الله لا اسمع الله ذكر النّساء فى الهجرة بشيء ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الأوطان والعشائر للدّين مبتدأ تفصيل لأعمال العمّال وما اعدّلهم من الثواب على سبيل المدح ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ اى من اجل إيمانهم بى ﴿وَقَاتَلُوا﴾ الكفّار ﴿وَقُتِلُوا﴾ فى الجهاد والله ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ لامحونّ جواب قسم محذوف وهو مع جوابه خبر للمبتدأ ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ حال من جنّات ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فيه التفات عن التّكلم ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)﴾ الجزاء على الطّاعة ونزل لمّا قال المسلمون اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ الخطاب لكلّ احد ﴿تَقَلُّبُ﴾ تصرف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦)﴾ بالتجارة والكسب هو ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ بالنّسبة الى ما اعد الله للمؤمنين قال ﷺ: «ما الدّنيا فى الآخرة الاّ مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليمّ فلينظر بم يرجع»[1] ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧)﴾ الّذى مهّدوا لانفسهم ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ النّزل ما يعدّ للضّيف ونصبه على الحال من جنّات والعامل فيها معنى الظرف ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثّواب ﴿خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨)﴾ من متاع الدّنيا ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كعبد الله بن سلام واصحابه او النّجاشى لمّا نعاه جبرائيل الى الرّسول فخرج الى البقيع فصلى عليه ﴿لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ اى التّورية والأنجيل ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ حال من ضمير يؤمن وجمعه باعتبار المعنى كجمع اليهم ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كما يفعله المحرفون من احبارهم ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الموعود بقوله: ﴿اولئك يؤتون اجرهم مرّتين﴾ ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩)﴾ يحاسب الخلق فى قدر نصف نهار من ايّام الدّنيا وسرعته

---

[1] - صحيح مسلم: ١٤/١٤

تستدعى سرعة الجزاء ﴿ يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ على الطاعة والمصائب وعن المعاصى ﴿ ٱصْبِرُواْ ﴾ غالبوا الكفار فى الصبر على شدائد الحرب واعدا عدوّكم على مخالفة اهوى اتى به بعد الأمر بالصّبر مطلقا لشدته ﴿ وَصَابِرُواْ ﴾ انفسكم على الطّاعة والجهاد قال ﷺ: «من الرّباط انتظار الصّلوة بعد الصّلوة»[1] ﴿ وَرَابِطُواْ ﴾ فى جميع احوالكم بالتبرّى عما سواه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ غاية الفلاح الفوز بالجنّة او النّجاة من النّار.

* * *

[1] – تحفة الأحوذي: ٤/٣٤٢

سورة النساء

مدنيّة وهى مائة وخمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ بنى آدم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ﴾ عطف على خلقكم ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى ﴿وَبَثَّ﴾ فرّق ونشر ﴿مِنْهُمَا﴾ من آدم وحوّاء ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ كثيرة اكتفى بوصف الرّجال بالكثرة لاستلزامه كثرتهنّ بالطّريق الأولى لاقتضاء حكمته الجاعلةِ الرّجلَ الواحدَ كافيًا لحمل عدّة من النّساء ان يكنّ اكثر ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض اسألك بالله وانشدك به ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ بالنّصب عطف على محلّ الجار والمجرور فانّهم كانوا يتناشدون بالرّحم او على الله اى واتقوا الله فصلوها ولا تقطعوها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ حافظا مطّلعا ونزل فى يتيم طلب ماله من عمّه بعد البلوغ فمنعه ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ جمع يتيم وهو من مات ابوه من اليتم اى الأنفراد ومنه الدّرة اليتيمة والمراد هنا البالغون والتّعبير باعتبار ما كانوا عليه ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا﴾ لا تستبدلوا ﴿الْخَبِيثَ﴾ الحرام من امواهم ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ بالحلال من اموالكم ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ بان تنفقوهما معا بحيث يلحقهم حيف ﴿إِنَّهُ﴾ اى الأكل ﴿كَانَ حُوبًا﴾ ذنبا ﴿كَبِيرًا (٢)﴾ عظيما ولمّا نزلت تحرّجوا من ولاية اليتامى وكان فيهم من تحته العشر او الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهنّ فنزل ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَىٰ﴾ فتحرجتم من امرهم فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النّساء لانّ المتحرّج من ذنب ينبغى ان يتحرج الآخر ﴿فَانْكِحُوا مَا﴾ لنقصان عقلهنّ عبّر عنهنّ بما ﴿طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ حال من ما طاب اى ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا

واربعا اربعا ولا يزيدوا على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لا تَعْدِلُوا﴾ بالنفقة والقسمة بين هذه الأعداد ايضا ﴿فَوَاحِدَةً﴾ فانكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الأماء اذ ليس لهنّ من الحقوق ما للزّوجات ﴿ذَلِكَ﴾ اى نكاح الأربعة فقط او الواحدة او التسرّى ﴿أَدْنَى﴾ اقرب الى ﴿أَنْ لا تَعُولُوا (٣)﴾ تميلوا ﴿وَآتُوا﴾ اعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ جمع صُدُقة مهورهنّ ﴿نِحْلَةً﴾ عطية عن طيب نفس نصب على المصدر لانّها بمعنى ايتاء او الحال من الواو اى ناحلين ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ تميز عن النّسبة اى اذا طابت نفسهنّ لكم عن شيء من الصّداق فوهبته لكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا﴾ طيّبا ﴿مَرِيئًا (٤)﴾ محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم فى الآخرة نزلت ردّا على من كره ان يقبل من زوجته شيئا ممّا ساق اليها ﴿وَلا تُؤْتُوا﴾ ايّها الأولياء ﴿السُّفَهَاءَ﴾ الّذين لا رشد لهم ﴿أَمْوَالَكُمُ﴾ اى اموالهم الّتى فى ايديكم وتحت تصرّفكم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ اى الّتى هى من جنس ما جعل الله لكم قياما اى ما به القيام سمّى قياما للمبالغة فيضيّعوها ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ اجعلوها بالسّعى فى زيادتها مكانا لرزقهم وكسوتهم ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلا مَعْرُوفًا (٥)﴾ اى لا تمنّوا عليهم ولا تؤذوهم بأنماء اموالهم وحفظها عن النّقص ﴿وَابْتَلُوا﴾ اختبروا ﴿الْيَتَامَى﴾ قبل البلوغ فى دينهم وتصرّفهم فى اموالهم بان تفوّضوا اليهم مقدّمات العقد ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ اى صاروا اهلا له بالأحتلام او استكمال خمس عشرة سنة عندنا ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾ ابصرتم ﴿مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ اصلاحا فى دينهم ومالهم ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ الشّرطية جواب اذا المتضمّنة معنى الشّرط وحتّى ابتدائية ما قبلها سبب لما بعدها والمعنى وابتلوا اليتامى حتّى تدفع اليهم اموالهم اذا بلغوا النّكاح على تقدير ايناس الرّشد ﴿وَلا تَأْكُلُوهَا﴾ ايّها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ حال اى مسرفين بغير حقّ ﴿وَبِدَارًا﴾ اى مبادرين الى انفاقها مخافة ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ رشدا فيلزمكم تسليمها اليهم ﴿وَمَنْ كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ اى يعفّ عن مال اليتيم ويمتنع من اكله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر اجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بانّهم

قبضوا وبرأتم لانّه ابعد من الخصومة وهذا امر ارشاد يدلّ على انّ القيم لا يصدق فى دعواه الاّ بالبيّنة ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ الباء زائدة ﴿حَسِيبًا (٦)﴾ محاسبا فلا تجاوزوا ما حدّ لكم ونزل ردًا لما كان عليه الجاهليّة من عدم توريث النّساء والصّغار ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ بدل ممّا تركه باعادة العامل جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧)﴾ مقطوعا واجب التسليم لا يسقط بالاعراض بل بنحو نذر ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُولُوا الْقُرْبَى﴾ ذووا القرابة ممّن لا يرث ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم﴾ اعطوهم شيئا ﴿مِّنْهُ﴾ اى ممّا ترك قبل القسمة هو امر ندب للبالغ من الورثة وقيل امر وجوب وعلى التّقديرين اختلف فى نسخه ﴿وَقُولُوا﴾ ايّها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ اى للحاضرين اذا كان الورثة صغارا ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٨)﴾ جميلا بان تعتذروا اليهم فى عدم الأعطاء بانكم لا تملكونه وانّه للصّغار ﴿وَلْيَخْشَ﴾ اى وليخف على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ اى قاربوا ان يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ اى بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ اولادا صغارا ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضّياع ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبّون ان يفعل بذرّيّتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ لليتامى ﴿قَوْلًا سَدِيدًا (٩)﴾ صوابا مثل ما يقولون لاولادهم من حسن الأدب او للمريض بان يأمروه ان يقتصر فى الوصيّة على الخمس ويدع الباقى لورثته ولا يتركهم عالة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ اى ظالمين فهو حال ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ اى ملئها ﴿نَارًا﴾ ما يجرّ الى النّار ويؤل اليها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ يدخلون ﴿سَعِيرًا (١٠)﴾ نارا ملهوبة شديدة ﴿يُوصِيكُمُ﴾ يأمركم ﴿اللَّهُ فِي﴾ شأن ميراث ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ بما يذكر من التّفصيل وهو ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾ اذا اجتمعوا اى لكلّ ذكر حظ الانثيين سواء كان ذكر واناث او ذكر وانثيان ﴿فَإِن كُنَّ﴾ اى الاولاد انّث الضمير باعتبار الخبر ﴿نِسَاءً﴾ فقط ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ صفة نساء ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميّت الدّال عليه المعنى ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَاحِدَةً﴾ مع انتفاء الذكر ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ وحكم الأبنتين حكم

ما فوقهما بجامع التّعدد ولانّه تعالى فرض للأختين الثلثين بقوله: فلهما الثّلثان فهما اولى ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ الميّت ويبدل منهما للتّنصيص على استحقاق كلّ منهما ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ذكر او انثى والحق به ولد الأبن وبالأب الجدّ ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ فقط او مع الزّوج ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ اى ثلث المال او ما يبقى بعد الزّوج والباقى للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ اى ما فوق الواحد ذكورا او اناثا للأجماع المنعقد على ذلك ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ والباقى للاب ولا شيء للأخوة ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ متعلّق معنى بما تقدّمه من قسمة المواريث كلّها بان يكون متعلقا لفظا بقوله لأمّه على سبيل التّنازع فيكون محذوفا فى جميع ما تقدّم ﴿يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ قدّم الوصيّة على الدّين مع انّها متأخرة عنه فى الوفاء لأهتمامها ولكونها مشبّهة بالميراث شاقة على الورثة ﴿آبَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ فى الدّنيا والآخرة بل العالم هو الله فلا تفضّلوا بعضا وتحرموا بعضا كما كنتم تفعلونه فى الجاهلية لأمر دنيوىّ فربّ محروم انفع من المفضّل بان يكون ارفع مرتبة منكم فى الجنّة فترفعوا اليه بشفاعته كما فى الحديث والجملة اعتراض مؤكّد لامر القسمة فرض ذلك ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ فهو مصدر مؤكّد ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح ﴿حَكِيمًا (١١)﴾ فيما قدّر ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم او من غيركم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ والحق بالولد فى ذلك ولد الولد وان سفل ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ﴾ اى للزّوجات تعدّدن او لا ﴿الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُنْ لَّكُمْ وَلَدٌ﴾ من هنّ او من غيرهنّ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ ومثله ولد الولد هنا ايضا ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ﴾ اى الميّت ﴿يُورَثُ﴾ منه صفة رجل وخبر كان ﴿كَلاَلَةً﴾ بتقدير ذا كلالة اى قرابة ليست من جهة الوالد والولد ﴿أَو امْرَأَةٌ﴾ تورث كلالة عطف على رجل ﴿وَلَهُ﴾ اى لكلّ واحد من الرّجل والمرأة ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ من الأمّ ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا﴾ اى الأخوة والأخوات من الامّ ﴿أَكْثَرَ مِن

ذَٰلِكَ﴾ اى من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ يسوّى فيه ذكورهم واناثهم لانّ الأدلاء بمحض الأنوثة ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ لورثته بالزّيادة فيها على الثّلث حال من فاعل يوصى ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد ليوصيكم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبّره لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمٌ (١٢)﴾ لا يعاجل من خالفه بعقوبة ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة من امر اليتامى وما بعده ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شراعته الّتى حدّها للعباد ليعملوا بها ولا يتعدّوها ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ (١٤)﴾ ذو اهانة وتوحيد الضّمائر فى الآيتين وجمع خالدين لرياعة لفظ من ومعناها ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ الزّنى سمّى بذلك لزيادته فى القبح على كثير من القبائح ويعتقده الفاعل فحشا قبيحا والكفر والقتل وان كانا اقبح منه لكن لم يَرِدْ تسميتهما بها لانّ الكفر لا يستقبحه الكافر من نفسه ولا يعتقده قبحا بل صوابا وكذلك القتل يفتخر به القاتل ويعدّه شجاعة ﴿مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ اى من رجال المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُوا﴾ عليهنّ بها بان رأينا ذكر فلان مثلا فى فرج فلان كالميل فى المكحلة وانّما جعل شهود الزّنى اربعة دون غيره تغليظا على المدّعى وسترا على العباد ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهنّ ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعوهنّ عن مخالطة النّساء ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ اى ملائكته ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥)﴾ طريقا الى الخروج منها كتعيين الحدّ المخلّص عن الحبس امروا بذلك اوّل الاسلام ثم جعل لهنّ سبيلا بجلد البكر مأية وتغريبها عاما ورجم المحصنة وفى الحديث: «لمّا بيّن الحدّ قال خذوا عنّى قد جعل الله لهنّ سبيلا»[1] ويجوز ان يكون المراد التّوصية باسكانهنّ بعد ان يجلّدن كيلا يجرى عليهنّ ما جرى بسبب الخروج ولم يذكر الحدّ استغناء بقوله: ﴿الزّانية والزّانى...﴾[2] فلا

---

[1] – فتح الباري: ٢٧٨/١٩

[2] – سورة النور: ٢

نسخ حينئذ ﴿واللّذان يأتيانها﴾ الفاحشة الزّنا واللّواط ﴿منكم﴾ اى من الرّجال اللّواطين ﴿فآذوهما﴾ بالتّوبيخ او السب والضّرب بالنّعال ﴿فإن تابا وأصلحا﴾ العمل ﴿فأعرضوا عنهما﴾ ولا تؤذوهما ﴿إنّ الله كان توّابا رحيما (١٦)﴾ اى يرجع عن التّشديد على من تاب الى التّخفيف وهذه ايضا منسوخة بالحدّ لكن حدّ المفعول به فى اللّواط عندنا الجلد والتغريب لا الرّجم وان كان محصنا ﴿إنّما التّوبة﴾ اى الرّجوع عن التّشديد الى التّخفيف ﴿عَلَى اللهِ﴾ كالمحتوم عليه بمقتضى وعده ﴿لِلّذين يعملون السّوء﴾ ملتبسين ﴿بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ﴾ زمن ﴿قَرِيبٍ﴾ قبل ان يقعوا فى الغرغرة ﴿فأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ وعد بوفاء ما وعد بقوله: ﴿انما التّوبة﴾[1] ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بالاخلاص فى التّوبة ﴿حَكِيمًا (١٧)﴾ فلا يعاقب التائب ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ من الفسقة والكفّار ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ واخذ فى النّزع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما فيه ﴿إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ثمّ يتوبون عند مشاهدة العذاب الجملة حال من فاعل يموتون سوّى بينهما فى عدم قبول توبتهما فانّ وقت حضور الموت والآخر كلاهما خارجان عن وقت التكليف والأختيار ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ اعددنا وهيّؤنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)﴾ تاكيد لعدم قبول توبتهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ بالفتح والضّم لغتان كانوا فى الجاهليّة يورثون نساء اقربائهم فان شاؤا تزوّجوها بلا صداق او زوّجوها واخذوا صداقها او عضلوها حتّى تفتدى بما ورثته او تموت فيرثوها فنهوا عن ذلك ﴿وَلاَ﴾ ان ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ تمنعوا ازواجكم عن نكاح غيركم بامساكهنّ ولا رغبة لكم فى هنّ ضرارا ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر بالخلع ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ كزنا او نشوز والمعنى لا تعضلوهنّ للافتداء والخلع فى وقت من الأوقات الاّ وقت ان يأتين بفاحشة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ اى بالأجمال فى القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)﴾ فلا يبعد

---

[1] – سورة النساء: ١٧

ان يرزقكم منهنّ ولدا صالحا ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ تطليق امرأة وتزويج اخرى ﴿وَ﴾ قد ﴿آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ الزوجات جمع الضمير لأرادة الجنس من الزّوج ﴿قِنطَارًا﴾ مالا كثيرا صداقا ﴿فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾ ظلما ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠)﴾ نصبهما على الحال اى باهتين آثمين والاستفهام للتوبيخ والأنكار كانوا اذا اردوا جديدة بهتوا القديمة بفاحشة لتفتدى بما اعطوها فيصرفوه الى الجديدة فنهوا عن ذلك ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ اى باىّ وجه انكار لاسترداده ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ﴾ وصل ﴿إِلَى بَعْضٍ﴾ بالجماع المقرّر للمهر ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُمْ مِيثَاقًا﴾ عهدا ﴿غَلِيظًا (٢١)﴾ شديدا وهو ما امر الله به من امساك بمعروف او تسريح باحسان ﴿وَلاَ تَنكِحُوا مَا﴾ بمعنى من او اريد به الصّفة او مصدريّة ﴿نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ بيان ما ﴿إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من فعلكم ذلك فانّه معفوّ عنه فعلى هذا الاستثناء منقطع ويجوز ان يكون متّصلا للمبالغة فى التّحريم اى لاتنكحوا حلائل ابائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه ﴿إِنَّهُ﴾ علّة للنّهى اى نكاحهنّ ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ قبيحا ما رخّص فيه لامّة من الأمم ﴿وَمَقْتًا﴾ ممقوتا عند ذوى المروّات ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢)﴾ طريقا ذلك النّكاح ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ اى نكاحهنّ لانّ الكلام فيه وشملت الجدّات من قبل الامّ او الأبّ ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ شملت بنات الأولاد وان سفلن ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ من جهة الابّ او الامّ ﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾ اخوات ابائكم واجدادكم ﴿وَخَالاَتُكُمْ﴾ اى اخوات امّهاتكم وجدّاتكم ﴿وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ﴾ ويدخل فيهنّ بنات اولادهم ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قبل استكمال الحولين خمس رضعات ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ ويلحق بذلك من ارضعتهنّ موطئته والعمّات والخالات وبنات الأخت لحديث يحرم من الرّضاع ما يحرم من النّسب ولا يصحّ استثناء نحو اخت ابن الرّجل وامّ اخيه من هذه القاعدة فانّ حرمته فى النّسب بالمصاهرة دون النّسب ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ﴾ وان لم تدخلوا بهنّ ﴿وَرَبَائِبُكُمُ﴾ جمع ربيبة وهى بنت الزّوجة من غيره سمّيت به فانّه يربّها كما يربّ ولده يدلّ عليه التّوصيف بقوله ﴿اللاَّتِي فِي

حُجُورِكُمْ﴾ اى فى حضانكم تربّونها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها ﴿مِنْ نِسَآئِكُمْ﴾ حال مقيّدة من ربائبكم ﴿اللَّاتِى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ اى دخلتم معهنّ او ادخلتموهنّ السّتر كناية عن الجماع ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فى نكاح بناتهنّ اذا فارقتموهنّ ﴿وَ﴾ حرّمت عليكم ﴿حَلَائِلُ﴾ زوجات ﴿أَبْنَائِكُمْ﴾ سمّيت حليلة لحلّها او لحلولها مع الزّوج ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ احتراز عن المتبنّى فانّه يجوز نكاح حليلته لا عن ابناء الولد ﴿وَ﴾ حرّمت عليكم ﴿أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب او رضاع و بينها وبين عمّتها او خالتها بالنّكاح معا او مرتّبا لا بملك اليمين مع وطى واحدة فقط ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ قد مرّ تفسيره ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣) وَ﴾ حرّمت عليكم ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ اى ذوات الازواج احصنهنّ التّزوّج ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ قبل مفارقة ازواجهنّ مسلمات كنّ او لا ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الأماء بالسّبى فيحلّ لكم وطيهنّ وان كان لهنّ ازواج فى دار الحرب لارتفاع النّكاح ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ مصدر مؤكّد اى كتب الله تحريم هؤلاء كتابا عليكم ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ﴾ بالبناء للفاعل او المفعول عطف على حرّمت او ناصب كتاب الله ﴿مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ اى ما سوى ما حرّم عليكم من النّساء ﴿أَنْ﴾ لان ﴿تَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بالصّرف فى الصّداق او الثّمن حال كونكم ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوّجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ زانين من السّفح وهو صبّ المنىّ ﴿فَمَا﴾ فمن ﴿اسْتَمْتَعْتُمْ﴾ تمتّعتم ﴿بِهِ مِنْهُنَّ﴾ المنكوحات بالوطى وجزاء ما قوله ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ فانّها فى مقابلة الأستمتاع ﴿فَرِيضَةً﴾ حال من الأجور بمعنى مفروضة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ﴾ انتم وهنّ ﴿بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من حطها او بعضها او زيادة عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح ﴿حَكِيمًا (٢٤)﴾ فيما شرع من الأحكام ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ غنى اصله الزّيادة الى ﴿أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر المصونات عن ذلّ الرّق ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ وصف جرى على الغالب فلا مفهوم له ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ اى فلينكح منها ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ﴾ امائكم ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ لا الكتابيّات لعدم

الجواز عندنا ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهره فانّه العالم بالسرائر وتفاصيلها فربّ امة تفضل الحرّة فى الإيمان والمراد تأنيسهم بنكاح الأماء ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ اى انتم وارقائكم سواء دينا ونسبا ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ مواليهنّ ولاتستنكفوا عن نكاحهنّ ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ اى نفقاتهنّ او مهورهنّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير مطل ونقص وباذن اهلهنّ اذ هو المعروف شرعا ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ عفائف حال من فانكحوهنّ وآتوهنّ على سبيل التّنازع ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ اى غير زانيات جهارا على العموم ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ اخلاّء يزنون معهم سرّا كما كانت عادتهم ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ تزوّجن ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ زنى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر الأبكار الزّانيات ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ من الحدّ فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة كما قبل الاحصان وذكره لأفادة ان لا رجم عليهنّ اصلا ﴿ذَلِكَ﴾ نكاح الأماء عند عدم الطّول ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾ الزّنى واصله المشقة سمّى به الزّنا لانّه سببها بالحدّ فى الدّنيا والعقوبة فى الأخرى ﴿مِنْكُمْ﴾ و من لا يخافه لا يحل له نكاحهنّ كمن استطاع طول حرّة ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ اى صبركم عن نكاح الأماء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لئلا يصير الولد رقيقا ولقوله ﷺ: «الحرائر صلاح البيت والإماء هلاكه»[1] ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن لم يصبر ﴿رَحِيمٌ (٢٥)﴾ بالرّخصة فى نكاحهنّ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم ومصالح اموركم اللامّ زائدة لتاكيد الأرادة وان يبيّن مفعول يريد ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾ طرائق ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء فى التّحريم والتحليل لتتبعوهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يرجع بكم عن معصيته الّتى كنتم عليها الى طاعته ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿حَكِيمٌ (٢٦)﴾ فيما دبّره لكم ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرّره للتّأكيد وللمقابلة مع قوله ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ اى الفجرة الزّناة او المجوس او اليهود فانّهم يحلّون الاخوات من الاب وبنات الأخ والأخت ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ عن الحقّ ﴿مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)﴾ فتصيروا مثلهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ فى احكام الشّرع كاحلال انكاح الامة

[1] – فيض القدير: ٣/٥١٤

﴿وخلق الإنسانُ ضعيفًا (٢٨)﴾ لا يصبر عن الشّهوات ولا يتحمّل مشاق الطّاعة عن ابن عباس تمامى آية فى هذه السّورة خير لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشّمس وغربت هذه الثّلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه، انّ الله لا يغفر ان يشرك به، انّ الله لا يظلم مثقال ذرّة، ومن يعمل سوءا، ما يفعل الله بعذابكم ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا لا تأكُلوا أمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ﴾ عند الشّرع كالغصب والرّبى والقمار ﴿إلاّ﴾ لكن ﴿أنْ تكونَ﴾ الأموال اموال ﴿تِجارَةً﴾ صادرة ﴿عَنْ تراضٍ منكُمْ﴾ وطيب نفس فلكم ان تأكلوها وتخصيص التّجارة بالذكر لانّها الاغلب او المراد بها الانتقال مطلقا ﴿وَلا تَقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ﴾ بارتكاب ما يؤدّى الى هلاكها فى الدّنيا والآخرة ﴿إنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)﴾ ولذا امر بما امر ونهى عن ما نهى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ القتل او ما سبق من المحرّمات ﴿عُدْوانًا﴾ حال اى متجاوزا عن الحقّ ﴿وَظُلْمًا﴾ تاكيد له ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ندخله ﴿نارًا وَكانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (٣٠)﴾ لا صارف عنه ﴿إنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ من الذّنوب والكبيرة كلّ ذنب فيه حدّ اوتصريح بوعيد من الشّارع كالاشراك بالله وقتل النفس وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والرّبى والفرار عن الزّحف وعقوق الوالدين وشرب الخمر والزّنى والسّرقة وقال ابن عبّاس هى الى سبعمأية اقرب ﴿نُكَفِّرْ﴾ نمح ﴿عَنكُمْ سَيِّئاتِكُمْ﴾ صغائركم بالطّاعات وكمال تفصيل الصّغائر والكبائر فى الزّواجر لأبن حجر ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها والمعنى عليهما ادخالا او موضعا ﴿كَرِيمًا (٣١)﴾ هو الجنّة ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ من الأمور الدّنيوية او الدّينيّة لئلا يؤدّى الى التّحاسد والتّباغض ويدلّ على عدم الرّضاء بما قسم الله له وانواع الحسد اربعة والمستحبّ منها دينا المباح دنيا ان يرجى لنفسه مثل ما لغيره ولا يتمنّى زوالها عن صاحبها سواء حصل رجائه ام لا ﴿لِلرِّجالِ نَصِيبٌ﴾ ثواب ﴿مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ من طاعة ازواجهنّ وغيرها نزلت لمّا قالت امّ سلمة يا ليتنا كنّا رجالا فجاهدنا وكان لنا مثل اجر الرّجال ﴿وَسْئَلُوا اللهَ مِن

فَضْلِهِ﴾ من خزائنه الّتى لا تنفد لا ما للنّاس ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)﴾ ومنه ما يستحقّونه وسؤالكم ﴿وَلِكُلٍّ﴾ اى لكل تركة ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ وراثا يلونها ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ بيان لكلّ ووجه ارتباط الآية بما قبلها انّ المعنى لا تتمنّوا كثرة الأموال فانّها تكون لغيركم بالميراث ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ جمع يمين بمعنى القسم او اليد اى الحلفاء الّذين عاهدتموهم فى الجاهلية على النّصرة والأرث مبتدأ خبره ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ من الميراث وهو السّدس كان سهم الحليف فنسخ بقوله: ﴿واولى الأرحام بعضهم اولى ببعض﴾[1] ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٣٣)﴾ مطلعا تهديد على منع نصيبهم ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ مسلّطون ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ كالولاة على الرّعية بسببين وهبىّ وكسبىّ كما قال ﴿بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ﴾ اى الرّجال ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ اى النّساء بكمال العقل وحسن التّدبير ومزيد القوّة حتى خصّوا بالنّبوّة والأمامة وغيرهما ﴿وَبِمَا أَنفَقُوا﴾ عليهنّ ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ كالمهر والنّفقة لطم سعيد بن الرّبيع امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير لنشوزها فشكى ابوها اليه ﷺ فقال: لتقتصّ من زوجها فنزلت فقال: ﷺ: «الّذى اراد الله خير» ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾ منهنّ ﴿قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لله وازواجها ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ اى لفروجهنّ وغيرها فى غيبة الأزواج او لأسرارهم ﴿بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ اى بالّذى حفظ الله لهنّ على الرّجال من المهر والنّفقة والقيام بحفظهنّ ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهنّ لكم بان ظهرت امارته كخشونة جواب ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ فخوّفوهنّ الله ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ المراقد بتولية الظّهر فيه او لا تباشرهنّ فيكون كناية عن الجماع ان تحقّق النّشوز من غير تكرر ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربا غير مبرح ان لم يرجعن بالهجرة بل تكرّر ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يراد منهنّ ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ طريقا الى الأيذاء لانّ التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤)﴾ فأحذروه ان يعاقبكم ان ظلمتموهنّ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ايّها الحكّام ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنِهِمَا﴾ بين الزّوجين الدّال عليهما

[1] - سورة الاحزاب: ٦

النّشوز لانّه عصيان المرأة الزّوج والأضافة للاتساع واجراء الظّرف مجرى المفعول به والمعنى شقاقا بينهما ﴿فَابْعَثُوا﴾ وجوبا برضاهما ﴿حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ﴾ رجلا عدلا من اقارب الرّجل ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ يوكّل هو حكمه فى طلاق وقبول عوض عليه وهى حكمها فى الاختلاع ثم يفعل الحكمان الأصلح من صلح او تفريق ﴿إِن يُرِيدَا﴾ اى الحكمان ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ﴾ بحسن سعيهما ﴿اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزّوجين اى يقدّرهما على ما هو الطّاعة من اصلاح او فراق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥)﴾ بالبواطن كالظّواهر فيعلم كيف يرفع الشقاق ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ حقيرا من صنم او غيره وجه ارتباط الآية بما قبلها انّ ذلك تعليم معاملة الزّوجين والحكام فى اصلاح امرهما وهذه تعليم المعاملة مع الحقّ وعامة الخلق ﴿وَ﴾ احسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ القريب منك فى الجوار او النّسب ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ البعيد عنك فى الجوار او النّسب ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ الرّفيق فى سفر او صناعة وقيل الزّوجة ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الأرقاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾ متكبّرا لا يلتفت الى المذكورين ﴿فَخُورًا (٣٦)﴾ يتفاخر عليهم ﴿الَّذِينَ﴾ بدل لمن كان آه ﴿يَبْخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ من العلم والمال وهم اليهود كانوا يقولون للانصار لا تنفقوا اموالكم لئلاّ تفتقروا او الّذين كتموا صفة محمّد منهم ويجوز ان يكون الّذين مبتدأ وخبره محذوف اى احقاء بالعذاب ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ لنعم الله ﴿عَذَابًا مُهِينًا (٣٧)﴾ يهينه كما اهان النعم بالبخل ﴿وَالَّذِينَ﴾ عطف على الّذين قبله ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ مرائين لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ليتحرّوا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة او المنافقون ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ صاحبا يعمل بامره كهؤلاء ﴿فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨)﴾ هو ﴿وَمَاذَا﴾ ما الّذى او اىّ ضرر استفهام انكار ﴿عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا﴾ لو مصدرية اى فى ايمانهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ اى لا ضرر فيه وانّما الضّرر فى ما هم

عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩)﴾ وعيد لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ﴾ احدا بالنقصان من الحسنات او الزّيادة فى السّيئات ﴿مِثْقَالَ﴾ مفعال من الثّقل اى وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ اصغر نملة ﴿وَإِنْ تَكُ﴾ اى ان يكن مثقال الذّرة وتأنيث الضمير باعتبار الخبر ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ ثوابها من عشر الى اكثر من سبع مائة ﴿وَيُؤْتِ﴾ صاحبها ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾ من عنده تفضّلا مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)﴾ عطاء جزيلا سمّاه اجرا لانّه تابع له مزيد عليه ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفّار ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها وهو نبيّها والعامل فى اذا التّهويل المقصود بالاستفهام ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمّد ﴿عَلَى هَؤُلاءِ﴾ الأنبياء الشهداء ﴿شَهِيدًا (٤١)﴾ تشهد على صدقهم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم المجيء ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾ اى ان ﴿تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ﴾ يكونوا هم والأرض سواء فى التّرابيّة كما فى ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)﴾ اى لا يقدرون على كتمانه اذ تشهد عليهم جوارحهم فهو عطف على يودّ ويجوز ان يكون عطفا على تسوى اى يودّون التّاسوية وعدم الكتمان لان تسوية الأرض بهم اسهل من ذلك الكتمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ﴾ لا تصلّوا ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ من نوم او خمر لانّ سبب نزولها صلوة جماعة فى حال السّكرى حين كان الخمر حلالا حيث قال امامها اعبد ما تعبدون ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ بان تنتبهوا وتصحّوا ﴿وَلاَ جُنُبًا﴾ من اصابته جنابة بايلاج او انزال جار بجرى المصدر فيطلق على المفرد وغيره عطف على وانتم سكارى اذ هى فى موضع النّصب على الحال ﴿إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ استثناء من اعمّ احوال الجنب اى لا تقربوا الصلوة جنبا فى عامة الاحوال الاّ فى السّفر اذا لم تجدوا الماء وتيمّمتم ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ فلكم ان تصلّوا واستثنى المسافر لانّ له حكما آخر سيأتى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ مرضا يخاف معه استعمال الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ اى مسافرين وانتم جنب او محدثون ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المعدّ لقضاء الحاجة اى احدث ﴿أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ مَاسَسْتم بشرتهنّ ببشرتكم وعن ابن عبّاس هو الجماع

﴿فَلَمْ تَجِدُوا﴾ بعد التفتيش ﴿مَاءً﴾ تطهّرون به ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت جزاء للشرط المشتمل على الأربعة بتأويل او جاء احد منكم بحثتم ﴿صَعِيدًا﴾ ترابا ﴿طَيِّبًا﴾ طاهرا فاضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا﴾ به ﴿بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المرفقين ومسح يتعدّى بنفسه وبالحرف ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)﴾ غفر ذنب المصلّين سكارى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾ اى اليهود ﴿أُوتُوا نَصِيبًا﴾ حظّا كثيرا ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ اى التّورية او القرآن ونصيبهم منه علمهم به انّه كتاب حق ﴿يَشْتَرُونَ﴾ يختارون ﴿الضَّلَالَةَ﴾ على الهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤)﴾ طريق الحقّ لتكونوا مثلهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِأَعْدَائِكُمْ﴾ فيخبركم بهم لتجتنبواهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ على اموركم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥)﴾ مانعا من كيدهم فاكتفوا به والباء تزاد فى فاعل كفى لأفادة لزوم الكفاية للفاعل بزيادة حرف الالصاق ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ خبر لمحذوف اى قوم صفته قوله ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يميلون ﴿الْكَلِمَ﴾ المذكور فى التّورية كنعت محمّد ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ الّتى وضعه الله فيها بازالتها واثبات غيرها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنّبى اذا امرهم بشيء ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ امرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حال بمعنى الدّعاء اى لا سمعت بصمم او موت ﴿وَرَاعِنَا﴾ اسمع كلامنا وقد نهى عن خطابه بها اذ هى كلمة سبّ بلغتهم ﴿لَيًّا﴾ فتلا وتحريفا ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ بوضع كلمة السبّ منزلة انظرنا وغير مسمع منزلة لا اسمعت مكروها ﴿وَطَعْنًا﴾ استهزاء ﴿فِي الدِّينِ﴾ الاسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بدل وعصينا ﴿وَاسْمَعْ﴾ فقط ﴿وَانْظُرْنَا﴾ انظرنا لينا بدل راعنا ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقْوَمَ﴾ اعدل منه ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ابعد اكثرهم عن رحمته ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ اى بسببه ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)﴾ منهم كعبد الله ابن سلام واصحابه استثناء من لا يؤمنون لتنزيله منزلة يكفرون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ نمحوا ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ فنجعلها كالاقفاء لوحا واحدا عديم المحاسن والفاء للتّعقيب ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ نخزيهم بالمسخ ففيه

التفات ﴿كَمَا لَعَنَّا﴾ اخزينا به ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ منهم المذكورين فى البقرة.[١] ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قضائه ﴿مَفْعُولًا (٤٧)﴾ نافذا واقعا فلا محالة هذا الأمر ايضا يقع ولمّا نزلت اسلم عبد الله ابن سلام فلم يقع مسخ اذ كان وقوعه مشروطا بعدم إيمان احد منهم ويمكن ان يقال عطفه على الطّمس بدلّ انّ المراد به ليس المسخ فى الدّنيا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ اى الاشراك به لانّه حكم بخلود عذابه وحكمه لا يتغير ولان الذنب لا ينمحى عن المشرك اثره فلا يقبل العفو ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ غير ﴿ذَٰلِكَ﴾ من الذّنوب صغيرة او كبيرة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فيدخله الجنّة بلا عذاب تفضلا عليه ومن لم يشأ عذّبه بذنوبه ثم ادخله الجنّة ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ﴾ ارتكب والأفتراء يطلق على القول والفعل كالأختلاق ﴿إِثْمًا﴾ ذنبا ﴿عَظِيمًا (٤٨)﴾ يستحقر دونه الآثام ولذلك هو اشدّ من سائر الذّنوب ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعجيب ﴿إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ وهم اهل الكتاب كانوا يقولون نحن ابناء الله واحبّاؤه وفى معناهم كل من زكّى نفسه اى ليس الامر بتزكيتهم لانّها توجب دنائة بين النّاس ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي﴾ اى يجعل زاكيا ناميا فيما بين عباده ﴿مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ النّاس فى تزكية من يشاء الله ﴿فَتِيلًا (٤٩)﴾ اى بقدر الخيط الّذى فى شقّ النّواة لانه لا يزكّى الاّ من يستأهل ولا يترك الاّ من لا يستأهل ﴿انظُرْ﴾ متعجّبا ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ فى تلك التّزكية ﴿وَ﴾ قد ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ بالافتراء حال ﴿إِثْمًا مُّبِينًا (٥٠)﴾ اى ظاهر الأثميّة ونزل فى اليهود حيث قالوا دفعا لما يتوجّه عليهم من الطّعن فى انهم لم يسعوا فى دفع عبادة الاصنام ولا يبايعون الرّسول انّ عبادة الأصنام ارضى عند الله من ما يدعوا اليه محمّد ﷺ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ صنمان لكن يستعمل الجبت فى كلّ ما عبد من دون الله والطّاغوت فى كلّ باطل من معبود او غيره فيكون بيانا لإيمانهم بالباطل قوله ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى فى الّذين كفروا او عنهم ﴿هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١)﴾ اقوم طريقا ﴿أُولَٰئِكَ

[١] - سورة البقرة: ٦٥

الَّذين لعنهُمْ الله ومنْ يلْعنِ الله فلنْ تجد لهُ نصيرًا (٥٢)﴾ مانعا عنه العذاب بشفاعة او غيرها ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ﴾ فام منقطعة والهمزة انكار ﴿نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ اى ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣)﴾ اى شيئا تافها قدر النّقرة فى ظهر النّواة لفرط بخلهم ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ محمّد واصحابه انكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شرّ الرّذائل وبينهما تلازم وتجاذب ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ من النّبوة والكتاب والنّصرة وكثرة النّساء لانهم كانوا يقولون لو كان نبيّا لاشتغل عن النّساء ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ جدّه ﷺ كموسى وداود وسليمان كانوا ابناء عمّه ﷺ ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ النّبوة ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤)﴾ ونساء كثيرة فلا يبعد ان نأتيه مثل ما آتاهم ﴿فَمِنْهُم﴾ من اليهود ﴿مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾ بمحمّد ﴿وَمِنْهُم مَّنْ صَدَّ﴾ اعرض ﴿عَنْهُ﴾ فلم يؤمن ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥)﴾ عذابا لمن لا يؤمن ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ كالتقرير لما قبله ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بان تعاد الى حالها الاوّل غير محترقة ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ليقاسوا شدّته ويدوم لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا (٥٦)﴾ يعاقب على وفق حكمته ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من كلّ قذر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧)﴾ دائما لا تنسخه شمس وهو ظلّ الجنّة والظّليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كليل أَلَيْلٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ خطاب يعم المكلّفين والأمانات بقرينة الجمع وان نزلت لردّ مفتاح الكعبة الى سادنها عثمان ابن طلحة بن عبد الدّار لما اخذه عليّ منه قسْراً وفتح الباب له ﷺ عام الفتح حين امتنع من فتح الباب وقال لو علمت انّه رسول الله لم امنعه فامر ﷺ عليّا ان يرد ويعتذر اليه وصار ذلك سبب اسلامه فبقيت السّدانة فى اولاده ابدا ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ﴾ يأمركم ﴿أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا﴾ اى نعم شيئا ففيه ادغام ميم نعم فى ما النكرة الموصوفة بقوله ﴿يَعِظُكُم بِهِ﴾ ما

يعظكم به من تادية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ باقوالكم ﴿بَصِيرًا (٥٨)﴾ بما تفعلون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي﴾ اصحاب ﴿الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ اى الولاة وجوبا ما دام على الحق كما يفهم من الامر بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ انتم واولو الامر منكم ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من امر الدّين ﴿فَرُدُّوهُ﴾ فارجعوا فيه ﴿إِلَى اللهِ﴾ اى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ بالسّؤال عنه مدّة حيوته والمراجعة الى سنته بعده ﴿إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ﴾ الردّ ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التّنازع والقول بالرأى ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ مآلا ونزل لمّا اختصم يهوديّ ومنافق فدعى المنافق الى كعب بن الاشرف ليحكم بينهما ودعى اليهوديّ الى النّبى ﷺ فاتياه فلم يرض المنافق واتيا عمر فذكر له اليهوديّ ذلك فقال للمنافق أكذلك قال: نعم فقتله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ اى الكثير الطغيان وهو كعب بن الاشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾ عن الحقّ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون حال او مفعول ثان ﴿عَنكَ﴾ الى غيرك ﴿صُدُودًا (٦١)﴾ مصدر مؤكّد ﴿فَكَيْفَ﴾ حال من فاعل يحلفون للتعجّب من حلفهم بعد صدّهم صدّا ظاهرا وقع بينهما الشّرط وهو قوله ﴿إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل عمر المنافق ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من عدم الرّضى بحكمك ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ﴾ دال على الجزاء ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالمحاكمة الى غيرك ﴿إِلاَّ إِحْسَانًا﴾ صلحا ﴿وَتَوْفِيقًا (٦٢)﴾ تاليفا بين الخصمين ولم نُرِدْ مخالفتك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم فى عذرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ عن عقابهم لمصلحة فى استبقائهم ﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك لينتهوا عمّا هم عليه ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)﴾ فصيحا مؤثرا فيهم ليرجعوا عن كفرهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ﴾ فيما امر به ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ بسبب اذنه فى طاعته ﴿وَلَوْ

أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالتحاكم الى غيرك ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين عن ذلك خبر انّ واذ متعلّق به ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ شفاعة التفات عن الخطاب تفخيما لشأنه ﷺ او ليتّضح قوله ﴿لَوَجَدُوا﴾ صادفوا ﴿اللَّهَ تَوَّابًا﴾ قابلا لتوبتهم ﴿رَحِيمًا (٦٤)﴾ متفضلا عليهم بالرّحمة حالان من الله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ لا زائدة لتأكيد القسم كما فى لا اقسم بهذا البلد ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقا او شكا ﴿مِمَّا قَضَيْتَ﴾ به ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ ينقادوا لك ﴿تَسْلِيمًا (٦٥)﴾ انقيادا ظاهرا وباطنا ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مصدريّة او مفسّرة لانّ كتبنا فى معنى امرنا ﴿اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كما قتل بنو اسرائيل وخرجوا حين استتابوا من عبادة العجل ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ اى المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ اى المخلصون ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرّسول ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ عاجلا و آجلا ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦)﴾ فى دينهم والآية نزلت فى شأن المنافق واليهودىّ بقرينة النصّ على ذكر المنافقين ﴿وَإِذًا﴾ لو ثبتوا ﴿لَآتَيْنَاهُمْ﴾ فاذن جزاء و جواب لما يقال ما يكون لهم بعد التّثبيت ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ عندنا تفضلا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧)﴾ ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨)﴾ يصلون بسلوكه جناب القدس قال ﷺ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فى الجنّة ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ المتجاوزين الى حدّ التكميل ﴿وَالصِّدِّيقِينَ﴾ للمبالغين فى الصّدق والتّصديق الّذين صعدت نفوسهم الى اوج العرفان فاطلعوا على الاشياء على ما هى عليها ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ القتلى فى سبيل الله الّذين حملهم حرص الطاعة على بذل الرّوح فى اعلاء كلمة الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غير ما ذكر الّذين صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته والمراد حثّ النّاس على ان لا يتأخروا عنهم ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ﴾ فى معنى التّعجب ﴿رَفِيقًا (٦٩)﴾ رفقا فى الجنّة نصب على التّميز او الحال ولم يجمع لاطلاقه على الواحد والجمع كالصّديق نزلت فى ثوبان مولا رسول الله ﷺ لما اتاه يوما وقد نحل جسمه فسئله

عن السّبب فقال لاشتياقى اليك وخوف ان لا اراك فى الآخرة لرفعة منزلتك ودنائة منزلى او عدم دخولى ﴿ذلك﴾ اى كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره ﴿الْفَضْلُ﴾ كائنا ﴿مِنَ اللهِ﴾ تفضلا لا انهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا (٧٠)﴾ بالطّاعة والأنقياد فاخفوها اكتفاء بعلمه ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من عدوّكم اى احترزوا عنه وتيقظوا له ﴿فانفِرُوا﴾ اخرجوا للجهاد ﴿ثُبَاتٍ﴾ جمع ثبة اى جماعات متفرقة سرية بعد اخرى ﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا (٧١)﴾ مجتمعين كجماعة واحدة خطاب لعسكره ﷺ وتعليم ان لا يخرج الاّ من اخذ الحذر وبقدر الحاجة لا الجميع بعد ما وبّخهم بانّه لو كتب عليهم القتال ما فعلوه الا قليلا وحثهم على الانقياد بانهم لو فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم ووعدهم اجرا عظيما فصار مظنّة خروج الجميع ابدا المستعد وغيره ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَنْ﴾ اللام للأبتداء دخل على اسم انّ لتقدّم الخبر ﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرنّ عن القتال كعبد الله ابن ابىّ المنافق واصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللاّم هنا جواب قسم محذوف هو وجوابه صلة من ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كقتل و هزيمة ﴿قَالَ﴾ المبطّى ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢)﴾ حاضرا فاصاب مثلهم ﴿وَلَئِنْ﴾ لام موطئة القسم ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادما جواب للقسم دال على جواب الشرط اكّد للمبالغة فى وقوعه ﴿كَأَنْ﴾ مخفّفة واسمها محذوف اى كانّه ﴿لَمْ تَكُنْ﴾ بالتّاء وجاء الياء ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وصداقة وهذا حال من ضمير ليقولنّ او راجع الى قوله: ﴿قد انعم الله علىّ اعتراض﴾ بين القول ومقوله وهو ﴿يَا﴾ قوم او هى للتّنبيه اتساعا ﴿لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ نصب على جواب التّمنّى ﴿فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣)﴾ باخذ حظّ من الغنيمة قال تعالى ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ﴾ يستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ فيظفر بعدوّه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤)﴾ فيه ترغيب فى القتال وتكذيب لقولهم: قد انعم آه وتنبيه على انّ المجاهد ينبغى ان يثبت فى المعركة حتى يعزّ نفسه بالشّهادة او الدّين بالغلبة وان لا يكون قصده

بالذات ان يصير مقتولا كما كان قصد الصّحابة وصار سبب النّزول ﴿وما لكم﴾ مبتدأ وخبر والاستفهام للتّوبيخ على ترك القتال ﴿لا تقاتلون في سبيل الله﴾ حال والعامل فيه ما فى الظّرف من معنى الفعل اى ما تصنعون بغضب الله فى حال ترك القتال ﴿و﴾ فى سبيل ﴿المستضعفين﴾ وتخليصهم من العدوّ ﴿من﴾ بيان المستضعفين ﴿الرجال والنساء والولدان﴾ الّذين منعهم الكفّار من الهجرة وآذوهم وكان ابن عبّاس و أمّ منهم والولدان جمع وليد وذكرهم للمبالغة فى الحثّ وتنبيها على انّ ظلم المشركين متناه بحيث بلغ اذاهم الصبيان ﴿الذين يقولون﴾ داعين يا ﴿ربّنا أخرجنا من هذه القرية﴾ مكة ﴿الظالم﴾ صفة قرية ذكّرت لاسنادها الى ﴿أهلها﴾ هذا كان دعاء المتمكنين منهم من السّفر فاستجابه بان يسرّ لهم الخروج الى المدينة ﴿واجعل لنا من لدنك وليّا واجعل لنا من لدنك نصيرا (٧٥)﴾ كان دعاء مَنْ عجز عن السّفر منهم فاستجابه بفتح مكة على يد نبيّه ﷺ فتولاّهم ونصرهم ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطّاغوت﴾ الشّيطان ﴿فقاتلوا﴾ يا اوليائى ﴿أولياء الشّيطان﴾ تغلبوهم لقوتكم بالله ﴿إنّ كيد الشّيطان﴾ بالمؤمنين ﴿كان ضعيفا (٧٦)﴾ واهيا بالنّسبة الى كيد الله بالكافرين او الى قوّة المؤمنين ﴿ألم تر﴾ تعجيب ﴿إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم﴾ عن قتال الكفّار لمّا تصدّوا له بمكّة لأذى الكفّار لهم وهم جماعة من الصّحابة ﴿وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة﴾ تنبيها على انّ الجهاد مع النّفس مقدّم واصلاحها اهمّ من إصلاح غيرها ومن لم يتمكن من ردّها عن هواها لا يتمكّن من بذلها لوجه الله ﴿فلمّا كتب﴾ فرض ﴿عليهم القتال﴾ على وفق تصدّيهم ﴿إذا﴾ للمفاجأة جواب لمّا والعامل فيها معنى المفاجأة ﴿فريق﴾ مبتدأ صفته ﴿منهم﴾ خبره ﴿يخشون النّاس﴾ اى عذاب الكفّار بالقتل ﴿كخشية الله﴾ من اضافة المصدر الى المفعول حال من فاعل يخشون ﴿أو أشدّ خشية﴾ عطف على خشية الله ﴿وقالوا﴾ خوفا من الموت تارة ﴿ربّنا لم كتبت علينا القتال﴾ وتارة اخرى ﴿لولا﴾ هلاّ ﴿أخّرتنا إلى أجل قريب﴾ ولذا ترك العطف اذ لو عطف لتبادر انهم قالوا الكلامين مرة

واحدة ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ ما يتمتع به فيها ﴿قَلِيلٌ﴾ سريع الفناء ﴿وَالآخِرَةُ﴾ اى الجنّة ﴿خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧)﴾ اى لا ينقص ادنى شيء من ثوابكم وهذا القول جواب لقوله: ﴿لم كتبت علينا القتال﴾ بمعنى كتب عليكم لتكثير تمتّعكم لانّه يوجب تمتع الآخرة ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ حصون ﴿مُشَيَّدَةٍ﴾ مرتفعة وهذا جواب لقوله: ﴿لولا اخّرتنا﴾ بمعنى اينما تكونوا يدرككم الموت الّذى يدرككم فى القتال لانّه الموت المؤجل وليس موت آخر متسبب عن القتال كما ظننتم ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾ اى اليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ خصب وسعة ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ نسبوها اليه ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قحط وبلاء كما حصل لهم عند قدومه ﷺ المدينة ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ يا محمّد اى متسببة عن شومك ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يبسط ويقبض حسب ارادته دفع لأبرازهم سببيّته ﷺ فى معرض الفاعليّة مبالغة فى السّببية ﴿فَمَا لِهَؤُلاءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ يفهمون ﴿حَدِيثًا (٧٨)﴾ مبالغة فى بعدهم عن الفقه والاّ فهم كانوا يعتقدون الكلّ من الله حيث جعلوه ﷺ سببا ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ ايّها الانسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ نعمة ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ اتتك تفضّلا منه قال ﷺ: «ما احد يدخل الجنّة الاّ برحمة الله» قيل: ولا انت؟ قال: «ولا انا» ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ بليّة ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ اتتك بسبب ما ارتكبت من الذنوب المستوجبة لها فلا ينافى قوله: ﴿كلّ من عند الله﴾[1] فانّه من حيث الايجاد والايصال ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حال مؤكّدة لارسلنا ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)﴾ على كل ما يشهد ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى﴾ اعرض عن طاعته فلا ﴿يَهُمَنَّكَ﴾ ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠)﴾ حال من الكاف اى حافظا لاعمالهم انّما عليك البلاغ وعلينا الجزاء هذا قبل الامر بالقتال ﴿وَيَقُولُونَ﴾ اى المنافقون اذا امرتهم بأمر امرنا ﴿طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ﴾ اضمرت ﴿طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ فى حضورك من الطّاعة ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ فى صحائفهم ﴿مَا

[1] - سورة النساء: ٧٨

يُبَيِّتُونَ﴾ ليحازوا عليه ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لا تبال بهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ فى كلّ الأمور ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا (٨١)﴾ فينتقم لك منهم ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ يتأمّلون ﴿الْقُرْآنَ﴾ معانيه البديعة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ﴾ اى كلام البشر كما زعم الكفار ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ من تناقض المعنى وتفاوت النّظم ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ بلغهم ﴿أَمْرٌ﴾ عن سرايا النّبى ممّا حصل لهم ﴿مِنَ الْأَمْنِ﴾ بالنّصر ﴿أَوِ الْخَوْفِ﴾ بالهزيمة ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ افشوه والباء زائدة او لتضمّنه معنى التّحدث كان يفعله ضعفاء المسلمين فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذّى النّبى ﷺ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ اى الخبر غير مفشين له ﴿إِلَى﴾ رأى ﴿الرَّسُولِ وَإِلَى﴾ رأى ﴿أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ اى ذوى الرأى من اكابر الصّحابة ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغى ان يذاع او لا ﴿الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ﴾ يستخرجون تدبيره بتجاربهم ﴿مِنْهُمْ﴾ من الرّسول واولى الامر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالاسلام ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بانزال الكتب ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فى كلّ قبيح ﴿إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)﴾ منكم بفضل الله عليه ﴿فَقَاتِلْ﴾ يامحمّد ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ وان لم يساعدك احد ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا﴾ فعل ﴿نَفْسَكَ﴾ لا يضرّك مخالفتهم فانّه ناصرك لا الجنود دعاهم فى بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الّا سبعين ﴿وَحَرِّضِ﴾ رغب ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ على القتال ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ﴾ حرب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعنى قريشا وقد فعل بان القى فى قلوبهم الرّعب حتى رجعوا ﴿وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ من قريش ﴿وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤)﴾ تعذيبا منهم فكيف يخافوهم ولا يخافونه ﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾ بين النّاس ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ موافقة للشرع بان دفع بها عن مسلم ضررا او جلب اليه نفعا ومنها الدعاء له وللكافر بالإيمان والاسلام ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ من الأجر ﴿مِنْهَا﴾ بسببها ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ مخالفة للشّرع ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نصيب من الوزر بقدرها بخلاف النّصيب فانّه اعمّ ﴿مِنْهَا﴾ بسببها ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (٨٥)﴾ مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر فيجازى كلّ بما عمل ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ بان قيل لكم سلام عليكم ﴿فَحَيُّوا﴾ المحيى ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ بان تقولوا له عليك السّلام

ورحمة الله وبركاته ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ بمثلها بان تقولوا كما قال اى الواجب احدهما على الكفاية والاوّل افضل لكن خصّت السّنة الكافر والمبتدعَ والفاسقَ والمسلِّمَ على قاضى الحاجة ومن فى الحمّام دون مسلخها والاكل فلا يجب الردّ عليهم بل يكره فى غير الأخير ويقال للكافر عليك وتفصيله فى الفقه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦)﴾ يحاسبكم على التّحية وغيرها ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مبتدأ وخبر معترضة لتأكيد التّهديد قصد بما قبلها وما بعدها ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ والله من قبوركم خبر بعد خبر لانّ ﴿إِلَى﴾ فى ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فى اليوم فهو حال منه ﴿وَمَنْ﴾ اى لا احد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) فَمَا لَكُمْ﴾ ما شانكم تفرّقتم ﴿فِي﴾ اسلام ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ الّذين استاذنوه ﷺ فى الخروج الى البدر ولحقوا بالمشركين ﴿فِئَتَيْنِ﴾ اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم حال من المخاطبين والعامل فيه معنى الظرف فى لكم ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ ردّهم الى حكم الكفرة ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصى ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا﴾ اى تجعلوا من المهتدين ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨)﴾ الى الهدى ﴿وَدُّوا لَوْ﴾ ان ﴿تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ عطف على تكفرون انتم وهم ﴿سَوَاءً﴾ فى الضّلال ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ اى فلا توالوهم وان آمنوا ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اى حتّى يتحقّق إيمانهم بهجرة هى لله ورسوله لا لغرض دنيوىّ فانّ شرطها كان فرضا يومئذ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان المحقّق بالهجرة ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ بالاسر ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ كسائر الكفرة ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ﴾ بعد الأخذ فلا تكرار مع لا تتخذوا ﴿وَلِيًّا﴾ توالونه ﴿وَلَا نَصِيرًا (٨٩)﴾ تنصرون به على عدوّكم ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ ينتهون ويلتجون استثناء من قوله: ﴿فخذوهم واقتلوهم﴾ ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل اليهم كما عهد النّبى ﷺ هلال بن عويمر الاسلمىّ ﴿أَوْ﴾ الّذين ﴿جَاءُوكُمْ﴾ وهم بنو مدلج قد ﴿حَصِرَتْ﴾ ضاقت ﴿صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم اى ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرّضوا اليهم بأخذ ولا قتل وهذا وما بعده

منسوخ بآية السّيف ﴿ولو شاء الله لسلّطهم عليكم﴾ بتقوية قلوبهم ﴿فلقاتلوكم﴾ لكن لم يشأ فاوقع فى قلوبهم الرّعب اعاد اللام تنبيها على انّه جواب مستقل ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم﴾ الانقياد ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلا (٩٠)﴾ بالأخذ والقتل ﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم﴾ باظهار الإيمان عندكم ﴿ويأمنوا﴾ بالكفر اذا رجعوا ﴿قومهم﴾ اسد وغطفان ﴿كلما ردّوا إلى الفتنة﴾ دعوا الى الكفر ﴿أركسوا فيها﴾ اوقعوا اشدّ وقوع ﴿فإن لم يعتزلوكم﴾ بترك قتالكم ﴿و﴾ لم ﴿يلقوا إليكم السلم﴾ لم ﴿ويكفوا أيديهم﴾ عنكم ﴿فخذوهم﴾ بالاسر ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ وجدتموهم متمكنين من قتلهم ﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا (٩١)﴾ حجة بيّنة فى قتلهم وسبيهم لظهور كفرهم وعداوتهم ﴿وما كان﴾ ينبغى ويمكن ﴿لمؤمن﴾ اى ليس من شأنه ﴿أن يقتل مؤمنا﴾ بغير حقّ ﴿إلا خطئا﴾ خاطئا فى قتله من غير قصد فهو حال ﴿ومن قتل مؤمنا خطئا﴾ بان اصابه عند قصد الرّمى الى صيد او شجر او ضربه بما لا تقتل غالبا ﴿فتحرير﴾ عتق ﴿رقبة﴾ نسمة ﴿مؤمنة﴾ وان كانت صغيرة اى فجزائه تحريرها ﴿ودية﴾ ﴿مسلمة﴾ مؤدّاة ﴿إلى أهله﴾ ورثته تكون بينهم بحسب ارثهم وهى مأية من الأبل وتفصيلها نوعا ومدة فى الفقه ﴿إلا أن يصدقوا﴾ يتصدّقوا عليه بها عبّر عن العفو بالصّدقة حثّا عليه وتنبيها على فضله حال من الاهل ﴿فإن كان﴾ المقتول ﴿من قوم عدو لكم﴾ اى كفّار محاربين ﴿وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ لا الدّية لأهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لاختلاف الدّين ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهد ﴿فدية مسلمة إلى أهله﴾ ان كان هو معاهدا او له وارث مسلم ﴿وتحرير رقبة مؤمنة﴾ مطلقا ﴿فمن لم يجد﴾ رقبة لفقدها وفقد ما يشتريها به ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ اى فالواجب هذا ولا طعام هنا عند العجز عن الصّوم على الأصحّ من قولى الشّافعى ذا ﴿توبة﴾ حاصلة ﴿من الله﴾ فهو حال من الصّيام ويجوز ان ينصب بتاب مقدّرا ﴿وكان الله عليما﴾ بخلقه ﴿حكيما (٩٢)﴾ فى ما دبّر لهم ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا﴾ بان يقصد قتله بما يقتل غالبا عالما

بإيمانه ﴿فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ ابعده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)﴾ فى النّار هذا مخصوص بمن يستحلّه ولم يرجع عن كفره او المراد بالخلود المكث الطّويل كما هو اصله للدّلائل الدّالة على انّ عصاة المؤمنين وان دخلوها لا يدوم عذابهم ونزل لمّا مرّ نفر من الصّحابة برجل من بنى سليم وهو يسوق غنما فسلّم عليهم مع التّلفظ بالشهادة فقالوا ما سلّم علينا الاّ تقيّة فقتلوه واستاقوا غنمه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم للجهاد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ فاطلبوا بيان الامر ولا تعجلوا فيه ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ﴾ مع الشهادة وعلى قرائة السّلم بدون الألف المراد به الاستسلام الحاصل من الشّهادة ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وانّما قلت هذا تقيّة لنفسك فتقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون بذلك ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ السّريع النّفاد الجملة حال من فاعل تقولون ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ اخرويّة او دنيويّة تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ اى اوّل ما دخلتم فى الاسلام تعصّمتم دمائكم واموالكم بمجرّد التّكلم بكلمة الشّهادة مع عدم العلم بموافقة قلوبكم السنتكم ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولا تبادروا الى قتلهم وافعلوا بالدّاخل فى الاسلام ما فعل بكم كرّره تاكيدا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)﴾ فاحتاطوا فى القتل ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ عن الجهاد ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حال ﴿غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾ بالرفع صفة للقاعدون لكسب غير التّعريفَ لانّ غير اولى الضّرر من لا ضرر له نزلت بدون هذا فقال ابن امّ مكتوم كيف وانا اعمى فنزل كما فى حديث زيد بن ثابت ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ اوضح نفى الاستواء بقوله ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ من غير ضرر ﴿دَرَجَةً﴾ فضيلة على انّه مصدر او بدرجة بنزع الخافض ﴿وَكُلاًّ﴾ من القاعدين والمجاهدين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ الجنة لحسن عقيدتهم وانّما التّفاوة فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثّواب وامّا اولى الضّرر فتحسّرهم على العجز فى قوّة العمل ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥)﴾ مصدر لفضّل لانّه

بمعنى آجر ويبدل منه ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ كرّر تفضيلهم وبالغ اجمالا فى الاوّل وتفصيلا فى الثانى بقوله: اجرا عظيما آه ترغيبا فى الجهاد او الاوّل فى الدّنيا بالغنيمة والثانى فى الآخرة ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لما عسى يفرط منه ﴿رَحِيمًا (٩٦)﴾ بما وعدهم ونزل فى جماعة اسلموا و لم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفّار ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ﴾ ماض او مضارع ﴿الْمَلٰئِكَةُ﴾ باذن الله حال كونهم ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بترك الهجرة قد ﴿قَالُوا﴾ اى الملائكة توبيخا لهم ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ فى اىّ شيء كنتم من امر دينكم ﴿قَالُوا﴾ معتذرين خبر انّ ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن اقامة الدّين او الهجرة ﴿فِي الْأَرْضِ قَالُوا﴾ اى الملائكة تبكيتا لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ الى طرف آخر كما فعل غيركم ﴿فَأُولٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عطف على ما قبله بالفاء السببيّة ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧)﴾ هى وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكّن الرّجل من اقامته دينه فيه ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ فهو استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الّذين توفاهم الملائكة لخروجهم بتقييد الصّلة بظالمى انفسهم والولدان المماليك فلا اشكال فى ذكره او الصّبيان فذكره للمبالغة فى الامر او لانّ قوّامهم يجب عليهم ان يهاجروهم متى امكنت ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لا قوّة لهم على الهجرة ونفقتها ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ يعرفون ﴿سَبِيلًا(٩٨)﴾ طريقا بالنفس او الدّليل صفة لمستضعفين او حال من المستكنّ فيه الرّاجع الى اللاّم الموصول ﴿فَأُولٰئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ ذكر عسى الاطماعية والعفو ايذانا بانّ ترك الهجرة امر خطير ﴿وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾ مهاجرا متحوّلا من الرّغام وهو التّراب ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ فى الرّزق واظهار الدّين ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ فى الطّريق كما وقع لجندب بن ضمرة فى التنعيم مريدا المدينة مع بنيه ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ ثبت ثبوت الأمر الواجب ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم مرحلتين ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ حرج فى ﴿أَنْ تَقْصُرُوا﴾ شيئا

﴿مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ بان تردّوا الرّباعية الى ركعتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ يتعرّض لكم بمكروه ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ شرطيّة باعتبار الغالب فى ذلك الوقت فلا مفهوم لها فجوازه فى حال الأمن ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (١٠١)﴾ حتّى تستبيحوا لقصر صلوتكم فلا عداوة فوق ذلك وفيه مبالغة على المواظبة على الصّلوة ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يا محمّد حاضرا ﴿فِيهِمْ﴾ وانتم تخافون العدوّ ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذا جرى على عادة القرآن فى الخطاب مع الرّسول وتعليمه ليأتمّ به غيره فلا مفهوم له بل حضور غيره كحضوره ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ وتتأخّر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا﴾ اى المصلّون معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ اى المصلّون ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ اى غير المصلّين ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحرسون الى ان تقضوا الصّلوة فيه تغليب المخاطب على الغائبين وتذهب هذه الطّائفة تحرس ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا﴾ لاشتغالهم بالحراسة ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ كذا فعلها ﷺ فى بطن النّخل فتحصل للأمام صلوتان ويجوز ان يصلّى بكلّ ركعةً والتّفصيل فى الفقه ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ﴾ من العدوّ ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر آلة يتحصّن بها الغازى فجمعه مع الاسلحة ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ فى الصّلوة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ بان يحملوا عليكم فياخذوكم وهذا علّة الأمر بأخذ السّلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها وهذا يفيد ايجاب حملها عند عدم العذر لكنّ المرجّح من قولى الشّفعى استحبابه ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدوّ لئلا يهجموا عليكم عند رأيتكم بلا سلاح ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢)﴾ حيث شرع لكم صلوة الخوف لئلا يكون لهم مجال اليكم ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ اردتم ادائها واشتدّ الخوف ﴿فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ﴾ اى فصلّوا ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ اى منحنين اى صلوا كيف ما امكن ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ أمنتم من الخوف ﴿فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ادّوها بحقوقها اذ لا قضاء على من صلّى هكذا حتى تفسّر به ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا﴾ فرضا ﴿مَّوْقُوتًا (١٠٣)﴾ محدود الأوقات لا يجوز اخراجها عنها فى شيء

من الأحوال ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ﴾ طلب ﴿الْقَوْمِ﴾ الكافر لتقاتلوهم ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ تجدون الم الجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ فينبغي ان تكونوا ارغب منهم فى الحرب واصبر عليها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا (١٠٤)﴾ فيما يأمر وينهى ونزل لما سرق طُعْمَةُ ابن أُبَيْرَق صحابيّ درعا فى جراب دقيق فشرع الدّقيق ينتثر من خرق فيه حتى اتى بها الى يهوديّ وخباها عنده واتبعوا اثر الدّقيق حتّى انتهى الى منزل اليهوديّ فأخذوها فقال دفعها الىّ طُعْمة بن ابيرق وشهد له ناس من اليهودى فسئل اهل طعمة من الرّسول ﷺ ان يجادل عنه لئلاّ يفتضح ويبرأ اليهوديّ فهمّ ﷺ ان يفعل ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ عرّفك ﴿اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾ كطعمة اى لأجل الدّفع عنهم ﴿خَصِيمًا (١٠٥)﴾ للبراء ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ ممّا هممت به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦)﴾ لمن استغفره ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخوّنونها بالمعاصى لانّ وبال خيانتهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَثِيمًا (١٠٧)﴾ منهمكا فيه بل يعاقبه روى انّ طعمة هرب الى مكّة وارتدّ ونقب حائطا للسرقة فانهدم عليه فقتله ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ اى يستتر طعمة وقومه حياء ﴿مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ وهو احقّ ان يستحى منه ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفى السّرقة ورمى اليهود بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨)﴾ علما ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ يا قوم طعمة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ وخبر ﴿جَادَلْتُمْ﴾ خاصمتم جملة مبيّنة لوقوع هؤلاء خبرا ﴿عَنْهُمْ﴾ عن طعمة وذويه ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ﴾ اى بل من ﴿يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (١٠٩)﴾ محاميا يحميهم عن عذاب الله اى لا احد يفعل ذلك ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ذنبا يسوأ به غيره كرمى طعمة اليهود ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ بذنب لا يتعدّى الى غيره ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ بالتّوبة ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠)﴾ حث لطعمة وقومه على التّوبة وقد تابوا فرحمهم دونه فابتلاه بما سمعت ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ

عَلَى نَفْسِهِ﴾ لا يتعدّاه وباله ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بفعله ﴿حَكِيمًا (١١١)﴾ فى مجازاته ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ صغيرة ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ كبيرة ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ وحّد الضمير لكلمة او ﴿بَرِيئًا﴾ كما فعل طعمة ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (١١٢)﴾ برمى البرئ وتنزيه النّفس ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ بارائة الأشياء كما هى ﴿لَهَمَّتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من اهل طعمة ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحقّ بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ اى شيئا من الضّر فهو فى موضع النّصب على المصدر ﴿وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من الاحكام وخفيّات الأمور ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣)﴾ لا يحيط به الفهم والبيان ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ اى النّاس اى تناجيهم وتحدّثهم ﴿إِلاَّ﴾ نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ مستحسن فى الشّرع فهو استثناء متصل من كثير من نجواهم ﴿أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللهِ﴾ لا غيره من امور الدّنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾ يخالف من الشّق لانّ كلا من المتخالفين فى شقّ ﴿الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ اى ما حكم به الرسول ﷺ ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ سبيلا ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الّذى هم عليه من الاعتقاد والعمل ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ بجعله واليا لما تولاّه من الضلال بان نخلّى بينه وبين ما اختاره ﴿وَنُصْلِهِ﴾ ندخله فى الآخرة ﴿جَهَنَّمَ وَسَآئَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾ هى فيه دلالة على حرمة مخالفة الأجماع لانّه رتّب الوعيد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين لحرمة كلّ منهما ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ كرّره للتأكيد مبالغة فى التحذير عن الكفر وعن اليأس عن الغفران فى ما دونه او لانّ قصّة طعمة دعت الى نزوله ثانيا او لمجيء شيخ كبير اليه ﷺ مقرا بانهماكه فى الذّنوب دون الشرك سائلا هل له توبة عند الله ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا (١١٦)﴾ عن الحقّ ذكر فى الآية الأولى فقد افترى لانّها متّصلة بقصّة اهل الكتاب ومنشأ شركهم افتراء التّبنى على الله ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبد

بعض المشركين ﴿مِن دُونِهِ﴾ اى غير الله ﴿إِلاَّ إِنَاثًا﴾ اصناما مؤنثة لتأنيث اسمائها كاللاّت والعزّى ومنات او لجمادتها والجامد يؤنث لمشابهته الأناث لأنفعاله وحينئذ فيه تنبيه على انّهم يعبدون المنفعل ومن حقّ المعبود ان يكون فاعلا فهو دليل على تناهى جهلهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلاَّ شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧)﴾ خارجا عن الطّاعة لا يتعلّق بها لانّهم اطاعوه فى هذه العبادة الفاسدة ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ صفة ثانية للشيطان ﴿وَ﴾ قد ﴿قَالَ﴾ اى الشّيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لى ﴿مِنْ عِبَادِكَ﴾ حال من ﴿نَصِيبًا﴾ حظّا ﴿مَفْرُوضًا (١١٨)﴾ مقطوعا مقدّرا لى اى لعنه حال هذا القول ففيه كمال توبيخ اذ يفيد انّ الله لعنه لاجل عداوته معهم مع انّهم يعبدونه ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحقّ بالوسوسة ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ القى فى قلوبهم الأمانى الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا حساب ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ يشقّنّ ﴿آذَانَ الأَنْعَامِ﴾ ويحرّمونها على انفسهم بجعلها للاصنام كما كانت العرب تفعل بالبحائر ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ عن وجهه صورة او صفة كتبديل الدّين واحلال ما حرّم وتحريم ما حلّل وغير ذلك ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ له ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بأطاعته فيما يدعوه اليه ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩)﴾ اذ ضيع رأس ماله وبدّل جنّته بالنّار وانتظر حصول ما يمنّيه وهو عذاب عظيم ﴿يَعِدُهُمْ﴾ ما لا ينجز ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ما لا ينالون ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلاَّ غُرُورًا (١٢٠)﴾ باطلا وهذا الوعد امّا بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه ﴿أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا﴾ حال من ﴿مَحِيصًا (١٢١)﴾ معدلا ومهربا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ اى وعده وعدا فهو تأكيد لنفسه لانّ الجملة قبله وعد وحقّ ذلك حقّا وهو تاكيد لغيره اذ الجملة يحتمل الحق والباطل ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢)﴾ جملة مؤكّدة لكونها معطوفة على جملة مؤكّدة قبلها ونزل لما افتخر المسلمون واهل الكتاب هؤلاء بالتّقدم كتابا ورسولا واولئك بختم نبيّهم الأنبياء ونسخ كتابهم الكتب ﴿لَيْسَ﴾ الامر وما وعد الله من الثواب نائلا

﴿أَمَانِيِّكُمْ﴾ ايّها المسلمون ﴿وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ بل بالإيمان والعمل الصّالح ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ امّا فى الآخرة او فى الدّنيا بالبلاء والمحن كما فى الحديث ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ﴾ لنفسه ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ اذا جاوز موالاته ونصرته ﴿وَلِيًّا﴾ يواليه ﴿وَلَا نَصِيرًا (١٢٣)﴾ يمنع عنه العذاب ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ﴾ بعضا ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ فانّ كلّ احد لا يتمكّن من كلّها وليس مكلفا بها والمكلّف بها لا يعمل على الاستمرار بكلّها ﴿مِنْ﴾ للبيان ﴿ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ فهو حال من فاعل يعمل ﴿وَ﴾ حال ﴿هُوَ مُؤْمِنٌ﴾ اذ لا اعتداد بالعمل دونه ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)﴾ قدر نقر النّواة ولا يزاد عقيب العاصى بالطريق الاولى لانّ المجازى ارحم الرّاحمين ولذا ذكر عقيب الثواب فقط ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ اخلص نفسه له لا يعرف لها ربّا سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحّد او آت بالحسنات تارك للسّيئات ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملّة الاسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال اى مائلا من سائر الأديان ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ﴾ اظهره تعظيما لشأنه ﴿خَلِيلًا (١٢٥)﴾ صفيّا خالص المحبّة والجملة استينافية للتّرغيب فى اتباعه او حالية بتقدير قد روى انه بعث فى قحط اصاب النّاس الى خليل له بمصر يمتار منه فقال لو كان ابراهيم يريده لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف وبنا ما بهم فملأ غلمانه الغرائر رملا حياء من النّاس فلمّا اخبره اساءه الخبر فنام فقامت سارة واخرجت منها واختبزت فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا قالت من خليلك المصرى فقال بل من خليلى الرّحمن فسماه الله خليلا ولتسميته وجوه اخر كثيرة ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقا وملكا يختار منها من يشاء وما يشاء ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا (١٢٦)﴾ علما وقدرة فيجازى على وفق الاعمال ونزل لما اتاه ﷺ عيينة بن حصين وسئله عن سبب توريث النّساء مع انّها لا تقاتل ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي﴾ ميراث ﴿النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ اى يبيّن لكم حكمه ﴿وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ من آية الميراث ايضا يفتيكم فهو عطف على الله ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ متعلّق بيتلى ﴿اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ ايّها الاولياء فى او عن ﴿أَنْ

تنكحوهن ﴾ فانهم كانوا يرغبون فيه ان كنّ جميلات غير محرمات عليهم والاّ يرغبون عنه ويمنعونهن عن ان يتزوّجن طمعا فى ميراثهنّ ﴿ و ﴾ فى ﴿ المستضعفين ﴾ الصغار ﴿ من الولدان ﴾ ان تعطوهم حقوقهم اذ كانوا لا يورّثونهم كالنّساء ﴿ و ﴾ فى ﴿ أن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ بالعدل فى استيفاء حقوقهم والانصاف فى شأنهم ﴿ وما تفعلوا من خير فإنّ الله كان به عليما (١٢٧) ﴾ فيجازيكم عليه ﴿ وإن امرأة ﴾ مرفوع بفعل يفسّره ﴿ خافت ﴾ توقعت ﴿ من بعلها ﴾ زوجها ﴿ نشوزا ﴾ ترافعا عليها بترك مضاجعتها وحقوقها وطرح عينه الى اجمل منها ﴿ أو إعراضا ﴾ عنها بوجهه بان لا يتكلم معها ﴿ فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ﴾ فى القسم والنفقة بان تترك له شيئا طلبا لبقاء الصّحبة ان رضيت بذلك والاّ فعلى الزّوج استيفاء حقّها او مفارقتها ﴿ والصلح خير ﴾ من الفرقة والنّشوز والاعراض والجملة اعتراض ﴿ و ﴾ قد ﴿ أحضرت الأنفس الشح ﴾ اى جبلت على البخل فكانّها حاضرته لا تغيب عنه فلا يقدران على التّسامح بما قلنا والجملة حالية مشعرة بوجه كون الصّلح خيرا وهو انّ الخصومة من مقتضيات شح النفس ومخالفتها خير ﴿ وإن تحسنوا ﴾ فى العشرة ﴿ وتتقوا ﴾ الجور عليهنّ ﴿ فإنّ الله كان بما تعملون خبيرا (١٢٨) ﴾ كناية عن الجزاء الّذى هو جواب ان حقيقة فانّ الكريم العالم بالعمل لا يفوته الجزاء ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا ﴾ تسووا ﴿ بين النساء ﴾ فى المحبّة بحيث لا يقع ميل اصلا وهو متعذر ولذا كان يعدل ﷺ فى القسمة بين نسائه ويقول هذا قسمتى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك يعنى زيادة المحبّة قلبا ﴿ ولو حرصتم ﴾ على ذلك ﴿ فلا تميلوا كلّ الميل ﴾ الى الّتى تحبّونها فى القسم والنّفقة ﴿ فتذروها ﴾ اى تتركوا المال عليها ﴿ كالمعلّقة ﴾ الّتى ليست ذات بعل ولا مطلّقة كيلا تجيؤا يوم القيامة واحد شقّيكم ساقط كما فى الحديث ﴿ وإن تصلحوا ﴾ ما كنتم تفسدون من امورهنّ ﴿ وتتقوا ﴾ فيما يستقبل ﴿ فإنّ الله كان غفورا ﴾ لما مضى من ميلكم ﴿ رحيما (١٢٩) ﴾ بكم فى ذلك فتكونون من المقسطين الّذين على منابر من نور عن يمين الرّحمن ﴿ وإن يتفرّقا ﴾ اى الزّوجان بالطّلاق ﴿ يغن الله كلاّ ﴾ منهما عن صاحبه ﴿ من سعته ﴾

اى فضله بان يرزقها غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ بخلقه فى الفضل ﴿حَكِيمًا (١٣٠)﴾ فيما دبّره لهم ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تنبيه على كمال سعته ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اى الكتب ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ اى اليهود والنّصارى متعلّق بأوتوا ﴿وَ﴾ وصّينا ﴿إِيَّاكُمْ﴾ يا اهل القرآن ﴿أَنِ﴾ بان ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَ﴾ قلنا لهم ولكم ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما وصّينكم به فهى عطف على وصّينا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقا وملكا فلا يضرّه كفركم وقرّره بقوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن الخلق وعبادتهم ﴿حَمِيدًا (١٣١)﴾ محمودا فى ذاته حمد او لم يحمد ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ذكره ثالثا للدّلالة على كونه غنيّا حميدا وتمّم هذه الدّلالة بقوله ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢)﴾ شهيدا بانّ ما فيهما له ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يفنكم يا ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ بدلكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذٰلِكَ﴾ المذكور اى المشيئة ﴿قَدِيرًا (١٣٣)﴾ وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ كالمحرّفين للتّورية للرشى فقد خسر ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فليطلبهما بلا تزوير ليربح ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤)﴾ فيجازى كلاً بعمله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ قائمين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ العدل مجتهدين فى اقامته ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ بالحق خبر ثان او حال ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ فاشهدوا عليها بان تقرّوا عليها بالحقّ لانّ الشّهادة بيان الحقّ سواء كان عليه او على غيره ﴿أَوِ﴾ على ﴿الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ﴾ كلّ من المشهود عليه والمشهود له ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا تجوروا فى الشّهادة ميلا وترحّما ﴿فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ بالغنى والفقير واعلم بمصالحهما فوضع الشّهادة على وفق مصلحتهما يجوز توحيد الضّمير وتعديده فى العطف باو ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى﴾ اى اتركوا متابعة الهوى من محبّة الغنى اورحمة الفقير ﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ اى للعدل فى الشهادة او كراهة العدول عن الحقّ ﴿وَإِنْ تَلْوُوا﴾ تحرّفوا الشّهادة ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ عن ادائها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)﴾ فيجازيكم به ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ محمّد وهو القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾

على الرّسل بمعنى الكتب ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ اى بشيء من ذلك بقرينة انّ الإيمان بالكلّ واجب ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)﴾ عن الحقّ لا يكاد يهتدى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بموسى وهم اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ حين عبدوا العجل ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ بعد عود موسى اليهم من الطور ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمّد ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما اقاموا عليه واللاّم للجحود ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧)﴾ طريقا الى الحقّ لاستبعادهم عن التّورية وعمى بصائرهم لا لعدم قبول توبتهم لو تابوا ﴿بَشِّرِ﴾ يا محمّد ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ اى انذرهم ففى التّعبير عنه ببشّر تهكم ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ﴾ فى محل النّصب او الرّفع على الذمّ لانّ القطع ابلغ فيه ﴿يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوّة ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ الاستفهام للتّهكم او التّعجيب او الانكار بمعنى لا يجدونها عندهم وبيان وجه الاستفهام قوله ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)﴾ فى الدّنيا والآخرة ولا ينالها الاّ اوليائه ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن فى سورة الأنعام ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ وهى مخفّفة والمعنى انه اذا سمعتم ﴿آيَاتِ اللهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ حالان من الأيات جيء به لتقييد النّهى عن المجالسة فى قوله ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ اى الكفرة المستهزئين ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا﴾ ان قعدتم معهم ملغات لوقوعها بين الاسم والخبر ﴿مِثْلُهُمْ﴾ فى الإثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم او لانّ القاعدين كانوا منافقين يدلّ عليه ﴿إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ﴾ القاعدين ﴿وَالْكَافِرِينَ﴾ المقعود معهم ﴿فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)﴾ كما اجتمعوا فى الدّنيا على الكفر والاستهزاء ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من الّذين يتحذون ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون وقوع امر ﴿بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ فى الدّين والجهاد فاعطونا من الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على قتلكم فابقينا عليكم ﴿وَ﴾ الم ﴿نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ان يظفروا بكم بتخذيلهم بترك المظاهرة فاشركونا فيما اصبتم قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بان يدخلكم الجنّة ويدخلهم النّار ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)﴾ طريقا بالاستيصال ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ مرّ تفسيره فى اوّل البقرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كُسَالَى﴾ متثاقلين كالمكره على الفعل ﴿يُرَآؤُنَ النَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)﴾ لانّهم يذكرونه باللّسان فقط وهو قليل بالنّسبة الى ذكر القلب وقيل لا يصلّون الاّ قليلا ﴿مُذَبْذَبِينَ﴾ متردّدين حال من واو يراؤن ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَا﴾ واصلين ﴿إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ اى الكافرين والبعد هنا للتحقير وفى ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ المؤمنين للتعظيم ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣)﴾ الى الهدى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لانّه صنيع المنافقين فلا تتشبهوا بهم ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤)﴾ برهانا بيّنا على نفاقكم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ من الكفار ﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو طبقة الّتى فى قعر جهنّم وامّا تسمية المؤمن منافقا كما فى بعض الأحاديث[1] فمن باب التّشبيه والتّغليظ ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)﴾ فى الدنيا ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن النّفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ اى ثقوا به ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الريا ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فى الدّارين ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦)﴾ فى الآخرة فيساهمونهم فيه ﴿مَا﴾ اىّ شيء ﴿يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمه قدّم الشكر لانه مبهما مقدّم على الإيمان ﴿وَآمَنْتُمْ﴾ به أيتشفّى به غيظا او يدفع ضرّا او يستجلب به نفعا يعنى هو غنىّ عن هذه الاشياء فلا يعذّبكم وانّما وعيده لمصرّ على الكفر بالعقاب ليتقى نفسه عن مرض الكفر والعقاب المخلّد ليصدّق وعيده ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ مثيبا على الاعمال يقبل بالقليل ويعط الجزيل ﴿عَلِيمًا (١٤٧)﴾ بحق شكركم وايمانكم ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من احد اى يعاقب عليه ﴿إِلَّا﴾ جهر ﴿مَنْ ظُلِمَ﴾ بالدّعاء على الظالم واخبار

---

[1] - مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه فهو منافق ...»

ما ظلمه به فانّه يحبّه اى لا يؤاخذ به ﴿وَكانَ اللهُ سَمِيعًا﴾ لكلام المظلوم ﴿عَلِيمًا (١٤٨)﴾ بالظّالم ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ تظهروا حين الفعل او بعده ﴿خَيْرًا﴾ من اعمال البرّ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تعملوه سرّا ولا تفشونه بعد ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم عليكم وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه توطئة له ولذلك رتّب عليه قوله ﴿فَإِنَّ اللهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩)﴾ اى يكثر العفو مع كمال قدرته على الأنتقام فانتم اولى بذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ هم الكافرون الخالصون فى الكفر ﴿وَ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ﴾ بالإيمان به دونهم او بهم دونه وهم الخالطون للكفر بما يوهم انّه إيمان ﴿وَ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرّسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم وهم مخلطون اخر ولعدم الاتحاد اعدنا الموصول فى الموضعين ويجوز ان يكون الواو فى الموضعين بمعنى او ﴿وَيُرِيدُونَ﴾ اى الطائفتان الأخيرتان والاّ فالأولى تتخذ سبيل الكفر الصرف ﴿أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿سَبِيلًا (١٥٠)﴾ طريقا وسطا مع انّه لا واسطة اذ الحقّ لا يختلف ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾ الكاملون فيه خبر لانّ ﴿حَقًّا﴾ كفرا ثابتا مصدر مؤكد لمضمون جملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ عَذابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ اتى باضداد الأول ومقابليهم كما هو عادته فقابل ﴿أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ الموعودة لهم ﴿وَكانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لما فرط منهم ﴿رَحِيمًا (١٥٢)﴾ عليهم بتضعيف حسناتهم ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتابًا مِنَ السَّماءِ﴾ تاما بتدريج كان او مرّة فكانّهم علّقوا إيمانهم بتمامية الكتاب او المراد جملة كما نزل على موسى تعنّتا لكن لا يلائمه كون التّنزيل للتّدريج ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ الفاء للسببية اى لا تستكبر فقد سئلوا ﴿مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ اسند فعل آبائهم اليهم لانّهم آخذون بمذهبهم ﴿فَقالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾ عيانا نصب على المصدر اى ارائة عيانا او حال من الله اى معاينا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ نار من السّماء فاحرقتهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم اى تعنّتهم فى السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ الها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ﴾ المعجزات الدّالة على وحدانيّته

﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٣)﴾ تسلّطا بيّنا ظاهرا حيث امرهم بقتل انفسهم توبة فاطاعوه ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ بسبب اخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ على لسان موسى وهو مظلّ عليهم ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ على لسان داود او لسانه ايضا حين الظلّ وان كان المَسخ فى زمن داود ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤)﴾ على ذلك بان قالوا سمعنا واطعنا فنقضوه ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ ما زائدة والباء للسببيّة متعلّق بمحذوف اى لعنّاهم بسبب نقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾ للنبى ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ فى اكنّة لا تعى كلامك ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ ختم ﴿اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فلا تعى وعظا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥)﴾ منهم كعبد الله بن سلام واصحابه ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ ثانيا بعيسى عطف على بكفرهم عطف سبب على سبب لانّهما سببا الطّبع وكرر الباء للفصل بينهما ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦)﴾ حيث رموها بالزّنى ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ﴾ فى زعمه قال تعالى تكذيبا لهم فى قتله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ﴾ مسند الى ﴿لَهُمْ﴾ كانّه قيل وقع لهم التّشبيه بين عيسى والمقتول المصلوب اى صاحبهم فانّ اليهود اجتمعوا على قتله لمّا دعى على رهط منهم سبّوا انّه فمسخهم الله قردة وخنازير فدخل طبطابوس اليهودىّ بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى الله عليه شبهه فلمّا خرج ظُنّ انّه عيسى فأُخِذَ و صُلِبَ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ اى فى شان عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ تردّد من قتله حيث قال بعضهم لما رأى المقتول الوجه وجه عيسى والجسد ليس جسده فليس به بل صاحبنا وان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال آخرون بل هو هو كان كاذبا قتلناه حقّا ﴿مَا لَهُم بِهِ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ الاستثناء منقطع اى لكن يتّبعون فيه الظنّ الّذى تخيّلونه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧)﴾ مصدر مؤكّد لغيره ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ فى ملكه ﴿حَكِيمًا (١٥٨)﴾ فى صنعه ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ احد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى الجملة القسمية صفة

احد المقدر مبتدأ مقدم الخبر ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ اى موت ذلك الأحد حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه او قبل موت عيسى لما روى انّه رفع ليلة القدر ببيت المقدّس وله ثلاث وثلثون سنة وعاشت امّه بعده سنتين وينْزل قرب السّاعة ويحكم بشريعة نبيّنا ويقتل الدّجال ويُبْطِلُ الجزيةَ ولا يقبل الاّ الإيمان فكلهم يؤمنوا به ويمكث سبع سنين وفى رواية اربعين سنة ويمكن الجمع بحمل هذه على مكثه فى الأرض قبل الرّفع وبعده ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩)﴾ بما فعلوه لمآ بعث اليهم ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ اى بسبب ظلم عظيم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ اى اليهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ وهى طيّبات الجنّة او الّتى فى قوله: ﴿حرّمنا كلّ ذى ظفر﴾[1] الآية ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ النّاس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه صدّا ﴿كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ فى التّورية كما نهينا عنه ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشى فى الحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)﴾ دون من تاب ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ﴾ مبتدأ اى الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله ابن سلام ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ منهم او من المهاجرين والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ خبر المبتدأ ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الكتاب ﴿وَ﴾ امدح ﴿الْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ﴾ فهو نصب على المدح او على توهّم لكن المثقلة لانّ المقام مقامها ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ رفعه للعطف على الرّاسخون وكذا ما قبله فى قرائة الرّفع وقوله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ اخّر الإيمان بهذين للتّعميم بعد التّخصيص لان ذكره فى قوّة ذكر الإيمان بتمامه ﴿أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢)﴾ الجنّة ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ تعليل لإيمان الرّاسخين ﴿وَ﴾ كما ﴿أَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ ابنيه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ بن اسحاق ﴿وَالأَسْبَاطِ﴾ اولاده ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ خصّهم لانّ ابراهيم اوّل اولى العزم وعيسى آخرهم والباقى اشراف الأنبياء ومشاهيرهم ﴿وَآتَيْنَا﴾ اباه ﴿دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ من قبل هذه السّورة ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بلا واسطة ﴿تَكْلِيمًا (١٦٤)

---

[1] – سورة الأنعام: ١٤٦

رُسُلًا﴾ بدل من رسلا قبله ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ ارسلناهم ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ﴾ تقال ﴿بَعْدَ﴾ ارسال ﴿الرُّسُلِ﴾ فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتّبع آياتك ونكون من المؤمنين اى بعثناهم لقطع عذرهم ﴿وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ فى ملكه ﴿حَكِيمًا (١٦٥)﴾ فيما دبّر لمّا اوهم تشبيه الأيحاء اليه بالأيحاء الى الأنبياء مزية الأحياء اليهم لكونه مشبّها به استدرك عنه بان للأيحاء اليه مزيةً بقوله ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ﴾ يبيّن نبوّتك ﴿بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن المعجز الشاهد انّه من عند الله ﴿أَنزَلَهُ﴾ ملتبسا ﴿بِعِلْمِهِ﴾ الخاص به اى العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كلّ بليغ ﴿وَالْمَلَئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ ايضا بنبوّتك حيث ياتون لاعانتك فى القتال عيانا ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا (١٦٦)﴾ على ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ النّاس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَلًا بَعِيدًا (١٦٧)﴾ لجمعهم بين الضّلال والاضلال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ محمّدا بكتمان نعته والنّاس بصدهم عمّا فيه صلاحهم ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨)﴾ من الطّرق ﴿إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ الطريق المؤدى اليها ﴿خَالِدِينَ﴾ حال منهم باعتبار الايصال ﴿فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (١٦٩)﴾ هيّنا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا﴾ ايمانا ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ او واقصدوا خيرا لكم ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ فهو غنىّ عنكم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ باحوالكم ﴿حَكِيمًا (١٧٠)﴾ فيما دبّر لكم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا﴾ تتجاوزوا الحدّ ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ الخطاب لليهود والنّصارى او النّصارى فقط فانّه اوفق لقوله ﴿وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ﴾ القول ﴿الْحَقَّ﴾ من التّنزيه عن الشرك والولد والصاحبة ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ اوصلها اليها ﴿وَرُوحٌ﴾ وذو روح ﴿مِّنْهُ﴾ اضيف اليه تعالى تشريفا له وليس كما زعمتم انّه ابن الله او الها معه او ثالث ثلاثة لانّ ذا الرّوح مركب والاله منزه عن التّركيب وعن نسبة المركب اليه ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا﴾ الآلهة ﴿ثَلَثَةٌ﴾ الله وعيسى وامّه ﴿انتَهُوا﴾ عن التثليث واتوا ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ منه وهو التّوحيد ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ لا تعدّد له بوجه مّا ﴿سُبْحَانَهُ﴾ انزّه تنزيها له عن ﴿أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ خلقا

وملكا والمالكيّة تنافى البنوّة ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا (١٧١)﴾ قائم بحفظ الاشياء فهو مستغن عن ابن يكون وكيلا معينا له ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ﴾ يأنف ويتكبّر ﴿الْمَسِيحُ﴾ الّذى زعمتم انّه اله عن ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلّٰهِ﴾ فانّ عبوديّته شرف يتباهى به ﴿وَلاَ الْمَلٰئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون عند الله ان يكونوا عبيدا ﴿وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ والاستكبار دون الاستكاف ولذا عطف ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢)﴾ للجزاء يوم يجزى العباد ثم فصّل جزاء العباد المجمل المفهوم من السّوق بقوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب اعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللهِ﴾ اى غيره ﴿وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا (١٧٣)﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وهو النّبى او المعجزات ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤)﴾ بيّنا وهو القرآن ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ ثواب بازاء الأعمال يصل اليهم بمجرّد رحمته ﴿وَفَضْلٍ﴾ احسان زائد عليه ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ مقرّبا ايّاهم ﴿إِلَيْهِ﴾ اى الى الله فهو حال من الفاعل ﴿صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (١٧٥)﴾ هو الاسلام فى الدّنيا وطريق الجنّة فى الآخرة ونزل عقيب كلّ ما نزل فى الاحكام لمّا عاد ﷺ جابر بن عبد الله فقال انّى كلالة كيف اصنع فى مالى ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ فى الكلالة بقرينة الجواب ﴿قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ سبق تفسيرها ﴿إِنِ امْرُؤٌ﴾ مرفوع بفعل يفسّره ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ صفة امرأ او حاله ﴿وَ﴾ حال ﴿لَهُ أُخْتٌ﴾ من ابوين او اب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾ اى الأخ كذلك ﴿يَرِثُهَا﴾ جميع ما تركت ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ ذكر فلا شيء له عند وجوده او انثى فله ما فضل عن نصيبها ﴿فَإِنْ كَانَتَا﴾ اى الأختان ثنّى الضّمير لتثنية ﴿اثْنَتَيْنِ﴾ اى فصاعدا ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً﴾ غلب على الاخوات بقرينة ﴿رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم كراهة ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾ او لئلاّ تضلّوا ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)﴾ ومنه الميراث.

سورة المائدة

مدنيّة وهى مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العهود المؤكد الّتى بينكم وبين الله والنّاس مما يجب الوفاء به ويحسن على انّ الأمر مشترك بين الوجوب والنّدب وشرع فى تفصيل العقود بقوله ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ من اضافة العام الى الخاص للبيان وهى ايضا تسمّى بيانية وان كانت بمعنى اللاّم اى بهيمة هى الأنعام من الأبل والبقر والغنم وما لحق بها اكلا بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ آية تحريمه اى ﴿حرّمت عليكم الميتة﴾ الآية فالاستثناء متّصل ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ حال من الضمير فى لكم ﴿وَ﴾ حال ﴿أَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ جمع حرام وهو المحرم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١)﴾ من تحليل وتحريم وغيرهما ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ جمع شعيرة اى معلمة من الشعار اى العلامة والمراد به هنا مناسك الحج ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه او السّبى ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ ما اهدى الى الكعبة بالتّعرّض له جمع هدية ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ اى ذوات القلائد من الهدى جمع قلادة وهى ما قلّد به الهدى من نعل او قشر شجر او غيرهما ليعلم انّه هدى فلا يتعرض له فهى من عطف الخاص على العام للشّرافة ﴿وَلَا﴾ تحلّوا ﴿آمِّينَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ بان تقاتلوهم ﴿يَبْتَغُونَ﴾ حال من ضمير آمنين ﴿فَضْلًا﴾ رزقا ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بالتّجارة ﴿وَرِضْوَانًا﴾ منه بقصده على زعمهم لما روى انّ الآية نزلت لما همّ المسلمون ان يتعرضوا لحجّاج اليمامة عام قضاء العمرة فهى منسوخة بآية البرائة ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الأحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ امر اباحة هنا ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسبنّكم ويحملنّكم ﴿شَنَآنُ﴾ عداوة ﴿قَوْمٍ﴾ لأجل ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عام الحديبيّة ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ عليهم

بالقتل وغيره ثان مفعولى يجرمنّكم فانّه يتعدى الى واحد واثنين ككسب ﴿وتعاونوا عَلَى الْبِرِّ﴾ اى على فعل ما امرتم به ﴿والتَّقْوى﴾ بترك ما نهيتم عنه ﴿ولا تعاونوا على الإثم﴾ المعاصى ﴿والْعُدْوانِ﴾ التعدّى فى حدود الله ﴿واتَّقُوا الله إنَّ الله شديدُ الْعقاب (٢)﴾ لمن خالفه ﴿حُرِّمَتْ عليْكُمُ الْميْتةُ﴾ بيان ما يتلى عليكم ﴿والدَّمُ﴾ اى المسفوح كما فى الأنعام[1] كان اهل الجاهليّة يصبّونها فى الأمعاء ويشوونها ﴿ولَحْمُ الْخِنْزِيرِ وما أُهِلَّ﴾ رفع الصّوت ﴿لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ بان ذبح على اسم اللاّت والعزّى ﴿والْمُنْخنِقةُ﴾ الميتة خنقا ﴿وَالْمَوْقُوذةُ﴾ المضروبة بمثقل حتى ماتت ﴿والْمُتردِّيةُ﴾ السّاقطة من علو او فى بئر فماتت ﴿وَالنَّطِيحةُ﴾ الّتى نطحتها اخرى فماتت والتّاء فى الاربعة للنقل الى الاسمية ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ منه فماتت ﴿إلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ اى ادركتم ذبحه من هذه الاشياء وفيه حيوة مستقرة ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ واحد الأنصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدّون ذلك قربة ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا﴾ تطلبوا معرفة ما قسم لكم دون ما لم يقسم ﴿بِالأَزْلاَمِ﴾ بالاقداح فانّهم كانوا اذا قصدوا امرا كتبوا على قدح امرنى ربّى وعلى الآخر نهانى ربّى وتركوا آخر بلا كتابة فان خرج الأمر عملوا وان خرج النّهى تجنّبوا وان خرج الخالى اعادوا العمل المذكور ﴿ذَلِكُمْ﴾ الاستقسام ﴿فِسْقٌ﴾ لانّه دخول فى علم الغيب وضلال بأعتقاد انّ ذلك طريق اليه ونزل بعرفة عام حجة الوداع ﴿الْيَوْمَ﴾ لم يرد به يوما بعينه بل الحاضر وما يتصل به من الأزمنة او اراد يوم نزولها ﴿يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾ من ابطاله ورجوعكم عنه لما رأوا من قوّته ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ متفرّع على يأسهم من حيث كونه من عند الله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بالتنصيص على قواعد العقائد والاحكام وقوانين الاجتهاد او بتحقيق ركنه الخامس الّذى هو الحجّ بفتح مكّة ليحجّها المسلمون ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ اى نعمة الاسلام باتمام نزول الوحى وسدّ باب نسخ الحكم ﴿وَرَضِيتُ﴾ اخترت ﴿لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ من بين الأديان ﴿فَمَنِ

[1] - سورة الأنعام: ١٤٥

اضْطُرَّ﴾ الى اكل شيء من هذه المحرّمات فهو متّصل بها وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنّب عنها ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ مائل ﴿لِإِثْمٍ﴾ معصية بان يجاوز حدّ الرّخصة ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)﴾ لا يؤاخذه باكله ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ جواب ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الطّعام ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ المستلذات الّتى لم يستخبثها الشّارع ولا مجتهد بالقياس ﴿وَ﴾ صيد ﴿مَا عَلَّمْتُم مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ كواسب الصّيد لأهله من الكلاب والسّباع والطّير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من فاعل علّمتم معلّمين ايّاه الصّيد فى غاية الكمال ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال ثانية او استيناف ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾ من الحيل وطرق التّاديب ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ بان لم ياكلن منه وان قتلنه بخلاف ما اذا اكلن منه فانّه حرام فانّه انما امسكنه على انفسهن لا عليكم وعلامة تعليمها ان تنزجر اذا ارسلت ثمّ زجرت وتمسك الصيد ولا تأكله واقلّ ما يعرف به ذلك ثلث مرّات ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾ عند ارساله ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ فى محرّماته ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)﴾ فيؤاخذكم بما جلّ ودقّ ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ المستلذات شرعا كرّر للجمع مع باقى ما احلّ لينضبط الكلّ بسهولة وتقيّده باليوم للتّصريح بانّ احلال هذه الامور فى يوم اكمال الدّين فلا يعقبه نسخ ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اى اليهود والنّصارى ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿لَكُمْ﴾ سواء الذبايح وغيرها ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فلا بأس عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ الحرائر العفائف ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ الحرائر ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وان كنّ حربيات اى حلّ لكم ان تنكحوهنّ ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ وتقييد الحلّ باتيانها لتأكيد وجوبها او المراد التزامها ﴿مُحْصِنِينَ﴾ اعفاء بالنّكاح ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ مجاهرين بالزّنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ اصدقاء منهنّ تسرون بالزّنى بهنّ ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ﴾ بان ينكر شرايع الاسلام ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾ اردتم القيام ﴿إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ فان كنتم محدثين ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ اى

معها كما بيّنت السّنة ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ الباء للألصاق اى الصقوا المسح بها من غير اسالة ماء ولا استيعاب فيكفى اقلّ ما يصدق عليه الاسم وعليه الشّافعى ﴿وأرجلكم﴾ بالنّصب عطف على ايديكم وبالجرّ على الجوار ﴿إلى الكعبين﴾ اى معهما كما بيّنت السّنة وفى الفصل بينه وبين اخويه يفيد وجوب التّرتيب فى غسل هذه الأعضاء كما وقعت فى النّظم ﴿وإن كنتم جنبا فاطّهّروا﴾ فاغتسلوا ﴿وإن كنتم مرضى﴾ مرضا يضرّه الماء ﴿أو على سفر أو جاء أحدٌ منكم من الغائط أو لامستم النّساء فلم تجدوا ماءً فتيمّموا صعيدًا طيّبًا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ سبق تفسيره[1] وتكريره ليتّصل الكلام فى بيان انواع الطّهارة ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم﴾ فى الدّين ﴿من حرج﴾ ضيق فيما فرض عليكم من الوضوأ والغسل والتّيمّم ﴿ولكن يريد ليطهّركم﴾ من الأحداث والذنوب فانّ الوضوأ يمحو الصّغائر قبله واللام فى الموضعين للعلّة ومفعول يريد محذوف ﴿وليتمّ نعمته عليكم﴾ ببيان شرايع الدّين ﴿لعلّكم تشكرون (٦)﴾ نعمه ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالاسلام ليحملكم على شكر المنعم ﴿وميثاقه﴾ عهده ﴿الّذي واثقكم به﴾ عاهدكم عليه ﴿إذ قلتم﴾ للنّبى ﷺ حين بايعتموه ليلة العقبة او بيعة الرّضوان ﴿سمعنا وأطعنا﴾ فى كلّ ما تأمر به وتنهى عنه مما نحبّه ونكره ﴿واتّقوا الله﴾ فى ميثاقه ان تنقضوه ﴿إنّ الله عليم بذات الصّدور (٧)﴾ بما فى القلوب فبغيرها اولى ﴿يا أيّها الّذين آمنوا كونوا قوّامين﴾ قائمين ﴿لله﴾ بحقوقه من كلّ ما فيه اظهار مقتضى العبودية وتعظيم شأن الربوبيّة ﴿شهداء﴾ خبر بعد خبر ﴿بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا يجرمنّكم﴾ يحملنّكم ﴿شنآن﴾ بغض ﴿قوم﴾ اى الكفّار ﴿على أن لا تعدلوا﴾ فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحلّ من قذف ونقض عهد تشفّيا لقلوبكم ﴿اعدلوا﴾ فيهم ﴿هو﴾ اى العدل الدال عليه الفعل ﴿أقرب للتّقوى﴾ واذا كان العدل معهم مأمورا به معلّلا بقربه الى التّقوى فما ظنك بالعدل مع المؤمنين ﴿واتّقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون (٨)﴾ فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم لمزيد الأهتمام

---

[1] - سورة النساء: ٤٣

بالعدل واطفاء الغيظ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وعدا حسنا حذفه استغناء بقوله ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)﴾ فانّه استيناف يبيّنه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ وهم المشركون بعد ما رأوكم تصلّون الظّهر معا بِعُسْفان ولم يتعرّضوا لكم ﴿أَنْ يَبْسُطُوا﴾ يمدّوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والأهلاك عند صلوة العصر ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ اى ردّ مضرّتها عنكم بانزال صلوة الخوف فلم يبق لهم مجال الى الحمل عليكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)﴾ فانّه الكافى لأيصال الخير ودفع الشّر ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بما يذكر بعد ﴿وَبَعَثْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة اقمنا ﴿مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ اميرا من كل سبط يفتش عن احوال قومه او يكون كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ فاعلم ما تعملون لا يفوتنى شيء منه ﴿لَئِنْ﴾ اللاّم موطئة للقسم ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ اى نصرتموهم واصله الذب ومنه التّعزير ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالانفاق فى سبيله ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ جواب القسم ساد مسدّ جواب الشرط ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق المؤكّد المعلّق به الوعد العظيم ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢)﴾ طريق الحقّ ضلالا لا شبهة فيه ولا معذرة بخلاف من كفر قبل ذلك فانّه يحتمل الشّبهة والمعذرة فنقضوا الميثاق قال تعالى ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ ما زائدة اى فبنقضهم ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ ابعدناهم من رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الّتى فى التّورية من نعت محمّد ﷺ وغيره ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ الّتى وضعه الله عليها اى يبدّلونه استيناف لبيان قسوة قلوبهم ﴿وَنَسُوا﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيبا وافيا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من التّورية او من اتباع محمّد ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ﴾ خيانة ﴿مِنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره اى انّها من عادتهم وعادة اسلافهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ لم يخونوا وهم الّذين آمنوا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ يعنى لمّا خانوا الله وهى

من عادتهم فلا تحزن على خيانتهم ايّاك بل اعف عمّا فعلوا فى شأنك وعامل معهم ما امرك الله ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)﴾ تعليل للامر بالصفح وحثّ عليه ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ اى من النّصارى عبّر بهذا الاسلوب للدلالة على مزيد تعييرهم بأنّهم مع دعوى نصرة الله خالفوه وهو متعلّق بقوله ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما اخذنا على بنى اسرائيل العهود ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ فى الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ اوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ اى بين النّصارى بتفرّقهم الى النّسطورية ويعقوبية وملكائيّة بحيث تكفّر كلّ فرقة الأخرى او بينهم وبين اليهود ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤)﴾ بالجزاء ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنّصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمّد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كنعت محمّد فى التّورية وبشارة عيسى به فى الأنجيل ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه ولا يبيّنه الاّ اذا اقتضت مصلحة دنيّة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥)﴾ يعنى القرآن فانّه كاشف ظلمات الشك وواضح الاعجاز ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ بان آمن ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ طرق السّلامة من العذاب ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ اى من انواع الكفر الى الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بارادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)﴾ دين الاسلام ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه الها وهم اليعقوبيّة فرقة من النّصارى حكموا بالاتّحاد ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ اى فمن يمنع من ارادته شيئا ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ﴾ على فرض حيوتها ﴿وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ على الفرض ايضا اى لا احد يملك ذلك فلو كان المسيح الها لقدر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)﴾ دليل آخر على نفى ألوهيّة عيسى لانه لو كان الها لكان له الملك وقوله: ﴿يخلق ما يشاء﴾ بيان انّ قدرته اوسع من عالم الوجود ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ اى كلّ منهما عن نفسه ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ اى كابنائه فى القرب والمنزلة وهو كأبينا فى الرّحمة والشفقة ﴿قُلْ فَلِمَ

يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ ان صدقتم فى ذلك ولا يعذّب الاب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذّبكم فى الدّنيا بالمسخ وغيره وسيعذّبكم بالنّار وان كان ايّاما معدودة كما زعمتم ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ فيعاملكم معاملتهم ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ اى المؤمنين ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ اى الكفرة ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمّد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ الدّين ﴿عَلَى فَتْرَةٍ﴾ انقطاع متعلق بجائكم او برسولنا امّا بالظّرفية او الحالية ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ اذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول بل اربعة انبياء ومدّة ذلك خمسمأية وتسع وستّون سنة لكراهة ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ اعتذارا ﴿مَا جَائَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ﴾ لا تعتذروا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩)﴾ ومنه تعذيبكم ان لم تتّبعوه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ﴾ كثيرة كما يفهم من الجمع المنكّر فارشدكم وشرفكم بهم ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ كثيرة اصحاب خدم وحشم مالكين لأمركم ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠)﴾ من فلق البحر وغيره ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهّرة من الشّرك لكونها قرار الأنبياء وهى ارض بيت المقدّس ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قسمها وسمّاها لكم حين صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان حيث قال له انظر فما ادركه بصرك فهو مقدّس ميراث لذريّتك ﴿وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ لا تنهزموا خوف الجبابرة الّتى فيها ﴿فَتَنْقَلِبُوا﴾ جزم للعطف لا للجواب ﴿خَاسِرِينَ (٢١)﴾ ثواب الدّارين ﴿قَالُوا﴾ حين اخبرهم عن هول الجبابرة وشدتهم النّقباء الأثنى عشر الّذين بعثهم موسى ليتجسّسوا احوالَ العماقلة فوجدهم عوج ابن عنق رأس العمالقة وكان طوله ثلثة آلاف وثلثمأية وثلاثة وثلاثين ذراعا وعاش ثلاثة آلاف سنة فجعلهم فى حزمة من الحطب حملها على رأسه واتى بهم الى امرأته وقال انظرى هؤلاء يريدون قتالنا وكان قد نهاهم موسى عن الأخبار فلم ينته الاّ كالب بن يوفنا ويوشع بن نون ﴿يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ متغلّبين لا يتأتّى مقاومتهم لانّ طول ادناهم ثمانون ذراعا ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا

مِنْها فإنْ يخْرُجُوا منْها فإنَّا داخلُون (٢٢) قال﴾ لهم ﴿رجُلان﴾ كالب ويوشع ﴿من الّذين يخافُون﴾ الله ويتّقوه او زوال النعمة بقرينة ﴿أنْعم اللهُ عليْهما﴾ بالإيمان والعصمة عن افشاء هول الجبابرة جملة اعتراضيّة اوصفة ثانية اوحال لرجلان ﴿ادْخُلُوا عليْهمُ الْباب﴾ اى باب القرية لا تبارزوهم فى الصحراء ولا تخشوهم ﴿فإذا دخلْتُمُوهُ فإنّكُمْ غالبُون﴾ لتعسّر الحرب عليهم فى المضايق لعظم اجسامهم ولانّهم اجساد لا قلوب فيها ولانّ دخوله انقياد امر الله فالبتّة ينصركم ﴿وعلَى اللهِ فتوكّلُوا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمنين (٢٣) قالُوا يا مُوسى إنّا لنْ ندْخُلها أبدًا ما دامُوا فيها﴾ بدل بعض من ابدا ﴿فاذْهبْ أنْت وربُّك فقاتلا إنّا هٰهُنا قاعدُون (٢٤)﴾ قالوه استهانة بالله ورسوله ﴿قال﴾ موسى حينئذ شاكيا بثّه وحزنه الى الله ﴿ربّ إنّي لا أمْلكُ إلاّ نفْسي و﴾ الاّ ﴿أخي﴾ هارون عليه السلام ولم يثق بالرّجلين المذكورين لما بدا تلوّن قومه ولذا لم يذكرهما ﴿فافْرُقْ﴾ فافصل ﴿بيْننا وبيْن الْقوْم الْفاسقين (٢٥)﴾ بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقّونه ﴿قال﴾ تعالى له ﴿فإنّها﴾ اى الأرض المقدّس ﴿محرّمةٌ عليْهمْ﴾ لا يدخلونها لعصيانهم ﴿أرْبعين سنةً﴾ عن كلّ يوم من غيبة النّقباء حين ذهبوا للتّجسّس سنة وهو ظرف لقوله ﴿يتيهُون﴾ يتحيّرون ﴿في الأرْض﴾ فى تسعة فراسخ منها ﴿فلا تأْس﴾ تحزن ﴿على الْقوْم الْفاسقين (٢٦)﴾ خاطبه به لمآ ندم على الدّعاء عليهم روى انّهم كانوا يسرون اللّيل فاذا اصبحوا اذا هم فى الموضع الّذى ابتدأوا منه ويسيرون النّهار كذلك حتّى انقرضوا كلّهم الاّ من لم يبلغ العشرين ويوشع وكان التيه عذابا لهم لكنّه تعالى تفضّل عليهم فيه بتظليل الغمام وغيره ورحمة لموسى وهارون وزيادة درجة وماتاهما ايضا فيه فجعل الله يوشع بعد الأربعين نبيّا لذريّتهم وامره بقتال الجبابرة فقاتلهم يوم الجمعة ووقفت له الشّمس ساعة حتى فرغ من قتالهم ولم تحبس على غيرهم قطّ ﴿واتْلُ﴾ يامحمّد ﴿عليْهمْ﴾ على قومك ﴿نبأ﴾ خبر ﴿ابْنيْ آدم﴾ هابيل وقابيل تلاوة ملتبسة ﴿بالْحقّ إذْ﴾ ظرف النّبأ ﴿قرّبا﴾ لما امتنع قابيل ان تزوّج توئمته اقليما لجمالها من هابيل وتوئمة هابيل كبوزا منه كما كانت قاعدة آدم من تزويج توئمة كلّ من اولاده على الآخر

فأمرهم آدم ان يتقربا قربانا فمن ايّهما تقبّل فاقليما له ﴿قُرْبَانًا﴾ كبش لهابيل لانّه كان صاحب ضرع وحنطة لقابيل لكونه صاحب زرع ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل بان نزلت نار من السّماء فاكلت قربانه كما كان علامة القبول ذلك ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ قابيل ليدلّ على انّ ما اراد آدم من تزويج توئمته من هابيل كان وحيا فغضب واضمر الحسد فى نفسه الى ان حجّ آدم ﴿قَالَ﴾ لهابيل ﴿لأَقْتُلَنَّكَ﴾ لتقبل قربانك دونى ﴿قَالَ﴾ له هابيل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)﴾ فمنعت من القبول بتركك التّقوى لا دخل لى فيه ﴿لَئِنْ﴾ لام توطئة قسم ﴿بَسَطْتَ﴾ مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾ اجاب القسم بالاسميّة وذكر البسط بدل القتل للدّلالة على التّبرّى بالكلّية ﴿إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨)﴾ لامنك لانّه كان اقوى منه ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾ ترجع ملتبسا ﴿بِإِثْمِي﴾ اى باثم قتلى ﴿وَإِثْمِكَ﴾ الّذى ارتكبته من قبل فلم يتقبّل لاجله قربانك ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾ والمقصود بالذات ارادة ان لا تكون هذه المعصية له على تقدير وقوعها البتة لا ان تكون لاخيه فيشقى على انّ ارادتها منه فى هذه الحالة ليست بحرام بل عين التّقوى ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ سهّلت وزيّنت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾ وهو ابن عشرين سنة بالبصرة فى موضع المسجد الأعظم ﴿فَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠)﴾ دينا ودنيا اذ طرده الابّ واسودّ جسمه وبقى مذموما الى يوم القيامة ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ﴾ ينبش التّراب بمنقاره ورجليه الى ان حفر حفرة والقى غرابا ميّة معه فيها وبث عليه التّراب ﴿لِيُرِيَهُ﴾ يعلمه الله او الغراب ﴿كَيْفَ﴾ حال من ضمير ﴿يُوَارِي﴾ يستر ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ جسده اذ كان قد تحيّر فيه لانّه اوّل ميّت من بنى آدم وحمله على رقبته سنة والجملة مفعول ثان ليرى ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا﴾ كلمة تحسّر والفها بدل من ياء المتكلّم والمعنى يا هلكتى احضرى فهذا آوانك ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ﴾ عطف على اكون ﴿سَوْءَةَ أَخِي﴾ والاستفهام للتّعجب من هذا العجز ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)﴾ على قتله لما وقع فيه

من الحمل سنة وظهور انّه اجهل من الغراب وغير ذلك ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ الّذى فعل قابيل من ابتدائيّة متعلّقة ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لانّه فعله حسدا وهو متناه فيهم ﴿أَنَّهُ﴾ الشأن ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ من كفر او زنا او قطع طريق اونحوه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لهتكه حرمة الدّماء ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بان امتنع من قتلها ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لصونه حرمة الدّماء والمقصود تعظيم قتل النفس واحياها فى القلوب والتّرهيب والتّرغيب ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ اى بنى اسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات لتحامى القتل ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢)﴾ في القتل ولا يبالون به وبهذا اتّصلت قصّة ابنى آدم بقصّتهم فى التّيه ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بمحاربة المسلمين وقطع طريقهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ مفسدين او لأجل الفساد ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ مع القتل ان قتلوا واخذوا المال ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال فقط ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ان خوفوا فقط ﴿ذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ ذلّ ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾ لعظم ذنوبهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما اتوه ﴿رَحِيمٌ (٣٤)﴾ بهم هذا بالنظر الى حقّ الله حيث يسقط بالتّوبة لاحق الآدميّين فانّه باق قصاصا كان او مالا بقرينة انّه لم يقل فلا تحدّوهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ﴾ حال من ﴿الْوَسِيلَةَ﴾ اى ما تتوسّلون به الى ثوابه من طاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ اعدائه الظّاهرة والباطنة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥)﴾ تفوزون ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ ليجعلوه فدية لانفسهم متعلّق بثبت المقدّر وتوحيد الضّمير لاجرائه مجرى اسم الأشارة فى نحو عوان بين ذلك ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ جواب لو وهو مع ما فى حيّزه خبر انّ والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وعدم خلاصهم منه ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦)﴾ تصريح بالمقصود منه

وكذلك قوله ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٧)﴾ دائم ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ اللاّم فيهما موصولة مبتدأ متضمّنة معنى الشّرط ولذا دخلت الفاء فى الخبر وهو ﴿فَاقْطَعُوا﴾ او الخبر محذوف وهذا جزاء شرط مقدّر والتقدير حكمهما فى ما يتلى عليكم اذا سرقا فاقطعوا ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ اى يمين كلّ منهما من الكوع بسرقة ربع دينار فصاعدا فان عاد فالرّجل اليسرى ثم اليد اليسرى ثم الرّجل اليمنى ثم يعزّر ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا﴾ عقوبة ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ منصوبان على المصدر دل على فعلهما فاقطعوا ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ اى سرقته ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩)﴾ فلا يعذّبه فى الآخرة لكن لا يسقط عنه المال والقطع لانّهما حقّ المسروق منه الاّ ان عفى عنه قبل الرّفع الى الأمام ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يامحمّد والاستفهام للتّقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠)﴾ قدّم التّعذيب على المغفرة لانّ المقصود وصفه بالقدرة والقدرة فى تعذيب من يشاء اظهر ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ﴾ صنع ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه بسرعة اى يظهرونه اذا وجدوا فرصة ﴿مِنَ﴾ بيان ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بألسنتهم متعلّق بقالوا ﴿وَ﴾ حال ﴿لَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وهو المنافقون ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ عطف على من الّذين قالوا هم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الّذى افترته احبارهم اللاّم مزيدة لمزيد التّاكيد فى السّماع ﴿سَمَّاعُونَ﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ اى الأنحاء الى قوم ﴿آخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ صفة قوم وهم اهل خيبر زنى فيهم محصنان شريفان فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة ليسألوا النّبى ﷺ عن حكمهما ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الّذى فى التّورية كآية الرّجم ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ الّتى وضعه الله عليها اى يبدّلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن ارسلوهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ المحرّف لانّهم كانوا حرفوا الرّجم الى الجلد اى ان افتاكم به محمّد ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل افتاكم بخلافه ﴿فَاحْذَرُوا﴾ ان تقبلوه لكنّ النّبى ﷺ امر بالزانيين فرجما عند باب المسجد ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ ضلالته ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ

مِنَ اللهِ﴾ اى بدله ﴿شَيْئًا﴾ فى دفعها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر ولو اراده لكان وهو نصّ على فساد قول المعتزلة ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ ذلّ بالفضيحة والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)﴾ الضمير للفريقين او لاولئك هم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرّره للتاكيد او توطئة لقوله: فاحكم بينهم ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ اى الحرام كالرشى ﴿فَإِنْ جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ليست الآية فى اهل الذّمة اذ الأصحّ وجوب الحكم بين المتدافعين منهم وكذا ان كان احدهما فقط ذميّا ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ للأغراض اذ الله عاصمك ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل كما امر الله ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢)﴾ فيعظّم شأنهم ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَ﴾ حال ﴿عِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ﴾ بالرّجم حال من ضمير التورية فى عندهم والاستفهام تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به مع وجود الحكم فى كتابهم وتنبيه على انّهم ما قصدوا معرفة الحقّ بل ما هو اهون عليهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ عن حكمك الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التّحكيم ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣)﴾ بك وبكتابهم ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضّلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للاحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ من بنى اسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ انقادوا لله صفة مادحة لهم ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ متعلّق بيحكم ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ ذهّادهم عطف على النّبيّين ﴿وَالأَحْبَارُ﴾ علمائهم وهم من اولاد هارون لانّ الحبورة كانت فيهم خاصّة ﴿بِمَا﴾ اى بسبب الّذى ﴿اسْتُحْفِظُوا﴾ امروا بحفظه من التّحريف ﴿مِن كِتَابِ اللهِ﴾ بيان ما والعائد اليها محذوف ويجوز ان تكون مصدريّة اى بامر الله ان يحفظوا كتابه من التضييع والتّحريف فيستغنى عنه ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ اى بسبب ما كانوا عليه شهداء انّه حقّ ﴿فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ يا يهود فى اظهار ما عندكم من الحقّ ﴿وَاخْشَوْنِ﴾ فى كتمانه ﴿وَلاَ تَشْتَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾ احكامى الّتى انزلتها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هو الرشوة والجاه على كتمانها ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)﴾ به ﴿وَكَتَبْنَا﴾ فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ اليهود كتابة مثبتة ﴿فِيهَا﴾ التّورية ﴿أَنَّ

النَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ﴾ تفقأ ﴿بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ﴾ تجدع ﴿بِالأَنفِ وَالأُذُنَ﴾ تقطع ﴿بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ﴾ يقلع ﴿بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ﴾ ذات ﴿قِصَاصٌ﴾ مصدر بمعنى المقاصة اى يقتصّ فيها اذا امكن كاليد والرّجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن ففيه الحكومة وهو اجمال حكم الجراحات بعد تفصيل البعض وهذا الحكم مقرّر فى شرعنا ايضا ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ﴾ من المستحقّين ﴿بِهِ﴾ بالقصاص اى عفى عنه ﴿فَهُوَ﴾ التّصدق ﴿كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ لذنوبه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فى القصاص وغيره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) وَقَفَّيْنَا﴾ اتبعنا النبيّين حذف لدلالة ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ عليه ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ والجملة حال ولذا عطف عليها ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَ﴾ آتيناه ﴿لْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)﴾ عن حكمه ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يامحمّد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ اى الصّدق ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ اى الكتب ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ رقيبا شاهدا ﴿عَلَيْهِ﴾ اى الكتاب بالصّحة ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ بين اهل الكتاب اذا ترافعوا اليك ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ اليك ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ مائلا ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ ايها النّاس ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ طريقا واضحا فى الدّين تمشون عليه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على شريعة واحدة ﴿وَلَكِن﴾ فرقكم فرقا ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشّرائع المختلفة لينظر المطيع منكم بقبول ما آتاه والعاصى بردّه واتّباع الاوّل تأنّيا بأبائه ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ سارعوا اليها ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ علّة لتفرّع طلب الاستباق على ما قبله ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾ بالجزاء الفارق بين المحقّ والمبطل ﴿وَ﴾ انزلنا ﴿أَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ﴾ مخافة ﴿أَن يَفْتِنُوكَ﴾ فهو مفعول له ﴿عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الحكم المنزّل وارادوا غيره كالأحبار الّتى اتوك وطلبوا منك الحكم لهم على قوم منهم فى خصومة حتّى يؤمنوا بك

﴿فاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ﴾ بالعقوبة فى الدّنيا ﴿ببَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ الّتى اتوها ومنها التولّى ويجازيهم على جميعهم فى الأخرى ﴿وإِنَّ كَثِيراً من النَّاسِ لَفاسِقُونَ (٤٩)﴾ عطف على قوله: وكتبنا عليه فيها آه يعنى اثبتنا حكم القصاص فى الكتب قبلك وفى كتابك مع انّهم فاسقون عن احكامنا المقررة ﴿أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ﴾ من المداهنة والميل فى الحكم ﴿يَبْغُونَ﴾ يطلبون والاستفهام للانكار ﴿وَمَنْ﴾ اى لا احد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)﴾ اى عندهم اذ اللاّم للبيان فمآله هذا والمعنى هذا الاستفهام لقوم يوقنون لانّهم الّذين يتدبّرونه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ والنَّصارَى أَوْلِياءَ﴾ توالونهم وتوادونهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ لاتّحادهم فى الكفر ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم تشديد فى وجوب مجانبتهم كقوله ﷺ فى النّهى عن مخالطة المسلمين الكفّار لا تترأى ناراهما ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ انفسهم بموالاة الكفّار تعليل بعد تعليل ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد كعبد الله بن ابىّ واضرابه ﴿يُسارِعُونَ فِيهِمْ﴾ فى موالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معتذرين عنها ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنا دَآئِرَةٌ﴾ من دوائر الزّمان فتكون الدّولة للكفار قال تعالى ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بنصر نبيّه واظهار دينه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بهتك سرّ المنافقين وافتضاحهم ﴿فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الشك فى امر الرّسول وموالاة الكفّار ﴿نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ﴾ بالرفع كلام مستأنف وبالنّصب عطفا على ياتى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لبعضهم اذا هتك سترهم تعجّبا ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ﴾ اغلظها وغايتها نصب على الحال اذ التّقدير يجتهدون جهد ايمانهم حذف الفعل واقيم مقامه ولهذا ساغ كونه معرفة ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ (٥٣)﴾ امّا من جملة المقول او من مقول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ اخبار بما علم الله تعالى وقوعه وقد ارتدّ فى اواخر عهده ﷺ ثلث فرق من العرب بنو مدلج اتباع ذو الحمار الاسود العَنْسى تنبّأ باليمن قتل ليلة قبضه ﷺ من غدها واخبر الرّسول فى تلك

اللّيلة فسّر المسلمين وبنوا حنيفة اصحاب مسيلمة الكذّاب تنبّأ وكتب اليه ﷺ من مسيلمة رسول الله الى محمّد رسول امّا بعد فانّ الأرض نصفها لى ونصفها لك فأجابه من محمّد رسول الله الى مسيلمة الكذّاب امّا بعد فانّ الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتّقين قتله الوحشى قاتل حمزة فى خلافة ابى بكر بمقاتلة عظيمة وبنوا اسدّ قوم طليحة بن خويلة تنبّأ لكنّه اسلم واحسن اسلامه آخرا وارتد بعد وفاته ﷺ قبائل كثيرة ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ جزاء او خبر لمن بحذف العائد اى مكانهم ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ بأرادة الهدى وحسن الثّواب ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ بأرادة طاعته وهم اهل اليمن لقوله ﷺ: «هم قوم هذا» مشيرا الى ابى موسى الأشعرىّ ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ جمع ذليل تعدّى بعلى دون اللاّم لتضمّنه معنى العطف اى متذلّلين عاطفين عليهم ﴿أَعِزَّةٍ﴾ اشدّاء متغلّبين ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ من عزّه اذا غلبه ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفة اخرى لهم وقوله ﴿وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾ عطف عليه يعنى انّهم جامعون بين الصّفتين لا كالمنافقين الخارجين خائفين ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ (٥٤)﴾ بمن هو اهله ولما نهى عن موالاة الكفرة بقوله: لا تتّخذوا اليهود ذكر من هو حقيق لها بقوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ﴾ صفة للّذين آمنوا او بدل ﴿يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)﴾ خاشعون فى صلوتهم وزكاتهم او مصلّون صلوة التّطوع ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ اى من يتخذهم اولياء ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ لنصره اياهم اوقعه موقع فانّهم لبيان انّهم من حزبه اى اتباعه وتشريفا لهم بهذا الاسم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوا﴾ مهزوّا به ﴿وَلَعِبًا مِنَ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾ اى المشركين بالجر داخل فى البيان وبالنصب عطف على الّذين اتخذوا ﴿أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك المناهى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧)﴾ لانّ الإيمان حقّا يقتضى ذلك ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ الصلوة او المناداة روى انّ نصرانيا كان بالمدينة يقول اذا قال المؤذّن اشهد انّ

محمّدا رسول الله اخزى الله الكاذب فتطاير شرر النّار فى بيته ذات ليلة فاحترق باهله ﴿ذلك﴾ الأتخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (٥٨)﴾ فانّ العقل يمنع عنه ونزل لمآ قال اليهود للنّبىّ ﷺ بمن تؤمن فقال او من بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فلمّا ذكر عيسى قالوا لا نعلم دينا اشرّا من دينكم ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ هَلْ تَنْقِمُونَ﴾ تنكرون وتعيبون ﴿مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وما أُنْزِلَ إِلَيْنا وما أُنْزِلَ من قَبْلُ﴾ الى الأنبياء ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فاسِقُونَ (٥٩)﴾ عطف على ان آمنّا على انّهما علّة الأنكار اى لا تنقمون منّا شيئا الاّ لان آمنّ ولانّ اكثركم فاسقون وفى القاضى توجيهات أخر فراجعه ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ الاكثر الفاسق ﴿مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ﴾ اى انبّئكم لطلب مثوبة عند الله فى هذا الأنباء بان يكون سبب مخافتكم وهدايتكم فهو مفعول له هو ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ﴾ ابعده من رحمته وهم اليهود ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ﴾ راعى فيه معنى من وفى عليه لفظها ﴿الْقِرَدَةَ﴾ بمسخ شبان اهل السّبت بها ﴿وَالْخَنازِيرَ﴾ بمسخ مشائخهم بها ﴿وَ﴾ من ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ اى العجل او الشّيطان بإطاعته فيما زيّن لهم ﴿أُولَئِكَ﴾ الملعونون ﴿شَرٌّ﴾ من الأكثر الفاسقين ﴿مَكاناً﴾ تميز جعله شرّا ليكون ابلغ فى الدّلالة على شرارتهم ﴿وَأَضَلُّ﴾ منهم ﴿عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ (٦٠)﴾ طريق الحقّ المتوسّط بين غلوّ النّصارى وقدح اليهود ﴿وَإِذا جاؤُكُمْ﴾ اى اليهود المنافقون او المنافقون مطلقا ﴿قالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا﴾ اليكم ملتبسين ﴿بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ ملتبسين ﴿بِهِ﴾ والجملتان حالان من فاعل قالوا ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ﴾ منهم ﴿بِما كانُوا يَكْتُمُونَ (٦١)﴾ من الكفر اى بعاقبته فلا يترتّب عليه ما تمنّوه ﴿وَتَرى كَثِيراً مِنْهُمْ﴾ اليهود او المنافقين ﴿يُسارِعُونَ﴾ يقعون سريعا ﴿فِي الإِثْمِ﴾ اى الحرام او الكذب ﴿وَالْعُدْوانِ﴾ الظلم ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الحرام كالرشى خصّه بالذّكر للمبالغة ﴿لَبِئْسَ ما﴾ شيئا ﴿كانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢)﴾ عملهم هذا ﴿لَوْلا﴾ هلاّ ﴿يَنْهاهُمُ الرَّبّانِيُّونَ وَالأَحْبارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ لولا فى المضارع تفيد التّحضيض وفى الماضى تفيد التّوبيخ ﴿لَبِئْسَ ما﴾ شيئا ﴿كانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)﴾ اى علمائهم ترك

نميهم هذا ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ لمّا ضيّق عليهم تكذيبهم النّبيّ ﷺ بعد ان كانوا اكثر النّاس مالا ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن افاضة الرّزق علينا فغلّها مجاز عن البخل كما ان بسطها مجاز عن الجود قال تعالى ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ دعاء عليهم بالبخل والنّكد او الفقر والمسكنة ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ثنّى اليد مبالغة فى نفى البخل واثباتا لغاية الجود اذ غاية ما يبذله السّخى من ماله ان يعطى بيديه ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من توسيع وتضييق على حسب مقتضى حكمته لا على تعاقب ضيق وسعة فى ذات يد والجملة تاكيد لما قبلها ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ﴾ اى القرآن فاعل يزيدن ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ اى طغيانهم وكفرهم الّذى فيهم ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكلّ فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ اى لحرب الرّسول ﷺ وهو صلة اوقدوا او صفة نارا ﴿أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ اى كلّما ارادوه ردّهم بان اوقع بينهم منازعة كفّ بها شرّهم عنه ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ اى للفساد وهو اجتهادهم فى الكيد واثارة الحروب وهتك المحارم ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)﴾ فلا يجازيهم الاّ شرّا ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ بمحمّد ﴿وَاتَّقَوْا﴾ المعاصى ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المتقدمة ﴿وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ بالعمل بما فيهما ومنه الإيمان بالنّبيّ ﷺ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من سائر الكتب ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ بان يوسّع عليهم الرّزق بالمياه النازلة من السّحاب والخارجة من الأرض ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ عادلة غير غالبة وهم من آمن به ﷺ كابن سلام واصحابه ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)﴾ اى بئس ما يعملونه ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ جميع ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ولا تكتم شيئا منه خوف ان تناله بمكروه ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ تبليغ جميعه ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ لانّ كتمان بعضها ككتمان كلّها ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ اى الكفّار ان يقتلوك فلا عذر لك فى عدم التّبليغ وكان عليه السّلام يُحْرَسُ حتّى نزلت فقال انصرفوا فقد عصمنى الله ﴿إِنَّ اللهَ لاَ

يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ (٦٧)﴾ الى ما يريدون بك ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لَسْتُمْ على شَيْءٍ﴾ من الدّين معتدّبه ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ والإِنْجِيلَ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ومن اقامتها الإيمان به ﷺ والمراد اقامة اصولها ومالم ينسخ من فروعها ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً﴾ لكفرهم به ﴿فَلا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿على الْقَوْمِ الْكافِرِينَ (٦٨)﴾ لزيادة طغيانهم وكفرهم بك فانّ ضرر ذلك ملحق بهم وانت غنيّ عنهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا﴾ وهم اليهود ﴿وَالصَّابِؤُنَ﴾ فرقة من اليهود مبتدأ خبره محذوف من جنس خبر انّ فكانّه متأخّر عمّا فى حيز انّ ويجوز عطفه على الصّلة بحذف صدرها اى الّذين هم الصّابئون ﴿وَالنَّصارى﴾ عطف على اسم انّ ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صالِحاً﴾ مبتدأ خبره ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)﴾ والجملة خبر انّ او هذا خبرها وما قبلها بدل من اسمها ﴿لَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسوله ﴿وَأَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلاً﴾ لتعليمهم امر دينهم ﴿كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ منهم ﴿بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ﴾ من التّكاليف الشّاقة عليهم ﴿فَرِيقاً﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقاً﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ (٧٠)﴾ اتى فيه حكاية الحال الماضية استحضارا لها هذا جواب الشّرط والجملة صفة رسلا او الجواب المحذوف اى استكبروا وهذا استيناف ﴿وَحَسِبُوا﴾ ظنوا بنو اسرائيل ﴿أَلاَّ تَكُونَ﴾ اى تقع ﴿فِتْنَةٌ﴾ عذاب بهم على تكذيب الرّسل وقتلهم وفى قرائة برفع تكون على انّ ان مخفّفة من المثقلة وادخال فعل الحسبان عليهاالتنزيله لتمكّنه فى قلوبهم منزلة العلم وعلى التّقديرين قائمة مقام مفعوليه ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحقّ ﴿وَصَمُّوا﴾ عن استماعه كما فعلوا حين عبدوا العجل ﴿ثُمَّ تابَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ مرّة اخرى ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بدل من الضّمير او فاعل والواو علامة الجمع ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ (٧١)﴾ فيجازيهم به ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله ﴿وَقالَ﴾ لهم ﴿الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ اى انّى عبد مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ﴾ فى العبادة غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ

الْجَنَّةَ﴾ منعه من دخولها كما يمتنع المحرّم عليه من المحرّم ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ﴾ زائدة ﴿أَنصَارٍ (٧٢)﴾ اى ما لهم احد ينصرهم من النّار ومن منع الدّخول فى الجنّة فوضع الظاهر موضع الضمير تصريحا بانّهم ظلموا بالاشراك من تمام كلام عيسى او من كلام الله ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ﴾ آلهة ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ اى احدها والآخران عيسى وامّه هذا قول النّسطورية والملكائيّة القائلين بالاقانيم الثلثة وماسبق قول اليعقوبيّة القائلين بالاتحاد ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ اى ما فى الوجوب واجب مستحقّ للعبادة من حيث انّه مبدأ جميع الموجودات الاّ اله واحد موصوف بالوحدانيّة متعال عن الشّركة ومن مزيدة للاستغراق ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ بالتّوحيد ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)﴾ العدول الى مظهر للتّعميم اذ المتبادر من الضمير رجوعه الى من قالوا بالتّثليث ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ بالأنتهاء عن تلك العقائد والأقوال الباطلة ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ بالتّوحيد والتّنزيه عن الأتحاد والحلول والاستفهام للأنكار اى ايستعظمون ذنوبهم ويياسوا بها عن قبول التّوبة والأستغفار ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للذّنوب ﴿رَحِيمٌ (٧٤)﴾ بافاضة الفضل ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ ماتت ﴿مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو حادث مسبوق بهم وسيموت مثلهم ومن هذا شأنه لا يصلح للألوهيّة ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ كسائر النّساء الّتى يلازمن الصّدق ﴿كَانَا﴾ اى هو وامّه ﴿يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ حياتهما مرتبطة به كسائر الحيوانات فهما فى غاية النّقصان عن الألوهيّة ثم قال تعالى تعجّبا من عدم انتهائهم مع امثال هذه الأدلة الظاهرة فقال ﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ (٧٥)﴾ يصرفون عن الحقّ وثمّ لتفاوة ما بين العجبين اذ الأعراض اعجب ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ترقّ فى التّوبيخ بعد توبيخهم على عبادة الصّليب فما عبارة عنه ﴿وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ بالاقوال ﴿الْعَلِيمُ (٧٦)﴾ بالافعال فيجازى عليها فالعبادة حقة دون ما تعبدونه ممّا لا شعور له ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا﴾ تتجاوزوا الحدّ ﴿فِي﴾ حفظ ﴿دِينِكُمْ﴾ حال كونه ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ لنسخه بمجىء

محمّد ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ وهم اسلافهم الّذين ضلّوا قبل بعثه ﷺ ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من النّاس ﴿وضلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)﴾ طريق الحقّ الّذى هو الاسلام بعد مبعثه لمّا كذّبوه وبغوا عليه فلا تكرار ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ﴾ بان دعى عليهم فمسخوا قردة وهم اصحاب ايلة ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بان دعى عليهم فمسخوا خنازير وهم اصحاب المائدة كانوا خمسة آلاف رجل ﴿ذَلِكَ﴾ اللّعن الشّنيع ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ﴾ اى لا ينهى بعضهم بعضا ﴿عَنْ﴾ معاودة ﴿مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾ تعجيب من سوأ فعل مؤكّد بالقسم ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ اهل الكتاب ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى يوالون المشركين بغضا لك ﴿لَبِئْسَ مَا﴾ شيئا ﴿قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ اهوائهم ليردوا عليه يوم القيامة والمخصوص بالذمّ ﴿أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠)﴾ عطف على سخط الله على انّ ان مخفّفة عاملة فى ضمير شأن مقدّر ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ﴾ اى نبيّهم او نبيّنا على انّ الآية فى المنافقين ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ اذ الإيمان يمنع ذلك ﴿وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)﴾ خارجون عن الإيمان ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهماكهم فى اتباع الهوى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ لرقّة قلوبهم وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ﴿ذَلِكَ﴾ قرب المودّة للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب انّ ﴿مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾ علماء فقيل من القسّ بمعنى تتبع الشيء وطلبه ﴿وَرُهْبَانًا﴾ عبّادا جمع راهب من الرّهبة اى المخافة ﴿وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)﴾ عن اتباع الحقّ كاليهود والمشركين ﴿وَإِذَا سَمِعُوا﴾ عطف على لايستكبرون ﴿مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ﴾ تمتلأ ﴿مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا﴾ من ابتدائيّة وما موصولة عائدها محذوف و ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾ بيانها ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بنبيّك وكتابك ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)﴾ اى من الّذين اخبروا من صميم القلب بانّه حقّ فانّ الشّهادة ما تكون منه ﴿وَ﴾ قالوا ابراء

لانفسهم عن تهمة النّفاق كما هو شأن اليهود ﴿مَا لَنَا﴾ استفهام انكار واستبعاد ﴿لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ حال من الضّمير والعامل فيه ما فى اللاّم من معنى الفعل اى ايّ شيء حصل لنا غير مؤمنين به اى لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾ عطف على نؤمن اى ما لنا لا نجمع بين الإيمان والطّمع اى نتركهما ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤)﴾ الجنّة قال تعالى ﴿فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥)﴾ بالإيمان والنّظر الصّحيح نزلت الآيات الأربع فى النّجاشى واصحابه لمّا قرأ جعفر بن ابى طالب سورة مريم عليهم فبكوا وآمنوا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ عطف التّكذيب بها على الكفر مع كونه ضربا منه لانّ القصد الى بيان حال المكذّبين وتشريكهم مع المصدّقين فى بيان الجزاء ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)﴾ ونزل لمّا همّ قوم من الصّحابة ان يلازموا الصّوم والقيام ولا يقربوا النّساء والطّيب ولا يأكلوا اللّحم ولا ينام على الفرش لمّا وصف ﷺ لهم القيامة وبالغ فى انذارهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ﴾ مستلذات ﴿مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا﴾ بتحليل الحرام او بالاسراف فى تناول الحلال بل اقصدوا بين التّحريم والاسراف ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ حال من ﴿حَلاَلاً طَيِّبًا﴾ وهو مفعول كلوا ولو لم يسمّ الحرام رزقا كما قالت المعتزلة لم يكن لذكر الحلال فائدة ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو ماسبق اليه اللّسان من غير قصد الحلف كقول الأنسان لا والله وبلى والله ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدْتُمُ﴾ بالتّخفيف والتّشديد وفى قرائة عاقدتم ﴿الأَيْمَانَ﴾ عليه بان حلفتم عن قصد ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ اى اليمين اذا حنثتم فيه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ لكلّ مسكين مدّ طعاما ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ اى اغلبه لا اعلاه ولا ادناه جمع اهل شاذا كارضون بسكون الرّاء ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ بما يسمّى كسوة كقميص وعمامة وازار ولا يكفى دفع ما ذكر الى مسكين واحد عطف على اطعام وكذا قوله ﴿أَوْ تَحْرِيرُ﴾ عتق

﴿رَقَبَةٍ﴾ مؤمنة كما فى كفارة القتل والظّهار حملا للمطلق على المقيّد والواجب احد هذه الثلثة على التّخيير كما هو منطوق او ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ واحدا ممّا ذكر ﴿فَصِيَامُ ثَلٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفارته وظاهره انّه لايشترط التّتابع وعليه الشّافعىّ ﴿ذٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ ان تنكثوها ما لم تكن على فعل برّ او اصلاح بين النّاس كما فى سورة البقرة[1] ﴿كَذٰلِكَ﴾ مثل ذلك البيان ﴿يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ اعلام شرايعه واحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾ على ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ المسكر الّذى يخامر العقل ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ القمار ﴿وَالأَنصَابُ﴾ الأصنام المنصوبة للعبادة جمع نصب ﴿وَالأَزْلاَمُ﴾ قداح الاستقسام كما فى اوّل السّورة ﴿رِجْسٌ﴾ نجس مستقذر عقلا افرد لانّه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف محذوف اى انّما تعاطى الخمر والميسر آه كائن ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ لانّه مسبب عن تزيينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ اى الرّجس المعبر به عن هذه الأشياء او الشّيطان وهو الملائم لما بعده ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ اذا اتيتموهما لما يحصل فيهما من الشّر والفتن خصّهما تنبيها على انّهما المقصود بالبيان وذكر الأنصاب والأزلام للدلالة على انّهما مثلهما فى الحرمة ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ بالاشتغال بهما ﴿عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ﴾ خصّها بالذكر مع اندراجها فى ذكر الله لانّ المراد به العبادة مطلقا تعظيما لها ﴿فَهَلْ أَنتُمْ مُّنتَهُونَ (٩١)﴾ عن الذّكر والصّلاة على وفق ارادة اللّعين اى لا يظنّ بعاقل الانتهاء عنهما بدعوته ﴿وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ المعاصى ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطّاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ (٩٢)﴾ وجزائكم علينا فلا يضرّه تولّيكم ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ اكلوا من الخمر والميسر قبل التّحريم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ المحرّمات ﴿وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اى ثبتوا على الأيمان والاعمال الصّالحة ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ ما حرّم عليهم بعد كالخمر ﴿وَآمَنُوا﴾ بتحريمه ﴿ثُمَّ

[1] – سورة البقرة: ٢٢٤

تَقْوى﴾ ثبتوا على اتّقاء المعاصى ﴿وأَحْسَنُوا﴾ العمل واشتغلوا به ولدفع التّكرار وجوه أخر لطيفة فى القاضى ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)﴾ اى يثيبهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ اى يختبرنّكم ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ يرسله لكم ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ﴾ اى الصّغار منه ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ الكبار منه وكان ذلك بالحديبيّة وهم محرمون فكانت الوحش والطّير تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم ظهور وتميز ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال اى غايبا لم يره فيجتنب الصّيد ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الانزال والاعلام فاصطاده ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾ الماكول ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ مُحْرِمُونَ بحجّ او عمرة جمع حرام كدراج ودرج ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ﴾ بالتّنوين ورفع مثل اى فعليه جزاء هو ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ صفة جزاء لا متعلّق به للفصل بالصّفة وفى قرائة غير الكوفيين بأضافة الجزاء بيانيّة فتعيّن التّعلق ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ صفة جزاء ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ اى رجلان لهما فطانة يميّزان بها اشبه الأشياء به خلقا وهيئة وتفصيل المشابهات فى الفقه ﴿هَدْيًا﴾ حال من الجزاء ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ اى يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق على مساكينه ولكون اضافة بالغ لفظيّة صار صفة لهديا وان لم يكن للصّيد مثل من النّعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿كَفَّارَةٌ﴾ غير الجزاء وان وجده وهى ﴿طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ من غالب قوة البلد ما يساوى قيمة الجزاء لكلّ مسكين مدّ ﴿أَوْ﴾ عليه ﴿عَدْلُ﴾ مثل ﴿ذَلِكَ﴾ الطّعام ﴿صِيَامًا﴾ تميز للعدل اى يصوم عن كلّ مدّ يوما وان وجده وجب ذلك عليه ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ﴾ ثقل ﴿أَمْرِهِ﴾ فعله وهتكه حرمة الاحرام ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ من قتل الصّيد قبل تحريمه او فى هذه المرّة ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ اليه ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ ليس فى هذا الكلام ما يمنع الكفارة على العائد بل فيه ثبوت الأنتقام وهو يحتمل ان يكون عين الكفارة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على امره ﴿ذُو انْتِقَامٍ (٩٥)﴾ ممّن اصرّ على عصيانه والحق بقتله متعمّدا فيما ذكر الخطأ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ ايّها النّاس حلالا كنتم او محرمين ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ وهو ما لا

يعيش الا فيه كالسّمك بخلاف ما يعيش فيه وفى البر كالسّرطان ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما قذفه ميّتا ﴿مَتَاعًا﴾ تمتّعا ﴿لَكُمْ﴾ تأكلونه نصب على الغرض من احلال الصّيد والطّعام ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ المسافرين منكم يتزوّدونه ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾ اى مصيده فالأضافة لاميّة وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول ان تصيدوه حقيقة او حكما بان يكون لكم فيه مدخل ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ محرمين فلو صاده حلال فللمحرم اكله كما فى الحديث وعطف على ما يفهم من خطاب الحكم اى اعلموا الأحكام قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى مخالفتها ﴿الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) جَعَلَ اللَّهُ﴾ صيّر ﴿الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ المحرم عطف بيان على جهة المدح سمّى البيت كعبة لتكعّبه اى تربّعه ﴿قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ مفعول ثان لجعل اى ما يقوم به امر دينهم ودنياهم بالحجّ اليه وامن داخله وعدم التّعرّض له وجبر ثمرات كلّ شيء اليه ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ اى ذى الحجة على انّ اللاّم للعهد بقرينة قرنائه او هو وذو القعد والمحرّم ورجب على انّها للجنس ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ قياما لهم بأمنهم القتال فى ذاك وامن صاحب هذين من التّعرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧)﴾ فانّ جعل ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما فى الوجود وما هو كائن ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨)﴾ ارشاد لكلّ احد الى مقام التّوسط بين الخوف والرّجاء فلا يعتمد ولا ييأس فانّ رأس السّعادة هذا التّوسط ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ اى هو للتّبليغ اليكم لا لتبليغ اموركم الينا كما هو شأن رسل الخلق لانّا نعلمها كلاّ كما قال ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩)﴾ من تصديق او تكذيب وفعل وعزيمة ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي﴾ لاعقبا ولادنيا ﴿الْخَبِيثُ﴾ اى الردئ من الاشخاص والأعمال والأموال ﴿وَالطَّيِّبُ﴾ اى الجيّد من هذه الأمور فيه ترغيب فى صالح العمل وحلال المال مع تنبيهات دقيقات أخر ذكرها عصام الدّين ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ فانّ العبرة بالجودة والردائة دون القلّة والكثرة والخطاب لكلّ معتبر ولذا قال ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى ترك

الخبيث وان كثر وآثروا الطّيب وان قلّ ﴿يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)﴾ اى راجين ان تبلغوا الفلاح نزلت فى حجّاج اليمامة لمّا همّ المسلمون ان يواقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين ونزل لمّا اكثروا سؤاله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ﴾ يظهر لكم ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ تغمكم لما فيها من المشقّة ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ﴾ اى فى زمان نزول الوحى على النّبى ﷺ ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ المعنى اذا سألتم عن اشياء فى زمنه ينزل القرآن بها بدائها ومتى ابدأها ساتتكم فلا تسئلوا عنها فالشّرطيتان صفتان مقيّدتان لأشياء وكذا ﴿عَفَا اللهُ عَنْهَا﴾ ولم يكلّف بها ﴿وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١)﴾ لا يعاجلكم بعقوبة ما فرّطتم ويعفوا عن كثير ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ اى الاشياء ﴿قَوْمٌ﴾ انبيائهم ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ متعلّق بسألها لا صفة قوم فانّ ظرف الزّمان لا يكون مسندا الى الجثّة ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)﴾ بترك العمل بعد ما بيّنت لهم احكامها ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ووضع ﴿اللهُ مِنْ﴾ زائدة ﴿بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ﴾ كما كان اهل الجاهليّة يفعلونه فانّهم كانوا اذا نتجت النّاقة خمسة ابطن آخرها ذكر شقّوا اذنها وخلّوا سبيلها عن الرّكوب والحلب للطّواغيت وسمّوها بحيرة وكان الرّجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة فيحرّم الانتفاع بها للآلهة واذا ولدت الشّاة انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الأنثى اخاها فلا يذبح لها الذّكر واذا نتج من صلب فحل عشرة ابطن حرّموا ظهره ودعوه للطّواغيت وسمّوه الحامى لانّه حمى ظهره ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ بتحريم ذلك ونسبته اليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ (١٠٣)﴾ انّ ذلك افتراء لانّهم قلّدوا فيه كبارهم ومنهم من يعرفون البطلان لكن حب الرّياسة وتقليد الآباء يمنعهم عن الاعتراف به ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى﴾ حكم ﴿الرَّسُولِ﴾ من تحليل ما حرّمتم ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَائَنَا﴾ بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التّقليد ﴿أَ﴾ حَسْبُهُمْ ما وجدوا ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾ الى الحقّ الواو للحال والهمزة لأنكار الفعل على هذه

الحال اى لنفى صحّة الأقتداء بالجاهل الضّال ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا عليْكُمْ أنفُسكُمْ﴾ اى احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرأ بالرّفع على الأبتداء وخبريّة الظّرف ﴿لا يضُرُّكُمْ منْ ضلّ إذا اهْتديْتُمْ﴾ ومن الأهتداء ان تنكروا المنكر حسب طاقتكم لقوله ﷺ: «من رأى منكرا واستطاع ان يغيّره بيده فليغيّره بيده وان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه» نزلت الآية لمّا كان المؤمنون يتحسّروا على الكفرة ويتمنّون ايمانهم وفى حديث ابى ثعلبة الخشنى سألت عنها رسول الله عليه وسلم فقال: «ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتّى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متّبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كلّ ذى رأى برأيه فعليك نفسك» رواه الحاكم وغيره ﴿إلى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَاكُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾ فيجازيكم كلاّ بذنبه ﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنُواشَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بها الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتّساع اتّفقوا على انّ هذه الآية اصعب ما فى القرآن اعرابا ونظما وحكما ﴿إذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ اى اماراته ظرف للشّهادة ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ بدل منه او ظرف حضر وفى الأبدال تنبيه على انّ الوصيّة ممّا ينبغى ان لا يتهاون فيه ﴿اثْنَانِ﴾ فاعل شهادة او خبرها على حذف مضاف منه او منها ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان ﴿أَوْ آخَرَانِ﴾ عطف على اثنان ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ اى غير اقاربكم او غير ملّتكم فعلى هذا منسوخة بقوله: ﴿واشهدوا ذوى عدل منكم﴾[1] ﴿إنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ اى قاربتم الأجل فلم يمكن ان تُشْهِدُوا اثنين منكم والشّرط بجوابه الدّالّ عليه او آخران وهو استشهدوا اجنبيين اعتراض ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ توقفونهما للحلف صفة مشتركة بين اثنان وآخران او استيناف لبيان ما يفعل بالشّاهدين ﴿مِن بَعْدِ الصَّلاَةِ﴾ اى صلوة العصر ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللّهِ إنِ ارْتَبْتُمْ﴾ اى شككّ للموصى له منكم فيهما اعتراض ﴿لاَ نَشْتَرِي بِهِ﴾ بالله ﴿ثَمَنًا﴾ عوضا من

[1] - سورة الطلاق: ٢

الدّنيا بان نحلف به كاذبا لطمع والجملة مقسم عليه ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقسم له ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قريبا منّا وجوابه محذوف اى لا نشترى ﴿وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ﴾ الّتى امرنا باقامتها ﴿إِنَّا إِذًا﴾ ان كتمناها ﴿لَّمِنَ الآثِمِينَ (١٠٦) فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطلع بعد حلفهما ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ اى فعلا ما يوجبه من الخيانة اوكذب فى الشّهادة بان وجد عندهما مثلا ما اتّهما به وادّعيا انّهما ابتاعاه من الميّت او وصّى لهما به ﴿فَآخَرَانِ﴾ اى فشاهدان آخران ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ فى توجّه اليمين عليهما صفة آخران ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصيّة وهم الورثة ويبدل من آخران ﴿الأَوْلَيَانِ﴾ بالميت اى الأقربان اليه وفى قرائة الأوّلين جمع اوّل صفة او بدل من الّذين ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا﴾ يميننا ﴿أَحَقُّ﴾ اصدق ﴿مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ يمينهما لخيانتهما ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ تجاوزنا فيها الحقّ ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧)﴾ المعنى يُشْهِدُ المحتضر على وصيّته اثنين او يوصى اليهما من نسبه او دينه او غيرهم ان فقدهم لسفره ونحوه فان ارتاب الورثة فيهما فادّعيا انّهما خانا بأخذ شيء او دفعه الى شخص زعما انّ الميّت اوصى له به فيحلفا آه فان اطّلع على امارة تكذيبهما فادّعيا دافعا له حلف اقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادّعوه والحكم ثابت فى الوصيّين منسوخ فى الشّاهدين اذ لا تحليف للشاهد وكذا شهادة غير اهل الملّة منسوخة واعتبار صلوة العصر للتّغليظ وتخصيص العدد لخصوص الواقعة الّتى نزلت فيها وتفصيل الواقعة فى القاضى فارجع اليه ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور من ردّ اليمين على الورثة ﴿أَدْنَى﴾ اقرب الى ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ اى الشّهداء او الأوصياء ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ الّذى تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿أَوْ﴾ اقرب الى ان ﴿يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ على الورثة المدّعيين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا وجمع الضمير لانّه حكم يعمّ الشّهود كلّهم ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨)﴾ الخارجين عن طاعته ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ﴾ وهو القيامة ظرف لاذكر اوقالوا الآتى ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم توبيخا لقومهم

﴿مَاذَا﴾ اى الّذى ﴿أُجِبْتُمْ﴾ به حين دعوتم الى التّوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١٠٩)﴾ ما غاب عن العباد ذهب عنهم علمه لشدّة هول القيامة وفزعهم ثم يشهدون على امهم ان يسكنوا ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ بدل من يوم يجمع على انّه تعبير عن المستقبل بالماضى لتحقق وقوعه او نصب بتقدير اذكر ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ﴾ قوّيتك ظرف او حال لنعمتى ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبرئيل ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ حال من الكاف فى ايّدتك كائنا ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ اى فى طفوليّة ﴿وَكَهْلًا﴾ اى فى الكهولة يفيد نزوله قبل السّاعة لانّه رفع قبل الكهولة ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي﴾ سبقت فى سورة آل عمران[1] ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ اى اليهود حين همّوا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ظرف كففت ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الّذى جئت به ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ امرتم على لسانك او الهمتهم ﴿أَنْ﴾ مصدريّة او مفسّرة ﴿آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ عيسى ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بهما ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١)﴾ مخلصون اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ قالوه لعدم استحكام اخلاصهم ومعرفتهم او يستطيع بمعنى يجيب ويفعل وفى قرائة بالفوقانية ونصب ما بعده اى هل تقدر ان تسأله ﴿قَالَ﴾ لهم عيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ من امثال هذا السّؤال ﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ بكمال قدرته وصحّة نبوّتى ﴿قَالُوا﴾ تمهيدا لعذرهم وبيانا لما ادّعاهم الى السّؤال ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ اى سؤالنا لاجل ان نتمتّع منها بالأكل ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ﴾ نزداد علما ﴿أَنْ﴾ مخففة اى انك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ فى دعوى النّبوة ﴿وَنَكُونَ﴾ عاكفين ﴿عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣)﴾ اذا استشهدتنا لوثوقنا

---

[1] - سورة آل عمران: ٤٩

بانّه حضرت المائدة من غير ريبة ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لمّا رأى ان لهم غرضا صحيحا فى السّؤال ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ نداء ثان لا صفة ولا بدل لعدم وقوعما لأللّهم ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا﴾ اى يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نعظّمه ونشرّفه ﴿لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ من يأتى بعدنا بدل من لنا بأعادة الجار روى انّها نزلت يوم الأحد ولذا اتخذه النّصارى عيدا ﴿وَآيَةً﴾ كائنة ﴿مِنْكَ﴾ على قدرتك ونبوّتى ﴿وَارْزُقْنَا﴾ ايّاها ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ اجابة لسؤالكم ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ اى تعذيبا ﴿لَّا أُعَذِّبُهُ﴾ اى التّعذيب ﴿أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)﴾ فنزلت الملائكة بها من السّماء عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات فاكلوا منها حتّى شبعوا قاله ابن عبّاس وفى الحديث نزلت المائدة من السّماء خبزا ولحما فامروا ان لا يخونوا ولا يدّخروا لغد فخالفوا فرفعت ومسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم فى كلّ اربعين يوما فياكل منها صغيرهم وكبيرهم ولم ياكل منها فقير الاّ غنى مدة عمره ولا مريض الاّ شفى ولم يمرض ابدا فاوحى الله الى عيسى ان يجعلها فى الضّعفاء والفقراء فاضطروا لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثلاثون رجلا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ يقول ﴿اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ﴾ تقديم المسند اليه لتقوية النّسبة ﴿لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ حال من الفاعل او المفعول اى حال كونهم متجاوزين الله فى اتخاذه الهًا او حال كونكما متجاوزين ايّاه فى مشاركته معكما فى الألوهيّة ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ اى انزّهك تنزيها من ان تكون مُستفهِما محتاجا الى البيان ﴿مَا يَكُونُ﴾ ينبغى ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ اى قولا لا يحقّ لى ان اقوله ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا﴾ اخفيه ﴿فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ اى ما تخفيه من معلوماتك والتّعبير بالنّفس للمشاكلة ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ وهو ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ او عطف بيان او بدل للضمير فى به وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا عائد ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾

رقيبا امنعهم ممّا يقولون ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بالرّفع الى السّماء ﴿كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ لاعمالهم تعصم منهم من تشاء ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧)﴾ مطّلع عالم به ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)﴾ فلا عجز ولا استقباح فانّ عذابك عدل ومغفرتك فضل وليس خارجين عن حكمة وصواب لعلّ عيسى ادخل نفسه فيهم وغلّبهم عليها فى استعمال ضمير الغائب فصار التّعذيب والغفران مشكّكين فلا اشكال فى استعمال كلمة ان ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا﴾ اى يوم القيامة ﴿يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ فى الدّنيا ﴿صِدْقُهُمْ﴾ الّذى فيها ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)﴾ بيان النّفع ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ اتى بما تغليبا لغير العقلاء اتباعا لهم غير اولى العقل فى غاية القصور عن معنى الرّبوبيّة او لانّ ما يتناول الاجناس كلّها فهى اولى بارادة العموم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)﴾ ومنه اثابة الصّادق وتعذيب الكاذب وخصّ العقل ذاته فلا يقدر عليها.

* * *

سورة الأنعام

مكيّة إلاّ (وما قدر الله) الآيات الثلاث و(قل تعالوا) الآيات الثلاث وهى مائة وخمس أو ست وستّون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل ثابة ﴿للَّهِ﴾ وهل المراد الأعلام بذلك للإيمان به ام الثّناء به او هما احتمالات افيدها الثالث قاله الشّيخ فى سورة الكهف ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ جمع السّموات دون الأرض لاختلاف طبقاتها ذاتا واثرا وحركة وقدّمها لشرفها وتقدّم وجودها ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ انشأهما عبّر عنه بالجعل الدّال على جعل شيء فى ضمن شيء بالحصول منه او النّقل منه او اليه او صيرورته ايّاه تنبيها على انّهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثّنويّة وجمع الظّلمات لكثرة اسبابها والأجرام الحاملة لها ولمشاكلة ما قبلهما وتقديمها لتقدّم الأعدام على الملكات ﴿ثُمَّ﴾ للعطف على جملة الحمد واستبعاد عدولهم بعد هذا البيان او على الظّلمات فهى على معناها والتّعبير عن خلقهم بالجعل لانّه بجعل الطّين انسانا ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ (١)﴾ فيكفرون نعمه خبر الّذين على الاوّل وحال ممّا اضيف اليه الربّ على الثّانى اى كفروا بمن يربّيهم فى حال اعراضهم وعدولهم ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بخلق ابيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ﴾ مبتدأ خصّصه ﴿مُسَمًّى﴾ اى مضروب خبره ﴿عِندَهُ﴾ وهو اجل القيامة او البعث والاستيناف به للتّعظيم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ ايّها الكفّار ﴿تَمْتَرُونَ (٢)﴾ تشكّون فى البعث بعد علمكم انّه ابْتَدَأَ خلقكم ومن قدر على الأبتداء فهو على الأعادة اقدر ﴿وَهُوَ﴾ اى الله مبتدأ خبره ﴿اللَّهُ﴾ المعبود او المحمود ولأرادة هذا المعنى منه تعلّق به قوله ﴿فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ اى ما يخفى ويظهر من

احوال انفسكم خبر ثان ﴿ويَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)﴾ بالجوارح من خير او شرّ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ اهل مكّة ﴿مِنْ﴾ مزيدة للأستغراق ﴿آيَةٍ مِنْ﴾ للتّبعيض ﴿آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ اى من القرآن ﴿إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤)﴾ لا يلتفتون اليها ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ اى القرآن واستهزؤا به ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥)﴾ اى اخبار استهزائهم اى ما يخبرهم النّبى من احوال استهزائهم ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ﴾ خبرية بمعنى كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ﴾ اهل ﴿قَرْنٍ﴾ وهو مدّة اغلب اعمار النّاس وهى سبعون سنة ﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾ اعطيناهم مكانا ﴿فِي الأَرْضِ﴾ بالسعة والقوة وطول المقام ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ﴾ نعط فهو مفعول به لمكّناهم ﴿لَكُمْ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ﴾ اى المطر ﴿مِدْرَارًا﴾ متتابعا ﴿وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم فعاشوا فى الخصب ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ فلم يغن ذلك عنهم شيئا ﴿وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوبا ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ ورق كما اقترحوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ابلغ من عاينوه لانّه انفى للشكّ ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)﴾ تعنّتا وعنادا ﴿وَقَالُوا لَوْلا﴾ هلاّ ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ معه ﴿مَلَكٌ﴾ يكلّمنا انّه نبىّ ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوه فلم يؤمنوا ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ لوجب اهلاكهم فانّه سنّة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ﴿ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ (٨)﴾ يمهلون طرفة عين لتوبة او معذرة ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ المنزّل اليهم ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ﴾ اى الملك ﴿رَجُلًا﴾ اى على صورته ليتمكّنوا من رأيته اذ لا قوّة للبشر على رأية الملك ﴿وَ﴾ لوجعلناه رجلا ﴿لَلَبَسْنَا﴾ خلطنا ﴿عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (٩)﴾ على انفسهم بان يقولون ما هذا الاّ بشر مثلكم ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية له ﷺ على ما يرى من قومه ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)﴾ اى وبال استهزائهم فكيف لا يحيق بمن يستهزأ بك ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١)﴾ الرّسل من اهلاكهم بالعذاب لتعتبروا ﴿قُل لِّمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ سؤال تبكيت ﴿قُل لِلَّهِ﴾ ان لم يقولوه لا جواب غيره ﴿كَتَبَ﴾

قضى تفضّلا ﴿عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ فى الدّارين وفيه تلطف فى دعائهم الى الإيمان ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى﴾ فى ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ جواب قسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النّظر ووعد على النّظر والاعمال ﴿لاَرَيْبَ فِيهِ﴾ اى فى اليوم او الجمع ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره ﴿فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٢)﴾ بسبب ذلك الخسران كما تدل عليه الفاء ﴿وَلَهُ﴾ عطف على الله ﴿مَا سَكَنَ﴾ او تحرّك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ اى كلّ شيء فهو خالقه ومالكه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ بكلّ مسموع ﴿الْعَلِيمُ (١٣)﴾ بكلّ معلوم فلا يخفى عليه شيء ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ معبودا لانّه انكار للاتخاذ وردّ لمن دعاه الى الشّرك ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ مبدعهما بالجرّ صفة الله لانّ اضافته معنويّة لكونه بمعنى الماضى ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يرزق ﴿وَلاَ يُطْعَمُ﴾ لا يرزق وتخصيص الطّعام لشدّة الحاجة اليه ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ اى لا فضل لى عليكم الاّ بانّى سابق عليكم فى الدّين وقيل لى ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤)﴾ ويجوز عطفه على قل او انّى امرت فالخطاب فيه عام يشمل كلّ مكلّف ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)﴾ مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم والشّرط معترض بين الفعل ومفعوله دلّ على جوابه الجملة ﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾ العذاب ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ نجاه وانعم عليه ﴿وَذَلِكَ﴾ الصّرف ﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦)﴾ النجاة الظّاهرة ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كمرض وفقر ﴿فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)﴾ ومنه حفظه وادامته عليك فلا يقدر احد على ردّه عنك ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ تصوير لقهره وعلوّه بالغلبة والقدرة ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فى تدبيره ﴿الْخَبِيرُ (١٨)﴾ بالبواطن كالظواهر ونزل لمآ قال قريش يا محمّد ايتنا بمن يشهد لك بالنّبوّة فانّ اهل الكتاب انكروك ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ﴾ اى موجود ﴿أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ تميز محمول على المبتدأ ﴿قُلِ اللهُ﴾ اكبر شهادة ثم ابتدأ وقل هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقى ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ﴾ يا اهل مكّة ﴿بِهِ﴾ وابشركم ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾

عطف على ضمير انذركم اى من بلغه من الانس والجنّ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى﴾ استفهام انكار وتقرير ﴿قُلْ لاَ أَشْهَدُ﴾ بما تشهدون ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ امرٌ بالتّبليغ لا الشهادة بقرينة قوله ﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)﴾ معه من الأصنام ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ اى محمّدا بنعته فى كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (٢٠)﴾ لتضييع ما يكتسب به الإيمان ﴿وَمَنْ﴾ اى لا احد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ من قولهم لا نعت لمحمّد فى التّورية والأنجيل ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن والمعجزات وسمّوها سحرا وكلمة او للتنبيه على انّهم جمعوا بين امرين متناقضين الأفتراء والتّكذيب ﴿إِنَّهُ﴾ الشّأن ﴿لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١)﴾ منه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخا ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢)﴾ انّهم شفعاء لكم ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ اى عاقبة كفرهم ﴿إِلاَّ أَنْ قَالُوا﴾ قولهم خبر يكون ﴿وَاللهِ رَبِّنَا﴾ بالجر نعت والنّصب نداء ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣)﴾ يكذبون ويحلفون عليه لدهشتهم ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ بنفى الشّرك عنهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)﴾ من الشّركاء ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ اذا قرأت كأبى سفيان والوليد وابى جهل واضرابهم ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ اغطية جمع كنان ما يستر الشّيء كراهة ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمما فلا يسمعونه سماع قبول وتحقيقه فى اوّل البقرة ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ لفرط عنادهم وتقليدهم ﴿حَتَّى﴾ ابتدائية لاعمل لها ﴿إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ﴾ حال لمجيئهم والمعنى بلغ تكذيبهم الى غاية انهم اذا جاؤك مجادلين ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر للدّلالة على انّ مجيهم على هذه الحالة كفر ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلاَّ أَسَاطِيرُ﴾ اكاذيب ﴿الأَوَّلِينَ (٢٥)﴾ كالاضاحيك والأعاجيب جمع اسطورة بالضّم ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ النّاس ﴿عَنْهُ﴾ اى عن القرآن او اتباع النّبى ﷺ ﴿وَيَنْأَوْنَ﴾ يتباعدون ﴿عَنْهُ﴾ بانفسهم وقيل نزلت فى ابى طالب كان ينهى عن اذاه ولا يؤمن به ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾ بذلك ﴿إِلاَّ

أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦)﴾ انّ الضّرر لا يتعدّاهم الى غيرهم ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يامحمّد ﴿إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ عرّفوا حقيقتها وعذابها بالدّخول لرأيت امرا شنيعا ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ الى الدّنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧)﴾ برفع الفعلين استينافا او عطفا على نردّ او حالا من الضّمير فيه وبنصبهما فى جواب التّمنى اجراء للواو مجرى الفاء وبرفع الاوّل على العطف والثّانى على الجواب قال تعالى ﴿بَلْ﴾ اضراب عن ارادة الإيمان المفهوم من التّمنى ﴿بَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ من نفاقهم وقبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عَزْمًا على انّهم لو ردّوا لآمنوا ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ الى الدّنيا فرضا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الشّرك والمعاصى ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨)﴾ فى وعدهم بالإيمان ﴿وَقَالُوا﴾ استيناف لبيان ما قال منكروا البعث فى الدّنيا او عطف على عادوا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ الحيوة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا﴾ اعرضوا ﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾ وحبسوا للسؤال والتّوبيخ لرأيت امرا شنيعا ﴿قَالَ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخا بدل اشتمال من وقفوا ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ البعث والحساب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ انّه لحق ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠)﴾ اى بسبب كفركم او ببدله ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾ غاية لكذّبوا او لخسر على انّ المراد بالسّاعة الموت لانّه من مقدّماتها ليصحّ جعله غاية التّكذيب فح لم يبق لهم رأس المال وحيوة فينتهى خسرانهم ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة حال ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾ احضرى هذا آوانكِ ﴿عَلَى مَا فَرَّطْنَا﴾ قصّرنا ﴿فِيهَا﴾ اى فى الدّنيا وان لم يسبق ذكرها للعلم بها ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ بان تأتيهم عند البعث فى اقبح شيء صورة وأنتنه ريحًا فتركبهم او لا حمل والكلام تمثيل ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١)﴾ يحملونه حملهم ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ اى الاشتغال فيها ﴿إِلَّا لَعِبٌ﴾ لا فائدة فيها ﴿وَلَهْوٌ﴾ شغل خال عن النّفع وامّا الطّاعات وما يعين عليها فمن امور الآخرة ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢)﴾ ايّ الامرين خير ﴿قَدْ﴾ للتحقيق وكثرة الفعل ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾ اى الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾

من التّكذيب اى لا تحزن ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ﴾ فى الحقيقة وانّما يكذبونى كما قال ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ اى لكنّهم ﴿بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)﴾ والباء لتضمين الجحود معنى التّكذيب ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية له ﷺ ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾ اى على تكذيبهم وايذائهم ﴿حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ باهلاك قومهم فاصبر مثلهم حتّى يأتيك النصر على قومك ﴿وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ مواعيده ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)﴾ ما يسكن به قلبك ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾ عظم وشقّ ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الاسلام لحرصك عليهم ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ سربا ومنفذا كائنا ﴿فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾ مِصْعَدًا كائنا ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا جوابه محذوف اى فافعل والجملة جواب الاوّل ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ بتوفيقهم للإيمان ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥)﴾ بالحرص على ما لايكون فانّه من دأب الجهلة ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاك الى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ بفهم واعتبار ﴿وَالْمَوْتَى﴾ اى الكفّار شبّههم بهم فى عدم السّماع او الموتى كلّهم ﴿يَبْعَثُهُمُ اللهُ﴾ فى الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦)﴾ للجزاء ﴿وَقَالُوا﴾ اى كفّار مكّة ﴿لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ممّا اقترحوه كالناقة والعصا والمائدة او آية ان جحدوها ينزل عليهم البلاء ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً﴾ ممّا اقترحوا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٣٧)﴾ انّ نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم ان جحدوها ﴿وَمَا مِنْ﴾ زائدة ﴿دَآبَّةٍ﴾ تمشى ﴿فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ﴾ فى الهوى ﴿بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ﴾ التّنكير للتّنويع فالمحكوم عليه كلّ نوع من الدّابة والطائر والمقصود المبالغة فى ضبط احوال المخلوقات وعدم اهمال شيء ﴿أَمْثَالُكُم﴾ فى تقدير خلقها ورزقها واحوالها ﴿مَا فَرَّطْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اى اللّوح المحفوظ ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ بلا كتابة ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)﴾ اى الأمم كلّها فيقتصّ بعضها عن بعض حتى الجماء من القرناء ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدّالة على الرّبوبيّة وكمال القدرة ﴿صُمٌّ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وَبُكْمٌ﴾ لا ينطقون بالحق كائنين ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ اى

الكفر يعنى صمّهم وبكمهم مقيّد بهذه الحالة حتّى لو خرجوا منها لسمعوا ونطقوا ﴿مَنْ يَشَاءِ اللهُ﴾ اضلاله ﴿يُضْلِلْهُ﴾ وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ﴿وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩)﴾ دين الاسلام ﴿قُلْ﴾ يامحمّد ﴿أَرَأَيْتَكُمْ﴾ استفهام استخبار اى اخبروني من وضع السّبب وهو الأستفهام عن العلم موضع المسبّب اى الأستخبار اذ لا يُخْبِرُ عن الشيء الاّ العالم به والكاف فى امثاله حرف خطاب اكّد به الضّمير لانّه عام لكلّ مخاطب لامحلّ له من الاعراب والمفعول محذوف اى ارايتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها دلّ عليه وعلى جواب ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ﴾ فى الدّنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ وهولها قولُه ﴿أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ﴾ وهو تبكيت لهم ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٠)﴾ انّ الأصنام تنفعكم فاخبروني ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ فى الشّدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ اى ما تدعونه الى كشفه من الضر ونحوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ ان يتفضّل عليكم بكشفه ولا يشاء فى الآخرة ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ تتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ (٤١)﴾ معه من الأصنام فلا تدعونها فى ذلك الوقت لعلمكم انّها لا تقدر على دفع ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ﴾ زائدة ﴿قَبْلِكَ﴾ رسلا فكذّبوهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكّر لهما ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢)﴾ يتذلّلون فيؤمنون ﴿فَلَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ اى لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ استدراك على المعنى وبيان للصّارف لهم عن التّضرع ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا وخوّفوا ﴿بِهِ﴾ من جميع ما ذكّروا به من ارسال الرسل والاخذ بالبأساء والضرّاء فلم يتّعظوا ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النعم استدراجا وامتحانا لهم او مكرا بهم ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ من النعم فَرَحَ بَطَرٍ ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)﴾ متحسّرون آيسون ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دَبْرًا ودبورا اذا تبعه ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)﴾ على التّربية للعباد بالأخذ وفتح الأبواب وبيان هذه لمن بعدهم للارشاد

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ﴾ اصمّكم ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾ اعماكم ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فلا تعرفون شيئا ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ اى بذلك ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ نبيّن ﴿الآيَاتِ﴾ الدّالة على وحدانيّتنا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦)﴾ يعرضون عنها فلا يؤمنون وثم لاستبعاد الاعراض ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً﴾ من غير مقدّمة تدلّ على حلوله ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ بتقدّمها ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُهْلَكُ﴾ به هلاك سخط ﴿إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (٤٧)﴾ الكافرون ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنّة وغيرها من النّعم ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنّار وغيرها من النّقم ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من العذاب ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨)﴾ بفوت الثّواب ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩)﴾ بسبب خروجهم عن الطّاعة ﴿قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ﴾ رزق ﴿اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ما لم يوح الىّ وهو من جملة ما لا يقول وكلمة لا فيه مُذَكِّرَةٌ للنّفى لا نافية ﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ اقدر على ما يقدرون عليه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ يعنى انا مدع للنبوة فقط ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى﴾ الكافر ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ المؤمن ﴿أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)﴾ فى ذلك فتؤمنوا ﴿وَأَنذِرْ﴾ خوّف ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ اى المجوّزون للحشر مؤمنا كان او كافرا خصّهم لانّهم الّذين يؤثر فيهم الأنذار والمقصود به والاّ فهو مأمور بانذار الكلّ ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ الجملة حال من فاعل يحشرون وهى محلّ الخوف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١)﴾ الله بترك ما هم فيه ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ اى دائما ﴿يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجْهَهُ﴾ تعالى لا شيئا من اعراض الدّنيا وهم فقراء المسلمين طعن فيهم المشركون وطلبوا ان يطردهم ليجالسوه واراد النّبى ﷺ ذلك طمعًا فى اسلامهم ﴿مَا عَلَيْكَ﴾ خبر مقدّم ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ﴾ زائدة و﴿شَيْءٍ﴾ مبتدأ ان كان بواطنهم غير مرضىّ كما ذكر المشركون فاكتف بسيرتهم الصّالحة ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ اى لا حسابهم يتعدّاك ولا حسابك يتعدّاهم بل حساب كلّ عليه ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب

النّفى ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ(٥٢)﴾ جواب النّهى ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال النّاس فى امور الدّنيا ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ اى الشّريف بالوضيع والغنىّ بالفقير بان قدّمناه بالسّبق الى الإيمان ﴿لِيَقُولُوا﴾ اى الشّرفاء والأغنياء منكرين ﴿أَهَؤُلاءِ﴾ الفقراء ﴿مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ بالهداية اى لوكان ما هم عليه هدى ما سبقونا اليه قال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)﴾ له فيهديهم بلى ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾ قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ﴾ اى الشّأن ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا﴾ استيناف تفسير للرّحمة وفى قرائة بالفتح على المبدل منها ملتبسا ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله به ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنَّهُ﴾ اى الله ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤) وَكَذَلِكَ﴾ مثل ما بيّنا ماذكر ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبيّن ﴿الآيَاتِ﴾ القرآن ليظهر الحقّ فيعمل به ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ تظهر ﴿سَبِيلُ﴾ طريق ﴿الْمُجْرِمِينَ (٥٥)﴾ لك فتجتنب عنها انّث الفعل لانّ السّبيل ممّا يذكّر ويؤنّث ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ صُرِفْتُ وزُجِرْتُ بنصب الادلّة وانزال الآيات على التّوحيد ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ متنازع فيه لأعبد وتدعون ﴿قُلْ لاَ أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ فى عبادتها ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ ان تبعتها ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ دلالة واضحة كائنة ﴿مِنْ رَبِّي﴾ صادرة عنه ﴿وَ﴾ قد ﴿كَذَّبْتُم بِهِ﴾ برتى حيث اشركتم ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب بنحو قولكم فامطر علينا حجارة من السّماء ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ فى ذلك وغيره ﴿إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ﴾ القضاء ﴿الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧)﴾ الحاكمين ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾ اى من قدرتى ومكنتى ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بان اعجّله لكم فاستريح ولكنّه عند الله ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨)﴾ متى يعاقبهم ﴿وَعِنْدَهُ﴾ تعالى ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او الطرق الموصلة الى المغيبات مستعار من المفاتح الّذى هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح اى هو واهب العلم بالمغيبات ﴿لاَ يَعْلَمُهَا﴾ اى اوقاتها وما فى

تعجيلها وتأخيرها من الحكم ﴿إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ اخبر اوّلا باختصاصه بعلم المغيبات ثم عطف عليه الأخبار بتعلّق علمه بالمشاهدات ثم بالغ فى احاطة علمه بالجزئيات بقوله ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ﴾ زائدة ﴿وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ﴾ معطوفات على ورقة وقوله ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)﴾ اى اللّوح المحفوظ بدل اشتمال من الاستثناء الاوّل ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يميتكم استعير للنّوم لمشاركتهما فى زوال الاحساس والتميز ﴿بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ﴾ كسبتم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ اى فى النّهار بردّ الاحساس كلّ منه ومن التّوفّى ترشيح للاخر ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ وهو اجل الحيوة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠)﴾ بالمحاسبة والمجازاة ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وفى ذكر فوق تاكيد لغلبته ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً﴾ اى ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبين مع كلّ انسان اثنان او خمس وحكمته انّه اذا علم انّ اعماله تكتب للعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى اقبل على العبادة لانّه يعرف انّ للمولى اقبالا اليه واعتدادا بعمله حتى لا يرضى بفوت ضبطه ﴿حَتَّىَ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ ملك الموت واعوانه وحتّى لنهاية الفوقيّة اى بلغت غلبته الى انّهم لا يتأتى لهم المخالفة مع رسله فى قبض الرّوح ﴿وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ (٦١)﴾ اى لا يتجاوزون اجلكم بزيادة او نقصان ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ اى الخلق ﴿إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ﴾ مالكهم ﴿الْحَقِّ﴾ الثّابة العادل لا يحكم الاّ بالحقّ ﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النّافر يومئذ ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢)﴾ يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة او نصف يوم من ايّام الدّنيا ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ اى شدائدها استعيرت لها لمشاركتهما فى الهول وابطال الأبصار والتخيير ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾ علانية ﴿وَخُفْيَةً﴾ سرا يقولون ﴿لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ﴾ الظّلمة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ غمّ سواها ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤)﴾ تعودون الى الشّرك ولا توفون العهد وضعه موضع لا تشكرون تنبيها على انّ من اشرك فى عبادته فكانّه لم يعبده

رأسا ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ من السّماء كالحجارة والصّيحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالخسف والغرق ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ يخلطكم ﴿شِيَعًا﴾ فرقا مختلفة الأهواء محاربين ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال عنه ﷺ سألت ربّى ان لا يجعل بأس امّتى بينهم فمنعنيها وفى حديث لمّا نزلت قال: «امّا انّها كائنة ولم يأت تأويلها بعد»[1] ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ نبيّن ﴿الآيَاتِ﴾ الدّالة على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥)﴾ يعلمون انّ ما هم عليه باطل ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ القرآن ﴿قَوْمُكَ وَ﴾ حال ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ الصّدق ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٦)﴾ حفيظ فاجازيكم انّما انا منذر وامركم الى الله وهذا قبل الامر بالقتال ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ﴾ خبر ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧)﴾ عند وقوعها فى الدّنيا او فى الآخرة ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالاستهزاء والطّعن فيه ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تجالسهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ اى الأيات والتذكير باعتبار القرآن ﴿وَإِمَّا﴾ فيه ادغام نون ان الشرطيّة فى ما الزّائدة ﴿يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ فقعدت معهم ﴿فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ اى تذكّره ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)﴾ اى معهم وقال المسلمون ان قمنا كلّما خاضوا لم نستطع ان نجلس فى المسجد وان نطوف فنزل ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ قبائحهم واقوالهم اذا جالسوهم ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ اى ممّا يحاسبون عليه ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ فاعل الظّرف وما قبله حال منه ﴿وَلَكِنْ﴾ عليهم ﴿ذِكْرَى﴾ تذكرة لهم ووعظ والجملة الاسميّة عطف بلكن على ما قبلها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩)﴾ الخوض حياء ﴿وَذَرِ﴾ اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الّذى كُلِّفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم فلا حاجة الى القول بالنّسخ ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حتى انكروا البعث ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ اى بالقرآن النّاس مخافة ﴿أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ تسلّم الى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ يدفع عنها العذاب مستانفة اوصفة اوحال لنفس ﴿وَإِنْ

---

[1] - سنن الترمذي: ١٠/٣٣٠

تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ اى تَفْدِ كلّ فداء فكلّ منصوب على المصدر ﴿لاَ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ الفعل مسند الى منها لا الى ضميره ﴿أُوْلَئِكَ﴾ اى الّذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ﴿الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ سلّموا الى العذاب ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الاعمال القبيحة ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماءٍ مُغْلًى ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠) قُلْ أَنَدْعُوا﴾ نعبد استفهام انكار ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ حال من ﴿مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا﴾ وهو الأصنام اى متجاوزين الله فى عدم النّفع والضّرر ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ نرجع الى الشّرك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ﴾ الى الاسلام ردّا ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ﴾ ذهبت به ﴿الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ متحيّرا ضالاً عن الطّريق حال من الهاء ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾ رفقة ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ اى ليهدوه الطّريق يقولون له ﴿ائْتِنَا﴾ فلم يجبهم فيهلك ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ﴾ الّذى هو الاسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وما عداه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١)﴾ عطف على ان هدى الله واللاّم لتعليل الامر وقيل بمعنى الباء اى بان نسلم ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَاتَّقُوهُ﴾ عطف على نسلم لانّه فى موقع ان اسلموا ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢)﴾ يوم القيامة ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ قائما ﴿بِالْحَقِّ﴾ والحكمة ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الظرف خبر لقوله ﴿فَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ والمعنى قوله الحقّ نافذ فى الكائنات فى كلّ وقت ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن كقوله: ﴿والأمر يومئذ لله﴾[1] هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ اى ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣)﴾ وَ﴿ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ﴾ عمّه ﴿آزَرَ﴾ عطف بيان لأبيه كان عمّه عبّر عنه بالاب اذ قد يطلق العرب الأبّ عليه وامّا ابوه فهو تارخ بن ناروخ معصوم كساير آباء الانبياء الى آدم ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ تعبدها استفهام توبيخ ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ﴾ باتّخاذها ﴿فِي ضَلاَلٍ﴾ عن الحقّ ﴿مُبِينٍ (٧٤)﴾ بيّن ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل هذا التبصير ﴿نُرِي﴾ نبصّر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ربوبيّتها وملكها والملكوت اعظم من الملك والتاء فيه للمبالغة ليستدلّ به على وحدانيّتنا

[1] – سورة الانفطار: ١٩

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥)﴾ بما ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ اظلم تفصيل وبيان لذلك او عطف على قال وكذلك نرى اعتراض ﴿عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ الزُّهَرَةَ ﴿قَالَ﴾ مريدا اقامة الدّليل على ضلال قومه فى عبادة الأصنام والكواكب وارشادهم الى الحقّ ﴿هَذَا رَبِّي﴾ بزعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦)﴾ اى لا احبّ عبادة الأرباب المتغيّرين بالانتقال والأحتجاب لانّه يقتضى الحدوث الّذى ينافى الألوهيّة ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ مبتدأ فى الطّلوع ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ يثبتنى على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧)﴾ تنبيه لقومه على انّ القمر ايضا لتغيّر حاله لا يصلح للألوهية فمن اتّخذه الها فهو ضال ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا﴾ ذكّره لتذكير خبره فانّ رعايته اولى من المرجع ﴿رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ من النّورانيّات والاّ فالسّماء اكبر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ وقويت عليهم الحجّة ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)﴾ بالله من الأجرام المحدثة المحتاجة الى محدث فقالوا له ما تعبد قال ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ﴾ خلق ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ مائلا الى الدين الحقّ ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ جادلوه فى دينه وهدّدوه بالأصنام قال ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي﴾ وحدانية ﴿اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ ومن هداه لا يكون محجوجا بل غالبا ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ من الأصنام لانّها لا تضرّ ولا تنفع ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه ان يصيبنى فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠)﴾ هذا فتؤمنوا ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ ولا يقدر على ضرّ ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾ فى العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وهو الحقيق بان يخاف منه لقدرته على كلّ شيء ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ اى الموحّدون او المشركون ولم يقل ايّنا انا او انتم احترازا عن تزكية نفسه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)﴾ الحقيق بالخوف ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ اى شرك كما فسر بذلك فى حديث الصّحيحين فلا تمسّك للمعتزلة بالآية فى ان مرتكب الكبيرة مخلّد فى النّار ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢)

﴿وتلك﴾ الحجّة الّتى اتى بها ابراهيم على وحدانية الله تعالى من قوله: ﴿فلمّا جنّ﴾[1] آه مبتدأ خبره ﴿حُجَّتُنا﴾ وكذا ﴿آتيناها إبْراهيم﴾ اى ارشدناه اليها خبر ثان ﴿على قَوْمِه﴾ متعلّق بآتيناها لتضمّنه معنى الغلبة ﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ﴾ فى العلم والحكمة بالأضافة مفعولا به لنرفع والتّنوين مفعولا مطلقا له ﴿إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ فى رفعه وخفضه ﴿عَلِيمٌ (٨٣)﴾ بمستحق الرّفع ﴿ووَهَبْنا لَهُ إسْحاقَ﴾ فى كبره وكبر زوجته ولذا خصّ من اولاده ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ذكره لانّ ابقاء النّبوّة بطنا بعد بطن غاية النّعمة ﴿كُلًّا﴾ اى كلّ واحد منهما ﴿هَدَيْنا﴾ جملة مؤكّدة لكونهما نعمة فى حقّ ابراهيم ولذا لم تعطف ﴿ونُوحًا هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل ابراهيم عدّه من النّعم عليه لتعدى شرف الوالد الى الولد ﴿وَ﴾ هدينا ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ اى ابراهيم ﴿داوُودَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ﴾ بن امرض من اسباط عيص بن اسحاق ﴿وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤)﴾ اى جزاء مثل ما جازينا به ابراهيم من رفع الدّرجات وكثرة الاولاد ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيى وَعِيسى﴾ ذكره دليل انّ الذّريّة تتناول اولاد البنت ﴿وَإلْياسَ﴾ من اسباط هارون اخ موسى ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإسْماعِيلَ﴾ بن ابراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ اللاّم زائدة ﴿وَيُونُسَ﴾ بن متّى ﴿وَلُوطًا﴾ ابن اخ ابراهيم منّ عليه بهما للقرابة اذ ليسا من ذريّته ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ (٨٦)﴾ ممّا عدا الأنبياء ﴿وَمِنْ آبائِهِمْ وَذُرِّيّاتِهِمْ وَإخْوانِهِمْ﴾ عطف على كلاّ او نوحا ومن للتّبعيض لانّ بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان فى ولده كافر ﴿وَاجْتَبَيْناهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْناهُمْ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذلِكَ﴾ الهدى الى صراط واحد مستقيم ﴿هُدَى اللهِ﴾ لا اختلاف فيه ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ هؤلاء الأنبياء فرضا ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ﴾ بالأنزال او الأمر بالتّبليغ ﴿الْكِتابَ﴾ اى الكتب ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإنْ يَكْفُرْ بِها﴾ بهذه الثّلثة ﴿هؤُلاءِ﴾ اهل مكّة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنا بِها﴾ ارصدنا لها ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ (٨٩)﴾ وهم كل من آمن من بنى

[1] - سورة الأنعام: ٧٧

آدم ﴿أُوْلَٰئِكَ﴾ الأنبياء ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ﴾ طريقهم من التّوحيد والأصول دون الفروع اذ هى لاختلافها بحسب مصالح العباد ليست هدى مضافا الى الكلّ فليس فيه دليل على انّه ﷺ متعبّد بشرع من قبلنا ﴿ٱقْتَدِهْ﴾ بهاء السّكت ﴿قُل لاَّ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ يا اهل مكّة ﴿عَلَيْهِ﴾ القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطونيه كما لم يسئل الأنبياء من قبلى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ القرآن ﴿إِلاَّ ذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِلْعَٰلَمِينَ (٩٠)﴾ الانس والجنّ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ اى ما عرفه اليهود حقّ معرفته فى الرّحمة ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ انكارا لأصل الوحى مبالغة فى انكار انزال القرآن ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ اى يكتبون ما يريدون اظهاره فى دفاتر مقطّعة ﴿تُبْدُونَهَا﴾ اى القراطيس ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ وهو ما لا يشتهونه كنعت محمّد ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ ايّها اليهود على لسان محمّد ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ من التّورية ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ انزله ان لم يقولوه لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ كثير النّفع ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من التّورية او الكتب كلّها ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ عطف على معنى ما قبله اى انزلناه للبركة والتّصديق ولتنذر به ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ اهل مكّة سمّيت بذلك لانّها قبلة اهل القرى واعظمها شئنا او لانّ الارض دحت من تحتها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ شرقا وغربا ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ اى الكتاب ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)﴾ خوفا من عقابها ﴿وَمَنْ﴾ اى لا احد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بادّعاء النّبوّة ولم يكن نبيّا كمسيلمة وغيره ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ اى قاله على سبيل التّردّد ولذا صح عطفه على افترى وجعله اشارة الى عبد الله بن سعد كان يكتب له ﷺ فلمّا كتب فى آية خلق الانسان ثم انشأناه خلقا آخر قال تبارك الله احسن الخالقين فقال ﷺ اكتبها كذلك نزلت فقال فى نفسه ان كان صادقا فقد اوحى الىّ مثله وان كان كاذبا لقد قلت مثله ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ كالّذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ

إِنِ الظَّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي غَمَرَاتِ﴾ سكرات ﴿الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ اليهم بالضرب والتّعذيب يقولون لهم تعنيفا ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ الينا لنقبضها ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ اى عذاب فيه اهانة ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بدعوى النّبوّة وسائر دعاويهم الباطلة ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)﴾ تتكبّرون عن الإيمان بها وجواب لو محذوف اى لرئيت امرا شنيعا ﴿وَ﴾ يقال لهم اذا بعثوا ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ جمع فرد والالف للتّأنيث اى منفردين عن الاهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بدل منه اى على الهيئة الّتى ولدت عليها فى الأنفراد ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ اعطيناكم من الأموال التى شغلتكم ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ فى الدّنيا بغير اختياركم ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الاصنام ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ اى فى استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَاءُ﴾ لله ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ وصلكم وتشتت جمعكم اذ هو من الأضداد يستعمل للوصل والفصل او ظرف اسناليه الفعل اتّساعا اى وقع التّقطّع بينكم تدلّ عليه قرائتنا بالنّصب على اضمار الفاعل اى وصلكم بينكم ﴿وَضَلَّ﴾ بطل وضاع ﴿عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)﴾ انّها شفعائكم ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ باخراج النّبات والشّجر ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ ما ينموا من الحيونات والنّبات ليوافق ما قبله ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ما لا ينموا كالنّطفة والبيضة والحبّ ﴿وَمُخْرِجُ﴾ ذلك ﴿الْمَيِّتِ مِنَ﴾ ذلك ﴿الْحَيِّ﴾ عطف على فالق ان جعل يخرج بيانا له والاّ فهو بمعنى الفعل عطفا على يخرج ﴿ذَلِكُمُ﴾ الفالق المخرج ﴿اللَّهُ فَأَنَّى﴾ كيف ﴿تُؤْفَكُونَ (٩٥)﴾ تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدر سمّى به الصّبح تسمية للمحلّ باسم الحال اى شاقّ عمود الصّبح وهو اوّل ما يبدوا من النّهار عن ظلمة اللّيل ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن فيه الخلق من التّعب منصوب بجاعل اذ هو مستمرّ فى الأزمنة فقوله ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بالنّصب عطفا على محلّ اللّيل ﴿حُسْبَانًا﴾ ذوا حسبان تحسب بهما الاوقات لأختلاف دورهما ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الفلق وما يتبعه جميعا ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الغالب فى ملكه ﴿الْعَلِيمِ (٩٦)﴾ بخلقه ومنه تدبيرهما ﴿وَهُوَ الَّذِي

جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حين السّفر والاضافة لادنى ملابسة والاّ فالظّلمة للّيل ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بيّنا ﴿الآيَاتِ﴾ الدالة على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧)﴾ فانّهم المنتفعون به ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هى آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ فلكم استقرار فى الاصلاب او فوق الأرض ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ استيداع فى الارحام او تحت الأرض او موضع استقرار واستيداع ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨)﴾ ذكر هناك يعلمون لظهور امر النّجوم وهنا يفقهون لدقّة انشاء الخلق من نفس واحدة بحيث يحتاج الى تدقيق نظر ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفاة من الغيبة ﴿بِهِ﴾ بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ اى نبت كلّ حبّ كلّ صنف من النّبات ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ من النّبات ﴿خَضِرًا﴾ اى شيئا اخضر ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضا وهو السّنبل ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ عطف على منه الاول ﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾ اى اوّل ما يخرج منها خبر ﴿قِنْوَانٌ﴾ اغصان والجملة صفة محذوف اى واخرجنا من النّخل نخلا من طلعها قنوان ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة من المتناول او قريب بعضها من بعض ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾ عطف على نبات كلّ شيء وكذا قوله: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ فى الهيئة واللّون والقدر حال من الرّمان ومثله محذوف فى البواقى ﴿انْظُرُوا﴾ نظر اعتبار ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ بفتح الثّاء والميم وبضمّهما جمع ثمرة كشجرة وشجر وخَشَبَةٍ وخُشُبٍ ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ اوّل ما يبدوا كيف هو ﴿وَيَنْعِهِ﴾ نضجه اذا ادرك كيف يكون عطف على اثمر بحسب المعنى كانّه قيل وقت اخراجه ثمره وينعه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)﴾ لا للكفّار لانها حجّة عليهم يكشف عن الاسرار ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾ مفعول ثان ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول اوّل ويبدل منه ﴿الْجِنَّ﴾ اى الشّياطين حيث اطاعوهم فى عبادة الاوثان ﴿وَ﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾ هو لا الجنّ وليس من يخلق كمن لا يخلق ﴿وَخَرَقُوا لَهُ﴾ افتروا له ﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ ملتبسين ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قالت اليهود عزير ابن الله والنّصارى المسيح ابنه والعرب الملائكة بناته ملتبسين بغير علم بحقيقة ما قالوا ولا يجوز التّكلم فى

شأنه تعالى بالظنّ ﴿سُبْحانَهُ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعالى عَمّا يَصِفُونَ (١٠٠)﴾ بانّ له ولدا متنازع فيه للتّسبيح والتّعالى هو ﴿بَدِيعُ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما من غير مثال سابق ﴿أَنّى﴾ كيف او من اين ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَ﴾ حال ﴿لَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ﴾ زوجة يكون منها الولد ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من شأنه ان يخلق ففيه تخصيص ولذا اعاده مظهرا بقوله ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)﴾ فلا يكافيه شيء حتى يكون ولدا له ﴿ذلِكُمُ﴾ الموصوف بصفات الكمال مبتدأ وقوله ﴿اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ اخبار مترادفة له وقوله ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ حكم مسبب عن مضمونها فانّ من استجمعها استحقّ العبادة ﴿وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ متولّى اموركم فكلوها اليه ورقيب اعمالكم فيجازيكم عليها ﴿لا تُدْرِكُهُ﴾ لا تراه ﴿الْأَبْصارُ﴾ جمع بصر وهو حاسّة النّظر اى لا يمكن لبصر ان يراه باعمال حاسّة البصر انّما يرى بأرائته ذاته ايّاه بمحض قدرته بقرينة الأحاديث الواردة فى الرّئية فلا تكون تمسّكا للمعتزلة فى امتناع الرأية ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ﴾ اى يراها ويحيط بها علما وليس من شأن غيره ان يدرك البصر ولا تدركه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ لا ينطبع فى الحاسة فلا تدركه الأبصار ﴿الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ فيدركها ﴿قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ﴾ جمع بصيرة وهى للقلب بمنزلة البصر للعين ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ اى واهبا ايّاكم فلا تملوها واعملوها ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ الحقّ وآمن به ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ ابصر لانّ ثواب ابصاره له ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عن الحقّ وضلّ ﴿فَعَلَيْها﴾ وباله ﴿وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾ انّما انا نذير والحفيظ الله فيجازيكم باعمالكم ﴿وَكَذلِكَ﴾ مثل ذلك التّصريف ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبيّنها ونجرى من الصّرف وهو نقل الشّيء من حال الى حال ﴿الْآياتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ اى الكفار ﴿دَرَسْتَ﴾ اى قرأت وتعلّمت كتب الماضين وجئت بهذا منها وفى قرائة دارست اى ذاكرت اهل الكتاب ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ اى الآيات او القرآن للعلم به وان لم يذكر ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥)﴾ فانّهم المنتفعون به ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ اى القرآن ﴿لا إِلهَ إِلاّ هُوَ﴾ بدل عن ما اوحى وحينئذ يكون اشدّ امتزاجا مع قوله ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦)﴾ لا تبال باقوالهم وآرائهم ﴿وَلَوْ شاءَ

اللهُ ما أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيبا ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧)﴾ تقوم بأمرهم ونزل لمّا طعن عليه السّلام فى آلهتهم فقالوا انته عنها والاّ لنهجونّك والهك ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ اى اصنامهم اى لا تذكروها بسوء ﴿فَيَسُبُّوا اللهَ﴾ اذ هو الهك الّذى حذّروك بسبّه لا غير ﴿عَدْوًا﴾ تجاوزا من الحقّ الى الباطل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ اى على جهالة وعدم علم بانّ ما يسبّونه هو الله تعالى والاّ لما رضوا بسبّه لانّهم يعتقدونه فى نهاية الكبرياء وآلهتهم شفعاء عنده ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما زيّن لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشرّ باحداث ما يحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)﴾ فيجازيهم عليه ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ مصدر فى موضع الحال اى مجتهدين فى أيمانهم للاستحقار ﴿لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ﴾ ممّا اقترحوا ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ﴾ هو القادر على انزالها كيف يشاء وانّما انا نذير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ استفهام انكار اى لا يدريكم ايّها المؤمنون شيء ﴿أَنَّهَا﴾ الآيات ﴿إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٠٩)﴾ فلذلك يتمنّون ونحن نعلم ذلك فلا نجيئ بها ﴿وَنُقَلِّبُ﴾ اى نحوّل عطف على لا يؤمنون ﴿أَفْئِدَتَهُمْ﴾ قلوبهم عن الحقّ فلا يفقهونه ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ فلا يبصرونه فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بما جاء من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ (١١٠)﴾ يتردّدون متحيّرون بلا هداية ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَئِكَةَ﴾ اجراء لقولهم لولا انزل علينا الملائكة ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ اجراء لقولهم فأتوا بآبائنا ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ اجراء لاو تأتى بالله والملائكة قبيلا ﴿قُبُلًا﴾ جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء على ما بُشّروا و أُنذروا به او جمع قبيل جمع قبيلة اى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة وعلى التقادير حال من كلّ لتخصيصه بالعموم وللأضافة ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لما سبق عليهم القضاء بالكفر ﴿إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ استثناء من اعمّ الأحوال اى لا يؤمنون فى حال من الأحوال الاّ فى حال مشيّة الله ايمانهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)﴾ ذلك ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدوّا ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ سبق ﴿عَدُوًّا﴾ فعداوة

الكفار للأنبياء بفعل الله وخلقه ويبدل منه ﴿شَيَاطِينَ﴾ مردة ﴿الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي﴾ يوسوس ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ اى شياطين الجنّ الى شياطين الأنس وبعض الجنّ الى بعض وبعض الأنس الى بعض ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ اى باطله ومموّهه من زخرفه اذا زيّنه ﴿غُرُورًا﴾ اى ليغرّوهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ اى الأيحاء المذكور او جميع ماذكر ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)﴾ اى لا تبال بشأنهم ولا تغتم لهم لا انّه لا تجاهدهم حتّى تكون منسوخة بآية السّيف ومثله كثير ﴿وَلِتَصْغَى﴾ عطف على غرورا اى تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ اى للزّخرف ﴿أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأنفسهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ يكتسبوا ﴿مَاهُمْ مُقْتَرِفُونَ (١١٣)﴾ من الذّنوب فيعاقبوا ونزل لمّا طلبوا من النّبيّ ﷺ ان يجعل بينه وبينهم حَكَمًا قل ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي﴾ اطلب قدّم المفعول لتعلّق الاستفهام الانكاريّ به ويجعل حالا منه ﴿حَكَمًا﴾ يحكم بيني وبينكم بفصل المحقّ من المبطل ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ اى القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبيّنا فيه الحقّ والباطل ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ اى اهل الكتاب ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ لتصديقه ما عندهم مع عدم مخالطتك كتبهم وعلمائهم حتّى يقال انّه اخترعه على وفق ما رأى ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤)﴾ الشّاكّين فى علمهم بذلك او فى كونه منزّلا بجحودهم به فهو من باب التّهييج لا للكفّ عن الأمتراء فانّه ﷺ ليس ممّن يمترى فى شيء منهما بعد ان اخبره بانّهم يعلمون انّه منزّل من ربّك ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده ﴿صِدْقًا﴾ فى الاخبار او المواعيد ﴿وَعَدْلًا﴾ فى الاحكام تميزان ﴿لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ اى القرآن بنقص او خلق كما فعل بالتّورية ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ (١١٥)﴾ بما يضمر فلا يهمل شيئا ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ﴾ اى الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ اى الطّريق الموصل اليه وهو دينه الحقّ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ اى ظنّهم بانّ آبائهم كانوا على الحقّ او آرائهم الفاسدة ﴿وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (١١٦)﴾ يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتّخاذ الولد وجعل عبادة الأوثان وصلة اليه وتحليل الميتة بدعوى انّ

ما قتله الله احقّ بالاكل مما قتله الخلق ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ﴾ موصولة معمولة لفعل دلّ عليه اعلم لا به لانّ اسم التفضيل لا ينصب الظّاهر ﴿يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧)﴾ فيجازى كلاً ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ اى ذبح على اسمه لا ممّا ذكر عليه اسم غيره او مات حتْفَ انفه مثلا مسبب عن قوله انّ ربّك هو آه يعنى انّ امر الله انّما ينفع من اعتقد انّه اعلم ﴿إِنْ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ ممّا لم يحرم فى آية ﴿حرّمت عليكم الميتة...﴾[1] ﴿إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ ممّا حرّم عليكم فانّه ايضا حلال حال الضرورة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ﴾ بما تهوى انفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعتمدونه فى ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩)﴾ المتجاوزين الحلال الى الحرام ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ علانيته وسرّه او الحرام وما بين الحرام والحلال اى متشابهات ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠)﴾ يكتسبون ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ بان مات او ذبح على اسم غيره والاّ فما ذبحه المسلم ولم يسمّ فيه ولو عمدا فهو حلال كمافى الحديث وعليه الشّافعى ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ اى ما اهل لغير الله او الأكل منه ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يوسوسون ﴿إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ الكفّار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ فى تحليل الميتة بما مرّ ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ لانّ من تعبّد بوحى الشّياطين فقد اشركهم مع الله فى اتباع وحيه وتركت الفاء فى الجزاء لتقدير القسم اى والله ان اطعتموهم آه ونزل فى حمزة وابى جهل ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ بنصب الحجج ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ يتمثّل بها فى الأشياء فيميّز بين الحقّ والباطل ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ صفته مبتدأ خبره هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ بتقدير المبتدأ وجملة التّشبيه خبر لمن ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ حال من المستكن فى الظّرف مثل لمن بقى فى الضّلالة لا يفارقها بحال ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زيّن للمؤمنين ايمانهم او كاحياء

[1] - سورة المائدة: ٣

الشّياطين الى اوليائهم ﴿زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾ من الكفر والمعاصى ﴿وَكَذلِكَ﴾ اى كما جعلنا فى مكة اكابر فسّاق ﴿جَعَلْنا﴾ صيّرنا ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ﴾ مفعولا جعلنا بتقديم الثّانى و ﴿مُجْرِمِيها﴾ بدل ﴿لِيَمْكُرُوا فِيها وَما يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لانّ وباله عليهم ﴿وَما يَشْعُرُونَ (١٢٣)﴾ بذلك ﴿وَإِذا جاءَتْهُمْ﴾ اى كفّار مكة ﴿آيَةٌ﴾ على صدق النّبى ﴿قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ﴾ من الرّسالة والوحى لانّا اكثر مالا واكبر سنّا ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾ استيناف للردّ عليهم انّ النّبوّة ليست بالنّسب والمال وحيث مفعول به لفعل دلّ عليه اعلم اى يعلم الموضع الصّالح لوضعها فيه ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بيان لمكرهم بأنفسهم ﴿صَغارٌ﴾ ذلّ ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ يوم القيامة ﴿وَعَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤)﴾ بسبب مكرهم ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ الى الحقّ ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ﴾ بان يقذف فى قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد فى الحديث ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ بفتح الرّاء مصدر وصف به مبالغة وبكسرها صفة اى شديد الضّيق لا يدخله الإيمان ﴿كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ﴾ اذا كلّف الإيمان لشدّته عليه ﴿كَذلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) وَهذا﴾ البيان الّذى انت عليه يا محمّد ﴿صِراطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً﴾ لا عوج فيه حال مؤكّدة من الجملة والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾ اى يتّعظون لانّهم المنتفعون ﴿لَهُمْ دارُ السَّلامِ﴾ اى دار السّلامة من المكاره وهى الجنّة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فى ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ محبّهم وناصرهم ﴿بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)﴾ بسبب اعمالهم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ الخلق ﴿جَمِيعاً يا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ الشّياطين ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ بان جعلتموهم اتباعكم بالأغواء ﴿وَقالَ أَوْلِياؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ الّذين اطاعوهم ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ﴾ انتفع الأنس بتزين الجنّ لهم الشّهوات والجنّ بطاعة الانس لهم ﴿وَبَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنا﴾ وهو يوم القيامة وهذا تحسّر منهم ﴿قالَ﴾ تعالى لهم على لسان

الملائكة ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ مأواكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال والعامل فيه معنى الأضافة فى مثواكم ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ﴾ من الأوقات الّتى تخرجون فيها من النّار الى الزّمهرير فانّه خارجها ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ فى افعاله ﴿عَلِيمٌ (١٢٨)﴾ بخلقه ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما متّعنا عصاة الانس والجنّ بعضهم ببعض ﴿نُوَلِّي﴾ من الولاية ﴿بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ على بعض ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩)﴾ من المعاصى ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ الرّسل من الأنس خاصة لكن لمّا جمعوا مع الجنّ فى الخطاب صحّ ذلك او الرّسل من الجنّ من يسمع كلام الرّسل فيبلّغون قومهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا﴾ جوابا ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا﴾ ان قد بلغنا قال تعالى ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠) ذَلِكَ﴾ اى ارسال الرّسل وهو خبر مبتدأ محذوف اى الامر ذلك ﴿أَنْ﴾ اى لانّه فهو تعليل للحكم وان مخفّفة من المثقلة ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١)﴾ لم يرسل اليهم رسولٌ يبيّن لهم ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العالمين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ مراتب ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن الخلق وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا اهل مكّة بالاهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣)﴾ اذهبهم قرنا بعد قرن لكنّه ابقاكم رحمة لكم ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من البعث واحواله ﴿لآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (١٣٤)﴾ فائتين عذابنا ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم الّتى انتم عليها ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتى ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ العاقبة الحسنى الّتى خلق لها دار الدّنيا ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿الظَّالِمُونَ (١٣٥)﴾ اى الكافرون لكن عبّر به لانّه اعمّ واكثر فائدة ﴿وَجَعَلُوا﴾ كفار مكّة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾ الزّرع ﴿وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ يصرفونه الى ضيفانهم ومساكينهم ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ اى لآلهتنا وينفقونه على سدنتها ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللهِ﴾ اى الى جهته الّتى

يصرف ماله اليها ﴿وَمَاكَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ﴾ لانّهم كانوا اذا سقط ممّا جعلوه له تعالى فى نصيب الأوثان تركوه وقالوا انّه غنى عن هذا وان هلك ممّا لها شيء اخذوا بدله ممّا له تعالى من دون عكس فيهما وايضا ان زكى نصيبها فقط يزكوه حبّا لها وان كان بالعكس اخذوا من نصيبه واعطوه السّدنة ﴿ساءَ مَا﴾ اى الّذى ﴿يَحْكُمُونَ (١٣٦)﴾ حكمهم هذا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زيّن لهم ما ذكر ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بذبحهم لآلهتهم ودفن البنات حيّة ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الجنّ فاعل زيّن ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ يهلكوهم بالأغواء ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧) وَقَالُوا هَذِهِ﴾ المجعولة للآلهة ﴿أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام فِعْل بمعنى مفعول يستوى فيه المذكّر والمؤنّث والواحد والكثير ﴿لاَ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَنْ نَشَاءُ﴾ من خدمة الأوثان والرّجال دون النّساء ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ اى لاحجة لهم فيه ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فلا تركب كالسّوائب والحامى ﴿وَأَنْعَامٌ لاَ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهَا﴾ فى الذّبح بل اسم الأصنام ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ حال او مفعول له لقالوا ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَاكَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨) وَقَالُوا مَافِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ﴾ المحرّمة من السّوائب والبحائر ﴿خَالِصَةٌ﴾ حلال خاصة ﴿لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾ اى النّساء ان ولد حيّا لقوله ﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ﴾ اى الذّكور والأناث ﴿فِيهِ﴾ تذكير الضّمير هنا للفظ ما وتأنيث خالصة للمعنى ﴿شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التّحريم والتّحليل ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ اى بناتهم خشية الفقر ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بأنّ الله رازق اولادهم لا هم ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللّٰهُ﴾ ممّا ذكر ولا يخافون الفقر فى هذا التّحريم فهو مزيد بيان لسفههم ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللّٰهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَاكَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)﴾ الى الحقّ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ بان ارتفعت على ساق بطبعها كالاشجار ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ بان تنبسط على وجه الأرض كالبطّيخ فقوله ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾ تخصيص بعد تعميم ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ اى ثمرة كلّ واحد منها فى الهيئة والطّعم

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا﴾ ورقهما ﴿وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ طعمهما ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾ اى ثمر كلّ واحد من ذلك ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ قبل النّضج ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ يعنى ماكان يتصدّق به يوم الحصاد لا الزّكوة المقدّرة فانّها فرضت بالمدينة والآية مكيّة ومن حمله على الزّكوة جعل الأية مدنيّة ويوم حصاده صفة اى حقّه الواجب يوم حصاده ﴿وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ فى التّصدق ولا فى الأكل ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾ المتجاوزين عن الحدّ ﴿وَ﴾ انشأ ﴿مِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً﴾ صالحة للحمل عليها كالأبل الكبار ﴿وَفَرْشًا﴾ لا تصلح له كالأبل الصّغار والغنم سمّيت فرشا لانّها كالفرش للارض لدنوّها منها ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ اى بعضا منه وهو الحلال ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرائقه فى التّحليل والتّحريم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٢)﴾ ظاهر العداوة ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ اصناف بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا وما بينهما اعتراض ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ زوجين الكبش والنّعجة بدل من ثمانية فالزّوج اسم لواحد مادام معه آخر والاّ فهو فرد ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ التّيس والعنز ﴿قُلْ آ لذَّكَرَيْنِ﴾ ذكر الضّأن وذكر المعز ﴿حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ ام انثييهما وحرّم هى النّاصبة لما قبلها وبعدها ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ﴾ من الجنين ذكرا كان او انثى ﴿نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)﴾ فى دعوى التّحريم عليه ﴿وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آ لذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ﴾ كما سبق والمعنى انكار انّ الله تعالى حرّم شيئا ممّا ذكر كما زعموا كلّ مرّة تحريم صنف ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿كُنتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضورا ﴿إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا﴾ التّحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبىّ فلا طريق لكم الى المعرفة الاّ المشاهدة والسّماع ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ اى فانتم اظلم النّاس متفرّع على اثبات كذبهم ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ذكر مع انّه لا يتصوّر الأضلال بعلم تنبيها على انّ الأضلال نتيجة الجهل والشّقاء منه بطلب العلم ولمّا لم يهتدوا بالبيان الوافى السّابق قال ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤)﴾ وفائدة البيان لهم إلزام الحجّة ﴿قُل لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ﴾ شيئا ﴿مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ

يَطْعَمُهُ إِلاَّ﴾ وقت ﴿أَنْ يَكُونَ﴾ الطّعام ﴿مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ اى سائلا بخلاف غيره كالكبد والطّحال عطف على ميتة ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ﴾ اى الخنزير او لحمه ﴿رِجْسٌ﴾ قذر ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتّعليل ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ اى ذبح على اسم غيره صفة موضحة لفسقا سمّى فسقا لتوغّله فى الفسق ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ الى اكل شيء ممّا ذكره ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطر مثله ﴿وَلاَ عَادٍ﴾ قدر الضّرورة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)﴾ لا يؤاخذه ويلحق بما ذكر بالسّنة كلّ ذى ناب من السّباع ومخلب من الطّيور فتكون السّنة مخصّصة لنفى التّحريم عمّا عدا الأربعة لا ناسخة حتى يستدلّ بالآية على نسخ الكتاب بخبر الواحد ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ اى اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ وهو الّذى لم يفرق اصابعه كالأبل والنّعام ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ شحوم الكلى وما على الكرش ﴿إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ اى ما علق بظهورهما منه ﴿أَوِ﴾ حملت ﴿الْحَوَايَا﴾ الامعاء جمع حاويا او حاوية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو شحم الألية المتصلة بالعصعص فانّه احلّ لهم ﴿ذَلِكَ﴾ التّحريم او الجزاء فهو مفعول به او مطلق لقوله ﴿جَزَيْنَاهُم﴾ به ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم بما سبق فى سورة النّساء[1] ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)﴾ فى اخبارنا او الوعد والوعيد ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئت به ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وفيه تلطيف بدعائهم الى الإيمان ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عذابه اذا جاء ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ فاشراكنا وتحريمنا بمشيّته فهو راض به وليس المراد الاعتذار عن ارتكابهما بارادة الله اياهما منهم حتّى يصير ذمّهم به دليلا للمعتزلة على نفى ارادة القبيح منه تعالى ويؤيده قوله ﴿كَذَلِكَ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ عذابنا المنزل عليهم بتكذيبهم ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ بانّ الله راض بذلك ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ اى لا علم عندكم

[1] - سورة النساء: ١٦١

﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨)﴾ تكذبون ﴿قُلْ﴾ ان لم تكن لكم حجّة ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ غاية القوّة ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)﴾ بالتّوفيق لها ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ الّذى حرّمتموه ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ بان تصدّقهم ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر لنكتة مرّ مثله غير مرّة ﴿وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ كعبدة الأوثان ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠)﴾ يشركون ﴿قُلْ تَعَالَوْا﴾ امر من التّعالى اصله ان يقوله من فى علو لمن فى سفل فعمّم ويجوز ان يكون هنا على اصله ﴿أَتْلُ﴾ اقرأ ﴿مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ منصوب بأتل ويتعلّق به ﴿عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ كلمة ان تفسيريّة وما بعدها نهى ليصحّ جعله بيانا للمحرّم وعطف الأمر عليه وهو ﴿وَ﴾ احسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ﴾ بالوأد ﴿مِنْ إِمْلاَقٍ﴾ اى فقر بكم فانّ المخاطب هنا المبتلى بالفقر دون غنىّ يخشى منه كما فى خشية املاق ولذا قدّم رزقهم هنا بقوله ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وعكس هناك[1] ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر كالزّنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ اى علانيّها وسرّها بدل منها ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ كالقود وحدّ ردّة ورجم المحصن ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور مفصّلا ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾ ترشدون فانّ كمال العقل هو الرّشد ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي﴾ اى بالخصلة الّتى ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهى ما فيه صلاحه ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بان يحتلم ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل والسّويّة ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ طاقتها فى ذلك والمعنى انّ ايفاء الحقّ عسر فعليكم بما وسعكم وما ورائه معفوّ عنه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ فى حكم او غيره ﴿فَاعْدِلُوا﴾ فيه ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له او عليه ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابة ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)﴾ تتعظون ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ بالفتح على تقدير اللاّم علّة لقوله ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطّرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ تميل

[1] - وهو قوله تعالى: ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ سورة الإسراء: ٣١

﴿بِكُمْ عن سَبيله﴾ دينه ﴿ذَلِكُمْ وصّاكم به لعلّكُمْ تتقُون (١٥٣) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسى الْكتاب﴾ التّورية عطف على ذلكم وصّاكم لكونها فى قوّة الفعليّة وثم للتّراخى فى الأخبار ﴿تَمامًا﴾ اى اتماما للنّعمة فهو مفعول له ﴿على الَّذِي أَحْسن﴾ بالقيام به ﴿وتَفْصيلًا﴾ بيانا غطف على تماما ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج اليه فى الدّين ﴿وهُدًى ورَحْمَةً لعلّهُمْ﴾ اى بنى اسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وهَذا﴾ القرآن ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ﴾ كثير النّفع ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ المخالفة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥) أَنْ تَقُولُوا﴾ علّة لانزلناه اى كراهة ان تقولوا ﴿إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ اليهود والنّصارى ﴿وَإِنْ﴾ مخفّفة واسمها محذوف اى إِنَّهُ ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قرائتهم ﴿لَغَافِلِينَ (١٥٦)﴾ لعدم معرفتنا لها اذ ليست بلغتنا ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ عطف على الاوّل ﴿لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ لحدّة اذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن تبعه ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ﴾ اعرض ﴿عَنْهَا﴾ فضلّ ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ اشدّه ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧) هَلْ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ المكذبون من اهل مكّة ﴿إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض ارواحهم او العذاب ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ اى امره بالعذاب ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ اى علاماته الدّالة على السّاعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهى طلوع الشّمس من مغربها كما فى حديث الصّحيحين والاوّل اعمّ ولعلّه لذا اعيد مظهرا ﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفة نفسا ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ عطف على آمنت والمعنى لا ينفع الإيمان بأعتبار ذاته اذا لم يؤمن قبل وبأعتبار العمل اذا لم يعمل قبل فيندفع تمسّك من لم يعتبر الإيمان المجرّد عن العمل بالآية من حيث انّه سوى فيها بين عدم الإيمان والإيمان الّذى لم يكسب فيه خيرا مع شهادة الآيات والحديث بنفع مجرّده النّجاة من العذاب ولو بعد حين وفى القاضى تأويلات اخر فارجع اليه ﴿قُلِ انتَظِرُوا﴾ اتيان احد هذه الاشياء ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨)﴾ ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض ﴿وَكَانُوا

شِيَعًا﴾ فرقا تتبع كلّ فرقة اماما ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ اى من السّؤال عنهم او انتم برئ عنهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولّى جزائهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)﴾ وهذا اشدّ وعيد اذ لا امر فوق اخبار المنعم القادر المسئ باسائته ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ﴾ جزاء ﴿عَشْرُ﴾ حسنات ﴿أَمْثَالِهَا﴾ فضلا منه تعالى وجاء الوعد بسبعين وسبعمأية وبغير حساب ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا﴾ قضية للعدل ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (١٦٠)﴾ بنقص الثّواب وزيادة العقاب ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ بدل من محلّ الى صراط او حال موطئة منه كانّه قيل ﴿قِيَمًا﴾ فيعل من قام كسيّد من ساد او مصدر نعت به على قرائة التّخفيف ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف بيان لدينا ﴿حَنِيفًا﴾ حال من ابراهيم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١)﴾ عطف عليه ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي﴾ عبادتى من حج او غيره ﴿وَمَحْيَايَ﴾ حياتى ﴿وَمَمَاتِي﴾ موتى ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾ فى ذلك ﴿وَبِذَلِكَ﴾ القول او الأخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ من هذه الأمّة او كلّ النّاس اشارة الى قوله ﷺ اوّل ما خلق الله نورى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ الها اشركه فى عبادتى ﴿وَ﴾ حال ﴿هُوَ رَبُّ﴾ مالك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ فهى مملوكة لا تصلح للرّبوبيّة ﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ فلا ينفعنى الاعتذار باثمم سبقونى الى الشرك ودعونى اليه ﴿وَلاَ تَزِرُ﴾ تحمل ﴿وَازِرَةٌ﴾ نفس آثمة ﴿وِزْرَ﴾ اثم نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤)﴾ فيتميّز المحق من ضدّه ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ﴾ جمع خليف اى يخلف بعضكم بعضا ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالجاه والمال وغير ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليخبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ اعطاكم من الجاه والمال ليظهر العاصى والمطيع ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه لانّ ما هو آت قريب ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ (١٦٥)﴾ اتى بصيغة المبالغة واللاّم المؤكّدة ولم يضف العقاب الى نفسه تنبيها على انّه غفور بالذات معاقب بالعرض.

* * *

سورة الأعراف

مكية إلاّ (وسئلهم عن القرية) الثمان أو الخمس
وآيها مائتان وخمس أو ست

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓصٓ (١)﴾ الله اعلم بمراده بذلك هذا ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذّب ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ متعلّق بأنزل اى للأنذار ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾ اى وتذكّر تذكرة فهو منصوب باضمار فعله ثمّ انّه لمّا امر الرّسول بالتّبليغ والأنذار أمَرَ الأمّة بالمتابعة وقبول ما انزل اليه فقال ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ اى القرآن والسّنّة لانّها منه تعالى ايضا لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحى يوحى ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ﴾ تعالى ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يضلّونكم من الجنّ والأنس ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾ اى تذكّرا قليلا تذكّرون وما مزيدة لتأكيد القلّة ولمّا امر بالقبول والأتعاظ ذكر ما فى ترك المتابعة من الوعيد فقال ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ كثيرا من القرى ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ اردنا اهلاك اهلها او اخذلناها ولم نعوّقها بقرينة العطف بالفاء التّعقيبيّة فى قوله ﴿فَجَاءَهَا﴾ اى جاء اهلها ﴿بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال اى بايتين ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ (٤)﴾ عطف عليه اى نائمون نصف النّهار كقوم شعيب من القيلولة وهو استراحة فى ذلك الوقت وان لم يكن معها نوم وفى جعلهم نفس البيات والأتيان بالجملة الاسمية الدالّة على الثّبات مبالغة فى غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خصّ الوقتين ولانّهما وقت دعة واستراحة فيكون مجئ العذاب فيهما اقطع وحذف واو الحال استثقالا لأجتماع حرفى العطف فانّها واو عطف استعيرت للوصل لا كتفاء بالضّمير فانّه ضعيف ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ دعائهم واستغاثتهم او ادّعائهم كما هو

المتعارف اى ما كان حاصل ما كانوا يدّعونه من مذهبهم ودينهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٥)﴾ اى الاّ اعترافهم بظلمهم تحسّرا عليه ثمّ انّه اتى بتهديد آخر على ترك المتابعة فقال ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ اى الأمم عن اجابتهم الرّسل وعملهم فيما بلغهم والظّرف قائم مقام فاعل ارسل ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦)﴾ عن الأبلاغ وما اجيبوا به هذا سؤال توبيخ للكفرة والاّ فقد استغنى عنه باعترافهم بالظّلم والمنفىّ فى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام فلا تناقض ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على الرّسل والمرسل اليهم ماكانوا عليه ﴿بِعِلْمٍ﴾ اى عالمين بظواهرهم وبواطنهم ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ (٧)﴾ عنهم فيخف علينا شيء من احوالهم ﴿وَالْوَزْنُ﴾ للأعمال مصوّرة حسناتها بجواهر بيضاء وسيّآتها بجواهر سوداء او لصحائفها وقيل لعين الأشخاص بميزان له لسان وكفّتان كما ورد فى الحديث وفائدته اظهار المعدلة وقطع المعذرة كشهادة الجوارح بصنيع صاحبها وقيل لا وزن حقيقة بل هو كناية عن القضاء والعدل فى المجازاة كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ فهو خبر الوزن ﴿الْحَقُّ﴾ العدل السّوى صفته او خبر محذوف او هو الخبر ويومئذ ظرف المبتدأ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ جمع موزون اى حسناته او ميزان اى ما توزن به وجمعه بأعتبار تعدّد الوزن واختلاف الموزونات او تعظيم شأنه ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨)﴾ الفائزون ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتصييرها الى النّار ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩)﴾ يجحدون ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ يا بنى آدم ﴿فِي الأَرْضِ﴾ سكنا وتصرّفا ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ اسبابا تعيشون بها جمع معيشة او ما يعاش به فهى بغير همزة لأصالة يائها ومن همزها شبّهها بالزّائد فيه الياء كصحائف ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (١٠)﴾ على ذلك ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ اباكم آدم حين غير مصوّر ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ اى صوّرناه نزّله فيهما منزلة الكل بقرينة قوله ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ والاّ فالأمر بالسّجود له لم يكن بعد خلقهم وتصويرهم بل الأمر بالعكس وفى القاضى توجيهان آخران ايضا ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١)﴾ لآدم ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ

لاَ﴾ زائدة لتأكيد معنى الفعل والتّنبيه على انّ الموبّخ عليه تركه ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ﴾ دليل على انّ مطلق الأمر للوجوب والفور ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ وعلّل خيريّته بقوله ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢)﴾ بأعتبار الجزأ الغالب والاّ فهما والملائكة مركّبون من العناصر الأربعة كما سيأتى فى سورة الحجر[1] ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ اى من او السّماء ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغى ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ وتعصى فانّها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على انّه انّما طرده لتكبّره لا لمجرّد عصيانه وهو اوّل من سنّ التكبر وقال بالحسن والقبح العقليّين ﴿فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣)﴾ الذّليلين للتكبّر ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ اخّرنى ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤)﴾ اى النّاس ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥)﴾ الى يوم الوقت المعلوم اى النّفخة الأولى لا الى يوم البعث كما يفهم ظاهرا من كونه جوابا لسؤاله وقبول دعائه لابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ اى بسبب اغوايك ايّاى فالباء سببيّة متعلّقة بفعل القسم المحذوف وقيل قسميّة وجوابه ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ كقعود قطّاع الطريق ﴿لَهُمْ﴾ اى لبني آدم ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)﴾ طريق الاسلام ونصبه على الظّرف ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَآئِلِهِمْ﴾ اى من كلّ جهة فامنعهم عن سلوكه ولم يقل من فوقهم لانّ الرّحمة تنزل منه فهو لا يستطيع الأتيان منه ولم يقل من تحتهم لانّ الأتيان منه يوحش ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)﴾ مطيعين قاله ظنّا لا علما وتيقنا حتّى يقال انّه كيف علم الغيب ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا﴾ بالهمزة اى مذموما معيبا ﴿مَدْحُورًا﴾ مبعّدا عن الرّحمة ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ اللاّم موطئة للقسم وجوابه ﴿لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)﴾ وهو سادّ مسدّ جواب الشّرط ﴿وَ﴾ قلنا ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل والمراد منها مرّ فى البقرة[2] ﴿فَتَكُونَا﴾ مجزوم على العطف او منصوب

---

[1] – سورة الحجر: ٢٧

[2] – سورة البقرة: ٣٥

على الجواب ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩)﴾ لانفسهم بمخالفة الله ﴿فَوَسْوَسَ﴾ فعل الوسوسة ﴿لَهُمَا﴾ لأجلهما ﴿الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ﴾ يظهر ﴿لَهُمَا مَا وُورِيَ﴾ من المواراة ما غطّى ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ﴾ كراهة ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠)﴾ فى الجنّة ولا تموتون ولا دلالة فى الآية على فضل الملائكة اذ رغبتهما ان يحصل لهما ما للملائكة من الكمالات الفطريّة الاستغناء عن الاطعمة والأشربة لا انقلاب الحقيقة ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ اى اقسم لهما بالله وصيغة فاعل للمبالغة ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)﴾ فى ذلك ﴿فَدَلاَّهُمَا﴾ حطّهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ اى بسبب غروره اياهما باليمين الكاذبة فهو اوّل من حلف بالله كاذبا فظنّا انّ احدا لا يحلف به كاذبا ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ بتساقط اللّباس وكان نورا او حلّة او ظفرا سمّيت العورة سوأة لانّ انكشافها يسوأ صاحبها ﴿وَطَفِقَا﴾ اخذا ﴿يَخْصِفَانِ﴾ يلذقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ اى ورق التّين ليستترا به ﴿وَنَادَاهُمَا﴾ عتابا وتوبيخا على الاغترار ﴿رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ بالمعصية المؤدّية الى الإخراج من الجنّة ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾ دليل على انّ الصغاير يعاقب عليها ان لم تغفر خلافا للمعتزلة اذ لا عقاب عليها عندهم مع اجتناب الكبائر ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ اى آدم وحوا بما اشتملتما عليه من ذريّتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذريّة ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ فى موقع الحال اى متعادّين ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ استقرار او مكانه ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتّع ﴿إِلَى حِينٍ (٢٤)﴾ ينقضى فيه آجالكم ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)﴾ للجزاء ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ اى خلقناه لكم بتدبيرات سماويّة ﴿يُوَارِي﴾ يستر ﴿سَوْآتِكُمْ﴾ وتغنيكم عن خصف الورق روى انّ العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ﴿وَرِيشًا﴾ وهو ما يتجمّل به من الثّياب ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ خشية

الله مبتدأ خبره ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ﴾ انزال اللّباس ﴿مِنْ آيَاتِ اللهِ﴾ الدّالة على قدرته ورحمته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)﴾ يتعظون فيتركون المعاصى فيه التفات من الخطاب ﴿يَابَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ يضلّنكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ اى لا تتّبعوه فتفتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ﴾ تسبّبا ﴿عَنْهُمَا﴾ حال من ابويكم ﴿لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لاَتَرَوْنَهُمْ﴾ على صورهم الّتى خلقوا عليها فلاينافى رأيتهم بتمثّلهم لنا ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ (٢٧)﴾ بان نرسلهم عليهم ونمكنهم من خذلانهم والآية مقصود القصّة ونتيجتها ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ كالشّرك وكشف العورة فى الطّواف ﴿قَالُوا﴾ احتجاجا بامرين وهما ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَائَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ فاعرض عن الأوّل لظهور فساده وردّ الثّانى بقوله ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٢٨)﴾ استفهام انكار يتضمّن النّهى عن الأفتراء على الله ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ بتقدير قال عطف على امر ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ نحو القبلة لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ اى فى كلّ وقت سجود اى صلوة او مكانه او فى اىّ مسجد حضرتكم الصّلوة ﴿وَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ عن الشّرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئا ﴿تَعُودُونَ (٢٩)﴾ باعادته فيجازيكم ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ بان وفّقهم للإيمان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ﴾ بمقتضى قضائه السّابق وانتصابه بفعل يفسّره ما بعده اى وخذل فريقا ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ تعليل لخذلانهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ ثيابكم لستر عورتكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ لطواف او صلوة ومن السّنة ان يأخذ الرّجل احسن هيئته للصّلوة ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما طاب لكم ولو فى ايّام الحجّ فانّ بنى عامر كانوا لا يأكلون فيها الاّ قوة بلا دسم فهمّ المسلمون به فنزلت ﴿وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ بتحريم حلال او اكل حرام او باسراف فى اكل ومخيلة فى لباس فانّهما حرامان وامّا مجرّد التلذّذ بالطّعام واللّباس فليس بحرام والاسراف والتّبذير واحد أي ما لا يقتضى حمدا عاجلا ولا اجرا آجلا قال على بن

حسين بن واقد لنصرانيّ لمّا نازعه بانّه ليس فى كتابكم من علم الطّب شيء قد جمع الله الطب فى نصف آية كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾ لا يرتضى فعلهم ﴿قُلْ﴾ انكارا عليهم ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من كلّ انواع الثّياب ﴿وَالْطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذّات ﴿مِنَ الرِّزْقِ﴾ من المأكل والمشرب ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالأصالة ومشاركة الكفرة لهم بالتّبع ﴿خَالِصَةً﴾ حال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لا يشاركهم فيها غيرهم ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل تفصيل هذا الحكم ﴿نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ سائر الأحكام ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر كالزّنى ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ اى جهرها وسرّها ﴿وَالإِثْمَ﴾ المعصية تعميم بعد تخصيص ﴿وَالْبَغْيَ﴾ الظّلم او الكبر افرده بالذّكر للمبالغة ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ متعلّق بالبغى مؤكّدة له معنى ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ باشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ من تحريم ما لم يحرّم وغيره ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدّة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ انقضت مدّتهم ﴿لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤)﴾ جملة استينافيّة لبيان انّهم لا يسبقون اجلهم المضروب لهم او عطف على مجموع الشّرطيّة ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ شرط ذكره بحرف الشّك للتّنبيه على انّ اتيان الرّسل امر جائز لا واجب وما لتأكيد معنى الشّرط ولذلك اكّد فعلها بالنّون وجوابه ﴿فَمَنِ اتَّقَى﴾ التّكذيب ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبّروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦)﴾ وادخال الفاء فى خبر الاوّل وتركها هنا للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشّريك والولد اليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ﴾ يصيبهم ﴿نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ممّا كتب لهم من الأرزاق والآجال وغير ذلك ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ الملائكة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ بقبض ارواحهم حال من الرّسل وحتّى ابتدائيّة وجواب اذا ﴿قَالُوا﴾ لهم تبكيتا ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم

نرهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) قَالَ﴾ تعالى لهم يوم القيامة ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ﴾ متعلّق بادخلوا ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النّار ﴿لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ الّتى قبلها لضلالها بها ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا﴾ اى تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ دخولا او منزلة وهم الأتباع ﴿لأُولاَهُمْ﴾ اى لأجل اولاهم وهم المتبعون ﴿رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضعّفا ﴿مِنَ النَّارِ﴾ لانّهم ضلّوا واضلّوا ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضعّف ﴿وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ (٣٨)﴾ ما لكلّ فريق ﴿وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتّبوه عليه اى فقد ثبت انّا وانتم سواء قال تعالى ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ اى فلم يؤمنوا بها ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ اى لارواحهم اذا عرج بها بل تهبط الى السّجين وامّا ارواح المؤمنين فتصعد الى السّماء السّابعة ﴿وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ثقبة الأبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠)﴾ بالكفر ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ اغطية من النّار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١)﴾ من وضع الظّاهر موضع المضمر للدّلالة على انّ تلك العقوبة الشّديدة لهذه الأوصاف الذّميمة اى الجرم والظّلم وغيرهما ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ ﴿لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ طاقتها من العمل معترضة للتّرغيب فى اكتساب النّعيم بما يسهل عليهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢)﴾ خبر المبتدأ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حقد كان بينهم فى الدّنيا فلا يبقى بينهم الاّ التّواد ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ تحت قصورهم ﴿الأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ اى لعمل هذا جزائه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ فاهتدينا بارشادهم ﴿وَنُودُوا أَنْ﴾ مخفّفة اى انه او

مفسّرة فى المواضع الخمس ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) ونادى أصحابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثّواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادى هو صاحب الصّور ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ النّاس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا﴾ اى يطلبون السّبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوّجة حال والعوج بالكسر فى المعانى والأعيان الغير المنتصبة وبالفتح فى المنتصبة كالرّمح ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا﴾ اى اصحاب الجنّة والنّار ﴿حِجَابٌ﴾ حاجز وهو السّور المضروب بين الجنّة والنّار ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ اى اعالى ذلك الحجاب جمع عرف مستعار من عرف الدّيك ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناتهم وسيّآتهم يحبسون هناك ثمّ يدخلهم الله الجنّة برحمته وهم آخر من يدخل الجنّة ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من اهل الجنّة والنّار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم وهى بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين يرون الفريقين لعلو موضعهم ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ اذا نظروا اليهم ﴿أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال تعالى ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ اى اصحاب الأعراف الجنّة ﴿وَهُمْ﴾ حال ﴿يَطْمَعُونَ (٤٦)﴾ فى دخولها لعدم نزع النّور من ايديهم بخلاف الكفّار فانّه ينزع نورهم على الصّراط ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ اى اصحاب الأعراف ﴿تِلْقَاءَ﴾ جهة ﴿أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ فى النّار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ﴾ من النّار ﴿جَمْعُكُمْ﴾ المال او كثرتكم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨)﴾ اى استكباركم عن الحقّ او على الخلق ويقولون لهم مشيرين الى ضعفاء المسلمين الّذين حلفت الكفّار على عدم دخولهم الجنّة ﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ حلفتم فى الدّنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قد قيل لهم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) ونادى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا﴾ صبّوا اذ هى فوق ﴿عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطّعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

وَيَوْمَ نَنْسَاهُمْ﴾ نتركهم فى النّار ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ بتركهم العمل له ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)﴾ اى وكما جحدوا ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ﴾ قرآن ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ بيّناه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ حال من فاعل فصّلنا اى عالمين بما فصّل فيه وقوله ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾ حال من مفعوله او مفعول له له ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ وهو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ اى قد تبيّن لنا هذا ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ اليوم ﴿أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ الى الدّنيا ﴿فَنَعْمَلَ﴾ جواب الاستفهام الثانى ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بصرف اعمارهم فى الكفر ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُمْ﴾ فلم ينفعهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣)﴾ من دعوى الشريك ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي﴾ مقدار ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من ايّامنا هذه لانّه لم يكن حينئذ شمس يعرف بها اليوم ولو شاء لخلقها فى لمحة لكن تأنّى فيه للحثّ على التّأنّى فى الأمور ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ استواء لا يفهمه غيره على مذهب التّفويض او استوى امره او استولى على مذهب التّأويل ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو الجسم المحيط بسائر الأجسام مستعار من سرير الملك ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ اى يغطّى كلاً منهما بالآخر ﴿يَطْلُبُهُ﴾ اى يعقّب كلّ واحد منهما الآخر كالطّالب له طلبا ﴿حَثِيثًا﴾ سريعا ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ بالنّصب عطفا على السّموات او الرّفع على الابتداء وقوله ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقضائه حال على الاوّل خبر على الثّانى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فانّه الموجد والمصوّر ﴿تَبَارَكَ﴾ تعظّم ﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ متضرّعين متذلّلين ﴿وَخُفْيَةً﴾ مسرّين مخلصين فانّ الأخفاء دليل الأخلاص ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)﴾ المتجاوزين ما امروا به فى الدّعاء وغيره بان يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود الى السّماء او يصيح ويطنب فى الدّعاء ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالشّرك والمعاصى ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ببعث الرّسل ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ خائفين من الردّ لقصور بكم ﴿وَطَمَعًا﴾ فى اجابته تفضّلا ﴿إِنَّ رَحْمَتَ

اللهِ﴾ امر ﴿قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾ المطيعين ترجيح للطّمع وتنبيه على ما يتوسّل به الى الأجابة ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ مبشّرات تخفيف بشر بضمّتين جمع بشير وفى قرائة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر اى متفرّقة آتية من كلّ ناحية ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ اى قدام المطر ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت الرّياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر جمعه لانّها بمعنى السّحائب ﴿سُقْنَاهُ﴾ اى السّحاب وافراد الضمير باعتبار اللّفظ وفيه التفات من الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ اى لأحيائه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ الأخراج ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورها بالأحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)﴾ فتعلمون انّه قادر على كلّ ما اراد ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ الأرض العذبة التّراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ ترابه ﴿لاَ يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلاَّ نَكِدًا﴾ عسرا بمشقّة حال وهذا مثل الكافر فى عدم انتفاعه بها ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بيّنا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ نبيّنها ونكرّرها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨)﴾ نعمة الله فيؤمنون ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اوّل نبى بعث بعد أدريس وكان عند البعث ابن خمسين سنة او اربعين ﴿إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ ان لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)﴾ وهو يوم القيامة او الطّوفان ﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ الأشراف فانّهم يملأون العيون رواء ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ (٦٠)﴾ بيّن ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ﴾ اى شيء من الضّلال بالغ فى النّفى كما بالغوا فى الأثبات ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ﴾ جمعها لاختلاف اوقاتها ﴿رَبِّي وَأَنْصَحُ﴾ ارید الخير ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٦٢) أَ﴾ كذّبتم ﴿وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب ان لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ الله بسبب الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣)﴾ بالتّقوى وفائدة لعلّ التّنبيه على انّ المتّقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه فانّه لا يوجب شيئا بدون فضل الله ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ اى من آمن به وكانوا

اربعين رجلا واربعين امرأة ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ متعلّق بانجيناه ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطّوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)﴾ عن الحقّ ﴿وَ﴾ ارسلنا ﴿إِلَى عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾ عطف بيان لأخاهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥)﴾ عذاب الله فتؤمنوا ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ قلّة عقل حيث تركت دين قومك ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦)﴾ فى رسالتك ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ سبق تفسيره آنفا ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ فى الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ خوّفهم من عذاب الله ثم ذكّرهم بانعامه ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ قامة وقوّة كان طويلهم مأية زراع وقصيرهم ستّين ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ﴾ نعم ﴿اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩)﴾ تفوزون بشكرها ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾ من مكانك الّذى اعتزلت به عنّا ﴿لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب بقولك أفلا تتّقون ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠)﴾ فيه ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب وحقّ ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌ﴾ ارادة انتقام ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ﴾ اشياء واصنام ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ آلهة ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ باستحقاقها للعبادة ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ برهان وضعف الأستدلال بالآية على اتحاد الاسم والمسمّى وتوقيفيّة الأسماء بناء على انّه لو لم يكن كذلك لم يتوجّه الذّم والأبطال ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٧١)﴾ ذلك ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ فى الدّين ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ عليهم ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ اى استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢)﴾ عطف على كذّبوا وفائدته التّعريض ممّن آمن منهم بانّهم لو كانوا مثلهم لما نجوا واهلاكهم كان بريح عقيم بعد ما امسك عليهم المطر ثلاث سنين حتّى اصابهم جهد فبعثوا نحو سبعين من اعيانهم الى مكّة ليستسقوا لهم فدعوا بعد ما لبثوا بظاهرها شهرا يشربون الخمر فعرض لهم ثلاث سحابات بيضاء وحمراء وسوداء ونوادوا ان اختاروا

واحدة منها فاختاروا السّوداء لظنّهم انّها اكثر ماء فخرجت اكثر ريحا ﴿وَ﴾ ارسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾ قبيلة اخرى من العرب سمّوا باسم ابيهم وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشّام ﴿أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صدقى ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ استيناف لبيان المعجزة ﴿لَكُمْ آيَةً﴾ نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هى له آية سئلوه ان يخرجها لهم من صغرة يقال لها الكاثبة فصلّى ودعى فخرجت منها عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا ثم انتجت ولدا مثلها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ العشب ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ من عقر او ضرب وفى النّهى عن المسّ الّذى هو مقدّمة الأصابة مبالغة فى الامر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)﴾ جواب النّهى ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ فى الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ اسكنكم ﴿فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ﴾ فى ﴿سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ حال مقدّرة لعدم وفاء القصور بكم لطول اعماركم فتنهدم وانتم احياء ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ من قومه بدل من اللّذين استضعفوا بأعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قالوه على الاستهزاء ﴿قَالُوا﴾ نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ الّذى بلّغهم صالح بقوله فذروها عقرها قدّار بان قتلها بالسّيف بامرهم ولذا اسند الفعل اليهم وذلك لما كانت تصيفُ بظهر الوادى فتهرب اغنامهم الى بطنه وتعكس فى الشّتاء فشقّ عليهم ذلك لتضرر مواشيهم والاّ فكانوا يحلبون منها ويملأون آوانيهم فيشربون ويدخرون فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت الصّخرة فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفّرة وبعد غد محمّرة واليوم الثالث مسودّة ثم يصبّحكم العذاب ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزّلزلة الشّديدة من

الأرض والصّيحة من السّماء ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين (٧٨)﴾ باركين على الرّكب ميّتين اذ الصّيحة قطعت قلوبهم ﴿فتولّى﴾ اعرض صالح بعد ما ابصرهم جاثمين ﴿عنهم وقال﴾ تحسّرا عليهم ﴿يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربّي ونصحت لكم ولكن لا تحبّون النّاصحين (٧٩) و﴾ اذكر ﴿لوطا﴾ ويبدل منه ﴿إذ قال لقومه﴾ توبيخا ﴿أتأتون الفاحشة﴾ اى ادبار الرّجال ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠)﴾ الأنس والجنّ ﴿إنكم لتأتون الرّجال شهوة﴾ مفعول له او مصدر فى موضع الحال وفى التّقييد بها وصفهم بالبهيمة الصّرفة ﴿من دون النّساء بل أنتم قوم مسرفون (٨١)﴾ متجاوزين عن الحد فى جميع الأمور فهو اضراب عن الأنكار على حالهم الى ذمّهم على جميع معايبهم ﴿وما كان جواب قومه إلاّ أن قالوا أخرجوهم﴾ اى لوطا ومن معه ﴿من قريتكم إنّهم أناس يتطهّرون (٨٢)﴾ من الفواحش ﴿فأنجيناه وأهله﴾ اى من آمن به ﴿إلاّ امرأته﴾ استثناء من اهله فانّها كانت تسرّ الكفر ﴿كانت من الغابرين (٨٣)﴾ الباقين فى العذاب فيه تغليب الذّكور ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾ هو حجارة السّجيل اهلكتهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين (٨٤) و﴾ ارسلنا ﴿إلى مدين﴾ اولاد مدين بن ابراهيم ﴿أخاهم شعيبا﴾ وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جائتكم بيّنة﴾ معجزة ﴿من ربّكم﴾ على صدقى وليس فى القرآن انّها ما هى ﴿فأوفوا﴾ اتمّوا ﴿الكيل والميزان﴾ اى الوزن فانّه مصدر كالميعاد ﴿ولا تبخسوا﴾ تنقصوا ﴿النّاس أشياءهم﴾ حقوقهم عبّر بأشيائهم للتّعميم تنبيها على انّهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر والحيف ﴿بعد إصلاحها﴾ ببعث الرّسل ﴿ذلكم﴾ المذكور ﴿خير لكم﴾ فى الانسانية وحسن الذكر فى الدّنيا ﴿إن كنتم مؤمنين (٨٥)﴾ مريدين الإيمان او مصدّقين لى ﴿ولا تقعدوا﴾ كالشّيطان ﴿بكلّ صراط﴾ طريق من طرق الدّين ﴿توعدون﴾ تخوفون النّاس من اتباع الحقّ وتمنعونهم منه ﴿وتصدّون﴾ تصرفون ﴿عن سبيل الله﴾ اى الإيمان بالله ﴿من آمن به﴾ بالله ومن مفعول تصدّون على اعمال

الأقرب ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ تطلبون لها ﴿عِوَجًا﴾ بالقاء الشّبهة ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ عددا او مالا ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ بالبركة فى النّسل او المال ﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦)﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلهم واعتبروا بهم ﴿وَإِنْ كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا﴾ انتظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ اى بين الفريقين بأنجاء المحقّ واهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧)﴾ اعدلهم لا حيف فى حكمه ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعنّ ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾ ديننا غلّبوا فى الخطاب الجمع على الواحد لانّ شعيبا لم يكن فى ملّتهم قطّ وعلى نحوه اجاب ﴿قَالَ أَ﴾ نعود فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨)﴾ لها استفهام انكار ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ وجواب الشّرط دلّ عليه قد افترينا لانّه بمعنى الاستقبال ولكن جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد ليقرّبه من الحال اى قد افترينا الآن ان همنا بالعود ﴿وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغى ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيخذلنا وفيه دليل انّ الكفر بمشيّته تعالى ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ اى واحاط علمه بكلّ شيء ومنه حالى وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فى تثبيتنا على الإيمان ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩)﴾ الحكمين ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ بعضهم لبعض ﴿لَئِنِ﴾ اللاّم موطّئة ﴿اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٩٠)﴾ لاستبدالهم ضلالته بهداكم جواب القسم سادّ مسادّ جواب الشّرط ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزّلزلة ولعلّها من مبادى الصّيحة المذكورة فى سورة الحجر[1] ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١)﴾ باركين على الرّكب ميّتين ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَنْ﴾ مخفّفة واسمها محذوف اى كانهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ اى فى ديارهم ويقال للمنزل مغنى ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢)﴾ دنيا ودينا دون المصدّقين كرّر الموصول مستأنفا بجملتين اسميّتين للمبالغة فى الردّ عليهم فى

[1] - سورة الحجر: ٧٣-٨٣

قولهم السّابق بتخصيص العذاب والخسران بهم ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ بعد العذاب ﴿وَقَالَ﴾ تأسفا بهم لشدّة حزنه عليه ﴿يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ ثمّ انكر على نفسه فقال ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ مضارع آسِيَ بكسر العين اى حزن حزنا شديدا ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾ اى مجمع القوم قرية او مدينة ﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾ فكذّبوه ﴿إِلاَّ أَخَذْنَا﴾ عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض يعنى ليس هذا حال امّة هذه الأنبياء فقط بل حال كلّ امة ارسل اليها ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤)﴾ يتذلّلون ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ البلاء والشّدة ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصّحة ﴿حَتَّى عَفَوْا﴾ كثروا عددا ومالا ﴿وَقَالُوا﴾ كفرانا للنّعمة ﴿قَدْ مَسَّ آبَائَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ كما مسّنا هذه عادة الدّهر لا عقوبة من الله فلا نرجع عمّا نحن عليه بسببها ﴿فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (٩٥)﴾ حتّى ينزل بهم العذاب ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ المكذّبون ﴿آمَنُوا﴾ بالله ورسلهم ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصى ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ اى لوسّعنا عليهم الخير من كلّ جانب ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرّسل ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ عطف بفاء التّعقيب السّببيّة على قوله فاخذناهم بغتة وما بينهما اعتراض والمراد بالقرى هنا مكة وما حولها ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾ وقت بيات اى ليلا ﴿وَ﴾ حال ﴿هُمْ نَآئِمُونَ (٩٧)﴾ غافلون عنه ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ اتى بالواو لعدم التّعقيب بين هذا وما قبله ﴿أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ ضحوة النّهار ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨)﴾ يشتغلون بما لاينفعهم ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ﴾ استدراجه ايّاهم بالنعم واخذهم بغتة ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾ بترك النّظر والأعتبار ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبيّن ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ﴾ بالسّكنى ﴿مِن بَعْدِ﴾ اهلاك ﴿أَهْلِهَا أَنْ﴾ مخفّفة فاعل يهد اى انه ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما اصبنا من قبلهم ﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ فهو منقطع عمّا قبله ويجوز عطفه على ما دلّ عليه اولم يهد اى يغفلون عن الهداية ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ (١٠٠)﴾ الموعظة سماع تدبّر ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ المذكورة

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿مِنْ﴾ تبعيضيّة ﴿أَنبَآئِهَا﴾ اخبار اهلها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظّاهرة ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم واللاّم لتأكيد النّفى ﴿بِمَا كَذَّبُوا﴾ اى كذّبوه ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل مجئ الرّسل بل استمرّوا على التكذيب ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ (١٠١)﴾ فلا تلين بالنّذر ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ اى النّاس فهى اعتراض او الأمم المذكورة فهى تتمّة للكلام السّابق ﴿مِّنْ﴾ وفاء ﴿عَهْدٍ﴾ اليهم من الله فى الإيمان والتّقوى او منهم اليه حين كانوا فى ضرّ ومخافة بمثل ﴿لئن انجيتنا من هذه لنكوننّ من الشّاكرين﴾[1] ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَآ﴾ علمنا ﴿أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ (١٠٢) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ الرّسل المذكور ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التّسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ مكان ما كان حقّها من الإيمان لوضوحها ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٠٤)﴾ اليك فكذّبه فى دعوى الرّسالة فقال لنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰٓ أَنْ﴾ اى بان ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (١٠٥)﴾ الى الشّام وطن آبائهم وكان قد استعبدهم ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دعويك ممّن ارسلك ﴿فَأْتِ بِهَآ﴾ احضرها عندى ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٠٦)﴾ فى الدّعوى ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ﴾ حيّة عظيمة ﴿مُّبِينٌ (١٠٧)﴾ ظاهر لا يشك فيه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الأرض والآخر على القصر ثم توجّه نحو فرعون فانهزم النّاس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالّذى ارسلك خذه وانا أومن بك فلمّا اخذه عاد الى كفره ﴿وَنَزَعَ﴾ اخرج ﴿يَدَهُۥ﴾ من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ (١٠٨)﴾ ذات شعاع يغلب شعاع الشّمس خلاف ما كان عليه من الأدمة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩)﴾ ماهر فى السّحر قاله هو وقومه مشاورة فلذا

[1] – سورة يونس: ٢٢

نسب هنا اليهم وفى الشعراء[1] اليه ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠)﴾ فى ان نفعل ﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ بسكون هاء الضّمير نظرا الى اتصاله بالحركة صورة لحذف لام الفعل ﴿وَأَخَاهُ﴾ اى اخّر امرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١)﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢)﴾ يفضل موسى فى علم السّحر فجمعوا ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ عظيما ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣)﴾ استيناف وبيان لما قالوا حين مجيئتهم ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ انّ لكم لأجرا ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥)﴾ ما معنا خيّروه ولكن ارادوا الألقاء اوّلا ولذا غيّروا النّظم الى ما هو ابلغ وآكد ﴿قَالَ﴾ وثوقا على شأنه وتوسّلا الى اظهار الحقّ ﴿أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ احبالهم وعصيّهم ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ بما الحقيقة بخلافه ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوّفوهم حيث خيّلوها حيّات تسعى وتركب بعضها بعضا ﴿وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فالقاها فصارت حيّة ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ (١١٧)﴾ يقلبون عن وجهه بتمويههم ثم اقبلت على الحاضرين فهربوا حتّى هلك منهم جمع عظيم فاخذها فصارت عصى فقالت السّحرة لو كان سحرا لبقيت ما رمينا ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨)﴾ من السّحر ﴿فَغُلِبُوا﴾ فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا﴾ صاروا ﴿صَاغِرِينَ (١١٩)﴾ ذليلين ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠)﴾ اتى بالمجهول تنبيها على انّ الدّليل الحقّ الجأهم الى السّجود ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢)﴾ ابدلوا الثّانى من الاوّل لئلاّ يتوهّم ارادة فرعون كما كان يزعم انّه ربّ العالمين ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ بالله او بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ﴾ انا ﴿لَكُمْ إِنَّ هَذَا﴾ الصّنيع ﴿لَمَكْرٌ﴾ حيلة ﴿مَكَرْتُمُوهُ﴾ انتم وموسى ﴿فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ القبط وتبقى لكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣)﴾ ما ينالكم منّى مجمل يفصّله ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ من كلّ واحد اليدى اليمنى

---

[1] - سورة الشعراء، ٣٤

والرّجل اليسرى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥)﴾ راجعون بالموت على ايّ وجه كان فلا نخاف من وعيدك ﴿وَمَا تَنْقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ مع انّه خير الأعمال ثم قالوا فزعا الى الله ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ على وعيد فرعون لئلاّ نرجع كفّارا ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)﴾ قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ﴾ تترك ﴿مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ بدعاء النّاس الى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ كان صنع لهم اصناما صغارا يعبدونها وقال انا ربّكم وربّها ولذا قال انا ربّكم الأعلى ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي﴾ نستبقى ﴿نِسَاءَهُمْ﴾ كما كنّا نفعل بهم من قبل ليعلم انّا فى شوكتنا الاولى ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧)﴾ غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ تسكينا لهم من قول فرعون ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا﴾ اى بنوا اسرائيل ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ بالرّسالة بقتل الأبناء ﴿وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ باعادته ﴿قَالَ﴾ تصريحا بما كنّى عنه اوّلا لعدم التسلية به ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ اتى بعسى لعدم الجزم بانّهم المستخلفون بالعين او اولادهم وقد اختلف فيه الرّوايات ﴿فَيَنظُرَ﴾ يرى ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)﴾ فيها من شكر وكفران فيجازيكم على وفقه ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ جمع سنة وهى القحط ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠)﴾ يتّعظون فيؤمنوا ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ من الخصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ اى نستحقّها ولم يشكروا عليها ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جذب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا﴾ يتشأّموا ﴿بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ من المؤمنين بانّ ما اصابنا بشومهم ﴿أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ سبب شومهم ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ وهو اعمالهم المكتوبة عنده ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٣١)﴾ انّ ما يصيبهم من اين هو ﴿وَقَالُوا﴾ لموسى ﴿مَهْمَا﴾ ايّ شيء مبتدأ ﴿تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ﴾ بيان مهما سمّوها آية على زعم موسى ﴿لِتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ تأنيث بها لمعنى مهما كما انّ تذكير به للفظه ﴿فَمَا نَحْنُ

لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢)﴾ جواب مهما وهو مع الشّرط خبره ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ بان مطر عليهم ثمانية ايّام ودخل الماء بيوتهم حتّى وصل الى حلوق الجالسين ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل مع التصاقها ببيوتهم فوعدوا موسى بالإيمان فدعى فكشف عنهم فنبت لهم الزّرع فى غاية الحسن ولم يؤمنوا ﴿وَالْجَرَادَ﴾ لمخالفة الوعد فأكلت جميع ثمارهم وزروعهم وبدأت فى اكل الثياب والأبواب والسّقوف ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ السوس او نوع من القراد فاكل ما تركه الجراد ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَالدَّمَ﴾ فى مياههم فكان يجتمع واحد منهم مع اسرائليّ على اناء ماء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائلىّ ماء وكلّ منها بعد كشف اختها بدعاء موسى لوعدهم ايّاه بالإيمان ثمّ المخالفة ﴿آيَاتٍ﴾ نصب على الحال ﴿مُفَصَّلَاتٍ﴾ مبيّنات لا شكّ فى انّها آيات الله ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب المفصّل ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف العذاب عنّا ان آمنّا متعلّق بادع ﴿لَئِنْ﴾ اللاّم موطئة القسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ﴾ حدّ من الزّمان ﴿هُمْ بَالِغُوهُ﴾ فمهلكون فيه وهو وقت الغرق ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥)﴾ ينقضون عهدهم بلا مهلة جواب لمّا ﴿فَانْتَقَمْنَا﴾ اردنا الأنتقام ﴿مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ اى البحر الّذى لا يدرك قعره ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ اى بسبب انّهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦)﴾ لا يتدبّرونها ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد وذبح الأبناء ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ﴾ اى الشام ﴿وَمَغَارِبَهَا﴾ بعد الفراعنة والعمالقة ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالخصب وسعة العيش صفة للأرض ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ وهى قوله: ﴿ونريد ان نمنّ على الّذين استضعفوا﴾[1] آه ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على اذى عدوّهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ اهلكنا وخربنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من العمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)﴾ يرفعون من البساتين او البنيان ﴿وَجَاوَزْنَا﴾ عبرنا

[1] - سورة القصص: ٥

﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ بدأ فى بيان شنائعهم بعد ان منّ عليهم بالنّعم الجسام ﴿فَأَتَوْا﴾ مرّوا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صنما نعبده ﴿كَمَا﴾ ما كافة ﴿لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)﴾ حيث قابلتم نعمة الله بما قلتموه ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ القوم ﴿مُتَبَّرٌ﴾ هالك ﴿مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩)﴾ من عبادتها وان قصدوا بها التّقرّب الى الله ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ﴾ مفعول ﴿أَبْغِيكُمْ﴾ اطلب لكم فهو من الحذف والإيصال ﴿إِلَهًا﴾ معبودا حال من غير الله ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠)﴾ فى زمانكم بما ذكره فى قوله ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ اى يوالونكم ويذيقونكم حال من المخاطبين او من ال فرعون ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ اشدّه ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ﴾ الأنجاء او العذاب ﴿بَلَاءٌ﴾ انعام او ابتلاء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)﴾ افلا تتّعظون ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ وهى ذوالقعدة ليصومها فنأتيه التّورية عند انقضائها فلمّا تمّت انكر خلوف فمّه فاستاك فامره الله بعشرة اخرى لازالته الخلوف الّذى ريحه المسك كما قال ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذى الحجّة ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ وقت وعده ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حال من ميقات ﴿لَيْلَةً﴾ تميز ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عند ذهابه الى الجبل للمناجاة ﴿اخْلُفْنِي﴾ كن خليفتى ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ امرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢)﴾ بموافقتهم على المعاصى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ اى لوقتنا الّذى وقّتناه للكلام وايتاء الكتاب ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بلا واسطة كما يكلّم الملائكة كلاما سمعه من كل جانب على خلاف المعتاد تنبيها على انّه قديم ليس من جنس المحدث ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نفسك بان تمكّننى من رؤيتك ليترتب عليه قوله ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ اى اراك وفيه دليل على ان رأيته تعالى جائزة فى الجملة والاّ لما طلبها من هو من المعصومين ولأجابه تعالى بنحو لن ارى لا بقوله ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ لعدم وجود معدّ الرّأية فيك بعد والاستدلال بهذا الجواب على استحالتها خطأ لانّه اخبار عن عدم الرّأية وهو لا يدلّ على ان لايراه ابدا وان لا يراه غيره فضلا عن ان يدلّ على

الاستحالة ﴿وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الّذى هو اقوى منك وهو جبل زبير ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ اى تثبت لرأيتى والاّ فلا طاقة لك وتعليقها بالاستقرار الممكن ايضا دليل جوازها ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ اى ظهر من نوره قدر سّم الخياط ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ مدكوكا مفتّتا ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ مغشيا عليه من هول ما رأى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من سؤال لم اوذن فيه ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)﴾ فى زمانى ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ اى اهل زمانك ﴿بِرِسَالَاتِي﴾ اى ارسالى اياك والجمع باعتبار اختلاف الأوقات ﴿وَبِكَلَامِي﴾ اى تكليمى اياك وهارون كان نبيّا مأمورا باتباعه لكن لم يكن كليما ولا صاحب شرع ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ من الرّسالة ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)﴾ روى انّ سؤال الرّؤية كان يوم عرفة واعطاء التّورية يوم النّحر ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾ اى الواح التّورية وكانت من سدر الجنّة او زبرجد او زمرد سبعة او عشرة ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج اليه فى الدّين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿فَخُذْهَا﴾ اى الالواح بدل من خذ الاوّل او عطف على كتبنا بتقدير قلنا ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ وعزيمة ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ اى واجباتها ومندوباتها فانّهما احسن من المباح ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥)﴾ فرعون وقومه وهى جهنّم ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ المنصوبة فى الآفاق والانفس ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بان طبع على قلوبهم فلا يتدبّرونها ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ الهدى الّذى جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ اى لا يسلكوه ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ الضّلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾ الصّرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ فلا ينتفعون بها لعدم شرطها ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧)﴾ من التّكذيب والمعاصى ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾ اى بعد ذهابه للمناجات ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الّتى استعاروا من قوم فرعون ليلة الخروج بعلّة عرس فبقيت لهم

﴿عِجْلًا﴾ صاغه لهم السّامرىّ ﴿جَسَدًا﴾ بدل اى جثّة بلا روح ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ صوت البقر لما القى فى فمّه من التّراب الّذى اخذه من اثر حافر فرس جبرائيل فصار حيّا ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذ الها ﴿اتَّخَذُوهُ﴾ الها تكرير للذمّ ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨)﴾ باتّخاذه ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن شدّة النّدم اى ندموا على عبادته واصل التّركيب سقط النّدم فى ايديهم لانّ من اشتدّ ندمه يعضّ يده فتصير يده مسقوطا فيها حذف الفاعل واسند الفعل الى الظّرف ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ بما فعلوا وذلك بعد رجوع موسى واثبات خطأهم ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ صفة مشبّهة اى شديد الغضب ﴿قَالَ بِئْسَمَا﴾ اى بئس خلافة فما موصوفة مفسّرة للمستتر فى بئس ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾ ها ﴿مِنْ بَعْدِى﴾ خلافتكم هذه حيث اشركتم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ اى اتركتم ما امركم به من انتظارى غير تام ﴿وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ﴾ الواح التّورية غضبا للدّين فانكسرت فرفع ستّة اسباع التّورية كان فيها تفصيل كلّ شيء وبقى سبع للمواعظ والأحكام كذا فى بعض الرّوايات والاصحّ انّه كان وضعها فى موضع فلمّا فرغ عاد اليها واخذها بعينها كما يدلّ عليه ما سيأتى ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ اى بشعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ وكان اكبر منه حليما احبّ الى بنى اسرائيل ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ ذكرها ليعطف قلبه عليه وكانا من اب وامّ ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى﴾ لمبالغتى فى منعهم ﴿وَكَادُوا﴾ قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِى فَلاَ تُشْمِتْ﴾ تفرّح ﴿بِىَ الأَعْدَاءَ﴾ بالأهانة ﴿وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠)﴾ معدودا منهم فى المؤاخذة ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى﴾ ما صنعت باخى ﴿وَلأَخِى﴾ اشركه فى الدّعاء ارضاء له ودفعا للشّماتة ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١)﴾ قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ الها ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وهو قتل انفسهم ﴿وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اى الخروج من ديارهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ (١٥٢)﴾ على الله بالشّرك وغيره ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا

وَآمَنُوا﴾ اى ثبتوا على الإيمان بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ اى التّوبة ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٣) وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ بأعتذار هارون ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ الّتى القاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ فعلة بمعنى المفعول اى فيما كتب فيها نقلا من اللّوح المحفوظ خبر لقوله ﴿هُدًى﴾ بيان للحقّ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ ارشاد الى الصّلاح والخير كائنة ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ﴾ مفعول لقوله ﴿يَرْهَبُونَ (١٥٤)﴾ يخافون ادخل عليه لام التّقوية لضعف الفعل بالتّاخير ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ اى من قومه على الحذف والأيصال مفعول ثان والاوّل ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ اى ميقات الكلام واعطاء التّورية وقيل للأعتذار عن عبادة العجل ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ اى الصّاعقة بسبب طلبهم رأيته تعالى جهرة وقيل هم غير الّذين طلبوا الرأية فاصابتهم الصّاعقة ﴿قَالَ﴾ موسى متمنّيا هلاكه وهلاكهم من قبل ما عاين ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ﴾ اهلاكنا ﴿أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ اى قبل خروجى بهم ليعاين بنوا اسرائيل ذلك فلا يتّهمونى ﴿وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ من العناد وطلب الرّأية جهرة او عبادة العجل ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ اى الفتنة الّتى وقعوا فيها ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ اى ابتلائك حيث اسمعتهم كلامك حتّى طلبوا رأيتك او اوجدت فى العجل خوارا حتّى ضلّوا به ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ ضلاله ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ هدايته فيقوى بها إيمانه ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا﴾ اى القائم بامرنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ باسقاط العذاب ﴿وَارْحَمْنَا﴾ بايصال الخير واكّد السؤال بقوله ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ﴾ اوجب ذكر الكتابة لانّها ادوم ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ حسن معيشة وتوفيق طاعة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ حسنة اى الجنّة ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ تبنا من هاد يهود اذا رجع ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ تعالى فى جواب سؤاله بدفع العذاب وتحصيل الرّحمة ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ تعذيبه يعنى هو متعلّق بمشيّتى لا قدرة لأحد فى دفعه والاعتراض عليه ﴿وَرَحْمَتِي﴾ مطلقا ﴿وَسِعَتْ﴾ عمّت فى الدّنيا ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ حتّى الكافر ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ اثبتها فى الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والمعاصى منكم يا بنى اسرائيل ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ خصّها بالذّكر لانّها كانت اشق عليهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا﴾ كلّها

﴿يُؤْمِنُونَ (١٥٦)﴾ هم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ من الله ﴿النَّبِيَّ﴾ اى المخبر للعباد وهو محمّد عليه السّلام ﴿الْأُمِّيَّ﴾ اى الّذى لا يكتب ولا يقرأ كانّه على الحالة الّتى وقع فيها من امّه وهذا مع كمال علمه معجزة له عليه السّلام وانفى له من تهمة الأفتراء ولذا يوصف به ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ﴾ اسما وصفة ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ ممّا حرّم فى شرعهم كالشّحوم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ من الميتة ولحم الخنزير والرّشوة وغيرها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم اى ما كلّفوا به من الأمور الشّاقة كوجوب القتل فى قبول التّوبة وقرض موضع النّجاسة وغير ذلك ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشّدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ عظّموه واصله المنع ومنه التّعزير ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ مع نبوّته يعنى القرآن لانّه ظاهر مظهر لغيره كالنّور ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ﴾ يا محمّد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ حال ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صفة الله ويجعل بدلا من الصّلة قوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ بيان وتقرير لأختصاصه بالالوهيّة ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ عدل عن ضمير التّكلم الى الغيبة اى الاسم الظّاهر ليوصفه بقوله ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ اى القرآن وغيره ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ فانّ الإيمان لا يكمل بدون المتابعة ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ النّاس ملتبسين ﴿بِالْحَقِّ وَبِهِ﴾ اى بالحقّ ﴿يَعْدِلُونَ (١٥٩)﴾ بينهم فى الحكم ذكر الثّابتون على الإيمان فى زمان موسى عقيب اضدادهم تنبيها على ان تعارض الخير والشّر واهلهما امر مستمرّ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ فرّقنا بنى اسرائيل ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ حال من المفعول ﴿أَسْبَاطًا﴾ اى قبائل بدل ﴿أُمَمًا﴾ بدل بعد بدل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ فى التّيه ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَانبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الاسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ اى كل سبط منهم ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ ليقيهم حرّ الشّمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ وقلنا لهم ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا

وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢)﴾ راجع فى كلّ هذا البقرة[1] ﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ يا محمّد توبيخا لهم بقديم كفرهم وعصيانهم ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ اى عمّا وقع بأهلها ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ اى قريبة بحر القلزم وهى ايلة ﴿إِذْ﴾ ظرف كانت او حاضرة ﴿يَعْدُونَ﴾ يتجاوزون حدود الله بالصّيد ﴿فِي﴾ يوم ﴿السَّبْتِ﴾ وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ ظرف ليعدون ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ اى يوم تعظيمهم امر السّبت فهو مصدر كما مرّ فى البقرة[2] ﴿شُرَّعًا﴾ اى ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ اى لا يعظمون السّبت بالعبادة اى سائر الايّام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَلِكَ﴾ اى مثل ذلك البلاء الشّديد ﴿نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣)﴾ اى بسبب فسقهم روى انّهم افترقوا اثلاثا ثلث صادوا وثلث لم يزالوا ناهين وثلث نهوا الى ان أيسوا فتركوه ﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ عطف على اذ يعدون ﴿أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ اى جماعة من اهل القرية وهى الأخيرة للثّانية ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فى الآخرة لتماديهم فى العصيان ﴿قَالُوا﴾ وعظناهم ﴿مَعْذِرَةً﴾ نعتذر بها ﴿إِلَى رَبِّكُمْ﴾ حتّى لا ننسب الى التّقصير فى ترك النّهى ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤)﴾ الصّيد اذ اليأس لا يحصل الاّ بالهلاك ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ اى تركوا ترك النّاسى ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالأعتداء ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبّروا ﴿عَنْ﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)﴾ ظاهره انّه عذّبهم اوّلا فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون تفصيلا لما قبله ﴿وَ﴾ اذكر يا محمّد ﴿إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ اى اعلم واوجب

---

[1] - سورة البقرة: ٥٨

[2] - سورة البقرة: ٦٥

على نفسه اجرى مجرى القسم فأجيب بقوله ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ اى على اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالذلّ واخذ الجزية فبعث عليهم بعد سليمان بُخْتُ نُصَّرَ فقتّلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدّونها الى المجوس الى ان بعث نبيّنا عليه الصّلاة والسّلام ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية الى آخر الدّهر ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٧)﴾ لمن تاب وآمن ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ فرقناهم ﴿فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقا حال ﴿مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ صفة او بدل منه ﴿وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ اى منحطّون عن الصّلاح وهم كفرتهم وفسقتهم ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ اى النّعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ اى النّقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨)﴾ عمّا كانوا عليه ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التّورية عن آبائهم يقرأونها ويفقهوا ما فيها ويجعل حالا من الواو ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ اى حطام هذا الشيء الأدنى اى الدّنيا من الرّشا فى الحكومة وعلى تحريف الكلم ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلنا ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ حال من ضمير لنا اى يرجون المغفرة مصرّين على الذّنب ولا مغفرة مع الأصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ الأضافة بمعنى فى ﴿أَنْ لاَ يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ عطف بيان للمثاق ﴿وَدَرَسُوا﴾ قرؤا عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانّه تقرير فيكون خبريّا كالمعطوف ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة مع الاصرار ﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ممّا يؤخذ هؤلاء ﴿أَفَلاَ يَعْقِلُونَ (١٦٩)﴾ انّها خير فيؤثرونها على الدّنيا ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾ مبتدأ خبره ﴿إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)﴾ باقامة المظهر مقام المضمر تنبيها على انّ الأصلاح كالمانع من التّضييع ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾ اى قلعناه ورفعناه ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ وهى كلّ ما اظلّك ﴿وَظَنُّوا﴾ ايقنوا ﴿أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم بوعد الله ايّاهم بوقوعه ان لم يقبلوا احكام التّورية وكانوا ابوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ حال من الواو ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١)﴾ قبائحكم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ

رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ ويبدل منه بدل البعض ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ اى اخرج من اصلابهم نسلهم على وفق ما يتوالدون الى يوم القيامة بالمسح على ظهر آدم حتّى سقط منه كلّ نسمة من ذريّته فخلق فيهم العقل والحيوة كما قاله المفسّرون وان طعن فيه المعتزلة او بأخراجهم من الأصلاب واستيداعهم فى الأرحام وجعلهم بشرا كامل الخلق فى ادنى مدّة كما ذهب اليه ارباب النظر ولم يذكر نفس آدم لانفهامه من الكلام بالاولى ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ انت ربّنا ﴿شَهِدْنَا﴾ اى اعترفنا بذلك او نصب لهم دلائل ربوبيّته وركّب فى عقولهم ما يدعوهم الى الأقرار بها حتّى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربّكم قالوا بلى فنزّل تمكينهم وتمكّنهم من العلم بها منزلة الأشهاد والاعتراف على طريقة الاستعارة التّمثيليّة كما قاله القاضى وحينئذ المراد من اخراج الذريّة توليد بعضهم من بعض على ممرّ الزّمان ولا مجال لطعن المعتزلة ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ مفعول له لاشهدهم اى كراهة ان يقولوا او لئلاّ يقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هٰذَا﴾ الإقرار والتّوحيد ﴿غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ اى تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣)﴾ اى آبائنا بتاسيس الشّرك اذ لا يصلح ذلك عذرا مع التّمكّن من العلم بالدّليل ولا مع الأعتراف على انفسهم بالتّوحيد مع تذكيرهم به على لسان صاحب المعجزة ﴿وَكَذٰلِكَ﴾ مثل ما بيّنا الميثاق العام لليهود بعد ما بيّنا المخصوص بهم ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ ليتدبّروا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)﴾ اى عن التّقليد واتّباع الباطل ﴿وَاتْلُ﴾ يا محمّد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ اى على اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ خرج من الآيات بكفره بها والأعتراض عنها كما تخرج الحيّة من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بنى اسرائيل كان مجاب الدّعوة وعنده اسم الله الاعظم سئل ان يدعو على موسى وقومه واهدى اليه شيء فدعى فانقلب عليه ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ اى ادركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ﴾ صار ﴿مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥)﴾ اى الضّالين ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ الى منازل الأبرار من العلماء ﴿بِهَا﴾ بسبب تلك الآيات

والعمل بها ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ اى مال الى الدّنيا ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ فى ايثار الدّنيا واسترضاء قومه علّق رفعه بالمشيّة دون بنحو ملازمته الآيات ثم استدرك بخلوده تنبيها على انّ السّبب الحقيقىّ للمسبّبات هو مشيته تعالى وانّ افعال العباد وسائط معتبرة فى حصولها من حيث انّ المشيّة تعلّقت بها كذلك فعدم الأفعال دليل عدم المشيّة ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ صفته الّتى هى مثل فى الخسّة ﴿كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ﴾ كصفته فى اخسّ اوصافه وهو ﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ﴾ بالزّجر والطّرد ﴿يَلۡهَثۡ﴾ يولع لسانه ﴿أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث﴾ وليس غيره من الحيوانات كذلك لضعف فواده والشّرطيّة حال اى لاهثا ذليلا فى الحالتين اقيم هذا التّمثيل مقام لازم لو شئنا لرفعناه وهو نفى الرّفع وانحطاط المرتبة للمبالغة فى الأنحطاط والبيان لانّه تصوير المعقول بالمحسوس ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ﴾ المذكورة على اليهود فانّها مثل قصصهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾ فيتّعظون وهذه الآية من اشدّ الآيات على العلماء فانّها تدلّ على انّ من نعم الله عليه اكثر اذا اتّبع هواه وطلب بعلمه اوساخ الدّنيا كان بعده من الله اعظم وفى الحديث: «من ازداد علما ولم يزد زهدا لم يزد من الله الاّ بعدا»[1] ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَثَلًا﴾ تميز للضمير فى ساء والمخصوص بالذمّ ﴿ٱلۡقَوۡمُ﴾ بتقدير المضاف اى مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ (١٧٧) مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (١٧٨)﴾ وفى رعاية لفظ من فى الاوّل بافراد الضّمير ومعناها فى الثّانى بجمعه تنبيه على انّ المهتدين كواحد لأتّحاد طريقهم بخلاف الضّالين ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا﴾ الحقّ لعدم القائها اليه ﴿وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله بصر اعتبار ﴿وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ﴾ الأيات والمواعظ سماع تأمّل واتّعاظ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ فى المنقّيات المذكورة او فى اقتصارهم على اسباب التّعيش ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ من الأنعام لانّها تطلب

[1] - فيض القدير: ٦٧/٦

منافعها وتهرب من مضارها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يقدم على النّار معاندة ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التّسعة والتّسعون الوارد بها الحديث[1] والحسنى مؤنث الاحسن وصفت به لانّها تدلّ على احسن المعانى ﴿فَادْعُوهُ﴾ سمّوه ﴿بِهَا وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون عن الحقّ ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث يسمّوه باسماء يوهم معنى فاسدا كيا ابا المكارم ويا ابيض الوجه او يشتقوا منها اسماء لآلهتهم كاللاّت من الله والعزّى من العزيز ومنات من المنّان ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ فى الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١)﴾ اى فى كلّ قرن طائفة بهذه الصّفة لقوله ﷺ: «لا تزال طائفة من امّتى على الحقّ الى ان يأتى امر الله»[2] ففيه دليل على صحّة الأجماع ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلا قليلا فانّ اصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة درجة ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ اى امهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي﴾ اخذى ﴿مَتِينٌ (١٨٣)﴾ شديد لا يطاق ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمّد ﴿مِنْ جِنَّةٍ﴾ جنون كان يغشاه حالة عجيبة عند نزول الوحى فيقول الكفّار انّه مجنون فأخبر تعالى انّه ليس ايّاه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٤)﴾ بيّن الأنذار ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾ نظر استدلال ﴿فِي مَلَكُوتِ﴾ فعلوت من الملك للمبالغة ﴿السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَ﴾ فى ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيّته ﴿وَ﴾ فى ﴿أَنْ﴾ اى انه ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيسارعون الى ما ينجيهم من الهلاك الأبدى قبل حلول الموت ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ (١٨٥)﴾ اذا لم يؤمنوا به مع كونه فى نهاية البيان ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ بالرّفع على الاستيناف ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦)﴾ حال ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ اى القيامة غلب عليها هذا الاسم لسرعة

---

[1] - وهو قوله ﷺ: «ان لله تسعا وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة...»

[2] - صحيح مسلم: ٣٦/١٠

وقوعها او حسابها ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَاهَا﴾ اى اثباتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ لم يطّلع عليه ملكا مقرّبا ولا نبيّا مرسلا ﴿لاَ يُجَلِّيهَا﴾ يظهرها ﴿لِوَقْتِهَا﴾ اللاّم بمعنى فى ﴿إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ﴾ عظمت ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ على اهلها لهولها وكانّه اشارة الى الحكمة فى اخفائها ﴿لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾ فجأة وانتم مشتغلين بمصالح دنياكم ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾ مبالغ فى السّؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتّى علمتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ﴾ كرّره لتكرير يسئلونك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (١٨٧)﴾ ان علمها عند الله ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا﴾ اى جلب نفع ولا دفع ضرّ ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ﴾ من ذلك فيلهمنى اياه ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ واجتناب المضار ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ من فقر وغيره كذلك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلاَّ﴾ عبد ﴿نَذِيرٌ﴾ بالنّار للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنّة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) هُوَ﴾ اى الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ اى آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿مِنْهَا﴾ اى من ضلعها الأيسر ﴿زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ اى يستأنس بها راعى فى منها لفظ النفس وهنا معناها لانّها عبارة عن آدم وذلك للتناسب ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ هو النّطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ فاستمرت به ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ صارت ذا ثقل بكبر الولد فى بطنها ﴿دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا﴾ ولدا ﴿صَالِحًا﴾ سويّا قد صلح بدنه ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩)﴾ لك على هذه النّعمة ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ﴾ اى جعل اولادهما على حذف المضاف ﴿لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ اى آتا اولادهما فسمّوه عبد العزّى وعبد مناف ولا ينبغى ان يكون عبدا الاّ لله ﴿فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١)﴾ يعنى الأصنام ﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ لعبدتهم ﴿نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢)﴾ بمنعها ممّن اراد بهم سوأ من كسر او غيره ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ اى المشركين ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ اى الاسلام ﴿لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ اليه ﴿أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣)﴾ عدل عن ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدّعاء ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون

﴿مِنْ دُونِ اللهِ عِبادٌ﴾ مملوكة مسخرة ﴿أَمْثالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (١٩٤)﴾ انهم آلهة ثم بيّن غاية عجزهم وفضّل عابديهم عليهم فقال ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها﴾ استفهام انكار اى ليس لهم شيء من ذلك ممّا هو لكم فكيف تعبدونهم وانتم اتمّ حالا منهم ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمّد ﴿ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ﴾ الى عداوتى و هلاكى ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ بالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهى انتم وشركائكم ﴿فَلا تُنْظِرُونِ (١٩٥)﴾ تمهلونى فانّى لا ابالى بكم ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦)﴾ من عباده فضلا عن انبيائه ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٧)﴾ من تمام التّعليل لعدم مبالاته بهم ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ اى الأصنام ﴿إِلَى الْهُدى لا يَسْمَعُوا وَتَراهُمْ﴾ اى الأصنام يا محمّد ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ اى يقابلونك كالنّاظر ﴿وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (١٩٨) خُذِ الْعَفْوَ﴾ اى السّهل من اخلاق النّاس وافعالهم ولا تطلب ما يشقّ عليهم ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ اى المعروف ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ (١٩٩)﴾ فلا تكافيهم بمثل افعالهم امره فى هذه الآية باستجماع مكارم الأخلاق الداعية الى الألفة ﴿وَإِمَّا﴾ فيه ادغام نون ان الشّرطيّة فى ما الزّائدة ﴿يَنْزَغَنَّكَ﴾ ينخسنّك ﴿مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ﴾ نخس اى توسوسك منه وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به من مكارم الأخلاق ففى الكلام استعارة تبعيّة واصليّة ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لاستعاذتك ﴿عَلِيمٌ (٢٠٠)﴾ بصلاح امرك فيحمل عليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ﴾ اى لمة وخاطر شيطانىّ وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانّما طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثّر فيهم ﴿تَذَكَّرُوا﴾ اوامر الله ونواهيه ﴿فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١)﴾ الحقّ من غيره فيرجعون ﴿وَإِخْوانُهُمْ﴾ اى اخوان الشّياطين من الكفّار ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ الشّياطين ﴿فِي الْغَيِّ﴾ بالتّزيين والحمل عليه ﴿ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)﴾ عن الغىّ بالتّبصّر كما يتبصّر المتّقون

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾ اى اهل مكة ﴿بِآيَةٍ﴾ من القرآن او ممّا اقترحوا من نحو احياء ميّت ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ اى هلاّ انشأتها من قبل نفسك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ وليس لى ان آتى من عند نفسى بشيء ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ﴾ للقلوب بما يدرك الصّواب كائنة ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)﴾ ولمّا عظّم شأن القرآن اردفه بقوله ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ اسكتوا للاستماع ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾ كانوا يتكلّمون فى الصّلوة فنزلت تحريما لذلك وقيل فى الخطبة سماها قرآنا لاشتمالها عليه وهما مستحبان للقرائة خارج الصّلوة والخطبة ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ اى سرّا عام فى الأذكار من القرائة والدّعاء وغيرهما ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ اى متضرّعا وخائفا ﴿وَ﴾ متكلّما كلاما ﴿دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ و فوق السّر فانّه ادخل فى الخشوع والأخلاص ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ اوائل النّهار واواخره خصهما لتغيير احوال العالم فيهما تغيّرا يدل على المؤثّر الباهر القدرة اللاّيق للتضرع والأبتهال ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)﴾ عن ذكر الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ اى الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ تنزّهونه عمّا لا يليق به ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)﴾ اى يخصّونه بالخضوع والعبادة ولمّا كان هذا شأنهم مع طهارتهم عن الكدرات البشريّة فالانسان المبتلى بها اولى بذلك.

* * *

سورة الأنفال

مدنيّة او إلاّ (وإذ يمكر بك الّذين كفروا) فمكيّة وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

اختلف المسلمون فى غنائم بدر انّما كيف تقسم ومن يقسمها المهاجرون منهم او الأنصار فنزل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ﴾ حكم ﴿الْأَنْفَالِ﴾ اى الغنائم سمّيت انفالا لانّها زيادة وفضل فضّل بها المسلمون على سائر الأمم الّذين لم تحلّ لهم الغنائم ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ اى امرها مختصّ بهما يقسمها الرّسول على ما يأمره الله به ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ اى الحال الّتى بينكم بالمودّة وترك النّزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)﴾ حقّا ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ خافت لذكره استعظاما وتمّيبا من جلاله ﴿وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً﴾ لاطمئنان النّفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلّة ﴿وَعَلى رَبِّهِمْ﴾ لا غير ﴿يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إيمانا ﴿حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ﴾ منازل عالية ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ﴾ لما فرط منهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ فى الجنّة ﴿كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف اى هذه الحال فى كراهتهم لها كحال اخراجك للحرب فى حال كراهتهم ﴿مِنْ بَيْتِكَ﴾ بالمدينة ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ اى اظهار دين الله وقهر اعداء الله ﴿وَ﴾ حال ﴿إِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ (٥)﴾ الخروج وذلك انّ ابا سفيان قَدَمَ بِعِيرٍ من الشّام فخرج صلّى الله عليه وسلّم واصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلوا مكّة ليدبروا عنها وهم النّفير واخذ ابو سفيان بالعير طريق السّاحل فنجت فقيل لأبى جهل ارجع فابى وصار الى بدر فشاور عليه السّلام اصحابه وقال انّ الله وعدنى احدى الطّائفتين والعير قد نجى فلنقاتل النّفير فوافقه على ذلك بعضهم وكره بعضهم

ذلك فقالوا لم نستعدّ له كنّا خرجنا للعير كما قال تعالى ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ اى القتال لاختبارهم تلقى العير عليه ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر انّهم ينصرون اينما توجّهوا باعلام الرّسول ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)﴾ اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وذلك لقلّة عددهم وعدم تهيّئهم للقتال اذ لم يكن معهم الاّ فارسان ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل اشتمال من احدى ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ اى القوّة وهى العير اذ لم يكن فيها الاّ اربعون فارسا ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ وتكرهون ملاقاة النّفير لكثرة عددهم ﴿وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ يظهره ويثبته ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ الموحى بها فى هذه الآية ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧)﴾ آخرهم بالاستيصال فامركم بقتال النّفير فعل ما فعل ﴿لِيُحِقَّ﴾ يثبت ﴿الْحَقَّ﴾ اى الاسلام ﴿وَيُبْطِلَ﴾ يمحق ﴿الْبَاطِلَ﴾ اى الكفر الاوّل لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت وهذا لبيان الداعى الى حمل الرّسول على اختيار ذات الشّوكة ونصره عليها فلا تكرار ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨)﴾ ذلك ﴿إِذْ﴾ بدل من اذ قبله ﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم لمّا علمتم ان لابدّ من القتال ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ اى بانّى ﴿مُمِدُّكُمْ﴾ معينكم ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩)﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضا كانوا الفا من اوّل الامر ثم ازدادوا كما مرّ فى آل عمران[1] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ اى الأمداد ﴿إِلاَّ بُشْرَى﴾ لكم بالنّصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾ فلا تحسبوا النّصر من الوسائط ولا تيأسوا منه بفقدها ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة ﴿أَمَنَةً﴾ اى امنا ﴿مِنْهُ﴾ تعالى وهو مفعول له باعتبار المعنى فان يغشّيكم متضمّن معنى تتغشّون فيتحقّق اتحاد الفاعل المشروط به حذف اللاّم ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الحدث والجنابة العارضة لكم بعد ما نمتم ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته اليكم بانّكم لو كنتم اولياء الله وفئة رسوله

---

[1] - سورة آل عمران: ١٢٤

ما بقيتم محدثين مجنبين بلا ماء والمشركون متنعّمون بالماء ﴿وليربط على قُلوبكُمْ﴾ بالوثوق على لطف الله بكم ﴿ويثبّتَ بِهِ﴾ اى بالمطر ﴿الأقْدام (١١)﴾ حتّى لا تسوخ فى الرّمل ﴿إذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾ بدل ثالث ﴿إلى الْملئِكَةِ﴾ الّذين امدّ بهم المسلمين ﴿أنّي معكُمْ﴾ فى اعانتهم ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فقوله ﴿سأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ كالتّفسير لقوله انّى معكم فثبّتوا ﴿فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْنَاقِ﴾ اى اعاليها الّتى هى المذابح او الرّؤس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)﴾ اصابع اليدين والرّجلين فكان الرّجل يقصد ضرب رقبة الكافر فيسقط قبل ان يصل سيفه اليه ورماهم عليه السّلام بكفّ من الحصى فلم يبق مشرك الاّ دخل فى عينيه منه شيء فانهزموا ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم يا محمّد ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا﴾ عاندوا ﴿اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣)﴾ له تقرير للتّعليل ﴿ذَلِكُمْ﴾ خبر محذوف اى الأمر ذلكم يا كفّار ﴿فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ من اقامة الظاهر مقام المضمر ﴿عَذَابَ النَّارِ (١٤)﴾ عطف على جملة ذلكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانّهم يزحفون وهو حال لانّه وان كان فى الأصل مصدر زحف الصّبى اذا دبّ على مقعده قليلا قليلا لكن جعل اسما للجماعة الكثيرة ﴿فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأدْبَارَ (١٥)﴾ بالانهزام ما لم يكونوا اكثر من مثليكم اذ هى مخصوصة بقوله فى آخر السّورة ﴿حرّض المؤمنون﴾[1] الآية ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ اى يوم لقائهم ﴿دُبُرَهُ إلاَّ﴾ رجلا ﴿مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ بان يريهم الفرّ كيدًا وهو يريد الكرّ فهو استثناء متّصل من المولّين المفهومين من مَنْ وكذا ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضمّا ﴿إِلَى فِئَةٍ﴾ جماعة من المسلمين على القرب يستعين بها ووزن متحيزا متفيعل من تَحَيْوَزَ لا متفعّل من تحوّز والاّ لقيل متحوز لانّه يبنى من حاز يحوز الواوى ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)﴾ مخصوص كما مرّ.[2] ﴿فَلَمْ

---

[1] - ٦٥

[2] - آنفا فى قوله تعالى: ﴿فلا تولهم الأدبار...﴾

تَقْتُلُوهُمْ﴾ بقوّتكم جواب شرط محذوف اى ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ﴿وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾ بتسليطكم عليهم فلا تفتخروا ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمّد رميا توصله الى اعينهم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ اتيت بصورة الرّمى لانّ كفّا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ اتى بما هو غاية الرّمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتّى انهزموا فانّ اللفظ يطلق على مسمّاه وعلى ما هو كماله والمقصود منه ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ﴾ اى لينعم عليهم ﴿بَلاءً حَسَنًا﴾ نعمة عظيمة هى الغنيمة ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لاستغاثتهم ﴿عَلِيمٌ (١٧)﴾ بنيّاتهم ﴿ذَلِكُمْ﴾ البلاء حقّ ﴿وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٨) إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ اى تطلبوا الفتح على الأضلّ يا اهل مكّة حيث تعلّقتم باستار الكعبة عند الخروج وقلتم اللّهم ايّنا كان اقطع للرّحم وآتانا بما لا نعرف فَأَحِنْهُ الغَدَاةَ اى اهلكه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ بهلاك من هو كذلك وهو انتم لا النّبى المؤمنون ﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾ عن الكفر ومعادات النبى ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ لمحاربته ﴿نَعُدْ﴾ لنصرته عليكم ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعتكم ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ﴾ اى لانّ ﴿اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)﴾ بالنّصر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ اى عن الرّسول بمخالفة امره وحّد الضّمير لانّ المقصود من الآية طاعة الرّسول وذكر طاعة الله كالتّوطئة لها ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)﴾ القرآن والمواعظ ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ (٢١)﴾ سماعا ينفعهم فكانهم لم يسمعوا راسا وهم الكفرة او المنافقون ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ﴾ عن سماع الحقّ ﴿الْبُكْمُ﴾ عن النّطق به ﴿الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ انتفاعا بالآيات كُتِب لهم ﴿لأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهّم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضا وقد علم ان لاخير فيهم ﴿لَتَوَلَّوا﴾ ولم يتفعوا به لو الثّانية فى الآية لمجرد الشّرطيّة والاستلزام كما فى نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه لا حرف انتفاء لانتفاء حتّى يرد ان عدم التولّى خير من الخيرات فيكون آخر الكلام المثبِت لهم الخير مناقضا لاوّله النّافى عنهم ايّاه ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)﴾ لعنادهم ﴿يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطّاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ولو فى الصّلوة لانّ الخطاب معه لا يبطلها وحّد الضّمير لمامرّ ولانّ دعوة الله تسمع من الرّسول ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من العلوم الدّينيّة فانّها حيوة القلب والجهل موته ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فيغيّر مقاصده فلا يستطيع ان يؤمن او يكفر الاّ بارادته وفيه حثّ على تصفيته قبل الحول بالموت او غيره ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾ فيجازيكم باعمالكم ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ ذنبا كاقرار المنكر بين يديكم والمداهنة فى الامر بالمعروف وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد وان لم تتّقوا يصيبكم واذا اصابتكم ﴿لاَ تُصِيبَنَّ﴾ اى لا يصيب وبالها واثرها ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ بل تعمّهم وغيرهم اكّد جواب الأمر مع كونه متردّدا لا يليق به لتضمّنه معنى النّهى لانّ النّفى المطلوب من المخاطب فى معناه وهذا على رأى الكوفيّين فانّهم يجوّزون تقدير ما يناسب الكلام ولا يلتزمون ان يكون المقدّر من جنس الملفوظ والاّ فمعلوم انّه لا يجوز هنا تقدير ان تتّقوا ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)﴾ لمن خالفه ﴿وَاذْكُرُوا﴾ يا مهاجرين ﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِى الأَرْضِ﴾ اى ارض مكّة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ اى ياخذكم كفار قريش بسرعة ﴿فَآوَاكُمْ﴾ الى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ على الكفار ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)﴾ هذه النّعمة ونزل فى ابى لبابة بن عبد المنذر وقد بعثه عليه السّلام الى بنى قريظة بعد ما حاصرهم احدى وعشرين ليلة لينزلوا على حكم سعد بن معاذ فاستشاروه فاشار اليهم انّه الذّبح لانّ عياله ومالهم كان فيهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ﴾ بمثل هذه الاشارة وبغير ذلك ﴿وَ﴾ لا ﴿تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ ما ايتمنتم عليه من الدّين وغيره ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)﴾ انكم تخانون ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ابتلاء من الله فلا يحملنّكم حبّهم على الأثم والخيانة كابى لبابة ﴿وَأَنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)﴾ لمن آثر رضى الله عليهم ونزل فى توبته ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللهَ﴾ بالأمانة وغيرها ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافونه فتنجون او هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين

الحقّ والباطل ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ اى يسترها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بالتّجاوز عنكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة فى شانك بدار النّدوة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يوثقوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكّة وكان الثّانى رأى ابى جهل فقبله الشّيطان لانّه كان بينهم وتفرّقوا على ذلك ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ بهم بتدبير امرك بان اوحى اليك ما دبّروه وامرك بالخروج مع ابى بكر الى الغار وتبييت علىّ فى مضجعك ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾ اعلمهم به واطلاق مثل هذا عليه يجوز للمقابلة لا ابتداء لايهامه الذّم ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قاله النّضر ابن الحارث لانّه كان يتّجر الى الفارس والرّوم والحيرة فيسمع اخبار رستم واسفنديار واحاديث العجم ويحدّث بها اهل مكّة فاسند فعله الى جميعهم لانّه رأيسهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (٣١)﴾ ما سطّره الاوّلون من القصص ﴿وَإِذْ قَالُوا﴾ اى قال ذلك القائل مبالغة فى الجحود لمّا قال له عليه السّلام ويلك انّه كلام الله ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢)﴾ على انكاره بيّن تعالى ما هو الموجب لأمهالهم مع استحقاقهم العذاب بقوله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ﴾ مريدا ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ اللاّم للجحود والفعل بعده منصوب باضمار ان ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ لانّ العذاب اذا نزل عمّ ولانّه لم تعذّب امّة الاّ بعد خروج نبيّها والمؤمنون منها تعظيما لهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)﴾ حيث يقولون فى الطّواف غفرانك غفرانك او يستغفر من بقى بينهم من المؤمنين المستضعفين ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ اى ما يمنع تعذيبهم متى خرجت انت والمستضعفون وعلى تقدير كون الأستغفار لهم هى ناسخة لما قبلها او المراد بالاوّل الاستيصال وبهذا ما صنع بهم ببدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ اى يمنعونك والمؤمنين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ان تطوفوا به كما فى الحديبيّة ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كما زعموا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ عن الشّرك فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٣٤)﴾ ان لا ولاية لهم عليه وبعضهم يعلم لكن

يعاند ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ﴾ اى ما يسمّونه صلوة ﴿عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً﴾ صفيرا فُعالٌ من مكا يمكوا اذا صفر ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تصفيقا اى جعلوا ذلك موضع صلاتهم الّتى امروا بها ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ببدر ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ﴾ فى الحال ببدر ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ على من يحارب النّبى ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ بتمامها فيما يستقبل كما فى احد ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ ندامة لفواتها من غير حصول مقصودهم ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ آخر الامر ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى ثبتوا على الكفر منهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ فى الآخرة ﴿يُحْشَرُونَ (٣٦)﴾ يساقون ﴿لِيَمِيزَ اللهُ﴾ اى يفصل متعلّق بيحشرون ﴿الْخَبِيثَ﴾ الكافر ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ اى يجمعه متراكما بعضه على بعض ﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ﴾ الخبيث ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)﴾ غايته لانّهم خسروا انفسهم واموالهم ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعنى ابى سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ﴿إِنْ يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من ذنوبهم ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ الى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (٣٨)﴾ اى سنّتنا فى الّذين عادوا الانبياء بالاهلاك كما ببدر فكذا يفعل بهم ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لاَ تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ وحده ولا تعبد غيره ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)﴾ فيجازيهم على انتهائهم ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلاَكُمْ﴾ ناصركم ومتولّى اموركم فلا تبالوا بمعاداتهم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠)﴾ هو ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ اى الّذى اخذتم من الكفار قهرا ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ اى ممّا يقع عليه اسم الشيء حتّى الخيط ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ اى فثابت انّ لله خمسه فهو مبتدأ محذوف الخبر والجملة خبر انّ ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ قرابة النّبى من بنى هاشم وبنى المطلب ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ اطفال المسلمين الّذين هلكت آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ ذوى الحاجة من المسلمين ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع فى سفره من فقراء المسلمين حالا وذكر الله هنا للتبرّك والتّعظيم لا لان سهما من الغنيمة نصيبه تعالى فكانه قال ما لله يصرف الى النّبى والأصناف الاربعة لكلّ خمس

الخمس والأخماس الأربعة الباقية للغانمين والتّفصيل فى الفقه ﴿إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِ﴾ فاعلموا ذلك واعملوا به ﴿وَمَا﴾ عطف على بالله ﴿أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمّد من الآيات والملائكة ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر الفارق بين الحقّ والباطل ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفّار ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم الفرقان ﴿أَنتُم﴾ كائنون ﴿بِالْعُدْوَةِ﴾ جانب الوادى ﴿الدُّنْيَا﴾ القربى من المدينة ﴿وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ البعيد منها تأنيث اقصى ﴿وَالرَّكْبُ﴾ اى العير كائنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ ممّا يلى ساحل البحر والجملة حال من فاعل الظّرف وفائدتها الدّلالة على قوة العدوّ واستظهارهم بالرّكب وضعف شأن المسلمين وكذا ذكر مراكز الفريقين فانّ مركز المسلمين كان رخوا لا يمكن المشى فيه الاّ بتعب وبلاء بخلاف مركزهم وكذا قولهم ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُمْ﴾ انتم والنّفير للقتال ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ﴿وَلَكِن﴾ جمعكم على هذه الحال من غير ميعاد ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ فى علمه وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه ويبدل منه او يتعلّق بمفعولا قوله ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ اى ليموت من يموت عن بيّنة عاينها ويعيش من يعيش عن حجّة شاهدها لئلاّ يكون له حجّة ومعذرة فانّ وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليكفر المشارف على الكفر ويؤمن المشارف على الإيمان عن وضوح بيّنة على استعارة الهلاك للكفر والحيوة للاسلام ﴿وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)﴾ بفعل الفريقين وقولهم فيجازيهم اذكر ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ نتخبر به اصحابك فيتشجّعوا عليهم ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾ جبنتم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ اى فى امر القتال بالثّبات والفرار ﴿وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ﴾ كم من الفشل والتّنازع ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣)﴾ اى بما فى القلب ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ نحو سبعين او مأية لتقدموا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ليقدموا ولا يَرْجِعُوا وهذا قبل التحام الحرب وبعده

اراهم ايّاهم مثليهم كما فى آل عمران[1] لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وهذا من عظائم تلك الواقعة ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ كرّره لاختلاف الفعل المعلّل به ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٤٤) يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعة كافرة ﴿فَاثْبُتُوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه بالنّصر ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)﴾ تظفرون بمرادكم من النّصرة ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا﴾ بأختلاف الرأى كما فعلتم ببدر او احد ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ جواب النّهى ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ دولتكم على سبيل الأستعارة فانّها فى تمشّى امرها ونفاذها مشبّهة بها فى هبوبها ونفودها ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)﴾ بالنّصر والعون ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لحماية غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرًا﴾ فخرا ﴿وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ ليثنوا عليهم بالشّجاعة والسّخاوة حيث قالوا لا نرجع حتّى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القينات ببدر فيتسامع بذلك النّاس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النّاس عطف على بطرا فهو فى تأويل اسم الفاعل ان جعل حالا وفى تأويل المصدر ان جعل مفعولا له ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)﴾ فيجازيهم به ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ فى معادات الرّسول وغيرها بان وسوس اليهم ﴿وَقَالَ لاَ غَالِبَ﴾ اسم لا خبره ﴿لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ اى القى هذا فى روعهم وخيالهم وقيل جائهم فى صورة سراقة بن مالك الكنانى سيّد تلك النّاحية وقال لهم لا غالب لكم وانّى جار لكم من بنى كنانة اذ كانوا يخافونهم لعداوة قديمة بينهم ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ﴾ التقت ﴿الْفِئَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة ورأى الملائكة ﴿نَكَصَ﴾ رجع القهقرىّ ﴿عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ حال مؤكّدة لانّ الرّجوع القهقرىّ انّما يكون على عقبين ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّي أَخَافُ اللهَ﴾ اى بطل كيده وتبرّأ منهم وخاف عليهم وآيس من حالهم او قاله مشافهة لمّا اخذ يده من يد الحارث بن هشام فقالوا اتخذلنا يا سراقة على هذه الحال على القيل ﴿وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨)﴾ من كلامه

[1] – سورة آل عمران: ١٣

او استيناف ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ اى شبهة وضعف اعتقاد من المسلمين ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ اى المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ اذ خرجوا مع قلّتهم يقاتلون الجمع الكثير توهّما انّهم ينصرون بسببه قال تعالى فى جوابهم ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يغلب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يذلّ من استجار به ﴿حَكِيمٌ (٤٩)﴾ يفعل بحكمته ما يستبعده العقل ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمّد حال الكفرة ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ فاعل يتوفّى ويجعل حالا منه ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ظهورهم ﴿وَ﴾ يقولون ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠)﴾ بشارة بعذاب الآخرة وجواب لو محذوف للتّهويل اى لرأيت امرا عظيما ﴿ذَلِكَ﴾ التّعذيب مبتدأ خبره ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ اى بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)﴾ اى ليس بظالم لهم اصلا على انّ المبالغة راجعة الى النّفى كانّ بناء صيغة المبالغة بعد نفى اصل الظّلم او الكثرة المنفيّة انّما هى بازاء كثرة العبيد على طريق التّوزيع كما فى مقابلة الجمع بالجمع فانّ الظّالم للكثير كثير الظّلم فنفى كثرته هنا يقتضى نفى اصله عن كلّ عبد وهو المطلوب عطفه على ما قبله تصريحا بعدم جواز التعذيب بغير ذنب دأب هؤلاء ﴿كَدَأْبِ﴾ عادة ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ تفسير لدأبهم وكذا ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ذَلِكَ﴾ اى ما حلّ بهم ﴿بِأَنَّ﴾ اى بسبب انّ ﴿اللَّهَ لَمْ يَكُ﴾ اصله يكن حذفت النّون تخفيفا لشبهه بالحروف ﴿مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ اى حالهم الى حال اسوأ كتبديل كفّار مكة اطعامهم من جوع وامنهم من خوف وبعث النّبى اليكم بالكفر ومعادات الرّسول ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقولون ﴿عَلِيمٌ (٥٣)﴾ بما يفعلون ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ تكرير للتّأكيد والدّلالة على كفران النّعم للمفهمة من اضافة الآيات الى الربّ الّذى بمعنى المنعم والمربّى لهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وهو الأغراق ﴿وَكُلٌّ﴾ من الفرق المكذّبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤)﴾ انفسهم بالكفر والمعاصى ثمّ افرد بعضهم بمزية

الشّر والفساد بقوله ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عند الله الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اصرّوا على الكفر ﴿فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (٥٥)﴾ فى الأزمنة المستقبلة ايضا والفاء للعطف والتّنبيه على انّ تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقّق المعطوف ويبدل منهم بدل بعض للبيان والتخصيص قوله ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ ان لا يعينوا المشركين وهم قريظة ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ (٥٦)﴾ الله فى غدرهم ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ تجدنّهم ﴿فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾ فرّق ﴿بِهِمْ﴾ اى بقتلهم والعقوبة فيهم ﴿مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ من الكفرة المحاربين ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ اى المشردين الّذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ (٥٧)﴾ يتّعظون بهم ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ فى العهد بامارة تلوح لك ﴿فَانبِذْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال اى مستويا انت وهم فى العلم بنقض العهد بان تعلمهم به لئلاّ تكون الخيانة منك ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)﴾ تعليل للأمر بالنّبذ ثم لمّا كان مظنّة ان يقال انّ اعلامهم بنقض العهد يوجب تهيّأهم للقتال او فرارهم فيفوت الأنتقام منهم فدفعه بقوله ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ﴾ احد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول اوّل او هو الفاعل والمفعول الاوّل محذوف اى انفسهم والمفعول الثانى قوله ﴿سَبَقُوا﴾ الله اى فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ (٥٩)﴾ لا يفوتونه تعليل للنّهى على سبيل الأستيناف ﴿وَأَعِدُّوا﴾ ايّها المؤمنون ﴿لَهُمْ﴾ لقتال ناقض العهد ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ اى كلّ ما تيقوّى به فى الحرب من السّلاح وغيرها وامّا تفسيرها بالرّمى فقط كما روى عنه عليه السّلام[1] فلأنّه اقواها ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ اسم للخيل الّتى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول فالاضافة بيانية وعطفها على القوّة من عطف الخاص على العام ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تخوّفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ اى كفّار مكّة ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ اى غيرهم من الكفرة او المنافقين او اليهود ﴿لاَ تَعْلَمُونَهُمُ﴾ اى لا تعرفونهم باعيانهم ﴿اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ (٦٠)﴾ بنقص ثواب ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ للصّلح ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾

---

[1] – فتح الباري: ٢١٣/١

وعاهدهم انّث ضمير السّلم لحمله على نقيضه اى المعاداة والآية مخصوصة باهل الكتاب لانّها من تمام قصّة بنى قريظة فليست منسوخة بآية السّيف ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ ولا تخف من خدعهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لاقوالهم ﴿الْعَلِيمُ (٦١)﴾ بنيّاتهم ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بالصّلح ليستعدّوا لك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾ كافيك ﴿اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢)﴾ جميعا ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد ما كان بينهم من العصبيّة والحقد ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ لتناهى عداوتهم ﴿وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته فانّه يقلب القلوب كيف يشاء ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعصى عليه ما يريد ﴿حَكِيمٌ (٦٣)﴾ يعلم لياقة الأشياء ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَ﴾ حسبك ﴿مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ﴾ حثّ ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ اى بسبب انّهم ﴿قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ (٦٥)﴾ اى لا يعلمون ثواب الله واليوم الآخر مقصرون على الحيوة الدّنيوية فكيف يثبتون ثباة المؤمنين الرّاجين ثواب الله ونصره وهذا اخبار فى معنى الأمر اى ليقاتل العشرون منكم المأتين والمأية الألف ويثبتوا لهم فانهم يغلبون بعونه تعالى ولمّا ثقل ذلك عليهم امر بمقاومة الواحد الأثنين بقوله ﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ عن قتال عشرة امثالكم ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ﴾ اى بارادته ﴿وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)﴾ بالنّصر فكيف لا يغلبون ونزل لما خيّر عليه السّلام الصّحابة فاخذوا الفداء من اسرى بدر كلّ واحد بعشرين اوقية ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ من الأنبياء ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ بأخذ منهم الفداء ﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ اى يبالغ فى قتال الكفّار حتى يذل الكفر ويعزّ الاسلام فلم يكن لك ايضا ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ حطامها باخذكم الفداء ﴿وَاللهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الآخِرَةَ﴾ اى ثوابها بقتلهم ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ﴾ بغلب اوليائه على اعدائه ﴿حَكِيمٌ (٦٧)﴾ يعلم ما يليق بكلّ حال كما امر بالقتل ومنع عن الأفتداء حين كانت الشّوكة للمشركين وخيّر بين الفداء

وبين المنّ لمّا تحوّلت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين وفى الآية دليل على انّ الأنبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ لكن لا يقرّرون عليه ﴿لَوْلا كِتَابٌ﴾ حكم ﴿مِنَ اللهِ سبقَ﴾ اثباته فى اللوح وهو ان لا يعاقب المخطى فى اجتهاد وان لا يعذّب اهل بدر ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ اى من الفدية فانّها من جملة الغنايم اكلا ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ ولا يقع فى نفوسكم شيء منه بسبب تلك المعاتبة ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ فى مخالفته ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ غفر لكم ذنبكم ﴿رَحِيمٌ (٦٩)﴾ اباح لكم ما اخذتم ونزل فى عباس عمّ النّبى عليه السّلام لمّا كلّفه بفداء نفسه وابنى اخويه عقيل ابن ابى طالب ونوفل بن الحارث كلّ بعشرين اوقية من الذّهب وكان قد أُخِذَ منه فى الحرب عشرون اوقية فلم يحسبها من الفداء وقيل فى مطلق الاسرى بقرينة الفاظ الجمع ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيمانا واخلاصا ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء بان يضعّفه لكم فى الدّنيا ويثيبكم به فى الآخرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠)﴾ فاسلم عباس وكان يقول بدّلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا كلهم تجّار وادناهم ما يتّجر بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقية وانا انتظر المغفرة الموعودة ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ اى الاسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ نقض ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُوا اللهَ﴾ بالكفر ونقض عهد يوم ألست ﴿مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ﴾ اى امكنك ﴿مِنْهُمْ﴾ ببدر فان اعادوا الخيانة فسيمكّنك منهم ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ اوطانهم حبّا لله ورسوله وهم المهاجرون ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ بتهييء اسباب القتال ومباشرته ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ النّبى ومن معه ﴿وَنَصَرُوا﴾ هم وهم الأنصار ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ بالنّصرة او الأرث وان لم يكونوا اقارب لكن نسخ بقوله الآتى واولوا الأرحام بعضهم اولى ببعض ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا ارث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم فى الغنيمة ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لهم على الكفّار ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

ميثاقٌ﴾ عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فى النصرة والارث فلا ارث بينكم وبينهم ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ﴾ اى ان لا تفعلوا ما امرتم به من التّولى والتواصل بينكم وقطع ما بينكم وبين الكفّار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣)﴾ بقوّة الكفر وضعف الاسلام ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤)﴾ ذكرهم اوّلا لبيان حكمهم وهو ولاية بعضهم بعضا وهنا لبيان علوّ درجتهم بالنّسبة الى المؤمنين الّذين لم يهاجروا فلا تكرار ولقد احسن التّرتيب حيث ذكر المهاجرين الافضل من الكلّ وتابعهم بالانصار المتوسّطين الحال ثم اَلْحَقَ بهم من يتّسم بسمتهم بقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ﴾ ايّها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ﴾ ذووا القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ فى التّوارث من التّوارث بالإيتاء والهجرة المذكور فى الآية السّابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اى فى حكمه او فى اللّوح او القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)﴾ ومنه حكمة الميراث حيث جعله اوّلا بالاسلام والمظاهرة وثانيا بالقرابة.

* * *

سورة التوبة

مدنيّة أو إلاّ من (لقد جائكم) إلى آخرها، وآيها مائة وثلاثون أو إلاّ آية، وإنّما تركت التّسمية فيها لانّها نزلت بالسّيف ونبذ العهد والبرائة منه فليس فيها امان وباسم الله لكونه مفتاح سلم ورحمة وبركة أمان فلا تليق أن تكتب فى أوّلها، وقيل غير ذلك، وهي آخر سورة نزلت كاملة

﴿بَرَاءَةٌ﴾ خبر محذوف اى هذه برائة واصلة ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١)﴾ اى هما بريئان من العهد الّذى عاهدتم ايّها المؤمنون معهم لانّ بعضهم قد نقضوه ثم امهل المشركين بقوله ﴿فَسِيحُوا﴾ سيروا آمنين ايّها المشركون ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ اوّلها شوال لانّها نزلت فيه ولا امان لكم بعدها ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ لا تفوتونه وان امهلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢)﴾ بالقتل والاسر فى الدّنيا والعذاب فى الآخرة ﴿وَ﴾ هذا ﴿أَذَانٌ﴾ اعلام ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ اى يوم العيد لانّ فيه تمام الحجّ وقيل يوم عرفة لانّ معظم اعمال الحجّ وهو الوقوف لايكون الاّ فيه وقيل الحجّ الاكبر ان يكون يوم العيد يوم الجمعة ﴿أَنَّ﴾ اى بانّ ﴿اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ برئ ايضا وقد بعث صلّى الله عليه وسلّم عليّا من السنة وهى سنة التّسع من الهجرة فاذّن يوم النّحر بهذه الآية وبان لا يحجّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقال المسلمون يا علىّ بلّغ ابن عمّك انّا قد نبذنا العهد وراء ظهرنا ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾ من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن التّوبة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا فى الدّنيا ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)﴾ فى الآخرة ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ استثناء متّصل من المشركين ان اريد بهم الكلّ او منقطع ان اريد بهم النّاقضون ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفّار

﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ الّتى عاهدتم عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)﴾ باتمام العهود ﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾ خرج وانقضى ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ اللام للعهد اى الأربعة المتقدّمة الّتى امهلوا بالسّياحة فيها ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ النّاقضين للعهد ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ﴾ بالاسر ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ فى القلاع والحصون حتّى يضطرّوا الى القتل او الاسلام او امنعوهم عن المسجد الحرام ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طريق يسلكونها لئلاّ يتسبّطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف وهذه الآية ناسخة لكلّ آية فى القرآن فيها ذكر الأعراض والصّبر على اذى الأعداء ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن الكفر بالإيمان ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ تصديقا لتوبتهم وإيمانهم ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ اى دعوهم ولا تتعرّضوا لهم بشيء ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ لمن تاب ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ المأمور بالتعرض لهم مرفوع بفعل يفسّره ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ امّنه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ القرآن ليطّلع على حقيقة الأمر ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ اى موضع امنه وهو دار قومه ان لم يؤمن لنتظر فى امره ﴿ذَٰلِكَ﴾ الامن ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ ما الإيمان فلابدّ لهم من سماع القرآن ليعلموا ﴿كَيْفَ﴾ استفهام انكار اى لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ خبر كان واسمها ﴿عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ ظرف للعهد وكيف حال منه ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يوم الحديبيّة وهم المستثنون من قبل ومحله النّصب على الاستثناء ﴿فَمَا﴾ شرطية ﴿اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ على العهد ولم ينقضوه ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ على الوفاء به ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)﴾ وقد استقام صلّى الله عليه وسلّم على عهدهم حتّى نقضوا بأعانة بنى بكر على خزاعة ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد وحذف الفعل للعلم به ﴿وَ﴾ حال ﴿إِنْ يَظْهَرُوا﴾ يظفروا ﴿عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا﴾ يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلًّا﴾ حلفا او قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهدا بل يؤذوكم ما استطاعوا ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بان يوعدوكم الإيمان والوفاء بالعهد استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد لا حال من فاعل لايرقبوا فانّهم بعد ظهورهم لا يرضون ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ ما يقولون ﴿وَأَكْثَرُهُمْ

فَاسِقُونَ (٨)﴾ فى دينهم فلا يتحنّبون الكذب ونقض العهد زيادة على الشّرك فلا يرد انّه لا معنى لوصفهم بالفسق فى مقام المبالغة فى ذمّهم وخصّ الاكثر لانّ منهم من ليس كذلك ﴿اشْتَرَوْا﴾ استبدلوا ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هو اتّباع الأهواء والشّهوات ﴿فَصَدُّوا﴾ منعوا ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه الموصل اليه ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩)﴾ عملهم هذا ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠)﴾ فى تعدّيهم ما حدّه الله ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ اى فهم اخوانكم ﴿فِي الدِّينِ﴾ لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١)﴾ اعتراض للحثّ على تأمّل ما فصّل ﴿وَإِنْ نَكَثُوا﴾ نقضوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ مواثيقهم ﴿مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ اتى بالظّاهر للدّلالة على انّهم بذلك صاروا رأساء الكفر احقاء بالقتل ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ﴾ عهود ﴿لَهُمْ﴾ فى الحقيقة والاّ لما نكثوا وطعنوا ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢)﴾ عن الكفر اى قاتلوهم لهذا لا لمجرّد الأذية كما هو طريق الموذين ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ﴾ تحريض على القتال لانّ الهمزة دخلت على النّفى للأنكار فادّت المبالغة فى الفعل ﴿قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ بمعاونة بنى بكر على خزاعة حلفائكم ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ من مكّة لمّا تشاوروا فى امره بدار النّدوة ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالمعاداة والمقاتلة لانّه عليه السّلام دعاهم الى المعارضة بالكتاب لأظهار الحقّ فعدلوا الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تقاتلوهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ فتتركون قتالهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ فقاتلوا اعدائه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)﴾ فان قضيّة الإيمان ان لا يخشى الاّ منه ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤)﴾ يعنى بنى خزاعة ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كربها ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرجوع الى الاسلام كابى سفيان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما كان وما يكون ﴿حَكِيمٌ (١٥)﴾ فى صنعه ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل والهمزة الأنكارية اى بل أ ﴿حَسِبْتُمْ﴾ ايّها المؤمنون ﴿أَنْ تُتْرَكُوا﴾ على ما اظهرتم باللّسان من الإيمان فلا تؤمروا بالجهاد ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾

بالاخلاص نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة فانّه لازم له فيكون كاثبات الشيء بالبرهان ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا﴾ عطف على جاهدوا داخل فى الصّلة ﴿مِنْ دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ بطانة يوالونهم والمعنى اتتركون ولم يوجد منكم ما يدلّ على صدقكم فى الإيمان من الجهاد وعدم اتخاذ البطانة من الكفار ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)﴾ يعلم غرضكم من الجهاد أ هو اعزاز دين الله وقهر اعدائه او الرّياء والسّمعة والنّفاق ﴿مَا كَانَ﴾ صحّ ﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ﴾ شيئا من المساجد بالدّخول والقعود فضلا عن المسجد الحرام ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيته تعالى وعبادة غيره ﴿أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الّتى يفتخرون بها للشّرك ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧)﴾ لأجله ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾ احدا ﴿إِلاَّ اللهَ﴾ اى من جمع بين الكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تنويرها بالسّرج وادامة العبادة والذّكر ودرس العلم فيها وصيانتها ممّا لم تبن له كحديث الدّنيا، وعنه ﷺ قال الله: «انّ بيوتى فى ارضى المساجد وانّ زوارى فيها عمّارها فطوبى لعبد تطهّر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحقّ على المزور ان يكرم زائره»[1] ﴿فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)﴾ اتى بصيغة التّوقع توبيخا للمشركين بانّ هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتدائهم بين عسى ولعلّ فما ظنّك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغترّوا باعمالهم ويتّكلوا عليها ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾ اهل ﴿سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ﴾ وبيّن عدم التّساوى بقوله ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)﴾ انفسهم بالشّرك ومعاداة الرّسول ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِندَ اللهِ﴾ من غيرهم او من اهل السّقاية والعمارة عندكم ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)﴾ بالثّواب دونكم ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ

[1] - فيض القدير: ٦٤/٦ ه

وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١)﴾ دائم ﴿خالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ اكّد الخلود بالتّأبيد لانّه قد يستعمل للمكث الطّويل ﴿إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)﴾ ونزل فيمن آمن وترك الهجرة لأجل اهله وتجارته ومساكنهم ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَائَكُمْ وإِخْوانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا﴾ اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣)﴾ بوضع الموالاة فى غير محلّها ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ وإِخْوانُكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ اقربائكم مأخوذ من العشرة ﴿وأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ فوات وقت نفاقها ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ﴾ اختيارا لا طبعا فانّ المرأ غير مؤاخذ به ﴿مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِىَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ اى بعقوبة عاجلة او آجلة فهو تهديد لهم ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)﴾ لا يرشدهم وفى الآية تشديد عظيم قلّ من يتخلّص عنه ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ للحرب كبدر وقريظة والنّضير ﴿وَ﴾ موطن ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكّة والطّائف قاتل فيه هوزان وثقيف فى شوّال وكان قد فتح مكّة فى تلك الأيّام فحسدوه وتهيّئوا لقتاله وخرجوا باموالهم ونسائهم وزراريهم ليقاتل كلّ عن اهله وماله ولا يفرّ ﴿إِذْ﴾ بدل من يوم ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقلتم لن نغلب اليوم من قلّة اذ كنتم اثنى عشر الفا والكفار اربعة آلاف ﴿فَلَمْ تُغْنِ﴾ الكثرة ﴿عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ من امر العدوّ ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ما مصدريّة اى مع رحبها وسعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنّوا اليه لشدّة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ﴾ الكفار ظهوركم ﴿مُدْبِرِينَ (٢٥)﴾ منهزمين حتّى بلغ اوّلكم مكّة وبقى النّبى فى مركزه على بغلته البيضاء ليس معه الاّ ابن عمّه ابو سفيان وعمّه عبّاس فامره ان نادى فى النّاس فكرّوا ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمانينته وامنه ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الّذين انهزموا فقاتلوا واعادة الجار للتّنبيه على اختلاف حاليهما حيث انهم انهزموا دونه عليه السّلام ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ اى الملائكة خمسة آلاف او اكثر ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالقتل والاسر

فسبى منهم ستة آلاف نفس واخذ من الأبل والغنم ما لا يحصى ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالتّوفيق للاسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧)﴾ يتجاوز عنهم ويتفضّل عليهم روى انّ بعضا منهم جاأوا الى النّبى واسلموا فردّ عليهم زارياهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ لخبث باطنهم واعتقادهم لا اعينهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ نهى عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ سنة البرائة وهى التّاسعة من الهجرة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ فقرا بسبب منعهم وانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وقد اغناهم بفتح البلاد والغنايم وتوجّه النّاس اليهم من اقطار البلاد ﴿إِنْ شَاءَ﴾ قيّده به مع انّه مناف للوعد بازالة العيلة لئلاّ يعتمد على هذا الموعود بل يتضرّع اليه تعالى دائما فى طلب الخيرات ودفع الآفات وللتّنبيه على انّه متفضل فيه لا واجب عليه وعلى انّه ليس بالنّسبة الى الكلّ بل يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ باحوالهم ﴿حَكِيمٌ (٢٨)﴾ فيما يعطى ويمنع ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ايمانا معتدّا به والاّ لآمنوا بالنّبى صلّى الله عليه وسلّم ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الثّابت النّاسخ للأديان وهو الإسلام ﴿مِنَ﴾ بيان للّذين لا يؤمنون ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ اى اليهود والنّصارى وأُلْحِقَ بهما المجوس لانّ لهم شبه كتاب دون غيرهم فانّهم لا يقرّرون بالجزية ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كلّ عام مشتق من جزى دَيْنه اذا قضاه ﴿عَنْ يَدٍ﴾ موافقة غير ممتنعة اى منقادين فهو حال من الواو وكذا ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)﴾ اذلاّء منقادون لحكم الاسلام وفى بعض كتب الفقه انّه يؤخذ بلحيته ويضرب على قفاه ضربة لكنّ الاصحّ انّها بدعة غير مرضية ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ اى بعضهم ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ لما رأوا انّه يقرأ التّورية حفظا وكان لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نُصّر من يحفظها ومرّ قصّته فى البقرة ﴿وَقَالَتْ النَّصَارَى﴾ اى بعضهم ايضا ﴿الْمَسِيحُ﴾ عيسى ﴿ابْنُ اللَّهِ﴾ لما استحالوا وجود ولد بلا اب ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ اى لا مستند لهم

عليه ﴿يُضَاهِؤُونَ﴾ اى يشابه قولهم على حذف المضاف ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من ابائهم يعنى انّ الكفر قديم فيهم او المشركين الّذين قالوا الملائكة بنات الله ﴿قَاتَلَهُمُ﴾ لعنهم ﴿اللَّهُ أَنَّى﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ (٣٠)﴾ يصرفون عن الحقّ مع قيام الدّليل ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ عبّاد النّصارى ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بان اطاعوهم فى تحليل ما حرّم وتحريم ما احلّ ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ بان جعلوه ابنا لله ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ اى المتخذون فى التّورية والأنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ استيناف مقرر للتّوحيد ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ دلائله الدّلة على وحدانيته وتقدّسه عن الولد ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ اى باقوالهم الكاذبة ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾ اى لا يرضى ﴿إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ باعلاء التّوحيد واعزاز الاسلام ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)﴾ وجواب لو محذوف دلّ عليه ما قبله وجعل كالبيان ليأبى الله آه قوله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمّد ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ اى جميع الأديان فينسخها ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ اى يأخذونها بالرّشى فى الاحكام عبّر عن الأخذ بالأكل لانّه الغرض الاعظم منه ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النّاس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه بقولهم لأتباعهم الدّين الحقّ هو الّذى انتم عليه لئلاّ تزول رياستهم وجاههم ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ يجمعون ﴿الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾ اى الذّهب والفضّة وافراد الضّمير وتأنيثه لانّ المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة وكذا قول فيما سيأتى ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اى فيما امر الله ان تنفق فيه اى لا يؤدون منها حقّها من نحو الزّكوة واطعام المضطرّ وقيل جمعها مطلقا مذموم اذا زادت على اربعة آلاف وامّا ما دونها فنفقة كما فى الحديث ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)﴾ هو الكىّ بهما خبر الّذين والمراد بهم المسلمون الّذين يفعلون هكذا واقترانهم بالمشركين من اهل الكتاب للتّغليظ ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ ويوسّع جلدهم حتى توضع عليه كلّها وتخصيص هذه الثلثة لانّها اشرف الأعضاء الظّاهرة

او لانّ الجمع كان لطلب الوجاهة بالغنى والتّنعم بالمطاعم اللذيذة الّتى ينفتح بها الجنب والملابس الفاخرة الّتى تطرح على الظّهر ويقال لهم ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾ اى لنفعها فانّه عاد ضررا لها ﴿فَذُوقُوا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ القمريّة للسّنة ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ ظرف عدة لانّها مصدر ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ مثبتا ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اى اللّوح المحفوظ او حكمه ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ متعلّق بما فى كتاب الله من معنى الثّبوت اى هذا امر ثابت منذ خلق الله الأحرام والأزمنة فلا تعتبروا حال السّنة الشّمسيّة لرعاية مصالح دنياكم وتخالفوا حكم الله فتوقعون الحج فى وقت معيّن من الشّمسية ولا تجعلونه فى ذى الحجة الدائر بين الأوقات ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ومعنى كونها حرما انّ المعصية فيها اشدّ عقابا والطاعة اشد ثوابا وكانت العرب يعظّمونها حتى لو لقى الرّجل قاتل ابيه او ابنه لم يتعرّض له ﴿ذَلِكَ﴾ اى تحريمها ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم الموروث من ابراهيم واسماعيل ﴿فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بارتكاب المعاصى فيهن فانّه اعظم كارتكابها فى الحرم وحال الأحرام وامّا حرمة المقاتلة فيها فالجمهور على انّها منسوخة ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ جميعا وهو مصدر كفّ عن الشيء فانّ الجميع مكفوف عن الزّيادة وقع موقع الحال من الفاعل او للمفعول او كليهما ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)﴾ بالعون والنّصر ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ اى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلّوه وحرّموا مكانه شهرا آخر ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ اى كفر آخر مضموم الى كفرهم لانّه مخالفة حكم الله ﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ضلالا زائدا ﴿يُحِلُّونَهُ﴾ اى النّسيء ﴿عَامًا﴾ سنة ﴿وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ الجملتان بيان للضلال او حال ﴿لِيُوَاطِؤُوا﴾ متعلّق بيحرّمونه اى ليوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من الأشهر ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)﴾ ونزل لمّا دعى صلّى الله عليه وسلّم الى غزوة تبوك بعد الرّجوع من الطّائف وكانوا فى

عسرة وشدّة حرّ والعدوّ كثير فشقّ عليهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾ اى تباطأتم ولتضمنه معنى الأخلاد والميل تعدى بالى فى قوله: ﴿إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وغرورها ﴿مِنَ الآخِرَةِ﴾ بدل الآخرة ونعيمها ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب متاع ﴿الآخِرَةِ إِلاَّ﴾ متاع ﴿قَلِيلٌ (٣٨)﴾ حقير ﴿إِلاَّ﴾ فيه ادغام ان الشّرطيّة فى لا وكذا فيما ياتى ﴿تَنفِرُوا﴾ الى ما دعيتم اليه ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ الله ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فيهلككم بنحو قحط وغلبة عدوّ ﴿وَيَسْتَبْدِلْ﴾ بكم ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ مطيعين كاهل اليمن ﴿وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ بتخلّفكم عن نصر دينه فانّه غنىّ عن كلّ شيء فينصر دينه ونبيّه ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ﴾ اى النّبى فسينصره حذف واقيم مقامه ما هو كالدّليل عليه اى قوله ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكّة اى الجّوه الى الخروج وصاروا سببا لأذنه تعالى له به لمّا شاوروا فى امره فى دار النّدوة كما مرّ فى الأنفال[1] ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ حال اى احد اثنين والآخر ابو بكر ﴿إِذْ﴾ بدل بعض من اذ اخرجه ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نقب فى جبل ثور مسير ساعة من مكّة مكثا فيه ثلاثا ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل ثان او ظرف لثانى ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ ابى بكر لمّا قال والمشركون حولهم لو نظر احدهم تحت قدمه لأبصرنا ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ بالعصمة والعون فأعماهم الله عن الغار فترددوا حوله فلم يروه وقيل بعث الله الحمامة فباضت فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فقالوا ما دخله احد ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته وامنه ﴿عَلَيْهِ﴾ على النّبى او على صاحبه لانّه هو الخائف ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ اى النّبى ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة فى الغار او فى سائر مواطن حربه على انّ الجملة معطوفة على نصره الله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى دعوة الشّرك ﴿السُّفْلَى﴾ المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ اللهِ﴾ اى كلمة الشّهادة ﴿هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾ فى امره وتدبيره ﴿انْفِرُوا خِفَافًا﴾ نشاطا ﴿وَثِقَالاً﴾ غير نشاط لمشقّته عليكم ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ اى بما امكن لكم

---

[1] – سورة الأنفال: ٢٦

منهما او احدهما ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)﴾ انّه خير فبادروا اليه ولا تثاقلوا ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتهم اليه ﴿عَرَضًا﴾ متاعا دنيويّا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ متوسطًا ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ المنافقون المتخلّفون طلبا للغنيمة ﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة فتخلّفوا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ اذا رجعتم من تبوك معتذرين اخبار عمّا وقع قبل وقوعه فهو معجزة ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ الخروج مالا او بدنا ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ جواب القسم ساد مسد جواب الشّرط ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب حال من فاعل سيحلفون ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)﴾ فى ذلك لانّهم مستطعون ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ خطأك فى الأجتهاد فى الأذن وهو وان لم يكن ذنب فانّ المخطأ فى الأجتهاد له اجر لكنّه بدأ بالعفو قبل ان يعثر بالذنب تلطّفا به عليه السّلام او للمبالغة فى تعظيمه وتوقيره فانّه قد يفتتح الكلام بالدّعاء بنحوه لذلك كما يقال عفا الله عنك ما صنعت فى امرى ورضى عنك ما جوابك عن كلامى والغرض التّعظيم والتّبجيل وعلى التّقديرين يجعل عتابا على ترك الاولى قوله ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ حين استأذنوك بمجرّد كذبهم هلا توقّفت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فى الأعتذار ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣)﴾ فيه ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فى ﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ اى يبادرون اليه بلا اذن فضلا ان يستأذنوك فى التّخلف عنه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ فى التّخلف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ﴾ شكّت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ فى الدّين ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥)﴾ يتحيّرون ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ اهبّة من الآلة والزّاد ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ اى لم يرد خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ حبسهم عنه بالجبن والكسل ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)﴾ المعذورين كالمرضى والنّساء والصّبيان تمثيل لألقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم حتّى كانّه قال لهم ذلك ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ﴾ بخروجهم شيئا ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ فسادا فالأستثناء مفرّغ من اعم العام الّذى هو الشيء والزّيادة بالنّظر اليه فلا يلزم ان يكون فى اصحاب الرّسول خبال حتّى يزيدوه

بخروجهم ﴿ولأَوْضَعُوا﴾ ركابهم ﴿خِلاَلَكُمْ﴾ اى اسرعوا بينكم بالمشئ بالنّميمة والهزيمة ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ اى يطلبون لكم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بأيقاع العداوة بينكم والرّعب فى قلوبكم حال من واو اوضعوا ويجعل حالا من فاعله او مفعوله قوله ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ يسمعون قولهم سماع قبول وطاعة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ﴾ اى تشتيت امرك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ اى قبل تخلّفهم هذا عن تبوك حيث انصرف ابن ابىّ واصحابه يوم احد ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ اى دوّروا الأفكار فى ابطال دينك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ النّصر ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨)﴾ له فدخلوا فيه ظاهرا ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ ائْذَن لِّى﴾ فى التّخلف واعينك بمالى وهو جد بن قيس ﴿وَلاَ تَفْتِنِّى﴾ اى لا توقعنى فى الفتنة لانّى مفرط فى التّعلق بالنّساء فأخشى ان لا اصبر عن بنات الاصفر فاجامعهنّ قبل القسمة واشتغل بهنّ واترك الجهاد ﴿أَلاَ فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتّخلف وظهور النّفاق ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)﴾ يوم القيامة لا خلاص لهم عنها ﴿إِن تُصِبْكَ﴾ فى غزاك ﴿حَسَنَةٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ لفرط حسدهم ﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدّة كيوم احد ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ بالفعل الصايب حين تخلّفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل هذه المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّوا﴾ عنك ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ (٥٠)﴾ بما يصيبك وبحالهم ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ فى اللوح من نفع او ضرّ لا يتغيّر بموافقتكم ومخالفتكم ﴿هُوَ مَوْلاَنَا﴾ ناصرنا ومتولّى امرنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ اى تنتظرون ان يقع ﴿بِنَا إِلاَّ إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿الْحُسْنَيَيْنِ﴾ تثنية حسنى تأنيث حسن النّصرة والشّهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ احدى السّوأين ﴿أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ بقارعة من السّماء ﴿أَوْ﴾ بعذاب ﴿بِأَيْدِينَا﴾ وهو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ ما هو عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ (٥٢)﴾ ما هو عاقبتكم ﴿قُلْ أَنفِقُوا﴾ فى طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ نفقاتكم اخبار عبّر عنه بالأمر مبالغة فى تساوى الأنفاقين فى عدم القبول ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣)﴾ تعليل على سبيل الأستيناف ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ

أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ المستثنى فاعل وان تقبل مفعول اى الاّ كفرهم وقوله ﴿وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى﴾ متثاقلون ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ (٥٤)﴾ عطف على كفروا اى ما منعهم قبول نفقاتهم الاّ كفرهم وعدم اتيانهم الصّلوة الاّ كاسلين وعدم انفاقهم الاّ كارهين ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ﴾ فانّ ذلك استدراج كما قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالمشقّة فى جمعها والمصايب فيها ﴿وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٥٥)﴾ فيعذّبون فى الآخرة اشدّ العذاب ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ اى مؤمنون ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ لكفر قلوبهم ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦)﴾ يخافون ان تفعلوا بهم ما تفعلوا بالمشركين فيظهرون الأسلام تقيّة ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ حصنا يلجئون اليه ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ فى الجبال ﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾ مواضع يدخلونها كالسّروب مفتعل من الدّخول ﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (٥٧)﴾ يسرعون اسرعا لا يرضّهم شيء كالفرس الجموح ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِي﴾ قسم ﴿الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ اى ما اعطاهم الرّسول من الغنيمة والصّدقة وذكر الله للتّعظيم والتّنبيه على انّ فعله انّما هو بامره تعالى ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة او صدقة اخرى ما يكفينا ﴿إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ (٥٩)﴾ فى ان يغنينا من فضله وجواب لو محذوف اى لكان خيرا لهم ثمّ بيّن مصارف الصّدقات تصويبا لما فعله الرّسول بقوله ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ الّذين لا يجدون ما يقع موقعا من حاجتهم ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ الّذين يجدون ما لا يكفيهم ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ اى على الصّدقات من حاسب وقاسم وكاتب وحاشر ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ قوم اسلموا ونيّتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم بأعطائهم او هم اشراف يترقّب بأعطائهم و مراعاتهم اسلام نظائرهم ﴿وَفِي﴾ فكّ ﴿الرِّقَابِ﴾ اى المكاتبون عطف على الفقراء والعدول من اللام الى فى للدّلالة على الأستحقاق للجهة لا للرّقاب ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ اى الّذين استدانوا لغير معصية او تابوا وليس لهم وفاء او لأصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللهِ﴾

اى للصّرف فى الجهاد بالأنفاق على القائمين به تطوّعا بلا فيئ ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ اى المسافر الغير العاصى المحتاج حالا والأوصاف المذكورة وان كانت عامة لكنّ السّنة بيّنت انّ شرط المعطى ان يكون مسلما ولا يكون هاشما ولا مطلبيّا فرض ذلك ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)﴾ يضع الأشياء فى موضعها واعلم انّ ظاهر الآية وان اقتضى الأختصاص بالأصناف الثّمانية ووجوب الصّرف الى كلّ صنف وجد منهم كما هو مذهب الشّافعى لكنّ الفتوى على ما ذهب اليه الأئمة الثلاثة من جواز الصّرف الى ثلاثة من صنف واحد ﴿وَمِنْهُمُ﴾ اى المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بتعييبه ونقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ اذا نهوا عن ذلك لئلاّ يبلغه ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ يسمع كلّ ما يقال له ويصدّقه فيصدّقنا اذا انكرنا اذاه اطلق عليه الجارحة لفرطه فى ذلك ﴿قُلْ﴾ هو ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ الأضافة للتخصيص والتّقييد اى اذن مستمع خير لا مستمع شر ثم فسّر ذلك بقوله ﴿يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما اخبروه به لا لغيرهم عدّى الاوّل بالباء والثّانى باللاّم الزّائدة فرقا بين ما هو مقابل الكفر اى إيمان الأمان وبين ما هو بمعنى التّصديق والتّسليم ﴿وَ﴾ هو ﴿رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ ولو ظاهرا فقط فلا يكشف سرّكم ترحّما بكم لا جهلا بحالكم ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ﴾ ايّها المؤمنون انّهم ما اتوا باذى الرّسول ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ فلا تتعرّضوا لهم ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ بالطاعة وحّد الضمير لانّ خبر الاوّل او الثّانى محذوف او لانّ الأرضائين متلازمان فاكتفى باحدهما ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢)﴾ حقّا ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾ اى الشّأن ﴿مَن يُحَادِدِ﴾ يشاقق ﴿اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ﴾ على حذف الخبر اى فحقّ انّ له ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣) يَحْذَرُ﴾ يخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ اى على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النّفاق فتهتكهم وهم مع ذلك يستهزؤن ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾ امر تهديد ﴿إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَا تَحْذَرُونَ (٦٤)﴾ من انزال السّورة فيكم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك فى غزوة تبوك بقولهم

انظروا الى هذ الرّجل يريد ان يفتح قصور الشّام هيهات هيهات ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فى الحديث لنقطع به الطّريق ﴿قُلْ﴾ لهم توبيخا ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا﴾ عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾ اى اظهرتم كفركم ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ الظّاهرىّ ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ لتوبتهم واخلاصهم كفحش بن حمير ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾ مصرّين على النّفاق والأستهزاء ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ اى متشابهون فى النّفاق كابعاض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾ اى الكفر والمعاصى ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ اى الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الأنفاق فى الطاعة وقبض اليد كناية عن البخل ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ جزاء وعقابا ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ابعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨)﴾ دائم انتم ايّها المنافقون ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا﴾ تمتّعوا ﴿بِخَلَاقِهِمْ﴾ نصيبهم من الدّنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُم﴾ ايّها المنافقون ﴿بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ دخلتم فى الباطل والطّعن فى النّبى ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ اى كالخوض الّذى خاضوا ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩)﴾ للدّارين ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ اغرقوا بالطّوفان ﴿وَعَادٍ﴾ قوم هود اهلكوا بالرّيح ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح اهلكوا بالرّجفة ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ قوم اهلكوا بالنّار يوم الظّلمة ﴿وَ﴾ اهل ﴿الْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ قرى قوم لوط جمع مؤتفكة اى منقلبة فانّما انقلب اعلاها اسفلها ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ اى المعجزات فكذّبوا فاهلكوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بان يعاقبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠)﴾ بارتكاب الذّنب ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ذكره فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات آه كما هو عادته ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ لا محالة فانّ السّين لتاكيد الوقوع لا للاستقبال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يمنعه شيء من انجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٌ (٧١)﴾ يضع الأشياء فى مواضعها ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ اى تحت قصورها او اشجارها ﴿الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ اى القصور المبنيّة من انواع الجواهر ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ اقامة وخلود فعلى هذا الجنات كلّها دار عدن وليس بتكرار مع خالدين فيها فانّه للجنات وهذا للمساكن وفى أحاديث ما يدلّ على انّها اسم للجنّة الثامنة الّتى هى اعلى الجنات كلّها ومحلّ تجلّيات الله تعالى ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ لا سخط بعده ﴿مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ من ذلك كلّه فيرزقهم ايّاه ايضا ﴿ذَٰلِكَ﴾ اى الرّضوان او جميع ما تقدّم ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)﴾ الّذى يستحقر دونه الدنيا وما فيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسّيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجّة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ فى ذلك ولا تسامحهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)﴾ هى ﴿يَحْلِفُونَ﴾ اى المنافقون ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من الطعن فى القرآن المنزّل عليك فى تبوك ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا﴾ اظهروا الكفر ﴿بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ الظاهرىّ ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل الرّسول عند رجوعه من تبوك بالعقبة ليلا وكانوا خمسة عشر رجلا فاخذ عمّار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فلم يقدروا ان يقربوا اليه ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ اى عابوا شيئا منهم ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ بالغنائم مع الرّسول بعد ما كانوا فى شدّة الأحتياج وهذا ليس ممّا يعاب فهو استثناء مفرّغ من اعم المفاعيل من قبيل ما لى عندك ذنب الاّ احسنت اليك ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عن النّفاق ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وقد تاب منهم جلاّس واحسن توبته ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ بالاصرار على النّفاق ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والاسر ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنّار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤)﴾ ينجيهم من العذاب ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)﴾

وهو ثعلبة قال للنّبي ادعوا الله ان يرزقني مالا وأادّى منه كلّ ذى حقّ حقّه ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بدعاء الرّسول فكثر مواشيه حتى لم تسعه المدينة فنزل واديا وامتنع عن الجماعة والجمعة ﴿بَخِلُوا بِهِ﴾ منعوا حقّ الله منه فانّه بعث اليه النّبي مصدّقين لاخذ الصّدقة قال ما هذه الاّ اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي ﴿وَتَوَلَّوا﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦)﴾ اى هم قوم عادتهم الاعراض عنها ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ اى جعل الله عاقبة فعلهم ذلك ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ اى الله بالموت ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ من التّصدق والصّلاح ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧)﴾ فيه فاتى بها بعد ذلك الى النّبي صلّى الله عليه وسلّم فقال انّ الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التّراب على رأسه فجاء بها بعد النّبي الى ابى بكر ثمّ الى عمر ثم الى عثمان فلم يقبلها واحد منهم وهلك بها فى زمان عثمان ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ اى المنافقون او من عاهد الله ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما اسرّوا فى انفسهم من النّفاق او العزم على الخلاف ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما يتناجون به بينهم من المطاعن او تسمية الزّكوة جزية ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨)﴾ لا يخفى عليه شيء ممّا غاب عن العيان ولمّا نزل آية الصدقة تصدّق عبد الرّحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وعاصم بمأية وسق تمر وابوعقيل بصاع تمر فقال المنافقون ترا أذانك والله غنيّ عن صدقة هذا فنزل ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ اى المتطوعين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم فياتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ وخبر المبتدأ قوله ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريّتهم سمّى الجزاء سخريّة على المشاكلة او استعارة احد المثلين للآخر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)﴾ على كفرهم ونزل لما سأله عليه السّلام المخلص عبد الله بن عبد الله بن ابى ان يستغفر لأبيه حين مرض ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ اخبار بتساوى الأمرين فى عدم النّفع او رد بصورة الأمر للتّأكيد والمبالغة فى ذلك ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فقال عليه السّلام: لأزيدنّ على السّبعين فاهما العدد المخصوص لانّه الاصل فجوّز ان يكون حدّا يخالفه حكم ما ورائه

فنزل استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لبيان انّ المراد به التّكثير دون التحديد واستعمال امثاله فى التكثير شايع ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ اى بسبب كفرهم لا لبخل منّا او قصور فيك وجعل كالدّليل على ما قبله قوله ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠)﴾ اى المتمرّدين فى كفرهم وفيه تنبيه على عذر الرّسول فى الاستغفار لهم وهو عدم يأسه عن إيمانهم ما لم يعلم انّهم مطبوعون على الضّلالة اذ الممنوع هو الأستغفار بعد العلم لآية ﴿ما كان للنّبى والمؤمنين ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبيّن لهم انّهم اصحاب الجحيم﴾[1] ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن غزوة تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بقعودهم ﴿خِلاَفَ﴾ بعد ﴿رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا﴾ اى بعضهم لبعض ﴿لاَ تَنفِرُوا﴾ تخرجوا الى الجهاد ﴿فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ فاتّقوها بترك التّخلف ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١)﴾ انّها مآبهم ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ فى الدّنيا ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ فى الآخرة ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)﴾ اخبر عن ما يؤل اليه حالهم فى الدّارين بصيغة الأمر للدّلالة على انّه حتم واجب ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ﴾ ردك من تبوك ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ ممّن تخلّف بالمدينة من المنافقين ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ الى غزوة اخرى ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا﴾ اخبار فى معنى النهى للمبالغة وعلّله بقوله ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ هى الغزوة الى تبوك ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)﴾ اى المتخلّفين عن الغزو لعدم لياقتهم كالنّساء والصّبيان ولمّا ارسل عليه السّلام قميصه ليكفّن ابن ابى فيه وذهب ليصلّى عليه فانّه كان قد رجا منه ذلك نزل ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ لدفن او زيارة وعلّل النّهى ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥)﴾ كرّرها للتّاكيد والاّ فقد سبق ذكرها بعينها فى هذه السّورة مع مغايرة قليلة فى العبارة وقيل هذه فى آخرين

---

[1] - سورة التوبة: ١١٣

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿أَنْ﴾ بان ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ﴾ ذوى السّعة والغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦)﴾ لعذر ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة اى النّساء اللاّتى تخلّفن فى البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٧)﴾ ما فى موافقة الرّسول من السّعادة ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ اى النّصرة والغنيمة فى الدّنيا والجنّة والكرامة فى الآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨)﴾ وبيّن خيراتهم الأخرويّة بقوله ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩) وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ اى المعتذرين بالجهد وكثرة العيال وهم اسد وغطفان ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الى النّبى ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ فى التّخلف فاذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى ادعاء الإيمان وهم منافقوا الاعراب بتبعهم ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠)﴾ بالقتل والنّار ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ كالشّيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعمى والزّمنى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ فى الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ اثم فى التّخلّف ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حال قعودهم بعدم الأرجاف والتّثبيط والطّاعة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ فى ذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ (٩١)﴾ بهم فى التّوسعة ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك الى الغزو وهم سبعة من الأنصار اسمائهم فى القاضى ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال من الكاف فى اتوك باضمار قد ﴿تَوَلَّوا﴾ اى انصرفوا جواب اذا ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾ اى دمعها فانّ من للبيان وهى مع المجرور فى محلّ النّصب على التّمييز نصب على العلّة قوله ﴿حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢)﴾ فى الجهاد ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ بالعتاب ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ استيناف لبيان ما هو سبب لاستيذانهم وهو الرّضاء بالدّنائة ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(٩٣)﴾ تقدم مثله[1] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ فى التّخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من هذه الغزوة ﴿قُلْ لاَ تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ اى لن نصدقكم استيناف لبيان سبب نهيهم عن الأعتذار وكذا ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ اخبرنا بعض احوالكم بالوحى ﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ أتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانّه استتابة وامهال للتّوبة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ اى اليه اتى بالظّاهر للدّلالة على انّه لا يفوته شيء من ضمائرهم واعمالهم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)﴾ بالعقاب عليه ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ﴾ رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ بترك المعاتبة ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قذر لخبث باطنهم لا ينفع فيهم اللّوم والتّعنيف فهو علّة الأعراض ومن تمامه قوله ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً﴾ نصب على العلّة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ فتستديموا على ما كنتم تفعلون بهم كما يحلفون لتعرضوا عن ايذائهم ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦)﴾ فلا ترضوا عنهم لكن اعرضوا عنهم ﴿الأَعْرَابُ﴾ اى اهل البدو فانّه جمع اعرابىّ اى ساكن البادية بعد حذف ياء النّسبة واما العرب فهو من استوطن المدن والقرى القريبة ويقال فى نسبته عربىّ ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من غيرهم لتوحّشهم وغلظ طبائعهم وبعدهم عن سماع القرآن والأحاديث ﴿وَأَجْدَرُ﴾ اولى ﴿أَنْ﴾ اى بان ﴿لاَ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ من الأحكام ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ (٩٧)﴾ فيما يفعل بهم ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ﴾ يحسب ﴿مَا يُنفِقُ﴾ فى سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسرانا لانّه لا يرجوا ثوابه بل ينفقه خوفا ورياء ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ اى دوائر الزّمان بان ينقلب عليكم فينخلّصوا ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ﴾ دعاء عليهم بدوران العذاب والهلاك فهو اعتراض ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ (٩٨)﴾ بافعالهم ونيّاتهم ﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ فى سبيله ﴿قُرُبَاتٍ﴾ جمع قربة ثانى مفعول يتّخذ و﴿عِندَ اللهِ﴾ ظرفه ﴿وَ﴾ وسيلة الى

[1] - سورة النساء: ١٥٥، سورة الأعراف: ١٠١

﴿صَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ اى دعواته له ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ اى نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٩)﴾ تقرير للوعد بالأدخال فى الرّحمة ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ﴾ للتّبيين او التّبعيض ﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾ اى الّذين صلّوا الى القبلتين او شهدوا بدرا او من سبقوا فى الهجرة ﴿وَالْأَنصَارِ﴾ من سبقوا فى النّصرة ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ من القبيلتين او غيرهم الى يوم القيامة ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ وفى قرائة ابن كثير بزيادة من كما فى سائر المواضع ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يا اهل المدينة ﴿مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ كاسلم واشجع وغفار كانوا حول المدينة ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ منافقون ايضا فهو عطف على الخبر اى ممّن حولكم ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ استمروا عليه وصاروا ماهرين فيه ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ يا محمّد ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة والقتل فى الدّنيا او بأحدهما وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)﴾ اى عذاب النّار ﴿وَ﴾ قوم ﴿آخَرُونَ﴾ مبتدأ نعته ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التّخلّف وموافقة اهل النّفاق وخبره ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو ندمهم واعترافهم بالذنب ﴿وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو ما ذكرنا ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢)﴾ وهم ابو لبابة وجماعة وثقوا انفسهم فى سوارى المسجد لمّا بلغهم ما نزل فى المتخلّفين وحلفوا لا يحلّهم الاّ النّبى فقال لا احلّهم حتّى اومر فيهم فنزلت فحلّهم فاتوا بأموالهم ليتصدّق بها تطهيرا لهم عن التّخلف فابى فنزل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ اى ثلثها ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ عن الذّنوب او عن حبّها الّذى ادّاهم الى التّخلف ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ اى تنمى حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم واستغفر ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ تطمئنّ بها قلوبهم على قبول توبتهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)﴾ بندامتهم ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ اى المتوب عليهم ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ الصّحيحة ﴿عَنْ عِبَادِهِ﴾ عدّى بعن لتضمّنه معنى التّجاوز ﴿وَيَأْخُذُ﴾ يقبل ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ بأعترافهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلِ﴾ لهم او

للنّاس ﴿اعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فسيرى اللهُ عملكُمْ ورسُولُهُ والْمُؤْمنُون﴾ فانّه يطلعهم عليه ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾ بالمجازاة عليه ﴿وَآخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ مؤخرون موقوف امرهم ﴿لِأَمْرِ اللهِ﴾ فيهم ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بان يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ والتّرديد بالنّظر الى العباد اى امرهم بين الخوف والرّجاء عندكم وعلى اختلاف آرائكم ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ باحوالهم ﴿حَكِيمٌ (١٠٦)﴾ فيما يفعل بهم وهم الثّلاثة الآتون بعد مرارة بن الرّبيع وكعب بن مالك وهلال بن اميّة تخلّفوا كسلا لا نفاقا ولم يعتذروا الى النّبى كغيرهم فوقف امرهم خمسين ليلة وهجرهم النّاس حتى اخلصوا نيّاتهم فنزلت توبتهم بعد ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ عطف على آخرون مرجون وهم اثنى عشر من المنافقين بنوا مسجدا ﴿ضِرَارًا﴾ مضاراة وحسدا لمن بنو مسجدا قبا ودعوا النّبى فامّهم فيه ﴿وَكُفْرًا﴾ اى تقوية للكفر الّذى يضمرونه ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المجتمعين بقبا باذهاب بعضهم الى مسجدهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقّبا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهو ابو عامر الرّاهب ليأتى من الشّام فيأمّهم فيه فانّه قال للنّبى يوم احد لا اجد قوما قاتلك الاّ قاتلتك معهم فانهزم يوم حنين الى قيصر بالشّام ليأتى جنودا يحاربه فمات بقنّسرين وحيدا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ اى قبل بنائه فهو متعلّق بحارب ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ ببنائه ﴿إِلَّا﴾ الخصلة ﴿الْحُسْنَى﴾ من الذكر والصّلوة والتوسعة على المصلّين ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧)﴾ وكانوا سئلوا النّبى ان يأمّهم فيه فنهاه تعالى بقوله ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ للصّلوة فهدمه واتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ من ايّام وجوده وهو مسجد قبا ﴿أَحَقُّ أَنْ﴾ اى بان ﴿تَقُومَ﴾ يصلّى ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ وهم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ من الخصال الذّميمة طلبا لمرضاة الله ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ اى بنيان دينه ﴿عَلَى تَقْوَى﴾ مخافة ﴿مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ بنيان دينه ﴿عَلَى شَفَا﴾ طرف ﴿جُرُفٍ﴾ متآكل بالماء من جانب الوادى ﴿هَارٍ﴾ مشرف

على السقوط واراد به النّفاق والشّقاق الّذى بنوا عليه امر دينهم على سبيل الأستعارة بقرينة ما يقابله ورشّحها بما يلائم المستعار منه فقال ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ سقط مع بانيه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ وهو تمثيل للمسجدين المذكورين ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩)﴾ الى ما فيه صلاح ﴿لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا﴾ اى المسجد ﴿رِيبَةً﴾ شكًا ونفاقا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فانّه حملهم على بنائه وزاد بهدمه ﴿إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ قطعا بحيث لم يبق لها قابليّة الأدراك ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بنيّاتهم ﴿حَكِيمٌ (١١٠)﴾ فيما امر بهدم بنائهم ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ استعارة تمثيليّة لأثابة الله ايّاهم الجنّة على بذل انفسهم واموالهم فى سبيله والاّ فلا شراء منه تعالى لانه مالك الكلّ وبيّن ما لأجله الشراء بقوله ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا﴾ مصدر مؤكد لما دلّ عليه الشّرى فانّه فى معنى الوعد فلا حاجة الى تقدير فعل من لفظ المصدر ﴿عَلَيْهِ﴾ حال من ﴿حَقًّا﴾ تقدّم عليه وهو صفة وعدا وكذا مذكورا ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا﴾ اى افرحوا فيه التفات من الغيبة ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ فانّه اعظم للمطالب كما قال ﴿وَذَلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ﴾ عن كلّ معصيّة مبتدأ مع ما بعده وخبره محذوف اى هؤلاء من اهل الجنّة ايضا وان لم يجاهدوا ﴿الْعَابِدُونَ﴾ لله بالأخلاص ﴿الْحَامِدُونَ﴾ لنعمائه او فى كلّ حال ﴿السَّائِحُونَ﴾ الصّائمون ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ اى المصلّون ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ اتى بالعاطف للدلالة على انّه مع ما عطف عليه فى حكم خصلة واحدة كما اتى به للتّنبيه على انّ ما قبله مفصّل الفضائل وما بعده مجمله فى قوله ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ اى الموصوفين بالصفات المذكورة بالجنّة حذفت للتّعظيم ونزل فى استغفاره صلّى الله عليه وسلّم لعمّه ابى طالب واستغفار بعض الصّحابة لأبويه المشركين ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ ذوى قرابة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)﴾ بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على

جواز الاستغفار لهم قبل البيان اى ما داموا حيًا فانّه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع تعالى النّقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ اى وعد ابراهيم اباه باستغفر لك ربّى او ابوه ايّاه بانّى سآمن ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بالوحى اليه انّه لا يؤمن او بالموت على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ بترك الاستغفار له ثم بيّن ما حمله على الأستغفار له مع اذيته له بقوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ كثير التّضرّع كناية عن رقّة قلبه ﴿حَلِيمٌ (١١٤)﴾ صبور على الأذى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ للأسلام ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ من العمل فلا يتّقوه فيستحقّوا الأضلال وكانّه بيان عذر الرّسول فى ارادة استغفاره لعمّه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥)﴾ ومنه مستحق الأضلال والهداية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١١٦)﴾ فتوجّهوا اليه وتبرّوا عمّن عداه حتّى عن استغفار اقاربكم المشركين ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ من اذن المنافقين فى التّخلف وبراهم عن علقة الذنوب ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ اى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كان الرّجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد ويشربون العرق وينحرون البعير ويشربون ماء كرشه روى انّه شكى اليه عليه الصّلوة والسّلام فدعى بقصعة فيها ماء قليل فوضع يديه فيها فجعل الماء ينفجر من اصابعه العشرة حتى شربوا وسقوا فاخرج يداه فاذا الماء كما هو ووضع تمرا قليلا فى قصعة ايضا ودعى بالبركة فاستكفى النّاس وهم اكثر من ثلاثين الفا والتمر بحاله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ﴾ القوم ﴿يَزِيغُ﴾ يميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ عن اتباع الرّسول للشدّة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ اى على هذا الفريق بالثّبات او على النّبى واتباعه والتّكرير للتّاكيد ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧)﴾ ﴿وَ﴾ تاب ﴿عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ عن التّوبة عليهم وهم من عبّر عنهم بقوله وآخرون مرجون ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ اى مع رحبها وسعتها لأعراض النّاس عنهم بالكلية وهو مثل لشدّة الحيرة ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ قلوبهم

للغمّ والوحشة فلا يسعها سرور ولا انس ﴿وَظَنُّوا﴾ ايقنوا ﴿أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ﴾ من سخطه ﴿إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفّقهم للتّوبة ﴿لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ لمن تاب ولو عاد فى اليوم مأية مرة ﴿الرَّحِيمُ (١١٨)﴾ بالنّعم عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ بترك معاصيه ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ فى إيمانهم وعهودهم ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ﴾ حكم ﴿رَسُولِ اللهِ﴾ نهى بلفظ الخبر للمبالغة ﴿وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ اى لا يصونوا انفسهم عمّا لم يصن نفسه عنه من الشّدائد ﴿ذَلِكَ﴾ اى النّهى عن التّخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب انّهم ﴿لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلاَ نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلاَ مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَؤُونَ﴾ يدوسون ﴿مَوْطِئًا﴾ مكانا ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ وطئه ﴿وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً﴾ من قتل او اسر او نهب ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليجازوا عليه ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠)﴾ على احسانهم تعليل لكتب ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو تمرة ﴿وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بالسّير ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ﴾ ذلك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ﴾ به ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١)﴾ اى جزائه ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اى ما صحّ لهم ﴿لِيَنفِرُوا﴾ الى مهمّ من مهمّات الدّين من نحو غزو او طلب علم ﴿كَآفَّةً﴾ جميعا فانه يخلّ بالمعاش ﴿فَلَوْلاَ﴾ فهلاّ ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ قليلة ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ اى يكون معظّم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيص الأنذار بالذكر لانّه اهمّ ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢)﴾ عقاب الله بامتثال امره ونهيه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ اى الأقرب فالاقرب منهم ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة وصبرا على القتال اى اغلظوا عليهم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾ بالعون والحفظ ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾ اى من المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاء ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾ السّورة ﴿إِيمَانًا﴾ قال تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤)﴾ بنزولها لانّه سبب لزيادة كمالهم ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ كفر ﴿فَزَادَتْهُمْ

رِجْسًا﴾ كفرا بما مضموما ﴿إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ كفرهم بغيرها ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)﴾ لاستحكام ذلك فى قلوبهم ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ اى المنافقون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يبتلون باصناف البليات كالقحط والأمراض ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾ يعتبرون ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ غيظا لما فيها من عيوبهم وارادة للهرب يقولون ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ ان قمتم من حضرة الرّسول فان لم يرهم احد قاموا والاّ ثبتوا ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ من حضرته مخافة الفضيحة ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن الإيمان اخبار او دعاء ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٢٧)﴾ الحقّ لعدم تدبّرهم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ اى عربىّ مثلكم ﴿عَزِيزٌ﴾ شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ اى عنتكم اى مشقّتكم ولقائكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ ان تؤمنوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ﴾ شديد الرّحمة ﴿رَحِيمٌ (١٢٨)﴾ قدم الأبلغ لرعاية الفواصل ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ يكفينى شرّكم ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كالدليل عليه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)﴾ الجسم المحيط الّذى ينزل منه الأحكام ولذا خصّه عن ابىّ بن كعب آخر ما نزل لقد جائكم رسول الى آخر السّورة.

* * *

سورة يونس

مكية إلاّ (فإن كنت فى شك) الآيتين أو الثلاثة أو (ومنهم من يؤمن به) الآية وآيها مائة وتسع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرٰ﴾ متشابه ﴿تِلْكَ﴾ اى هذه الآيات الّتى فى السّورة واختيار صيغة البعيد للتّعظيم ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن والأضافة بمعنى من ﴿ٱلْحَكِيمِ (١)﴾ اى محكم اياته فهو فعيل بمعنى مفعول ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ اهل مكّة استفهام انكار للتّعجب والجار والمجرور حال من ﴿عَجَبًا﴾ خبر كان واسمها قوله ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ اى ايحائنا ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ فنى لا يُعْرَفُ بجاه ومال ورياسة ﴿أَنْ﴾ مفسّرة ﴿أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ كلّهم اذ قلّ احد ليس فيه ما ينبغى ان ينذر منه ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ اذ ليس للكفار ما يصحّ ان يبشروا به ﴿أَنَّ﴾ بانّ ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ اى سابقة و منزلة رفيعة سمّيت قدما لانّ السّبق بها واضافتها الى الصّدق لتحقّقها والتّنبيه على انّها تنال بصدق القول والنّية ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ الرّسول او القرآن وما جاء به الرّسول ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ (٢) إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الّتى هى اصول الممكانات ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ اى مقدارها والاّ فلا يوم حينئذ اذ لا شمس ولا سماء لم يخلقها فى لمحة لتعليم خلقه التّثبيت فى الأمور ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ بين الخلائق على مقتضى حكمته ﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ تقرير لعظمته وردّ لقولهم انّ آلهتهم تشفع لهم ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الموصوف بما مرّ ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾ وحّدوه بالعبادة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾ انّه المستحقّ للعبادة لا ماتعبدونه ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالبعث فاستعدّوا للقائه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لنفسه محذوف الفعل وجوبا لانّ ما قبله وعد ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكّد لغيره وهو ما دلّ عليه وعد

الله محذوف الفعل ايضا ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ بالانشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ بعدله او بإيمانه لانّه عدل ايضا وهو الأوجه بقرينة مقابلته مع قوله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ اى ذات ضياء ونور سمّيت ضياء مبالغة وكذا الحال فى قوله ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ وهو اعمّ من الضّوأ او هو ما بالعرض والضّوأ ما بالذّات فيكون تنبيها على انّ الشّمس نيّرة بذاتها والقمر بعرض مقابلة الشمس ﴿وَقَدَّرَهُ﴾ اى القمر خصّه بالذّكر لسرعة سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين كما سيأتى فى يٰسٓ[1] ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ اى حساب الأوقات من الأشهر والأيّام فى معاملاتكم ﴿مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا﴾ ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥)﴾ فانّهم المنتفعون بها ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذّهاب والمجئ والزّيادة والنّقصان ﴿وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من انواع الكائنات ﴿لَآيَاتٍ﴾ على وجوده تعالى وقدرته ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦) إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بالبعث لانكارهم له ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة لغفلتهم عنها ﴿وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ سكنوا اليها مقصرين همّهم على لذائذها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ دلائل وحدانيّتنا وبعثنا ﴿غَافِلُونَ (٧)﴾ لألتهائهم بحبّ العاجلة لا للأنكار كالفرقة الأولى فتغايرا ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨)﴾ من الشّرك والمعاصى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ بسببه الى سلوك سبيل تؤدّى الى الجنّة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ استيناف او خبر ثان ويتعلّق به ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ﴾ دعائهم ﴿فِيهَا سُبْحَانَكَ﴾ انّا نسبّحك تسبيحا ﴿اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ اى ما يحيى بعضهم بعضا ﴿فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ﴾ مخفّفة من المثقّلة ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠) وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ﴾ اى استعجالا كاستعجالهم اى تعجيله لهم

---

[1] – سورة يٰسٓ: ٣٩

﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ اى لأميتوا و اهلكوا ولكن لا يعجّل بل يمهلهم ﴿فَنَذَرُ﴾ نترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١)﴾ يتردّدون متحيّرين ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾ الكافر ﴿الضُّرُّ﴾ المرض والفقر ﴿دَعَانَا﴾ ملقيا ﴿لِجَنبِهِ﴾ اى مضطجعا ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ اى فى جميع الأحوال او اشارة الى اصناف الضار ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على كفره ﴿كَأَن﴾ مخفّفة اى كانه ﴿لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ﴾ اى كما زيّن له الدّعاء عند الضر والأعراض عند الرّخاء ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يا اهل مكّة ﴿لَمَّا﴾ حين ﴿ظَلَمُوا﴾ بالتكذيب والانهماك فيما لا ينبغى ﴿وَ﴾ قد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ اى الحجج الدالة على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ اى ما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وعلم الله موتهم على الكفر واللاّم لتأكيد النّفى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء والهلاك ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾ فنعاملكم على مقتضى اعمالكم ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات حال ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ اى المشركون المنكرون للبعث ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا﴾ ليس فيه ما ننكره ولا عيب آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ بجعل مكان آية لا نريدها آية اخرى ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ فضلا عن ان آت بغيره ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بتبديله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ غير ذلك ﴿مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم﴾ ﴿أَعْلَمُكُم بِهِ﴾ على لسانى ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ مقدار اربعين سنة ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ اى القرآن لا احدّثكم بشيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)﴾ انّه ليس من قبلى ﴿فَمَنْ﴾ استفهام انكار اى لا احد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشّريك والولد اليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ اى القرآن فكفر بها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (١٧) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ ان لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ ان عبدوه وهم الاصنام ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ﴾ الأصنام ﴿شُفَعَاؤُنَا عِندَ

الله﴾ فى مهمات الدّنيا او الآخرة ان يكن بعث ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ﴾ اى تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ من وجود شريك له استفهام انكار وتهكّم اى ما لا يعلمه من لا يخفى عليه شيء لا يكون تحقق له اصلا ﴿فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ حال من العائد المحذوف ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)﴾ به ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متفقين على الحقّ فى عهد آدم الى قتل قابيل هابيل او بعد الطّوفان ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ بالتّبات والكفر ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الفصل الى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ فى الدّنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)﴾ بأهلاك المبطل دون المحقّ ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمّد ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كما كان للأنبياء من نحو النّاقة والعصا ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ يعلم ما فيه مصلحة من انزال الآيات المقترحة وعدمه ﴿فَانتَظِرُوا﴾ لنزول ما اقترحتم ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٢٠)﴾ لما يفعل بكم لجحودكم هذه الآيات العظام واقتراح غيرها ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ كفار مكّة ﴿رَحْمَةً﴾ صحّة وسعة ﴿مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾ كمرض او قحط ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ بالتكذيب والأحتيال فى دفعها ﴿قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ منكم قد دبّر عتابكم قبل ان تدبّروا مكركم ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١)﴾ فلا يخفى عليهم فضلا عن ان يخفى علينا ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ﴾ السّفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فيه التفات عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانّه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ ليّنة ﴿وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة يكسر كلّ شيء ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ اى اهلكوا ﴿دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ اى الدّعاء بدل اشتمال من ظنّوا لانّ دعائهم من لوازم ظنّهم يقولون ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾ لانّ اثمه عليها ذلك ﴿مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تمتعون به قليلا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)﴾ بالجزاء عليه ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فى سرعة زوالها بعد اقبالها واغترار النّاس بها

﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ﴾ اشتبك ﴿بِهِ﴾ اى بسببه ﴿نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ﴾ من الزّروع والحشيش ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ بهجتها من النّبات ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ بالزهر اصله تزيّنت فادغم بعد قلب التاء زاء وزيد همزة الوصل ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ متمكّنين من تحصيل غلّتها ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ ضرب زرعها بمهلك ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾ اى زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالمحصود من اصله ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ﴾ لم ينبت زرعها ﴿بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ﴾ من المكاره وهى الجنّة ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ بالتوفيق ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥)﴾ دين الأسلام ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان المثوبة ﴿الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ على المثوبة تفضّلا كالنّظر الى وجهه ﴿وَلاَ يَرْهَقُ﴾ يغشى ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ غبرة فيها سواد ﴿وَلاَ ذِلَّةٌ﴾ هوان كما يرهق وجوه اهل النّار ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ اى الشّرك والمعاصى ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ عطف على للّذين احسنوا الحسنى لانّ المقدّم مجرور ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿عَاصِمٍ﴾ يعصمهم من سخطه ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾ حاصلة ﴿مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ حال من اللّيل والعامل اغشيت لانّه عامل موصوفه ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ اى الفريقين ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ الزموا ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ﴾ تاكيد للضمير المستتر فى الفعل المقدّر ليعطف عليه ﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ اى الأصنام ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ اى فرقنا بينهم وبين المؤمنين او الوصل الّتى كان بينهم ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ بعد ما انطقها الله ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨)﴾ قدّم المفعول للفاصلة ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ فانه العالم بكنه الحال ﴿إِنْ﴾ مخفّفة من المثقّلة ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ﴾ اى فى ذلك اليوم ﴿تَبْلُوا﴾ تختبر ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ من عمل فتعاين نفعه وضرّه ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ اى الى جزائه اياهم بما اسلفوا ﴿مَوْلاَهُمُ﴾ متولى امرهم ﴿الْحَقِّ﴾ الثّابت الدّائم ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)﴾ انّها آلهة ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ

مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالأَرْضِ﴾ بالنّبات ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الاسماع ﴿وَالأَبْصَارَ﴾ اى من يستطيع خلقهما او حفظهما من الآفات ﴿وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ اى امر الخلائق تعميم بعد تخصيص ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ اذ هو من الواضحات لا يقدرون انكاره ﴿فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١)﴾ عقابه ﴿فَذَلِكُمُ﴾ المتولى لهذه الأمور ﴿اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ استفهام انكار اى ليس بعد الحقّ وهو عبادة الله الاّ الضّلال فمن اخطأه وقع فى الضّلال ﴿فَأَنَّى﴾ كيف ﴿تُصْرَفُونَ (٣٢)﴾ عن الحق ﴿كَذَلِكَ﴾ كما حقّت الرّبوبيّة لله وانّهم مصرفون عن الحقّ ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ حكمه ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ تمرّدوا فى كفرهم ﴿أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (٣٣)﴾ بدل من كلمةُ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ﴾ جوابا عنهم فانّ لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا به ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣٤)﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدّليل ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج والتّوفيق للتّدبر ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ والهدى يتعدّى الى اثنين اوّلهما بنفسه وهو محذوف هنا فى الثّلثة وثانيهما امّا بالى لتضمّنه معنى الأنتهاء فيدلّ على ان مدخولها غاية الهداية و امّا باللاّم ليدلّ على انّه لا يتوجّه الى مدخوله الاّ لأجل ان يؤدى اليه كما هو شأن العلة والمعلول بها ولذلك عدى بها ما اسند الى الله ﴿أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّى﴾ اى لا يهتدى ﴿إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾ استفهام تقرير وتوبيخ اى الاوّل احقّ ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥)﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحقّ اتباعه ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ اى جميعهم فيما يعتقدون ويعبدون ﴿إِلاَّ ظَنًّا﴾ مستندا الى الخيال والتّقليد ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ اى العلم والأعتقاد الحقّ ﴿شَيْئًا﴾ من الأغناء فهو مفعول مطلق ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾ من اتباع الظّن والأعراض عن البرهان فيجازيهم عليه ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى﴾ اى افتراء ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ اى غيره ﴿وَلَكِن﴾ انزل ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب فهو نصب على العلّة وكذا

﴿وتفصيل الكتاب﴾ اى تبيين ما كتب الله وفرض من الأحكام والعقائد ﴿لا ريب﴾ شكّ ﴿فيه﴾ معترضة وقوله ﴿من ربّ العالمين (٣٧)﴾ متعلّق بتصديق او بأنزل ﴿أم﴾ بمعنى بل الأضرابيّة والهمزة الأنكاريّة اى بل أ ﴿يقولون افتراه﴾ محمّد ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ فى البلاغة وحسن النّظم على وجه الأفتراء فانكم مثلى فى العربيّة والفصاحة ﴿وادعوا﴾ للاعانة عليه ﴿من استطعتم﴾ ان تستعينوا به ﴿من دون الله إن كنتم صادقين (٣٨)﴾ انّه افتراء فلم يقدروا على ذلك قال تعالى ﴿بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ اى بالقرآن قبل ان يتدبروه ﴿ولمّا﴾ لم ﴿يأتهم تأويله﴾ اى عاقبة ما فيه من الوعيد لهم او لم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ آذانهم معانيه ﴿كذلك﴾ التّكذيب ﴿كذّب الّذين من قبلهم﴾ رسلهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظّالمين (٣٩)﴾ بتكذيب الرّسل اى آخر امرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء ﴿ومنهم﴾ اى بعض من مكذبى اهل مكّة ﴿من يؤمن به﴾ فى نفسه لكن يعاند او سيأمن به ويتوب عن كفره ﴿ومنهم من لا يؤمن﴾ فى نفسه لفرط غباوته او ابدا ﴿به﴾ بل يموت على كفره ﴿وربّك أعلم بالمفسدين (٤٠)﴾ اى المعاندين او المصرّين ﴿وإن كذّبوك﴾ اى اصرّوا على تكذيبك ﴿فقل لى عملى ولكم عملكم﴾ اى لكلّ جزاء عمله ﴿أنتم بريئون ممّا أعمل وأنا برىء ممّا تعملون (٤١)﴾ اى لا يؤاخذ كلّ منّا بعمل الآخر وهذا لا يقتضى حرمة القتال حتى تكون منسوخا بآية السّيف كما قيل نظرا الى ايهامها الأعراض عنهم ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ اذا قرأت القرآن لكن لا يقبلون كالأصمّ الّذى لا يسمع اصلا ﴿أفأنت تسمع الصّمّ﴾ اى تقدر على اسماعهم ﴿ولو كانوا﴾ مع الصّمم ﴿لا يعقلون (٤٢)﴾ اى لا تقدر على ذلك فتبرّ عنهم ولا تنفعل من اصرارهم وكذا الحال فى قوله ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ يعاينون دلائل نبوّتك ولكن لا يصدقون كالاعمى الّذى لا يشاهد محاسن صاحبه ﴿أفأنت تهدى العمى ولو كانوا﴾ مع عدم البصر ﴿لا يبصرون (٤٣)﴾ اى انعدم بصيرتهم ﴿إنّ الله لا يظلم النّاس شيئا﴾ بسلب حواسهم وعقولهم ﴿ولكنّ النّاس أنفسهم يظلمون (٤٤)﴾ بافسادها وتفويت منافعها

عليهم ﴿ويوم نحشرهم كأن﴾ مخففة اى كانهم ﴿لم يلبثوا﴾ فى الدّنيا او القبور ﴿إلاّ ساعة من النّهار﴾ اى يستقصرون لبثهم لهول ما يرون والجملة التّشبيهيّة حال من مفعول نحشرهم وكذا حال مقدّرة منه قوله ﴿يتعارفون بينهم﴾ اى يعرف بعضهم بعضا كما فى الدّنيا كانّهم لم يتفارقوا الاّ مدّة قليلة ثمّ ينقطع التعارف لشدّة الأهوال ﴿قد خسر الّذين كذّبوا بلقاء الله﴾ بالبعث ﴿وما كانوا مهتدين (٤٥)﴾ الى ما ينجيهم ليس من كلامهم بل كلام من الله للشهادة على خسرانهم والتّعجب ﴿وإمّا﴾ فيه ادغام نون ان الشّرطيّة فى ما الزّائدة فلذا اكّد ﴿نرينّك﴾ نبصرنّك ﴿بعض الّذى نعدهم﴾ من العذاب فى حيوتك كما وقع ببدر وجواب الشّرط محذوف اى فذاك ﴿أو نتوفّينّك﴾ قبل ان نريك ذلك الموعود ﴿فإلينا مرجعهم﴾ اى فنريكه فى الآخرة وهو جواب نتوفينك ﴿ثمّ الله شهيد على ما يفعلون (٤٦)﴾ اى مجاز عليه على انّه ذكر الشّهادة واراد نتجتها ولذلك رتّبها على الرّجوع بثمّ والاّ فهو شهيد عليهم حال الرّجوع وقبله فكيف يصحّ التّرتيب بها ﴿ولكلّ أمّة﴾ من الأمم الماضية ﴿رسول فإذا جاء رسولهم﴾ اليهم بالبينات فكذّبوه ﴿قضى بينهم﴾ اى بين الرّسول ومكذبيه ﴿بالقسط﴾ بالعدل من انجاء الرّسول واهلاك المكذّبين ﴿وهم لا يظلمون (٤٧)﴾ بتعذيبهم بغير ذنب فكذلك نفعل بهؤلاء ﴿ويقولون﴾ لكم استهزاء ﴿متى هذا الوعد﴾ بالعذاب ﴿إن كنتم صادقين (٤٨)﴾ فيه ﴿قل لا أملك لنفسى ضرّا ولا نفعا إلاّ ما شاء الله﴾ ان املكه فكيف املك لكم استعجال حلول العذاب ﴿لكلّ أمّة أجل﴾ مدّة معلومة لهلاكهم ﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون﴾ اى لا يتأخرون عنه ﴿ساعة ولا يستقدمون (٤٩)﴾ اى لا يتقدمون عليه فلا تستعجلوا فسيكون ﴿قل أرأيتم﴾ اخبرونى ﴿إن أتاكم عذابه﴾ الّذى تستعجلونه ﴿بياتا﴾ ليلا ﴿أو نهارا ماذا﴾ اىّ شيء مفعول ﴿يستعجل منه﴾ اى من العذاب وكلّه مكروه لا يلائم الأستعجال ﴿المجرمون (٥٠)﴾ اى المشركون اتى بالمظهر للدّلالة على انّهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجملة الأستفهام مفعول ارأيتم وجواب الشّرط الواقع

بينهما لتقرير معنى الأستخبار محذوف من جنسه ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿وَقَعَ﴾ حلّ بكم ﴿مِنْهُ﴾ اى العذاب والهمزة لأنكار التّاخير قيل لهم ﴿آلآنَ﴾ تؤمنون ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١)﴾ استهزاء ﴿ثُمَّ قِيلَ﴾ عطف على قيل المقدّر ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ اى لهم ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الّذى تخلدون فيه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلاَّ﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢)﴾ من الكفر والمعاصى ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ اى ما تقول من الوعيد وادّعاء النّبوة ﴿قُلْ إِى﴾ بمعنى نعم لكنّه يلزم القسم بعده كما هنا ﴿وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٥٣)﴾ اى فائتين العذاب ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ بالشّرك او التّعدى على الغير ﴿مَا فِى الأَرْضِ﴾ من الأموال ﴿لاَفْتَدَتْ بِهِ﴾ اى جعلته فدية لها من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لعدم القدرة على النّطق من هول ما رأوا ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ اى بين الخلائق ﴿بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (٥٤)﴾ شيئا ﴿أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ﴾ فيقدر على الأثابة والعقاب ﴿أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ ما وعد منهما ﴿حَقٌّ﴾ ثابت لا خلف فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحْىِ وَيُمِيتُ﴾ فى الدّنيا فيقدر عليها فى العقبى ايضا ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦)﴾ فى الآخرة فيجازيكم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ اى كتاب فيه بيان محاسن اعمالكم وقبائحها ﴿وَشِفَآءٌ﴾ دواء ﴿لِّمَا فِى الصُّدُورِ﴾ من الشّكوك والعقائد الفاسدة ﴿وَهُدًى﴾ الى الحقّ ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)﴾ بما خرجوا من ظلمات الضّلال الى نور الإيمان وتبدلت مقاعدهم من النّيران بدرجات الجنان ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ اى الاسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ اى القرآن او بالعكس او كلاهما عبارة عنه متعلّق بفليفرحوا المفسّر بقوله ﴿فَبِذَلِكَ﴾ الفضل والرّحمة ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ والتّكرير للتّأكيد والبيان بعد الأجمال فانّه اوقع فى النّفس ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)﴾ من الدّنيا فانّه سريع الزّوال ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾ اخبرونى ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ اى خلق عبّر بانزل بأعتبار انّه مقدّر فى السّماء محصّل بأسباب منها ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَلاً﴾ اى فبعّضتموه اليهما كما قلتم فى البحيرة والسّائبة والميتة ﴿قُلْ﴾ كرّر

للتّأكيد وقوله ﴿آللّٰهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ فى تبعيضه ﴿أَمْ عَلَى اللّٰهِ تَفْتَرُونَ (٥٩)﴾ فى نسبة ذلك اليه مفعول ثان لارأيتم ﴿وما﴾ اىّ شيء مبتدأ خبره ﴿ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ايحسبون انّه تعالى لا يعاقبهم منصوب بنفس الظّن ﴿إِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بأمهالهم وارسال الرّسل وانزال الكتب ﴿وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠)﴾ هذه الفضل ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمّد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ امر ﴿وما تَتْلُو مِنْهُ﴾ اى من الشّأن ﴿مِن قُرْآنٍ﴾ حال من الضّمير لانّ تلاوة القرآن من معظّم شأونه عليه السّلام ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ تعميم للخطاب وذكر ما يعمّ الجليل والحقير اى العمل بعد تخصيصه بمن هو رأسهم وذكر ما فيه فخامة اى الشّأن ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء مطلعين عليه ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ تخوضون ﴿فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن﴾ زائدة ﴿مِّثْقَالِ﴾ اى موازن ﴿ذَرَّةٍ﴾ نملة صغيرة او هباء ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ قدّمها لانّ الكلام فى حال اهلها ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ﴾ اسم لا ﴿مِن ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١)﴾ اى اللّوح المحفوظ خبر لا والجملة استيناف مقرّر لما قبله ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّٰهِ﴾ الّذين يتولونه بالطّاعة ويتولاّهم بالكرامة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾ لفوات مأمول كمجمل مفسّر بقوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)﴾ مبتدأ خبره ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما وعدهم فى كتابه على لسان نبيّه والرّايا الصّالحة والمكاشفة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بالجنّة والثّواب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّٰهِ﴾ لا خلف لمواعيده ﴿ذٰلِكَ﴾ البشرى المذكور ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك لست مرسلا وغيره ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا﴾ استيناف بمعنى التّعليل للنّهى ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ (٦٥)﴾ بنيّاتهم فيجازيهم وينصرك عليهم ﴿أَلَا إِنَّ لِلّٰهِ مَن فِي السَّمٰوٰتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ من الملائكة والثّقلين عبيدا لا يصلح احد منهم مع كونهم اشرف الممكنات ان يشاركه فى الرّبوبيّة فكيف يصح لها ما لا شرف له ولا عقل له اصلا فهو كالدّليل على قوله ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّٰهِ شُرَكَاءَ﴾ على الحقيقة وان سمّوها بذلك ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾

فى ذلك ﴿إِلاَّ الظَّنَّ﴾ اى ظنّهم انّهم آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (٦٦)﴾ يكذبون فى ذلك ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ على وحدانيّته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧)﴾ سماع تدبّر واعتبار ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عن الولد وعلّله بقوله ﴿هُوَ الْغَنِىُّ﴾ عن كلّ احد وانّما يطلب الولد من يحتاج اليه ﴿لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ﴾ تقرير لغناه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿سُلْطَانٍ﴾ حجة ﴿بِهٰذَا﴾ الّذى تقولونه متعلّق بسلطان لانّه فى الأصل مصدر ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٦٨)﴾ استفهام توبيخ ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة الولد والشّريك اليه ﴿لاَ يُفْلِحُونَ (٦٩)﴾ اى لا يفوزون بالسّعادة ولا ينجون من العذاب لهم ﴿مَتَاعٌ﴾ اى تمتّع ﴿فِى الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠) وَاتْلُ﴾ يا محمّد ﴿عَلَيْهِمْ نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ وبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ عظم وشقّ ﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِى﴾ قيامى فيكم للدّعوة ﴿وَتَذْكِيرِى﴾ وعظى اياكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾ اى اعزموا على امر تفعلونه بى ﴿وَشُرَكَائَكُمْ﴾ الواو بمعنى مع ﴿ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾ فى قصدى ﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ اى مستورا بل اظهروه وجاهروني به ﴿ثُمَّ اقْضُوا﴾ ادّوا ﴿إِلَىَّ﴾ ما اردتم بى ﴿وَلاَ تُنظِرُونِ (٧١)﴾ تمهلون فانّى لا ابالى بكم ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ اعرضتم عن تذكيرى فتولّوا ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ حتّى يفوتنى لتوليكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِىَ﴾ ثوابى ﴿إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)﴾ اى المنقادين لحكمه ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ اى اصرّوا على تكذيبه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ من الغرق ﴿فِى الْفُلْكِ﴾ اى السّفنة وكانوا ثمانين نصفهم ذكور ونصفهم اناث ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ﴾ فى الأرض ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطّوفان ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣)﴾ من اهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذّبك ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ اى بعد نوح ﴿رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كابراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ اى المعجزات

الواضحة ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ اى ما استقام لهم ان يؤمنوا ﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾ اى بسبب تعوّدعم تكذيب الحقّ قبل بعثة الرّسل اليهم ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤)﴾ لانهماكهم فى الضّلال فلا تقبل الإيمان ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ اى بعد هؤلاء الرّسل ﴿مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾ التّسع ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن اتّباعهما ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥)﴾ معتادين الأجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربّهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ وعرفوه ﴿قَالُوا﴾ لفرط تمردّهم ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٦)﴾ بيّن ظاهر انّه سحر ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ انّه لسحر حذف لدلالة ما قبله عليه ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ استيناف لأنكار ما قالوا ﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧)﴾ وقد افلح من اتى بهذا وابطل سحر السّحرة ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ تصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ الملك ﴿فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)﴾ مصدّقين فيما جئتنا به ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩)﴾ حاذق فيه ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ بعد ما سئلوه عمّن يلقى اوّلا ﴿أَلْقُوا مَا أَنتُمْ مُلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حبالهم وعصيّهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا﴾ الّذى ﴿جِئْتُم بِهِ﴾ هو ﴿السِّحْرُ﴾ لا ما سماه فرعون وقومه سحرا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ﴾ يقوى ﴿عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ﴾ يثبت ﴿اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ بأوامره وقضاياه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢)﴾ ذلك ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى﴾ فى اوّل امره ﴿إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ﴾ اولاد ﴿مِنْ﴾ اولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ اى طائفة من شبان بنى اسرائيل وامّا هم فلم يجيبوه خوفا من فرعون ﴿عَلَى﴾ مع ﴿خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ اى ملأ فرعون لكن جمع الضّمير على ما هو المعتاد فى ضمير العظماء ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ يعذّبهم فرعون مفعول خوف ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ غالب ﴿فِي الأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣)﴾ فى الكبر حتّى ادعى الرّبوبيّة ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لمّا رأى خوف المؤمنين منه ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤)﴾ متسلمين لقضاء

الله ﴿ ... ﴾ اى موضع فتنة ﴿ ... ﴾
اى لا تسلّطهم علينا فيفتنوا ﴿ ... ﴾ وفى تقديم
التّوكل على الدّعاء تنبيه على انّ الدّاعى ينبغى له ان يتوكّل اوّلا لتجاب دعوته
﴿ ... ﴾ اتخذا ﴿ ... ﴾ تسكنون فيها
﴿ ... ﴾ قبلة وقومكم ﴿ ... ﴾ مصلّى ﴿ ... ﴾ فيها لتأمنوا من
خوف الأذى وافتنانه غير الدّين ﴿ ... ﴾ بالنّصر فى الدّنيا والجنّة فى
العقبى فى الضّمير اوّلا لانّ النّبوّ ممّا يتولاه رؤساء القوم ثمّ جمع لانّ جعل البيوت
مصلّى واضبوذ فيها ممّا يعمّ ان يفعله كلّ احد ثمّ وحّد لانّ البشارة فى الأصل وظيفة
صاحب الشّريعة ﴿ ... ﴾ ما يتزيّن به من
اللّباس والمركب ونحوهما ﴿ ... ﴾ اى انواعا من المال ﴿ ... ﴾
اللاّم لمعاقبة متعلّقه بآتيت اى آتيتهم ذلك وعاقبتهم الضّلالة ﴿ ... ﴾ دينك
﴿ ... ﴾ اى امحها واهلكها ﴿ ... ﴾ اى اقسها واطبع
عليها ﴿ ... ﴾ جواب للدّعاء وكان يؤمّن هارن على
دعائه ﴿ ... ﴾ تعالى ﴿ ... ﴾ على الرّسالة والدّعوة حتّى ينزل
فيه ما طلبته ﴿ ... ﴾ فى الأستعجال او عدم
الوثوق بوعد الله روى انّه مكث فيهم بعد الدّعاء اربعين سنة ﴿ ... ﴾
﴿ ... ﴾ اى جاوزناهم فى البحر فالباء زائدة ﴿ ... ﴾
﴿ ... ﴾ منصوب له اى للبغى والعدو ﴿ ... ﴾ لحقه ﴿ ... ﴾
بانّه ﴿ ... ﴾ كرّر ليقبل منه
فلم يقبل لكونه حال يأس وذهاب اختيار خلافا لمن حكم بقبول ايمانه روى انّه دسّ
جبرائيل فى فيه من حمأة البحر خوف ان تناول الرّحمة وقال له ﴿ ... ﴾ اى أتؤمن الآن
حين آيست ﴿ ... ﴾ مدّة عمرك ﴿ ... ﴾ الضّالين

المضلّين عن الإيمان ﴿ ... ﴾ تضحك فقط من فعل السحر على وجوهه متشبه ﴿ ... ﴾ جسدك عاريا عن الروح ﴿ ... ﴾ اى فى يأتى بعدك من القرون او لبنى اسرائيل اذ كان تخيّل لهم انّه لعظمته لا يهلك وقد يصدقوا انّه غرق حتّى عاينوه ﴿ ... ﴾ عبرة ﴿ ... ﴾ لا يعتبرون بها ﴿ ... ﴾ انزلنا ﴿ ... ﴾ مثل كرامة وهو الشّاة ومصر ﴿ ... ﴾ اى اللّذائذ ﴿ ... ﴾ فى امر دينهم بان امن بعض وكفر بعض ﴿ ... ﴾ بأحكامه من التّورية ﴿ ... ﴾ من امر الدّين بإخفاء المحقّين وتعذيب المبطلين ﴿ ... ﴾ يا محمّد ﴿ ... ﴾ من القصص فرض ﴿ ... ﴾ يعنى اهل الكتاب فانّه ثابت فى كتبهم محقّق عندهم قال ﷺ: «لا شكّ ولا اسئل»[1] ﴿ ... ﴾ تشكّن فيه بالتّزلزل عن يقينك ﴿ ... ﴾ والمراد من هذه كلّها تهييج الرّسول وزيادة تثبيته وقطع أطماع عنه لا مكان وقوع الشّك منه اذ قد سمعت ما قال ﴿ ... ﴾ ثبتت ﴿ ... ﴾ بالموت على الكفر والعذاب ﴿ ... ﴾ لأمتناع الخلف فى كلامه وقضائه ﴿ ... ﴾ حتّى يرى حتّى يرى ﴿ ... ﴾ و حينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون ﴿ ... ﴾ حرف تحضيض بمعنى هلاّ لكنّه متضمن معنى النّفى فيكون للاستثناء لأتى منفصلا كانّه قال ما ﴿ ... ﴾ نافية بمعنى وجدت ﴿ ... ﴾ اى اهل قرية من القرى الّتى اهلكنا ﴿ ... ﴾ قبل نزول العذاب بها وبعد معاينة آماراته صفة قرية ويعطف عليه ﴿ ... ﴾ بان يقبله الله ويكشف عنها العذاب ﴿ ... ﴾ من يونس ﴿ ... ﴾ الموصل كذبوه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث ﴿ ... ﴾ عند ما رأوا امارة العذاب من

---

[1] مصنف عبد الرزاق ٦/١٩٦

الغيم الاسود الّذى غشى مدينتهم ولم يؤخروا الى حلوله وكان ذلك فى عاشوراء يوم الجمعة ﴿كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (٩٨)﴾ اى الى انقضاء آجالهم ﴿ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين على الإيمان غير مختلفين فيه ﴿أفأنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ بما لم يشأ الله منه ﴿حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾ وفى ترتيب الأكراه على المشية بالفاء وادخال همزة الأنكار وتقديم الضّمير على الفعل دلالة على انّ خلاف المشيّة مستحيل لا يمكن تحصيله بالأكراه عليه فضلا عن الحثّ والتعريض عليه كما كان يفعل عليه السّلام وقرّر ذلك بقوله ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ اى بأرادته وتوفيقه فلا تتعب نفسك ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ (١٠٠)﴾ اى لا يتدبّرون الحجج والآيات ﴿قُلِ انظُرُوا﴾ تفكّروا يا اهل مكّة ﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ من عجائب صنعه ودلائل وحدانيّته ﴿وَمَا﴾ نافية او استفهامية فى موضع النّصب ﴿تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ جمع نذير اى الرّسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾ فى علم الله ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الامم اى مثل وقائعهم من العذاب ﴿قُلْ فَانتَظِرُوا﴾ ذلك ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنجِّي﴾ عطف على محذوف دلّ عليه الاّ مثل ايّام الّذين اى تهلك الأمم ثمّ ننجى ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بهم على حكاية الحال الماضية ﴿كَذَلِكَ﴾ الأنجاء حق ﴿حقًّا عَلَيْنَا﴾ اعتراض ﴿نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ محمّدا واصحابه حين تعذيب المشركين ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ اى اهل مكّة ﴿إِنْ كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ وصحّته ﴿فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ اى الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقبض ارواحكم خصّه بالذّكر للتّهديد ﴿وأُمِرْتُ أَنْ﴾ اى بان ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤)﴾ بما دلّ عليه العقل ونطق به الوحى ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ عطف على ان اكون اى وامرت بالأستقامة فيه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا اليه حال من الوجه ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ﴾ ان عبدته ﴿وَلاَ

يضرُّك﴾ ان لم تعبده ﴿فإن فعلْت﴾ ذلك فرضا ﴿فإنّك إذًا من الظّالمين (١٠٦) وإن يمْسسْك﴾ يصبك ﴿اللّهُ بضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فلا كاشف﴾ دافع ﴿لهُ إلاّ هُو وإنْ يُرِدْك بِخَيْرٍ فلاَ رآدّ﴾ دافع ﴿لفضْله﴾ الّذى ارادك به ولأختلاف الأسلوبين نكة فى القاضى فراجعه ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ اى بالخير ﴿منْ يشاءُ منْ عباده وهُو الْغفُورُ﴾ فلا تيأسوا عن غفرانه بالمعصية ﴿الرَّحِيمُ (١٠٧)﴾ فتعرّضوا لرحمته بالطّاعة ﴿قُلْ يا أيُّها النّاسُ﴾ اى اهل مكّة ﴿قدْ جاءكُمُ الْحقُّ منْ ربّكُمْ فمن اهْتدى﴾ بالمتابعة ﴿فإنّما يهْتدى لنفْسه﴾ لانّ نفع اهتداله له ﴿ومنْ ضلّ﴾ بالأعراض ﴿فإنّما يضلُّ عليْها﴾ لانّ وبال ضلاله عليها ﴿وما أنا عليْكُمْ بِوكِيلٍ (١٠٨)﴾ فاجبركم على الهدى وانما انا بشير ونذير ﴿واتّبِعْ ما يُوحى إليْكَ واصْبِرْ﴾ على الدّعوة واذاهم ﴿حتّى يحْكُم اللّهُ﴾ فيهم بامره ﴿وهُو خيْرُ الْحاكِمِينَ (١٠٩)﴾ اذ لا يمكن الخطأ فى حكمه لانّه يعلم السّرائر كالظّواهر وقد صبر حتّى حكم على المشركين بالقتال واهل الكتاب بالجزية.

* * *

سورة هود

مكّية إلاّ (اقم الصلوة) الآية و(اولئك يؤمنون به) الآية
وآيها مائة وثلاث وعشرين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر﴾ متشابه، هذا ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ بعجيب النّظم وبديع المعانى ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ زيّنت بالفرائد الّتى هى الأحكام والقصص والمواعظ كما زيّنت القلائد بالفرائد وثمّ للتّراخى فى الرّتبة لانّ التّفصيل ادخل فى المدح بالنّسبة الى الأحكام ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١)﴾ متعلّق باحكمت او فصّلت ﴿أَنْ﴾ لان ﴿لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب على الشّرك ﴿وَبَشِيرٌ (٢)﴾ بالثّواب على الإيمان ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشّرك عطف على ان لا تعبدوا ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطّاعة ﴿يُمَتِّعْكُمْ﴾ فى الدّنيا ﴿مَتَاعًا حَسَنًا﴾ من طيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ اى آخر اعماركم المقدّرة ﴿وَيُؤْتِ﴾ فى الدّارين ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ فى دينه ﴿فَضْلَهُ﴾ اى جزاء فضله ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ اى تعرضوا فيه حذف احدى التّائين ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣)﴾ وهو يوم القيامة ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ فى ذلك اليوم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)﴾ فيقدر على تعذيبكم ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ اى يعرضون عن الحقّ وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النّبى ﴿لِيَسْتَخْفُوا﴾ علّة لمقدّر اى يريدون ليستخفوا ﴿مِنْهُ﴾ اى من الله سرّهم فلا يطلعكم عليه ﴿أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطّون بها ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ فى قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأفواههم فكيف يخفى عليه ما كاد يظهرونه وقيل نزلت فيمن كان يستحى ان يجامع فى الخلوة فيفضى الى السّماء ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥)﴾ اى بما فيها من الأسرار ولمّا اثبت كونه عالما بسرّهم وعلانيّتهم اردفه بما

يدلّ على كونه عالما بجميع المعلومات من كونه رازق كلّ حيوان مع اختلاف طبايعها واغذيتها وذلك ليس الاّ لكمال علمه بجميع المعلومات فقال: ﴿وَمَا مِنْ﴾ زائدة ﴿دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ﴾ المراد كلّ ما دبّ عليها كما فى أصل اللّغة وان خصّها العرف العامّ بذات القوائم الأربعة وعرف العرب بالفرس ﴿إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ تكفّل به فضلا منه وانّما اتى بلفظ على الّتى للوجوب تحقيقا لوصوله وحملا للعباد على التوكّل فيه ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مكانها فى الدّنيا او الصّلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعد الموت او فى الرّحم ﴿كُلٌّ﴾ ممّا ذكر ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦)﴾ بين وهو اللّوح المحفوظ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى﴾ متن ﴿الْمَاءِ﴾ قبل خلقهما فكان الماء اوّل حادث بعد العرش وقيل كان الماء على متن الرّيح ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلّق بخلق اى خلقهما وما فيهما منافع ومصالح لكم ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ اى ليعاملكم معاملة المختبر والاّ فهو مطّلع على عواقب الأمور لا حاجة له اليه فالكلام استعارة تمثيليّة ولمّا بيّن انّه خلق العالم لأمتحان المكلّفين اقتضى ذلك نشئة اخرى بالبعث للجزاء بالثّواب والعقاب فخاطب نبيّه بقوله ﴿وَلَئِنْ﴾ لام توطئة القسم ﴿قُلْتَ﴾ لهم يا محمّد ومقول القول ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ﴾ جواب القسم ساد مسدّ جواب الشّرط ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القول بالبعث او القرآن النّاطق به ﴿إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)﴾ هذا نوع من اباطيلهم وذكر نوعا آخر منها بقوله ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ الموعود ﴿إِلَى أُمَّةٍ﴾ جماعة من الأوقات ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قليلة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ استهزاء ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ يمنعه من النّزول ﴿أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ كيوم بدر منصوب بمصروفا فى قوله ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعا ﴿عَنْهُمْ وحاقَ﴾ احاط عبر عن المستقبل بالماضى تحقيقا ومبالغة فى التهديد ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨)﴾ من العذاب ولمّا ذكر انّ عذابهم وان تأخر فهو نازل بهم البتّة ذكر ما يدلّ على استحقاقهم له فقال ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ مطلقا او الكافر المذكور سابقا على انّ اللاّم للعهد ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة كغنى وصحّة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ﴾ قنوط من رحمة الله

﴿كَفُورٌ (٩)﴾ مبالغ فى كفران ما كان به من النّعمة ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ اى المصائب الّتى سألتنى ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ بطر مغترّ بالنّعمة ﴿فَخُورٌ (١٠)﴾ على النّاس لا يشكرها ولا يقوم بحقّها لعدم توقّع زوالها ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضّراء استسلاما لقضاء الله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فى النّعماء شكرا لها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١)﴾ اقلّه الجنّة والأستثناء متّصل على الأحتمال الأوّل من احتمالى الأنسان ومنقطع على الثّانى ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمّد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ فلا تبلّغهم ايّاه مخافة رده والأستهزاء به لمخالفته لرأيهم وتوقّع الخيانة المفهوم من لعلّ لوجود ما يدعو اليها لا يستلزم وقوعها حتّى يرد انّ خيانة الرّسول فى الوحى ترفع الوثوق من احكامه وتبطل فائدة رسالته لجواز ان يمنع عنها مانع هو عصمة الله الرّسل عنها ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ عطف على تارك عدل عن ضيّق اليه لانّ المقام مقام الحدوث لا الثّبوت والمعنى عارض لك ضيق صدر احيانا بتلاوته عليهم مخافة ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾ نفعة فى الأستتباع كالملوك ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدّقه ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ فلا عليك الاّ البلاغ لا الأتيان بما اقترحوا فلم يضيق به صدرك ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢)﴾ فيجازيهم ﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى بل الأضرابيّة والهمزة الأنكاريّة فهو اضراب عن ضيق صدر الرّسول بقولهم الى انكار قولهم هذا ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ اى القرآن الموحى ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ فى حسن النّظم والبلاغة وتوحيد المثل لجواز الأفراد ومطابقة الموصوف فيه او بأعتبار كلّ واحد ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ فانّكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ما اقدر تحداهم اوّلا بها ثمّ لمّا عجزوا تحدّاهم بسورة كما فى مواضع آخر[1] ﴿وَادْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣)﴾ فى انّه مفترى ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ من دعوتم للمعاونة ﴿فَاعْلَمُوا﴾ ايّها المشركون ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ﴾ ملتبسا ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ ليس افتراء عليه ﴿وَ﴾ اعلموا ﴿أَنْ﴾ مخفّفة

[1] – سورة يونس: ٣٨

اى انه ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لظهور عجز آلهتكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)﴾ داخلون فى الأسلام بعد هذه الحجّة القاطعة اى اسلموا ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ باحسانه وهم المراؤن وقيل هى فى المشركين او المنافقين ﴿نُوَفِّ﴾ نوصل ﴿إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ اى جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ اى فى الدّنيا بان نوسّع رزقهم ونزقهم الصّحة والرّياسة والأولاد ﴿وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ (١٥)﴾ ينقصون شيئا من اجورهم ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ بسبب اعمالهم الرّيائية ﴿إِلاَّ النَّارُ﴾ الاّ ان يتجاوز الله عنهم وامّا المشركون والمنافقون فلا تجاوز عنهم ﴿وَحَبِطَ﴾ بطل ﴿مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ اى فى الآخرة فلم يبق لهم ثواب اذ لم يريدوا به وجه الله ﴿وَبَاطِلٌ﴾ فى نفسه ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ برهان ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ يدله على الحقّ والصّواب من المؤمنين المخلصين ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ اى يتبع ذلك البرهان العقلىّ ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ اى من الله يشهد بصحّته وهو القرآن او البرهان القرآن والشّاهد جبرائيل ويتلوا من التّلاوة ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ اى قبل القرآن ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾ اى التّورية شاهد صدق من الله له ايضا ﴿إِمَامًا﴾ كتابا مأتمّا به فى الدّين فهو حال من كتاب موسى وكذا ﴿وَرَحْمَةً﴾ على من انزل عليهم وخبر من محذوف اى كمن كان يريد الحيوة الدّنيا ﴿أُوْلَئِكَ﴾ اى من كان على بيّنة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ اى بالقرآن فلهم الجنّة ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ اى جميع الكفّار جمع حزب بمعنى الجماعة ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ مكان وعده يردها لا محالة ﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شكّ ﴿مِنْهُ﴾ من الموعد او القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ اى اهل مكّة ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ (١٧)﴾ لقلّة نظرهم ﴿وَمَنْ﴾ استفهام انكار اى لا احد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بان نسب اليه نحو شرك او ولد ممّا لم يقم عليه حجّة او ينفى عنه ما قامت به ﴿أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ فى الموقف مع جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴾ من الملائكة والنّبيّين او من جوارحهم جمع شاهد او شهيد ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ اى دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ اى

يطلبون لأهل السّبيل على حذف للضاف ﴿عِوَجًا﴾ عن الحقّ بالرّدة او يصفونها بالإعوجاج والانحراف عن الحقّ على طريق اطلاق اسم السّبب على المسبّب ﴿وَ﴾ حال ﴿هُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَافِرُونَ (١٩) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الأَرْضِ﴾ عن ان يعاقبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ انصار يمنعهم من عذابه لكنّه اخّره الى هذ اليوم ليكون اشدّ وادوم ﴿يُضَاعَفُ﴾ استيناف ﴿لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ لأضلالهم غيرهم او لقوله ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ للحقّ ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠)﴾ الحقّ اى لفرط كراهتهم له كانّهم لم يستطيعوا ذلك فهو استعارة تصريحيّة تبعيّة بناء على تشبيه اعراضهم عن استماعه وبغضهم له بعدم الأستطاعة فلا يكون نفيا للاستطاعة حتّى يكون خلاف ما عليه جمهور المتكلّمين من اثبات الاستطاعة للعبد ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بعرضها للهلاك الأبدىّ ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١)﴾ على الله من دعوى الشّريك وشفاعته ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ (٢٢)﴾ لا احد اكثر خسرانا منهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾ سكنوا واطمانّوا او انابوا ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ الكفّار والمؤمنين اى حالهما وصفتهما العجيبة ﴿كَالأَعْمَى﴾ اى كمثل الاعمى ﴿وَالأَصَمِّ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ اى الفريقان ﴿مَثَلاً﴾ صفة وحالا ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (٢٤)﴾ بأدغام التّاء فى الدّال اى تتعظون بضرب الأمثال ثمّ بدأ تعالى بما هو عادته من اتّباع دلائل الوحدانية والنبوّة بالقصص لتاكيد الدّلالة فقال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي﴾ بانّى ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥)﴾ ابيّن لكم ما هو الصّواب ﴿أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ﴾ بدل من انّى لكم او مفعول مبين ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦)﴾ فى الدّنيا والآخرة ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الاشراف ﴿مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ لا فضل لك علينا حتّى نخصّك بالنبوة ونطيعك ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ اى اسافلنا كالحاكة والاساكفة جمع ارذل جمع رذل ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ اى ابتداء

من غير تفكّر فيك ونصبه على الظّرف لاتّبعك على حذف المضاف اى وقت حدوث اوّل رأيهم ﴿وما نرى لَكُمْ﴾ لك ولمن اتّبعك ﴿علينا من فضْلٍ﴾ تستحقون به الأتباع ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧)﴾ ايّاك فى دعوى الرّسالة وايّاهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبرونى ﴿إِن كُنتُ على بَيِّنَةٍ﴾ حجّة على صدقى ﴿مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ بأتيان النّبوة ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ اخفيت كلّ واحدة من البيّنة والرّحمة ﴿عَلَيْكُمْ﴾ فلم تدركوها ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ انجبركم على قبولها ﴿وأَنتُمْ لها كارِهُونَ (٢٨)﴾ لا تختارونها ولا تتمّلون فيها اى لا نقدر على ذلك ﴿ويا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عليْهِ﴾ على تبليغ الرّسالة المعلوم ممّا تقدّم ﴿مالًا﴾ تعطونيه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلاَّ على الله وما أنا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كما امرتمونى ﴿إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾ فيخاصمون من يطردهم ﴿ولكنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩)﴾ فى التماس طردهم ﴿ويا قَوْمِ مَنْ ينصُرُنِي﴾ بمنعنى ﴿مِن اللهِ﴾ اى عذابه ﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ اى لا ناصر لى ﴿أَفلا تذَكَّرُونَ (٣٠)﴾ تتّعظون لتعرفوا انّ توقيف الإيمان على طردهم ليس بصواب ﴿ولا أَقُولُ لَكُمْ عندى خزائِنُ اللهِ﴾ حتى جحدتم فضلى ﴿ولا﴾ اقول انا ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ حتى تكذّبونى فهو عطف على عندى ﴿ولا أَقُولُ إِنِّي ملَكٌ﴾ حتى تقولوا ما انتم الاّ بشر مثلنا ﴿ولا أَقُولُ لِلَّذِينَ تزْدرِي﴾ اى فى شأن من تستحقرهم ﴿أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بما فى أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا﴾ ان قلت ذلك ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١) قالُوا يا نُوحُ قَدْ جادلْتَنا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدالَنا فأْتِنا بما تَعِدُنا﴾ به من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ من الصَّادِقِينَ (٣٢)﴾ فيه فان مناظرتك لا تؤثر فينا ﴿قال إِنَّما يأْتِيكُم به اللهُ إِنْ شاءَ﴾ عاجلا او آجلا فان امره اليه لا الىّ ﴿وما أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣)﴾ بفائتين الله بالدّفع او الهرب ﴿ولا ينفعُكُمْ نُصْحِي﴾ دالّ على جواب قوله ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصح لَكُمْ﴾ والجملة دالّ على جواب ﴿إِنْ كان اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ والتّقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى فهو مسئلة اعتراض الشّرط على الشرط وفى مثله يكون الجزاء للشرط الاوّل واقعا عند وقوعه لكن

بشرط حصول الشّرط الثّانى فلا يتحقّق الاّ عند وجود الشّرط الاوّل بعد وجود الشّرط الثّانى لا قبله ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ منصرّف فيكم وفق ارادته ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤)﴾ فيجازيكم على اعمالكم ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ ام منقطعة للاضراب عمّا قال نوح فى جواب قومه الى انكار ما قالوه فى حقّه ان كان الضّمير له او الى انكار ما قال كفار مكّة فى حقّ النّبى ان كان له ﴿قُلْ﴾ يا نوح او يا محمّد ﴿إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ اى ما يوحى الىّ ﴿فَعَلَيَّ﴾ عقاب ﴿إِجْرَامِي﴾ اثمى وان كنت صادقا فعليكم عقاب التّكذيب حذف اكتفاء بقوله ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥)﴾ اى من اجرامكم فى اسناد الأفتراء الىّ ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾ تغتمّ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾ من التّكذيب والشرك فدعى عليهم بقوله: ﴿ربّ لا تذر على الأرض﴾[1] الآية فأجاب تعالى دعاه وقال ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ السّفينة ملتبسا ومحفوظا ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ اى بحفظنا على طريق ذكر سبب الحفظ وارادته ومع ذلك اضافتها اليه تعالى بطريق التّمثيل والتّشبيه بمن له اعين كثيرة لانّه منزّه عن الأعضاء ﴿وَوَحْيِنَا﴾ اليك كيف تصنعها ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بطلب دفع العذاب عنهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ﴾ جماعة ﴿مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ اى استهزؤا به لما كان يصنعها فى بريّة بعيدة من الماء او لصيروريته نجّارا بعد دعوى النّبوة ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨)﴾ اذا اخذكم الغرق فى الدّنيا والحرق فى الآخرة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ الّذى ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ وهو الغرق ﴿وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩)﴾ دائم هو النّار ﴿حَتَّى﴾ ابتدائيّة وما بعدها شرطيّة مستأنفة غاية ليصنع الفلك ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ باهلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ للخبّاز بالكوفة فى موضع مسجدها او فى الهند بالماء كفوران القدرة على خرق العادة وكان ذلك علامة لنوح وكان صاحبه يقول كلّ يوم لمن يشترى منه الخبز لنوح اما حان وقت فوران التّنور استهزاء ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾

---

[1] - سورة نوح: ٢٦

فى السّفينة ﴿مِنْ كُلٍّ﴾ اى من كلّ نوع من الحيوانات المنتفع بها ممّا يولد و يبيض لا ما يتولد من التّراب كالحشرات والبقّ والبعوض ﴿زَوْجَيْنِ﴾ الزّوجان كلّ اثنين لا يستغنى احدهما عن الآخر ويقال لكلّ واحد منهما زوج وهو مفعول احمل ويجعل تأكيدا له قوله ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكرا و انثى فحشر له الحيوانات فجعل يضرب يده فى كلّ نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما فى السّفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ اى زوجتك و اولادك ونسائهم عطف على زوجين ﴿إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ بالاهلاك منهم يعنى ابنه كنعان وامّه واعلة فانّهما كانا كافرين فحمل زوجته المؤمنة و اولاده سام وحام ويافث ونسائهم ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ من غيرهم ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠)﴾ قيل كانوا مع اهله تسعة وسبعين نصفهم رجال ونصفهم نساء وقيل ثمانين وكانت السّفينة ثلثمأية زراع طولا وخمسين عرضا وثلثين سمكا ولها ثلاث طبقات حمل فى اسفلها الدّواب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطّيور ﴿وَقَالَ﴾ تعالى او نوح ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾ عدّى بفى لتضمّنه معنى صيروا اى ادخلوا وصيروا فيها راكبين قائلين ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ بفتح الميم فى الاوّل وضمها فى الثّانى اى وقت اجريها ورسوها اى وقوفها فهما ظرفان منصوبان بما قدّر حالا ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ﴾ لما فرّطتم ﴿رَحِيمٌ (٤١)﴾ بكم والاّ لاهلككم فركبوا ﴿وَهِىَ تَجْرِى﴾ ملتبسة ﴿بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ فى الارتفاع والعظم وكان الماء على الجبال المرتفعة خمسة عشر زراعا او اربعين وكذا فى المطمأنّ من الأرض ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان وقيل كان ابن امرأته ويدلّ عليه قرائة ابنها ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ اى مكان عزل عزل فيه نفسه عن ابيه ﴿يَا بُنَىَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ فى السّفينة ﴿وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢)﴾ ولعلّ شفقة الأبوة حملته على النّداء او رجى ان يؤمن لمّا شاهد الغرق او كان ينافق اباه فظنّ انّه مؤمن والاّ فكيف يتصوّر منه ان يحبّ نجاته مع كفره مع انّه قد دعى على الكافرين ﴿قَالَ سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ﴾ اى الاّ الراحم وهو الله او الاّ مكان من رحمهم الله اى سفينة المؤمنين ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا﴾ اى بين نوح او

الجبل و ابنه ﴿ٱلْمَوْجُ فَكَانَ﴾ صار ﴿مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ الّذى نبع منك فشربته دون ما نزل من السّما. فصار انهارا وبحارا ﴿وَيَا سَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ اسكنى عن المطر فاسكنت نزّلهما منزلة العقلاء المأمورين على سبيل الأستعارة بالكناية وطلب منهما الأقبال تخييلا لها وامرهما بالقلع والبلع تشريحا فانهما من ملائمات المستعار منه ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ انقص وغاض كما جاء لازما جاء متعدّيا فلذا بنى هنا للمفعول ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ من اهلاك الكاذبين وانجاء المؤمنين ﴿وَٱسْتَوَتْ﴾ سكنت السّفينة ﴿عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ جبل بالجزيرة على مرحلتين او ثلاث من الموصل المشهورة سميت بذلك لانّه وصل هناك ما يرسى به السّفينة الى الأرض فقالوا هنا موصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكا ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٤٤)﴾ منصوب بفعله المقدّر اى بعدوا بعدا والمراد الدّعاء عليهم بالهلاك واللاّم متعلّق بقيل اى قيل لاجلهم هذا القول ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ بعد الغرق سائلا عن حكمة غرق ابنه مجمل مفصّل بقوله ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ وقد وعدتنى بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ الّذى لا يقع فيه خلف ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ (٤٥)﴾ اى اعلمهم واعدلهم فما حاله لم ينج ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ اذ لا ولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بتعليل النفى بقوله ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ﴾ اى ذو عمل فاسد لكن جُعِل ذاته عملا للمبالغة ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ انّه صواب ام لا ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ (٤٦)﴾ لانّ استثناء من سبق عليه القول قد دلّ على انّ ابنه مستوجب العذاب واغناه عن السّؤال لكن اشغله حبّ الولد عنه حتّى اشتبه الأمر عليه فعوتب عليه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ بعد هذا ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا﴾ وان لا ﴿تَغْفِرْ لِى﴾ ما فرط منّى من السّؤال ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ بالتّوبة والتّفضل علىّ ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ (٤٧) قِيلَ﴾ له عاشر محرّم وكان قد ركب عاشر رجب ﴿يَا نُوحُ ٱهْبِطْ﴾ انزل من السّفينة او من الجودىّ الى الأرض المستوية ملتبسا ﴿بِسَلَـٰمٍ﴾ من المكاره وخوف ضيق العيش الحاصل لك من خلوّ الأرض من المنافع ﴿مِّنَّا﴾ صِفَةُ سلام ويعطف عليه

﴿وَبَرَكَاتٍ﴾ اى نماآت ودوامات او زيادات نسل حتّى تصير آدما ثانيا اذ روى انّه لمآ خرج من السّفينة مات كلّ من معه الاّ اولاده الثلاثة فانتسل العرب من سام والسودان من حام والترك من يافث فالخلق كلّهم من ذريّته فعلى هذا المراد ممّن معك اولاده ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ كلمة من امّا للبيان اى على امم هم الّذين معك سمّاهم امما لتشعّبهم او للأبتداء اى ناشية ممّن معك وهم اولادهم وذرّيتهم المؤمنون وامّا الكفار النّاشون منهم فبيّن حالهم بقوله ﴿وَأُمَمٌ﴾ مبتدأ محذوف الخبر اى ممّن معك امم ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ فى الدّنيا صفة امم ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨)﴾ فى الآخرة ﴿تِلْكَ﴾ اى قصّة نوح مبتدأ خبره ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ اى بعض من اخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يا محمّد خبر ثان وخبر ثالث قوله ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ الأيحاء اليك ﴿فَاصْبِرْ﴾ على مشاق التّبليغ واذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ المحودة فى الدّارين ﴿لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) وَ﴾ ارسلنا ﴿إِلَى عَادٍ﴾ قبيلة من العرب بناحية اليمن ﴿أَخَاهُمْ﴾ اى واحدا اى الاخ بمعنى الواحد منهم ويجعل عطف بيان له ﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ (٥٠)﴾ على الله فى عبادة الأوثان وجعلها شفعاء ﴿يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خاطب كلّ رسول قومه بهذا لئلاّ يتوهّموا انّ نصيحتهم لطمع دنيوىّ فلا يقبلوها ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ اى اطلبوا مغفرته بالإيمان ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ كلمة ثم للتراخى فى الرّتبة لانّ الرّجوع عن عبادة غير الله متأخّر بالذات عن الإيمان بالله والرّغبة فيما عنده ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ السّحاب او المطر وكانوا قد منع منهم ثلاث سنين او كانوا اصحاب زرع محتاجين اليه ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ حال من السّماء اى كثير الدّرور متتابع القطر ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ اى يضاعف قوتكم على الانتفاع بما رزقتم ﴿وَلاَ تَتَوَلَّوْا﴾ تعرضوا عما ادعوكم اليه ﴿مُجْرِمِينَ (٥٢)﴾ مصرّين على اجرامكم ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ بحجّة على صحّة ما تقول ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾

متعلّق بتاركى لتضمّنه معنى الأعراض كانّه قيل لا نقبل قولك يا قوم اعبدوا الله معرضين عنه فهو حال من الضّمير فى تاركى او عن بمعنى اللاّم اى لقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِنْ﴾ ما ﴿نَقُولُ﴾ فى شأنك ﴿إِلاَّ﴾ قولنا ﴿اعْتَرَاكَ﴾ اصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ اى جنون لسبّك ايّاها فجعلت تتكلّم بالخرافات فاعل اعتراك والجملة مقول القول ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ علىّ ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤)﴾ به ﴿مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي﴾ احتالوا فى هلاكى ﴿جَمِيعًا﴾ انتم واوثانكم ﴿ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ (٥٥)﴾ تمهلون ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ فلا تقدروا ان تضرّونى ما لم يقدّر هو واستدلّ عليه بقوله ﴿مَا مِن دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدبّ على الأرض ﴿إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ اى مالكها يتصرف فيها كيف يشاء فلا نفع ولا ضرّ الاّ باذنه فهو استعارة تمثيليّة لنفاد قدرتهم فيه وذلّتهم بيده ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦)﴾ استيناف لبيان ما يوجب التوكّل عليه اى انّه مع كونه قادرا على الخلائق ليس الاّ على العدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ اى تتولوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فما بقى عندى قصور ولا لكم عذر ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ عطف على جواب ان بالفاء كانّه قيل ان تتولوا يعذرنى ويستخلف ﴿وَلاَ تَضُرُّونَهُ﴾ بتولّيكم ﴿شَيْئًا﴾ من الضرر ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٦)﴾ رقيب فلا يخفى عليه شيء من اعمالكم ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هداية الى الإيمان او بفضل اذ لا ينجو احد ولو مؤمنا الاّ به ﴿مِنَّا﴾ وكانوا اربعة الآف ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨)﴾ الاوّل بيان احسانه اليهم بنفس الأنجاء وهذا بيان ما نجاهم عنه منها وهو السّموم اى الرّيح العقيم الّذى نزل بهم سبع ليال وثمانية ايّام تدخل من افواهم وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضائهم كما مرّ فى الأعراف.[1] ثمّ لمّا ذكر قصّة عاد خاطب قوم محمّد فقال: ﴿وَتِلْكَ﴾ القبيلة او الآثار الّتى ترون ﴿عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ جمع لانّ من عصى رسولا فكانما عصى الكلّ

[1] - سورة الأعراف: ٧٢

لاشتراكهم فى اصل ما امروا به وهو التّوحيد ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩)﴾ طاغ معارض الحقّ من رأسائهم ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من النّاس ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة اى جُعِلَتِ اللّعنةُ تابعة لهم فى الدّارين تكبهم فى العذاب ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا﴾ من رحمة الله ﴿لِعَادٍ﴾ دعاء عليهم بالهلاك ﴿قَوْمِ هُودٍ (٦٠)﴾ عطف بيان لعاد ليتميّز عن عاد الثّانية اى عاد ارم ﴿وَ﴾ ارسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ﴾ ابدأ خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بخلق ابيكم آدم منها ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ اى عمّركم فيها او قدّركم على عمارتها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ مرّ مثله ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ رحمة ﴿مُجِيبٌ (٦١)﴾ لمن دعاه ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ اى نرجوا ان تكون لنا سيّدا ومستشارا ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ الّذى صدر منك ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ على حكاية الحال الماضية ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التّوحيد ﴿مُرِيبٍ (٦٢)﴾ موقع فى ريبة صفة شك ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ بيان وبصيرة منه وحرف الشك باعتبار المخاطبين ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوّة ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي﴾ يمنعنى ﴿مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ فى تبليغ رسالته ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بامركم بذلك ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣)﴾ تضليل ﴿وَيَاقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ﴾ حال من ﴿آيَةً﴾ وهى حال من ناقة عاملها معنى الاشارة ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها قدار بأمرهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُوا﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ الأربعاء والخميس والجمعة ثمّ تهلكون ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥)﴾ فيه ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ باهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم اربعة آلاف ايضا ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ﴾ نجيناهم ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦)﴾ الغالب ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧)﴾ سبق تفسيره وتحقيق القصّة فى الأعراف[1] ﴿كَأَنْ﴾ مخفّفة اى كانهم ﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا

[1] – سورة الأعراف: ٧٨-٩١

﴿فِيهَا﴾ اى فى ديارهم ﴿أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨) وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾ اى تسعة من الملائكة او ثلثة جبرائيل ومكائيل واسرافيل على صورة الغلمان الّذين فى غاية الحسن ﴿بِالْبُشْرَى﴾ اى ببشارة الولد ﴿قَالُوا﴾ سلّمنا عليك ﴿سَلاَمًا قَالَ﴾ عليكم ﴿سَلاَمٌ﴾ اجابهم باحسن من تحيّتهم حيث اتى بالجملة الاسميّة الدّالة على الدّوام ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ توقف فى ﴿أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩)﴾ مشوىّ ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ اى لا يمدها اليه ﴿نَكِرَهُمْ﴾ بمعنى انكر ذلك منهم ﴿وَأَوْجَسَ﴾ اضمر فى نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفا ان يريدوا به مكروها ﴿قَالُوا﴾ لمّا احسّوا منه اثر الخوف ﴿لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠)﴾ لنهلكهم انّا لا نأكل الطعام ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ سارة ﴿قَآئِمَةٌ﴾ خلف السّتر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة ﴿فَضَحِكَتْ﴾ سرورا بزوال الخيفة ﴿فَبَشَّرْنَاهَا﴾ على لسانهم ﴿بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ﴾ بعده ﴿يَعْقُوبَ (٧١)﴾ ابنه تعيش الى ان تراه وتوجيه البشارة اليها مع انّ المبشّر به نعمة بالنّسبة الى ابراهيم ايضا والاّ فالبشارة لهما جميعا فى الواقع بدليل انّها اوقعت عليه فى مواضع لانّها كانت عقيمة حريصة على الولد ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى﴾ اى يا عجبا وهى كلمة تقال عند امر عظيم خيرا كان او شرا وان كان اصلها فيه والألف مبدلة من ياء الأضافة ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ لى تسعة وتسعين سنة ﴿وَهَذَا بَعْلِى﴾ زوجى ﴿شَيْخًا﴾ له مأية سنة او وعشرون ونصبه على الحال والعامل فيه معنى الاشارة ﴿إِنَّ هَذَا﴾ اى الولد من هرمين ﴿لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢)﴾ عادةً لا قدرةً فانّ الاستعجاب منها يوجب الكفر كانّها قالت لم كان امرنا خلاف ما هو المعتاد فلذلك اجابوها منكرين استعجابها من حيث العادة فقالوا ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ قدرته وحكمته ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ بيت النّبوة ومهبط المعجزات فخارق العادة لا يليق ان يستغرب فى شأنكم ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود على فعل ما يستوجبه الحمد ﴿مَجِيدٌ (٧٣)﴾ كثير الاحسان الى العباد خصوصا اليكم والجملتان استيناف علّل به انكار التّعجب ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ

الْبُشْرَى﴾ بالولد اخذ ﴿يُجَادِلُنَا﴾ اى يجادل رسلنا ﴿فِى﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ (٧٤)﴾ بقوله اتهلكون قرية فيها ثلثمأية مؤمن قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا الى ان قال اتهلكون قرية فيها واحد قالوا لا قال انّ فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها[1] آه فمدحه تعالى بقوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ غير عجول فى الأنتقام من المسئ اليه ﴿أَوَّاهٌ﴾ كثير التأوّه والتّأسّف على النّاس ﴿مُنِيبٌ (٧٥)﴾ راجع الى الله ولذلك جادل فلمّا اطال المجادلة قالوا ﴿يا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ قضائه الأزلىّ بهلاكهم وهو اعلم بحالهم ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦) وَلَمَّا جَائَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ اتوا اليه من عند ابراهيم وكان بين قريتيهما اربعة فراسخ على صورة المرد ولم يعرف انّهم ملائكة ﴿سِىءَ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم وخاف ان يقصدهم قومه باللّواط فيعجز عن مدافعتهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرا لذلك ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧)﴾ شديد روى انّ امرأته مضت الى قومه فقالت لهم دخل دارنا قوم ما رأيت احسن وجوها منهم ولا انظف ثيابا ولا اطيب رائحة ﴿وَجَائَهُ قَوْمُهُ﴾ لمّا علموا بهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ﴾ ذلك الوقت ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ هى اتيان الرّجال فى الأدبار ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِى﴾ فتزوّجوهنّ فداء عن ضيفى وكانوا يطلبونهنّ قبل فلا يجيبهم لخبثهم لا لحرمة المسلمات على الكفّار فانّه شرع جديد مشروع من وقت نزول ﴿ولا تنكحوا المشركين حتّى يؤمنوا﴾[2] حتّى انّ النّبى ﷺ زوّج بنته زينب من ابى العاص بن الوابل قبل ذلك وهو كافر وقيل المراد بنات قومه فانّ النّبى كالأبّ لقومه وازواجه امّهاتهم واولادهم كأولاده واختير ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ انظف فعلا لا شرعا وحلاليّة حتّى يرد ان لا طهارة فى اتيان الذّكور شرعا حتّى تجعلن اطهر منهم وقيل اسم التّفضيل هنا للزّيادة المطلقة كما فى الله اكبر ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَلاَ تُخْزُونِ﴾ تفضحون ﴿فِى ضَيْفِى أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨)﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن

---

[1] – سورة العنكبوت: ٣٢

[2] – سورة البقرة: ٢٢١

المنكر ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩)﴾ وهو اتيان الرّجال ﴿قَالَ لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ اى طاقة على دفعكم ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)﴾ عشيرة تنصرنى فى دفعكم شبهها بركن الجبل فى شدّته وجواب لو محذوف اى لبطشت بكم ويجوز ان يكون للتّمنى فلا يحتاج الى الجواب روى انّه اغلق بابه على اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوّروا الجدار وشجّوا لوطا فلماّ رأت الملائكة ما عليه من الكرب ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بسوء بان يضرّونا فدعنا وايّاهم فخلاّهم ان يدخلوا فضرب جبرائيل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النّجا النّجا فان فى بيت لوط سحرة ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ الباء للتّعدية او للحال اى مصاحبا لهم ﴿بِقِطْعٍ﴾ فى طائفة ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ لئلاّ يسمعوا نزول العذاب الّذى موعده الصّبح ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ اى لا يتخلّف ولا ينظر الى ورائه نحو ماله او اصدقائه اى فليقطعوا قلوبهم عنها ﴿إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾ استثناء من احد اى لا يتخلّف احد او لا ينظر الى ورائه الاّ امرأتك فانّها غير منهيّة عن ذلك لكن نصبها على ما هو قرائة الاكثر على غير المختار ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ استيناف وتعليل لاستثنائها عن النّهى فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فحالها حجر فقتلها وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ فقال اريد اعجل من ذلك قالوا ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذاب ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ بان ادخل جبرائيل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السّماء حتّى سمع اهل السّماء نباح الكلاب وصياح الدّيك ثمّ قلبها لكن اسند الى نفسه من حيث انّه المسبّب تعظيما للأمر ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ على المدن او منفرديها روى انّ الحجر كانت تتبع منفرديهم ومسافريهم اين كانوا فى البلاد ودخل رجل منهم الحرم فتعلّقت الحجر عليه فى السّماء اربعين يوما حتّى خرج فاصابه فاهلكه ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ طين متحجّر كالآجر المطبوخ ﴿مَنْضُودٍ (٨٢)﴾ متتابع كقطر الامطار ﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلمة للعذاب او

باسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ فى خزائنه ظرف لمسوّمة ﴿وَمَا هِيَ﴾ اى الحجارة ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)﴾ اذ كلّ ظالم حقيق بان تمطر عليه لظلمه وقيل الضّمير للقرى اى قريبة من ظالمى مكّة يمرّون بها فى اسفارهم الى الشّام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان ﴿وَ﴾ ارسلنا ﴿إِلَى﴾ اهل ﴿مَدْيَنَ﴾ اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ نعمة تغنيكم عن نقصهما ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤)﴾ بكم يهلككهم ووصف اليوم به مع كونه صفة العذاب مجاز لوقوعه فيه ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ ملتبسين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ اى العدل بلا زيادة ولا نقصان امر به بعد نهيهم عن ضدّه مبالغة وتنبيها على انّه لا يكفيهم الكفّ عن تعمّد التّطفيف بل يلزمهم السّعى فى استيفاء الحقّ فلا تكرار وقوله ﴿وَلاَ تَبْخَسُوا﴾ تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ تعميم بعد تخصيص فانّه اعمّ من ان يكون فى المقدار او غيره وكذا قوله ﴿وَلاَ تَعْثَوْا﴾ تفسدوا ﴿فِي الأَرْضِ﴾ فانّه يعمّ كلّ انواع الفساد ﴿مُفْسِدِينَ (٨٥)﴾ حال مؤكدة ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾ ما ابقا لكم بعد التّنزّه من الحرام ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ممّا تجمعون بالتّطفيف ﴿إِنْ كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مصدقين لى ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦)﴾ رقيب اجازيكم باعمالكم انّما انا ناصح مبلّغ ﴿قَالُوا﴾ استهزاء بصلوته ﴿يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَنْ نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَنْ نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ فهو عطف على ما ﴿إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧)﴾ استعاروهما للسّفه والغباوة تهكّما واستهزاء به ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالا افيمكننى ان اخون فى وحيه وهو اعتذار عمّا انكروا عليه من النّهى عن دين الآباء ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ ذاهبا ﴿إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ فارتكبه فلو كان صوابا لما اعرضت عنه فضلا عن ان انهى عنه ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ﴾ لكم ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ مدّة استطاعتى فلو كان فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ للصّواب ﴿إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ اى بمعونته على حذف المضاف لانّ الله فاعل

والفعل لا يسند اليه الاّ بمن لا بباء الآلة ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)﴾ ارجع ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنّكم ﴿شِقَاقِي﴾ اى عداوتكم ايّاى فاعل بجرمنّ ومفعوله الأوّل الضمير والثّانى ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ اى منازلهم او زمن هلاكهم ﴿مِنْكُم بِبَعِيدٍ (٨٩)﴾ فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ عماّ انتم عليه ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ للتّائبين ﴿وَدُودٌ (٩٠)﴾ محبّ لهم ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ نفهم ﴿كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ لا تقدر على دفع ما اردنا بك ﴿وَلَوْلاَ رَهْطُكَ﴾ اى لولا عزّة عشيرتك عندنا لكونهم على ديننا لا لقوّتهم فانّ الرّهط من الثلثة الى العشرة ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)﴾ تمنعنا عزّتك عن الرّجم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ﴾ فتتركون قتلى لأجلهم ولا تحفظونى لله ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ اى الله ﴿وَرَائَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ منبوذا خلف ظهوركم لا تخافونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢)﴾ علما فيجازيكم ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالتكم ﴿إِنِّ عَامِلٌ﴾ على حالتى ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ منّى ومنكم ﴿وَارْتَقِبُوا﴾ انتظروا ما اقول لكم ﴿إِنِّ مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣)﴾ منتظر ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ باهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ اى صاح بهم جبرائيل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤)﴾ باركين على الرّكب ميّتين ﴿كَأَنْ﴾ مخفّفة اى كانهم ﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ التسع ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦)﴾ برهان بيّن هو العصى فهو من عطف الخاص على العام لانّها امرّ الآيات ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ﴾ طريق ﴿فِرْعَوْنَ﴾ المنهمك فى الضّلال وما تبعوا موسى الهادى الى الحقّ ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)﴾ مرشد ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدّم ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كما كان يقدمهم فى الدّنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ شبّه النّار فى النّفس بالماء على سبيل التّهكم واثبت لها الورود الّذى هو من ملائمات الماء تخييلا اى ادخلهم فيها وذكره

بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ﴾ اى المورد ﴿الْمَوْرُودُ (٩٨)﴾ هى فانّه يراد لتبريد الاكباد وهى بالضّد ﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ الدّنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩)﴾ اى العون المعان او العطاء المعطى رفدهم وهو اللّعنة فى الدّارين ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿مِنْهَا﴾ من تلك القرى ﴿قَائِمٌ﴾ كالزّرع باق ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ (١٠٠)﴾ كالزّرع المحصود لا اثر لها ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بأهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالشّرك ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ اى ما زاد الأصنام عبّادها بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)﴾ تحسير ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ خبر لقوله ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ اى اهلها ﴿وَ﴾ حال ﴿هِيَ ظَالِمَةٌ﴾ بالذّنوب اى فلا يغنى عنهم من اخذه شيء فيه انذار كلّ ظالم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)﴾ فى الحديث: «انّ الله ليملى للظّالم حتّى اذا اخذه لم يفلّته»[1] وكذلك ﴿اخذ ربّك﴾ الآية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَآيَةً﴾ اى لعبرة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ﴾ اى يوم القيامة المفهوم من عذاب الآخرة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣)﴾ فيه اى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب فيه عن احد فاتّسع فيه بحذف الجار وتعلّق الفعل بالظّرف على صورة تعلّقه بالمفعول به ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ اى اليوم ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤)﴾ اى لانتهاء مدة متناهية على حذف المضاف وارادة مدّة التّأجيل بالآجال كلّها لا منتهاها فانّه غير معدود ﴿يَوْمَ﴾ اى حين ﴿يَأْتِ﴾ ذلك اليوم مضاف اليه لليوم وهو ظرف لقوله ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ فيه حذف احدى التّائين اى لا تتكلّم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ تعالى وامّا ما لا نفع فيه من نحو كذب ومجادلة وحلف على عدم الاشراك فيقع منها بلا اذن كما يدلّ عليه بعض الآيات فلا تناقض

[1] - صحيح البخاري: ١٤/٢٦٨

كما لا تناقض قوله: ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾[1] لانّ كلاً فى موقف والماذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الأعذار الباطلة ﴿فَمِنْهُمْ﴾ من الخلق ﴿شَقِيٌّ﴾ ازلا وهم الكفّار ﴿وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ (١٠٥)﴾ ازلا ايضا وهم المؤمنون ولو فسّاقهم لانّهم سعدوا بالإيمان ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ اخراج النّفس الكثير ﴿وَشَهِيقٌ (١٠٦)﴾ ردّه شبّه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه على سبيل الأستعارة بالكناية واثبتهما لهم تخييلا او استعارهما لصراخهم تشبيها له بصوت الحمار فانّهما يستعملان فى اوّل النّهيق وآخره ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ اى مدّة دوامهما فى الدّنيا عبّر عن التأبيد والمبالغة فيه بما كانت العرب يعبّرون به على سبيل التّمثيل وليس المقصود ارتباط دوامهم بدوامها المستلزم تساويهما فى الانقطاع او التّابيد حتّى يرد انّ النّصوص دالة على انقطاع هذا وتأبيد ذاك ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ استثناء من الخلود اى مخلّدون فيها دائما الاّ وقت تعلّق مشيّة الله باخراجهم لكن تحقّق هذا الوقت محال فهو من قبيل التّعليق بالمحال حيث يثبت محاليّة المعلّق ويكون كدعوى الشّيء مع البيّنة فيكون تأكيدا للخلود والدّوام ويكون على سنن قوله تعالى: ﴿حتّى يلج الجمل فى سمّ الخياط﴾[2] وقس عليه الأستثناء الآتى ولا يبعد ان يكونا للتّنبيه على انّ الخلود فى الموضعين ليس امرا واجبا عليه تعالى حتّى لا يمكن تبديله لقبحه عقلا كما ذهبت اليه المعتزلة بل لو شاء لأمكن تبديله الاّ انّه لا يتعلّق به المشيّة لسبق القضاء والقدر ويؤيده قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧)﴾ بلا اعتراض ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً﴾ حال من الجنّة ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)﴾ مقطوع ولمّا ذكر القصص واتبعها بذكر ما اعدّ للاشقياء والسّعداء فرّع عليها احوال المشركين من قومه

---

[1] - سورة المرسلات: ٣٥-٣٦

[2] - سورة الأعراف: ٤٠

عليه السّلام تسلية له ووعدا بالانتقام منهم ووعيدا لهم فقال ﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ شكّ بعد ما سمعت من حال النّاس ﴿مِمَّا يَعْبُدُ﴾ اى من عبادة ﴿هَؤُلاءِ﴾ المشركين فى انّها ضلال وعلّل النّهى عن المرية على سبيل الأستيناف بقوله ﴿مَا يَعْبُدُونَ﴾ عبادة ﴿إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ﴾ اى كعبادتهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وقد بلغك ما لحق بهم فسيلحقهم مثله كما قال ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ حظهم من العذاب كآبائهم ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩)﴾ اى تامّا فهو حال مؤكّدة من نصيبهم مقرّر مضمون الجملة لدفع توهم التحوّز والاّ فالموفّى لا يجوز ان يكون ناقصا لانّ توفية الحقّ عبارة عن اعطائه تامّا ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بان آمن به بعض وكفر بعض كما اختلف قومك فى القرآن فلا يشقّ عليك فهو تسلية له عليه السّلام ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء الى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ فى الدّنيا بانزال ما يستحقه المبطل ليتميّز به المحقّ ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ اى كفّار قومك ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ اى القرآن ﴿مُرِيبٍ (١١٠)﴾ موقع الرّيبة ﴿وَإِنَّ كُلاًّ لَمَّا﴾ اللاّم للتّأكيد وما زائدة للفصل بينها وبين اللاّم الموطئة للقسم فى قوله ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ والقسم مع جوابه خبر انّ ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١)﴾ وان خفى ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ فى العقائد والاعمال كتبليغ الوحى وبيان الشّرائع والقيام بوظائف العباداة ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ بها من غير تفريط وافراط مفوّة للحقوق ونحوها وهى فى غاية الصّعوبة ولذلك قال عليه السّلام: «شيّبتني سورة هود»[1] ﴿وَ﴾ للعطف على المستكنّ فى استقم اى ليستقم ﴿مَنْ تَابَ﴾ من الشّرك وآمن ﴿مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا﴾ تجاوزوا ما حدّ لكم ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)﴾ فيجازيكم به ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا﴾ تميلوا ادنى ميل ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بمواداة او مداهنة او رضى باعمالهم او تزيّ بزيّهم او تعظيم ذكرهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ بركونكم اليهم واذا كان الرّكون اليهم كذلك فما ظنّك بالميل اليهم كلّ الميل ثمّ بالظّلم نفسه والأنهماك فيه ﴿وَ﴾ حال ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ

---

[1] - دلائل النبوة للبيهقي: ١/٣٥٨

اللهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ يحفظونكم من عذابه ﴿ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ (١١٣)﴾ من جهة الله اذ سبق فى حكمه ان يعذّبكم وثمّ لاستبعاد نصره ايّاهم بعد ما اوجب لهم العذاب ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ﴾ وينصب على الظّرف للأضافة اليه لا لكونه ظرفا وضعا قوله ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ وهما الغدوة وصلوتها الصّبح لانّها اقرب صلوة اليها والعشيّة وصلوتها العصر وعن كثيرين الظّهر والعصر لانّ ما بعد الزّوال عشىّ ﴿وَزُلَفًا﴾ جمع زلفة اى ساعات ﴿مِنَ الَّيْلِ﴾ قريبة من النّهار وصلوتها المغرب والعشاء وقيل الوتر ايضا بقرينة جمع الزلفا واذا وجب فى حقّه عليه السّلام وجب فى حقّ الامّة ايضا كما هو مذهب الحنفىّ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ اللاّم للعهد اشارة الى الصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ اى يكفّرن ما بينهنّ من الذّنوب سوى الكبائر نزلت فى من قبّل اجنبيّة وسئل عن كفّارة ذلك فاخبره النّبى عليه السّلام فقال ألِىَ هذا قال لامّتى كلّهم ﴿ذَلِكَ﴾ اى استقم وما بعده ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤)﴾ اى موعظة للمتّعظين ﴿وَاصْبِرْ﴾ على الطّاعات وعن المعاصى او على اذى قومك ﴿فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) فَلَوْلاَ﴾ فهلاّ ﴿كَانَ﴾ تامّة بمعنى وجد يتعلّق بما ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ الكائنة ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ﴾ اى اصحاب رأى ودين وفضل ويجعل حالا منه او صفة قوله ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِى الأَرْضِ﴾ لئلاّ يهلكوا ولتضمّن حرف التحضيض معنى النّفى استثنى منه على سبيل الاتصال قوله ﴿إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّنْ﴾ كلمة من للبيان ﴿أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَ﴾ للعطف على مقدر اى فلم ينهوا و ﴿اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا﴾ انعموا ﴿فِيهِ﴾ من الشّهوات واعرضوا عمّا وراء ذلك ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦)﴾ كافرين ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ اى بشرك ﴿وَ﴾ حال ﴿أَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)﴾ فيما بينهم لا يضمّون الى شركهم فسادا واضرارا بالنّاس لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه ولذلك يقدم حقوق العباد عليها وجاء فى الأثر الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظّلم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مسلمين كلّهم ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨)﴾ بعضهم على الحقّ وبعضهم على الباطل ﴿إِلاَّ مَنْ رَحِمَ

رَبُّكَ﴾ اى الاّ اناسا هديهم من فضله فلا يختلفون فى اصول الحقّ ﴿ولذلك خلقهم﴾ اى للأختلاف خلق النّاس او للأختلاف والرّحمة فأهله له واهلها لها ويؤيّده قوله ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهى ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ﴾ كفّار ﴿الْجِنَّةِ﴾ اى الجنّ ﴿والنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)﴾ تاكيد لم يسبق هنا بكلّ كما هو اصله ﴿وَكُلاًّ﴾ اى كلّ نبأ فالتّنوين عوض عن المضاف اليه وهو منصوب بقوله ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ﴾ بيان او صفة لكلاً وبدل منه قوله ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ على اداء الرّسالة واحتمال اذى الكفّار ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ الأنباء ﴿الْحَقُّ﴾ اى ما هو حقّ ﴿ومَوْعِظَةٌ وذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾ فانّهم المنتفعون ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١)﴾ على حالتنا ﴿وَانتَظِرُوا﴾ عاقبة امركم ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢)﴾ ذلك ﴿وَلِلَّهِ﴾ خاصة ﴿غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ اى علم خوافيهما ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فيرجع اليه امرهم وامرك ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فانّه كافيك ﴿وما ربّك بغافلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾ انتم وهم فيجازيكم.

* * *

سورة يوسف

مكية مائة وإحدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر﴾ متشابه ﴿تِلْكَ﴾ اى آيات السّورة الحاضرة فى ذهن المخاطب من تعداد الحروف بـ(الر) فانّه يدلّ على السّورة وصيغة البعد للتّعظيم ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ اى القرآن والأضافة بمعنى اللاّم او السّورة والمصحّح للحمل وصفها بقوله ﴿الْمُبِينِ (١)﴾ اى تلك الآيات آيات السّورة الظّاهر امرها فى الأعجاز او وضوح المعنى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ اى الكتاب باحتماليه ﴿قُرْآنًا﴾ حال موطّئة ﴿عَرَبِيًّا﴾ صفته وهو الحال فى الحقيقة لانّ الحال الموطئة جامد موصوف بصفة هى الحال فى الحقيقة وتسمية الكتاب به على الأحتمال الثّانى باعتبار انّه فى الأصل اسم يقع على الكلّ والبعض وصار علما للكلّ بالغلبة او من قبيل تسمية الجزأ باسم الكلّ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ اى المقصوص لما فيها من العبر والحكم وسير الملوك والمماليك ومكر النّساء والصّبر على ايذاء الاعداء وحسن التّجاوز عنهم بعد الأقتدار وغير ذلك من الفوائد الصّالحة للدّين والدّنيا ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ اى بايحائنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ اى السّورة ﴿وَإِنْ﴾ مخفّفة اى انه ﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)﴾ عن هذه القصّة ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ بدل اشتمال من احسن القصص او منصوب باضمار اذكر ﴿لِأَبِيهِ﴾ يعقوب ﴿يَا أَبَتِ﴾ اصله يابى عوّض تاء التّانيث عن الياء لتناسبهما فى الزّيادة ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ جربان والطّارق والذّيال وقابس وعمودان والفليق والمصبّح والضّروح والفرغ ووثّاب وذو الكتفين ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد او استيناف لبيان حالهم لا تفسير حتّى يلزم الجمع بين المفسّر والمفسّر ﴿لِي سَاجِدِينَ (٤)﴾ اجريت مجرى العقلاء فى الضّمير والجمع بالياء والنّون

لوصفها بصفاتهم او لكونها عبارة عن اخوته الأحدى عشر وابيه وخالته لانّ امّه كانت ميّتة ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ﴾ تصغير ابن للشفقة او لصغر سنّه فانّه كان ابن ثنتى عشرة سنة ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ﴾ هى كالرّئية لكنّها مختصة بما يكون فى النّوم ففرق بينهما بحرفى التأنيث وبيان ما هى عبارة عنه وكيفيتها فى القاضى فراجعه ﴿عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ اى يحتالوا فى اهلاكك حيلة حسدا لظهور تأويلها عندهم من انّهم الكواكب والشّمس امّك او خالتك والقمر ابوك او بالعكس ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥)﴾ ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحوّى فيوقع فى قلبهم كيدك ﴿وَكَذَلِكَ﴾ اى كما اجتباك بهذه الرّأيا الصّالحة الدّالة على العزّ والشّرف ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبُّكَ﴾ للنبوّة والملك ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ اى تعبير الرّأيا لانّها احاديث الملك وبشرى من الله ان كانت صادقة واحاديث النّفس والشّيطان ان كانت كاذبة ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بان تصل نعمة الدّنيا بنعمة الآخرة قصد بهذه الثلثة تعبير رأيا ابنه لكنّ الاخيرين غير داخلان فى التّشبيه بل ابتداء كلام لعدم المناسبة الدّاعية الى التّشبيه ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ سائر اولاده او نسله ﴿كَمَا أَتَمَّهَا﴾ بالرّسالة ﴿عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ عطف بيان لأبويك ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقّ الأجتباء ﴿حَكِيمٌ (٦)﴾ يضع كلّ شيء فى موضعه ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ قصّة ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ العشرة يهوذا و روبيل و شمعون و لاوى و يالون و يشجر و دينة من ليا بنت خالة يعقوب تزوّجها اوّلا فلما توفّت تزوّج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وكان لهما امتين وهبتاهما من اليعقوب فولد له منهما دان ويغثالى وحاد وآشر ﴿آيَاتٌ﴾ عبر ﴿لِلسَّائِلِينَ (٧)﴾ عن قصّتهم وهم قريش وجماعة من اليهود اذكر ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ من الأبوين بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَ﴾ حال ﴿نَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة اقوياء احقّ بالمحبّة من صغيرين لا كفاية فيهما ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ (٨)﴾ اى خطأ بين باختيارهما علينا ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ من جملة مقول قالوا لانّهم اتفقوا على ذلك الاّ من قال لا تقتلوه ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ منكورة بعيدة عن العمران بدليل تنكيرها ولذلك

نصبت كالظّروف المبهمة ﴿يَخْلُ﴾ جواب الأمر ﴿لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ فيقبل بالكلّية عليكم ولا يلتفت الى غيركم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ اى يوسف ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ (٩)﴾ تائبين الى الله عمّا جنيتم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ وهو يهوذا ﴿لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ فانّ القتل عظيم ولعلّه ادخل الطّرح المذكور فى القتل لانّه اشدّ منه ويئول الى الموت مثله ﴿وَأَلْقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ قعر البئر سمّى بها لغيبوبته عن عين النّاظر ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ يأخذه ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ اى المسافرين الّذين يسيرون فى الأرض ﴿إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)﴾ للتّفريق بينه وبين ابيه فاكتفوا بذلك ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا﴾ حال من الكاف ﴿عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١)﴾ اى نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله من رأيه فى حفظه منهم لما شمّ رائحة حسدهم ليتأتّى لهم ما عزموا ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ الى الصّحراء ﴿يَرْتَعْ﴾ يتسع فى اكل الفواكه ونحوها ﴿وَيَلْعَبْ﴾ بالاستباق والرّمى ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢)﴾ عن ان يناله مكروه ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ لانّى لا اصبر عنه ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ لانّ الأرض كانت مذأبة ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣)﴾ لاشتغالهم بالرّتع واللّعب ﴿قَالُوا لَئِنْ﴾ اللاّم موطئة للقسم ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ﴾ حال ﴿نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤)﴾ ضعفاء مغبونون جواب القسم ساد مسدّ جواب الشّرط فارسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾ عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ بئر بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لمّا محذوف اى فعلوا به ما فعلوا من الأذى بان نزعوا قميصه بعد ضربه واهانته وارادة قتله فمنعهم يهوذا وادلوه فلمّا وصل الى نصف البئر القوه ليموت فسقط فى الماء ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها فنادوه فاجابهم لظنّ رحمتهم فارادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهوذا روى انّ هوام البئر قالت بعضها لبعض لا نخرجنّ من مساكنكنّ فان نبيّا من الأنبياء نزل بساحاتكنّ فامتنعن الاّ الأفاعى فانّها قصدته فصاح بها جبرائيل فصمّتْ وبقى الصّمم فى نسلها ثمّ اخرج القميص الّتى اتى بها لابراهيم من الجنّة حين جرّد من الثياب والقى فى النّار وورثها اسحاق ثمّ يعقوب وكان قد

جعلها تميمة وعلّقها على يوسف والبسه اياه ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ على لسان جبرائيل وهو ابن سبع عشر سنة او اثنى عشر اوحى اليه فى صغره كيحيى وعيسى وذهب كثير من المحقّقين انّ المراد منه الالهام ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٥)﴾ انّك يوسف وهو ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه كما سيأتي.[1] ﴿وَجَاؤُ أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نتسابق فى العدو او الرّمى ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ مصدّق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)﴾ لسوء ظنّك بنا وفرط محبّتك ليوسف ﴿وَجَآؤُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه بان ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقّه وقالوا انّه دمه ﴿قَالَ﴾ لمّا رآه صحيحا وعلم كذبهم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زيّنت وسهّلت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ﴾ خبر محذوف اى فامرى صبر ﴿جَمِيلٌ﴾ لا شكوى فيه الى الخلق ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَى﴾ احتمال ﴿مَا تَصِفُونَ (١٨)﴾ تذكرونه من هلاك يوسف ﴿وَجَائَتْ﴾ بعد ثلث من القائه ﴿سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجبّ ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الّذى يرد الماء ليستقى منه وكان مالك بن ذعر الخزاعى ﴿فَأَدْلَى﴾ ارسل ﴿دَلْوَهُ﴾ فى الجبّ ليملأها فتدلّى بها يوسف فاخرجه فلمّا رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾ نادى البشرى بشارة لنفسه او قومه مجازا كانّه قال احضرى فهذا آوانك ﴿هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ﴾ اى اخفاه الرّائى واصحابه من سائر الرّفقة ﴿بِضَاعَةً﴾ متاعا للتّجارة نصب على الحال ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩)﴾ لم يخف عليه اسرارهم ﴿وَشَرَوْهُ﴾ اى اشتروه من اخوته فانّهم كانوا يأتون كلّ يوم على قرب من الجبّ يتفحّصون عنه فلمّا رأوا السّيارة جاؤا الى الجبّ ونادوه فلم يجدوه فجاؤا اليها وفتّشوا الى ان اخرجوه من بينها وقالوا هذا عبدنا آبق منّا وباعوه من الرّائى معلّلين بآباقه وبسوأ ادبه وعدم صلاحيته للخدمة فسكت مخافة ان يقتلوه ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَاهِمَ﴾ بدل من الثّمن ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ قليلة

---

[1] - ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه...﴾ الآية: ٨٩

فانّهم كانوا يعدّون ما دون الأوقية ويزنون ما فوقه كان عشرين درهما او اثنى وعشرين ﴿وَكَانُوا﴾ اى اخوته ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)﴾ اى قليل الرّغبة فيه ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ بوزانه فضّة او ذهبا او درّا وهو قطفير العزيز وزير ريّان بن الوليد العمليقىّ لبث فى ملكه ثلث عشر سنة ثم استوزره الريّان بعد وفات العزيز وهو ابن ثلث وثلثين سنة فآمن به ومات فى حيوته وبقية المملكة له ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾ زليخا ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ مقامه عنده اى احسنى تعهّده ﴿عَسَى أَن يَنفَعَنَا﴾ فى مصالحنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وكان عقيما بل عنينا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما انجيناه ومكّنا محبّته فى قلب العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ ارض مصر حتّى بلغ ما بلغ ﴿وَ﴾ زائدة او للعطف على مقدّر متعلّق بمكّنا اى ليتصرّف فيها بالعدل و ﴿لِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرّؤيا ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ لا يعجزه شيء عمّا يشاء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١)﴾ ذلك ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ اى منتهى اشتداد جسمه وقوّته وهو سنّ الوقوف ما بين الثلثين والأربعين ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ اى الحكمة العمليّة او نبوّة وحكما بين النّاس ﴿وَعِلْمًا﴾ اى حكمة نظرية او فقها فى الدّين ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ زليخا ﴿عَن﴾ سببيّة اى من اجل ﴿نَّفْسِهِ﴾ والمعنى طلبت منه ان يواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ وكانت سبعة والتّشديد لتكثير المفعول ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ اسم فعل بمعنى اقبل وبادر الىّ واللاّم للتّبيين اى متعلّق بمحذوف على سبيل البيان كانّها قالت اقول انّ الخطاب لك كما فى سقيا لك ورعيا لك ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ اعوذ بالله معاذا من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ اى الشّأن ﴿رَبِّي﴾ سيدى العزيز ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ مقامى وتعهّدى فكيف اخنه فى اهله ﴿إِنَّهُ﴾ اى الشّأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)﴾ اى المجاوزون الحسن بالسّئ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ قصدت مخالطته قصدا صحيحا وقصد مخالطتها لا عن جدّ مثلها بل بمجرّد ميل الطّبع ومنازعة الشّهوة ومثله لا يدخل تحت التّكليف بل الحقيق بالمدح والثواب الجزيل من يكفّ نفسه عند عروض مثله وامّا ما يقال من انّها استلقت له وقعد بين رجليها بعد الحاح عظيم

منها واخذ بحلّ تكّته فلمباً رآى برهان ربّه بان تمثّل له يعقوب عاضّا على انامله او نودى يا يوسف انت من الأنبياء ونعمل عمل الاشقياء فزال عنه الشّهوة وقام هاربا فهو من الخرافات لا يحلّ ان يقال فى حقّ امثاله ﴿لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فى قبح الزّنا وجواب لولا لخالطها لغلبة الشّهوة وكثرة الألحاح لا قوله وهمّ بها ليدلّ على انّه لم يهمّ بها اصلا لانّها فى حكم ادوات الشّرط لا يتقدّم عليها جوابها ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا التّثبيت ثبّتناه ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ خيانة السّيد ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزّنا ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)﴾ الّذين اخلصهم الله لطاعته ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ بادرا اليه يوسف للفرار وهى للتثبّت به ومنعه من الخروج فامسكت ثوبه وجذبته اليها ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقّت ﴿قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ خلف ﴿وَأَلْفَيَا﴾ صادفا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَى الْبَابِ قَالَتْ﴾ ايهاما بانّها فرّت منه وتنزيها لنفسها عند زوجها ﴿مَا﴾ اىّ شيء ﴿جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ﴾ اى الاّ الحبس ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥)﴾ بان يضرب ﴿قَالَ﴾ يوسف دفعا لما عرضته له من السّجن ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ابن عمّ لها فى المهد اجريت الشّهادة على لسانه ليكون الزم عليها عن النّبى عليه الصّلاة والسّلام «تكلّم اربعة صغارا: ابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى»[1] ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾ قدام ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦)﴾ لانّه يدلّ على انّها قدّتها بالدّفع عن نفسها ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧)﴾ لانّه يدلّ على انّها تبعته فاجتذبته فقدّت ثوبه ﴿فَلَمَّا رَأَى﴾ زوجها ﴿قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ اى قولك ما جزاء من اراد الخ ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾ ايّها النّساء ﴿عَظِيمٌ (٢٨)﴾ لانّه اشدّ تأثيرا فى النّفس ثمّ قال يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الامر واكتمه ﴿وَاسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)﴾ اى الآثمين والتّذكير للتّغليب ثمّ لم يختف الخبر بل اشتهر وشاع ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الأعتبار غير حقيقىّ فلم يؤنّث

[1] – مسند أحمد: ٦/٢١٤

فعله ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ اى مدينة مصر صفة نسوة ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾ هو بلسان العرب الملك ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهُ﴾ عبدها ﴿عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا﴾ اى شقّ شغاف قلبها اى غلافه ودخله ﴿حُبًّا﴾ نصب على التّميز فى النّسبة وهو الفاعل فى المعنى اى شغفها حبّه ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ﴾ خطأ ﴿مُبِينٍ (٣٠)﴾ بين بحبّها اياه ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ غيبتهنّ لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ تدعوهنّ فدعت اربعين امرأة ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ ما يتكأ عليه من الوسائد ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ حتّى يتكين والسّكاكين بايديهنّ فاذا خرج عليهنّ يبهتن ويشتغلن عن نفوسهنّ فيقع ايديهنّ على ايديهنّ فيقطعنها فيبكتن بالحجّة وقيل المتكأ طعام يقطع بالسّكين كانّ القاطع يتّكى عليه عند القطع وهو الأترج ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ عظّمنه وهبن حسنه الفائق ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسّكاكين ولم يشعرن بالألم لشغل قلبهنّ بيوسف ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيها له من صفات العجز واصله حاشا فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التّنزيه فى باب الاستثناء فوضع موضع التّنزيه ولم ينوّن مراعاة للأصل الّذى نقل منه وهو الحرفية واللاّم للبيان كما فى سقيا لك ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١)﴾ لانّ جماله ليس من شأن البشر. وفى الصّحيح: «انّه اعطى شطر الحسن»[1] ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ﴾ اى هذا وصيغة البعيد لرفع منزلته هو ﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ اى فى مراودته ولمّا ظهر عذرها عندهنّ بما لحقهنّ من نظرة واحدة ما هو اعظم ممّا لحقها مع طول زمان كونه عندها كشفت عن حقيقة الحال ليعاونوها على الإتيه فقالت ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ امتنع طلبا للعصمة ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا﴾ كتب نون التّأكيد الخفيفة بالالف على حكم الوقف لشبهها بالتّنوين وتكتب بماح ﴿مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢)﴾ اى الذليلين فلمنه وقلن اطع مولاتك لئلاّ تسجنك ودعونه الى انفسهنّ ايضا ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ولو سئل من الله العافية ولم يختره من قبل

---

[1] - صحيح مسلم: ١/٣٨٥

نفسه لعافاه وما ابتلاه به ولذلك ردّ النّبي عليه السّلام على من كان يسأل الصّبر ﴿وإلاّ تَصْرِفْ عَنّي كَيْدَهُنَّ﴾ بالتّثبيت على العصمة ﴿أَصْبُ﴾ أمِلْ ﴿إِلَيْهِنَّ وأَكُنْ من الجاهلين (٣٣)﴾ اى السّفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فانّ الحكيم لا يفعل القبيح وقصد بذلك الدّعاء فلذلك قال تعالى ﴿فاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دعائه الّذى فى ضمن هذا القول ﴿فصرف عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ فثبّته على العصمة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لدعاء الملتجئين اليه ﴿الْعَلِيمُ (٣٤)﴾ باحوالهم وما يصلحهم ﴿ثُمَّ بَدا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ﴾ الدّالة على براءة يوسف كشهادة الصّبى وقدّ القميص وقطع النّساء ايديهنّ واستعصامه عنهنّ وفاعل بدا محذوف اى ان يسجنوه دلّ عليه ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتّى﴾ الى ﴿حِينٍ (٣٥)﴾ اى حملت زوجها وكان مطيعا لها زمامه بيدها ان يسجنه زمانا لينقطع كلام النّاس عنها او ليحسبوا انّه المجرم فسجنه ولبث فيه سبع سنين او اكثر ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ﴾ غلامان للملك ساقيه وصاحب طعامه لأتّهامهما بارادة تسميم الملك فرأياه يعبر الرّؤيا فذهبا اليه ليعبّر رؤياهما او لمجرّد الأختبار وكانا لم يريا شيئا ﴿قالَ أَحَدُهُما﴾ السّاقى ﴿إِنِّي أَرانِي﴾ فى المنام وهى حكاية حال ماضية ﴿أَعْصِرُ خَمْراً﴾ عنبا سمّاه بما يؤل اليه ﴿وَقالَ الآخَرُ﴾ الطّباخ ﴿إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ﴾ اى تنهش ﴿مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦)﴾ اى العالمين بتأويل الرّؤيا ﴿قالَ﴾ مريدا ان يرشدهما الطّريق الحقّ قبل قضاء حاجتهما كما هو طريق الهادين ويقدّم ما هو معجزة واخبار بالغيب ليدلّهما على صدقه فى الارشاد والتّعبير ﴿لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلاّ نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ﴾ اى بيان ماهيّة ذلك الطّعام وكيفيّته ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما ذلِكُما﴾ التّأويل ﴿مِمّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ بالالهام او الوحى وليس من قبيل التّكهّن و التّنجم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ﴾ تاكيد ﴿كافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائِي إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ تعليل لما قبله اى علّمنى ذلك لانّى آه او استيناف لتمهيد الدّعوة واظهار انّه من بيت النّبوة ليزيد وثوقهما به وكذلك جوّز للخامل ان يصف نفسه حتّى يعرف فيقتبس منه ﴿ما كانَ﴾

صحّ ﴿لَنَا﴾ معشر الأنبياء ﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ لعصمتنا ﴿ذَلِكَ﴾ التّوحيد ﴿مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا﴾ بالوحى ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ ببعثنا لارشادهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفّار ﴿لاَ يَشْكُرُونَ (٣٨)﴾ هذا الفضل فيعرضون عنه ويشركون ثم صرّح بدعائهما الى الإيمان فقال ﴿يَا صَاحِبَيِ﴾ ساكنى ﴿السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ متعدّدة ﴿خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ﴾ اى المتوحّد بالألوهيّة ﴿الْقَهَّارُ (٣٩)﴾ اى الّذى لا يقاومه غيره ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ انتما ومن على دينكما من اهل مصر ﴿مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً﴾ اى مسمّيات ﴿سَمَّيْتُمُوهَا﴾ آلهة ﴿أَنْتُمْ وَآبَآؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا﴾ باستحقاقها العبادة ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿سُلْطَانٍ﴾ حجّة وبرهان ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ فى امر العبادة ﴿إِلاَّ لِلّهِ﴾ لانّه المستحقّ لها ﴿أَمَرَ﴾ على لسان انبيائه ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التّوحيد ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ الحقّ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٤٠)﴾ ولمّا قرّر التّوحيد عاد الى تأويل رأياهم فقال ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ اى السّرابى فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُ﴾ سيّده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته الأولى ﴿وَأَمَّا الآخَرُ﴾ اى الطّباخ فيخرج بعدها ايضا ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ فقالا كذبنا ما رأينا شيئا فقال ﴿قُضِىَ الأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١)﴾ تسئلان اى فرغ منه وسيقع ما عبّرت لكما صدقتما او كذبتما جزم به لكون تعبيره عن وحى فعلى هذا الظن فى قوله ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ بمعنى اليقين او مسند الى النّاجى ﴿اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ﴾ اى اذكر حالى عند الملك كى يخلّصنى ﴿فَأَنسَاهُ﴾ اى السّرابى ﴿الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ اى ذكره لربّه فاضيف اليه المصدر للملابسة او انسى يوسف ذكر الله حتّى استعان بغيره مع كونها غير لائق بمنصب الأنبياء وان كانت محمودة فى الجملة لغيرهم عند الشّدائد ويؤيده قوله عليه السّلام: «رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربّك لما لبث فى السّجن سبعا بعد الخمس اى الّتى حسبها الى قوله اذكرنى»[1] آه ﴿فَلَبِثَ﴾ مكث يوسف ﴿فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)﴾ وهو ما بين الثلث الى التّسع لكن اتّفق انّ المراد هنا سبع

[1] - فتح البارى: ١٠/١٧٤

امّا بعد الخمس كما فى الحديث او بالكلّ ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لمآ دنى فَرَجُ يوسف ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يبتلعهنّ ﴿سَبْعٌ﴾ بقرات ﴿عِجَافٌ﴾ جمع عجفاء اى هزيلة قياسه عجف لكن حمل على سمان ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ﴾ قد انعقد حبّها ﴿و﴾ سبع ﴿أُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ قد ادركت والتوت على الخضر وعلت عليها ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ اى بيّنوا لى تعبيرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣)﴾ اى عالمين بعبارة الرّأيا ﴿قَالُوا﴾ هذه ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ جمع حلُم وهو الرأيا مطلقا واضافة الأضغاث الّتى بمعنى الأكاذيب اليها بيانيّة اى انّها منامات كاذبة ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ﴾ اى المنامات الكاذبة ﴿بِعَالِمِينَ (٤٤)﴾ وانّما نحن عالمون بالمنامات الصّادقة ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ اى من صاحبى السّجن وهو السّرابى ﴿وَادَّكَرَ﴾ فيه ابدال التّاء ذالا وادغامها فى الذّال بعد قلبه ايضا دالا اى تذكّر يوسف ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ جماعة من الزّمان ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥)﴾ الى السّجن فارسلوه اليه فقال يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ اى كثير الصّدق ﴿أَفْتِنَا فِي﴾ رؤيا ﴿سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ اى الملك ومن عنده ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦)﴾ تعبيرها او فضلك اتى بلعلّ لعدم جزمه بالرجوع اذ ربّما قبض دونه ولم يعلمهم ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ حال بمعنى دائبين اى مستمرّين على عادتكم فى الزّراعة بلا زيادة ولا نقصان وهو تأويل السّبع السمان والسّنبلات الخضرة ثم خصهم زيادة على التّعبير بقوله ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ اتركوه ﴿فِي سُنْبُلِهِ﴾ لئلاّ يفسده السّوس ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا﴾ كلمة من للبيان ﴿تَأْكُلُونَ (٤٧)﴾ فى تلك السّنين فادّسوه ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ مجذبات صعابا وهو تأويل السّبع العجاف والسّنبلات اليابسات ﴿يَأْكُلْنَ﴾ اى يأكل اهلهنّ لكن تجوّز تطبيقا بين المعبّر والمعبّر به ﴿مَا قَدَّمْتُمْ﴾ ادخرتم ﴿لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨)﴾ اى تحرزون للبذر ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يمطرون من الغيث مصدر قولك: (غاث الله بلادنا يغيثها) إذا انزل بها الغيث اى المطر

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)﴾ الأعناب وغيرها من كلّ ما يعصر لكثرة الثّمار وهذا بشارة خارجة من التّعبير كالنّصح المتقدّم ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ بعد ما جائه الرّسول بالتّعبير ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ليخرجه ﴿قَالَ﴾ مريدا اظهار برائته وسجنه ظلما ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ﴾ حال ﴿النِّسْوَةِ﴾ لم يقل اسئله ان يفتش عن حالهنّ تهييجا له على البحث فانّ المرأ اذا سئل عن حقيقة الشيء بذل جهده فى تحقيقه بخلاف ما اذا سئل عن التّفتيش عنها فانّه ربّما لا يبالى بذلك ﴿اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ لم يتعرّض لسيّدته مع ما صَنَعَتْ به مراعاة للأدب وفى الآية دليل على انّه ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتّقى مواقعها. وعن النّبى عليه السّلام: «لو كنت مكانه ولبثت فى السّجن ما لبث لأسرعت الأجابة»[1] ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠)﴾ حين قلن لى اطع مولاتك ودعونى الى انفسهنّ فرجع فاخبر الملك فجمعهنّ ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ شأنكنّ والخطب امر يحقّ ان يخاطب فيه صاحبه ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ﴾ انكشف واستقرّ ﴿الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١)﴾ فى قوله هى راودتنى عن نفسى فاخبر يوسف بذلك فقال ﴿ذَلِكَ﴾ اى طلب البرائة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ فى اهله ﴿بِالْغَيْبِ﴾ عنه حال من فاعل لم اخنه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢)﴾ ثمّ تواضع لله ونبّه انّه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتّوفيق بقوله ﴿وَمَا أُبَرِّئُ﴾ انزه ﴿نَفْسِي﴾ من الذّلل ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ من النّفوس فعصمه من ذلك ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ﴾ للذّنوب ﴿رَحِيمٌ (٥٣)﴾ بمن يشاء بالعصمة ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ اجعله خالصا لنفسى لا لأحد فجائه الرّسول وقال اجب الملك فقام وودّع اهل السّجن ودعا لهم ثمّ اغتسل ولبس ثيابا حسنا ودخل عليه وقال اللّهمّ انّى اسئلك من خيره واعوذ بعزّتك وقدرتك من شرّه ثم سلّم عليه

---

[1] - فيض القدير: ٤/٣٧

ودعا له بالعبريّة ﴿فلمّا كلّمه﴾ الملك وشاهد منه الرشد والدّعاء روى انّ الملك كان يعرف سبعين لسانا فكلّمه بها فاجابه بجميعها فتعجّب منه وقال احبّ ان اسمع رأيای منك شفاها فوصف له لون البقرات واحوالهنّ ومكان خروجهنّ ومكان السّنابل وما كان منها على الهيئة الّتى رائيها من غير ان ينقص منها حرفا ﴿قال إنّك اليوم لدينا مكين أمين (٥٤)﴾ ذو مكانة وامانة على امرنا فماذا ترى ان نفعل فقال اجمع الطّعام وازرع زرعا كثيرا فى هذه السّنين المخصبة فادّخر الطّعام فى سنبله فاذا جاءت السّنون المجدبة ياتى اليك الخلق لشرى الغلاّت فيحصل بذلك مال عظيم فقال من لى بهذا الشّغل ﴿قال﴾ يوسف ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ ارض مصر ﴿إنّي حفيظ﴾ لها ممّن لا يستحقّها ﴿عليم (٥٥)﴾ بوجوه التّصرف فيها ولعلّه لمّا رأى انّه يستعمله فى امره لا محالة آثر ما يعمّ فوائده وفيه دليل على جواز طلب التّولية واظهار انّه مستعدّ لها ﴿وكذلك﴾ مثل ذلك التّمكين الّذى التمسه يوسف ﴿مكّنّا ليوسف في الأرض﴾ ارض مصر ﴿يتبوّأ﴾ ينزل ﴿منها﴾ اى من بلادها ﴿حيث يشاء﴾ بعد ضيق الرقبة والحبس روى انّها كانت اربعين فرسخا فى اربعين ينزل منها حيث يهوى لاستيلائها على جميعها اذ الملك توجّه وختّمه ووضعه على سرير من الذّهب مكلّل بالدرر والياقوت وولاّه مكان العزيز بعد وفاته وقيل قبلها وتزوّج زليخا بعد مامات العزيز وعميت هى ودعى لها فعادت الى عمر الصّبى فوجدها عذراء وولدت له ولدين افرائيم وميشا ثم مات الملك وبقيت المملكة بيده واقام العدل بمصر ودانت له الرّقاب ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾ فى الدّارين ﴿ولا نضيع أجر المحسنين (٥٦)﴾ فيهما ﴿ولأجر الآخرة خير﴾ من اجر الدّنيا ﴿للّذين آمنوا وكانوا يتّقون (٥٧)﴾ الشّرك والفواحش لعظمه ودوامه ودخل سنون القحط واصاب ارض كنعان والشّام فتوجّه النّاس اليه فباعهم الطّعام باموالهم حتّى لم يبق لهم شيء ثمّ برقابهم فاسترقّهم جميعا ثمّ عرض الأمر على الملك وكان حينئذ حيّا فقال الأمر امرك فاعتقهم وردّ عليهم اموالهم ﴿وجاء إخوة يوسف﴾ الاّ بنيامن ليشتروا الطّعام لمّا سمعوا انّ عزيز مصر يعطى الطّعام

بثمنه ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ انّهم اخوته ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٥٨)﴾ لا يعرفونه لبعد العهد اذ كان بعد اربعين سنة من يوم رميه فى الجبّ ولظنّهم هلاكه وقلّة تأمّلهم فيه من التهيّب فكلّموه بالعبرانيّة فقال كالمنكر عليهم ما اقدمكم ببلادى قالوا للشرى قال لعلّكم عيون قالوا معاذ الله نحن من بلاد كنعان وابونا يعقوب نبى الله قال وله اولاد غيركم قالوا نعم كنّا اثنى عشر فذهب اصغرنا الى البريّة فهلك فاحتبس شقيقه ليتسلّى به عنه فامر بانزالهم واكرامهم ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ بأن وفى لهم كيلهم ﴿قَالَ﴾ دعوا بعضكم عندى رهينة و ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ حتّى اصدّقكم فيما قلتم فاقترعوا فاصابت شمعون ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ انّه ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩)﴾ للضيف ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ (٦٠)﴾ امّا نهى او معطوف على محلّ فلا كيل ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ سنجتهد فى طلبه منه ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١)﴾ ذلك البتّة ﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾ لغلمانه الكيّالين ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ الّتى اشتروا بها الطّعام وكانت دراهم او نعالا و ادما ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ اوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ وفرّغوا اوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢)﴾ لمّا رأوا احساننا اليهم بردّ البضاعة ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ بعد هذا ان لم يذهب بنيامين ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ ما نحتاج اليه ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣) قَالَ هَلْ﴾ ما ﴿آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد قلتم فيه انّا له لحافظون ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ فأتوكّل عليه تميز او حال كما فى لله درّه فارسا ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٦٤)﴾ فارجو ان يرحمنى بحفظه ولا يجمع علىّ مصيبتين ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ ما استفهاميّة اى اىّ شيء نطلب من اكرام الملك اعظم من هذا ثمّ ستأنفوا بقولهم ﴿هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ فنستظهر بها ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ اى نأتى بالميرة لهم وهى الطّعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ عن المكروه فى ذهابنا وايابنا ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ﴾ حمل ﴿بَعِيرٍ﴾ باستصحاب اخينا لانّ يوسف كان لا يكيل لكلّ رجل الاّ حمل بعير ﴿ذَٰلِكَ﴾ اى كيل بعير ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ(٦٥)﴾ سهل على الملك لسخائه ﴿قَالَ لَن

أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ عهدا مؤكدا بذكر الله بان تحلفوا ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ جواب القسم المفهوم من تأتونى موثقا ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بان تموتوا جميعا او تغلبوا فلا تطيقوا الأتيان به فاجابوه الى ذلك ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بذلك ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ انا وانتم من طلب الموثق واتيانه ﴿وَكِيلٌ (٦٦)﴾ مطّلع شهيد فارسله معهم ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا﴾ مصر ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ لانّهم كانوا ذوى جمال فخاف ان تصيبهم العين فانّها حقّ ولو من صالح ونفس المرأ لأحاديث كثيرة؛ منها «العين حقّ» و«لو سبق شيء القدر سبقت العين القدر» ومنها ما روى عن عائشة «انّه عليه السّلام كان يأمر العاين ان يتوضّأ ثمّ يغتسل منه المعين» وهو نافع واجب على العاين ويقرأ المعين ما شاء الله لا قوّة الاّ بالله حصّنت نفسى بالحيّ القيّوم الّذى لا يموت ابدا ودفعت عنها السّوأ بالف لا حول ولا قوّة الاّ بالله العليّ العظيم. وما كان يعوّذ عليه السلام به الحسن والحسين وهو «أعوذ بكلمات الله التّامة من كلّ هامّة -أي ذات سمّ يقتل- وعين لامّة - أي نازلة بالمعيون او جامعة للشّر عليه-» ﴿وَمَا أُغْنِي﴾ ادفع ﴿عَنْكُمْ﴾ بقولى ذلك ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ من قضائه ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ قدّره عليكم فانّه واقع البتة غاية الامر انّ الأنسان مأمور بان يراعى الأسباب الدّنيويّة ويسعى فى تحصيل المنافع ودفع المضارة بقدر الأمكان مع الجزم بانّه لا يصل اليه الاّ ما قدّر الله وربط قلبه بمجرّد مشيّته وقطع الرّجاء عن كلّ شيء سواه كما قال ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧)﴾ كأنّ الواو للعطف والفاء لأفادة التّسبب فانّ فعل الأنبياء سبب لان يقتدى بهم فلذا جمع بينهما مع وجود المجوّز اجتماعهما وهو عليه المقدّم على متعلّقه لأفادة الأختصاص الفاصل ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ اى من ابواب متفرقة وجواب لمّا قوله ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ رأى يعقوب ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ اى قضائه ﴿مِنْ شَيْءٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهى ارادة دفع العين شفقة ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ ولذا قال ما اغنى آه ولم يغتر بتدبيره ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨)﴾ انّه لا يغنى الحذر عن القدر ﴿وَلَمَّا

دخلوا على يوسف آوى﴾ ضمّ ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ وامر ان ينزل كلّ ابنين بيتا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيّا لجلس معى قال اتحبّ ان اكون اخاك بدله قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك ابوىّ ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩)﴾ فى حقّنا حسدا فامره ان لا يخبرهم وقال اجعلنى فى حلّ لأحتال فى ابقائك عندى باتهامك بسرقة فقال افعل ما تريد ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ المشربة وكانت من ذهب مرصّع بالجواهر جعلت صاعا يكال بها ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انقضائهم من مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَ﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ ماذا تَفْقِدُونَ (٧١)﴾ اى ايّ شيء ضاع عنكم ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطّعام ﴿وَأَنَا بِهِ﴾ بالحمل ﴿زَعِيمٌ (٧٢)﴾ كفيل اؤدّيه الى من ردّه ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التّعجب من نسبة السّرقة اليهم مع العلم ببرائتهم بقرينة احوالهم ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ اى السّارق ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤)﴾ فى ادعائكم البراءة ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ اى جزاء سرقة الصّاع مبتدأ خبره ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ اى اخذه واسترقاقه سنة هكذا كان شرع يعقوب وقوله ﴿فَهُوَ﴾ اى اخذ من وجد فى رحله يعنى السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾ اى المسروق تقرير للحكم والزام له ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥)﴾ بالسّرقة ﴿فَبَدَأَ﴾ المؤذّن ﴿بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ ففتّشها ﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ لئلاّ يتّهم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ اى السّقاية او الصّواع لانّه يذكّر ويؤنث ﴿مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ﴾ الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ علّمناه اياه بالوحى ليأخذ اخيه وبيّن الكيد بقوله ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ اى حكم ملك مصر لانّ حكمه كان الضرب وتغريم مثلى المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ كلمة تأبيد هنا كانّه قيل ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك ابدا لانّ من انتصب بمنصب النّبوة جليل عن ان يحكم بحكم الكفّار ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ بالعلم كما رفعنا درجته ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من الخلائق ﴿عَلِيمٌ (٧٦)﴾ اعلم منه حتّى ينتهى الى الله تعالى ولكون الكلام فيما

سوى الله لم يكن تمسّكا للمعتزلة فى انّه عالم بذاته لا بعلم زائد يقوم به اى ليس بذى علم والاّ لكان فوقه من هو اعلم منه ﴿قالُوا﴾ تبرأة لنفسهم حين افتضحوا بالخروج فى رحله ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ فليس ببعيد منه ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ اقتفى اثره وامّا نحن فلسنا على طريقتهم لانّهما من امّ اخرى ﴿فَأَسَرَّها﴾ اى الأجابة او نسبة السّرقة اليه ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِها﴾ يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ ويبدل من اسرها ﴿قالَ﴾ فى نفسه ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكاناً﴾ منزلة من يوسف واخيه فى السّرقة لسرقتكم اخاكم من ابيكم وظلمكم له ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما تَصِفُونَ (٧٧)﴾ يعلم انّه كذب ﴿قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً﴾ فى السّنّ يحبّه اكثر منّا ويتسلّى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنا مَكانَهُ﴾ بدله ﴿إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨)﴾ الينا فاتمم أحسانك ﴿قالَ مَعاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنا مَتاعَنا عِنْدَهُ﴾ لم يقل من سرق تحرّزا من الكذب ﴿إِنَّا إِذاً لَظالِمُونَ (٧٩)﴾ فى مذهبكم ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا﴾ يئسوا ﴿مِنْهُ﴾ اى من يوسف واجابته ايّاهم ﴿خَلَصُوا﴾ انعزلوا ﴿نَجِيًّا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره فى موضع الحال اى يناجى بعضهم بعضا ﴿قالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سنا روبيل او رأيا شمعون او يهوذا ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَباكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقاً﴾ عهدا وثيقا ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ فى اخيكم ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا﴾ زائدة ﴿فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ افارق ﴿الْأَرْضَ﴾ اى ارض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ فى الرّجوع ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بخلاص اخى او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انّ روبيل قال ان لم تتركونا اصيحنّ صيحة تضع منها الحوامل وقفّت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لأبنه اقم الى جنبه فمسّه وكان بنوا يعقوب اذا غضب احدهم فمسّه الأخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا انّ فى هذا البلد لبزر من بزر يعقوب ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ (٨٠)﴾ لانّ حكمه لا يكون الاّ حقّا ﴿ارْجِعُوا إِلى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يا أَبانا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَما شَهِدْنا﴾ عليه ﴿إِلاَّ بِما عَلِمْنا﴾ بان رأينا انّ الصّاع استخرج من وعائه ﴿وَما كُنَّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ (٨١)﴾ من انّه سيسرق وانّك تصاب به كما اصبت بيوسف والاّ لم نعطك الموثق ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها﴾ هى مصر ارسل الى

اهلها فاسئلهم عن القصّة ﴿و﴾ اسئل ﴿الْعِيرَ﴾ اى اصحاب العير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم قوم من كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)﴾ تاكيد فى محلّ القسم فرجعوا اليه وقالوا له ذلك ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زيّنت وسهّلت ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ بان افتيتم للملك انّ السّارق يؤخذ بسرقته فعمل بفتواكم والاّ ما عرف ذلك كان الفتوى قبل ظهور الصّاع على وجه الجواب من غير علم انّهم سيلزمون به لكنّه اتّممهم لما سبق منهم فى امر يوسف انّهم افتوا بذلك بعد ظهور السّرقة ليرجعوا الى ابيهم دونه ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ مبتدأ خبره محذوف اى اجمل ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ اى بيوسف وبنيامن وروبيل ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالى وحالهم ﴿الْحَكِيمُ (٨٣)﴾ فى تدبيره ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ اى اعرض عن خطابهم كراهة لما صادف منهم ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى﴾ اى يا حزنا تعال فهذا آوانك والألف منقلبة من ياء المتكلّم بعد فتح ما قبلها تخفيفا لم يكن حينئذ انّا لله وانّا اليه راجعون لانّه مخصوص بأمّة محمّد والاّ لقال ذلك بدل يا اسفى ليستوجب الثّواب العظيم ﴿عَلَى يُوسُفَ﴾ تأسّف عليه فقط لانّ مصيبته كانت رأس المصيبات ولانّه كان واثقا بحياتهما دون حياته ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ كناية عن غلبة البكاء اى لكثرة بكائه من الحزن كان الدّموع محقت سوادهما قيل ما جفّت عين يعقوب من وقت فراق يوسف الى وقت لقائه وكان بينهما اربعون عاما فكانّه عمى وقيل عمى حقيقة ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)﴾ مكظوم مملو من الغيظ والكرب على اولاده لا يظهره ﴿قَالُوا﴾ اولاده ﴿تَاللَّهِ﴾ لا ﴿تَفْتَأُ﴾ تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ حريضا مشرفا على الهلاك لطول مرضك وهو فى الأصل مصدر يستوى فيه الواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)﴾ اى الموتى ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾ همّى الّذى لا اقدر الصّبر عليه فانبثّه من البث بمعنى النشر ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ لا الى غيره فحلّونى وشكايتى ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ بالألهام ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦)﴾ من حياة يوسف ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اى تفحّصوا عن حالهما ﴿وَلَا تَيْأَسُوا﴾ تقنطوا ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ اى فرجه ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ

قالوا يا أيّها العزيز مسنا وأهلنا الضّرّ ﴾ شدّة الجوع ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ مدفوعة يدفعها كلّ من رآها لردائتها وكانت دراهم زيوفا او غيرها ﴿فأوف﴾ اتم ﴿لنا الكيل وتصدّق عَلَيْنَا﴾ بردّ اخينا او بالمسامحة فى قبول بضاعتنا المزجاة او بالزّيادة على ما يساويها ان قلنا حرمة الصدقة مخصوصة بنبيّنا لا تعمّ الأنبياء ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)﴾ كان بعثهم ابوهم للتّجسس عن يوسف لكن قالوا فى نفسهم نظهر شدّة حاجتنا للعزيز ليرقّ قلبه لنا ثم نسئله عن مقصودنا لعلّه يدلّنا عليه فرّق عليهم وادركته الرّحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم ثم ﴿قَالَ﴾ شفقة عليهم وترغيبا على التّوبة ﴿هل علمتم﴾ قبح ﴿ما فعلتم بيوسف﴾ ممّا تقدّم ذكره ﴿وَأَخِيهِ﴾ من افراده عن يوسف واذلاله حتّى كان لا يستطيع ان يتكلّم معكم الاّ بذلّة ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩)﴾ قبحه لصغركم فلذلك اقدمتم عليه ﴿قالوا إنك لأنت﴾ مبتدأ خبره ﴿يُوسُفُ﴾ والجملة خبر انّ والأستفهام لتقرير يوسف ولذلك حقّق بانّ واللاّم عليه ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ﴾ انعم ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالسّلامة والاجتماع ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ يخف الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على البلايا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)﴾ اتى بالمظهر تنبيها على انّ المحسن من جمع بين التّقوى والصّبر ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ﴾ اختارك وفضلك ﴿عَلَيْنَا﴾ بالملك وحسن الصّورة وكمال السّيرة ﴿وَ﴾ حال ﴿إِنْ﴾ مخففة اى انّا ﴿كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١)﴾ مذنبين مما فعلنا بك ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾ عتب ثابت ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ الّذى هو مظنّة التّثريب فضلا عن غيره فهو ظرف للتّثريب ويجوز ان يكون ظرفا لقوله ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ لانّ يوسف صفح عن ذنبهم حينئذ واعترفوا به وتابوا فغفر لهم ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)﴾ فانّه يغفر الصّغائر والكبائر ويتفضّل على التّائب ومن كرم يوسف انّه لمّا عرف انّهم لا زالوا مستحيين قال لهم ازالة لذلك ما اكرم قدومكم علىّ حيث شرّفت بكم وعظمت فى اعين اهل مصر اذ كانوا ينظرون الىّ بالعين الأولى ويقولون غلام عبرىّ بلغ هذه المرتبة وسألهم عن ابيه فقالوا ذهبت عيناه اى حقيقة او بمعنى غارق فى دموعه منذ فارقته فقال ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ اى الّذى كان عليه او المتوارث الّذى كان

فى تعويذه حين القى فى الجبّ وكان لا يلقى على مبتلى الاّ عوفى ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ اى يتسلّى قلبه ويسكن بكائه او يزول عماه ﴿وَأْتُونِي﴾ انتم وابى على تغليب المخاطبين على الغائب ﴿بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ خرجت من عمران مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضره ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ اوصله الصّبا بأذنه تعالى من مسيره ثلثة ايّام او اكثر فى هذا الاحساس مع عدم الأحساس به حين كان فى الجبّ وعدم وصول خبره اليه فى مدة اربعين سنة مع قرب البلدتين دلالة على انّ كلّ سهل فى زمان المحنة صعب وكلّ صعب فى زمان الأقبال سهل وانّ احوال اهل العرفان متفاوتة ﴿لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤)﴾ تنسبونى الى الفند اى نقصان العقل من هرم وحواب لولا محذوف اى لصدقتمونى ﴿قَالُوا﴾ اى الحاضرون ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ﴾ خطأك ﴿الْقَدِيمِ (٤٥)﴾ من الإفراط فى محبّته ورجاء لقائه ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ زائدة ﴿جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ يهوذا بها وكان قد حمل قميص الدّم فأحبّ ان يفرّحه كما احزنه ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾ عاد ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)﴾ اخّره الى السّحر او الى ليلة الجمعة ليكون اقرب الى الأجابة او الى ان يعلم انّ يوسف عفى عنهم فانّ عفو المظلوم شرط المغفرة ثم توجّهوا الى مصر فاستقبلهم يوسف والملك واكابر مصر ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ فى خيمته خارج البلد حين استقبلهم وكانوا ثلث وتسعين بين الرّجال والنّساء او اقلّ وخرجوا مع موسى وهم ست مائة الف وخمس مائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكان بينهما اربع مأية سنة ﴿آوَى﴾ ضمّ ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ اى اباه وخالته لانّ امّه كانت قد ماتت بنفاس بنيامن فتزوّج اختها ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ (٩٩)﴾ من القحط وانواع المكاره فدخلوا وجلس يوسف على سريره ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ اجلسهما معه ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ السّرير ﴿وَخَرُّوا﴾ اى ابواه واخوته ﴿لَهُ سُجَّدًا﴾ بوضع الجبهة على الأرض اذ لم يكن منهيّا لغير الله فى شريعتهم وكان تحيّة النّاس بعضهم لبعض فحيّوه واكرموه به والاّ

فيعقوب كان اولى به منه ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ صدقا ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ ولم يذكر الجبّ لئلاّ تخجل اخوته ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ البادية لانّهم كانوا يقيمونها لمواشيهم ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ﴾ افسد وحرّش ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾ تدبيرا ﴿لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بوجوه المصالح ﴿الْحَكِيمُ (١٠٠)﴾ بفعل كلّ شيء فى وقته وموضعه روى انّه طاف بابيه خزائنه فلماّ دخل خزانة القرطاس قال يا بنيّ ما منعك وعندك هذه القراطيس ان تكتب الى ثمان مراحل قال جبرائيل فسأل جبرائيل فقال امرنى الله بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذّئب قال فهلاّ خفتنى فأقام يعقوب معه اربعا وعشرين سنة وحضره الموت فوصّى يوسف ان يدفنه بالشّام الى جنب ابيه فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ولماّ تمّ امره وعلم انّه لا يدوم اشتاقت نفسه الى الملك الدائم فقال ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ اى بعضه وهو ملك مصر ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ﴾ ايضا للتّبعيض ﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ الكتب او الرّايا ﴿فَاطِرَ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ صفة المنادى او منادى برأسه ﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾ متولى امرى ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)﴾ من آبائى فى الرّتبة والكرامة فعاش بعد ذلك اسبوعا ومات طيّبا طاهرا حين وضع رجله فى الرّكاب ليركب وله مأية وعشرون سنة فتخاصم المصريّون فى مدفنه ثمّ اتّفقوا على ان جعلوه فى صندوق مرمر ودفنوه فى النّيل لتعمّ البركة جانبيه ثم نقله موسى حين الفرار من فرعون الى مدفن ابائه اذ كان قد وصّى ان لا تخرج ذريّته من مصر بدونه فسبحان من لا انقضاء لملكه ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من نبأ يوسف ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ اخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمّد خبران لذلك ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ لدى اخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ فى كيده اى عزموا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢)﴾ به وبأبيه اى لم تحضرهم لتعرف قصّتهم فتخبر بها وانّما حصل لك علمها بالوحى ولماّ شرحها عليه السّلام للسائلين وهم قريش وجماعة من اليهود على اعتقاد انّهم يؤمنوا بعدها فلم يؤمنوا بل اصرّوا على كفرهم حزن لذلك فسلاّه تعالى بقوله

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إيمانهم وبالغت فى اظهار الآيات عليهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ لعنادهم وتعاميهم عن الدّلائل ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ اى على الأنباء اوالقرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تأخذ كما تفعل الأحبار ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ عظة من الله ﴿لِلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّنْ﴾ كم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ دالّة على وحدانيّته تعالى وكمال قدرته ﴿فِى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥)﴾ لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ﴾ بان يقرّوا بخالقيته ورازقيّته ﴿إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦)﴾ به بعبادة الأوثان ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ عقوبة تغشاهم وتشملهم ﴿مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٠٧)﴾ بأتيانها غير مستعدّين لها ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى﴾ وفسّرها بقوله ﴿أَدْعُو إِلَى﴾ دين ﴿اللهِ﴾ كائنا ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ حجّة واضحة ﴿أَنَا﴾ تاكيد للمستتر فى ادعوا ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِى﴾ عطف عليه ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ﴾ تنزيها له عن الشّركاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ من جملة سبيله ايضا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً﴾ لا ملائكة ﴿نُوحِى إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار لانّهم اعلم واحلم من اهل البوادى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ بتكذيبهم الرّسل فيحذروا تكذيبك ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ اى الجنّة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الله ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (١٠٩)﴾ ليعرفوا انّها خير ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ غاية لمحذوف دلّ عليه الكلام اى لا يغرّهم تمادى ايامهم فانّ من قبلهم امهلوا حتّى ايس الرّسل عن ايمانهم ﴿وَظَنُّوا﴾ ايقن الرّسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ من جهة القوم اى قالوا لهم كذبتم فيما اوعدتمونا ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَنْ نَشَاءُ﴾ اى النّبى والمؤمنون ﴿وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾ المشركين ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ اى الرّسل ومنهم يوسف ﴿عِبْرَةٌ لأُولِى الأَلْبَابِ﴾ اصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب الألهية ﴿وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يحتاج اليه فى الدّين ﴿وَهُدًى﴾ من الضّلال ﴿وَرَحْمَةً﴾ ينال بها خير الدّارين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾ يصدّقونهم لانّهم المنتفعون.

سورة الرعد

مدنيّة قيل: إلاّ (ولو أنّ القرآن) الآيتين وقيل مكّية إلاّ (ولا يزال الّذين) الآية و(يقول الّذين كفروا لست مرسلا) الآية، خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓرٰ﴾ متشابه وقيل معناه: أنا الله أعلم وأرى ﴿تِلْكَ﴾ اى ايات السّورة ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ اى السّورة الكاملة او القرآن على ما مرّ اوّل يوسف ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ اى القرآن مبتدأ خبره ﴿الْحَقُّ﴾ والجملة كالحجة على الأولى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١)﴾ لعدم تأمّلهم فيه ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ خبره ﴿الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ جمع عماد وهو الأسطوانة ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفته وكلمة النّفى امّا راجع اليهما معا اى لا عَمَدَ لها فلا ترى او الى الرّأية فقط بان يكون لها عماد غير مرأى وهو القدرة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ بالحفظ والتّدبير ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلّل ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لنفع الكائنات ﴿كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ فى فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ لغاية مضروبة لانقطاع سيره وهو يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ اى امر ملكه كيف يشاء ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ ينزلها ويبيّنها ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾ بالبعث ﴿تُوقِنُونَ (٢)﴾ بان تتفكروا فيها فتعلمون انّ من قدر على خلق هذه الأشياء وتدبيرها قدر على الأعادة والجزاء قرّر الدّلائل السماويّة. ثم شرع فى الأرضيّة فقال ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ﴾ بسط ﴿الْأَرْضَ﴾ ليسكن عليها الحيوانات ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت ﴿وَأَنْهَارًا﴾ ولكون الجبال اسبابا لتولّدها اكتفى فيهما بعامل واحد ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ متعلّق بقوله ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾ صنفين ﴿اثْنَيْنِ﴾ كالحلو والحامض والأسود والأبيض والصّغير والكبير ﴿يُغْشِي﴾ يغطّى ﴿اللَّيْلَ﴾ اى بظلمته ﴿النَّهَارَ﴾ حال من ضمير الله المستتر فى الأفعال المذكورة قبلها وفائدتها الدّلالة على انّه لا يكمل الأنعام الاّ بتعاقبهما

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ على وحدانيّته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣)﴾ فيها ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ ملتصقات فمنها صيّب وسبخ ورخو وصلب وقليل ريع وكثير وصالح لشيء دون شيء وهو ايضا من دلائل قدرته تعالى اذ لولاها لما اختلفت مع اشتراكها فى الطّبيعة الأرضيّة ﴿وَجَنَّاتٌ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ﴾ وحّده لانّه فى الأصل مصدر ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ جمع صنو وهى النخلات يجمعها اصل واحد ويتشعّب فروعها ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ اى متفرقة مختلفة الأصول ﴿يُسْقَىٰ﴾ اى الجنّات وما فيها ﴿بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ اى فى الثّمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وهو من دلائل الصّانع وقدرته فانّ اختلافها مع اتّحاد الأصول والاسباب لا يكون الاّ بتخصيص قادر مختار كما قال ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)﴾ يتفكّرون ولمّا قرّر دلائل الوحدانيّة والقدرة على كلّ شيء وكانت دالّة على صحّة الأعادة ايضا استبعد قول من انكرها فقال ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمّد من انكارهم البعث ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ اى حقيق بان يتعجّب منه فانّ من قدر على انشاء الخلق وما تقدّم على غير مثال كانت الأعادة ايسر شيء عليه ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدل من قولهم او مفعول له واذا هنا لمجرّد الظرف ليس فيها معنى الشّرط والعامل فيها نحو نبعث او نحشر الدّال عليه لفى خلق جديد لا هو لانّ ما بعد اداة الأستفهام لا يعمل فيما قبله ولا كنّا لانّه مضاف اليه فلا تعمل فى المضاف ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ لانكارهم قدرته على البعث ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ﴾ جمع غلّ وهو طوق يقيّد به اليد الى العنق ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ﴾ لا غيرهم ﴿فِيهَا﴾ لا فى غيرها ﴿خَالِدُونَ (٥)﴾ فانّ كلاّ من توسيط ضمير الفصل وتقديم الظرف يفيد الحصر ونزل لمّا استعجلوا العذاب استهزاء ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ اى العقوبة وجعل ظرفا للاستعجال او حالا مقدّرة من السّيئة قوله ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ اى العافية وامهالهم الى يوم القيامة بشرافة النّبى عليه السّلام فانّ ذلك حسنة فى حقّهم او المراد بها الثواب الموعود لهم فى الآخرة وحصول النّصر فى الدّنيا

بشرط الإيمان والمعنى طلبوا نزول العذاب بدل ما وعد لهم على الإيمان ﴿وَ﴾ حال ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ﴾ اى عصاة المؤمنين ﴿الْمَثُلاَتُ﴾ جمع مثلة بفتح الثّاء وضمّها اى عقوبات امثالهم من المكذّبين افلا يعتبرون بها ويخافون من مثلها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ﴾ اى اهل الكبائر ﴿عَلَى﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ انفسهم ومحلّه النّصب على الحال اى مستمرّين على ظلمهم فهو دليل على جواز العفو قبل التّوبة فانّ التّائب ليس على ظلمه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦)﴾ للكفار ولمن شاء من عصاة المؤمنين ولمّا استعجب منهم انكارهم البعث والجزاء المستلزم لانكار النّبوة حكى عنهم طعنهم فى النّبى وطلب المعجزات الظّاهرة منه فقال ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمّد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كآية موسى وعيسى وغيرهما ولا يعتدّون بالآيات المنزّلة عليك ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ مخوف للكافرين وليس عليك الأتيان بالأيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧)﴾ نبىّ يهديهم الى الحقّ بما يعطى من معجزات هى من جنس ما هو الغالب عليهم لا بما يقترحون فاعطى العصا لموسى لكون الغالب فى زمانه السحر واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لعيسى لكون الغالب فى زمانه الطب وعلى هذا القياس ولمّا كان الغالب فى زمان نبيّنا الفصاحة والبلاغة جعل معجزته القرآن الّذى هو فى غايتهما بحيث يخرج عن قدرة البشر الأتيان بمثل اقصر سورة منه فلمّا لم يؤمنوا به مع انّه اقرب الى طريقهم واليق بطباعهم فبان لا يؤمنوا بسائر المعجزات اولى ولذا اردفه بما يدلّ على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انّه قادر على انزال ما اقترحوا لكن لم ينزله لعلمه بانّ اقتراحهم للعناد لا للاسترشاد فقال ﴿اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ﴾ به ﴿كُلُّ أُنْثَى﴾ من ذكر وانثى وواحد ومتعدد وما يجرى عليه فى المآل وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ تنقص ﴿الأَرْحَامُ﴾ من مدّة الحمل والجثّة ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ منها واقصى مدّة الحمل اربع سنين عند الشّافعى واقلّها ستّة اشهر واغلبها تسعة ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨)﴾ بقدر وحدّ لا يجاوزه ولا ينقص عنه ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ اى ما غاب وما شوهد ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم الشأن ﴿الْمُتَعَالِ (٩)﴾ على كلّ

شيء بقدرته ﴿سَوَاءٌ﴾ فى علمه ﴿مِنكُم﴾ حال من الضّمير المستتر فى سواء لانّه بمعنى مستو خبر لقوله ﴿مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾ في نفسه ﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ اى طالب الخفاء فى مجيئ ﴿بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ﴾ بارز ﴿بِالنَّهَارِ (١٠)﴾ يراه كلّ احد ﴿لَهُ﴾ اى لمن اسرّ آه ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾ ملائكة تعقب فى حفظه سمّوا بذلك لكثرة تعقّب بعضهم بعضا او لكثرة انّهم يعقبون افعال المكلفين واقوالهم فيكتبونها والتّاء فى مفرده للمبالغة كما فى العلامة ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قدامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ صفة معقبات او حال من ضميره فى خبره المقدّم ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ﴾ مبيية اى بسبب ﴿أَمْرِ اللَّهِ﴾ ايّاهم من نقمته اذا اذنب بأستغفارهم له وسآلهم ان يمهله او من الجنّ والانس والهوام وسائر المضارّ الاّ ما قدّر ان يصيبه فانّهم لا يقدرون على دفعه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من العافية والنّعمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ﴾ اى رادّ ﴿لَهُ﴾ من المعقّبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ اى لأولائك القوم ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿وَالٍ (١١)﴾ يلى امرهم فيدفعه عنهم ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من اذاه ﴿وَطَمَعًا﴾ فى المطر وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اى ارادة خوف وطمع ﴿وَيُنْشِئُ﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ﴾ الغيم المنسحب فى الجوّ ﴿الثِّقَالَ (١٢)﴾ بالمطر ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ ملتبسا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ اى يقول سبحان الله وبحمده وهو ملك موكّل بالسّحاب فيجمعها ويسوقها اين شاء الله واذا شذّت سحابة ضمها وقد يطلق على صوته بالتّسبيح والتّهليل مجازا وله اجنحة يسوق بها السّحاب هى البرق او لمعانها وتطير من فيه نار عند اشتداد غضبه هى الصاعقة ﴿و﴾ تسبح ﴿الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ اى من خوف الله و اجلاله وقيل من خوف الرّعد ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهلكه ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ عطف على الله يعلم ما تحمل آه اى الكفّار مع ظهور الدّلائل يخاصمون ويكذّبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة واعادة النّاس او حال اى يصيبهم بها حال مجادلتهم اذ روى انّها نزلت فى رجل بعث اليه النّبى عليه السّلام من يدعوه فقال مَنْ

رسول الله وما الله أمِنْ ذهب هو ام من فضّة ام نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)﴾ اى شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ اى الدعاء الحقيق والعبادة اللائقة لا يشاركه فيها غيره او الدعوة المجابة فانّ من دعاه اجابه على انّ الحق بمعنى الثابة يؤيده ما بعده فهو من اضافة الموصوف الى الصّفة فى تأويل دعوة المدعوّ الحقّ الاّ انّه حذف المضاف اليه واقيم صفته مقامه ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ اى غيره وهم الأصنام ﴿لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ ممّا يطلبونه ﴿إِلاَّ﴾ استجابة ﴿كَبَاسِطِ﴾ اى كاستجابة باسط ﴿كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ على شفير البئر يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بارتفاعه من البئر اليه ﴿وَمَا هُوَ﴾ اى الماء ﴿بِبَالِغِهِ﴾ اى فاه ابدا لانّه جماد لا يشعر بدعائه فكذلك آلهتهم ﴿وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ﴾ اى عبادتهم الأصنام او حقيقة الدّعاء ﴿إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ (١٤)﴾ ضياع وخسار ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ سجود حقيقة ﴿طَوْعًا﴾ اى طائعين حالتى الشّدة والرّخاء كالمؤمنين والملائكة ﴿وَكَرْهًا﴾ اى كارهين لا يسجدون الاّ حال الشدّة والضرورة والاكراه كالمنافقين ومن اكره بالسّيف ﴿وَ﴾ يسجد ﴿ظِلالُهُمْ﴾ بالعرض والتبع لهم ويجوز ان يكون المراد بالسّجود انقيادهم لأحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصرّفها ايّاها بالمدّ والتّقصير ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ جمع غداة وهو البكر ﴿وَالآصَالِ (١٥)﴾ جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب والمراد بهما الدّوام لانّ السّجود بمعنييه لا يختصّ بهما ولمّا قرّر انّ جميع الكائنات تنقاد له عاد الى الرد على المشركين بان امر الرّسول ان يسئلهم سؤال تقرير فقال ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ﴾ اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم غيره ولا يمكن انكاره فكانّه حكاية لاعترافهم به اولقّنهم الجواب به ثم الزمهم بذلك فقال ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم﴾ اى أ بعد اقراركم هذا تتخذون ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ اصناما تعبدونها ﴿لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا﴾ يجلبونه اليها ﴿وَلاَ ضَرًّا﴾ يدفعونه عنها فكيف ينفعون الغير او يدفعون عنه الضّر ثم ضرب مثلا لعبادى الأصنام وعابدى

الله فقال ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ اى المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحّد العالم بذلك ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ اى الشّرك والإيمان ﴿أَمْ﴾ منقطعة للأضراب عن توبيخهم بضرب المثل الى انكار اتخاذهم شركاء يذهب الوهم الى صلاحيتهم له بمعنى بل الأضرابية والهمزة الأنكاريّة اى بل أ ﴿جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ صفة لشركاء داخلة فى حكم النّفى اى ما اتّخذوا لله شركاء خالقين مثله ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ﴾ اى حتّى تشابه خلق الشّركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاقها العبادة مثله بل اتخذوا شركاء عاجزين لا يماثلون الخلق فضلا عن الخالق ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا شريك له فيه حتّى يشاركه فى العبادة جعل الخلق موجب العبادة ثم نفاه عمّن سواه ليدل على قوله ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾ المتوحّد بالالوهيّة ﴿الْقَهَّارُ (١٦)﴾ اى الغالب على كلّ شيء ثمّ ضرب مثلا للحقّ والباطل فقال ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ اى من السّحاب او السّماء نفسها فانّها المبدأ ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ انهار جمع واد وهو مسيل الماء الكثير يستعمل فى الماء الجارى فيه مجازا بعلاقة الجوار او الحال والمحلّ ﴿بِقَدَرِهَا﴾ بمقدارها الّذى علم الله انّه نافع غير مضرّ ليطابق التّفصيل الآتى او بمقدارها فى الصّغر والكبر فعلى هذا الضّمير راجع الى الأودية بأعتبار معنها الحقيقىّ على طريق الأستخدام ﴿فَاحْتَمَلَ﴾ اى حمل ﴿السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ عاليا وهو ما على وجهه من قذر ونحوه ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذّهب والفضّة والنّحاس والحديد والرّصاص وغيرها ﴿ابْتِغَاءَ﴾ اى لطلب ﴿حِلْيَةٍ﴾ اى حلى تتزّينون بها ويعطف عليه ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ ينتفع به كالاوانى وآلات الحرب والحرث وغير ذلك ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ اى مثل زبد الماء مبتدأ مخصّص بالصّفة خبره ممّا توقدون مقدّم عليه اى الموقد عليه من جواهر الأرض له ذبد وخبث يعلو عليه اذا اذيب مثل زبد الماء ينتفع به كما ينتفع بالماء ويبطل زبده كما يبطل زبد الماء ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا الضّرب والبيان ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ اى مثلهما فالحقّ ممثّل بالماء والجواهر فى النّفع والدّوام مدّة طويلة والباطل بزبدهما فى قلّة النّفع وسرعة الزّوال

وان على على الحقّ فى بعض الأوقات كما بيّنه بقوله ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ نصب على الحال اى باطلا مرمّيا يَرْمِى به السّيلُ والجواهر ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُثُ﴾ يبقى ﴿فِى الأَرْضِ﴾ ينتفع به اهلها ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ (١٧)﴾ لأيضاح المقصود على وفق عادة العرب لانّ القرآن لغتهم فيتبع فيه عادتهم ويتعلّق بيضرب قوله ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ﴾ الأستجابة ﴿الْحُسْنَى﴾ وهم المؤمنون ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفرة المبيّن ما لهم بقوله ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ﴾ من العذاب ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ وهو المؤاخذة بكلّ ما عملوه لا يغفر منه شيء ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)﴾ هى فعال بمعنى الممهود والمبسوط كاللّباس بمعنى الملبوس والمراد هنا المستقر مطلقا ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فيستجيب فآمن به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ اى عمى القلب لا يعلمه ولا يؤمن به وادخال الهمزة الدّاخلة على الفاء السببيّة الدالة على كون ما بعدها متفرّعا على ما قبلها لأنكار ان تقع شبهة فى تشابههما بعد ما ضرب من المثل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتّعظ بهذه الأمثال ﴿أُوْلُوا الأَلْبَابِ (١٩)﴾ اصحاب العقول ثمّ وصفهم بقوله ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم من يوم اَلَسْتُ او ما عهد عليهم فى كتبه ﴿وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)﴾ اى العهد الّذى وثقوه على انفسهم مع الله والعباد فهو تعميم بعد تخصيص ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرّحم وموالاة المؤمنين ومراعات حقوق جميع النّاس ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ وعيده عموما عطف على يصلون عطف عام على خاص ايضا لانّ خشية الله رأس كلّ خير ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)﴾ فهو عطف خاص على عام ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على ما تكرهه النّفس ومخالفة الهوى ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ اى طلبا لرضاه لا لغرض دنيوىّ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾ عطف خاص على عام وكذا ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ اى بعضه الّذى وجب عليهم انفاقه ﴿سِرًّا﴾ لمن لم يشتهر بالمال ﴿وَعَلاَنِيَةً﴾ لمن اشتهر به ﴿وَيَدْرَؤُنَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ كالجهل بالحلم والأذى

بالصّبر ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)﴾ اى عاقبة الدّنيا وما يخلفها وهى الجنّة استيناف لبيان ما استوجبوا بتلك الصّفات او خبر للموصول ان جعل مبتدأ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ اى أقامة بدل من عقبى الدّار ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ﴾ عطف على فاعل يدخلون وانّما جاز بلا تأكيد للفصل بالمفعول ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وان لم يكونوا مثلهم فى الفضل والعمل ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣)﴾ من ابواب الجنّة والقصور للتّهنية قائلين ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ هذا الثّواب الجزيل ثابت لكم ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ اى بسبب صبركم ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)﴾ عقابكم ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ اى ما وثقوه به من الأقرار والقبول ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بانواع المعاصى والفتن ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)﴾ اى سوء عاقبة الدّنيا وهى جهنّم ولمّا امكن ان يقال يتوهّم انّهم لو كانوا ملعونين فى الدّنيا معذّبين فى الآخرة لما فتح الله عليهم ابواب النّعم واللّذات فى الدّنيا فردّه بقوله ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسّعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء يعنى لا يعلّق لفتح باب الرّزق فى الدّنيا بالكفر والإيمان بل هو متعلّق بمجرّد مشيّته فقد يضيق على المؤمن امتحانا لصبره وكفارة لذنوبه ورفعا لدرجاته ويوسّع على الكافر استدراجا ﴿وَفَرِحُوا﴾ اى اهل مكّة فرح بطر ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اى بما نالوه فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ كائنة ﴿فِي﴾ جنب حيوة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦)﴾ شئ قليل يتمتّع به ويذهب ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اهل مكّة ﴿لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ اى على محمّد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالأنبياء المتقدّمة ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ فلا يهتدى وان انزلت له كلّ آية والاّ فالآيات الباهرة الّتى نزلت على محمّد بلغت فى الكثرة وقوّة الدّلالة الى حيث استحال ان يشتبه العاقل فيطلب آيات اخرى ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ اى الى دينه ﴿مَنْ أَنَابَ (٢٧)﴾ اقبل على الحقّ ورجع عن العناد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدل من من او خبر محذوف ﴿وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن القلق والعجز عن كفاية المهمات ﴿بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ لانّ من ذكره وايقن باستجماعه جميع كمال

الصّفات وتنزّهه عن جميع سمات النّقص احبّه واستأنس به واعتمد عليه فى مهمّاته ﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)﴾ اى قلوب المؤمنين ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ خبره جعل ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ مصدر من الطّيب قلبت ياؤه واوا لضمّة ما قبلها كانّه قيل نعمى لهم وقيل اسم للجنّة او لشجرة فيها يسير الرّاكب فى ظلّها مأية عام ما يقطعها ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩)﴾ مرجع ﴿كَذَلِكَ﴾ اى كما ارسلنا الرّسل قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا﴾ اى تقدّمتها ﴿أُمَمٌ﴾ فليس ببدع ارسالك اليها ﴿لِتَتْلُوَ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ اى القرآن ﴿وَ﴾ حال ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ﴾ اى والحال انّهم يكفرون به ولا يعرفون قدر رحمته وانعامه عليهم بارسالك وانزال القرآن العظيم عليهم ﴿قُلْ هُوَ﴾ اى الرّحمن ﴿رَبِّى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فى نصرتى عليكم ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠)﴾ اى رجوعى ورجوعكم ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ نقلت عن اماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ﴾ اى شقّقت من خشية الله عند قرائته ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ اى احيوا وتكلّموا به وجواب لو محذوف اى لكان هذا القرآن فيكون تعظيما لشان القرآن او لما آمنوا فيكون مبالغة فى عناد الكفرة ﴿بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾ اضراب عمّا تضمّنه لو من معنى النّفى اى عدم كون القرآن بتلك الصفات لعدم جرى العادة بذلك فى كتبه المنزّلة لا لعجزه عن ذلك فانّ الأمر له يفعل ما يشاء وذكر تفريعا على هذا الأضراب وتنصيصا على تصميمهم او لمّا اراد الصّحابة اظهار ما اقترحوا طمعا فى إيمانهم ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عن إيمان الكفرة مع ما رأوا من احوالهم والأكثر على انّه بمعنى أفلم يعلم فيجعل متعلّقا بآمنوا او معلّقا عنه العلم قوله ﴿أَنْ﴾ مخفّفة اى انه ﴿لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا﴾ من الكفر والمعاصى ﴿قَارِعَةٌ﴾ داهية تقرعهم بانواع البلا من الأسر والقتل والجذب ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يا محمّد بجيشك ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ مكّة ﴿حَتَّى يَأْتِىَ وَعْدُ اللهِ﴾ بالنّصر عليهم وفتح مكّة ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)﴾ وقد حلّ بالحديبيّة حتّى اتى فتح مكّة من السّنة القابلة ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ

من قبلك فأمليت﴾ امهلت ﴿للذين كفروا ثم أخذتهم﴾ بالعقوبة ﴿فكيف كان عقاب (٣٢)﴾ اى عقابى اياهم اى هو واقع فى موقعه كذلك افعل بمن استهزأ بك فهو تسلية له عليه السلام ووعيد لهم ﴿أفمن هو قائم﴾ رقيب ﴿على كل نفس بما كسبت﴾ من خير او شرّ لا يخفى عليه شيء كمن ليس كذلك من الأصنام دلّ على هذا الخبر قوله ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ استيناف ﴿قل سموهم﴾ اى اذكروا ما لهم من الأوصاف فى نفس الأمر فانظروا هل تجدوه فيها ما تستحقّ به ان تعبد ثمّ اضرب عن هذا الألزام الى انكار اخبارهم اياه بما لا يخفى عليه بقوله ﴿أم﴾ اى بل أ ﴿تنبئونه﴾ اى تخبرون الله ﴿بما﴾ اى بشركاء يستحقّون العبادة ﴿لا يعلم﴾ هم ﴿في الأرض أم﴾ بل اتسمونهم شركاء ﴿بظاهر من القول﴾ لا حقيقة له فى الواقع كتسمية الزنجى كافورا اضرابان من الزامهم الحجّة الى انكار اخبارهم اياه شركاء لا يعلمهم مع كونه عالما بكلّ شيء وانكار اثباتهم تسميته خالية عن المعنى وهو نفى للشّركاء على وجه بليغ لانّه كناية واستدلال بنفى اللاّزم على نفى الملزوم ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ اى كيدهم للأسلام بشركهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ اى طريق الحقّ ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣) لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ بالقتل والاسر وسائر المصائب ﴿ولعذاب الآخرة أشق﴾ لشدّته ودوامه ﴿وما لهم من الله﴾ اى من عذابه ﴿من﴾ زائدة ﴿واق (٣٤)﴾ حافظ ﴿مثل﴾ صفة ﴿الجنة التي وعد المتقون﴾ بها مبتدأ خبره محذوف اى فيما قصصنا عليك وقوله ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ حال من عائد الصّلة المحذوف ﴿أكلها﴾ ما يأكل فيها ﴿دائم﴾ لا يفنى ﴿وظلها﴾ كذلك اى دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿تلك﴾ الجنّة ﴿عقبى﴾ عاقبة ومآل ﴿الذين اتقوا﴾ الشّرك ﴿وعقبى الكافرين النار (٣٥) والذين آتيناهم الكتاب﴾ كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمنى اليهود والنّصارى ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾ لموافقته كتبهم ﴿ومن الأحزاب﴾ الّذين تحزّبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿من ينكر بعضه﴾ الّذى يخالفهم او يوافق ما حرّفوه من كتبهم ﴿قل﴾ للمنكرين ﴿إنما أمرت﴾ فيما

انزل الىّ ﴿أَنْ﴾ بان ﴿اعْبُدُ اللهَ ولا أُشْرِكُ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وإِلَيْهِ مَآبِ (٣٦)﴾ مرجعى للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتّفق عليه بين الأنبياء لا سبيل الى انكاره وامّا ما عدا ذلك من التّفاريع ممّا يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لأنكارهم المخالفة فيه ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الأنزال المشتمل على اصول الأديان ﴿أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا﴾ حال بمعنى حاكما فى الوقائع بما تقتضيه الحكمة فاسند الحكم اليه مجازا لانّه سببه ثمّ جعل نفسه مبالغة ﴿عَرَبِيًّا﴾ لغة العرب ليسهل لهم فهمه ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ﴾ فرضا ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾ من تقرير دينهم والصّلوة الى قبلتهم ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بنسخ ذلك ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلاَ وَاقٍ (٣٧)﴾ مانع للعقاب عنك ونزل لمّا عابوه واوقعوا الشبهة بانّه لو كان رسولا من الله ما كان مشتغلا بامر النّساء بل كان معرضا عنه مشتغلا بالزّهد والعبادة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ بشرا مثلك ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ اى اولادا فانت مثلهم روى انّه كان لداود مأية امرأة ولسليمان ثلثمأية مهريّة وسبعمأية سريّة ولمّا كان من شبههم ايضا انّه لو كان رسولا لما توقّف فى المعجزات حين تطلب منه ردّها بقوله ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ وقالوا ايضا لو كان صادقا فى النّبوة لما نسخ الأحكام الّتى نص الله على ثبوتها فى الكتب المتقدّمة فأجابهم بقوله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ اى وقت وامد ﴿كِتَابٌ (٣٨)﴾ اى حكم مكتوب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم ﴿يَمْحُو اللهُ﴾ ينسخ ﴿مَا يَشَآءُ﴾ اى ما استصوب نسخه من الأحكام ﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما تقتضيه حكمته منها لا الشّقاوة والسّعادة والموت والحيات والرّزق والأجل فانّها يكتبها الْمَلَكُ حين تمضى على النّطفه خمسة واربعون ليلة باذن الله ثمّ يطوى الصّحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها كما فى الحديث وهو الّذى عليه جمهور المتكلّمين. والأحاديث الدّالة على تبدّلها من نحو: «الصّدقة تدفع البلاء وتزيد فى العمر»[1] مأوّلة بنحو ايقاع البركة فيه وغير ذلك من التّاويلات المذكورة فى الكتب

[1] - فتح البارى: ١٧/١١٢

الكلاميّة ومنه من ذهب الى انّها عامّة فى كلّ شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ فجوّزوا التّبديل فيما ذكرنا ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)﴾ اصل الكتب واصل الشّيء يسمّى امّا له وهو اللّوح المحفوظ فانّه اثبت فيه جميع ما يصدر من الخلق الى يوم القيامة وحكمته ان يظهر للملائكة كونه عالما بجميع المعلومات على سبيل التّفصيل ﴿وَإِمَّا﴾ فيه ادغام ان الشّرطية فى ما الزّائدة ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ فى حيوتك ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم وجواب ان قوله ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠)﴾ للمجازات اذا صاروا الينا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الكفرة ﴿أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾ اى يأتيها امرنا ﴿نَنقُصُهَا﴾ حال من الفاعل او مفعول ﴿مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بما نفتحه على المسلمين منها ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ﴾ اى لا رادّ ﴿لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)﴾ فيحاسبهم عمّا قليل فى الآخرة كما عذّبهم بالقتل والأجلاء فى الدّنيا ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ بأنبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ فليس مكرهم كمكره ويجعل كالتّفسير لمكره قوله ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعدّ جزائها وهذا هو المكر كلّه لانّه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢)﴾ اى ما ينبغى ان يكون عاقبة الدّنيا وهو الجنّة ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)﴾ اى القرآن او التّورية كابن سلام وامثاله.

* * *

سورة إبراهيم

مكية قيل: إلاّ (ألم تر الى الّذين بدلوا) الآيتين إحدى وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓرٰ﴾ متشابه، هذا القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ﴾ به ﴿النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ اى انواع الضلال ﴿إِلَى النُّورِ﴾ اى الهدى ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بتوفيقه وتسهيله ويبدل من الى النّور قوله ﴿إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْحَمِيدِ (١)﴾ اى المحمود وفى تخصيص الوصفين تنبيه على انّه لا يذلّ سالكه ولا يخيب سائله ﴿اللَّهِ﴾ عطف بيان للعزيز ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾ الّذين لم يخرجوا بالكتاب من الظلمات الى النّور خبر ، لانّه مخصّص بكونه دعاء وباتّصافه بقوله ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ﴾ نعت لهم ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ النّاس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الاسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ اى يبغون لها على الحذف والأيصال ﴿عِوَجًا﴾ زيغا بالقاء الشّكوك والشبهات ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣)﴾ عن الحقّ ووصف الضّلال به مع كونه بعدا للمبالغة ولمّا ورد ان يقال انّ المنزّل على النّبى عليه السّلام بلغة العرب فقط فكيف يخرج به كلّ النّاس من الظّلمات الى النّور اجاب بقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ﴾ الى الأمم الّتى اختلفت السنتهم ﴿إِلَّا﴾ متكلّما او ملتبسا ﴿بِلِسَانِ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِ﴾ الّذى هو منهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما امروا به فيفقّهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجّموه لغيرهم لانّهم اولى النّاس اليه بالدّعوة ولذلك امره اوّلا بأنذار عشيرته ولانّه لو ارسل بجميع اللّغات لضاع فضل الأجتهاد وتعب النّفس فى تعلّم الألفاظ ومعانيها والعلوم المتشعّبة منها المتضمّن لجزيل الثّواب ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ والرّسل انّما هى لمجرّد البيان ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب فى مشيّته ﴿الْحَكِيمُ (٤)﴾ ما يشاء شيئا الاّ لحكمة ولمّا ذكر للنّبى على

سبيل المنّة انّه انزل كتابا عظيم الشّأن ليخرج به من الظّلمات الى النّور واتبعه بشرح ارسال سائر الرّسل الى اقوامهم اومعاملتهم معهم تصبيرا له ﷺ على أذى قومه ذكر قصّة موسى على الخصوص فقال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ ملتبسا ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التّسع ﴿أَنْ﴾ بان ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ اى وقائعه الّتى وقعت على الأمم السالفة وايام العرب حروبها او بنعمائه وبلائه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التّذكير ﴿لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على البلاء ﴿شَكُورٍ (٥)﴾ للنّعماء فانّه يعتبر به ويتنبّه لما يجب عليه من الصّبر والشّكر ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ﴾ ظرف لنعمة بمعنى انعام ﴿أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ حال من آل فرعون ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ باستعبادكم واستعمالكم فى الاعمال الشّاقة بقرينة عطف ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ﴾ الانجاء او العذاب ﴿بَلَاءٌ﴾ انعام او ابتلاء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦) وَإِذْ﴾ من كلام موسى ايضا ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ اى اذّن واعلم ويجعل مفعولا له لتضمّنه معنى القول قوله ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ يا بنى اسرائيل ما انعمت عليكم من الأنجاء وغيره بالإيمان والعمل الصّالح ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ نعمة ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾ جحدتم النّعمة بالكفر والمعصية ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)﴾ فاعذبكم به ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرّح بالوعد ويعرض بالوعيد ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الثّقلين فما ضررتم الاّ انفسكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن شكركم ﴿حَمِيدٌ (٨)﴾ محمود فى ذاته ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام تقرير من كلام موسى او الله ﴿نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ عطف على قوم نوح ويجعل اعتراضا قوله ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ لكثرتهم ولذا قال ابن مسعود كذب النسابون ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ اى الحجج الواضحات ﴿فَرَدُّوا﴾ اى الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ فعضّوها غيظا مما جاأت به الرّسل ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ على زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾ من الإيمان ﴿مُرِيبٍ (٩)﴾ موقع للرّيبة ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهام انكار اى لا

شكّ فى توحيده للدّلائل الظّاهرة عليه واشاروا الى ذلك بوصفه بقوله ﴿فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ الى الإيمان ببعثتنا ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ اى بعضها وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يمحيه دون المظالم ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ اى الى وقت سمّاه الله وجعله آخر اعماركم ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا﴾ من الاصنام ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠)﴾ حجّة ظاهرة على صدقكم لم يعتبروا بما اتوا به وطلبوا آية اخرى تعنّتا ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ اى سلّمنا هذا ﴿وَلٰكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ اى بامره ومشيّته فكيف نأتى بما اقترحتموه ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)﴾ عمّموا الامر للأشعار بما يوجب التّوكل وهو الإيمان وقصدوا به انفسهم اى فلنتوكّل عليه فى الصّبر على معاداتكم يدل على هذا قوله ﴿وَمَا لَنَا﴾ اى اىّ عذر لنا فى ﴿أَنْ لاَ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ الّتى بها نعرفه ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ جواب قسم محذوف اكّدوا به توكّلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى عليهم من الكفار ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ يثبت ﴿الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)﴾ اى فليثبت المتوكّلون على ما استحدثوه من توكّلهم المسبب عن إيمانهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ﴾ والله ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ بمعنى لَتَصِيرُنَّ فى ديننا لانّهم لم يكونوا فى ملّتهم اصلا ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ اى الرّسل ﴿رَبُّهُمْ﴾ قائلا ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣)﴾ اى الكافرين ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ﴾ ارضهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ ذٰلِكَ﴾ النّصر وايراث الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ اى مقامه بين يدىّ يوم القيامة ﴿وَخَافَ وَعِيدِ (١٤)﴾ اى وعيدى بالعذاب ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ اى سألوا الفتح على اعدائهم ففتح فافلح المؤمنون ﴿وَخَابَ﴾ خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾ متكبّر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ (١٥)﴾ معاند للحقّ ﴿مِنْ وَرَآئِهِ﴾ اى امامه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يلقى فيها ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦)﴾ عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جوف اهل النّار مختلط بالقيح والدّم ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يبتلعه مرّة بعد مرّة لمرارته ﴿وَلاَ يَكَادُ﴾ اى يقرب ﴿يُسِيغُهُ﴾ يجريه بسهولة وقبول

نفس لقبحه وكراهته ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ اى اسبابه المقتضية له من الشّدائد ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ فيستريح ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ﴾ امامه ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)﴾ اى يستقبل فى كلّ وقت عذابا اشدّ ممّا هو عليه ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ اى صفتهم الّتى هى مثل فى الغرابة مبتدأ خبره ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصّالحة كصدقة وصلاة وصلة رحم وعتق رقاب وغير ذلك فى عدم الأنتفاع بها ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ حملته بسرعة ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ العصوف اشتداد الرّيح وصف به زمانه للمبالغة ﴿لاَ يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ فى الدّنيا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ اى لا يجدون له ثوابا لحبوطه بعدم شرطه ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ﴾ الهلاك ﴿الْبَعِيدُ (١٨) أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تقرير للنّبى والمراد امّته ﴿أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلّق بخلق اى بالحكمة والوجه الّذى يحقّ ان يخلق عليه ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩)﴾ بدلكم ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ (٢٠)﴾ متعسّر فانّه قادر بذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ اى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله ومحاسبته ذكره وما بعده بلفظ الماضى لتحقّق وقوعه ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ رأيا اى الاتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ اى رؤسائهم المتبوعين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ فى تكذيب الرّسل والاعراض عن الحق جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ﴾ كلمة من للتبيين فى موقع الحال من قوله ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ ومن فيه للتّبعيض مفعول مغنون ﴿قَالُوا﴾ اى الّذين استكبروا ﴿لَوْ هَدَانَا اللهُ﴾ للايمان ووفّقنا له او طريق النّجاة من العذاب ﴿لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ اى لدعوناكم الى الهدى او انجيناكم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ اى مستو علينا الجزع والصّبر وتفصيل هذا التّركيب فى اوّل البقرة[1] ﴿مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (٢١)﴾ منجا بالقصر ومهرب من العذاب ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ وادخل اهل الجنّة الجنّة واهل النّار النّار واجتمعوا عليه ﴿إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ﴾ بالبعث والجزاء ﴿وَعْدَ الْحَقِّ﴾ اى

[1] - سورة البقرة: ٧

وعدا من حقّه ان ينجز وانجزه ﴿وَعَدْتُكُمْ﴾ ان لا شيء منهما وان كان فالأصنام تشفع لكم ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿سُلْطَانٍ﴾ تسلّط فأجبركم على متابعتى ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ اى دعائى ايّاكم بتسويل ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي﴾ على وسوستى ﴿وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ﴾ على اجابتى ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ بمغيثكم من العذاب ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ بمغيثى ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ اى باشراككم ايّاى مع الله فيما دعوتكم اليه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ فى الدّنيا ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)﴾ تتمّة كلامه او ابتداء كلام من الله ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ﴾ من الملائكة وفيما بينهم ﴿فِيهَا سَلاَمٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا﴾ يبدل منه على انّه بمعنى الممثل به قوله ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ هى كلّ ما اعرب عن حقّ او دعا الى صلاح سواء كلمة التّوحيد والقرآن وغيرهما ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ صورة وريحا ومنظرا وثمرة وظلاً ونفعا كشجرة النّخل وغيرها صفة كلمة او خبر محذوف ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ فى الأرض ممتدّة عروقه فيها ﴿وَفَرْعُهَا﴾ اعلاها يعنى اغصانها ﴿فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي﴾ تعطى ﴿أُكُلَهَا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ بارادته كذلك الكلمة الطّيبة يثبت اصلها ودليلها حقيّتها فى قلب المؤمن ويرتفع ما يترتّب عليها من الأعمال الصّالحة الى السّماء ويغتنم المؤمن ببركاتها وثوابها فى كلّ وقت وزمان ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)﴾ يتّعظون فانّ فى ضرب المثل زيادة الافهام لانّ المعانى العقليّة المحضة لا يقبلها الحس والخيال فاذا ذكر ما يماثلها من المحسوسات ترك الحسّ والخيال المنازعة فيحصل الفهم التّام ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وهى ما تخالف الطيبة بتفسيرها المذكور سواء كلمة الكفر وتكذيب الحقّ وغيرهما ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ كثيرة المضار كالحنظلة وغيرها ﴿اجْتُثَّتْ﴾ استوصلت ﴿مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ﴾ لانّ عروقها قريبة منه ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)﴾ استقرار فهى خالية عن المنافع كذلك الكلمة الخبيثة لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة ولمّا مثّل الكلمة الطيّبة بالشّجرة الموصوفة بيّن انّه يثبّت المؤمن بسببها فى

الحيوة وفى الآخرة فقال ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ الّذى ثبت بالحجّة عندهم وتمكّن فى قلوبهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فلا يزلّون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريّا ويحيى وجرجيس وغيرهم ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فلا يتوقّفون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا تدهشهم اهوال القيامة ويجيبون الملكين الّذين يسئلانهم فى القبر عن ربّهم ودينهم ونبيّهم بالصّواب ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ انفسهم باقتصار على التّقليد فلا يهتدون الى الحقّ ولا يثبتون فى مواقف الفتن ولا يقدرون على اجابة الملكين بل يقولون لا ندرى ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾ من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ﴾ اى شكرها ﴿كُفْرًا﴾ بان وضعوه مكانه كاهل مكّة خلقهم الله واسكنهم حرمه ووسّع عليهم الرّزق وشرّفهم بمحمّد فقابلوا هذه النّعم الجسام بالكفران فحلّ بهم ما حلّ من القحط سبع سنين والاسر والقتل والذلّة ﴿وَأَحَلُّوا﴾ انزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ باضلالهم ايّاهم ﴿دَارَ الْبَوَارِ (٢٨)﴾ الهلاك ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لها ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها حال منها او من القوم ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ (٢٩)﴾ المقرّ هى ﴿وَجَعَلُوا لِلّهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ اى دين الاسلام واللاّم للعاقبة لانّ الأضلال نتيجة اتّخاذ الأنداد وعاقبته ﴿قُلْ﴾ لهم تهديدا ﴿تَمَتَّعُوا﴾ بشهواتكم ما شئتم ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠) قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اقيموا الصّلوة وانفقوا دلّ على هذا المقول جواب الأمر وهو قوله ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ اى فيهما والأحبّ اعلان الواجب لمن عرف بالمال واخفاء المتطوّع به وواجب لم يعرف صاحبه بمال ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ﴾ حتّى يبتاع المقصّر ما يفدى به نفسه من العذاب ﴿وَلَا خِلَالٌ (٣١)﴾ اى مخالة وصداقة حتّى يشفع خليل لخليله فينجيه ونفيها هنا لا ينافى اثباتها فى نحو ﴿الأخلاّء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الاّ المتّقين﴾[1] فانّ المنفيّة محمولة على ما هى بسبب ميل الطّبيعة ورغبة النّفس والمثبتة على ما هى بسبب عبوديّة الله ومحبّته ولمّا ذكر احوال السّعداء والأشقياء وكانت معرفة احوالهما

[1] - سورة الزخرف: ٦٧

منوطة على معرفة الصّانع بذاته وصفاته اردفه بعشرة انواع من الدّلائل الدّالة على وجوده وكمال علمه وقدرته فقال ﴿اللهُ﴾ مبتدأ خبره ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ حال من ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾ تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس فالمراد من الثّمرات ما يشمل الحاصل من الاشجار والزّروع والنّبات ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بارادته الى حيث توجّهتم ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ جارين فى فلكهما لا يفتران لأصلاح المكوّنات ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ (٣٣)﴾ لتبتغوا من فضله ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ اى ما من شانه ان تسئلوه لاحتياجكم اليه وكونه من مصالحكم وان لم تسئلوه وكلمة من للتّبعيض اى من كلّ شيء شيئا فانّ الموجود من كلّ صنف بعض ما فى قدرة الله ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ﴾ اى انواع نعمه ﴿لاَ تُحْصُوهَا﴾ لا تطيقوا عدّها فضلا عن افرادها فانّها غير متناهية ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ﴾ كثير الظّلم لنفسه بان يعرضها للحرمان ﴿كَفَّارٌ (٣٤)﴾ شديد الكفران لنعم ربّه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ مكّة ﴿آمِنًا﴾ ذا امن لمن فيه والمفهوم من هذه العبارة سؤال ازالة الخوف عن البلد وتصييره آمنا ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ بعّدنى ﴿وَبَنِيَّ﴾ عن ﴿أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥)﴾ والمراد بالبنين اولاده الصّلبة او هم واولادهم الموجودين حينئذ لا جميع ذريّته لانّ منهم من عبد الأصنام فيلزم ان يقال بعدم قبول دعائه فيهم وفائدة هذا الدّعاء له ولأولاده الصّلبيّة مع كونهم انبياء معصومون هضم النّفس واظهار الفاقة الى فضل الله فى كلّ المطالب والتّنبيه على انّ عصمة الأنبياء بمجرّد توفيقه ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ اى الاصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ بعبادتهم لها واسناد الأضلال اليها باعتبار السببيّة ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ على التّوحيد ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ فى امر دينى ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦)﴾ تقدر ان تغفر له وترحمه بعد توفيقه للتّوبة او ابتداء فانّ الشّرك فى نفسه ممّا لله ان يغفره الاّ انّ الوعيد فرّق بينه وبين غيره وقيل قال ذلك قبل علمه انّه تعالى لا يغفر الشّرك ﴿رَبَّنَا

إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ اى وهو اسمعيل ومن ولد منه فانّ اسكانه متضمّن لاسكانهم ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ يعنى وادى مكّة فانّه لا ينبت فيه شيء ﴿عِندَ بَيْتِكَ﴾ الّذى سيحدث فى هذا الوادى او كان قبل الطوفان ﴿الْمُحَرَّمِ﴾ الّذى حرمت التعرض له والتّهاون به فانّ هاجر كانت لسارة فوهبتها منه فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما وناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكّة فاظهر الله لهما عين زمزم فجاء اليها قوم ذووا مواشى فقالوا اشركنا فى مائك نشركك فى البائنا ففعلت ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ اللاّم بمعنى كى متعلّق باسكنت وتوسيط النّداء للاشعار بانّها المقصودة من اسكانهم ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ قلوبا ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ كلمة من للتّبعيض ولذا قال ابن عبّاس لو قال افئدة النّاس لازدحموا عليه ﴿تَهْوِي﴾ تميل وتحنّ ﴿إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)﴾ تلك النّعمة وقد فعل بنقل الطّائف اليه فنقلت اليه ثمرات كلّ شيء حتّى توجد فيه الفواكه الرّبيعيّة والصّيفيّة والخريفيّة فى يوم واحد ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ يعنى انت اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منّا فلا حاجة لنا الى الطّلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديّتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ﴾ لتسع وتسعين سنة ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ لمأية وثنتى عشر سنة ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ معدّلا لها مواظبا عليها ﴿وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾ من يقيمها ومن التّبعيضيّة لعلمه باعلام الله او استقرار عادته فى الأمم الماضية انّه يكون فى ذريّته كفّار ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠)﴾ المذكور ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ يثبت ﴿الْحِسَابُ (٤١) وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ خطاب للنّبى عليه السّلام والمراد تثبيته على ما هو عليه من انّه مطّلع على احوالهم لا حقيقة النّهى عن الحسبان المذكور فانّه عليه السّلام اعلم النّاس بما يستحيل فى حقّه تعالى فلا يحتاج الى النّهى ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢)﴾ اى تنفتح ولا تنغمض

لهول ما ترى ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين الى الدّاعى حال ﴿مُقْنِعِي﴾ رافعى ﴿رُؤُسِهِمْ﴾ الى السّماء ﴿لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ اى لا ترجع اليهم نظرهم فينظرون الى انفسهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءٌ (٤٣)﴾ خالية عن الفهم لفزعهم ودهشتهم ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ﴾ يا محمّد ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة مفعول ثان لأنذر ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾ بان تردّنا الى الدّنيا ﴿إِلَى أَجَلٍ﴾ حدّ من الزّمان ﴿قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيقال لهم توبيخا ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم﴾ حلفتم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ فى الدّنيا ﴿مَا لَكُم مِّن﴾ زائدة ﴿زَوَالٍ (٤٤)﴾ عن الدّنيا بالموت ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ فى الدّنيا ﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر كعاد وثمود ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ (٤٥)﴾ اى صفات ما فعلوا وفعل بهم التّى فى الغرابة كالأمثال المضروبة فلم تعتبروا ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ لأبطال الحقّ وتقرير الباطل او لقتل النّبى و تقييده او اخراجه ﴿وَعِندَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾ اى جزائه ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ معدّا ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦)﴾ اى المعجزات والأيات الّتى هى كالجبال الراسيات وجواب ان محذوف دلّ عليه ما قبلها اى يجازيهم بمكرهم و اعظم منه ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ بالنّصر قدّم الوعد مع كونه مفعولا ثانيا ايذانا بانّه لا يخلف الوعد اصلا فانّ تقديمه يدلّ على اهمّيته والعناية بشأنه فينتفى الخلف فيه قطعا ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يعجزه شيء ﴿ذُو انتِقَامٍ (٤٧)﴾ لاوليائه من اعدائه ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ﴾ بدل من يوم يأتيهم ﴿غَيْرَ الأَرْضِ وَ﴾ تبدّل ﴿السَّمَوَاتُ﴾ غير السّموات عن ابن مسعود وانس «يحشر النّاس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة»[1] وعن علىّ رضى الله عنه «تبدّل ارضا من فضّة وسماوات من ذهب»[2] ﴿وَبَرَزُوا﴾ خرجوا من قبورهم ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨)﴾ لمحاسبته ومجازاته والأتيان بالوصفين للدلالة على انّ الأمر فى غاية الصّعوبة فانّه اذا كان

---

[1] - المعجم الكبير للطبراني: ٣/٩

[2] - فتح الباري: ١٨/٣٦٥

لواحد غلاّب فلا مستغاث لأحد الى غيره ﴿وَتَرَى﴾ تبصر يا محمّد ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ﴾ مشدود بعضهم مع بعض او هم مع شياطينهم ﴿فِي الْأَصْفَادِ (٤٩)﴾ اى القيود اوالأغلال ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصانهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ وهو اسود منتنّ يستخرج من شجر يسمّى الأبهل والمعنى يطلى به جلودهم فيكون كالقميص عليهم لتشتعل فيهم النّار بسرعة ويذهب اليهم نتن ريحه ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠)﴾ اى تعلوها لانّهم لم يتوجّهوا بها الى الحقّ ولم يستعملوا الحواس الّتى فيها الى ما خلقت لأجلها مع انّه الحكمة فى خلق المكلّفين ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾ متعلّق ببرزوا ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشرّ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١)﴾ لانّه لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب جميع الخلق فى قدر نصف نهار من ايّام الدّنيا ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ اى انزل لتبليغهم ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا﴾ بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ اى الله ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾ يتّعظ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)﴾ اصحاب العقول.

* * *

سورة الحجر

مكية وهى تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓرٰ﴾ متشابه ﴿تِلْكَ﴾ اى آيات السّورة ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (١)﴾ والمراد منه ومن الكتاب السّورة او نفس القرآن والمصحّح للعطف والحمل هى الصّفة وقد مرّ التّوضيح[1] ﴿رُبَمَا﴾ للتّقليل كما هو اصل وضعها او التّكثير كما هو اكثر استعمالها وفيها ثمان لغات ضم الرّاء وفتحها مع التّشديد والتّخفيف وبتاء التّأنيث وبدونها ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنّى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ مصدريّة ﴿كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢)﴾ حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النّصر او حلول الموت او يوم القيامة ﴿ذَرْهُمْ﴾ اتركهم يا محمّد ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمُ﴾ يشغلهم ﴿الْأَمَلُ﴾ توقّعهم لطول العمر عن الإيمان والاستعداد للمعاد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)﴾ عاقبة صنيعهم ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ﴾ زائدة ﴿قَرْيَةٍ﴾ اى اهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا﴾ اى لأهلاكها ﴿كِتَابٌ﴾ اجل ﴿مَعْلُومٌ (٤)﴾ محدود كتب فى اللّوح المحفوظ وجملة الأستثناء صفة قرية ادخلت عليها الواو مع كونه خلاف الأصل لمشابهة صورتها صورة الحال فيفيد تأكيد لصوقها بالموصوف ولذا يسمّى واو اللّصوق وقد يدخل الخبر كما فى حديث ما حقّ امرأ مسلم يبيت ليلتين الاّ ووصيّته مكتوبة عنده وقيل الصّواب انّها حال منها لتخصّصها بالعموم ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ﴾ زائدة ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)﴾ يتأخرون عنه وتذكير ضمير امّة للحمل على المعنى ﴿وَقَالُوا﴾ اى كفار مكّة للنّبى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ اى القرآن فى زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦)﴾ ولذا تدّعى انّ الله نزّل عليك القرآن ﴿لَوْ مَا﴾ هلاّ ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ ليصدّقوك ويعضّوك على الدّعوة ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ

---

[1] - فى اول سورة يوسف

الصَّادِقِينَ (٧)﴾ فى قولك انّك نبىّ وانّ هذا القرآن من عند الله قال تعالى ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلٰئِكَةَ إِلاَّ﴾ تنزيلا ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ اى بالوجه الذى اقتضته حكمته وهو الأنزال للوحى ولا حكمة فى ان يأتيكم بصور تشاهدونها فانّه لا يزيدكم الاّ لبسا ولا فى معالجتكم بالعقوبة فانّ منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالإيمان ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُنظَرِينَ (٨)﴾ مأخّرين واذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدّر اى ولو انزلنا الملائكة ماكانوا منظرين ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم انّ ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ اى القرآن ردّ لانكارهم تنزيله عليه واستهزاء بهم ولذا اكّده بانّ وتوسيط ضمير الفصل والتّعبير عن المتكلّم الواحد بضمير الجمع للتّعظيم وتكرير الاسناد واسميّة الجملة وقرّره بما هو كالدّليل عليه فقال ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ من التّبديل والتّحريف والزّيادة والنّقصان بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل الدّين وذلك يدلّ على انّه من عند الله اذ لو كان من عند غيره لما كان مصونا مما ذكرنا البتة ولمّا ساؤا الأدب بنسبة الجنون اليه عليه السّلام سلاّه بانّ عادة الجهّال مع جميع الانبياء كانت هكذا فقال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلا حذف لدلالة الارسال عليه ﴿فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ (١٠)﴾ جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه من اضافة الموصوف الى الصّفة بتأويل شيع الأمم الأوّلين فحذف المضاف اليه واقيم صفته مقامه ﴿وَ﴾ حال ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ على حكاية الحال الماضية بقرينة ﴿إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١)﴾ كما يفعل هؤلاء بك وجملة الأستثناء صفة رسول او حال منه او من مفعول يأتيهم على خلاف مرّ آنفا[1] ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ اى مثل ادخالنا التّكذيب والاستهزاء فى قلوب اولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢)﴾ اى كفار مكّة ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ اى بالذكر حال من المجرمين او استيناف لبيان حالهم وهو عدم الإيمان بسبب دخول الاستهزاء فى قلوبهم ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ (١٣)﴾ اى سنة الله فيهم باهلاك من كذّب الرّسل منهم فهو وعيد لأهل

[1] - سورة الحجر: ٤

مكّة ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ اى فى الباب ﴿يَعْرُجُونَ (١٤)﴾ يصعدون اليها ويرون عجائبها ﴿لَقَالُوا﴾ لعنادهم وغلوّهم فى الكفر ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ سدّت ﴿أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥)﴾ قد سحرنا محمّد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ قيل المراد منازل الشّمس والقمر وقيل مطالعهما ومطالع النّجوم ومغاربها وقيل النّجوم الكبار وقيل البروج الأثنى عشر المشهورة وسيأتى بيانها فى سورة الفرقان ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب والاشكال البهيّة ﴿لِلنَّاظِرِينَ (١٦)﴾ المستدلّين بها على قدرة مبدعها وتوحيده ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ بالشّهب ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧)﴾ مرجوم فلا يقدر ان يصعد عليها لوسوسة اهلها والأطلاع على احوالها ويدل منه ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ اختلسه وخطفه ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ لحقه ﴿شِهَابٌ﴾ نار ساطعة من الكواكب وقد يطلق عليها وعلى السّنان لما فيهما من البريق ﴿مُبِينٌ (١٨)﴾ ظاهر للنّاظرين فيحرقه او يثقبه او يخبله حتّى لا يعود الى الاستماع وبالجملة لا يصل الى مراده كما سياتى فى الصّافات ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت لئلاّ تتحرّك باهلها ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا﴾ فى الارض او فيها وفى الجبال ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩)﴾ مستحسن مناسب او مقدّر بمقدار معيّن تقتضيه حكمته ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ تعيشون بها من المطاعم والملابس ﴿وَ﴾ جعلنا لكم فيها ﴿مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠)﴾ من العيال والخدم والعبيد والأنعام فانّما رازقهم الله لا انتم كما تظنون ظنّا كاذبا ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ مبتدأ خبره ﴿إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ جمع خزينة وهو اسم للمكان الّذى تخزن فيه الاشياء اى تحفظ استعير لقدرته على الممكنات الغير المتناهية بعد تشبيهها بها فى الاشتمال استعارة تصريحيّة والجمع باعتبار تعدد تعلّقها ويجوز ان يكون من قبيل التّشبيه البليغ للمقدورات بالمخزونات بمعنى ما من مقدورات الاّ وهو كالمخزون عندنا فى عدم احتياج اخراجه الى كلفة واجتهاد ويجعل ترشيحا للاستعارة او التّشبيه قوله ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ من بقاع القدرة ﴿إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١)﴾ على حسب المصالح والحكمة

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ جمع ملقح من النّوادر كطوائح جمع مطيح اى تلقح السّحاب فتمتلى ماء وتحمله كالفحل الّذى يلقح الماء اى يلقيه فى الأنثى فتحمله ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ اى السّحاب او نفس السّماء ﴿مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢)﴾ اى ليست خزائنه بايديكم فتقدروا على اخراجه مثلنا ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ﴾ للحصر ﴿نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣)﴾ الباقون بعد هلاك الخلائق كلّها ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ اى من تقدّم وخرج من اصلاب الرّجال من لدن آدم ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤)﴾ اى من لم يخرج بعد وسيخرج الى يوم القيامة او من تقدم فى الاسلام والطّاعات ومن تأخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم كما لا يخرج عن قدرتنا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ للجزاء لا يقدر على حشرهم احد غيره ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ باهر الحكمة متقن فى افعاله ﴿عَلِيمٌ (٢٥)﴾ بكلّ شيء ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ﴾ آدم ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة اى صوت اذا نقر ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾ طين اسود من طول مجاورة الماء صفة صلصال ﴿مَّسْنُونٍ (٢٦)﴾ مصوّر فانّ طينه عليه السّلام اخذ من أديم الأرض فالقى على الأرض حتّى صار طينا لازبا اى ملتزقا ثمّ ترك حتّى صار حمأ ثمّ صوّر تمثال انسان اجوف وبقى كذلك بين مكّة والطّائف اربعين يوما وقيل سنة حتّى صار صلصالا كالفخّار ثمّ نفخ فيه الرّوح ﴿وَالْجَآنَّ﴾ ابا الجان وهو ابليس وقيل هو ابو نوع منهم وهم الشّيطان وابو الجان غيره وانتصابه بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ اى قبل خلق آدم ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧)﴾ اى نار الحرّ الشّديد الخالى عن الدّخان النّافذ فى المسام وذكر الصّلصال والنّار بأعتبار الأغلب والاّ فانّ الانسان وسائر الحيوان والنبات والمعدن والجانّ والشّياطين والملائكة كلّها مخلوقة من العناصر الأربعة الاّ انّ الغالب فى الثلثة الأول التّراب وفى الجان النّار الخالية عن الدّخان وفى الشّياطين النّار الدّخانيّة وفى الملائكة النّور النّارىّ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ اتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ اجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حيّا واضافة الرّوح الى نفسه تشريف لآدم

﴿فَقَعُوا لَهُ﴾ عقيب النفخ بلا فصل ﴿سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠)﴾ اكّد بتأكيدين للمبالغة فى التّعميم ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ متّصل ان حسب منهم بسبب مخالطتهم والاّ فمنقطع فيجعل استينافا او خبر لكن قوله ﴿أَبَى﴾ اى امتنع ﴿أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ اى شيء عرض لك فى ﴿أَنْ لاَ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢)﴾ لآدم ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ﴾ اى لا ينبغى لى ان اسجد وانا روحانىّ ﴿لِبَشَرٍ﴾ جسمانىّ كثيف واللاّم لتاكيد النّفى ﴿خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣)﴾ وهو اخسّ العناصر وخلقتنى من نار وهى اشرفها وقد غلط اللّعين فى ذلك حيث راى الفضل كلّه باعتبار العناصر وغفل عن شرف الصّانع وفائدة المصنوع وخواصه ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ اى من السّماء او الجنّة او زمر الملائكة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤)﴾ مطرود من الخير كمن يطرد ويرجم بالحجر ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ اى هذا الطّرد والأبعاد ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥)﴾ اى الجزاء فانّه منتهى امد اللّعن فانّ التّوفيق للخير والطّرد عنه انّما يكونان ايّام التّكليف فينتهيان بأنتهائها وامّا لعن الظّالمين بعد ذلك كما فى بعض الآيات[1] فبمعنى آخر ينسى عنده هذه ﴿قَالَ رَبِّ﴾ اذا جعلتنى رجيما ملعونا الى يوم القيامة ﴿فَأَنظِرْنِى﴾ اخّرنى وابقينى ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦)﴾ اى النّاس لأجد فسحة فى اغوائهم وانجى عن الموت اذ لا موت بعد وقت السّاعة فاجابه الى الاوّل دون الثانى ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨)﴾ المسمّى فيه اجلك عند الله او انقراض النّاس كلّهم وهو النفخة الأولى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى﴾ الباء للقسم اذ يجوز القسم بصفات الافعال كما بصفات الذّات وما مصدرية اى اقسم باغوائك ايّاى ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأَرْضِ﴾ المعاصى ﴿وَلأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ لاحملنّهم على الغواية ﴿أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾ اخلصتهم لطاعتك فلا يعمل فيهم كيدى ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿هَذَا﴾ اى انجاء المخلصين من اغوائك ﴿صِرَاطٌ﴾ حقّ ﴿عَلَىَّ﴾ ان اراعيه ﴿مُسْتَقِيمٌ (٤١)﴾ لا انحراف

---

[1] – سورة الأعراف: ٤٤

عنه ثمّ انّه تعالى صدّقه فى استثنائه المخلصين بقوله ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)﴾ لكن غيّر الوضع بجعل ما استثناه هو مستثنى منه لفائدتين تعظيم المخلصين بانّهم هم الأحقاء لان يعبّر عنهم بلفظ عبادى وتتميم المقصود وهو بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشّيطان عنهم ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ اى موعد من اتّبعك ﴿أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ طبقات ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ خبر مقدّم ﴿مِنْهُمْ﴾ حال من المستتر فيه الراجع الى المبتدأ وهو ﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ من متابعته فى الكفر والفواحش فانّ غيرها مكفّرة ﴿فِى جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ (٤٥)﴾ تجرى فيها لكلّ جنّة وعين او اربع منهما كما نطق به آيتا آخر الرّحمن وآية سورة محمّد الواصفة للأنهار الأربعة فانّها تجرى على الكلّ فينتفعون بها من غير حقد وحسد يقال لهم ﴿ادْخُلُوهَا﴾ ملتبسين ﴿بِسَلاَمٍ﴾ اى سالمين من كلّ مخوف او مع سلام اى سلّموا و ادخلوا ﴿آمِنِينَ (٤٦)﴾ من الآفة والزّوال ﴿وَنَزَعْنَا﴾ فيها بتطييب نفوسهم ﴿مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ حقد كان فى الدّنيا بعد اقتصاص بعضهم من بعض فى موقف الحساب ﴿إِخْوَانًا﴾ حال منهم وكذا ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨)﴾ فانّ تمام النّعمة بالخلود ثمّ قرّر ما سبق من وعده ووعيده بقوله ﴿نَبِّئْ﴾ خبّر يا محمّد ﴿عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩)﴾ للمتقين وذكر الغفران دليل على انّه لم يرد بهم من يتّقى الذّنوب كلّها صغيرها وكبيرها ﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠)﴾ للكافرين وحقّق مغفرته وعذابه بعطف ما يعتبرون به فقال ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١)﴾ اى الملائكة الّذين سبق ذكرهم فى هود سمّاهم ضيفا مع امتناعهم من الأكل وطلب الضّيافة لظنّ ابراهيم انّهم اضياف لدخولهم عليه فى صورتهم ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا﴾ نسلّم عليك ﴿سَلاَمًا قَالَ﴾ ابراهيم لمّا عرض عليهم الأكل فلم ياكلوا ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢)﴾ خائفون ﴿قَالُوا لاَ تَوْجَلْ إِنَّا﴾ رسل ربّك ﴿نُبَشِّرُكَ﴾ استيناف فى معنى التّعليل للنهى عن الوجل ﴿بِغُلاَمٍ﴾ اى اسحاق ﴿عَلِيمٍ (٥٣)﴾ ذى علم كثير اذا بلغ

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ حال اى مع مسّه ايّاى والاستفهام للتّعجب والاستبعاد باعتبار العادة وكذا فى قوله ﴿فَبِمَ﴾ اى بايّ اعجوبة ﴿تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ اى بالصدق او بطريق هو حقّ وهو ان يحصل الولد منكما حال بقائكما على صفة الشيوخة بامر الله ﴿فَلاَ تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥)﴾ آيسين فانّه قادر ان يخلقه بلا ابوين فكيف من عقورين ظنّا منهم ان استعجابه باعتبار القدرة فنفى ذلك عن نفسه ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ (٥٦)﴾ عن طريق المعرفة اى الكافرون ﴿قَالَ﴾ لعلمه انّ مقصودهم ليس البشارة فقط والاّ كفى واحد ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم الّذى جئتم لأجله ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨)﴾ اى قوم لوط لاهلاكهم ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿آلَ لُوطٍ﴾ وخبر لكن قوله ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ(٥٩)﴾ من الهلاك لإيمانهم ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ﴾ استثناء من ضميرهم ﴿قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠)﴾ الباقين فى العذاب لكفرها اسندوا فعل الله الى نفسهم لما لهم من القرب والأختصاص ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢)﴾ لا اعرفكم واخاف ان تنالونى مكروها ﴿قَالُوا﴾ ما جئناك بما تخاف ﴿بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا﴾ اى بالعذاب الّذى ﴿كَانُوا﴾ قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣)﴾ يشكون حين توعدهم به وهو شفاء لك منهم ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ باليقين من عذابهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤)﴾ فيما اخبرناك به ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ اذهب بهم ﴿بِقِطْعٍ﴾ فى طائفة ﴿مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ اى امش خلفهم ﴿وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥)﴾ وهو الشّام او مصر ﴿وَقَضَيْنَا﴾ اى اوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ مبهم يفسّره بدله وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاَءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦)﴾ اى داخلين فى وقت الصّباح حال من هؤلاء لجواز حذف المضاف واقامته مقامه ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ اى مدينة لوط وهى سدوم لمّا اخبروا انّه نزل بلوط اضياف مرد فى غاية الحسن ﴿يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧)﴾ حال طمعا فى فعل الفاحشة بهم ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَؤُلاَءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ (٦٨)﴾ فيهم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى ركوب الفاحشة ﴿وَلاَ

خُزُونِ (٦٩)﴾ اى لا تذلّونى وتهينونى بسببهم ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠)﴾ اى عن تمنع بيننا وبينهم ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ خبره ﴿بَنَاتِي﴾ فتزوّجوهنّ او عطف بيان او بدل منه والخبر محذوف اى هنّ اطهر لكم وقد مرّ بيانهنّ مع مزيد بيان للقصّة فى سورة هود ﴿إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٧١)﴾ ما تريدون من قضاء الشّهوة قال تعالى مقسما بحياة نبيّنا عليه السّلام على حكاية الحال الماضية ﴿لَعَمْرُكَ﴾ بفتح العين فى القسم للخفة وان جاز فيه الضم ايضا فى غيره وهو مبتدأ خبره محذوف وجوبا اى قسمى لقيام جوابه مقامه وهو ﴿إِنَّهُمْ﴾ اى قوم لوط ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ اى غوايتهم الّتى هى كالسكر ﴿يَعْمَهُونَ (٧٢)﴾ يتردّدون فكيف يسمعون النّصح ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ اى صيحة هائلة مهلكة ﴿مُشْرِقِينَ (٧٣)﴾ اى داخلين فى وقت شروق الشّمس قيل كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وتمامه حين اشرقوا فلذا ذكرهما ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ اى قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ فصارت منقلبة بهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤)﴾ طين طبخ بالنّار فتحجّر فصار عذابهم ثلاثة انواع الصّيحة والقلب وامطار الحجارة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)﴾ اى المتفكّرين المعتبرين ﴿وَإِنَّهَا﴾ اى القرى ﴿لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦)﴾ اى طريق ثابت يسلكه النّاس ويرون آثارها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)﴾ بالله ورسله لانّهم المنتفعون ﴿وَإِنْ﴾ مخفّفة اى انه ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ اى قوم شعيب السّاكنون الغيضة بقرب مدين وهى الشجرة المتكاثفة ﴿لَظَالِمِينَ (٧٨)﴾ بتكذيبهم شعيبا ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالأحراق بنار نزلت من سحاب التجأوا اليها رجاء للمطر بعد ما اصابهم الحرّ سبعة ايّام ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ اى السّدوم والأيكة ﴿لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (٧٩)﴾ طريق واضح سمّى الطريق ومعظّم البناء واللّوح بالأمام لانّها ممّا يؤتمّ به ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ واد بين المدينة والشّام وهم ثمود ﴿الْمُرْسَلِينَ (٨٠)﴾ بتكذيبهم صالحا لانّ تكذيب واحد من الرّسل فى قوّة تكذيب جميعهم لاشتراكهم فى المجئ بالتّوحيد ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ كالنّاقة وسقبها ولدها وشربها فى يومين مرّة ودرّها الكثير الكافى لجميعهم وسائر عجائبها ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١)﴾ لا

يتفكّرون فيها ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢)﴾ من الأنهدام ونقب اللّصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم انّ الجبال تحميهم منها ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ اى ما دفع عنهم العذاب ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)﴾ من البيوت الوثيقة وجمع الأموال ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ﴾ خلقا ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ بان خلقنا الخلق وهيّئنا لهم اسباب معاشهم وبيّنّا لهم دلائل رشدهم وهداهم وما يؤدّى الى هلاكهم ليعرفوا خالقهم ورازقهم فيشتغلوا بشكره وطاعته ويفوزوا بالدّولة العظمى وما خلقناهم عبثا مهملا عن التّقييد بقيد التّكليف حتّى تعمل كلّ نفس ما تشتهيه فلذلك اهلكنا هؤلاء وامثالهم ممّن تبع سبيل الضّلال ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ﴾ لينتقم الله لك يا محمّد ممّن كذّبك ومن قبلك ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥)﴾ اى اعرض عن قومك بالصّبر على اذاهم ولا تعجل بالأنتقام منهم اى لا تكافيهم بما آذوك قولا وفعلا ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ﴾ لكلّ شيء فامرك وامرهم بيده ﴿الْعَلِيمُ (٨٦)﴾ بالأحوال فهو حقيق بان تكل عليه ليحكم بينهم ولمّا امره بالصّفح اتبعه بذكر ما خصّه من النّعم الجليلة ليسهل عليه بتذكّرها فقال ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا﴾ اى سبع آيات هى الفاتحة ﴿مِنَ الْمَثَانِي﴾ بيان للسّبع والمثانى جمع مثنّى اسم مفعول من التّثنية لانّها تثنّى فى الصّلوة او فى كلّ ركعة بما يقرأ بعدها ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)﴾ من عطف الكلّ على الجزأ ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ اصنافا من الكفّار فانّه مستحقر بالنّسبة الى ما أُوتيتَهُ فانّه كمال مطلوب بالذات مفضٍ الى دوام الذّات وفى حديث ابى بكر من اوتى القرآن فراى انّ احدا اوتى من الدّنيا افضل مما اوتى فقد صغّر عظيما وعظّم صغيرا ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ انّهم لم يؤمنوا ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾ اى تواضع لهم وارفق بهم ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩)﴾ عذابا ان لم تؤمنوا اقيم مقام هذا المفعول وصفه وهو ﴿كَمَا أَنزَلْنَا﴾ اى مثل العذاب الّذى انزلنا ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠)﴾ وهم اثنى عشر من قريش بعثهم الوليد بن مغيرة ايّام الموسم فاقتسموا اطراف مكّة يقولون لمن

يسلكها لا يغترّوا بالخارج منّا المدّعى للنّبوة فانّه مجنون فانزل الله بهم جربا هلكوا به ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)﴾ اى اجزاء جمع عضة فقسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الأوّلين ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ من التّقسيم فنجازيهم عليه ﴿فَاصْدَعْ﴾ اجهر مستعار من شق الزّجاج ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به من تبليغ الرّسالة والدّعوة الى التّوحيد وما يتفرّع عليه من الأحكام ومازال عليه السّلام مستخفيا حتّى نزلت هذه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)﴾ اى لا تلتفت الى ما يقولون ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥)﴾ بك المبالغين فى ايذائك بان اهلكنا كلاً منهم بآفة وهم الوليد بن مغيرة والعاص بن الوابل وعدى بن قيس والاسود بن المطلب والاسود بن يغوث وبيان ما اهلكوا به فى القاضى ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦)﴾ عاقبة امرهم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ﴾ ملتبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ اى قل سبحان الله وبحمده يكفيك ويكشف عنك الغمّ ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨)﴾ اى المصلّين وكان اذا احزنه امر فزع الى الصّلوة ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)﴾ اى الموت فانّه متيقّن بحاقة كلّ حىّ وقّت به لئلاّ يتوهّم من عدم اقتضاء الأمر التّكرار انّه يكفى للامتثال عبادة مرّة واحدة فكانّه قال اعبده ما دمت حيّا وانّما كانت هذه الأشياء سببا لزوال ضيق الصّدر لانّ الانسان اذا اشتغل بها انكشفت له اضواء عالم الرّبوبيّة فيستحقر عنده جميع ما عداه فيزول عنه الحزن والغمّ بالكليّة.

* * *

سورة النحل

مكّية إلاّ (وإن عاقبتم) إلى آخرها، وهي مائة وثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ اى ما امر به وقدّره من السّاعة او اهلاكهم كما فعل ببدر وصيغة الماضى لتحقّق وقوعه وتحتّمه حتّى كانّه واقع ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فانّه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه فانّهم كانوا يستعجلوه استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صحّ فالأصنام تشفع لنا وتخلّصنا منه وردّ هذا بقوله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَالَىٰ﴾ جلّ وتقدّس ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)﴾ اى عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم ثمّ بيّن ما به يعلم الرّسول تحقّق الموعود به فقال ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ اى الوحى فانّه يحيى به القلوب الميّتة بالجهل كما يحيى الجسد بالرّوح فاستعير له اسمها استعارة مصرّحة ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ اى بامره وارادته ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ان يتّخذه رسولا ﴿أَنْ﴾ مفسّرة لا محلّ لها لما فى الوحى من معنى القول او مصدريّة فى موضع الجرّ بدلا من الرّوح ﴿أَنْذِرُوا﴾ اعلموا النّاس ﴿أَنَّهُ﴾ اى الشأن ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)﴾ ثمّ ذكر دلائل وحدانيّته بقوله ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ اى على ما اقتضته حكمته ﴿تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣)﴾ اى عن ان يكون له شريك منهما او ممّا يحتاج اليهما او ممّا لا يقدر على خلقهما اذ شيء منها لا يصلح ان يكون شريكا للقادر على الأطلاق فليس هذا تكرارا لما مرّ اوّلا فانّه هناك لابطال ما زعموا من شفاعة الأصنام وهنا للتّفريع على دليل الوحدانيّة ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ منىّ جماد الى ان صيّره قويّا شديدا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة والمجادلة ﴿مُبِينٌ (٤)﴾ بيّنها فى نفى البعث قائلا: ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾[1] ﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ الإبل

---

[1] - سورة يس: ٧٨

والبقر والغنم ونصبه بمضمر يفسّره ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما تدفأ به فيقى البرد من الأكسية والأردية من اشعارها واصوافها ﴿وَمَنَافِعُ﴾ من النّسل والدّر والرّكوب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥)﴾ اللّحوم والشّحوم والألبان وتقديم الظّرف للفاصلة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ تردّونها الى مُراحها بالعشيّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦)﴾ تخرجونها الى المرعى بالغداة فانّ الأفنية تتزيّن بها فى الوقتين ويجلّ اهلها فى عين النّاظرين اليها خصوصا حين الأراحة فانّها تقبل ملآن البطون والضّروع فلذا قدّمها ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ احمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ بدون الانعام ولو فرضا ﴿إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ﴾ اى بجهدها وتعبها ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٧)﴾ حيث يسّر الأمر عليكم بخلقها ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾ عطف على الأنعام ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَ﴾ تزيّنوا بها ﴿زِينَةً﴾ والتّعليل بهما لكونهما ما يقصد منها غالبا لا ينافى ان يقصد منها غيرها كأكل الخيل الثّابت بالأحاديث الصّحيحة ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٨)﴾ من الاشياء العجيبة الغريبة اجملها لعدم احتياج الأنسان اليها غالبا بخلاف ما قبلها فانّه يحتاج اليه غالبا احتياجا ضروريّا او غير ضرورىّ ولمّا شرح دلائل التّوحيد قال ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ اى حقّ عليه بيان مستقيم الطّريق الموصل الى الحقّ رحمة وتفضّلا لا وجوبا كما يتبادر من كلمة على اذلا يجب عليه شيء لكثرة بيان الرّشد من الغىّ ممّا يقتضيه الحكمة الالهية ﴿وَمِنْهَا﴾ اى بعض السّبيل ﴿جَآئِرٌ﴾ حايد عن الأستقامة غيّر الأسلوب ولم يقل وعليه جائرها لانّه ليس بحقّ عليه ان يبيّن طرق الضّلالة ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم اجمعين ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩)﴾ الى قصد السّبيل فتهتدوا وهو صريح فى انّه ما شاء هداية الكفّار وما اراد منهم الإيمان لانّ كلمة لو تفيد انتفاء الهداية لأنتفاء المشيّة ولمّا قرّر الاستدلال على التّوحيد باحوال الحيوانات شرع فى بيان احوال النبات لانّه اشرف ما فى العالم السّفلى بعد الحيوان فقال ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ ما تشربونه مبتدأ ولكم خبره ومن تبعيضيّة متعلّق به وتقديمها يوهم الحصر ولا بأس به لانّ ماء الأرض كلّه منه ﴿وَ﴾ لكم ﴿مِنْهُ شَجَرٌ﴾ كلمة من سببيّة اى بسببه

ينبت الشّجر وهو ما له ساق او كلّ ما ينبت على الأرض ليندرج فيه النّجم اى النبت الّذى لا ساق له فانّ رعى اغلب المواشى منه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠)﴾ ترعون دوابكم ﴿يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ اى بعض كلّها اذ لم ينبت فى الأرض كلّ ما يمكن من الثّمار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَةً﴾ على وحدانية الصّانع وحكمته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)﴾ فى صنعه فينزّهوه عن الأنداد ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ بان هيّئها لمنافعكم ﴿وَالنُّجُومُ﴾ مبتدأ خبره ﴿مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ اى بارادته وتكوينه لنفعكم وهو تعميم بعد تخصيص للحكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢)﴾ جمع الآية وذكر العقل لانّها تدلّ انواعا من الدّلالة ظاهرة لذوى العقول السّليمة غير محوّجة الى استيفاء فكر كأحوال النّبات ﴿وَ﴾ للعطف على اللّيل اى وسخرلكم ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ من الحيوان والنّبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ كاحمر واصفر واخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ (١٣)﴾ يتّعظون ثمّ شرع فى الاستدلال على الوحدانيّة بعجائب احوال العناصر وبدأ منها بالماء فقال ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ اى جعل البحار السّبعة غير المحيط بحيث يتمكّن النّاس من الأنتفاع به ركوبا وغوصا وغير ذلك ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السّمك وصفه بالطراوة لانّه ارطب اللّحوم واسرعها فسادا ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هى الؤلؤ والمرجان اسند فعل النّساء اليهم لانّها من جملتهم وتلبسها لأجلهم ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ تمخر الماء اى تشقّه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة جملة معترضة بين التّعليلين لانّها خطاب لواحد وقع بين خطابين لجمع ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا عطف على لتاكلوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ اى سعة رزقه تعالى بركوبه للتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)﴾ اى تعرفون نعم الله فتقومون بحقّها عقّبه فقط بالشكر لانّه اقوى فى باب الأنعام من حيث انّه جعل المهلك سببا للأنتفاع ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت ﴿أَنْ﴾ اى كراهة ان اولأن لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِكُمْ﴾ لانّها كانت كرّة خفيفة بسيطة الطّبع من حقها ان تتحرك بادنى

سبب فلماً وضعت الجبال عليها وتوجهت بثقلها نحو المركز صارت كالاوتاد فمنعتها من الحركة ﴿وَ﴾ جعل فيها لانّ القى بمعناه ﴿أَنْهَارًا﴾ كالنيل والفرات وغيرهما ﴿وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)﴾ الى مقاصدكم ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ يستدلون بها بالنّهار على الطّرق كالجبال والرّياح ونحو ذلك ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾ بمعنى النّجوم اذ المراد الجنس ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦)﴾ باللّيل فى البرّ والبحر ثمّ عقّب الدّلائل المتقدمة بانكار ان يساويه ويستحقّ مشاركته ما لا يقدر على ايجاد شيء من ذلك بل ولا على ايجاد شيء مّا فقال ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنام اجراها مجرى اولو العلم لانّهم سمّوها آلهة لم يعكس التّشبيه مع انّه اتمّ لألزامهم وتجهيلهم فى جعلهم العاجز كالقادر تنبيها على كمال جهالتهم فانّهم بالأشراك به يلزمهم ان يجعلوه مماثلا للمخلوقات العجزة وهو غاية الجهالة والغواية ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧)﴾ فتعرفون فساد ذلك فانّه لبداهته يحصل عند العقل بادنى توجّه ثمّ اتبع تعدد النّعم واقامة الحجّة على تفرّده باستحقاق العبادة بذكر ما يدلّ على انّ ما وراء ما عدّد نعم لا تنحصر وانّ حقّ عبادته غير مقدور فقال ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ اى لا تحيط بها وتضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا شكرها فانّه على الوجه اللاّئق مشروط بالعلم بها على سبيل التّفصيل وهو خارج عن طور العقل وامّا امره تعالى به فى مواضع عديدة فهو بمجرّد امر بالاشتغال بالطّاعة بحسب الطّاقة البشريّة لا امر بالشّكر على ماهو حقّه ﴿إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ﴾ لتقصيركم فى اداء شكرها ﴿رَحِيمٌ (١٨)﴾ لا يقطعها بعصيانكم وكفرانكم ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩)﴾ من عقائدكم واعمالكم والأصنام جمادات لا شعور لها اصلا فكيف بحسن عبادتها فهى تزييف للشّرك باعتبار العلم كما انّ ماقبلها تزييف له باعتبار القدرة على الخلق ثم زيّفه بنفى الخلق عنها صراحة لينتج انّهم لا يشاركونه فقال ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ هذه صغرى الدّليل وكبراه مطويّة وهى ولا شيء ممالا يخلق بشريك مماثل للخالق فلا شيء منهم بشريك له فليس هذا تكرارا لنفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بل كلّ دليل

برأسه واكّد عدم مشاركتهم له باثبات صفات لهم تنافى الألهيّة فقال ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠)﴾ يصوّرون من الحجارة وغيرها بالآلة ﴿أَمْوَاتٌ﴾ لا روح فيهم خبر ثان ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ لا يعتريهم الحيوة اصلا فهى صفة مخصّصة لأموات فانّ منها ما يعتريه الحيوة بعد حين كالنّطفة والبيضة ونحوهما ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ﴾ متى ﴿يُبْعَثُونَ (٢١)﴾ هم او عبدتهم حتّى يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم فكيف يعبدون اذ الإلٰه لا يكون الاّ الخالق الواجب الوجود الحىّ الّذى لا يعتريه الموت ابدا العالم بالغيب المقدّر للثواب والعقاب ﴿إِلٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾ تكرير للمدّعى بعد اقامة الحجج ليكون توطئة لما ذكر من بيان ما لأجله اصرارهم بعد وضوح الحق وهو قوله ﴿فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾ جاحدة للوحدانية ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢)﴾ متكبرون عن الإيمان بها وعن متابعة الرّسول فانّ منكرها لا يرغب فى الثّواب ولا يرهب عن العقاب فيبقى قلبه منكرا لكلّ ما يخالف هواه ومستكبرا عن الرّجوع الى قول النّاصح والدّلائل بخلاف المؤمن بها فانّه يطلب الدّلائل فينتفع بها ﴿لاَ جَرَمَ﴾ فى الاصل بمعنى لابدّ ولا محالة ثم تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقًّا فلذلك يجاب عنها باللاّم كالقسم وقيل لا لنفى ما قبله وردّه وجرم فعل بمعنى حَقَّ و وَجَبَ فما بعدها مرفوع بالفاعلية ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)﴾ فضلا عمن يستكبر عن توحيده واتباع رسوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمّد ﴿قَالُوا﴾ على التّهكم بكونه منزّلا او الفرض هو ﴿أَسَاطِيرُ﴾ اكاذيب ﴿الأَوَّلِينَ (٢٤)﴾ اضلالا للنّاس ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَامِلَةً﴾ لم يكفّر منها شيء ﴿يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ اى بعض اوزارهم الّذى تسبّبوا فيه والمراد بحمله استحقاقهم لمثل ما يستحقّ اصحابه من العذاب والاّ فلا تزر وازرة وزر اخرى ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من المفعول وفائدته نفى عذرهم وذمّهم على المتابعة من غير بحث وتميز بين المحق والمبطل ﴿أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥)﴾ يحملون حملهم هذا ولمّا تأسّف عليه السّلام من قولهم سلاّه بقوله ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ اى قبل

هؤلاء المشركين اى دبّروا تدبيرا فاسدا ليمكروا بأنبيائهم كما مكر بك هؤلاء ﴿فَأَتَى اللَّهُ﴾ قصد ﴿بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ اى من جهة الأساس الّتى بنوا عليها فهدمها ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ وصار سبب هلاكهم ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ (٢٦)﴾ من جهة لا تخطر ببالهم وهو استعارة تمثيليّة على تشبيه حالهم من ابرام المكر بالرّسل وابطال الله ايّاه بحال قوم بنوا بنيانا على اساس فهدّمت فسقط عليهم السّقف فهلكوا وقيل المراد به نمرود بنى صرحا علوه خمسة آلاف زراع ليقاتل اهل السّماء او يترصّد امرها فارسل تعالى عليه الرّيح والزلزلة فسقط على قومه فاهلكهم واما هو فارسل عليه بعوضة دخلت منخره فهلكته ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ يذلّهم بالتعذيب بالنّار ﴿وَيَقُولُ﴾ لهم على لسان الملائكة توبيخا ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ بزعمكم ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ﴾ تعادون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ اى فى توبيخهم ﴿قَالَ﴾ اى يقول ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين كانوا يدعونهم الى التّوحيد فيشاقوهم ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ﴾ صفة الخزى او ظرف له او للخبر الآتى ﴿وَالسُّوءَ﴾ كائن ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧)﴾ ويجعل صفة لهم ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَئِكَةُ﴾ حكاية حال ماضية ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَأَلْقَوُا﴾ عطف على تتوفوا لانّه بمعنى الماضى ﴿السَّلَمَ﴾ اى انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ كفر وعدوان فتقول الملائكة ﴿بَلَى﴾ عملتم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)﴾ فيجازيكم عليه ويقال لهم ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ كل صنف بابه ﴿خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)﴾ جهنّم ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشّرك ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ انزل ﴿خَيْرًا﴾ روى انّ احياء العرب كانوا يبعثون ايّام الموسم من يأتيهم بخبر النّبى فاذا جاء المقتسمين قالوا له ما مرّ واذا جاء المؤمنين قالوا له هذا قال تعالى ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ حال من ﴿حَسَنَةٌ﴾ حياة طيّبة ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ اى ثوابهم فيها ﴿خَيْرٌ﴾ ممّا لهم فى الدّنيا ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠)﴾ هى هى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ اقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ صفة جنات وكذا ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ﴾ جملة اسميّة صفة ايضا والخبر

كلا الظّرفين او احدهما والآخر حال ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِى اللهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلٰئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين عن ظلم انفسهم بالكفر حال من المفعول ومن الفاعل قوله ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند التوفى ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمُ﴾ لا يخيفكم بعد مكروه ويقال لهم بعد البعث ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون الكفار المارّ ذكرهم ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلٰئِكَةُ﴾ لقبض ارواحهم ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ اى العذاب المستاصل او القيامة ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فاصابهم ما اصابهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ باهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلٰكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(٣٣)﴾ بالكفر المؤدى اليه ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ اى جزائها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤)﴾ اى العذاب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِنْ شَىْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَائُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِن شَىْءٍ﴾ من نحو البحاير والسوايب قالوا ذلك استهزاء او منعا للنبوة والتّكليف بانّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فما الفائدة فيهما فهو من حيث انّه اعتراض على الله وطلب العلّة لافعاله واحكامه مذموم موجب للّعن وان كان من حيث دلالته على تعليق جميع الحوادث بمشية الله صحيح فبيّن تعالى انّهم فى ذلك سلكوا مسالك من قبلهم واجاب عن شبهتهم بقوله ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كذّبوا رسله وحرّموا ما حلّه ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٣٥)﴾ اى الموضح للحقّ فلا تأثيرله فى حصول اهتداء من يشاء الله الاّ انّ له مدخلا فيه من حيث توسّطه بين الله وبين عباده فانّ تعلّق مشيّته بوجود الحوادث موجبة له لكن باسباب قدّرها له ثمّ بيّن ان بعث الرّسل سنّة قديمة له مع عباده سببا لهدى من اراد اهتدائه وزيادة لضلال من اراد ضلاله كالغذاء بقوله ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ﴾ اى بان ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ اى الأوثان ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ﴾ وفّقهم للإيمان بارشادهم ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ﴾ اوجبت ﴿عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ فى علم الله ولم يرد هداهم ﴿فَسِيرُوا﴾ يا كفّار مكّة ﴿فِى الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦)﴾ من عاد وثمود وغيرهم

كى تعتبروا ﴿إِنْ تَحْرِصْ﴾ يا محمّد ﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾ وقد اضلهم الله لا تقدر على ذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ اى يريد ضلاله ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٧)﴾ يدفعون العذاب عنهم ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ عطف على قال الّذين اشركوا ايذانا بانّهم كما انكروا التّوحيد انكروا البعث ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ اى غاية اجتهادهم فيها ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ قال تعالى ردّا عليهم ابلغ ردّ ﴿بَلَى﴾ يبعثهم ﴿وَعْدًا﴾ مصدر مؤكّد لنفسه فانّه وقع مضمون الجملة الّتى دلّ عليها بلى وهو وعد لا غير ﴿عَلَيْهِ﴾ انجازه لأمتناع الخلف فى وعده صفة وعدا وكذا ﴿حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨)﴾ ذلك امّا لعدم علمهم بانّه من مقتضى الحكمة الّتى جرت عادته بمراعاته وامّا لقصور نظرهم بالمألوف من عدم طريان الحيوة على الميّت وامتناع عود عين ما فنى وتفرّق اجزائه فيتوهّمون امتناعه فبيّن اوّلا انّه من مقتضى الحكمة بقوله ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلّق ببعثهم المقدّر ﴿لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من امر الدّين فيميّز المحقّ من المبطل ويجازى كلاّ على حسب عمله كما هو مقتضى الحكمة ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩)﴾ فى انكار البعث ثمّ بيّن امكانه الّذى انكروه لقصور نظرهم على المألوف بقوله ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ سمّى المعدوم شيئا لقربه من الوجود واللاّم فيه لام التّبليغ كما فى قلت له قم وكذا اللاّم فى له الآتى ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ اى اردنا ايجاده قولنا مبتدأ خبره ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠)﴾ من كان التّامة بمعنى الوجود وتحقيقه فى البقرة[1] ولمّا حكى عنهم القسم على انكار البعث الّذى هو زريعة الى تكذيب الرّسل دلّ ذلك على انّهم يعادون المسلمين ويؤذونهم ايذاء يلجى الى المهاجرة فبيّن حالهم بقوله ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ اى لوجهه واقامة دينه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ وهم الرّسول واصحابه ظلمهم قريش فهاجروا الى المدينة ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ ننزلنّهم ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بلدة ﴿حَسَنَةً﴾ هى المدينة فهو صفة لمحذوف مفعول ثان لنبوئنّهم لتضمّنه معنى الأعطاء ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ ممّا لهم فى الدّنيا ﴿لَوْ كَانُوا﴾ اى الكفّار او المتخلّفون عن الهجرة

---

[1] - سورة البقرة: ١١٧

﴿يَعْلَمُونَ (٤١)﴾ ما للمهاجرين من الكرامة فى الدّارين لوافقوهم هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الشّدائد كاذى المشركين ومفارقة الوطن ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ للدّعوة العامة ﴿إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة لحكمة ذكرها فى اوّل سورة الأنعام[1] وامّا قوله: ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾[2] فمعناه رسلا الى الأنبياء فقط فان شككتم فيه ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ اى العلماء بالتّوراة والأنجيل ليعلّموكم ﴿إِنْ كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ﴾ متعلّق بمحذوف جوابا لسؤال مقدّر كانه قيل بم ارسلوا فاجاب ارسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَالزُّبُرِ﴾ اى الكتب ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن سمّى به لانّه موعظة وتنبيه ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فى الذّكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾ فى ذلك فيعتبرون ويتنبّهون للحقائق ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بالنّبى فى دار النّدوة كما مرّ فى الأنفال[3] ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ كقارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ (٤٥)﴾ اى بغتة من جانب السّماء كقوم لوط ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ اى فى اسفارهم للتّجارة ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦)﴾ الله بسبب ذهابهم فى البلاد البعيدة بل يقدر ان يهلكهم حيث ما كانوا ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ تنقّص شيئا فشيئا حتّى يهلك الجميع حال من الفاعل او المفعول ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧)﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة ولمّا هدّدهم بانواع عذابه اتبعه بذكر ما يدلّ على كمال قدرته وعدم عجزه عن ايصالها اليهم فقال ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظلّ كالاشجار والجبال ونحوهما فكلمة ما موصولة مبهمة يبيّنها من شيء باعتبار وصفه بقوله ﴿يَتَفَيَّأُ﴾ تميل ﴿ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَآئِلِ﴾ جمع شمال اى عن جانبى كلّ منها اوّل النّهار وآخره استعارة من يمين الانسان وشماله وافراد اليمين وجمع الشّمائل باعتبار لفظ ما ومعناه وكذا توحيد الضمير فى ظلاله وجمعه

---

[1] - آية: ٩

[2] - سورة فاطر: ١

[3] - آية: ٣٠

فى قوله ﴿سُجَّدًا﴾ مستسلمين متواضعين ﴿لِلَّهِ﴾ حال من الظّلال اى منقادة لما قدّر لها من التّفيؤ وقوله ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨)﴾ حال من الضمير فيه اى الأجرام ايضا ذليلة منقادة لحكمه والجمع بالواو امّا لانّ من جملتهم من يعقل او لانّ الدّخور من اوصاف العقلاء ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا﴾ غلّب فيه ما لا يعقل لكثرته ﴿فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَآبَّةٍ﴾ اى نسمة تدبّ عليهما اى تخضع وتنقاد له بما اراد منها طبعا وطوعا ليصحّ اسناده الى عامة ما فيها ﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ﴾ من عطف الخاص على العام للتّعظيم ﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩)﴾ اى ينكبّرون عن عبادته استيناف لبيان حال الملائكة وكذا ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ حال من الرّب اى عاليا عليهم بالقهر ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)﴾ به من الطاعة والتّدبير وفيه دليل على انّهم مكلّفون مدارون بين الخوف والرّجاء خوف اجلال وكمال معرفة وهيبة كبرياء كما فى قوله عليه السّلام: «انى لأخشاكم لله»[1] لا خوفا ناشيا عن المعصية حتّى يكون تمسّكا لمن طعن فى عصمتهم ﴿وَقَالَ اللّٰهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ اكّد به المعدود ايماء بان الاثنينيّة تنافى الالهية كما ذكر الواحد فى قوله ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾ للتّنبيه على انّ الوحدة من لوازم الألوهيّة ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١)﴾ خافون لا غير التفات من الغيبة الى التّكلّم للمبالغة فى ترهيب وتحقيق اعرابه فى البقرة[2] ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ اى الطّاعة ﴿وَاصِبًا﴾ لازما دائما حال من الدّين والعامل فيه معنى الظّرف ﴿أَفَغَيْرَ اللّٰهِ تَتَّقُونَ (٥٢)﴾ وهو الضّار والنّافع كما قال ﴿وَمَا﴾ اى الّذى استقرّ ﴿بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ﴾ بيان ما ﴿فَمِنَ اللّٰهِ﴾ خبره ادخل عليه الفاء لتضمّن المبتدأ معنى الشّرط وهو هنا سببيّة مضمون الصلّة للأخبار بالخبر لا لحصوله كما فى سائر المواضع لانّ استقرار النّعمة بهم يكون سببا للأخبار بانّها من الله لا لحصولها منه بل الأمر بالعكس ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ من نحو فقر ومرض ﴿فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ

---

[1] - صحيح البخاري: ١٥/٤٩٣

[2] - آية: ٤٠

(٥٣)﴾ ترفعون صوتكم بالاستغاثة والدّعاء لا الى غيره ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ﴾ وهو كفاركم ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤)﴾ بعبادة غيره ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من نعمة الكشف واللاّم للعاقبة مستعار من لام الغرض تشبيها لعاقبة الشّيء وهو الكفران بالنّعمة بعلّته ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ بما انتم عليه من المعاصى امر تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)﴾ عاقبة ذلك ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ اى المشركون ﴿لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ﴾ اى لآلهتهم الّتى لا علم لها لانّها جماد ﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الزّروع والانعام ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ سؤال توبيخ وفيه التفات من الغيبة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦)﴾ من انّها آلهة لائقة بالتّقرب اليها ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ الّتى يكرهونها مع تنزّهه عن الولد بقولهم الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه له من قولهم اوتعجّب منه ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧)﴾ اى البنون الّذين يختارونهم الجملة فى محلّ الرّفع او النّصب بالعطف على البنات ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى﴾ اى اخبر بولادتها ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيّرا تغيّر مغتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨)﴾ ممتلى غيظا من المرأة ﴿يَتَوَارَى﴾ يختفى ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ اى قومه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفا من التّعيير متفكّرا فى نفسه ﴿أَيُمْسِكُهُ﴾ يتركه بلا قتل فجملة الأستفهام معمولة لمحذوف هو حال من فاعل يتوارى وتذكير الضّمير للفظ ما ﴿عَلَى هُونٍ﴾ هوان وذلّ حال من فاعل ايمسكه او مفعوله ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ يخفيه فيه ويؤدّه ﴿أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)﴾ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محلّه عندهم ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ اى صفة السّوْء بمعنى القبيحة وهى وأدهم البنات مع احتياجهم اليهنّ للنّكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والنّزاهة عن صفة المخلوقين ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)﴾ اى المنفرد بكمال القدرة والحكمة ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ اى بكفرهم ومعاصيهم ولا يلزم من اضافته اليهم كون كلهم ظالمين حتّى الأنبياء لجواز ان يضاف اليهم ما صدر عن اكثرهم فلا تمسّك فيه لمن طعن فى عصمة الأنبياء ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ اى الأرض الدّال عليها النّاس ﴿مِنْ دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدبّ عليها ظالمة كانت او غير

ظالمة بسبب شؤم ظلم النّاس كما روى عن ابن مسعود كاد الجُعَلُ يهلك فى جحره بذنب ابن آدم ﴿وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١)﴾ بل هلكوا او عذّبوا حينئذ لا محالة ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشّريك والرّياسة واهانة الرّسل ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿الْكَذِبَ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ عند الله كقوله: ولئن رجعت الى ربّى انّ لى عنده للحسنى ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ (٦٢)﴾ مقدّمون اليها ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السّيئة فرأوها حسنة وكذبوا بالرّسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾ اى متولّى امرهم ﴿الْيَوْمَ﴾ اى فى الدّنيا عبّر به عن زمانها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ فى القيامة ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للنّاس ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من امر الدّين ﴿وَهُدًى﴾ عطف على محلّ لتبين فانّه فعل المنزّل بخلاف التبيّن ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنّبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥)﴾ سماع تدبّر ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ اعتبارا ﴿نُّسْقِيكُمْ﴾ استيناف بيان للعبرة ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ ذكّر الضّمير ووحّده هنا باعتبار لفظ الأنعام وانّثه فى سورة المؤمنين[1] باعتبار معناه فانّه اسم جمع ومن قال انّه جمع نعم جعل الضّمير للبعض فانّ اللّبن لبعضها دون جميعها ﴿مِن﴾ للأبتداء متعلّق بنسقيكم ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾ وهو الأشياء المأكولة المنهضمة بعض انهضام فى الكرش ﴿وَدَمٍ﴾ متولّد من الاجزاء الّتى فى الفرث ﴿لَّبَنًا خَالِصًا﴾ صافيا لا يشوبه لون الدّم ولا رائحة الفرث وكيفية تولّده من الدّم المتولد كسائر الأخلاط من الاغذية مفصّلة فى القاضى فراجعه ﴿سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦)﴾ سهل المرور فى حلقهم ﴿وَمِن﴾ متعلّق بمحذوف اى ونسقيكم من عصير ﴿ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ﴾ استيناف لبيان الاسقاء ﴿مِنْهُ سَكَرًا﴾ خمرا سميت بالمصدر وهذا قبل التّحريم

[1] - آية: ٢١

لكن دال على كراهتها بطريق التّعريض حيث قابله بالحسن فى قوله ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزّبيب والخلّ والدّبس ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالّة على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧)﴾ اى يتدبّرون ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ اى الهمها وقذف فى قلوبها ﴿أَنِ﴾ مفسّرة لما فى الأيحاء من معنى القول او مصدريّة اى بان ﴿اتَّخِذِي﴾ التّانيث باعتبار المعنى لانّ لفظ النّحل مذكّر ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ للتّعسل فيها مسدّسة لا مربعة حتّى يبقى فى داخلها فرج خالية ضايعة حين تدخليها ولا مدوّرة حتّى يبقى فيما بينها فرج ضايعة ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ بيوتا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨)﴾ اى يبنون لك النّاس من الأماكن وكلمة من للتّبعيض لانّها لا تبنى فى كلّ جبل وشجر وبناء بل فى بعضها ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ الّتى تشتهيها مرّها وحلوها ﴿فَاسْلُكِي﴾ ما اكلت ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ فى مسالكه الّتى يحيل فيها بقدرته النَّوْرُ المرّ عسلا وهى اجوافك او فاسلكى راجعة الى بيوتك طرق ربّك لا تعسر عليك ولا تتبس ﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذلول وهو حال من السّبل اى ذلّلها وسهّلها الله لك ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾ عدل من خطابها الى خطاب النّاس لانّ تسخيرها المذكور لأجلهم ﴿شَرَابٌ﴾ هو العسل لانّه ممّا يشرب اذ يستحيل ما تاكل من الأزهار والأوراق العطرة عسلا فتقيئه او تغوّطه ادّخارا للشتاء فهو مستثنى من القىّ والغائط وقيل يخرج من ثقبة تحت جنحها فلا استثناء ومنهم من زعم انّه يقع اجزاء طليّة حلوة صغيرة على الأوراق والأزهار فتتغذّى منها حتّى تشبع ثمّ تلتقط منها بافواهها وتضعها فى بيوتها ادّخارا فاذا اجتمع فيها شيء كثير انقلب عسلا ففسر البطون بافواه لكنه ضعيف بقرينة ثم كلى ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ ابيض واصفر واحمر واسود اختلاف النّحل او الفصل او المكان ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ امّا بنفسه كما فى الأمراض البلغميّة او مع غيره كما فى سائر الأمراض اذ قلّ ما يخل معجون عنه فلا يرد انّه يضرّ نحو الصّفراويّ والمحمومين ويمكن ان يقال التّنكير فى شفاء للتّبعيض ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ على القدرة والحكمة ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩)﴾ فى صنعه تعالى ثمّ انّه تعالى اتبع الأستدلال على وحدانيّته وكمال قدرته بذكر اختلاف

اعمار النّاس ومراتبها واختصاص كلّ مرتبة بحكم يخالف حكم الأخر بمحض تدبيره فقال ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بآجال مختلفة بعضكم فى سنّ النّشو والنماء وبعض فى سنّ الوقوف وبعض فى سنّ الكهولة وبعض فى سنّ الانحطاط الظّاهر وتمامه عند الأطبّاء الى مأية وعشرين سنة ﴿وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ﴾ يعاد ﴿إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ اخسّه من الهرم الّذى يشابه الطّفولية فى نقصان القوة والعقل قيل هو تسعون سنة ﴿لِكَيْ لَا﴾ اللاّم للعاقبة او لمجرّد التّعليل وكى مصدرية ناصبة للفعل فى تأويل المصدر معه مجرور باللاّم ﴿يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ متنازع فيه للفعل والمصدر ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾ بمقادير اعمارهم ﴿قَدِيرٌ (٧٠)﴾ على ما يريد ومنه اماتة الشّاب النشيط وابقاء الهرم الفانى ﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فمنكم غنىّ وفقير ومالك ومملوك فلا الغنى من وفور العقل وكثرة السّعى ولا الفقر من نقصان العقل وقلّة السّعى بل من قسمة القسّام الّذى يفعل ما يشاء ويلزم من هذا كونه تعالى هو الرازق للجمع على وجه التّفضيل ففرّع عليه نفى كون المفضّلين رازقين مماليكهم بقوله ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ اى الموالى ﴿بِرَآدِّي﴾ اى معطى ﴿رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ اى على مماليكهم بل ما يردّون عليهم هو رزقهم اجراه الله على ايديهم وفرّع على النفى قوله ﴿فَهُمْ﴾ اى الموالى والمماليك ﴿فِيهِ﴾ اى فى الرّزق من الله ﴿سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ (٧١)﴾ يكفرون حيث يجعلون له شركاء فيفضى الى ان ينكروا كون النّعم من عنده ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلق حوا من ضلع آدم وسائر النّساء من نطف الرّجال والنّساء ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ اولاد الأولاد او وبنات فان الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتمّ خدمة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ اى اللّذائذ او الحلالات ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢)﴾ باضافتها الى الأصنام ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمٰوٰتِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْئًا﴾ بدل من رزق ان كان بمعنى المرزوق اومنصوب به ان كان مصدرا ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣)﴾ يقدرون على

شيء اصلا وجميع الضّمير لمعنى ما فانّها فى معنى الآلهة ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لِلّهِ الأَمْثَالَ﴾ اى لا تجعلوا له مثلا تشاركون به ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ﴾ ان لا مثل له ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (٧٤)﴾ ذلك ﴿ضَرَبَ اللهُ﴾ لنفسه ولمن عبد دونه ﴿مَثَلاً﴾ ويبدل منه ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ صفة جيئ بها لتميزه من الحرّ فانّه ايضا عبد الله ﴿لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَىْءٍ﴾ من التّصرف لعدم ملكه ميّزه بهذا عن المكاتب والمأذون مثل للأصنام ﴿وَمَنْ﴾ نكرة موصوفة لتطابق عبدا اى حرّا ﴿رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ اى يتصرف فيه كيف شاء مثل له تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ اى لا يستوى هذان مع تشاركهما فى الجنسية والمخلوقيّة فكيف يستوى اعجز المخلوقات واغنى كلّ شيء على الاطلاق وجمع الضّمير باعتبار الجنس فانّه بمعنى العبيد والأحرار ﴿الْحَمْدُ﴾ مستحق ﴿لِلّهِ﴾ وحده لانّه مولى النّعم فضلا عن العبادة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾ فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لأجلها ﴿وَضَرَبَ اللهُ﴾ لنفسه وللأصنام ايضا وقيل احد التمثيلين له ولها والأخر للمؤمن والكافر ﴿مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ ولد اخرس لا يَفْهَمُ ولا يُفْهِمُ ﴿لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَىْءٍ﴾ من المكاسب لنقصان عقله ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثقيل ﴿عَلَى مَوْلاهُ﴾ مَنْ ولى امره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ﴾ يرسله المولى فى امر ﴿لاَ يَأْتِ﴾ منه ﴿بِخَيْرٍ﴾ اى بنجح وكفاية مهمّ ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ﴾ تاكيد للمستكنّ ليعطف عليه ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ اى من هو فهيم ناطق نافع للنّاس يحثّهم على العدل المستجمع للفضائل كلّها ﴿وَهُوَ﴾ فى نفسه ﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ (٧٦)﴾ لا يتوجه الى مطلب الاّ ويبلغه باقرب سعى ولتضمّن هذه الصّفة كمالا وماقبلها ثلثة قابلهما بتلك الصّفات الأربعة ولمّا مثّل نفسه بمن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم ان احدا لا يكون كذلك الاّ اذا كان كاملا فى العلم والقدرة اثبتهما له بقوله ﴿وَلِلّهِ﴾ وحده ﴿غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ اى علم ما غاب فيهما بان لم يكن محسوسا ولم يدلّ عليه محسوس ﴿وَمَا أَمْرُ﴾ قيام ﴿السَّاعَةِ﴾ فى سرعته وسهولته ﴿إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ اى رجع الطّرف من اعلا الحدقة الى اسفلها ﴿أَوْ﴾ للتخيير او بمعنى بل ﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾ منه بان

يكون فى نصفه ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)﴾ ومنه ان يحيى الخلائق دفعة كما خلقهم تدريجا ثم دلّ على قدرته تعالى فقال ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الجملة حال ﴿وَجَعَلَ﴾ استيناف او عطف لانّ الواو لا يقتضى التّرتيب حتّى يفهم تقضى كون هذا الجعل بعد الاخراج ﴿لَكُمُ السَّمْعَ﴾ اى الاسماع ﴿وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾ الّتى هى اداة أدراك الجزئيات والكليات ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨)﴾ اى لتعرفوا ما انعم عليكم فتشكروه ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مذللات للطّيران بخلق الأجنحة والأسباب الموافقة له كخلق الجوّ بحيث يمكن التعادى فيه ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ اى الهواء بين السّموات والأرض ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ فيه ﴿إِلاَّ اللهُ﴾ فانّ ثقلها يقتضى سقوطها ولا مانع منه لولا قدرته وخلقه الاسباب فيها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ هى خلقها بحيث يمكنها الطّيران وخلق الجوّ بحيث يمكن الطّيران فيه وامساكها فيه على خلاف طبعها ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩)﴾ لانّهم المنفعون ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ المتّخذة من نحو الحجر والمدر ﴿سَكَنًا﴾ موضعا تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ كالقباب المتّخذة من الجلود والخيام المتّخذة ممّا عليها فانّه لثبوته عليها يصدق على ما يتخذ منه انّه من الجلود ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ تجدونها خفيفة ممكنة النّقل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا﴾ للضأن واضافتها الى ضمير الأنعام لانّها من جملتها ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ للأبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ للمعز ﴿أَثَاثًا﴾ ما يلبس ويفرش ﴿وَمَتَاعًا﴾ ما يتمتّع او يتّجر به ﴿إِلَى حِينٍ (٨٠)﴾ تبلى فيه ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾ من نحو البيوت والأشجار والجبال والغمام ﴿ظِلاَلاً﴾ تقيكم حرّ الشّمس جمع ظلّ ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ تسكنون فيها جمع كنّ وهو ما يكن فيه كالكهف والسّراب ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾ قمصا ﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ أي والبرد فاكتفى بأحد الضّدين ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ أي حربكم أي الطّعن والضر فيها كالدّروع والجواشن فان السّربال يعمّ كلّ ما يلبس ﴿كَذَلِكَ﴾ كإتمام النّعم المذكورة ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١)﴾ تنقادون

لحكمه ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ اعرضوا عن الاسلام فلا يضرك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ﴾ يا محمّد ﴿الْبَلاَغُ الْمُبِينُ (٨٢)﴾ اى الإبلاغ البيّن وقد بلّغت ﴿يَعْرِفُونَ﴾ اى المشركون ﴿نِعْمَةَ اللهِ﴾ اى يقرّون بانّها من عنده ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بعبادة غير من انعمها ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣)﴾ اى الجاحدون عنادا وذكر الأكثر لانّ بعضهم لم يعرف الحقّ لنقصان العقل ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيّها يشهد لها وعليها بالإيمان والكفر ﴿ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فى الأعتذار اذ لاعذر لهم ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤)﴾ اى لا يطلب منهم العتبى اى ازالة عتاب ربّهم وغضبه بان يقال لهم ليرجعوا عن الكفر فانّ الأخرة ليست بدار تكليف ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿الْعَذَابَ﴾ عذاب جهنّم ﴿فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥)﴾ يمهلون عنه اذا رأوه ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ اى الأصنام او الشّياطين الّتى حملتهم على الكفر ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاَءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو﴾ نعبدهم او نطيعهم ﴿مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ اى قالوا لهم ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦)﴾ فى قولكم انكم عبدتمونا حقيقة وانّما عبدتم اهوائكم كقوله: ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾[1] ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ اى استسلموا لحكمه ﴿وَضَلَّ﴾ ضاع وبطل ﴿عَنْهُمْ﴾ حين كذّبوهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧)﴾ من ان آلهتهم تشفع لهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ النّاس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ دينه بالحمل على الكفر ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الّذى استحقوه بكفرهم ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨)﴾ يصدون النّاس عن الإيمان ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ هو نبيّهم فانّ نبىّ كلّ امة بعث منهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمّد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاَءِ﴾ اى امّتك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾ استيناف او حال باضمار قد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿تِبْيَانًا﴾ بيانا ﴿لِكُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج اليه من امور الدّين تفصيلا او اجمالا بالأحالة على السّنة او القياس ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ للجميع ومن حرم منه فلتفريطه ﴿وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ خاصة ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ

---

[1] - سورة مريم: ٨٢

بِالْعَدْلِ﴾ بالتوسّط فى الأمور اعتقادا كالتّوحيد المتوسّط بين التّعطيل والتّشريك وعملا كالتعبّد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والتّرهب وخلقا كالجود المتوسّط بين البخل والتّبذير ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ اى احسان الطاعات بحسب الكميّة كالتّطوع بالنّوافل او بحسب الكيفية بان تعبد الله كانّك تراه كما فى الحديث ﴿وَإِيتَاءِ﴾ اعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَى﴾ اى الأقارب ما يحتاجون اليه تخصيص بعد تعميم للأهتمام و المبالغة فى الحثّ عليه ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ اى الأفراط فى متابعة القوّة الشهوانيّة البهيميّة الّتى ترغب فى تحصيل اللّذات الخارجة عن الحدّ المأذون فيه شرعا كالزّنا فانّه اقبح احوال الأنسان واشنعها ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ ما ينكر على متعاطيه فى تهيّج القوّة الغضبيّة السَّبُعِيَّةِ الّتى تسعى ابدا فى ايصال الشر والبلا والأيذا الى النّاس ﴿وَالْبَغْيِ﴾ اى الاستعلاء على النّاس والتّجبر عليهم الّذى هو مقتضى القوّة الوهميّة الشّيطانيّة ولا يوجد من الأنسان شرّ الاّ وهو مندرج فى هذه الأقسام صار بتوسّط احدى هذه القوى الثلث ولذا قال ابن مسعود هى اجمع آية فى القرآن للخير والشر ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر والنّهى والتّميز بين الخير والشّر ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ تتّعظون ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ﴾ اى البيعة لرسول الله على الاسلام ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ﴾ اى إيمان البيعة او مطلق الإيمان ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها بذكر الله ﴿وَ﴾ حال ﴿قَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ بالوفاء حيث حلفتم به ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١)﴾ فى نقض الإيمان والعهود ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ﴾ افسدت ﴿غَزْلَهَا﴾ ما غزلته مصدر بمعنى المفعول ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ احكام له وبرم ﴿أَنكَاثًا﴾ جمع نكث وهو ما ينكث اى يحلّ برمه حال من غزلها والمراد تشبيه النّاقض بمن هذا شأنه وقيل هى امرأة حمقاء من مكّة كانت تغزل طول يومها ثمّ تنقضه ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ حال من ضمير لا تكونوا اى لا تكونوا مثلها فى اتّخاذكم ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً﴾ وهو ما يدخل فى الشيء وليس منه اى فسادا وخديعة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بان تنقضوها ﴿أَنْ﴾ اى لان ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَى﴾ ازيد عددا ومالا ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ فانّهم كانوا اذا وجدوا اكثر من حلفائهم نقضوا العهد وحالفوهم

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾ يختبركم ﴿اللهُ بِهِ﴾ اى بكون امّة اربى لينظر اتَقُوْنَ ام تغدرون بكثرتهم ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢)﴾ فى الدّنيا من امر الوفاء وغيره بان يثيب الوافى ويعاقب النّاقض ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متّفقة على الاسلام ﴿وَلٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ سؤال تبكيت ومجازاة ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ عطف على لا تكونوا وتصريح بما تضمنه هو لانّ النّهى عن المقيّد يرجع الى القيد فيكون لا تكونوا آه فى الحقيقة نهى عن الأتخاذ ومتضمّن له وهذا تصريح به تأكيدا ومبالغة فى قبح المنهىّ ﴿فَتَزِلَّ﴾ منصوب فى جواب النّهى ﴿قَدَمٌ﴾ اى اقدامكم عن محجّة الاسلام والأفراد والتّنكير للّدلالة على انّ زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ عليها ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ العذاب فى الدّنيا ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ اى بصدودكم عن الوفاء به او صدّكم غيركم عنه اذ يقتدى بكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤)﴾ فى الآخرة ﴿وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدّنيا بان تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ﴾ من النّصر والنّعم فى الدّنيا والثّواب فى الآخرة ﴿هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥)﴾ ذلك فلا تنقضوا ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من اعراض الدّنيا ﴿يَنْفَدُ﴾ يفنى ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ من خزائن رحمته ﴿بَاقٍ﴾ دائم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الوفاء بالعهود ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ اى بجزاء احسن من اعمالهم وبعد التّرغيب فى الصّبر على الوفاء رغّب فى اتيان كلّ ما كان من شرايع الاسلام فقال ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثّواب وانّما المتوقع عليها بمقتضى ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره﴾[1] تخفيف العذاب ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ فى الدّنيا بالرّزق الحلال وتوسعته ان كان موسرا وبالقناعة والرّضاء بالقسمة وتوقّع الأجر العظيم فى الآخرة ان كان معسرا بخلاف الكافر فانّ اعساره عذاب وكذا ايساره لزيادة الحرص وخوف الفوات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

[1] - سورة الزلزال: ٧

أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾ ولمّا ذكر انّه يجازى على الاعمال الصّالحة ارشد الى طريق يخلص به الأعمال عن الوساوس وهو التّعوذ وخصّ القرائة بالذكر لانّها رأس الأعمال الصّالحة من حيث انّها الدّاعية الى الأعمال القلبيّة والقالبيّة فقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ اردت قرائته من ذكر المسبب وارادة السبب ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨)﴾ اى قل اعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم وهى مستحبة وكذا التّسمية بعد كلّ فصل يحسب اعراضا عرفا ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ تسلّط ﴿عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ يجعلونه ولىّ امرهم بطاعته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾ اى بالله او بسبب الشّيطان ﴿مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾ ثمّ شرع فى شبهات منكرى النّبوة فقال: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ بنسخ حكمها وتلاوتها او احدهما فقط وانزال غيرها ﴿وَ﴾ حال ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ من مصالح العباد باختلاف الأوقات ﴿قَالُوا﴾ اى الكفرة للنّبى جواب اذا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كذّاب تقوله من عندك فتغيّره كما تريد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (١٠١)﴾ حقيقة القران وفائدة النّسخ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ من اضافة الموصوف الى الصّفة كحاتم الجود للاشعار باختصاصه بها اى روح مقدّس وهو جبرائيل ﴿مِنْ﴾ كلام ﴿رَبِّكَ﴾ ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ اى الحكمة والمصلحة ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على الإيمان بانّه كلامه ﴿وَ﴾ للعطف على محلّ ليثبت اى تثبيتا ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)﴾ اى انقادين لحكمه ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ اى يعلّم النّبى القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ يعنون حبر الرّومىّ غلام عامر بن الحضرمىّ قال تعالى ﴿لِسَانُ﴾ اى لغة الرّجل ﴿الَّذِى يُلْحِدُونَ﴾ يميلون عن الأستقامة ﴿إِلَيْهِ﴾ انّه يعلّمه ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ غير بيّن ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣)﴾ ذو بيان وفصاحة يعلمونه بأدنى تأمّل فكيف يكون مأخوذا منه ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ لا يصدقون انّها من عنده تعالى ﴿لاَ يَهْدِيهِمُ اللهُ﴾ الى سبيل النّجاة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)﴾ فى الآخرة ابطل اوّلا طعنهم فى القرآن ثمّ خوّفهم على كفرهم به ثمّ قلب الأمر عليهم فقال ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ

لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ اى القرآن بقولهم هذا قول البشر ﴿وَأُوْلئِكَ﴾ اى الّذين كفروا ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥) مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ على التّلفظ بكلمة الكفر فتلفّظ به استثناء متّصل لانّ من اكره من جنس من كفر اذ الكفر لغة تعمّ القول والعقد ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ لم تتغيّر عقيدته وكلمة من شرطية او موصولة وجوابها او خبرها عليهم غضب دلّ عليه قوله ﴿وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ اى فتحه ووسّعه له بمعنى اعتقده وطابت به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)﴾ اذ لا اعظم من ذنبه روى انّ اوّل من اظهر الاسلام سبعة رسول الله وابوبكر وحباب وصهيب وبلال وعمّار وامّه سميّة وقيل وابه ياسر ايضا امّا الرّسول فمنعه عن الكفّار ابوطالب وامّا ابو بكر فمنعه قومه وأخذ الآخرون وعذّبوا بانواع العذاب ليرتدّوا وطعن ابوجهل بحربة فى قبل سميّة فقتلت وقتلوا ياسرا ايضا ووافقهم الآخرون بلسانهم اكراها لجوازه الاّ بلالا فانّهم جعلوا يعذّبونه وهو يقول احد احد حتّى ملّوه فتركوه ﴿ذَلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اختاروها ﴿عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ﴾ اى وبانّ ﴿اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧)﴾ فى علمه الى ما يوجب ثبات الإيمان ثمّ بيّن طريق عدم هدايتهم الى ما يوجب الثّبات على الحقّ بقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ فابت عن ادراك الحقّ والتّأمل فيه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨)﴾ الكاملون فى الغفلة عمّا يراد بهم ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩)﴾ لصرف اعمارهم فيما افضى بهم الى العذاب المخلّد ﴿ثُمَّ﴾ لتباعد حال ما بعدها عن حال ماقبلها ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ عذّبوا وتلفظوا بالكفر اكراها ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على مشاق الجهاد ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾ اى الهجرة والجهاد والصّبر ﴿لَغَفُورٌ﴾ لما فعلوا قبل ﴿رَحِيمٌ (١١٠)﴾ ينعم عليهم مجازاة لصنيعهم بعد وخبر انّ الأولى دلّ عليه خبر الثّانية اذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ﴾ تحاج ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ ذاتها وتسعى فى خلاصها لا يهمّها غيرها فتقول نفسى نفسى ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَا عَمِلَتْ وَهُمْ

لاَ يُظْلَمُونَ (١١١)﴾ بنقصان اجر ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه ﴿قَرْيَةً﴾ اى اهلها جعلها مثلا لكلّ قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النّعمة فكفروا نعمة الله فانزل الله بهم نقمته او لكفّار مكّة خاصّة ولا يلزم فى التّمثيل ان يكون الممثّل به موجودا بل يكفى فيه الفرض فلا حاجة الى ان تكون قرية من قرى الأولين بهذه حتّى يضرب بها المثل ﴿كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ لا يرعج اهلها خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعا ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ اى من نواحيها ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾ استعير تصريحا اللباس لما غشيهم من اثرهما بقرينة الأضافة ثمّ شبّه ذلك المستعار بالطّعم المرّ الكريه على السبيل الأستعارة المكنيّة واثبت لها الأذاقة تخييلا فقد اجتمع المصرّحة والمكنيّة والقاضى جعل الذّوق لأدراك اثر الضرّ واللّباس لما غشيهم وجعل وقوع الذّوق عليه باعتبار المستعار له فيكونا استعارتين مصرّحتين ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ اى اهل مكّة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم ﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ هو محمّد عليه الصّلاة ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ اى الجوع سبع سنين والخوف كما وقع لهم ببدر ﴿وَ﴾ حال ﴿هُمْ ظَالِمُونَ (١١٣)﴾ وبعد ما هدّدهم على الكفر بما ذكر من التّمثيل والعذاب الّذى حلّ بهم امرهم بأكل ما احلّ لهم وشكر النعمة فقال ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤)﴾ تطيعون ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥)﴾ حصّر المحرّمات هنا وفى البقرة[1] والمائدة[2] والانعام[3] فى هذه الأربعة ليعلم انّ ماعداها حلّ لهم الاّ ما دلّ نحو السنّة على تحريمه كالسّباع والحمر الأهلية ثمّ اكّد ذلك بالنّهى عن التّحريم والتّحليل باهوائهم ﴿وَلا تَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ﴾ كلمة ما موصولة واللاّم صلة لا تقولوا اى لا تقولوا فى حقّ ما تصف السنتكم من الحيوانات وغيرها ﴿الْكَذِبَ﴾ مفعول لا تقولوا ويبدل

---

[1] - آية: ١٧٣

[2] - آية: ٣

[3] - آية: ١٣٩، ١٤٥

منه ﴿هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ كما قالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا الآية ﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك اليه واللاّم مستعار من الغرض للعاقبة لانّ الأفتراء ليس غرضا لهم من التّحريم والتّحليل بل يؤلان اليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ (١١٦)﴾ لمآ كان افترائهم لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبيّنه بقوله ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ اى مايفترون لأجله منفعة قليلة تنقطع عن قريب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧)﴾ فى الآخرة ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ اى اليهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ فى سورة الأنعام فى قوله: ﴿وعلى الّذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظفر﴾[1] آه ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨)﴾ بارتكاب المعاصى الموجبة لذلك ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾ اى الأفتراء على الله وغيره ملتبسين ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ اى جاهلين بعقاب الله غير متدبّرين عواقب الأمور ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ اى التّوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لذلك السّوء ﴿رَحِيمٌ (١١٩)﴾ يثيبهم على التّوبة ولمآ زيّف مذاهب المشركين كلّها وصف من هو رأيس الموحّدين بأوصافه الشّريفة وطريقته المقبولة حملا لهم على الأقتداء به فقال ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ سمّاه امّة تشبيها له بها من حيث استجماعه فضائل لا تكاد توجد الاّ متفرّقة فى جماعة ﴿قَانِتًا﴾ مطيعا ﴿لِلّهِ حَنِيفًا﴾ مائلا عن الباطل الى الحقّ ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠)﴾ كما زعموا انّهم على ملّته ﴿شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ﴾ اختاره للنّبوة والخلّة ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)﴾ فى الدّعوة الى الله ﴿وَآتَيْنَاهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هى الثّناء الحسن فى كلّ الملل وطول العمر فى السّعة والطّاعة ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢)﴾ الّذين لهم الدّرجات العلى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمّد وكلمة ثمّ لتعظيمه والتّنبيه على انّ اجل ما اوتى ابراهيم هذه الصّفة العاشرة اى اتباع نبيّنا ملّته ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حال من ابراهيم لانّ الملّة بمنزلة الجزأ منه ولجواز سقوطها واقامته مقامها ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣)﴾ كرّره

[1] - سورة الأنعام: ١٤٦

مبالغة فى ردّ زعمهم انّه على دينه ولمّا كان مظنّة ان يقال كيف اختار النّبى تعظيم يوم الجمعة مع كونه مأمورا بمتابعة ابراهيم وكانت شريعته تعظيم يوم السّبت ردّ كونه شريعته بقوله ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ اى تعظيم يوم السّبت والتّخل فيه للعبادة ﴿عَلَى﴾ اليهود ﴿الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على موسى حيث امرهم باختيار الجمعة فاختاروا السّبت لانّه تعالى فرغ فيه من خلق العالم فالزمهم الله اياه وشدّد الامر عليهم ولم يخترها النّصارى ايضا بل اختاروا الأحد لانّه يوم البدأ بالخلق ولكراهتهم ان يكون عيد اليهود بعدهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤)﴾ بالمجازات على الأختلاف ﴿ادْعُ﴾ النّاس يا محمّد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ اى دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ اى المقالة المحكمة وهى البراهين القطعيّة المفيدة لليقين ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ اى الأمارات اللّطيفة النّافعة والدّلائل الأقناعيّة ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي﴾ اى بالطّريقة الّتى ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ طرق المجادلة من الرّفق واللّين واختار المقدّمات المشهورة المسلّمة عند الخصم ليحصل الزامه وافحامه الأولى لدعوة خواص الأمّة الطّالبين للحقائق والثّانية لعوامهم والثّالثة لمعانديهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ يعنى انّما عليك الدّعوة وانّما حصول الهداية والضّلال والمجازات عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضّالين والمهتدين وهو المجازى لهم ولمّا امره بالدّعوة وهى تقتضى امر المدعوّين بالرّجوع عن دين آبائهم واسلافهم والحكم عليه بانّه كفر وضلالة وذلك ربّما يشوّش قلبهم ويحملهم على شتم الدّاعى واذاه فيؤدّى ان يؤدّبهم الدّاعى ومن معه بالضّرب والقتل ايضا فامرهم بالعدل فى ذلك فقال ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾ عن الأنتقام ﴿لَهُوَ﴾ اى الصّبر ﴿خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦)﴾ ثمّ صرّح الأمر به لرسوله لانّه اولى النّاس به لزيادة علمه بالله وتوكّله عليه فقال ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ اى بتوفيقه وتثبيته ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ اى الكافرين ان لم يؤمنوا ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)﴾ اى لا تهتمّ بمكرهم فانّا ناصرك عليهم كما قال ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الكفر والمعاصى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)﴾ فى اعمالهم بالعون والنّصر.

سورة الإسراء

مكية وقيل: إلاّ (وإن كادوا ليفتنونك) الآيات الثّمان. وآيها مائة وعشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ﴾ اسم مصدر بمعنى التّسبيح الّذى هو التّنزيه منصوب على المصدر بمعنى اسبح تسبيحا لله ولا يستعمل الاّ مضافا الى ماهو فاعل فى المعنى او مفعول وقد يجعل على الشّذوذ علما للتّسبيح المذكور فيقطع عن الأضافة ويمنع الصّرف للعلمية والالف والنون المزيدتين وتصدير الكلام به على معنى الامر بتنزيهه عن العجز عمّا ذكر بعده ﴿الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ محمّد صلّى الله عليه وسلم قبل الهجرة بسنة ولكون الإسراء لازما بمعنى السير باللّيل كالسرى عدّى بالباء وانّما جرّد وانتصب ﴿لَيْلًا﴾ به على الظرفية ليدلّ تنكيره على تقليل مدّته ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بعينه كما فى رواية بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النّائم واليقظان اذ اتانى جبرائيل بالبراق او من الحرم على طريق تسمية المحيط باسم المحاط لرواية انّه كان نائما فى بيت امّ هانئ فأسرى به ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ أي بيت المقدّس سمّى بالأقصى لكونه ابعد المساجد من المسجد الحرام لانّه لم يكن حينئذ ورائه مسجد ﴿الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ دينا ودنيا لانّه مهبط الوحى ومتعبّد الأنبياء من لدن موسى ومحفوف بالأنهار والأشجار ﴿لِنُرِيَهُ﴾ علة من الغيبة الى التكلّم لتعظيم ما اراه ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال محمّد ﴿الْبَصِيرُ (١)﴾ بأفعاله فاكرمه وقرّبه على حسب ذلك وناجاه فانّه عليه الصّلاة قال أُتيتُ بالبراق من الجنّة وهو دابّة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بى حتّى اتيت بيت المقدّس فربطته بالحلقة الّتى تربط فيها الأنبياء ثمّ دخلت فمثّل لى النّبيون فصليت بهم ركعتين ثم خرجت فجائنى جبرائيل باناء من خمر واناء من لبن

فاخترت اللّبن فقال اخترت الفطرة ثم عرج بى الى السّموات وكلّما اتينا سماء واستفتح سئلوه من معك امرسل ام لا فاجاب بانّه محمّد وقد ارسل اليه ثم فتح لنا فرايت فى السّماء الأولى آدم وفى الثّانية ابنى الخالة يحيى و عيسى وفى الثّالثة يوسف واذا هو قد اعطى شطر الحسن وفى الرّابعة ادريس وفى الخامسة هارون وفى السّادسة موسى وفى السّابعة ابراهيم فرحبوا بى كلّهم ودعوا لى بخير فاذا ابراهيم مستند الى البيت المعمور واذا هو يدخله كلّ يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا اوراقها كآذان الفيلة وثمارها كالقلال فلمّا غشيها من امر الله ما غشيها تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع يصفها من حسنها فرأيت ربّى بعين رأسى فاوحى الىّ ما اوحى وفرض علىّ فى كلّ يوم وليلة خمسين صلوة فنزلتُ حتّى انتهيتُ الى موسى فسئلنى عمّا فرض على امّتى قلت خمسين صلوة فى كلّ يوم وليلة قال ارجع الى ربّك واسئله التّخفيف فانّ امّتك لا تطيق ذلك فانّى بلوت بنى اسرائيل وجرّبتهم فرجعت الى ربّى فقلت اى ربّى خفّف عن امّتى فحطّ عنى خمسا فرجعت الى موسى فرجّعنى مرّة اخرى فلم ازل ارجع بين ربّى وموسى ويحطّ عنّى خمسا خمسا حتّى قال يا محمّد هى خمس صلوات فى كلّ يوم وليلة بكلّ صلوة عشر فذلك خمسون صلوة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة فان عملها كتب له عشرة ومن همّ بسيّئة ولم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت سيّئة واحدة فرجعت الى موسى فاراد ان يرجّعنى مرّة اخرى فقلت قد استحيت من ربّى كذا رواه الشيخان فلمّا جاء واخبر به قريشا تعجّبوا منه استحالة وارتدّ ناس ممّن آمن به بناء على انّ ارتفاع الجسد من مكّة الى بيت المقدّس ثمّ منه الى العرش فى مقدار ثلث اللّيل لا يقبله العقل وقد اخطأوا فى ذلك فانّه لا محال من الممكنات بالنّسبة الى قدرة الله وسرعة حركة الأجسام امر ممكن اذ قد ثبت فى الهندسة انّ قرص الشّمس تساوى كرّة الأرض مأية ونيفا وستين مرّة مع انّا نشاهد طلوعه فى زمان لطيف سريع اقلّ من ثانية وسعى رجال الى ابى بكر وقالوا اتصدّقه على ذلك قال انّى لأصدّقه على ابعد من ذلك فسمّى

الصّديق ولمّا ذكر تعالى اكرامه محمّدا عليه الصّلاة ذكر انّه اكرم موسى قبله بالكتاب فقال ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التّورية ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ اى الكتاب او موسى ﴿هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ﴾ مفسّرة لما تضمّنه الكتاب من التّكاليف كما فى كتبت اليه ان افعل كذا ﴿لَا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي﴾ غيرى ﴿وَكِيلًا (٢)﴾ ربّا تفوّضون اليه اموركم يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ فى السّفينة فانّ بنى اسرائيل وكذا من عداهم من ذريّة اولاده ولذا كان يسمّى بآدم الثّانى ﴿إِنَّهُ﴾ اى نوح ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)﴾ اى يحمد الله على جميع حالاته استيناف لبيان علّة انجائه وحثّ للذريّة على الأقتداء به ولمّا ذكر انعامه على بنى اسرائيل بانزاله التّورية وجعله هدى لهم بيّن انّهم ما اهتدوا بهداه بل وقعوا فى الفساد فقال ﴿وَقَضَيْنَا﴾ اوحينا ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ التّوراة والله ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ اى ارض الشّام بالمعاصى ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ افسادتين اوليهما مخالفة احكام التّوراة وقتل شعيا وارميا وثانيهما قتل زكريّا ويحيى وقصد قتل عيسى ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ النّاس وتبغون عليهم ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا (٤)﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ عقاب ﴿أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ بُخْتُ نُصَّرَ وجنوده وكان عاملا لهراسف على بابل ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اى اصحاب قوّة وبطش فى الحرب ﴿فَجَاسُوا﴾ اى تردّدوا لطلبكم ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وسط دياركم فقتلوكم وسبوا سبعين الفا من صغاركم وذهبوا بهم الى بابل وحرقوا التّورية وخرّبوا المسجد والقوا فيه الجيف ﴿وَكَانَ﴾ وعد عقابهم ﴿وَعْدًا مَفْعُولًا (٥)﴾ البتة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ اى الدّولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ اى على الّذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله فى قلب بهمن بن اسفنديار لمّا ورث الملك من جدّه كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فردّ اسرائهم الى الشّام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وامّا هو فسلّط الله عليه بعوضة فدخلت منخره وعضّت بامّ دماغه حتّى اهلكته ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦)﴾ عشيرة ممّا كنتم ولمّا ذكر ما ادّى اليه فسادهم الاوّل ذكر على طريق الأستيناف انّ ضرر افسادهم لا يتعدّى الى غيرهم فقال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لانّ ثوابه لها

﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ اسأتم فانّ وبالها عليها عن عليّ رضى الله عنه ما احسنتُ الى احد ولا اسأتُ اليه ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ عقاب المرّة ﴿الْآخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ اى يحزنوكم بالقتل والسّبى حزنا يظهر اثره فى وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ فخرّبوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا﴾ يهلكوا ﴿مَا عَلَوْا﴾ اى الّذين غلبوا عليه وظفروا به ﴿تَتْبِيرًا (٧)﴾ وذلك بان سلّط عليهم الفرس مرّة اخرى فغزاهم ونفاهم عن ديارهم ملك بابل من ملوك الطّوايف اسمه جوزدز ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرّة الثّانية ان تبتم وقد فعل بان كثّرهم مالا وعددا ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ الى الفساد مرّة اخرى ﴿عُدْنَا﴾ الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمّد فسلّطه الله عليهم فقتل قريظة ونفى بنى النّضير وضرب الجزية على الباقين هذا فى الدّنيا ﴿وَجَعَلْنَا﴾ فى الآخرة ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)﴾ محبسا وسجنا لا يقدرون على الخروج ابد الآباد ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ اى للطّريقة الّتى ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ اعدل الطّرق ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَ﴾ يخبر ﴿أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠)﴾ ولمّا بيّن شأن القرآن وكونه مدار منافع الدّارين بيّن انّ الإنسان قد يعدل عن التّمسك بشرايعه ويقدم على ما لا فائدة له فيه فقال ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه واهله وماله اذا غضب ﴿دُعَاءَهُ﴾ اى مثل دعائه له ﴿بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١)﴾ يسارع الى كلّ ما يخطر بباله ولا ينظر عاقبته روى انّه عليه الصّلوة دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه فارخت كتافه فهرب فدعى عليها بقطع اليد ثم ندم فقال: «اللّهم انّما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له»[1] فنزلت ﴿وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ اى علامتان دالتان على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ الَّيْلِ﴾ اى طمسنا نورها بالظّلام لتسكنوا فيه والإضافة للبيان وكذا فى ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ اى مضيئة من اطلاق اسم المسبب اى الأبصار الّذى لا يكون الاّ بحاسة البصر على السّبب اى الأضائة فانّما سبب لحصوله ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ فيه

[1] - شرح الطيبي على مسلم: ٤١٤/٨

﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بالكسب ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ باختلافهما ﴿عدد السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتاج اليه فى امور الدّين منصوب بفعل يفسّره ﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (١٢)﴾ بيّناه بيانا لا يلتبس ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ﴾ منصوب ايضا بفعل يفسّره ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ عمله وما قدّر كانّه طيّر اليه من عشّ الغيب ولمّا كانوا يتيمنون ويتشأمون بسنوح الطّائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشّر من قدر الله وعمل العبد ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ لزوم الطّوق فى عنقه خصّ بالذّكر من بين سائر الأعضاء لانّ اللّزوم فيه اشدّ بدليل انّه من عظمت رغبته فى حفظ شيء يربطه على عنقه وكان الظّاهر عنقه بالنّصب على البدليّة من مفعول الزمناه لكن جئ بفى للدّلالة على كمال الألزام ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ مكتوبا فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣)﴾ صفتان للكتاب او الثّانى حال من ضميره ويقال له ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ﴾ فاعل كفى بزيادة الباء وتذكيره لتأويلها بالشّخص ﴿الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ اى حاسبا تميز وعلى صلته ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لا يتجاوز جزائهما الى غيره وقرّر هذا بقوله ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ اى لا تحمل نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة ﴿وِزْرَ﴾ اثم نفس ﴿أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)﴾ يبيّن الشّرايع والأحكام ويلزمهم الحجّة لئلاّ يبقى لهم على الله حجّة ثمّ بيّن طريق تعذيب من قضى عليه الشّقاوة فى الأزل فقال ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا﴾ اى تعلقت ارادتنا ﴿أَنْ نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ انفاذا لقضائنا السابق ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ اى متنعّميها بمعنى رؤسائها الّذين ابطرتهم النّعمة بالطّاعة على لسان رسول ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ اى خرجوا عن امرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ بالعذاب السّابق فى علمنا ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦)﴾ اى اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها ولم نهلكها بمجرّد علمنا بعدم اهتدائهم ﴿وَكَمْ﴾ اى كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ بيان لكم وتميزه والقرن مأية سنة او وعشرون ﴿مِنْ﴾ للأبتداء ﴿بَعْدِ نُوحٍ﴾ كعاد وثمود ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾ متعلّق بقوله ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧)﴾ يدرك بواطنها وظواهرها فيجازى بها ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ الدّنيا مقصورا همّه عليها

﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ اى القدر الّذى نشاء نحن لا القدر الّذى يشاء هو ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ بدل البعض من له باعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾ يدخلها حال ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوما ﴿مَدْحُورًا (١٨)﴾ مطرودا عن الرّحمة ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا﴾ اى لأجل الآخرة بان يكون سعيه مقرونا بالنّية والأخلاص ﴿سَعْيَهَا﴾ مفعول مطلق للنّوع بمعنى حقّها من السّعى لا كعبدة الاوثان الزّاعمين انّهم السّاعين لها ﴿وَ﴾ حال ﴿هُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إيمانا صحيحا لا شرك معه ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩)﴾ عند الله اى مقبولا مثابا عليه ثمّ بيّن انّه لا يحرم من يريد الآخرة بل يعطى كالاول ما قسم له من الأموال والاولاد ونحوها بقوله ﴿كُلًّا﴾ اى كلّ واحد من الفريقين ﴿نُمِدُّ﴾ بالعطاء مرّة بعد اخرى ﴿هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾ بدل من كلاّ ﴿مِنْ﴾ متعلّق بنمد ﴿عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ فى الدّنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا (٢٠)﴾ ممنوعا من احد مؤمنا كان او كافرا ثم امر نبيّه ان ينظر الى تفاوة اهل الدّنيا فى متاعها ويعلم انّ تفاوة درجات الآخرة ودركتها اعظم بالنّسبة الى ما فى الدّنيا كالآخرة بالنّسبة اليها فقال ﴿انْظُرْ كَيْفَ﴾ منصوب على الحال بقوله ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فى الرّزق والجاه ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١)﴾ اى التّفاوة فيها اكبر فانّه بالجنّة ودرجاتها والنّار ودركاتها ولمّا بيّن انّ سعادة الآخرة بامور تقدّمت شرع فى تفصيلها فقال مخاطبا كلّ واحد من نوع الأنسان ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ﴾ من الأفعال النّاقصة بمعنى تصير منصوب باضمار ان فى جواب النّهى ﴿مَذْمُومًا﴾ من الموحّدين ﴿مَخْذُولًا (٢٢)﴾ من الله ولمّا ذكر الرّكن الأعظم فى الإيمان واتبعه بذكر ما هو من الشّرايع المترتّبة عليه من تخصيص العبادة به تعالى وغير ذلك فقال ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ امر امرا محتوما ﴿أَنْ﴾ بان ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ لانّه اللاّئق لها ﴿وَ﴾ ان تحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ لانّهما السّبب الظّاهر للوجود والتّعيش ﴿إِمَّا﴾ فيه ادغام نون ان الشّرطيّة فى ما الزّائدة للتّأكيد ولذا اكد بعده ﴿يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾ اى فى كنفك وكفايتك ﴿الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فاعل يبلغنّ ﴿أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ صوت يدلّ على التضجر

اى لاتتضجّر ممّا يستقذر منهما ولا تستنكف عن بنوّتهما وهذا النّهى يدلّ على المنع من سائر انواع الأيذاء قياسا بطريق الأولى ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ تزجرهما عمّا لا يعجبك باغلاظ ﴿وَقُلْ لَهُمَا﴾ بدل التّأفيف والنّهر ﴿قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣)﴾ جميلا ليّنا ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ اى تذلّل لهما وتواضع شبّه الذلّ فى نفسه بالطّائر واثبت له الجناح تخييلا ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ اى لرقّتك عليهما حيث افتقرا اليك وكنت افقر خلق الله اليهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ وان كانا كافرين لانّ من الرّحمة ان يهديهما فلا نسخ بقوله تعالى: ﴿وما كان للنّبى والّذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين﴾[1] ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)﴾ اى رحمة مثل رحمتهما علىّ وتربيتهما لى وفاء بوعدك للرّاحمين والامر للوجوب لكن يكفى العمل به فى العمر مرّة ويتأدّى بالدّعاء لهما فى اواخر التّشهدات كما يأتى فى الصّلوة على النّبى روى انّ رجلا قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّ ابوىّ بلغا من الكبر انّى الى منهما ما وليا منّى فى الصّغر فهل قضيتهما قال لا فانّهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبّان بقائك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من اضمار البرّ والعقوق ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ قاصدين الصّلاح ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ التوابين ﴿غَفُورًا (٢٥)﴾ لما فرّط منهم فى حقّهما عند حرج الصّدر من غير اضمار عقوق ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى﴾ القرابة غير الوالدين ﴿حَقَّهُ﴾ من صلة الرّحم وحسن المعاشرة والبرّ عليهم وان لم يجب الانفاق عليهم ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)﴾ بصرف المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الأسراف ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ امثالهم فى الشّرارة فانّ التّضييع والأتلاف شرّ ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)﴾ شديد الكفران لنعمه فكذلك اخوه المبذّر ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ اى ان اعرضت عن ذى القربى وما بعده حياء من التّصريح بالرّد على انّه حكاية حال ماضية فيترتب عليه الجواب الآتى كما يترتب عليه لو جعل كناية عن عدم النّفع ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ اى لطلب رزق تنظره يأتيك

[1] - سورة التوبة: ١١٣

فتعطيهم منه ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨)﴾ ليّنا سهلا بان تعدهم بالأعطاء عند مجئ الرّزق ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ لانّ خير الأمور اوسطها الّذى بين الافراط والتّفريط شبّه حال البخيل الممتنع عن انفاق ماله على المحاوج بحال من يده مغلولة وحال المسرف بحال من بسط يده كلّ البسط فلا يبقى شيء فى يده واستعمل لهما لفظهما على سبيل التّمثيل ﴿فَتَقْعُدَ﴾ تصير ﴿مَلُومًا﴾ عند الله والنّاس بالاسراف وسوأ التّدبير ﴿مَحْسُورًا (٢٩)﴾ نادما او منقطعا لا شيء عندك وقيل هذا راجع الى البسط وما قبله الى الغلّ روى انّه عليه الصّلوة اتاه صبىّ يطلب درعا لأمّه فسوّفه فجاء ثانيا وقال انّ امّى تطلب الدّرع الّذى عليك فاعطاه وقعد عريان فاذّن بلال فلم يخرج الى الصّلوة فنزلت ثمّ سلاّه بقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسّعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيّقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠)﴾ عالما ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم وان خفى عليهم ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ اى لا تؤدوا بناتكم ﴿خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ مخافة فقر بسببهنّ لعجزهنّ عن الكسب بخلاف البنين ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا﴾ اثما ﴿كَبِيرًا (٣١)﴾ لما فيه مع شناعته من قطع التّناسل ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ فضلا ان تباشروه فهو ابلغ من النّهى عن مباشرته ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ فعلة قبيحة ﴿وَسَاءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلًا (٣٢)﴾ طريقا هو اذ فيه الغصب على الأبضاع المؤدّى الى قطع الأنتساب وهيج الفتن ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ عصمها بالاسلام اوالعهد ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ اى باستحقاقها القتل بارتكاب شيء ممّا يوجبه من نحو كفر بعد إيمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا وترك صلوة عمدا مع اعتقاد وجوبها وقطع طريق ممّا فصّل فى القرآن او الحديث ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ غير مستوجب للقتل ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾ اى وارثه ﴿سُلْطَانًا﴾ تسلّطا على القاتل بالمؤاخذة بمقتضى القتل ﴿فَلَا يُسْرِفْ﴾ يتجاوز الحدّ ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بان يقتل غير قاتله او بغير ما قتل به ﴿إِنَّهُ﴾ اى الولىّ ﴿كَانَ مَنْصُورًا (٣٣)﴾ من الله حيث اوجب القصاص له وامر الولاة

بمعونته او الّذى يقتله الولىّ اسرافا حيث يجب القصاص او التّعزير والوزر على المسرف واتبع تعالى النّهى عن اتلاف النّفوس بالنّهى عن اتلاف الأموال فقال ﴿ولا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ﴾ فضلا ان تتصرّفوا فيه وخصّ ماله بالذّكر لانّه لكمال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله ﴿إِلاَّ بِالَّتِي﴾ اى بالطّريقة الّتى ﴿هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ اشتداد خلقه وتمام عقله وذلك ببلوغه خمس عشرة سنة وهو غاية لجواز التّصرف الّذى دلّ عليه الأستثناء ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ اذا عاهدتم الله او النّاس ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كانَ﴾ اى عدم تضييعه ﴿مَسْؤُولاً (٣٤)﴾ مطلوبا من المعاهد ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ اتمّوه ﴿إِذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزانّ السّوى ﴿ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥)﴾ عاقبة ﴿وَلا تَقْفُ﴾ تتّبع ﴿ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ اى اعتقاد راجح قطعىّ او ظنّىّ نهى عن الحكم بشيء تقليدا او رجما بالغيب ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً (٣٦)﴾ بان يقال له ما فعل بك صاحبك ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ اى ذا مرح بمعنى تكبّر وخيلاء ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾ تثقبها حتّى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً (٣٧)﴾ وهو تحكّم بالمحتال وتعليل للنّهى فانّ الأختيال مجرّد حماقة لافائدة فيه لا توجد فى التذلّل ﴿كُلُّ ذلِكَ﴾ المذكور من قوله ولا تجعل مع الله وهى خمسة وعشرون خصلة وعن ابن عبّاس انّها المكتوبة فى الواح موسى ﴿كانَ سَيِّئُهُ﴾ اى المنّهى عنه فانّ المذكور مأمورات ومنهيّات ﴿عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذلِكَ﴾ اى الاحكام المتقدّمة ﴿مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ الّتى هى معرفة الحقّ لذاته كالتّوحيد والخير للعمل به كما عداه من الخصل المذكورة ﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ﴾ كرّره تنبيها على ان التّوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه ﴿فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾ تلوم نفسك ﴿مَدْحُورًا (٣٩)﴾ مطرودا من رحمة الله ثمّ اتبع الأمر بالتّوحيد والنّهى عن الشرك ابطال طريقة من اثبت له الولد لاسيّما اخصّها فقال ﴿أَفَأَصْفاكُمْ﴾ خصّكم ﴿رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلئِكَةِ إِناثًا﴾ بناتا له بزعمكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا (٤٠)﴾ باضافة الأولاد اليه ثم تفضيل انفسكم عليه بجعل ما تكرهون

له ثم جعل الملائكة الّذين هم اشرف خلق الله ادونهم ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ كرّرنا هذا المعنى اى ابطال اضافتهم البنات اليه بوجوه من التقرير مختلفة ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ اى فى مواضع منه ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ يتّعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا (٤١)﴾ عن الحقّ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ صفة مصدر محذوف اى كونا مثل قولكم ﴿إِذًا لاَبْتَغَوْا﴾ طلبوا ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ﴾ اى الله ﴿سَبِيلًا (٤٢)﴾ طريقا ليقاتلوه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض ﴿سُبْحَانَهُ﴾ ننزّه تنزيها ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا﴾ تعاليا ﴿كَبِيرًا (٤٣)﴾ متباعدا غاية البعد لمآ ابطل قولهم ونزّه نفسه عمّا نسبوا اليه عقبه بذكر انّ الأكوان كلّها دالة على تلك النّزاهة فقال ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ اى تنزّهه ﴿السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ اى تنزهه بلسان الحال عمّا هو من لوازم الحدوث مما نسبتم اليه بان تدلّ بامكانها وحدوثها على الصّانع القديم الواجب لذاته فهو استعارة تبعيّة ولابعد فى ان يكون حقيقة بان ينطق ﴿وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ﴾ تفهمون ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ ايّها المشركون لأخلالكم بالنظر الصّحيح الّذى به يفهم تسبيحهم او لانّه ليس بلغتكم وعلى هذا الخطاب عام ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة ﴿غَفُورًا (٤٤)﴾ لمن تاب منكم ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا﴾ سترا ﴿مَسْتُورًا (٤٥)﴾ ذا ستر يحجبهم عن فهم ما تقرأ عليهم نفى عنهم فهم الأيات المنزّلة بعد ما نفى عنهم تفقّه الدّلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضّلالة كما صرّح به بقوله ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ اغطية كراهة ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلا يمنعهم عن استماعه فلا ينتفعون لا بمعناه ولا بلفظه ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ واحدا غير مقرون به آلهتهم ﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦)﴾ هربا من استماع التّوحيد ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ بسببه من الهزأ بك وبالقرآن ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ظرف اعلم وكذا ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ يتناجون بينهم اى يتحدّثون ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧)﴾ اى

سحر به فزال عقله بدل من اذ هم نجوى على وضع المظهر موضع المضمر فيكون بيانا لما به تناجيهم ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ بالمسحور والشاعر والكاهن والمجنون ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الحقّ فى جميع ذلك ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)﴾ الى الرّشاد ولما وصفوه عليه السلام بكونه مسحورا فاسد العقل ذكروا ما يدل على ذلك بحسب زعمهم وهو قولهم انّه يدعى ان الانسان بعد ما فنى يعود حيّا كما كان فحكى الله عنهم ذلك تجهلا لهم وابطالا لمقالتهم فقال ﴿وَقَالُوا﴾ منكرين للبعث ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ حطاما ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا﴾ حال ﴿جَدِيدًا (٤٩) قُلْ﴾ جوابا لهم ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ اى يعظم عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فانّ قدرته تعالى لا تقتصر عن احيائكم فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة متفتّتة موصوفة بالحياة قيل فانّ الشيء اقبل لما عهد فيه ممّا لم يعهد ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ الى الحيوة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئا لانّ القادر على البدأ قادر على الأعادة بل هى اهون ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ﴾ اى يحركونها نحوك تعجّبا واستهزاء ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ اى البعث ﴿قُلْ عَسَى﴾ هو ﴿أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١)﴾ لانّ كلّ آت قريب ونصبه على الخبر ويبدل منه او ينصب بأذكر قوله ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على لسان اسرافيل فى النّفخة الثّانية بأيتها العظام البالية واللّحوم المتفرّقة والعروق المنقطعة اخرجوا من قبوركم ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ فتجيبون من القبور وتخرجون ملتبسين ﴿بِحَمْدِهِ﴾ تعالى على كمال قدرته كما قيل انّهم ينفضون التّراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللّهم وبحمدك ﴿وَتَظُنُّونَ إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ﴾ فى القبور ﴿إِلاَّ قَلِيلًا (٥٢)﴾ لهول ما ترون يوم البعث فانّ من كان فى شدّة وبلاء اذا نزل به ما هو اشدّ منه استقصر ما كان فيه ولمّا بيّن صحّة المعاد امر نبيّه ان يقول للمؤمنين ان يوردوا للمشركين الحجج بالطّريق الأحسن اى بلا غلظ وشتم وسبّ لئلاّ يقابلوهم بمثله فيزداد الغضب والنفرة ويفوت المقصود فقال ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ اى المؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾ للكفّار الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ

الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يهيّج بينهم المراء والشّر ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣)﴾ بيّن العداوة وفسّر الّتى هى احسن بقوله ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ الاّ ان تلك المشيّة غائبة عنكم فاجتهدوا فى طلب الدّين لئلاّ تنحرموا عن السّعادة الأبديّة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤)﴾ تقسرهم على الإيمان وانّما ارسلناك مبشّرا ونذيرا فكيف تغالظهم انت والمؤمنون ولمّا استبعدوا ان يكون يتيم ابى طالب نبيّا والعراة الجوع اصحابه كما استبعدوا البعث رد عليهم بقوله ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وبأحوالهم وما يليق بهم فيختار لنبوّته وولايته من يشاء ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بالفضائل النفسانية والتّبرى عن علائق الجسمانيّة لا بكثرة الاموال والأتباع ونبّه على ذلك بقوله ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (٥٥)﴾ حيث بيّن انّ شرفه بهذا لا بما اوتى من الملك ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ انّها آلهة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير لا الأصنام لانّهم لا يوصفون بما يأتى ﴿فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ﴾ كالفقر والمرض والقحط ﴿وَلاَ تَحْوِيلًا (٥٦)﴾ له الى غيركم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ القربة بالطّاعة ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدل من واو يبتغون اى يبتغيها من هو اقرب اليه تعالى فكيف بغير الأقرب ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كسائر العباد فكيف تزعمون انّهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)﴾ اى حقيقا بان يحذره كلّ احد حتّى الرّسل والملائكة ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ اريد اهلها ﴿إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بالموت والاستيصال ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وانواع البليّة من غير استيصال فهذا ادنى حالا من الاوّل وقيل بالعكس اذ الاول محمول على الاهلاك بالموت من غير تسليط احد عليه وهذا على الاهلاك بعذاب الاستيصال ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اى اللّوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا (٥٨)﴾ مكتوبا ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ الّتى إِقْتَرَحْتَهَا قريش الباء مزيدة فى المفعول او حال والمفعول محذوف اى الرّسل ﴿إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ اى الاّ تكذيبهم لما ارسلناها لهم فاهلكناهم فلو ارسلنا الى هؤلاء لكذّبوا بها

مثلهم واستحقوا الاستيصال وقد حكمنا بعدمه لأتمام امر محمّد ولانّ فيهم من يؤمن ثمّ ذكر بعض الأمم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال ﴿وَ﴾ لقد ﴿آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ بسؤالهم آية ﴿مُبْصِرَةً﴾ بيّنة ذات ابصار فالاسناد مجازى لانّ الأبصار قائم بمن اعتبر بها ﴿فَظَلَمُوا﴾ انفسهم ﴿بِهَا﴾ اى بسبب عقرها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ﴾ المقترحة ﴿إِلاَّ تَخْوِيفًا (٥٩)﴾ من العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او غير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة ليؤمنوا ولمّا خطر بباله عليه السّلام من عدم ارسال ما اقترحه القوم ان يزداد عنادهم الى حيث يمنعه من التبليغ واظهار الدين ازاله بقوله ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ وحيا ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علما وقدرة فهم فى قبضته فبلّغهم ولا تخف احدا فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا﴾ اى الرأية فلا تكون تمسّكا لمن قال انّها كانت فى المنام ﴿الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ عيانا ليلة المعراج ﴿إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ اهل مكّة اذ كذّبوا بها وارتد بعضهم ﴿وَ﴾ للعطف على الرأيا ﴿الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ وهى شجرة الزّقوم الّتى تنبت فى اصل الجحيم جعلت فتنة لهم ايضا اذ قالوا النّار تحرق الشّجر بل الحجارة كما يزعم محمّد فكيف يقول تنبت فيها الشجرة ولم يعلموا انّ من قدر على حمى وبر السّمندر من ان تأكله النّار واحشاء النّعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر الّتى تبلعها لا يصعب عليه ان يخلق فى النّار شجرة لا تحرقها واسناد اللّعن فى القرآن اليها مجاز للمبالغة اذ الملعون فيه طاعموها ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بأنواع التّخويف ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)﴾ ولمّا كانت هذه الأمور من مفاسد الشّيطان بيّن سبب عداوته وبدايتها بقوله ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١)﴾ نصب بنزع الخافض اى من طين ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ اخبرنى وقد مرّ تحقيقه فى الأنعام[1] ﴿هَذَا﴾ مفعول اوّل موصوف بقوله ﴿الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ بامرى بالسّجود له والمفعول الثّانى محذوف اى لم كرّمته بالسّجود ﴿لَئِنْ

[1] - الآية: ٤٠

أَخَّرْتَنِى إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ اللاّم موطئة للقسم وجوابه القائم مقام جواب الشّرط قوله ﴿لأَحْتَنِكَنَّ﴾ اى لاستأصلنّ ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ بالأغواء ﴿إِلاَّ قَلِيلًا (٦٢)﴾ منهم ممّن عصمته ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿اذْهَبْ﴾ مأخّرا الى وقت النّفخة الأولى ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ انت وهم ففيه تغليب المخاطب على الغائب ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بما فى جزائهم من معنى تجازون ﴿مَوْفُورًا (٦٣)﴾ مكمّلا ﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ استخفف واستزلل والفزّ الخفيف ﴿مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ﴾ افزازه ﴿بِصَوْتِكَ﴾ بدعائك الى الفساد والمعصية وقيل المراد بصوته الغنا واللّهو واللّعب ﴿وَأَجْلِبْ﴾ صح من الجلبة وهى الصّياح ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ اى باعوانك من راكب وراجل والخيل هنا بمعنى الخيّالة اى الفرسان لا الأفراس والرّجلُ اسم جمع للراجل كالصّحب والرّكب والأقرب انّه استعارة تمثيليّة بتشبيه حال ابليس بحال المغوار اى كثير الغارات الّذى صوّت على قوم فاستفزّهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتّى استأصلهم وان امكن ان يكون له جند من الشّياطين ركبان ومشاة ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى الأَمْوَالِ﴾ بحملهم على جمعها من الحرام والتّصرف فيها على ما لا ينبغى ﴿وَالأَوْلادِ﴾ بحملهم على الزّنا الّذى يختلط به النّسل وعلى التّسمية بالاسماء المستقبحة كعبد العزّى ﴿وَعِدْهُمْ﴾ بالمواعيد الباطلة كان لا بعث ولا جزاء وانّ الآلهة تشفع على تقديرها ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤)﴾ تزيينا للخطأ بما يوهم انّه صواب وهو اعتراض لبيان مواعيده ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ المخلصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط وقوة على اغوائهم ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)﴾ حافظا لهم منك وعلّل كفايته وبيّن قدرته على عصمة من توكّل عليه فى أموره بقوله ﴿رَبُّكُمُ﴾ خطاب لكلّ احد مبتدأ خبره ﴿الَّذِى يُزْجِى﴾ يجرى ﴿لَكُمُ الْفُلْكَ فِى الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتّجارة ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦)﴾ حيث سخّر لكم البحر والفلك ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ﴾ اى خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم وذهب عن خواطركم ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ تعالى فانّكم تدعونه وحده لانّكم فى شدّة لا يكشفها الاّ هو ﴿فَلَمَّا

نَجَّاكُمْ﴾ من الغرق واوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧)﴾ جحودا للنّعم وهو كالتّعليل للأعراض ﴿أَ﴾ بحوتم ﴿فَأَمِنتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ كقارون وفى ذكر الجانب تنبيه على انّهم كما وصلوا السّاحل كفروا واعرضوا ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ اى ريحا ترميكم بالحصا كقوم عاد ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (٦٨)﴾ حافظا منه ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ اى فى البحر ﴿تَارَةً﴾ مرّة ﴿أُخْرَى﴾ بخلق دواعى تلجئكم الى ركوبه ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ اى ريحا شديدا لا يمر بشيء الاّ قصفه اى كسره فتكسر فلككم ﴿فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بنعمة الأنجاء ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩)﴾ تابعا يطالبنا بما فعلنا بكم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ بالعلم والنّطق وحسن الصّورة واعتدال الخلق والهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتّسلط على مافى الأرض وغير ذلك ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ على الدّواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على السّفن ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)﴾ حتّى الملائكة فانّ جنسنا افضل من جنسهم بسبب الأنبياء وخواصهم من خواصّنا غير الأنبياء وخواصنا من عوامهم ولعلّه لهذا التّفصيل اى افضليّة بعضنا ومفضوليّة بعض جيء بلفظ كثير اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ بمن ائتمّوا به من نبى او كتاب او مقدّم فى الدّنيا محقا كان او مبطلا فيقال يا امّة فلان او يا اهل القرآن مثلا او يا اصحاب عالم كذا و يا اتباع نمرود او فرعون وقيل بأمّهاتهم جمع امّ فيقال ياابن فلانة مثلا والحكمة فى ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسنين وان لا يفتضح اولاد الزّنا ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ من المدعوّين ﴿كِتَابَهُ﴾ اى كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِ﴾ وهم السّعداء واولوا البصائر ﴿فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ﴾ ابتهاجا بما يرون فيه ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ﴾ بنقص الأجور ﴿فَتِيلًا (٧١)﴾ قدر قشر النواة وتعليق القرائة بأيتاء الكتاب باليمين يدلّ على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطّلع على مافيه غشيهم من الحيرة والخجل ما ثقلت السنتهم واعجزهم عن القرائة الكاملة المبيّنة فكانّهم لا يقرؤن ولذا لم يذكرهم ولأنفهامهم من قوله ﴿وَمَن

كَانَ فِي هَذِهِ﴾ الدّنيا ﴿أَعْمَى﴾ قلبا لا يدرك رشده ﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريق الجنّة والنّجاة من النّار ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)﴾ منه فى الدّنيا لزوال الاستعداد لتحصيل الأهتداء والمهلة لذلك حينئذ ونزل فى ثقيف لمّا قالوا للنّبى عليه السّلام لا نطيعك الاّ بشرط ان تسقط عنّا الزّكوة والصّلوة والغزا وتجعل وادينا حرما كحرم مكّة لنفتخر بذلك على العرب وان سئلوك عن ذلك فقل انّ الله امرنى ﴿وَإِنْ﴾ مخفّفة ﴿كَادُوا﴾ قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ يستنزلوك بالحاحهم ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من الأحكام ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لاَ تَخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾ على الحقّ بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدْتَ﴾ قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا﴾ من الركون ﴿قَلِيلًا (٧٤)﴾ لشدّة احتيالهم والحاحهم وهو صريح فى انّه عليه السّلام ما قارب الرّكون الى ذلك فضلا من الرّكون وانّ العصمة بتوفيق الله وحفظه ﴿إِذًا﴾ لو قاربت ﴿لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ اى ضعف ما نعذب به فى الدّارين غيرك الآتى بمثل هذا الفعل لانّ خطر الخطير اخطر والأصل عذابا ضعفا فى الحيوة وعذابا ضعفا فى الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصّفة مقامه واضيفت كما يضاف هو ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)﴾ يدفع العذاب عنك ﴿وَإِن كَادُوا﴾ اى اهل مكّة ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ يخرجونك بمعاداتهم ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ ارض مكّة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَ يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ﴾ لغة فى خلفك اى لا يبقون بعد خروجك فيها ﴿إِلاَّ﴾ زمانا ﴿قَلِيلًا (٧٦)﴾ وقد كان كذلك فانّهم اهلكوا ببدر بعد هجرته ﴿سُنَّةَ﴾ نصب على المصدر اى سنّ الله ذلك سنة ﴿مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ حيث نهلك من اخرجهم فالسّنة لله واضافتها الى الرّسل لانّها من اجلهم ويدلّ عليه ﴿وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)﴾ تبديلا ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ اى وقت زوالها ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ اى اقبال ظلمته بغروب الشّفق يعنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَ﴾ اقم ﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ اى صلاة الصّبح سمّيت باسم بعض اركانها وهو القرآن ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)﴾ يشهده ملائكة اللّيل وملائكة النّهار فانّهما يجتمعان فى صلوة الصّبح

خلف الأمام وبعد الفراغ تصعد ملائكة اللّيل ويشهدوا للعباد بانّا تركناهم يصلّون وتشهد ملائكة النّهار بانّا اتيناهم يصلّون فيقول الله اشهدوا انّى قد غفرت لهم ﴿وَ﴾ قم ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ اى بعض اللّيل ﴿فَتَهَجَّدْ﴾ فصلّ ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ اى فريضة زائدة على الفرائض الخمس لك دون امّتك على القول بوجوب التّهجد عليه او تطوّعا فضيلة لك عليها على القول بنسخ وجوبه او عدمه ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ فى الآخرة ولتضمّن يبعثك معنى يقيمك انتصب به على الظرف قوله ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩)﴾ يحمدك للقيام فيه الأوّلون والآخرون وهو مقام الشّفاعة فى فصل القضاء ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾ فى القبر او المدينة ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ اى ادخالا مرضيّا لا ارى فيه مكروها ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ منه عند البعث او من مكّة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ اى اخراجا ملقى بالكرامة فهما مصدران ميميّان من الإفْعَالِ والأضافة فيهما للتّعيين مدحا للمضاف ﴿وَاجْعَل لِي مِنْ لَدُنكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠)﴾ اى حجة تنصرنى على من خالفنى ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الاسلام ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ اى بطل وهلك الكفر ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)﴾ مضمحلا زائلا روى الشّيخان انّه عليه السّلام دخل مكّة يوم الفتح وحول البيت ثلثمأية وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول ذلك حتّى سقطت ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ بيان وحال لقوله ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ اى ما يزيل ضعف العقائد وأخلاقهم الذّميمة ويصلح شأنهم خلقا وعملا فشبّه المؤمنين بالمرضى فى احتياجهم الى ما يعينهم فى تقوية دينهم واصلاح شأنهم على سبيل الأستعارة بالكناية واثبت له تخييلا ما هو شفاء المشبّه به القرآن استعارة مصرّحة او تشبيها بليغا ﴿وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلاَّ خَسَارًا (٨٢)﴾ لكفرهم به ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ﴾ الكافر بالصّحة والسّعة ﴿أَعْرَضَ﴾ عن ذكر الله اغترارا بها ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ اى ثنى عطفه متبخترا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ من مرض او فقر ﴿كَانَ يَؤُوسًا (٨٣)﴾ شديد اليأس من روح الله ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ اى كلّ احد ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ طريقته الّتى تشاكل حاله فى الهدى والضّلالة فمشاكل طريقة الكافر للاعراض واليأس ومشاكل طريقة المؤمن

الشكر عند ذاك والصّبر عند هذا ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤)﴾ ارشد طريقا نعم آية الرّجاء هذه اذ المرجوّ من كرمه بمقتضاها ان يعاملنا على مشاكلته لا على مشاكلتنا ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ﴾ حقيقة ﴿الرُّوحِ﴾ الّذى يحيى به بدن الانسان ويدبّره ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ اى من الأمور المخترعة بأمره وتكوينه بلاسبق مثال ومادة سئلوه عن حقيقته فامره بالجواب بتبيين بعض عوارضه واحواله الّتى لا يمكن لهم معرفته الاّ بها لانّه من الذّوات المجردة عن المادة والشكل واللّون والجهة فكيف ينكشف حقيقته للمحجوبين عن عالم الأمر كما قال ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا (٨٥)﴾ تكتسبه عقولكم بواسطة حوّاسكم وهى لا تدرك اكثر الاشياء ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته والخطاب عام لانّ علم الأنسان بالاشياء على ماهى عليه بقدر الطّاقة البشريّة قليل بالنّسبة الى علم الله وان كان فى نفسه كثيرا كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا﴾[1] ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا﴾ اللاّم موطئة للقسم جوابه السّاد مسدّ جواب الشرط ﴿لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ اى القرآن بان نمحوه من الصّدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦)﴾ يتوكّل علينا استرداده كما كان ﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ فانّها ان نالتك تستردّه عليك ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧)﴾ كالرسالة وانزال الكتاب وابقائه وغير ذلك من الفضائل وبعد الأمتنان بانزاله وابقائه بيّن كونه معجزا بقوله ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ فى الفصاحة والبلاغة ﴿لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾ معينا على الأتيان به ولم يذكر الملائكة مع انّ كونه وحيا الهيّا معجزا انّما يظهر اذا وقع التّحدى مع جميع الفرق الثلاث لانّ المقصود من تحقيق اعجازه دفع شبهة القوم واحتمال كونه تأليف الملائكة لا يخرجه عن كونه معجزة ولانّهم وسائط فى نزوله الى البشر فلا وجه لذكرهم فى هذا المقام ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ كرّرنا بوجوه مختلفة زيادة فى التّقرير والبيان ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ اى من كلّ معنى هو

[1] - سورة البقرة: ٢٦٩

كالمثل فى غرابته ووقوعه فى الانفس من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والمواعظ وغير ذلك ليتعظوا وهو مفعول صرّفنا بزيادة من فى الأثبات كما هو مذهب الكوفيين والأخفش او صفة لمحذوف اى مثلا من جنس كلّ مثل ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ اى اكثر اهل مكّة ﴿إِلاَّ كُفُورًا (٨٩)﴾ اى جحودا للحقّ واصرارا على الكفر ولكون ابى فى معنى لم يفعل ولم يرض وقع بعده الاستثناء المفرغ كانّه قيل لم يفعلوا ولم يرضوا الاّ كفورا ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على ابى ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ﴾ اى ارض مكّة ﴿يَنْبُوعًا (٩٠)﴾ عينا ينبع منها الماء ليسهل علينا امر الزّراعة ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾ فى او نسقط عليهم كسفا من السّماء ﴿عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ اى قطعا جمع كسفة وانتصابه على الحال من السّماء المفعول ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢)﴾ اى كفيلا بصحّة ما تدعيه او مقابلا نراه وعلى التقديرين حال من الله وحال الملائكة محذوفة من جنسه او جماعة فيكون حالا منهما او من الملائكة فقط ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَى﴾ تصعد ﴿فِي﴾ معارج ﴿السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ وحده ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجّبا من اقتراحهم ﴿هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَسُولًا (٩٣)﴾ كسائر الرّسل وكانوا لا يأتون بآية الاّ باذن الله وهذا هو الجواب المجمل وامّا التّفصيل فقد ذكر فى آيات أخر كقوله: ﴿ولو انزلنا عليك كتابا فى قرطاس﴾[1] ﴿ولو فتحنا عليهم بابا﴾[2] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا﴾ حال من ﴿رَسُولًا (٩٤)﴾ اى الاّ قولهم هذا والمعنى لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان بمحمّد والقرآن الاّ انكارهم ان يرسل الله بشرا ﴿قُلْ﴾ جوابا عن شبهتهم ﴿لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ﴾ بدل البشر ﴿يَمْشُونَ﴾ مثلهم ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾

---

[1] - سورة الأنعام: ٩

[2] - سورة الحجر: ١٤

ساكنين فيها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ حال من ﴿مَلَكًا رَسُولًا (٩٥)﴾ اذ لا يرسل الى قوم رسول الاّ من جنسهم لتمكّنهم من المخاطبة والفهم منه ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ﴾ الباء زائدة فى الفاعل ﴿شَهِيدًا﴾ حال او تميز ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقى حيث اظهر المعجزة على وفق دعواى ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦)﴾ يعلم بواطنهم وظواهرهم فيجازيهم وفيه تسلية للرّسول وتمديد لهم ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ يهدونهم ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ اى مسحوبين عليها او ماشين عليها كما يمشى على الاقدام ﴿عُمْيًا﴾ عمّا يسرّهم ﴿وَبُكْمًا﴾ عن حجّة تقبل منهم ﴿وَصُمًّا﴾ عمّا يتلذّذون بسماعه جزاء لعدم صرفها فى الدّنيا فيما ينفعهم فلا ينافى الآيات النّاطقة بسلامة حواسهم فى المحشر ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧)﴾ مصدر بمعنى تسعّرا اى تلهّبا واشتعالا بان تبدّل جلودهم ولحومهم فتعوّد ملتهبة كانّهم لمّا كذّبوا بالأعادة بعد الأفناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الأعادة والأفناء واليه اشار بقوله ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب المتقدّم ﴿جَزَآؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ﴾ اى بسبب انّهم ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ منكرين مستبعدين للبعث ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨)﴾ واجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿قَادِرٌ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ اى انفسهم ثانيا فى هذا الصّغر فانّهم ليسوا اشدّ خلقا منهما ولا الأعادة اصعب عليه من الأبداء ﴿وَجَعَلَ﴾ عطف على اولم يروا فانّه فى قوّة قد رأوا ﴿لَهُمْ أَجَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ صفة ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ﴾ مع وضوح الحقّ ﴿إِلاَّ كُفُورًا (٩٩)﴾ جحودا له ﴿قُلْ لَوْ أَنتُمْ﴾ مرفوع بفعل يفسّره ﴿تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّى﴾ من الرّزق والمطر وغيرهما من النّعم ﴿إِذًا لأَمْسَكْتُمْ﴾ اى بخلتم ﴿خَشْيَةَ الإِنفَاقِ﴾ اى لمخافة النّفاد والافتقار بالانفاق ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠)﴾ بخيلا ممسكا لانّ بناء امره على الحاجة والبخل بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾

واضحات صفة العدد او المعدود وهى العصا واليد والجراد والقمل والضّفادع والدّم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطّور على بنى اسرائيل وقيل الطّوفان والسّنون ونقص الثّمرات مكان الثلثة الأخيرة يعنى قد اعطينا هذه لموسى وما اقترحوا منك يامحمّد ليس باعظم منها فلو رايناه مصلحة لاعطيناكه مثله لكن لم نره مصلحة فظهر وجه ارتباط الآية بما قبلها ﴿فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ اى فقلنا له اسئلهم من فرعون ليرسلهم معك واذ ظرف لقلنا ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١)﴾ سُحِرْتَ فتخبّط عقلك ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يافرعون ﴿مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ حال اى بينات تبصّرك صدقى لكنّك تعاند ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢)﴾ هالكا او مصروفا عن الخير مطبوعا على الشّر ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾ اى يستخف موسى وقومه ويخرجهم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ ارض مصر او مطلق الأرض بالقتل كلّهم ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا (١٠٣)﴾ فانقلب عليه مكره ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ الّتى اراد ان يستفزّكم منها ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ اى الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤)﴾ مختلطين انتم وهم ثم نحكم بينكم بتميز سعدائكم من اشقيائكم ولمّا بيّن اعجاز القرآن وكفايته فى الدّلالة على صدق مدّعى النّبوة عاد الى تعظيمه فقال ﴿وَبِالْحَقِّ﴾ اى ملتبسا بالحكمة الداعية لأنزاله ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ لا بغير ذلك فالتّقديم للحصر وكذا ﴿وَبِالْحَقِّ﴾ اى ملتبسا بالثابت الّذى لايزول وهو كلّ مااشتمل عليه ﴿نَزَلَ﴾ ولمّا بيّن اعجازه وعظم شأنه بين انّه ليس على الرّسول الاّ تبليغه فقال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يامحمّد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمطيع بالثواب ﴿وَنَذِيرًا (١٠٥)﴾ لمن كفر بالعقاب فلا تملك سوى التبشير والأنذار ولا عليك من كفرهم شيء ﴿وَقُرْآنًا﴾ منصوب بفعل يفسّره ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ نزلناه مفرّقا منجمّا فى عشرين سنة او وثلاث ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ مهل وتؤدة فانّه ايسر للحفظ واعون للفهم ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا (١٠٦)﴾ شيئا بعد شيء على حسب المصالح والحوادث ثم خاطب الّذين اقترحوا الآيات على وجه

التّهديد والأنكار والأمر باعراضه عليه السّلام عنهم فقال ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا﴾ فانّ إيمانكم به لا يزيده كمالا وكفركم به لا يورثه نقصا وعلّل ذلك بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ اى قبل نزوله وهم العلماء المؤمنون من اهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧)﴾ اى يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لأنجازه وعده فى تلك الكتب ببعثه محمّد على فترة من الرّسل وانزال القرآن عليه والأذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللّحيين وذكرها مع انّ الخرور للسّجود انّما هو على الجباه والأنوف لانّها اقرب اجزاء وجه القائم المريد للسجود الى الأرض واللاّم فيه لاختصاص الخرور به بهذا الأعتبار ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيها له عن خلف الوعد ﴿إِنْ﴾ مخفّفة ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨)﴾ كائنا لا محالة ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ الأوّل للشكر عند انجاز الوعد وهذا لما اثّر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله فلا تكرار ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا (١٠٩)﴾ كما يزيدهم علما ويقينا وكان صلّى الله عليه وسلّم يقول: يا الله يا رحمان فقالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدع الها آخر معه فنزل ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ اى سمّوه تعالى ايّهما شئتم فانّ تعدّد الأسماء لا يوجب تعدّد المسمّى ﴿أَيًّا مَا﴾ شرطيّة والتّنوين عوض عن المضاف اليه وما زائدة اى ايّ شيئين من هذين ﴿تَدْعُوا﴾ تسمّونه فهو حسن اقيم مقام هذا دليله للمبالغة وهو قوله ﴿فَلَهُ﴾ اى لمسمّاهما ﴿الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وهذان منها لانّها اكثر من تسعة وتسعين بل قيل هى ثلثة آلاف الف لا يعرفه الاّ الملائكة والف لا يعرفه الاّ الأنبياء وثلثمأية فى التّورية وثلثة مأية فى الأنجيل وثلثمأية فى الزّبور وتسعة وتسعون فى القرآن وواحد لا يعرفه الاّ الله واشتهار انّها تسعة وتسعون لذكر ذلك القدر فى حديث واحد على التّرتيب ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ﴾ اى بقرائتها حتّى تسمع المشركين فيسبّونك ويسبّون القرآن ومن انزله ﴿وَلاَ تُخَافِتْ﴾ تسرّ ﴿بِهَا﴾ حتّى لا تسمع من خلفك من المؤمنين ﴿وَابْتَغِ﴾ اقصد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا (١١٠)﴾ طريقا وسطا فانّ الأقتصاد فى جميع الأمور محبوب وهذا مخصوص

بالجهريّة وامّا السّرية فالمستحب فيها ان لا يسمع الاّ نفسه والتّفصيل فى الفقه وقيل معناه لا تجهر بكلّها ولا تخافت به بل اخف نهارا واجهر ليلا ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ﴾ اى الألوهيّة ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِىٌّ﴾ يواليه ﴿مِنَ﴾ اجل ﴿الذُّلِّ﴾ اى لم يزلّ حتّى يحتاج الى ولىّ يدفع مذلته بموالاته وترتيب الحمد على هذه التّنزيهات للدّلالة على انّه المستحقّ لجميع المحامد لانّه كامل الذّات المتفرّد بصفات الكمال المنعم على الأطلاق ولهذا والتّنبيه على انّ العبد وان بالغ فى التّنزيه والتّحميد والعبادة والتّمجيد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حقّه فى ذلك عطف عليه قوله ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١)﴾ اى عظّمه تعظيما تاما عن اتخاذ الولد والشّريك والذّل وان يجرى فى ملكه ما لا يشاء وعن كلّ ما لا يليق به قيل افتتحت التّورية بفاتحة سورة الانعام واختتمت بخاتمة هذه السّورة وروى انّه عليه السّلام كان يقول أية العزّ الحمد لله الى آخر السّورة وكان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطّلب علّمه ايّاه والله اعلم.

* * *

سورة الكهف

مكّية وقيل: الاّ آية (فاصبر) اه وهى مائة واحدى أو خمس عشر آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمد﴾ اى الوصف بالجميل مملوك ومستحق ﴿لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ القرآن وللتّنبيه على انّه افضل النعماء لكونه هدى رتّب استحقاق الحمد على انزاله، فجملة الحمد ابتدائيّة لا محلّ لها من الإعراب، لا مقول لقول مقدّر. ﴿وَ﴾ للعطف على انزل ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا (١)﴾ اختلافا لفظيا وتناقضا معنويّا، وهو بكسر العين فى المعانى كما انه بفتحها فى الأعيان، وسكت حفص هنا، وفى مواضع عديدة ليس لها اتصال بما بعدها سكتة لطيفة بان قلب التّنوين هنا الفا من غير قطع النّفس، وهو الفارق بين الوقف والسّكتة جعله ﴿قَيِّمًا﴾ بمصالحنا او مستقيما بين الأفراط والتّفريط؛ فعلى الاوّل يكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال، وعلى الثّانى يكون لمجرد التّأكيد كما هو عادة العرب، لانّ نفي العوج يستلزمه ﴿لِيُنْذِرَ﴾ يخوّف هو أو العبد به الكفّار ﴿بَأْسًا﴾ عذابا ﴿شَدِيدًا﴾ صادرا ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾ من عند الله ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢)﴾ هو الجنّة ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ﴾ الكفّار ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤)﴾ بأسا شديدا حذف لتقدّمه وخصّ انذارهم بالذّكر استعظاما لكفرهم ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ بقولهم لمحالته ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ بل يقولونه عن جهل او لانّ اطلاق الأبّ والأبن بمعنى المؤثر والأثر كان جائزا فى شريعتهم فتوهّموا منه التبنّى عن عدم علم ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ القائلين به بهذا المعنى ﴿كَبُرَتْ﴾ عظمت مقالتهم ﴿كَلِمَةً﴾ تميز مفسّر للضمير المبهم فى كبرت ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ صفة لها للدالة على استعظامها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَقُولُونَ إِلَّا﴾ قولا ﴿كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ﴾ للإشفاق والتّسلي ﴿بَاخِعٌ﴾ مهلك

﴿نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ اى توليتهم عن الإيمان كمن يتحسّر ويهلك نفسه على آثار اعزّته ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسَفًا (٦)﴾ اى للغضب والحزن عليهم وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه فلعلّك ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنّبات والمعادن ﴿زِينَةً لَهَا﴾ لاهلها ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ نخبرهم ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧)﴾ بالزّهد فيه والقناعة بما يقضى به ايّامه فنعاملهم بمقتضى اعمالهم فلا تحزن عليهم ففيه تسلية له ﷺ ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) أَمْ﴾ منقطعة مقدرة ببل الانتقالية والهمزة الأنكارية بل أ ﴿حَسِبْتَ﴾ ظننت حين سئلوك عن قصة اصحاب الكهف ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ الغار فى الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ الجبل الّذى فيه كهفهم او اللّوح الّذى كتب فيه اسمائهم وانسابهم وعلق على باب الكهف فهو بمعنى المرقوم وقيل اصحابه ثلثة اخر اصابهم مطر فذهبوا الى كهف فوقعت صخرة وسدّت بابه فذكر كلّ حسنةً عملها لوجه الله فانفتح الباب عليهم ﴿كَانُوا﴾ فى قصّتهم ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ حال من ﴿عَجَبًا (٩)﴾ خبر كان اى ليس هم العجب فقط بل فى آياتنا اعجب منهم ﴿إِذْ﴾ ظرف عجب او اذكر المقدّر ﴿أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ هاربين من دقيانوس حين دعاهم الى الشّرك وكانوا قد آمنوا بربّهم عن مجرّد تفكر فى عظمته من دون نبيّ اذ كانوا فى زمان الفترة ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ توجب المغفرة والأمن ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ﴾ سببيّة ﴿أَمْرِنَا﴾ الّذى هو مفارقة العدوّ ﴿رَشَدًا (١٠)﴾ اى هداية او اجعل امرنا كلّه رشدا على انّ من تجريديّة وتفصيل التجريد فى علم البديع ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ حجابا عن السّماع بان اماتهم نومة لا يوقظهم صوت ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١)﴾ معدودة والوصف به للتّكثير او التّقليل لقلّة لبثهم عنده ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ ايقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ ليتعلّق علمنا حاليّا لانّ العلم قديم والتّعلق بخصوص الجزئيات حادث ﴿أَيُّ﴾ مبتدأ لتعلّق لنعلم عنه لمافيه من الاستفهام ﴿الْحِزْبَيْنِ﴾ الفريقين المختلفين فى مدّة اللّبث منهم او من غيرهم ﴿أَحْصَى﴾ ضبط فهو فعل ماض خبر المبتدأ ﴿لِمَا لَبِثُوا﴾ حال من ﴿أَمَدًا (١٢)﴾ غاية مفعول احصى

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾ خبرهم وقصّتهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصّدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ جمع فتى وهو الشاب الكامل ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ فيه التفات الى الغيبة ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣)﴾ بالتّثبيت ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قوّيناها على الهجر عن الوطن وعلى قول الحقّ ﴿إِذْ﴾ ظرف ربطنا ﴿قَامُوا﴾ بين يدى ملكهم المذبور ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره ﴿إِلَهًا﴾ والله ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا﴾ جواب وجزاء علّق عن العمل لدخوله على الاسم ﴿شَطَطًا (١٤)﴾ اى قولا ذا شطط اى بعد وافراط فى الكفر ﴿هَؤُلاَءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾ عطف بيان ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ خبره ﴿لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿بَيِّنٍ﴾ ظاهر فانّ الدّين لا يوجد الاّ به ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ استفهام على سبيل الأنكار اى لا احد اظلم ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا (١٥)﴾ بنسبة الشّريك اليه تعالى قال بعض الفتية لبعض لخلوص يقينهم عن الشك ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَ﴾ اعتزلتم ﴿مَا﴾ الّذى ﴿يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ﴾ للأبتداء او التّبعيض ﴿أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦)﴾ ماترفقون وتنتفعون به ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ لو رأيتهم فانّ المخاطب وهو كلّ احد او الرّسول مايرى هذه الصّورة ﴿إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ﴾ تميل بنفسها ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ لانّ بابه كان مستقبل بنات النّعش فلا يقع شعاعها عليهم او بمنع الله ايّاها عن الوقوع عليهم ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ اى جهة يمين الكهف ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ جهة شمال الكهف ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾ متّسع ﴿مِنْهُ﴾ اى من الكهف يعنى فى وسطه ينالهم النّسيم لصون اجسامهم عن العفونة ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من قصّتهم ﴿مِنْ آيَاتِ اللهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ﴾ بالتّوفيق ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ الّذى اصاب الفلاح كهؤلاء فهو ثناء عليهم ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)﴾ وتَحْسَبُهُمْ﴾ لو رأيتهم لأنفتاح عيونهم او كثرة تقلّبهم ﴿أَيْقَاظًا﴾ جمع يقظ بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام جمع راقد ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لئلاّ تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُم﴾ الّذى تبع الرّاعى الّذى تبعهم حين مرّوا به ﴿بَاسِطٌ﴾

لكونه حكاية حال ماضية عمل فى ﴿ذِرَاعَيْهِ﴾ يديه ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف وهو مثلهم فى النّوم واليقظة والأنقلاب ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ﴾ لهربت ﴿مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ مفعول مطلق او له اوحال ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨)﴾ خوفا لما البسهم الله من الهيبة لئلاّ يدخل عليهم احد او لعظم اجرامهم وانفتاح اعينهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما انمناهم آية ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ ايقظناهم آية ﴿لِيَتَسَائَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ اى ليسأل بعضهم بعضا عن حالهم ومدّة لبثهم فيزداد يقينهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ﴾ يوما بقرينة الجواب فهى استفهاميّة مفعول ﴿لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ بناء على ظنّهم اذ النّائم لا يعرف مدّة نومه او لانّهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس يوم الأحد وبعثوا عند الغروب فظنّوا انّه ذلك اليوم فاو للشكّ او للأضراب لما رأوا بعد قولهم يوما بقيّة من الشّمس ﴿قَالُوا﴾ كلّهم احالة الى علم الله ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ ثم لما علموا انّ الأمر لا يتّضح لهم اخذوا فيما يهمّهم وقالوا ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ بفضتكم يقال للمضروبة وغيرها ﴿هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ وهى المسمّاة الآن بطرسوس بفتح الرّاء ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا﴾ ايّ اهلها ﴿أَزْكَى﴾ احلّ ﴿طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وليتكلّف اللّطف فى المعاملة حتّى لا يغبن ﴿وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩)﴾ اى ولا يفعلنّ ما يؤدى الى العلم بكم ﴿إِنَّهُمْ﴾ اى الأهل المقدر فى ايّها ﴿إِن يَظْهَرُوا﴾ يطّلعوا ﴿عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرّجم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ اى يصيّروكم اليها كرها من العود بمعنى الصّيرورة لا بمعنى الرّجوع الى الامر الاوّل لانّ ايمانهم لم يكن بعد كفر ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)﴾ ان دخلتم فى ملّتهم فاذا جواب ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾ اطلعنا غيرهم ﴿عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا﴾ اى الّذين اطلعناهم على حالهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿حَقٌّ﴾ لانّ احياء الموتى ليس اصعب عليه من حفظهم هذه المدّة الطّويلة بلا غذاء ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ القيامة ﴿لاَ رَيْبَ﴾ شكّ ﴿فِيهَا﴾ لانّه يمسك النّفوس اليها كما مسك هؤلاء ﴿إِذْ﴾ ظرف اعثرنا ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ اى المومنون والكفّار من قومهم ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ امر الفتية فى البناء حولهم ﴿فَقَالُوا﴾ الكفّار

﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾ يسكنه النّاس قرية ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ اعتراض وقع من الله ردا على المتنازعين فيهم على عهده ﷺ ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ امر الفتية وهم المؤمنون ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١)﴾ نصلّى فيه وقد بنوه على باب الكهف ﴿سَيَقُولُونَ﴾ المتنازعون فى عدد الفتية فى زمن الرّسول ﷺ من اهل الكتاب والمؤمنين اى يقول بعضهم وهو الهود او اليعقوبيّة من نصارى نجران هم ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ رجال ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ اى النّسطوريّة منهم ﴿خَمْسَةٌ﴾ رجال ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ اى يرمون رميا بالخبر الخفى الّذى لا مطلع لهم عليه اتبع القولين به ايماء الى بطلانهما وصحّة الآتىّ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ اى المؤمنون باخبار الرّسول لهم عن جبرائيل ولم يذكر السّتين الاستقبالية فى هذين اكتفاء بما عطفا عليه ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وادخال واو اللّصوق بين الصّفة والموصوف لتاكيد لصوقها به والدّلالة على انّ اتصافه بها امر ثابت ايضا يدلّ على صحّة هذا القول وكذا اتباعه بقوله ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حيث احال عددهم الى علمه واثبته لطائفة قليل قال ابن عبّاس انا منه وذكرهم سبعة وعنه انّ اسمائهم مكشلمينا يمليخا مرطوس ينبونس سادينوس دبرنوس كفشطيطيونس وهو اسم الراعى وكلبهم قطمير ورويت بروايات اخر عن عبد الله بن عمر اذا كتبت وطرحت فى حريق طفى باذن الله ﴿فَلَا تُمَارِ﴾ تجادل ﴿فِيهِمْ﴾ اى فى شأن الفتية ﴿إِلَّا مِرَاءً﴾ جدالا ﴿ظَاهِرًا﴾ بان تقصّ عليهم مافى القرآن من انّه لا يعلم عددهم الاّ قليل وتأمرهم بالتّوقف فيما لا دليل عليه من غير نسبتهم الى الجهل ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢)﴾ اى لا تسأل احدا منهم عن قصّتهم لا للعلم فانّ فيما اوحى اليك غنية عن غيره مع انّه لا علم لهم بها ولا للعناد لانّه يخلّ بمكارم الاخلاق امر اليهود اهل مكّة فسئلوه عن هذه القصّة وعن الرّوح وذى القرنين فقال اخبركم غدا ولم يستثن فاحتبس الوحى خمسة عشر يوما فشقّ عليه ذلك فنزل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ اى لأجل شيء تعزم عليه ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣)﴾ اى فيما يستقبل من الزّمان ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ اى لا تقولنّ فى حال

من الأحوال الاّ فى حالكونك ملتبسا بمشيّته بان تقول ان شاء الله ﴿واذْكُرْ﴾ مشيّة ﴿رَبَّكَ﴾ بان تقول ان شاء الله ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ متى تذكرت عن ابن عبّاس ولو بعد سنة لكن عامة الفقهاء على وجوب اتصالها بالمعلّق بها والاّ لم تفد ﴿وقُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِي﴾ يدلّنى ﴿رَبِّي لأَقْرَبَ﴾ اى لاظهر ﴿مِنْ هذا﴾ من خبر اصحاب الكهف ﴿رَشَدًا (٢٤)﴾ دلالة على نبوّتى وقد هداه الى اظهر واعظم من ذلك كقصص الأنبياء والأخبار بالغيوب ماكان ومايكون الى يوم القيامة ثم كمّل بيان قصّتهم بقوله ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ نياما ﴿ثَلاَثَ مِئَةٍ﴾ عطف عليه على وجه البيان قوله ﴿سِنِينَ﴾ شمسيّة ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥)﴾ قمريّة ولاختلافهما جنسا اتى بهذا الاسلوب وقيل ازدياد التسع ان عدّت قمريّة لانّ الثّلثمأية الشّمسيّة ثلاث مأية وتسع قمريّة ولمّا قالوا نعلم الثلثمأية لا ازيد نزل ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ من اهل الكتاب ﴿بِمَا لَبِثُوا﴾ وهو القدر المذكور ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يخفى عليه شيء ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾ اى بالله ﴿وَأَسْمِعْ﴾ به صيغتا تعجّب عن سمعه وبصره كانّه قيل صفه بالسّمع والبصر كيف شئت فالأمر لكلّ احد والباء مزيدة فى المفعول ﴿مَا لَهُمْ﴾ لاهل السّموات والأرض ﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يتولّى امورهم ﴿وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)﴾ لاستغنائه عن الشّريك ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ القرآن ولا تسمع لطلبهم التّبديل ﴿لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)﴾ ملجأ ترجع اليه ان اردت ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ حبسها وثبّتها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ فى جميع اوقاتهم على انّه من ذكر الجزأ وارادة الكلّ او فى طرفى النّهار وتخصيصهما للشرف ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ رضاء الله لا عرضا من اعراض الدّنيا ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ المراد نهيه عليه السّلام عن ان يتجانب عن فقراء المؤمنين طمعا فى حطم الأغنياء بعد ما قالت له اكابر قريش اطرد من عندك من السفلة حتّى نؤمن بك ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حال من الكاف ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا﴾ جعلنا غافلا ﴿قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ اى القرآن كعيينة بن حصين واصحابه فى دعائك الى طرد الفقراء غافلين عن انّ الشّرف بتحلية النّفس لا بزينة

الجسد ﴿واتّبع هواه﴾ فى الشّرك ﴿وكان أمره فرطا (٢٨)﴾ تقدّما على الحقّ وتبدّلا له ﴿وقل الحقّ﴾ مبتدأ خبره ﴿من ربّكم﴾ اى ما يكون من جهته لا ما يقتضيه الهوى فان اتبعتموه وقصّرتم عن الفقراء فقد اصبتم ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ تهديد لهم ﴿إنّا أعتدنا للظّالمين﴾ اى الكافرين ﴿نارا أحاط بهم سرادقها﴾ اى فسطاط من النّار فالأضافة كما فى خاتم فضّة شبّه به النّار المحيط بهم ﴿وإن يستغيثوا﴾ من العطش ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ اى المعدنىّ المذاب او دردىّ الزّيت ﴿يشوى الوجوه﴾ اذا قرّب ليشرب من حرارته صفة ثانية لماء ﴿بئس الشّراب﴾ هو ﴿وساءت﴾ النّار ﴿مرتفقا (٢٩)﴾ متّكأ تميز من النّسبة وهو مقابل لقوله فى الجنّة وحسنت مرتفقا والاّ فلا ارتفاق فى النّار ﴿إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملا (٣٠)﴾ الجملة خبر انّ الّذين وفيها اقامة المظهر مقام المضمر اى اجرهم ثمّ بيّن الاجر بقوله ﴿أولئك لهم جنّات عدن﴾ اقامة ﴿تجرى من تحتها﴾ اى من تحت قصورها ﴿الأنهار يحلّون﴾ يجعلون ذوى حلىّ ﴿فيها من﴾ ابتدائيّة متعلق بيحلون ﴿أساور﴾ جمع اسورة جمع سوار ﴿من﴾ للبيان ﴿ذهب﴾ صفة اساور وعلى كلّ واحد ثلث اسورة سوار من الذّهب كما نطقت به هذه الآية وسوار من الفضّة لقوله تعالى: ﴿وحلّوا اساور من فضّة﴾[1] وسوار من اللّؤلؤ لقوله: ﴿ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير﴾[2] ويحتمل المعاقبة والتّبعيض فان حلىّ اهل الجنّة يختلف باختلاف اعمالهم ﴿ويلبسون﴾ اسناد هذا اليهم دون مانبله اشارة الى انّه محض تفضّل وهذا ممّا ستوجبوه بعملهم بمقتضى الوعد الأهىّ ﴿ثيابا خضرا﴾ اذ الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة ﴿من سندس﴾ اى ما رقّ من الدّياج ﴿واستبرق﴾ ما غلّظه منه وفى آية الرّحمن بطائنها من استبرق ﴿متّكئين فيها على الأرائك﴾ جمع اريكة وهى السّرير ﴿نعم الثّواب﴾ الجنّة ﴿وحسنت﴾ الأرائك ﴿مرتفقا (٣١)﴾ متّكأ ﴿واضرب﴾ تصويرا للمعقول بصورة المحسوس

---

[1] - سورة النساء: ٢١

[2] - سورة الحج: ٢٣

لزيادة الأيضاح ﴿لَهُمْ﴾ للكافر والمؤمن ﴿مَثَلًا﴾ ابدل عنه ﴿رَجُلَيْنِ﴾ فرضيّين او موجودين هما اخوان من بنى اسرائيل اسم الكافر منهما قرطوس والمؤمن يهوذا صرف هذا ما ورثه من ابيه فى وجوه البرّ وذاك فى الضّياع والعقار ﴿جَعَلْنَا﴾ بيان للمثل ﴿لِأَحَدِهِمَا﴾ الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بستانين ﴿مِنْ أَعْنَابٍ﴾ من الكروم ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ اى جعلنا النّخل محيطة بهما ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ وسطهما ﴿زَرْعًا (٣٢)﴾ ليجمعا الأقوات والفواكه ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ مبتدأ خبره ﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾ ثمرها وافراد الضمير لأفراد كلتا لفظا وان دلّت على التّثنية ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ﴾ تنقص ﴿مِنْهُ﴾ من اكلها ﴿شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣)﴾ يجرى بينهما لشربهما ﴿وَكَانَ لَهُ﴾ مع الجنّتين ﴿ثَمَرٌ﴾ جمع ثمرة اى انواع من المال من ثمر ماله اى كثر ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يفاخره ويراجعه بالكلام ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤)﴾ عشيرة ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويريه آثارها وافراد الجنّة لكونها بمنزلة واحدة لاتّصالهما ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ﴾ ضارّ ﴿لِنَفْسِهِ﴾ بالكفر والعجب ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾ تنعدم ﴿هَذِهِ﴾ الجنّة ﴿أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ بالبعث كما زعمت ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)﴾ مرجعا وعاقبة لاعتقاده ان ما اعطاه الله لاستحقاقه ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ﴾ بانكار البعث ﴿بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ لانّه مادة اصلك آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ منىّ وهى مادتك القريبة ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ﴾ عدّلك وصيّرك ﴿رَجُلًا (٣٧)﴾ فليس بعثك اصعب عليه من بدئك ﴿لَكِنَّا﴾ اصله لكن انا حذفت الهمزة بنقل حركتها او دونه وادغمت النّونان ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن يفسّره خبرا له ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨)﴾ والمجموع خبر انا ﴿وَلَوْلَا﴾ هلاّ ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ ظرف ﴿قُلْتَ﴾ هذا ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فى الحديث من اعجبه مالٌ واهله فقال ما شاء الله لا قوّة الاّ بالله لم ير فيه مكروها يعنى هذا نافع لعين السّوء منه او من غيره ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا﴾ ضمير الفصل بين المفعولين او تاكيد للاوّل ﴿أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ﴾ فى الدّنيا او فى الآخرة لايمانى ﴿خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ الجملة جواب

الشّرط ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ على جنّتك بكفرك ﴿حُسْبَانًا﴾ جمع حسبانة اى صواعق ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠)﴾ ارضا ملسا بلا نبات يلزق القدم عليها ﴿أَوْ يُصْبِحَ﴾ عطف على يرسل دون تصبح ﴿مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ غائرا فى الأرض مصدر وصف به كالزّلق مبالغة ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ﴾ للماء ﴿طَلَبًا (٤١)﴾ حيلة فى ردّه ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ احاطة هلاك اى اهلك ماله من احاط به العدوّ اى غلبه فهلكه ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ظهر البطن كما هو عادة النّادمين ولكون التّقليب كناية عن النّدم تعدّى بعلى فى ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ فى عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ دعائمها بان سقطت ثم سقط الكروم فوقها ﴿وَيَقُولُ﴾ عطف على يقلّب ﴿يَا﴾ للتّنبيه او المنادى محذوف ﴿لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ﴾ جماعة ﴿يَنصُرُونَهُ﴾ يقدرون على نصره بدفع الهلاك ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ فانّه القادر على ذلك وحده ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣)﴾ بنفسه بان يدفع هلاكها ﴿هُنَالِكَ﴾ فى ذلك المقام او فى الآخرة ﴿الْوَلَايَةُ﴾ بفتح الواو النّصرة وبكسر الملك ﴿لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)﴾ لأوليائه نصبا على التّميز ﴿وَاضْرِبْ﴾ صيّر ﴿لَهُمْ﴾ لقومك ﴿مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ مفعول اوّل ﴿كَمَاءٍ﴾ مفعول ثان ﴿أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ﴾ اى اختلط وتكاثف ﴿بِهِ﴾ بسبب الماء ﴿نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ وامتزج الماء بالنبات فروى وحسن ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صار النّبات ﴿هَشِيمًا﴾ يابسا متكسّرا ﴿تَذْرُوهُ﴾ تفرّقه ﴿الرِّيَاحُ﴾ شبّه الدّنيا بنبات حسن يبس ففرقته الرّياح ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الانشاء والافناء ﴿مُقْتَدِرًا (٤٥)﴾ قادرا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتزيّن بهما الانسان فى دنياه ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ اى الأعمال الخيرات الّتى يبقى ثمرتها ابد الآباد فيندرج فيها مافسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الاّ الله والله اكبر وزيد ولا حولا ولا قوّة الاّ بالله العلىّ العظيم وتسمّى هذه التّسبيحة المعاقبات الطيبات ايضا وهى صلوة الجمادات والحيوانات ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦)﴾ اى ما يؤمله الانسان ويرجوه عند الله ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ

الْجِبَالَ﴾ نذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثا ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ اى النّاس كلّهم ولتحقيق الحشر عبّر عنه بالماضى ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ مصطفين لا يحجب احد احدا ويقال لهم ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ عراة حفاة لا مال معكم ولا ولد ﴿بَلْ﴾ ليست لأبطال القصّة الأولى بل للأنتقال منها الى ما هو اهم من تقريع الكفار المنكرين للبعث ﴿زَعَمْتُمْ أَنْ﴾ مخفّفة من الثقيلة اى انه ﴿لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨)﴾ للبعث تبعثون فيه وتحاسبون ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ صحائف الأعمال فى أيمان المؤمنين وشمائل الكافرين ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الذّنوب ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ ينادون هلكتهم الّتى هلكوا بها كما هو عادة من وقع فى مهلكة ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾ تعجّبا من شأنه ﴿لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ عدّها واحاط بها ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ مكتوبا فى الصّحف ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾ بان يزيد فى العقاب او ينقص من الثّواب او يكتب ما لم يفعل ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ كرّره فى مواضع لكونه مقدّمة الأمور المقصود بيانها وامّا هنا فلمّا استقبح صنيع المفتخرين قرّر ذلك بانّه من سنن ابليس او لمآ بيّن حال المغرور بالدّنيا والمعرض عنها وكان سبب الأغترار بها هو زهدهم اوّلا فى زخارفها بانّها عرضة الزّوال والأعمال الصّالحة خير وابقى ثم نفرهم عنه بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهذا مذهب كلّ تكرير فى القرآن قد ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ سبق معنى كونه من الجنّ فى البقرة[1] ﴿فَفَسَقَ﴾ خرج ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ بترك السّجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ بعد ما صدر عنه والهمزة للأنكار والتّعجب ﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾ اولاده واتباعه ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ تطيعونهم بدل طاعتى ﴿وَ﴾ حال ﴿هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ اى اعداء ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠)﴾ من الله ابليس وذريّته ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ اى ابليس وذريّته ﴿خَلْقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ

[1] - آية: ٣٤

وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ اى لم احضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ الشّياطين ﴿عَضُدًا (٥١)﴾ اعوانا فى الخلق فكيف تطيعونهم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ انّهم شركائى او مانعوكم من عذبى ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ للأغاثة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لم يغيثوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مَوْبِقًا (٥٢)﴾ مهلكا يشتركون فيه وهو النّار ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ ايقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ مخالطوها واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣)﴾ انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيّنا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾ مثلا ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ اى من كلّ جنس يحتاجون اليه ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾ اى من كلّ شيء يجادل ﴿جَدَلًا (٥٤)﴾ خصومة بالباطل فلا يتدبّرون فيه مع اشتماله على ما يتحيّر فيه النّاظرون وانتصابه على التّميز ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ﴾ كفار مكّة ﴿أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ القرآن ﴿وَ﴾ ان ﴿يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ من الذّنوب ﴿إِلَّا﴾ انتظار ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ اى ماقدر عليهم من الهلاك ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عذاب الآخرة او يوم بدر ﴿قُبُلًا (٥٥)﴾ عيانا ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ للكافرين ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ بقولهم ابعث الله بشرا رسولا ونحوه ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ يبطلوا ﴿بِهِ﴾ بالجدال ﴿الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ القرآن ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ به من العقاب ﴿هُزُوًا (٥٦)﴾ استهزاء ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ بعدم تدبيرها ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ اغطية لا يفقهون الحقّ فهذا تعليل لاعراضهم ونسيانهم كراهة ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ اى الآيات والتّذكير باعتبار المعنى اى القرآن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلا فلايسمعونه حقّ السّماع ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا﴾ بسبب الجعل المذكور ﴿إِذًا﴾ جواب وجزاء للرسول على تقدير مالى ادعوهم يدلّ عليه حرصه على اسلامهم ﴿أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ فى الدّنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ فى الدّنيا ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَّن يَجِدُوا مِن

دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨)﴾ منجا من وئل نجى ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ اى اهلها كعاد وثمود وغيرهما مبتدأ خبره ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالكفر ﴿وجعلْنا لمهْلِكِهِمْ﴾ اى لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا (٥٩) و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ لمّا خطب النّاس بعد هلاك فرعون فاعجب من خطبته فقال لا اعلم منّى فاوحى الله اليه انّ عبدنا الخضر اعلم منك هو بمجمع البحرين اذهب اليه تنتفع من علومه وخذ سمكة مشويّة فحيث حييت فهناك موضعه ﴿لِفَتَاهُ﴾ يوشع بن نون كان يخدمه ويأخذ منه العلم ولذلك سمّاه فتاه ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا ازال اسير حذف لدلالة ﴿حَتَّى أَبْلُغَ﴾ عليه لانّه يستدعى ذا غاية ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحر فارس والرّوم مما يلى المشرق فانّه موضع لقاء الخضر ﴿أَوْ﴾ اى الاّ ان ﴿أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠)﴾ زمانا طويلا اتيقّن معه فوات المجمع ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ اى مجمع البحرين اضيف الى بين على الاتساع او لانّه بمعنى الوَصْل ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ اى نسى موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكره ما رأى من حيوته ووقوعه فى البحر ﴿فَاتَّخَذَ﴾ الحوت ﴿سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١)﴾ اى مثل السرب وهو الشق فى الأرض لا منفذله وذلك انّ الله امسك عن الحوت جرى الماء فبقى كالطّاق عليه وصار كانّه فى السّراب ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ المجمع الى وقت الغدا من ثانى يوم ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ وهو مايعدّ للاكل غدوة كما انّ العشاء مايعد للاكل عشيّة ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢)﴾ تعبا وحصوله كان بعد المجاوزة كما فى الحديث لانّ رجاء المطلوب يقرّب البعيد والخيبة تبعّد القريب وقيل لم يتعب موسى فى غير هذا السّفر لانّه كان لطلب العلم وهو اصعب صعب من حيث انّ النّفس تكرهه ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ﴾ اخبرنى ما دهانى ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ الّتى نمنا عندها بذلك المجمع ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ اى ذكره فهو بدل من الهاء ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾ سبيلا ﴿عَجَبًا (٦٣)﴾ حيث صار كالسّراب ﴿قَالَ ذَلِكَ﴾ اى فقدنا الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ نطلبه لانّه علامة مطلوبنا ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾ الطريق الّذى جاآ فيه يقصّان ﴿قَصَصًا (٦٤)﴾ اى يتبعان آثارهما اتباعا حتى اتيا الصّخرة

﴿فوجدا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهو الخضر واسمه بَلْيَا بن مَلْكان ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا﴾ هى الوحى والنّبوة على الاصّح وان كان الصّحيح انّه ولىّ لا نبىّ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من قبلنا ﴿علما (٦٥)﴾ بالمغيبات مفعول ثان ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى﴾ شرط ﴿أَنْ تُعَلِّمَنِ﴾ حال من الكاف اى اتبعك باذلا لى علمك ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ علما ﴿رُشْدًا (٦٦)﴾ اى ذا رشد وصواب مفعول ثان لتعلّمنى ومفعول علّمت العائد المحذوف وهذا لا ينافى افضليته من الخضر ولا نبوّته وكونه صاحب شريعة لانّ الرّسول يجب ان يكون اعلم من غيره فى اصول الدّين وفروعه لا فى جميع المغيبات ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ وانت نبىّ ﴿عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨)﴾ نصب على التّميز اى ما لم يحط بباطنه خبرك وعلمك وظاهره منكر ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ غير معترض عليك ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩)﴾ عطف على ستجدنى او صابرا اى ستجدنى صابرا غير عاص وقيّد بالمشيّة امّا للتيمّن او لعلمه بصعوبة الصّبر على خلاف المعتاد والشّرع فلا يلزم صدور الكذب من احدهما لانّ عدم الاستطاعة على الصّبر كان صادقا ولمّا قيّد موسى بالمشيّة اندفع عنه الكذب ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ لم تعلم وجه صحّته ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠)﴾ اى اذكره لك بعلّته فقبل منه الشّرط رعاية لأدب المتعلّم ﴿فَانْطَلَقَا﴾ على السّاحل يطلبان السّفينة ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ الخضر بان قلع لوحين منها مما يلى الماء ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١)﴾ عظيما منكرا روى انّ الماء ما دخلها ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢)﴾ الم تلقك امك فى البحر فلم تغرق فلم خفت الغرق عليهم ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ من وصيّتك بعدم الأعتراض ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تكلّفنى ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣)﴾ بالمؤاخذة على المنسىّ فانّ ذلك يعسر علىّ متابعتك ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بعد ما خرجا من السّفينة ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ صغيرا يلعب مع الصّبيان احسنهم وجها اسمه خيسون ﴿فَقَتَلَهُ﴾ الخضر بفتل عنقه او ذبحه مضطجعا او ضرب رأسه بالجدار والفاء

العاطفة للدّلالة على انّه قتله عقب اللّقى من غير توقف واستكشاف حال وجواب اذا ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ طاهرة من الذّنوب لم تبلغ حدّ التّكليف ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ اى لم تقتل هى نفسا ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤)﴾ منكرا ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥)﴾ انّك قتلت القبطىّ بركزة فلم تعاتبنى لهذا زاد لك على ما قبله لعدم العذر هنا ولهذا ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ﴾ وجدت ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾ من قبلى ﴿عُذْرًا (٧٦)﴾ فى مفارقتك ايّاى فى الحديث رحم الله اخى موسى استحى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب العجائب ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ انطاكية ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ اظهرهم للذمّ وللدّلالة على انّ الاتيان كان الى بعضهم والاستطعام من كلهم كما يفهم من استدراك موسى عليه فى تعمير جدارهم ولانّه لو ذكر ضمير هم بقيت القرية الموصوفة بلا عائد او ضميرها لزم الاستطعام من القرية مجازا ولايصار اليه مع امكان الحقيقة مع عدم دلالته على العموم المقصود كما عرفت ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وفى الأتيان به بدل لم يطعموهما المناسب لاستطعما اشارة الى ان اللاّئق بهما ان ينزلا ضيفا ويكرما لا ان يعطيا شيئا فقط مع انّهم لم يطعموهما فيكون الكلام ادلّ على خساستهم حكى انّه لمّا نزلت استحى اهل تلك القرية وجاؤا بحمل من الذّهب الى النّبى ﷺ ليدفع عنهم العار بتبديل ابوا بأتوا فابى لمحاليّته ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ ارتفاعه مأية زراع ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ اى يقرب ان يسقط لميلانه فاستعيرت الأرادة للمشارفة ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الخضر بمسح يده عليه ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧)﴾ نتعشّا به حيث لم يضيفونا مع حاجتنا الى الطّعام ﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿هَذَا﴾ الوقت ﴿فِرَاقُ﴾ اى وقت فراق ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ انّك سقيت ابنتى شعيب ولم تطلب اجرا فلم تأمرنى بذلك جوّز اضافة بين الى غير المتعدّد لتكريره بالعطف ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ عشرة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ خمسة منهم ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ بالسّفينة مؤاجرة لها وخمسة زمنى ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ قدمه للعناية او

لتوسيطه بين سببيه مسكنة الملاك وخوف الغصب ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ قدامهم او خلفهم فى طريق رجوعهم ﴿مَلِكٌ﴾ كافر اسمه جلندى بن كركر ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة على ذلك البحر فالاستغراق عرفىّ ﴿غَصْبًا (٧٩)﴾ نصبه على المصدر المبيّن لنوع الأخذ ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ يلحق بهما ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠)﴾ بعقوقه او بان يتبعانه فى ذلك لمحبتهما له ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ طهارة من الذّنوب وتقى ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رُحْمًا (٨١)﴾ رحمة وعطفا على والديه فرزقهما بدله جارية تزوّجت نبيًا فولدت نبيًا هدى الله به امّة من الامم ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ اسمهما اصرم وصريم ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ من ذهب وفضّة وذمّ اكتنازهما كما فى البراءة[1] لمن لا يؤدّى زكوتهما ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ كان الجدّ السّابع من الامّ اسمه كاشح فحفظا فى انفسهما ومالهما وسعى لهما الخضر بسببه فلا شكّ انّ صلاح الأباء يصير سببا لصلاح الذريّة وينفعهم وما يقع نادرا من فسق ولد الصّالح وبالعكس فستر الهى لا يعلمه الاّ الله ومع امكان ان يكون فى الفاسق خصلة حسنة تصير سبب صلاح ذريّته وبالعكس ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ اى الحلم وكمال الرّأى ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً﴾ حال بمعنى مرحومين ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ اسند الأرادة اوّلا الى نفسه لانّه شرّ محض والثّانى اليه والى الله لانّه ممتزج والثالث الى الله لانّه خير محض ولانّ العارف ربّما يلتفت الى الوسائط وحدها او مع الله وربّما لا يلتفت اليها اصلا ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ اى ماذكر ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ اى رأيى بل بأمر الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ﴾ لغة فى استطاع ﴿عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾ روى انّهما قعدا بعد ذلك على الصخرة اذا بطائر غمس منقاره فى البحر ثم مسحه على جناحيه فقال الخضر انّه يقول ما علم الخلق فى علم الله الاّ بقدر ما حملته بمنقارى ثم من فوائد هذه القصّة ان لا يعجب المرأ بعلمه ولا يبادر الى انكار ملا يستحسنه وان يداوم على التّعلم ويتذلّل للمعلّم ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ اليهود امتحانا او مشركوا مكّة ﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ اسكندر الرّومى ملك فارس والروم او المشرق والمغرب ولذلك سمّى ذا القرنين او لانّه كان له قرنان صغيران والأصح انّه لم

---

[1] - آية: ٣٤

يكن نبيّا بل وليّا ﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا (٨٣)﴾ خبرا ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ﴾ امره ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ يتصرّف فيها كيف يشاء ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ اراده وتوجّه اليه ﴿سَبَبًا (٨٤)﴾ طريقا يوصله الى مراده من العلم والقدرة والآلة ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥)﴾ يوصله الى المغرب لمّا اراده ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ اى ذات حمأة اى طين اسود بلغ السّاحل البحر المحيط فرآها كذلك فى بادى الرأى اذ لم يعاين الاّ الماء والاّ فهى فى السّماء الرّابع وبقدر الدّنيا ثلث مرّات ونصف فكيف يغرب فى العين ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا﴾ اى العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر ﴿قُلْنَا﴾ بالهام او على لسان نبىّ لانّه لم يكن نبيّا حتّى يوحى اليه ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ﴾ انت مخيّر ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ القوم بالقتل لكفرهم ﴿وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦)﴾ بالارشاد وتعليم الشرايع ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالشّرك ولم يهتد ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ بقتله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ﴾ بالنّار ﴿عَذَابًا نُكْرًا (٨٧)﴾ منكرا لم يعهد مثله ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ﴾ فى الدّارين ﴿جَزَاءً﴾ نصب على التّميز ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنّة مبتدأ خبره له المقدّم ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا﴾ ما نأمر به ﴿يُسْرًا (٨٨)﴾ سهلا ميسّرا غير شاق ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩)﴾ طريقا يوصله الى المشرق ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ موضع طلوعها اوّلا ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ﴾ هم الزنج ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا﴾ الشمس ﴿سِتْرًا (٩٠)﴾ من لباس ولا بناء لانّ ارضهم لم تحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشّمس ويظهرون عند ارتفاعها ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر محذوف اى امر ذى القرنين كما وصفناه لك من الرّفعة والملك او صفة قوم اى على قوم مثل المغربيّين فى الكفر والحكم ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ اى عند ذى القرنين من الجنود والآيات ﴿خُبْرًا (٩١)﴾ علما ماكان يحيط بما علم غيرنا لكثرتها ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢)﴾ طريقا ثالثا بين المشرق والمغرب ذاهبا الى الشّمال ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ الجبلين المبنى بينهما سدّه وهما جبلا ارمنيّة واذربيجان او جبلان بمنقطع بلاد التّرك ورائهما يأجوج ومأجوج ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ اى امام السّدين ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ يفهمون ﴿قَوْلًا (٩٣)﴾ لغرابة لغتهم وقلّة فطنتهم ﴿قَالُوا﴾ مترجّموهم ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ

ومأخوج﴾ اسمان اعجميان لقبيلتين غير منصرفين من ولد يافث بن نوح لم يمت واحد منهم حتّى يرى الف ذكور من صلبه ولم يثبت فى قدر اعمارهم شيء ﴿مُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ﴾ فى ارضنا بالقتل والتّحزير واتلاف الزّروع وقيل كانوا يأكلون النّاس ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ جعلا نخرجه من اموالنا ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤)﴾ حاجزا فلا يصلون الينا ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى﴾ جعلنى مكينا ﴿فِيهِ رَبِّى﴾ من المال وغيره ﴿خَيْرٌ﴾ من الخراج الّذى تجعلونه لى فلا حاجة بى اليه واجعل لكم السّد تبرّعا ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ بما اتقوّى به من الآلات ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥)﴾ حاجزا حصينا ﴿آتُونِى﴾ ناولونى فلا يناف عدم قبوله الخراج ﴿زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ قطعه الكبار فحفر له الاساس حتى بلغ الماء وبنى بها وجعل بينهما الحطب والفحم ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ اى جانبى الجبلين وكان بعد ما بينهما مأية فرسخ ووضع المنافخ والنّار حول ذلك ﴿قَالَ﴾ للعملة ﴿انْفُخُوا﴾ فى الاكوار والحديد ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ﴾ اى الحديد ﴿نَارًا﴾ كالنّار وصرف الله تأثير الحرارة عن العملة كرامة له والاّ لما قدروا من القرب والعمل ﴿قَالَ آتُونِى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦)﴾ نحاسا مذابا تنازع فيه الفعلان فاعمل الثّانى وحذف من الاوّل فافرغ النّحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصار شيئا واحدا ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ يأجوج ومأجوج ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا عليه لارتفاعه وانملاسه ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)﴾ خرقا لصلابته وسمكه ﴿قَالَ هَذَا﴾ السدّ والقدرة عليه ﴿رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى﴾ على عباده ليأمنوا ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مدكوكا مبسوطا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا (٩٨)﴾ كائنا لا محالة هذا آخر حكاية قول ذى القرنين ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بعض يأجوج ومأجوج ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم خروجهم ﴿يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ مزدحمين لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِى الصُّورِ﴾ اى القرن للبعث اتبع قصّتهم بالنّفخ لكون خروجهم من علامة السّاعة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ اى الخلائق ﴿جَمْعًا (٩٩)﴾ للحساب والجزاء ﴿وَعَرَضْنَا﴾ اظهرنا وقرّبنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من الكافرين ﴿فِى غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِى﴾ اى آياتى لا يرونها مع وضوحها ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١)﴾ استماعا لذكرى وكلامى حتّى يؤمنوا به ﴿أَفَحَسِبَ﴾ ظنّ

والاستفهام للأنكار ﴿أَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا﴾ اتخاذهم ﴿عِبادِي﴾ اى الملائكة وعيسى وعزيرا ﴿مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ معبودين حذف المفعول الثانى اى نافعهم كلاً ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)﴾ ما يعدّ للضيف وفيه تهكّم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣)﴾ نصب على التّميز جمع لتنوّع اعمالهم ﴿الَّذِينَ﴾ بدل او بيان للأخسرين ﴿ضَلَّ﴾ ضاع وبطل ﴿سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لكفرهم وعجبهم كالرّهبانيّة فانّهم خسروا الدّارين ﴿وَ﴾ حال ﴿هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾ عملا لأعتقادهم انّهم على الحقّ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل التّوحيد والنّبوة من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ بالبعث والحساب والثّواب والعقاب ﴿فَحَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)﴾ اى لا نجعل لهم قدرا واعتبارا ﴿ذَلِكَ﴾ خبر محذوف اى الأمر ذلك المذكور من حبط اعمالهم وقوله ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ جملة مبيّنة له ﴿بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦)﴾ بسبب ذلك ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو اعلى درجات الجنّة واصله البستان الّذى يجمع الكروم والنّخل والأضافة اليه للبيان ﴿نُزُلًا (١٠٧)﴾ منزلا ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨)﴾ تحوّلا الى غيرها ونزل لمّا قالت اليهود فى القرآن: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا﴾[1] وتقرؤن ﴿وما اوتيتم من العلم الاّ قليلا﴾[2] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ اى ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ ما يكتب به ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الدّالة على حكمته وعجائبه بان تكتب به ﴿لَنَفِدَ﴾ فرغ ﴿الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ فانّها غير متناهية كعلمه ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ البحر ﴿مَدَدًا (١٠٩)﴾ زيادة ومعونة نصب على التّميز وجواب لو محذوف من جنس ما قبله اى لنفد ولم تنفد هى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدميّ ﴿مِثْلُكُمْ﴾ لا ادّعى الأحاطة بكلماته ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ تميزت به عنكم ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ يأمل ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ فيها ﴿أَحَدًا (١١٠)﴾ بان يرائيه فانّه الشّرك الأصغر كما فى الحديث.

---

[1] – سورة البقرة: ٢٦٩

[2] – سورة الإسراء: ٨٥

سورة مريم

مكية الاّ اية السجدة أو الاّ (فخلف من بعدهم خلف) الآيتين
وهى ثمان أو تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كٓهيعٓصٓ (١)﴾ مرّ انّ امثاله من المتشابهات هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾ مفعول رحمة ﴿زَكَرِيَّا (٢)﴾ بيان له ﴿إِذْ﴾ ظرف رحمة ﴿نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً﴾ مشتملا على الدّعاء ﴿خَفِيًّا (٣)﴾ سرّا جوف اللّيل لانّه اسرع للأجابة او لئلاّ يلام على طلب الولد على الكبر اذ كان ابن ستّين او اكثر ﴿قَالَ رَبِّ﴾ تفسير للنّداء ﴿إِنِّي وَهَنَ﴾ ضعف ﴿الْعَظْمُ﴾ خصّه لانّه اصل بنائه ووهنه يدلّ على وهن ماعداه بالطّريق الاولى ولم يجمع لانّ المراد به الجنس ﴿مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾ منّى ﴿شَيْبًا﴾ تميز جعل محلّه فاعلا مبالغة وجعله تميزا ايضاحا للمقصود اى انتشر الشّيب فى شعره وعبّر عن الأنتشار بالاشتعال استعارة تبعيّة او تخييليّة قرينة للمكنة على تشبيه الشيب فى البياض بشواظ النّار ﴿وَلَمْ أَكُنْ﴾ فى ما مضى ﴿بِدُعَائِكَ﴾ اى بدعائى ايّاك يا ﴿رَبِّ شَقِيًّا (٤)﴾ بل كلّما دعوتك استجبت لى ومن حقّ الكريم ان لا يخيب من عوّده ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ اى بنى عمّى الّذين يلونى فى النّسب ان يبدّلوا الدّين على بنى اسرائيل ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ بعد موتى ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك تفضلا لانّى وامرأتى لا نصلح للولادة ﴿وَلِيًّا (٥)﴾ ابنا ﴿يَرِثُنِي﴾ صفة وليّا وكذا ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ابن اسحاق من جهة الامّ لانّ امرئته ايضا كانت من نسله والمراد وراثة العلم والشرع لا المال لحديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث او الحبوريّة منه والملك منهم وداخل فى الدّعاء ان قيل قتل زكريّا قبل قتل يحيى والاّ فاستيناف الاّ ان يقال لا مانع من قبول بعض دعاء الأنبياء دون بعض كما فى

حديث: «سألت الله ثلاثا فاعطانى اثنين منها ومنعنى واحدة»[1] آه ﴿واجعله رب رضيا (٦)﴾ مرضيًا عندك قولا وعملا فاستجبنا دعائه وقلنا ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ تولى الله تسميته تشريفا له وحصول هذا النّداء منه تعالى لا ينافى حصوله من الملائكة كما فى آل عمران[2] ﴿لم نجعل له من قبل سميًا (٧)﴾ مسمى بهذا الاسم او شبيها من حيث انّا تولينا تسميته قبل وجوده وولد بين فانيين وكان مانعا نفسه عن الشّهوات من صغره فلا يلزم تفضيله على من قبله من الأنبياء ﴿قال﴾ سؤالا عن كيفية حصوله بين فانيين لا استعظاما حتّى ينافى سؤاله ابنا من صلبه اوّلا ﴿رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيًا (٨)﴾ يبسا ويبسا اصله عتو كسرت الفاء لاستثقال الضمتين فقلبت الواو الاولى ياء لمناسبة الكسرة والثّانية للادغام ﴿قال﴾ الله تصديقا له الامر ﴿كذلك﴾ صعب من خلق غلام منكما ﴿قال ربك هو على هين﴾ بان اردّ عليك قوّة الجماع وافتق رحم امرأتك للعلوق والجملة استيناف لبيان ما قال الله بعد تصديقه ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (٩)﴾ قبل خلقك وفيه دليل على انّ المعدوم ليس بشيء كما عند اهل السّنة لكن على ان يكون بمعنى الثّابت لا بمعنى مايمكن ان يعلم ويخبر عنه ﴿قال رب اجعل لى آية﴾ علامة اعلم بها وقوع مابشرتنى به ﴿قال آيتك ألاّ تكلم النّاس﴾ اى لا تقدر على تكلّمهم ﴿ثلاث ليال﴾ ذكر هنا اللّيالى وفى آل عمران[3] الأيام للدّلالة على استمرار منع الكلام فى هذه المدة ليلا ونهارا ﴿سويًا (١٠)﴾ اى حال كونك سوىّ الخلق ما بك من خرس ولا بكم ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلّون فيه بأمره كما كان عادتهم ﴿فأوحى﴾ اشار ﴿إليهم أن﴾ مصدريّة او مفسّرة ﴿سبحوا﴾ صلّوا ﴿بكرة وعشيًا (١١)﴾ طرفى النّهار على العادة فعلم بامتناعه من الكلام حملها يحيى وولدته بعده بسنتين قلنا له طفلا ﴿يا يحيى خذ الكتاب﴾

---

[1] سنن الترمذي: ٨/٨٥

[2] ـ آية: ٣٩

[3] ـ آية: ٤١

التّورية ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجدّ ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ الحكمة وفهم التّورية او النّبوة ﴿صَبِيًّا (١٢)﴾ بن ثلاث سنين ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ رحمة وعطفا فى قلبه على النّاس او منا عليه عطف على الحكم ﴿وَزَكَاةً﴾ وطهارة من الذّنوب ﴿وَكَانَ تَقِيًّا (١٣)﴾ مطيعا بريّا عن المعاصى ما همّ بخطيئة قطّ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ اى محسنا اليهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبّرا ﴿عَصِيًّا (١٤)﴾ عاصيا والديه او ربّه ﴿وَسَلَامٌ﴾ منّا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ من مسّ الشّيطان ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ من عذاب القبر ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)﴾ من هول القيامة وعذاب النّار اى هو آمن فى هذه الايّام المخوفة ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ اى قصّتها وحملها بعيسى اعقب ولادة يحيى من فانيين بولادة عيسى من غير اب وترقّى بتقديم ذلك من الأقرب الى العقل والعادة الى الأبعد منهما ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لانّ الاحيان مشتملة على مافيها ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦)﴾ اى فى ناحية الشّرق من بيت المقدّس او من دارها ولذا اتخذ النصارى المشرق قبلة ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ سترا تغتسل ورائه من الحيض فى بيت خالتها اذ كانت تذهب فى حيضها اليه ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبرائيل سمّى روحا لكونه سبب حيوة الدّين كما انّ الرّوح سبب حيوة البدن او لغير هذا من وجوه شتّى ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبس ثيابها ﴿بَشَرًا﴾ امردا ﴿سَوِيًّا (١٧)﴾ سوى الخلق لتهيج شهوتها فتقع نطفتها فى رحمها ﴿قَالَتْ﴾ من غاية عفّتها ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨)﴾ فتنتهى عنّى بتعوّذى ﴿قَالَ﴾ ازالة لخوفها على طريق قصر الموصوف على الصفة ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩)﴾ اى لاكون سببا فى هبته بالنّفخ فى جيب درعك ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوّج اذ نحو المسّ والمباشرة والقربان ممّا يكنى به عن الوطى الحلال وان كان اعمّ بحسب اللّغة ولذا احتاجت الى ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠)﴾ زانية فعول بمعنى الفاعل فيستوى فيه المذكر والمؤنث ولذا لم تلحقه التّاء هنا ﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ مرّ مثله فى قصّة زكريّا ﴿وَ﴾ نفعل ذلك ﴿لِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ على قدرتنا وجملة المعلّل والتّعليل عطف على هو علىّ هيّن

﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١)﴾ به فى الأزل فنفخ جبرائيل فى جيب درعها فاحسّت بالحمل فى بطنها مصوّرا ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ سبعة اشهر وقيل ساعة وقيل ثمانية ولم يعش مولود ثمانية غيره وكانت ذات ثلاثة عشر سنة وقد حاضت حيضتين ﴿فَانتَبَذَتْ﴾ اعتزلت ملتبسة ﴿بِهِ﴾ بان كان فى بطنها ﴿مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢)﴾ بعيدا من اهلها وراء الجبل واوّل من احسّ بها ابن عمها يوسف وكان عابدا مثلها فقال لا زرع بلا بذر ولا شجرة بلا غرث ولا ولد بلا ذكر فاجابته باوّل خلق البذر والشّجر بلا مادة وحواء بلا ذكر ولا انثى فزالت تهمته ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ اى الجأها وجاء بها ﴿الْمَخَاضُ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ لتعتمد عليها فولدت ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ الأمر ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ بالفتح لغة فى نِسْيا بالكسر لما من شأنه ان ينسى كالذِبْح لما يذبح او مصدر سمّى به ﴿مَنسِيًّا (٢٣)﴾ متروكا لا يعرف ولا يذكر ﴿فَنَادَاهَا﴾ عيسى بانطاق الله ايّاه ليطيب قلبها بعلو شأنه ﴿مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي﴾ مفسّرة للنّداء ولا ناهية او مصدريّة حذف منها الجار اى بان ولا نافية ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤)﴾ نهرا كان قد انقطع ﴿وَهُزِّي﴾ مائلة لتضمنه معنى الأمالة تعدّى بالى فى ﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ الباء زائدة فى المفعول ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا﴾ مفعول ﴿جَنِيًّا (٢٥)﴾ مجنيّا صفته كانت نخلة يابسة والوقت شتاء فاخضرّت وتساقط منها الرّطب عند هزّها تسلية لها بذلك لما فيه من المعجزات الدّالة على برائتها ﴿فَكُلِي﴾ من الرّطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ من ماء النّهر ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ تميز اى لتقر عينك بالولد اى تسكن فلا تطمح الى غيره ﴿فَإِمَّا﴾ فيه ادغام ان الشّرطية فى ما المزيدة للتّاكيد ولذا اكّد ﴿تَرَيِنَّ﴾ اصله ترأيين حذف لام الفعل وعينه ونقلت حركتها الى الرّاء وكسر ياء الضمير لألتقاء السّاكنين ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ يسئلك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ بالمعنى اللّغوى اى امساكا عن الكلام او الأصطلاحى اذ كانوا لا يتكلمون فى صيامهم ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦)﴾ بعد ان اخبرتكم بنذرى وانّما اكلم الملائكة واناجى ربّى ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ اى مع ولدها فهو حال ﴿قَوْمَهَا﴾ بعد نفاسها ﴿تَحْمِلُهُ﴾

حال ثانية من فاعل اتت او من هاء به ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧)﴾ عظيما منكرا حيث اتيت بولد بغير اب ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ اخ موسى سمّوها اخته لانّها كانت من نسل اخته او اخيه او من نسله وكان بينهما الف سنة او شبهوها برجل صالح كان فى زمانهم تهكّما اى يا شبيهته فى العفّة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ اى زانيا ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨)﴾ اى زانية تنبيه على انّ الفواحش من اولاد الصّالحين افحش ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ اى الى عيسى ان كلّموه ليجيبكم ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ﴾ الّذى ﴿كَانَ﴾ وجد او زائدة ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩)﴾ حال من فاعل كان او الظرف ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ﴾ يعنى فى الأزل او جعل محقّق الوقوع واقعا ﴿الْكِتَابَ﴾ الأنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ نفّاعا للنّاس ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي﴾ امرنى ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ اى زكوة المال ان ملكته او تطهير النّفس عن الرّزائل ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا﴾ بارًّا عطف على مباركا ﴿بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متكبّرا ﴿شَقِيًّا (٣٢)﴾ من فرط التّكبر ﴿وَالسَّلَامُ﴾ اللاّم للجنس لا للعهد اشارة الى سلام الله على يحيى اذ لم يجر بينه وبين قومه ذكر يحيى ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣)﴾ سلامه على نفسه ايضا كان من الله وباذنه فلا يلزم افضلية يحيى بسبب تسليم الله عليه ﴿ذَلِكَ﴾ الموصوف بالصفات المذكورة هو ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ما تصفه النّصارى بالأوصاف الكاذبة من الألوهيّة والأبنيّة والثّالثية الكلام السابق ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ فهو خبر محذوف والأضافة للبيان ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤)﴾ يشكون هم النّصارى قالوا عيسى ابن الله كذبوا ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ اراد ان يحدثه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥)﴾ فمن كان هذا شأنه لا يشبه الخلق فى اتّخاذ الولد بأحبال الأناث ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦)﴾ امر للنّبى ان يقول بهذا القول بعد ظهور عبدية عيسى او قول عيسى عطف على اتانى وما قبله اعتراض لكنّه ضعيف من جهة انّ الأعتراض ليس من كلامه ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ اى فرق النّصارى ﴿مِنْ﴾ فى ﴿بَيْنِهِمْ﴾ فى عيسى بانّه ابن

الله او اله معه او ثالث ثلاثة ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧)﴾ اى حضور يوم القيامة واهواله ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ صيغتا تعجب من سمعهم وبصرهم فى الآخرة بعد ما كانوا صمّا عميا فى الدّنيا واستدرك منه بقوله ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ اظهرهم اشعارا بانّهم ظلموا انفسهم ﴿الْيَوْمَ﴾ اى فى الدّنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨)﴾ حيث غفلوا عن الاستماع والنّظر حين ينفعهم ﴿وَأَنْذِرْهُمْ﴾ خوف يامحمّد كفّار مكّة ﴿يَوْمَ﴾ مفعول انذر ﴿الْحَسْرَةِ﴾ يتحسر فيه المسئ على اسائته والمحسن على قلّة احسانه ﴿إِذْ﴾ بدل من اليوم او ظرف الحسرة ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ للفريقين بالجنّة والنّار ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩)﴾ حال متعلّق بانذرهم متضمّن التّعليل ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تاكيد ﴿نَرِثُ﴾ نتوفى ﴿الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ بالأفناء والأهلاك توفى الوارث لأرثه ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)﴾ للجزاء ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ قصّته ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغا فى الصّدق ﴿نَبِيًّا (٤١) إِذْ﴾ بدل من ابراهيم ﴿قَالَ لِأَبِيهِ﴾ عمّه آزر وكان يعبد الأصنام ﴿يَا أَبَتِ﴾ التّاء عوض عن ياء المتكلّم فلا يجمع بينهما ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾ لا يكفيك ﴿شَيْئًا (٤٢)﴾ من نفع او ضرّ ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣)﴾ مستقيما ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ بطاعته فى عبادة الأصنام ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤)﴾ كثير العصيان ومطيع العاصى عاص وامر العاصى معلوم ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)﴾ قرينا فى اللّعن والعذاب تليه ويليك ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ﴾ معرض ﴿أَنْتَ﴾ مبتدأ خبره راغب او فاعل له سادّ مسدّ خبره ﴿عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ عن الطّعن فيها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة او الكلام القبيح فاحذرنى ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦)﴾ زمانا طويلا ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ منّى اى لا اصيبك بمكروه بدل ما قلت لى ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ لعلّه يوفّقك للتّوبة وقد وفى بوعده بقوله فى الشعراء: ﴿واغفر لأبى﴾[1] ومرّ فى البراءة[1] معنى الاستغفار

---

[1] - سورة الشعراء: ٨٦

للكافر ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧)﴾ مكرما ايّاى بالبرّ والألطاف ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي﴾ اعبده وحده ﴿عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي﴾ بعبادته ﴿شَقِيًّا (٤٨)﴾ كما شقيتم فى عبادة الاصنام والتّصدير بعسى للتّواضع ولانّ الأعتبار بالخاتمة وهى غيب ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بالهجرة الى الشّام ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ من سارة ﴿إِسْحَقَ وَ﴾ منه ﴿يَعْقُوبَ﴾ يأنس بهما بدل من فراقهم من الكفرة وتخصيصهما لانّهما شجرة الانبياء او ليذكر اسمعيل بفضله على الأنفراد ﴿وَكُلًّا﴾ منهما او منهم ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾ للثّلاثة ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ﴾ من ذكر محلّ وارادة حال اى الثّناء الحسن بين النّاس ﴿عَلِيًّا (٥٠)﴾ رفيعا باقيا الى يوم القيامة ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ بكسر اللاّم وفتحها من اخلص فى عبادته واخلصه الله من الدّنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١)﴾ ولكون الأنباء متفرّعا على الأرسال اخّره وان كان الرّسول اخصّ واعلى ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ بقول يا موسى انّى انا الله ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل بين معبد ومدين ﴿الْأَيْمَنِ﴾ صفة جانب اى الّذى يلى يمين موسى حين اقبل من مدين ﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾ قرب تشريف لا مكان ففيه استعارة تبعيّة ﴿نَجِيًّا (٥٢)﴾ مناجيا ومكالما حال من احد الضّميرين ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ اى من اجلها ﴿أَخَاهُ﴾ اى معاونة اخيه بتقدير المضاف لانّه كان اسنّ والموهوب يجب ان يكون اصغر من الموهوب له ﴿هَارُونَ﴾ عطف بيان له ﴿نَبِيًّا (٥٣)﴾ حال منه هى المقصودة بالهبة اجابة لسؤاله ان يرسل اخاه معه ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ لم يعد شيئا الاّ وفّى به وعد شخصا بالأنتظار فى مكان فانتظره ثلاثة ايّام او سنة حتّى رجع واعجب من ذلك انّه وعد الصّبر على الذّبح بقوله: ﴿ستجدنى ان شاء الله صابرا﴾[2] فوفّى ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ الى جرهم ﴿نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ لانّ الاهم ان يقبل الرّجل على

---

[1] - آية: ١١٣

[2] - سورة الصافات: ١٠٢

نفسه فاهله فباقى النّاس ﴿بالصَّلاةِ والزَّكاةِ وَكانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)﴾ فعلا وقولا اصله مرضوّ قلبت الواوان يائين والضمة كسرة ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِدْرِيسَ﴾ كان من نسل شيث بن آدم بينهما اربعة بطون وجدّ ابى نوح واسمه اخنون لقب لكثرة درسه بأدريس لقرب معناه فى لغتهم من الدّرس وان لم يكن مشتقا منه لعدم انصرافه وهو اوّل من خاط الثّياب وكان من قبله يلبسون الجلود واوّل من اتخذ السّلاح للقتال واوّل من خطّ بالقلم ونظر فى علم النّجوم والحساب ﴿إِنَّهُ كانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْناهُ مَكانًا عَلِيًّا (٥٧)﴾ اى المنزلة الرفيعة عند الله او السّماء السّادسة او الرّابعة او الجنّة بعد ان اذيق الموت واحيى ولم يخرج منها ﴿أُولَئِكَ﴾ مبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾ صفة له ﴿أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ دنيا واخرا ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان للموصول ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ ادريس صفة النّبيين او بدل بأعادة الجار وكذا ما بعده الى جملة الشّرط ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ﴾ فى السّفينة اى ابراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْراهِيمَ﴾ اى اسماعيل واسحاق ويعقوب ﴿وَ﴾ من ذريّة ﴿إِسْرائِيلَ﴾ وهو يعقوب اى موسى وهارون وزكريّا ويحيى وعيسى وفيه دليل على انّ اولاد البنات من الذريّة ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنا﴾ اى ومن جملة من هدينا الى الحقّ ﴿وَاجْتَبَيْنا﴾ للنبوّة والكرامة والكلّ وان كانوا من ذريّة آدم لكن جعل من يقرب من كلّ ذريّته تشريفا لكلّ واحد بأب يقرب منه وخبر أولئك ﴿إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَبُكِيًّا (٥٨)﴾ فكونوا مثلهم جمع باك على خلاف القياس اصله بكويا فقلبت الواو ياء للأدغام والضمة كسرة للمناسبة ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ اى عقبهم وجاء من بعدهم ﴿خَلْفٌ﴾ بسكون اللاّم فى عقب الشر كما انّه بفتح اللاّم فى عقب الخير ﴿أَضاعُوا الصَّلاةَ﴾ بتركها كاليهود والنّصارى ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ﴾ كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)﴾ شرّا او واديا فى جهنّم تستعيذ منه اوديتها ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿مَنْ تابَ﴾ عن الكفر ﴿وَآمَنَ﴾ بعده على انّ الآية فى الكفرة كما ذكرنا والاستثناء منقطع او تاب عن ذنوبه وداوم على أيمانه على انّها فى المسلمين المقصرين وحينئذ الاستثناء متّصل

﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ جعله شرط النّجاة بأعتبار الأغلب لانّ من مات بعد الايمان وقبل امكان العمل فهو ناج ايضا ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون ﴿شَيْئًا (٦٠)﴾ من ثوابهم ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ علم جنس للأقامة ولذا صحّ ابدال ما اضيف اليه من الجنّة بدل البعض ووصفه بقوله ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ الباء للملابسة والجار والمجرور حال من ضمير الموصول او عباده اى غائبة عنهم او غائبين عنها ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ﴾ موعوده الجنّة ﴿مَأْتِيًّا (٦١)﴾ يأتيها اهلها ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ من الكلام ﴿إِلاَّ﴾ لكن يسمعون ﴿سَلاَمًا﴾ من الملائكة عليهم او من بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢)﴾ على عادة المتنعّمين والعرب فانّ الأحب عندهم الغداء والعشاء فوعدهم بذلك او المراد دوام الرّزق وليس فى الجنّة ليل ولا نهار بل ضوأ ونور ابدا يعرفون مقدار النّهار برفع الحجب والليل بارخائها ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ اى نبقيها ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣)﴾ اى نبقيها عليهم ثمرة لاعمالهم كابقاء مال المورث على الوارث فى قوّة التّمليك ثمّ لا حصر فى الآية حتى تدلّ على عدم دخول غير المتّقى مع انّ صاحب الكبيرة يصدق عليه انّه متّق اى عن الكفر ونزل حكاية عن قول جبرائيل لما استبطأ الوحى حين سئل ﷺ عن قصّة اصحاب الكهف فلم يستثن ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ هو النّزول على مهل وقد يجيء بمعنى النّزول مطلقا كما يجئ نزّله بمعنى انزل ﴿إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ والجملة عطف على ما تقدّم من اوّل السّورة الى هنا عطف قصّة على قصّة بمناسبة كونهما لتسليته عليه السّلام ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ اى امامنا من امور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من امور الدّنيا ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ اى ما يكون من هذا الوقت الى قيام السّاعة اى له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)﴾ اى ناسيا وتاركا لك بتأخير الوحى عنك كما زعمت الكفرة وانّما كان لحكمة رأيها فيه هو ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بيان لأمتناع النّسيان عليه رتّب عليه قوله ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ يا محمّد ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ اى عليها لا تتشوّش بأبطاء الوحى وانما عدّى باللاّم لتضمّنه معنى الثّبات للعبادة فى الشّدائد ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ

سَمِيًّا (٦٥)﴾ مثلا يستحقّ العبادة او مسمّى بالله فانّه لم يسمّ به احد قطّ ولو تعنّتا فى الكفر ﴿وَيَقُولُ الإِنسَانُ﴾ المعهود اى الكفرة او ابىّ بن خلف او وليد بن المغيرة النّازل فيه الآية انكارا للبعث ﴿أَئِذَا مَا﴾ زائدة للتاكيد ﴿مِتُّ لَسَوْفَ﴾ جرّد اللاّم عن معنى الحال للتّاكيد فجاز اقترانها بحرف الاستقبال ﴿أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦)﴾ من القبر كما يقول محمّد وردّ تعالى عليه بقوله ﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنسَانُ﴾ عطف على يقول وتوسّط همزة الانكار بينهما للدّلالة على انّ المنكر بالذّات هو عدم التّذكر وانّ المعطوف عليه انّما نشأ منه ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧)﴾ فيستدلّ بالأبتداء على الأعادة ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ اقسم باسمه مضافا الى نبيّه تحقيقا للامر وتفخيما لشأن الرّسول ﴿وَالشَّيَاطِينَ﴾ اى نجمع كلاّ منهم وشيطانه فى سلسلة فهو مفعول معه ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ م خارجها ﴿جِثِيًّا (٦٨)﴾ على رُكَبِهِمْ لعجزهم من القيام من الشّدة جمع جاث واصله جثوّ او جثوى من جثى يجثو او يجثى لغتان ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ فرقة منهم ﴿أَيُّهُمْ﴾ هو ﴿أَشَدُّ﴾ زاد نقص ايّ بحذف صدر صلته حتى عاد الى حقّه الّذى هو البناء كسائر الموصولات بعد ما كان معربا للزوم الاضافة حملا على نقيضه كلّ او نظيره بعض فهو مبنىّ على الضّم منصوب المحلّ بننزعنّ ﴿عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا (٦٩)﴾ جرأة فى المعاصى اى نميّز اعتاهم فأعتاهم ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا﴾ احقّ بجهنّم الاشد وغيره منهم ﴿صِلِيًّا(٧٠)﴾ دخولا واحتراقا اوّلا فنبدأ بهم واصله صلوى من صلى بكسر اللاّم وفتحها ﴿وَإِنْ﴾ اى ما ﴿مِنْكُمْ﴾ احد ﴿إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ اى داخل جهنّم خامدة على المؤمنين وملتهبة على غيرهم او مارّ على الصّراط الممدود عليها ﴿كَانَ﴾ الورود ﴿عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا﴾ واجبا ﴿مَقْضِيًّا (٧١)﴾ قضى به لا يتركه ﴿ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشّرك والكفر منها ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ بالكفر والشّرك ﴿فِيهَا جِثِيًّا (٧٢)﴾ على ركبهم ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ اى المؤمنين والكافرين ﴿آيَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ حال اى واضحات ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَىُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن وانتم ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾ منزلا ومسكنا فى الدّنيا ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا

(٧٣)﴾ بمعنى النّادى وهو مجتمع القوم للتّحدث يعنون نحن فنكون خيرا منكم عند الله فرّد عليهم دعوى انتفاعهم بحظوظ الدّنيا مع التهديد بقوله ﴿وَكَمْ﴾ اى كثيرا مفعول ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ سمى اهل كلّ عصر قرنا لانّه يتقدم كالقرن ما بعده وهو بيان لكم و ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ صفة له ﴿أَثَاثًا﴾ مالا ومتاعا تميز عن النّسبة ﴿وَرِئْيًا (٧٤)﴾ منظرا فِعْلٌ من الرّأية فكما اهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء ثم بيّن انّ تمتّعهم استدراج وانّما الاكرام حظ الآخرة بقوله ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ شرط جوابه ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بمعنى الخبر اى فيمدّ ويمهله اتى بلفظ الأمر ايذانا بانّه ينبغى ان يمهله قطعا لمعاذيره ﴿لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ فى الدّنيا ﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ غاية المدّ او قولهم ايّ الفريقين آه وفصّل الموعود بقوله ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ فى الدّنيا قتلا واسرا ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ القيامة فيدخلون جهنّم ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ من الفريقين يعنى يعاينون عكس ما قدّروه جواب للشّرط ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا (٧٥)﴾ انصارا قابل به احسن نديّا لانّ حسن النّادى باجتماع القوم وشوكتهم ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ عطف على الشّرطية المحكية بعد القول بيّن بها انّ قصور حظّ المؤمن من الدّنيا لأرادة تعويضه بخير منه او على فليمدد لانّه بمعنى الخبر كانّه قال يزيد الضّال ضلالة ومقابله هداية ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ مرّ تفسيرها فى الكهف[1] ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ ممّا متّع به الكفرة فى الدّنيا ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦)﴾ اى ما يرد اليه ويرجع وكلمة خير لمجرّد الزّيادة ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ الفاء للتّعقيب والاستفهام استخبار اى اخبر عقيب اولئك بقصّة ﴿الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ العاص بن وائل ﴿وَقَالَ﴾ لخباب بن الأرت لمّا طالبه بدينه فابى الاّ ان يكفر بمحمّد فقال والله لا اكفر به لا حيّا ولا ميّتا ولا بعد البعث ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ على تقدير البعث كما تزعم ﴿مَالًا وَوَلَدًا (٧٧)﴾ فحئنى اقضيك قال تعالى ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ اى علمه حتّى ادّعى انّه يؤتى حينئذ مالا وولدا حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بهمزة الاستفهام ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨)﴾ بان يؤتى ما قاله

[1] - اية: ٤٦

﴿كَلاَّ﴾ ردع له عن تلك الدّعوى ﴿سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ﴾ اى سنظهر له انّا كتبنا قوله فانّ نفس الكتابة لا تتأخّر عن القول ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعذابِ مَدًّا (٧٩)﴾ نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره ﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد اى نرثهما منه ﴿وَيَأْتِينا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا (٨٠)﴾ لا مال له ولا ولد ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ اى كفار مكّة ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ الاوثان ﴿آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١)﴾ يتعزّزون عند الله بشفاعتهم ﴿كَلاَّ﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ الآلهة ﴿بِعِبادَتِهِمْ﴾ اى ينفونها بقول ما كانوا ايّانا يعبدون ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)﴾ اعداء بان توقد بها نيرانهم ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجيب له عليه السّلام من تماديهم فى الغىّ ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ﴾ سلّطناهم ﴿عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ﴾ تهيّجهم الى المعاصى ﴿أَزًّا (٨٣) فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب لهم ﴿إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ﴾ ايّام آجالهم ﴿عَدًّا (٨٤)﴾ يعنى لم يبق لهم الاّ ايام معدودة قليلة اذكر ﴿يَوْمَ﴾ منصوب باذكر مقدّرا او بلا يملكون الآتى ﴿نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ نجمعهم ﴿إِلَى﴾ جنة بقرينة قوله الى جهنم ﴿الرَّحْمنِ﴾ ربّهم الّذى غمرهم برحمته واختياره فى هذه السّورة من بين اسمائه لانّها فى تعداد نعمه الجسام وشرح حال الشّاكرين لها والكافرين بها ﴿وَفْدًا (٨٥)﴾ حال جمع وافد بمعنى راكب وركابهم انياق رحالها ذهب وازمّتها الزّبرجد ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)﴾ جمع وارد بمعنى ماش عطشان ﴿لاَ يَمْلِكُونَ﴾ اى العباد المدلول عليهم بذكر القسمين ﴿الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ﴾ فى محلّ الرّفع على البدلية او النّصب على الاستثناء ﴿عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْدًا (٨٧)﴾ إيمانا وعملا صالحا سمّيا عهدا لوعده تعالى صاحبهما الكرامات الأخروية الّتى من جملتها الشفاعة فى العصاة وفى الآية دليل على ثبوت الشّفاعة لاهل الكبائر ﴿وَقالُوا﴾ اى اليهود والنّصارى ومن زعم انّ الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَدًا (٨٨)﴾ قال تعالى لهم على سبيل الالتفات ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩)﴾ منكرا عظيما ﴿تَكادُ السَّمواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ اى تنشقّ مرّة بعد اخرى فتسقط عليهم ﴿وَتَنشَقُّ الأَرْضُ﴾ فتنخسف بهم ﴿وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا (٩٠)﴾ اى تهد هدّا فتنطبق عليهم من

اجل ﴿إِنْ دَعَوْا﴾ سمّوا ما يردون ﴿لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢)﴾ اى لا يليق به اتخاذ الولد ﴿إِن﴾ اى ما ﴿كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣)﴾ اى الاّ وهو مملوك له يأوى اليه بالعبوديّة ﴿لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ حصرهم واحاط بهم جميعا ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤)﴾ على الانفراد ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)﴾ منفردا عن الأتباع والأنصار ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا (٩٦)﴾ فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبّهم الله ﴿فَإِنَّمَا﴾ نصيحيّة تفصح عن مقدّر معطوف ما بعدها بما عليه وهو بلغ هذا المنزل ﴿يَسَّرْنَاهُ﴾ القرآن ولتضمّنه مع انزلنا تعدّى بالباء فى ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العربىّ ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (٩٧)﴾ جمع الد اى المجادل بالباطل وهم كفّار مكّة ﴿وَكَمْ﴾ اى كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ تخويف للكفرة وترغيب له عليه السّلام فى انذارهم ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾ تشاهد ﴿مِنْهُم﴾ صفة ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)﴾ صوتا خفيّا ؟ لا, فكما اهلكنا اولئك نهلك هؤلاء.

* * *

سورة طه

مكّية مائة وخمس وثلاثون أو وأربعون آية أو ثنتان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طه (١)﴾ ايضا من المتشابهات ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يامحمّد ﴿الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٢)﴾ اى تتعب تأسّفا على كفر قريش اذ ما عليك الاّ البلاغ او افراطا فى الرّياضة والقيام باللّيل اى خفّف عن نفسك ﴿إِلَّا﴾ لكن انزلناه ﴿تَذْكِرَةً﴾ به ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ (٣)﴾ يخاف الله ويتأثّر بالانذار ﴿تَنزِيلًا﴾ نصب باضمار فعله او بيخشى ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ (٤)﴾ جمع عليا تأنيث الأعلى هو ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو فى اللّغة سرير الملك وقد مرّ ماهو المراد منه فى آية الكرسىّ[1] ﴿اسْتَوَىٰ (٥)﴾ لا على وجه الجلوس والاستقرار كما قالت المشبّهة لتنزهه عن الجهة والمكان بل على وجه لا يعلمه الاّ هو او على وجه الاستيلاء والأقتدار وعلى هذا تخصيصه بالذّكر مع انّه مستول على جميع الكائنات لأنزال الاسباب والمقادير على وجه الحكمة منه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ (٦)﴾ هو التّراب النّدى والمراد الأرضون السّبع لانّها تحته ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ فى ذكر او دعاء فالله غنى عن الجهر به ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ما اسرته الى غيرك او ما حدثت به النّفس ﴿وَأَخْفَى (٧)﴾ منه اى ما تضمره النّفس ولم تظهره لاحد ولم تحدث به النّفس ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ (٨)﴾ التّسعة والتسعون الوارد بها الحديث او مطلقا اذ قيل له ثلثة آلاف اسم والحسنى مؤنث الاحسن ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (٩)﴾ عطف على ما انزلناه آه عطف قصّة على قصّة حملا له عليه السّلام على الأقتداء بموسى عليه السلام فى تحمّل مشقة الرسالة وهو استفهام انكار ان

---

[1] - سورة البقرة: ٢٥٥

كان اوّل ما اخبر به عن امر موسى والاّ فاستفهام تقرير بمعنى قد اتاك ﴿إِذْ﴾ ظرف حديث ﴿رَأَىٰ نَارًا﴾ ليلة الجمعة فى واد طوى وفيه الطور آتيا باهله من عند شعيب مريدا امّه وكان قد ولد له ولد فيها واضل الطريق ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ هنا ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾ ابصرت ﴿نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ شعلة من النّار فى رأس فتيلة او عود ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠)﴾ اى هاديا يدلّنى على الطّريق اتى بلعلّ لعدم الجزم بوفاء العهد ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ اى النّار وجد نارا بيضاء تتّقد فى شجرة خضراء ذكر نور الله بلفظ النّار لانّه حسبه ايّاها وعند الأمام انّه رأى نارا حقيقة لأمتناع الكذب على الانبياء ﴿نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا﴾ تاكيد لياء المتكلم ﴿رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ للتّواضع والأدب وقيل معناه دع قلبك من الأهل والمال ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ المطهّر او المبارك تعليل للأمر باحترام البقعة وللمقدّس يحتمل المعنيين فى خلع النّعل ﴿طُوًى (١٢)﴾ عطف بيان للوادى ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ من قومك ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣)﴾ اليك منّى ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤)﴾ فيها ولكونها تذكرة للمعبود وشاغلة للقلب واللّسان به خصّها بالذّكر ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ لا محالة ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ اى اخفيها عن الخلق ليكونوا حذرا منها كلّ وقت فكاد منه تعالى للتّحقيق وان كان اصل وضعها للمقاربة ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥)﴾ متعلّق بآتية ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ يصرفنّك ﴿عَنْهَا﴾ اى عن التّصديق باتيانها ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ نهى الكافر ان يصدّ موسى عنها والمراد نهيه ان يتصدّ عنها ومثله كثير فى القرآن ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فى انكارها ﴿فَتَرْدَىٰ (١٦)﴾ فتهلك ان صددت عنها ﴿وَمَا﴾ مبتدأ خبره ﴿تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ حال عامله معنى الاشارة فى تلك والاستفهام لاستيقاظه وتنبيهه على ما يريه فى تلك الخشبة اليابسة من العجائب ﴿يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾ اعتمد ﴿عَلَيْهَا﴾ عند الوثوب والمشى ﴿وَأَهُشُّ﴾ اخبط ورق الشّجر ﴿بِهَا﴾ ليسقط ﴿عَلَىٰ غَنَمِي﴾ فتاكله ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ﴾ جمع مأربة مثلّثة الرّاء اى حوائج ﴿أُخْرَىٰ (١٨)﴾ كحمل الزّاد والسّقا وطرد الهوام

والزّيادة فى الجواب امّا لرغبته فى اصغاء الله اليه او لانّه فهم انّ المقصود من السّؤال ان يتذكّر حقيقتها ومنافعها ليعلم انّ ما يحدث الله فيها بعد ذلك معجزات قاهرة فذكر انّها من جنس العصا ومنافعها كأمثالها ليطابق جوابه الغرض الذّى فهمه ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسْعَى (٢٠)﴾ تمشى على بطنها بسرعة كسرعة الحيّة الصغيرة المسمّاة بالجان فلذا عبّر تارة به وتارة بالثعبان وتارة بالحيّة الّذى تعمّهما ﴿قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ﴾ وكان قد هرب منها لما رأيها تبلع الأحجار والاشجار ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ الى ﴿سِيرَتَهَا﴾ حالتها ﴿الأُولَى (٢١)﴾ فادخل يده فى فيها فعادت عصا فاذا يده بين شعبتيها شاهده انقلابها فى اوّل تحمل الرّسالة لتطمئن نفسه فلا يخاف اذا انقلبت حيّة عند فرعون ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ﴾ اليمنى بمعنى الكف ﴿إِلَى جَنَاحِكَ﴾ جيبك الأيسر تحت العضد مستعار من جنح الطّائر الّذى يجنحه ويمهله عند الطّيران واخرجها ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ تضئ كشعاع الشّمس على خلاف ادمتها فانّه عليه السّلام كان شديد الأدمة ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ اى برص متعلّق ببيضاء لكونها صفة مشبّهة او حال من الضّمير فيها ﴿آيَةً أُخْرَى (٢٢)﴾ معجزة ثانية حال كبيضاء من فاعل تخرج فعلنا بك ذلك المذكور كلّه ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ حال من ﴿الْكُبْرَى (٢٣)﴾ وهو مفعول ثان لنريك ﴿اذْهَبْ﴾ رسولا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّهُ طَغَى (٢٤)﴾ جاوز الحدّ فى كفره الى ادعائه الألهية ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥)﴾ وسّعه لتحمّل مشقّة الرّسالة ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)﴾ بتهيّأ الاسباب ورفع الموانع لأبلّغها ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧)﴾ متعلّق باحلل او صفة عقدة حدثت من احتراقه بجمرة وضعها وهو صغير فى فيه حين استمحنه فرعون بها والياقوتة ليقتله ان تناول الياقوتة لما كان قد نتف من لحيته شعرة وكان لا يقدر الحصان على قلعها فخاف ان يكون هلاكه على يده ﴿يَفْقَهُوا﴾ يفهموا ﴿قَوْلِي (٢٨)﴾ عند تبليغ الرّسالة ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ معينا عليها واشتقاقه من الوزر لانّه يحمل الثّقل عن اميره مفعول ثان لاجعل قدّم لانّ الأهم طلبه ﴿مِنْ أَهْلِي (٢٩)﴾ صفة او متعلّق باجعل

﴿هارُونَ﴾ مفعول اوّل ﴿أَخِي (٣٠)﴾ عطف بيان له ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١)﴾ ظهرى ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢)﴾ اى الرّسالة ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحا ﴿كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ﴾ ذكرا ﴿كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥)﴾ عالما باحوالنا وبنفع التّعاون لنا ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦)﴾ منّا عليك الآن بأيتائك مسؤلك ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧)﴾ من قبل ﴿إِذْ﴾ ظرف او تعليل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ﴾ مناما او الهاما لانّ المرأة لا تصلح للنّبوة حتى يكون لها وحى حقيقى لمآ ولدتك وخافت ان يقتلك فرعون فى جملة من يولد ﴿مَا يُوحَى (٣٨)﴾ اى ما لا يعلم الاّ بالوحى ﴿أَنِ﴾ تفسيريّة لما فى الوحى من معنى القول او مصدريّة اى بان ﴿اقْذِفِيهِ﴾ القيه ﴿فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ﴾ بالتّابوت ﴿فِي الْيَمِّ﴾ بحر النّيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ شاطئه الأمر بمعنى الخبر اى يلقيه اليم لتعلق ارادتى بذلك فشبّهه بمأمور ذى تميز مكنيّة وامره بالألقاء تخييليّة ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ وهو فرعون كرّر العدوّ للمبالغة ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ﴾ بعد ان اخذك من بركة فى بستانه القاك الماء فيها وكان هو وامرأته آسيه بنت مزاحم برأسها ﴿مَحَبَّةً﴾ حاصلة ﴿مِنِّي﴾ غرزتها فى قلب كلّ من رأيك فاحبّك فرعون ليتعطّف عليك ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ ترقّى ويحسن اليك ﴿عَلَى عَيْنِي (٣٩)﴾ اى على رعايتى وحفظى لك ﴿إِذْ﴾ تعليل او ظرف لألقيت او تصنع ﴿تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ مريم لتتعرّف خبرك وقد احضروا مراضع وانت لا تقبل ثدى واحدة منهنّ ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ﴾ فاجيبت فجاءت بامّك فقبلت ثديها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ هى بفراقك او انت على فراقها ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ القبطىّ الذّى استغاثك عليه الاسرائيلى فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ اختبرناك بالايقاع فى غير ذلك وخلّصناك منه ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عشرا ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ عند شعيب وزوّجك ابنته وهى على ثمان مراحل من مصر ﴿ثُمَّ جِئْتَ﴾ كائنا ﴿عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤٠)﴾ قدّرته لان اكلّمك واجعلك نبيّا او على مقدار من السن وهو اربعون سنة من عمرك ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١)﴾ بالرّسالة

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ التّسع ﴿وَلاَ تَنِيا﴾ تفترا و تقصّرا ﴿فِي ذِكْرِي (٤٢)﴾ بتسبيح وغيره ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣)﴾ كان الامر اوّلا له فقط وهنا له ولاخاه فلا تكرار روى انّه تعالى اوحى الى هارون انّه قد جعل موسى رسولا وجعلك وزيرا له فاذهب الى شط النّيل تلتقيان ففعل فخوطبا معا بالذّهاب الى فرعون ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا﴾ مثل هل لك الى ان تزكّى ونحوه حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما واحتراما لحقّ تربيته اى على موسى ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ويقبل الحقّ يقينا ﴿أَوْ يَخْشَى (٤٤)﴾ بان يتوهّمه حقّا فلا يبقى بذلك من ان يصرّ على الأنكار بل ويبقى متردّدا بين الأمرين والتّرجى بالنّسبة اليهما لعلمه تعالى بانّه لا يرجع لكن بعثهما اثابة لهما وقطعا لمعذرته ﴿قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾ يعجل علينا العقوبة ولا يصبر الى تمام الدّعوة ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥)﴾ اى يزداد تغيانا فيقول فيك ما لا ينبغى ﴿قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ بالحفظ والنّصرة ﴿أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦)﴾ ما يجرى بينكم ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ اطلقهم ﴿وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ﴾ بالتّكاليف الصّعبة وقتل الولدان فانّهم كانوا فى يد القبط كالاسارى يفعلون بهم ما شاؤا عقب الأتيان به للتّدريج فى الدّعوة ولانّ تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الإيمان ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ حجة وحّدها لارادة الجنس ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على صدقنا بالرّسالة ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ﴾ للعهد اى عذاب المشركين ﴿عَلَى مَن كَذَّبَ﴾ الرّسل ﴿وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ﴾ بعد ما اتياه وقالا جميع ما ذكر ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩)﴾ اقتصر عليه لانّه الأصل ولأدلاله عليه بالتّربية ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الخلق ﴿خَلْقَهُ﴾ شكله الّذى عليه يميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هَدَى (٥٠)﴾ الحيوان منه الى ما اعطاه من مطعم ومشرب ومنكحة وغيره فبهت من هذه الجواب لكونه فى غاية البلاغة والدّلالة على انّ المنعم على الاطلاق المفتقر فى جميع المهمات هو الله تعالى فصرف الكلام عنه ﴿قَالَ فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿الْقُرُونِ الأُولَى (٥١)﴾ كقوم نوح وثمود فى عبادتهم الاوثان ﴿قَالَ﴾ موسى

﴿عِلْمُهَا﴾ اى علم حالهم محفوظ ﴿عِنْدَ رَبِّى فِى كِتَابٍ﴾ هو اللّوح المحفوظ ﴿لاَ يَضِلُّ رَبِّى وَلاَ يَنسَى (٥٢)﴾ فيعمل معهم مايليق بهم اى انا عبد مثلك لا اعلم الاّ ما اخبرنى به ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مِهَادًا﴾ فراشا ﴿وَسَلَكَ﴾ جعل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ بين الجبال والأودية تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطهّرا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلّم على الحكاية لكلام الله كما سمعه منه لكونه ادلّ على كمال القدرة وعلى انّه مطاع ينقاد الأشياء المختلفة لمشيته من حيث اشتماله على التّعبير عن النفس بضمير الجمع كما هو عادة الملوك مع وصف النّبات الخارج به بالاختلاف والتّشتت ﴿أَزْوَاجًا﴾ اصنافا سمّيت بذلك لازدواج بعضها ببعض ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى (٥٣)﴾ صفتا ازواجا اى مختلفة الألوان والطّعوم والمنافع جمع شتيت كمريض ومرضى من شتت الأمر تفرّق ﴿كُلُوا﴾ منها ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ فيها جمع نعم هى الأبل والبقر والغنم يقال رعت الأنعام ورعيتها والأمر للأباحة وتذكير النّعمة والجملة حال من ضمير اخرجنا على ارادة القول اى قائلين كلوا آه ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ﴾ المذكور منا ﴿لآيَاتٍ﴾ لعبرا ﴿لأُوْلِى النُّهَى (٥٤)﴾ لأصحاب عقول جمع نهية كغرفة وغرف سمّى به العقل لانّه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبايح ﴿مِنْهَا﴾ اى من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ بخلق ابيكم آدم منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً أُخْرَى (٥٥)﴾ كما اخرجناكم عند ابتداء خلقكم ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ اى ابصرنا فرعون على يد موسى ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ التّسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم انّها سحر ﴿وَأَبَى (٥٦)﴾ الإيمان والطّاعة ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾ بعارضه ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ وعدا لذلك لقوله ﴿لاَ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنتَ﴾ فانّ الاخلاف يلائم الوعد لامكانه وزمانه ﴿مَكَانًا﴾ منصوب بعِدْنا الدّال عليه موعدا ﴿سُوًى (٥٨)﴾ تستوى مسافته الينا واليك ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ اى وعدكم وعد ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم يزينون فيه ويجتمعون عيّنه

ليشهد الواقعة كلّهم ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩)﴾ اى يجتمع اهل مصر وقت الضّحى للنظر فيما يقع عطف على اليوم ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ ادبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ اى ذوى كيده من السّحرة ﴿ثُمَّ أَتَى (٦٠)﴾ بهم الموعد وهم اثنان وسبعون الفا مع كلّ واحد حبل وعصىّ ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ﴾ اى الزمكم الله الويل ﴿لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بان تسمّوا آياته سحرا ﴿فَيُسْحِتَكُمْ﴾ يهلككم ﴿بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنِ افْتَرَى (٦١)﴾ كذبا على الله ﴿فَتَنَازَعُوا﴾ اى السّحرة ﴿أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ فيما يعارضون به موسى ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (٦٢)﴾ اى الكلام بينهم بان ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم ﴿إِنْ﴾ مخفّفة من المثقّلة اى انه ﴿هَذَانِ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَسَاحِرَانِ﴾ واللاّم فارقة ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٣)﴾ مؤنث امثل بمعنى اشرف اى يذهبا دينكم باعلاء دينهما ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ من السّحر ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ حال اى مصطفين لانّه اهيب فى صدور الرّائين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز بالمطلوب ﴿الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٤)﴾ غلب من كلامهم ايضا لا اعتراض من كلام الله كما فى القاضى ﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ استيناف لبيان ما صدر منهم بعد الأتيان صفّا ﴿إِمَّا أَن تُلْقِيَ﴾ اوّلا عصاك ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٥)﴾ عصاه ولقد احسنوا الأدب فى تخيير موسى وتقديمه فى الذكر فلا جرم رزقهم الله الإيمان ببركته ثمّ انّه عليه السّلام قابل ادبهم بأدب بان ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فالقوا ﴿فَإِذَا﴾ الفاء للعطف على المقدّر واذا للمفاجئة زمانية او مكانية مضافة الى الاسمية بعدها منصوبة بفاجأ المقدر ﴿حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾ اصله عصوو قلبت الواوان يائين وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ اى الى موسى ﴿مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾ حيّات ﴿تَسْعَى (٦٦)﴾ قائم مقام فاعل يخيّل ﴿فَأَوْجَسَ﴾ اضمر ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧)﴾ اى خاف من جهة انّ سحرهم من جنس معجزاته ان يلتبس امره على النّاس فلا يؤمنوا به ﴿قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى (٦٨)﴾ عليهم بالغلبة ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ اى عصاك لم يذكرها باسمها تحقيرا لها ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ اى جنسه ﴿وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ

﴿ ... ﴾ بسحره فالقى موسى عصاه فتلقّفت كلّ ما صنعوه فاقبلت نحو فرعون لتبلعه فاستغاث بموسى فاخذها فانقلبت عصى ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾ والملقى ما تحقّق عندهم من معجزاته ﴿سُجَّدًا﴾ لله توبة عمّا صنعوا واعتبارا وتعظيما لما رأوا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ﴾ قدّم لكبر سنّه ﴿وَمُوسَى ...﴾ روى انّهم راوا منازلهم من الجنّة فى سجودهم ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿آمَنتُمْ ...﴾ لاجله وخوف تعذيبه ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ﴾ انا ﴿لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ استاذكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ من الأبتدائية مع مجرورها فى موضع الحال بمعنى مختلفة اى الايدى اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ اى عليها شبّه التمكن على الجذوع بالتّمكن فى الظرف فاستعار كلمة فى الدّالة على الثّانى للاوّل تبعيّة وهو اوّل من صلب ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾ يعنى نفسه وموسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ...﴾ ادوم عقابا كان فى غاية الخوف لما رأى من العصى عن قريب لكنّه اظهر الجلادة والقهر تمشية لناموسه وترويجا لأمره ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الدّالة على صدق موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ خلقنا قسم او عطف على ما جائنا ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ اى اصنع ما تصنع قالوه اظهارا لعدم تركهم الإيمان بمثله لا امرا حتّى يأثموا بذلك ثمّ بيّنوا ما لاجله يسهل حمل ذلك عليهم بقولهم ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢)﴾ اجرى الظّرف مجرى المفعول به اتّساعا اى انّما تحكم فى هذه الحيوة الدّنيا وهى فانية ومطلوبنا سعادة الآخرة وهى باقية ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ من الكفر وغيره ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ فانّه وان كان صنعتهم لكن حظورهم له كان اكراها وكذا المعارضة مع موسى لما رأوا انّ العصى تحفظه وهو نائم فقالوا ما هذا بسحر ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ منك ثوابا اذا اطيع ﴿وَأَبْقَى (٧٣)﴾ منك عذابا اذا عصى وقالوا ايضا او الله ﴿إِنَّهُ﴾ اى الشأن ﴿مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ كافرا كفرعون ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى (٧٤)﴾ حيوة تنفعه ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ فى الدّنيا ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥)﴾ جمع عليا مؤنث اعلى

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ بدل من الدّرجات ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ (٧٦)﴾ تطهّر من الذّنوب ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ ليلا من مصر ﴿فَاضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ طَرِيقًا﴾ بالضرب بعصاك ﴿فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ اى يابسا مصدر وصف الطّريق به مبالغة ففعل ما امره فايبس الله ارضه فمرّوا فيها ﴿لَّا تَخَافُ دَرَكًا﴾ اى ان يدركك فرعون حال من فاعل اضرب ﴿وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧)﴾ غرقا عطف عليه ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ نفسه مصاحبة ﴿بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم﴾ اى غطّا فرعون وقومه ﴿مِّنَ الْيَمِّ﴾ البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ (٧٨)﴾ ما غطاهم وفى ابهامه مبالغة وتعظيم لما اصابهم مع وجازة اللّفظ ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ (٧٩)﴾ بل اوقعهم فى الهلاك خلاف قوله وما اهديكم الاّ سبيل الرّشاد قلنا بعد انجائهم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون باغراقه ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ لمناجات موسى وانزال التّورية والمواعدة لموسى لكن عدّيها اليهم للملابسة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠)﴾ فى التّيه ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ اى لذائذه وحلالاته ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ بان تكفروا النّعمة ﴿فَيَحِلَّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١)﴾ سقط وهلك ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشّرك ﴿وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢)﴾ اى استمرّ على الهداية المذكورة ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ السبعين الّذين اخترتهم للمجئ معك الى الطّور لاخذ التّورية ﴿يَا مُوسَىٰ (٨٣)﴾ حتى تركتهم خلفك وجئت الى الجبل وحدك ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ اى عقبى ما تقدمتهم الاّ قليلا ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ﴾ بعبادة العجل كانوا ستّمأية الف ما نجى من عبادته الاّ اثنا عشر الفا ﴿وَأَضَلَّهُمُ﴾ باتخاذ العجل ودعائهم الى عبادته ﴿السَّامِرِيُّ (٨٥)﴾ منسوب الى السّامرة قبيلة من بنى اسرائيل او كان منافقا من قوم يعبدون البقر آمن بموسى ظاهرا ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ بعد الأربعين وأخذ التّورية ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ شديد الحزن بما فعلوا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ باعطاء التّورية تهتدون به

﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ مدّة مفارقتى ايّاكم فنسيتم ما امرتكم به ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادة ما يمثّل به الحمقاء والمعنى ام اردتم المعصيّة المؤدّية الى حلول الغضب فانّ احدا لا يريده لكن لمّا كانت ارادته مسبّبة عن ارادتها فكانّهم ارادوه ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦)﴾ وعدكم ايّاى بالثبات على الإيمان ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ مثلّث الميم اى بأمرنا ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ احمالا ﴿مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ من حليّ القبط الّتى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر بعلّة العرس ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ طرحناها فى النّار بامر السّامرى ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ كما القينا ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧)﴾ ما معه من حليّهم ومن التّراب الآتى ذكره ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحليّ ﴿جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ صوت العجل ﴿فَقَالُوا﴾ اى السّامرى واتباعه لغاية بلادتهم او لانّهم من اهل الحلول ﴿هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨)﴾ موسى ربّه هنا وذهب يطلبه عند الطّور قال تعالى ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا﴾ اى انه ﴿لَا يَرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ اى لا يرد جوابا ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ اى دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا (٨٩)﴾ جلبه فكيف يتّخذ الها ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ﴾ اى من قبل رجوع موسى ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠)﴾ فى عبادته ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ﴾ نزال ﴿عَلَيْهِ﴾ اى على عبادة العجل ﴿عَاكِفِينَ﴾ مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه ﴿يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢)﴾ بعبادته ﴿أَلَّا﴾ زائدة ﴿تَتَّبِعَنِ﴾ فى الغضب لله او للحوق بى ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣)﴾ باقامتك بين من يعبد غير الله ﴿قَالَ﴾ هارون ﴿يَا ابْنَ أُمَّ﴾ خصّ الامّ استعطافا وترقيقا والاّ فهما كانا من امّ واب ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ وكان اخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِي﴾ وكان اخذ شعره بيمينه غضبا مما راى منهم وكان لا يملك نفسه عند الغضب ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ لو اتّبعتك ولابدّ ان يتبعنى جمع ممّن لم يعبد العجل ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِي (٩٤)﴾ حين قلت اخلفنى فى قومى واصلح ﴿قَالَ﴾ منكرا ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥)﴾ اى ما طلبك له وحملك عليه ﴿قَالَ

بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ اى علمت ما لم يعلموه وهو انّ جبرائيل جاأ يوم فلق البحر او ليذهب بك الى الطّورعلى فرس الحيوة ما داس على شيء الاّ احياه وانما عرفه لانّه كان يغذوه حتّى استقلّ حين القته امّه خوفا من فرعون ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿الرَّسُولِ﴾ جبرائيل لم يسمه لانّه لم يعرفه انّما عرف انّه رسول روحانىّ ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ فى الحلىّ المذاب او فى جوف العجل حتّى حيى ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾ زيّنت ﴿لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ اى مدّة حيوتك ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لمن رأيته ﴿لاَ مِسَاسَ﴾ اى لا تقربنى فكان يهيم فى البريّة فاذا مسّ احدا او مسّه احد حمّا جميعا ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ مع عذابك هذا ﴿مَوْعِدًا﴾ فى الآخرة ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ اسند الفعل الى المفعول الاوّل وترك الثّانى على حاله اى لن يخلفك الله الوعد ﴿وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ اى دمت اصله ظللت حذف اللاّم الأولى تخفيفا ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ اى مقيما تعبده ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنّار او بالمبرد على انّه للمبالغة من حرق اذا برد بالمبرد ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ﴾ لنذرينّه رمادا او مبرودا ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧)﴾ ففعل ما قال بعد ذبحه ثمّ عاد الى بيان دين الحقّ فقال ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨)﴾ وسع علمه كلّ شيء لا العجل الّذى يصاغ فانّه لا يصلح للإلهيّة ﴿كَذَلِكَ﴾ اى كما نقصّ عليك يا محمّد قصّة موسى ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ﴾ اخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من الامم ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ اعطيناك ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا (٩٩)﴾ كتابا مشتملا على هذه الأقاصيص ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠)﴾ اى اثما عظيما او عقوبة ثقيلة سمّاها وزرا تشبيها لها بالحمل فى صعوبة احتمالها ﴿خَالِدِينَ﴾ جمعه للحمل على معنى ما كما انّ افراد اعرض للحمل على لفظها ﴿فِيهِ﴾ فى الوزر ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١)﴾ تميز مفسر للضمير المبهم فى ساء والمخصوص بالذم محذوف اى وزرهم ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ النفخة الثانية ﴿فِي الصُّورِ﴾ بدل او بيان ليوم القيامة او منصوب بيتخافتون او باضمار اذكر ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢)﴾ عيونهم

مع سواد وجوههم والزّرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فوصفهم بها ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتسارون من كثرة الهول ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ فى الدّنيا او القبر ويؤيّد كلاّ بعض من الآيات ﴿إِلاَّ عَشْرًا (١٠٣)﴾ من الأيام بلياليها فلاستطاعة مدة الأخرة وشدتها يستقصرون مدّة الدّنيا تاسّفا عليها ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وهو مدّة لبثهم ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾ اعدلهم ﴿طَرِيقَةً﴾ رأيا اوعملا ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا (١٠٤)﴾ رجّح الله قول من بالغ فى التّقليل لانّها فى الواقع اقلّ قليل خصّ العشرة والواحدة بالذكر اذ لا يعبّر عن القليل فى مثل هذه المواضع الاّ بهما ولمّا بيّن امر يوم القيامة وحيرة المجرمين حكى سؤال من ينكر الحشر فقال ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ سئله رجل من ثقيف ﴿عَنِ الْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥)﴾ نفرّقها بالرّياح بعد ما نفتّتها كالرّمل ﴿فَيَذَرُهَا﴾ مقار الجبال ﴿قَاعًا﴾ خاليا ﴿صَفْصَفًا (١٠٦)﴾ مستويا كانّ اجزائها على صفّ واحد ﴿لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ اعوجاجا ﴿وَلاَ أَمْتًا (١٠٧)﴾ ارتفاعا فالحالان الأوّلان باعتبار الحسّ وهذه بالمقياس الهندسىّ ولذا اتى بعوجا المكسور الخاص بالمعانى كاختصاص المفتوح بالاعيان ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ اى يوم وقت نسف الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ الى المحشر بصوته وهو اسرافيل يقول قائما على صخرة بيت المقدّس هلّموا الى عرض الرّحمن ﴿لاَ عِوَجَ لَهُ﴾ لاتّباعهم اى لا يقدرون ان لا يتّبعوا ﴿وَخَشَعَتِ﴾ خفّضت ﴿الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ لهيبته ﴿فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا (١٠٨)﴾ صوتا خفيّا ﴿يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ احدا ﴿إِلاَّ مَنْ﴾ اى المشفوع الّذى ﴿أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ ان يشفع له ﴿وَرَضِيَ لَهُ﴾ لاجله ﴿قَوْلاً (١٠٩)﴾ اى قول الشّافع فى شأنه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما يستقبلونه من الأحوال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما مضى منها ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ﴾ بمعلوماته ﴿عِلْمًا (١١٠)﴾ تميز عن النّسبة ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت ﴿الْوُجُوهُ﴾ اى وجوه المجرمين ﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ حال ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١)﴾ شركا ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ﴾ بعض ﴿الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ اذ الإيمان شرط فى قبولها ﴿فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بزيادة فى سيآته ﴿وَلاَ هَضْمًا (١١٢)﴾ بنقص فى حسناته ﴿وَكَذَلِكَ﴾ عطف على كذلك

نقصّ اى مثل انزال ما ذكر ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ اى القرآن ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ كرّرنا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المعاصى ويستمرّوا على التقوى الّذى كان لهم من قبل ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ القرآن ﴿ذِكْرًا (١١٣)﴾ عظّة واعتبارا حين يسمعونه ولذا اسند التّقوى اليهم والأحداث اليه ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ عن مماثلة الخلق ذاتا او صفة ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ بقرائته خوف النّسيان ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ بان تساوق جبرائيل بل اصبر الى ان يفرغ من وحيه ﴿وَقُلْ﴾ بدل الاستعجال ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)﴾ على هذا فانّ ما اوحى اليك تناله البتة ﴿وَ﴾ اقسم ﴿لَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ اى امرناه ان لا يأكل من الشجرة عطف على صرّفنا عطف قصّة على قصّة للدّلالة على انّ نسيان البشر وعدم تحفّظه من وساوس الشيطان امر قديم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل الآن ﴿فَنَسِيَ﴾ العهد ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)﴾ ثباتا على الأمر مع انّه لو وزن عقول بنيه بعقله لرجحهم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ اى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبيّن لك انّه نسى ولم يكن من ذى العزم والثبات ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦)﴾ جملة استيناف لبيان ما منعه من السّجود ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ﴾ بتلبيسه النّهى فى الحقيقة لهما عن اطاعته وقد مرّ مثله مرارا ﴿فَتَشْقَى (١١٧)﴾ تتعب بالزرع وطلب المعاش ولكونه وظيفة الرّجال اسنده اليه فقط ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ﴾ عطف على ان لاتجوع ﴿لَا تَظْمَأُ﴾ تعطش ﴿فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩)﴾ تقع فى حرّ الشّمس اذ لاشمس فيها ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ اى الّتى يخلد من يأكل منها ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠)﴾ لا يزول وهو لازم الخلود ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ اخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ اى ورق التّين للتّستر ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ باكل الشّجرة ﴿فَغَوَى (١٢١)﴾ ضلّ عمّا طلب من الخلود بأكلها او عن الأنتهاء عمّا نهى عنه ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ قرّبه بالحمل على التّوبة ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قبل توبته ﴿وَهَدَى (١٢٢)﴾ الى الثبات على التّوبة

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ الخطاب لآدم والحوى ولانّهما اصل الذّرية قال ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لامر المعاش ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ﴾ فى الدّنيا ﴿وَلَا يَشْقَى (١٢٣)﴾ فى الآخرة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ اى الهدى الذاكر لى ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ضيّقا مصدر وصف به مبالغة ولذا يستوى فيه المذكر والمؤنث لانّه دائما فى خوف نفاد نعمه الدّنيويّة مع انّه تعالى قد يضيّق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾ اعمى البصر حال ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥)﴾ فى الدّنيا ويوم البعث ﴿قَالَ كَذٰلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بك فعلت انت بنفسك ثمّ فسّره بقوله ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ تركتها ولم تنظر اليها ﴿وَكَذٰلِكَ﴾ مثل ترك ايّاها ﴿الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦)﴾ تترك فى العمى والعذاب ﴿وَكَذٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ بالشّهوات والأعراض عن الآيات ﴿وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ بل كذّبها وخالفها ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ اى عذاب النّار ﴿أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)﴾ من ضنك العيش والعمى لانّه يزول عماه فى النّار فيرى محلّه وشدّتها ولمّا بين حشر المعرض اتبعه بما يعتبر منه من احوال من كذّب الرّسل فقال ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ بيّن الله ﴿لَهُمْ﴾ اى لكفّار مكّة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ الجملة سادّة مسدّ مفعول يهدى لانّه علّق عن العمل بكم الأستفهاميّة اجراء له مجرى افعال القلوب من حيث انّ الهداية فيها معنى الاعلام ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير لهم ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ اى مساكن الهالكين فى سفرهم الى الشّام وغيره فلم لا يعتبروا ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لعبرا ﴿لِّأُولِي النُّهَى (١٢٨)﴾ لذوى العقول ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بوعد تأخير عذابهم لفضلك او لانّ فى نسلهم من يؤمن الى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ الاهلاك ﴿لِزَامًا﴾ لازما لهؤلاء الكفرة فى الدّنيا ﴿وَ﴾ لولا ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى (١٢٩)﴾ لعذابهم وهو يوم القيامة عطف على المستتر فى كان اى لكان الهلاك واجل مسمّى لازمين لهم ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ منسوخة بآية القتال ﴿وَسَبِّحْ﴾ صلّ ملتبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصّبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ الَّيْلِ﴾ ساعاته

﴿فَسَبِّحْ﴾ صلّ المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ عطف على محلّ من آناء المنصوب اى صلّ الظّهر لانّ وقتها طرف النصف الأول وطرف النّصف الثانى والمراد بالجمع ما فوق الواحد ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى (١٣٠)﴾ بما تعطى من ثواب هذه التسبيحات ﴿وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ اصنافا ﴿مِنْهُمْ﴾ من الكفرة ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ اى زينتها وبهجتها منصوب بمحذوف دلّ عليه متّعنا اى جعلنا لهم زهرة آه ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ نختبرهم ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ فى الجنّة ﴿خَيْرٌ﴾ ممّا اوتوه فى الدّنيا ﴿وَأَبْقَى (١٣١)﴾ فانّه لا ينقطع ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ اهل بيتك او امّتك ﴿بِالصَّلاَةِ﴾ كما امرت بها ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ داوم عليها ﴿لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ لنفسك ولا لاهلك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وايّاهم ففرّغ بالك لامر الآخرة ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلتَّقْوَى (١٣٢)﴾ لذويه كان عليه السّلام اذا اصاب اهله ضرّ امرهم بالصّلوة وتلى هذه الآية ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ يَأْتِينَا﴾ محمّد ﴿بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ تدلّ على صدقه بادعاء النّبوة او بآية مقترحة مثل العصا والنّاقة انكارا لما جاء به من الآيات قال تعالى ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ﴾ من جهتك فى القرآن ﴿بَيِّنَةُ﴾ بيان ﴿مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى (١٣٣)﴾ من التّورية والأنجيل وسائر الكتب المنزّل مع انّك امّى لم ترها ولم تتعلّم ممّن علمها فهو حجّة بيّنة على نبوّتك ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل محمّد ﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ بالقتل والسّبى فى الدّنيا ﴿وَنَخْزَى (١٣٤)﴾ بالنّار يوم القيامة ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منّا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ منتظر لما يؤل اليه امره ﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ﴾ استفهاميّة مبتدأ خبره ﴿أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم والجملة سادة مسد مفعولى تعلمون لتعلّقه عن العمل ﴿وَمَنِ اهْتَدَى (١٣٥)﴾ ختم السّورة بنوع من الزّجر والتهديد.

* * *

سورة الأنبياء

مكية مائة واحدى أو ثنتا عشر آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْتَرَبَ ﴾ قرب بالنّسبة الى مامضى او الله فانّه يراه قريبا ﴿لِلنَّاسِ﴾ الكفرة المنكرين للبعث ﴿حِسَابُهُمْ﴾ اى وقته وهو يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿مُعْرِضُونَ (١)﴾ عن التّهيّأ له بالأيمان ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ ينبّههم عن الغفلة ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ صفة ذكر وكذا ﴿مُحْدَثٍ﴾ الفاظه وتنزيله فى كلّ وقت على حسب المصالح وامّا ذاته فازلىّ قديم فاندفع استدلال المعتزلة على حدوثه بهذه الآية ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢)﴾ يستهزؤن به لفرط غفلتهم حال من الواو وكذا ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ غافلة عن التّفكر فيه وهو سبب لعبهم ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ اى تناجيهم وكلامهم الخفىّ فالمعنى بالغوا فى اخفائه ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من واو اسرّوا للدّلالة على انّهم ظالمون فى المسر به ويجوز هنا ما اشتهر فى اكلونى البراغيث من وجوه التراكيب وابدل عن النّجوى قوله ﴿هَلْ هَٰذَا﴾ محمّد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ لا ملك فهو كاذب فى الدّعوى الرّسالة وما جاء به من الآيات سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾ تتبعونه ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣)﴾ تعلمون انّه سحر ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائنا ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ جهرا كان او سرّا فضلا عمّا اسرّوا به فهو آكد من ﴿يعلم السرّ﴾[1] ومطابق لاسروا النّجوى تطابق المطلق لأحد فرديه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما اسرّوه ﴿الْعَلِيمُ (٤)﴾ بما اضمروه من غير تكلّم لا سرّا وجهرا ﴿بَلْ﴾ للأضراب والأنتقال عن قولهم فى شأن الرّسول الى قولهم فى شأن القرآن والآتيان للأنتقال من شأن الى شأن للقرآن ﴿قَالُوا﴾ فيما اتى به من القرآن هو ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ اختلاط منام رأيها فى النّوم ﴿بَلِ افْتَرَاهُ﴾ اختلقه ﴿بَلْ

---

[1] - سورة الفرقان: ٦

هُو شاعِرٌ﴾ فما اتى به شعر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ﴾ به ﴿الْأَوَّلُونَ (٥)﴾ كالنّاقة والعصا واليد قال تعالى فى جوابهم ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿قَرْيَةٍ﴾ اهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بتكذيب الآيات المقترحة ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦)﴾ لو جئتهم بها اى لا يؤمنون لانّهم اعند منهم فمنّنا عليهم بعدم اتيانها لئلاّ يهلكوا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَاسْأَلُوا﴾ يا من تقولون انّه بشر مثلكم ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ اهل الكتاب العالمين أ هل كانت الرّسل المتقدمة بشرا ام لا فانّكم واثقون بقولهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧)﴾ ذلك فانّهم يعلمونه ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ اى الرّسل ﴿جَسَدًا﴾ اجسادا ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ بل ياكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨)﴾ فى الدّنيا فكيف يكونون ملائكة ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ﴾ فى ﴿الْوَعْدَ﴾ بنزول البلاء وانجائهم فلا بدّ ان نصدقك ايضا فليحذر قريش سوأ العاقبة ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ اى المؤمنين بهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩)﴾ الكافرين بهم ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا قريش ﴿كِتَابًا﴾ يعنى القرآن ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ صيتكم وشرفكم لانّه بلغتكم ومنزّل على نبيّ منكم او موعظتكم وكلّ ما تحتاجون اليه من امر دينكم ودنياكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠)﴾ فتؤمنون به وتتركوا اقتراح الآيات ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ كسرنا واهلكنا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ اى اهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا﴾ ادركوا اهل القرية ﴿بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢)﴾ يهربون مسرعين كمن يركض فرسه فقالت الملائكة لهم ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ﴾ نعمتم ﴿فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣)﴾ عن امور دنياكم على العادة ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤)﴾ قالوه عند اليأس فلم ينفعهم ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ﴾ الكلمات ﴿دَعْوَاهُمْ﴾ يدعون بها ويردّدونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كالزّرع المحصود ولذا لم يجمع ﴿خَامِدِينَ (١٥)﴾ ميتين من خمدت النّار اذا طفيت كلاهما بمنزلة مفعول ثان لجعلنا ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦)﴾ بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ ما يلهى به ويلعب ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ممّا يليق بحضرتنا من المجردات لا من

الأجسام الغليظة ومن فسّر اللّهو بالولد والزّوجة فقد اخرج الكلام عن الألتيام بما قبله رعاية لما بعده ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧)﴾ اتّخذناه لكن لم نفعله لانّه لا يليق بالرّبوبيّة ﴿بَلْ﴾ اضراب عن اتخاذ اللّهو ﴿نَقْذِفُ﴾ نرمى ونورد ﴿بِالْحَقِّ﴾ الّذى من جملته الجدّ ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الّذى من جملته اللّهو ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ يذهبه بلا مهل من دمغه اصاب دماغه بالضّرب وهو مقتل ففى التّعبير به وبالقذف المستلزم لصلابة المرمىّ استعارة تبعيّة او قرينة للمكنيّة ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ هالك كالرّوح فهو ترشيح ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾ ثابتا ﴿مِمَّا تَصِفُونَ (١٨)﴾ الله بما لايليق به ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خلقا وملكا ﴿وَمَنْ عِندَهُ﴾ اى الملائكة مبتدأ خبره ﴿لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ (١٩)﴾ لا يعجزون ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾ عنه فهو منهم كالنفس منا لا يشغلون عنه بشاغل حال من يسبّحون وهو استيناف ﴿أَمِ﴾ منقطعة بمعنى بل أ ﴿اتَّخَذُوا﴾ فهو اضراب من انكار قولهم الى انكار فعلهم ﴿آلِهَةً﴾ كائنة ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ ومنسوبة اليها فهو صفة آلهة وكذا ﴿هُمْ﴾ تقديمه للحصر ﴿يُنشِرُونَ (٢١)﴾ الموتى من القبور هذا لازم من ادعائهم آلهيّتها وان يصرّحوا به اذ هو شأن الإله ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ اى السّموات والأرض ﴿آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ﴾ غير الله وصف بالاّ حملا على غير لتعذر الأستثناء بكلا قسميه لانّها تابعة لجمع منكور غير محصور فلا يعلم شموله لما بعدها ولا لاشموله ولانّه يدلّ على ملازمة الفساد لوجود ألهة مستثنى عنها الله مع انّ الفساد لازم له مطلقا ﴿لَفَسَدَتَا﴾ خرجتا عن نظامها المشاهد لوجود التّخالف والتّمانع بينهم على وفق العادة والآية كما ترى حجّة اقناعيّة للوحدانيّة لانّ مجرّد التّعدد لا يستلزم الفساد بالفعل لأمكان الأتّفاق بينهم وامكان الفساد ليس بمحال بل النّصوص دالة على انّه سيقع لكن لو حمل الفساد على عدم الأمكان كانت الملازمة قطعيّة والاّ لامكن التّمانع المستلزم للمحال والتّفصيل فى الكتب الكلاميّة فراجعها ثمّ فرع تنزيهه على دليل الوحدانيّة فقال ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)﴾ من اتخاذ الشّريك والصّحابة والولد ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ اذ لا غرض

لفعله لاستلزامه نقصا فيه ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾ عن افعالهم ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ كرّره استعظاما لكفرهم او ليضم اليه انكار دليل نقليّ لهم على ذلك كما ضم الى الاوّل انكار دليل عقليّ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك ولا سبيل اليه ﴿هَذَا﴾ الموجود عندكم من القرآن والتّورية والأنجيل ﴿ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ﴾ اى امّتى ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ من الأمم فانظروا هل تجدون فيها الاّ الامر بالتّوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ اضراب عن قل هاتوا آه الى ماهو ادلّ على ضلالتهم ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤)﴾ عن التّوحيد واتّباع الرّسول لذلك ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) وَقَالُوا﴾ اى خزاعة ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ اذ الملائكة بناته صاهر سروات الجنّ فولدت له ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦)﴾ عنده والعبوديّة تنافى الولادة ﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يقولون شيئا حتّى يقوله كما هو ادب العبيد ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧)﴾ لا يعملون ما لم يأمر ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ اى ما قدّموا من اعمالهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ماهم عاملون بعد او بالعكس وهو استيناف لبيان ما حملهم على الأدب المذكور والآتىّ ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ ان يشفع له مهابة منه ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ عظمته ﴿مُشْفِقُونَ (٢٨)﴾ خايفون التّقصير فى عبادته والخشية والاشفاق متقاربان معنى الاّ انّ المعتبر فى الخشية جانب المخشى عنه وهو عظمته ومهابته وفى الاشفاق جانب الخائف وهو ان لا يأمن من اصابة المكروه فان عدى بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدّى بعلى فبالعكس ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة او الخلائق ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾ اى المشركين ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ التحاما بمعنى ملتحمتين اى كانتا شيئا واحدا ملتصقا ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ برفع السّماء وابقاء الأرض او كان كلّ منهما واحدة فجعلنا السّماء سبعا والأرض سبعا اوفتق السّماء ان كانت لا تمطر فامطرت وفتق الأرض ان كانت لا تنبت فانبتت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ اى النّطفة او المنزّل من السّماء ﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ اى كلّ

حيوان او كلّ نام فانّ حياته ونمائه بسبب الماء ﴿أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ (٣٠)﴾ بعد ظهور الآيات ﴿وَجَعَلْنَا فِى الأَرْضِ﴾ جبالا ﴿رَوَاسِىَ﴾ ثابتات من رسا اذا ثبت كراهة ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾ تميل ﴿بِهِمْ﴾ اذ كانت فى اوّل خلقها كذلك فاثبتت بالجبال ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ فى الرّواسى ﴿فِجَاجًا﴾ مسالك ﴿سُبُلاً﴾ بدل اى طرقا نافذة واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١)﴾ الى مصالحهم ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ عن السّقوط بقدرتنا ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾ احوالها الدّالة على وحود الصّانع من الكواكب وما يحس عنه فى علم الحكمة ﴿مُعْرِضُونَ (٣٢)﴾ لا يتفكرون ﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف اليه اى كلّ واحد منهما والنّجوم التّابعة لهما ﴿فِى فَلَكٍ﴾ مستدير ﴿يَسْبَحُونَ (٣٣)﴾ يسرعون على سطح الفلك اسراع السّابح على الماء ففى الكلام استعارة لفظ القرآن يدلّ على ان الأفلاك واقفة والكواكب جارية فيها على عكس ما قال الحكماء من انها فى الأفلاك ثابتة وحركتها بحركتها لأمتناع الخرق على الأفلاك وهو خبر كلّ والجملة حال من الشّمس والقمر وجمع الضّمير باعتبار المطالع او ما يتبعهما من النّجوم وواو العقلاء لانّ السّباحة فعلهم فلا يكون حجة لأبو على ابن سينا على انّ الكواكب احياء ناطقة ونزل لمّا قالت الكفّار سيموت محمّد ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤)﴾ هذه الجملة محلّ الاستفهام الأنكارىّ كانه قيل ان متّ ابيقى هؤلاء ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ اى الرّوح الحيوانىّ ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ اى ذائقة مرارة مفارقتها جسدها ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ نختبركم ﴿بِالشَّرِّ﴾ البلاء ﴿وَالْخَيْرِ﴾ النعم ﴿فِتْنَةً﴾ اى ابتلاء مصدر من غير لفظه ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥)﴾ فنجازيكم ﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا﴾ اى مهزوّا به يقولون ﴿أَهَذَا الَّذِى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ بسوأ ﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ بالتوحيد ﴿هُمْ﴾ تاكيد ﴿كَافِرُونَ (٣٦)﴾ منكرون فهم احقّ ان يستهزأ بهم ونزل فى استعجالهم العذاب ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ كانّه خلق منه لانّه كثير العجلة فى احواله ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِى﴾ مواعيدى بالعذاب دنيا وعقبا ﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧)﴾ فيه فاراهم القتل

ببدر ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بوقت القيامة ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٨)﴾ قال تعالى ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ﴾ مفعول يعلم ﴿لاَ يَكُفُّونَ﴾ يدفعون ﴿عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ (٣٩)﴾ اى تحيط بهم من كلّ جانب فلا يقدرون دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها وجواب لو محذوف اى لما استعجلوا ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ القيامة او النّار ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تحيّرهم ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ (٤٠)﴾ يمهلون لتوبة او معذرة ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية لرسول الله ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤١)﴾ وهو العذاب فكذلك يحيق بمن استهزأ بك ﴿قُلْ﴾ للمستهزئين ﴿مَنْ يَكْلَؤُكُمْ﴾ يحفظكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ من عذابه ان نزل بكم ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢)﴾ اضراب عن السّواء اى دعهم عنه فانّه تعالى لا يخطر ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه ﴿أَمْ﴾ اضراب آخر ادلّ من الاوّل اى بل أ ﴿لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ﴾ منعا كائنا ﴿مِنْ دُونِنَا﴾ اى من دون منعنا اى ليس لهم ذلك مع انّهم يعتقدون خلافه فكيف يصلحون للسّؤال ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ الآلهة ﴿نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلاَ هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣)﴾ بنصر فكيف يقدرون على نصرهم فهو استيناف لأبطال ما اعتقدوه واضرب عنه الى بيان ما اوهمهم حفظ الآلهة ايّاهم بقوله ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاَءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ بانواع التّمتع ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فحسبوا انّهم يدومون كذلك فردّ عليهم بانّه امل كاذب فقال ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾ نقصد ارضهم ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح وندخلها فى ملك النّبى عليه السّلام ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤)﴾ لا بل النّبى واصحابه ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسى ﴿وَلاَ يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥)﴾ ظرف بيسمع او الدّعاء ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ﴾ وقعة خفيفة واصله هبوب رائحة الشّئ ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦)﴾ بالاشراك وتكذيب محمّد ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ ذوات العدل ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ اى فيه ﴿فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ﴾ العمل ﴿مِثْقَالَ﴾ مقدار ﴿حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ احضرناها ﴿وَكَفَى بِنَا

حاسبين (٤٧)﴾ اذلا مزيد على علمنا وعدلنا وقد مرّ كيفية وزن الاعمال فى اوّل الأعراف[1] ثم شرع فى قصص الأنبياء تقوية لقلبه عليه السّلام على تبليغ الرّسالة وربط منها قصّة موسى بقوله انذركم بالوحى ايماء بانّه عادته فى من قبله فقال ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ اى التّورية الفارق بين الحق والباطل ﴿وَضِيَاءً﴾ بها ﴿وَذِكْرًا﴾ موعظة بها ﴿لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ حال عن المفعول او الفاعل ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩)﴾ خائفون ﴿وَهَذَا﴾ اى القرآن ﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ على محمّد ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٠)﴾ استفهام توبيخ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ هدايته ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل موسى ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١)﴾ اى بانّه اهل لذلك فهو كالتّعليل لما قبله ﴿إِذْ﴾ متعلّق بآتينا ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ تحقيرا لأصنامهم ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام جمع تمثال وهو صورة لا روح فيها ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢)﴾ مقيمون واللاّم للاختصاص اى انتم فاعلون العكوف لها اى ما حملكم على عبادتها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣)﴾ والتّقليد انما يجوز لمن علم انّه فى الجملة على حقّ فاقتدينا بهم ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ بعبادتها ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤)﴾ بيّن لا يخفى على عاقل لعدم استنادكما الى دليل ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ والجدّ فى كلامك هذا ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥)﴾ فيه ﴿قَالَ﴾ مضربا عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه ﴿بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ اى التّماثيل ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ﴾ الّذى قلته ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦)﴾ اى من المحتجين عليه بالبراهين القاطعة بمنزلة الشّاهد الّذى يقطع به الدّعاوى ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ لاجتهدنّ بالحيل فى كسرها ولصعوبة الأمر ذكر الكيد ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا﴾ عنها ﴿مُدْبِرِينَ (٥٧)﴾ الى عيدكم حال مؤكّدة لانّ التّولى والأدبار بمعنى قاله سرا ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم اليه ﴿جُذَاذًا﴾ قطاعا بفأس فُعال بمعنى مفعول من الجذّ وهو القطع ﴿إِلَّا كَبِيرًا﴾ حاصلا ﴿لَهُمْ﴾ للأصنام فأبقاه وجعل الفأس فى عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ اى

---

[1] - آية: ٨

الى ابراهيم ﴿يَرْجِعُونَ (٥٨)﴾ فيحاجهم ويلزمهم او الى الكبير فيسئلوه عن الكاسر حتى يتبيّن انّهم خاطؤن فى عبادة ما لا تكلّم له ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩)﴾ بتحقير الآلهة الحقيقة بالاعظام ﴿قَالُوا﴾ اى بعضهم ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ اى يعيبهم فلعلّه فعله ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠)﴾ اى هذا الاسم فهو فى حكم الجملة ولذا قام مقام الفاعل ﴿قَالُوا﴾ اى نمرود واتباعه ﴿فَأْتُوا بِهِ﴾ مستقرا ﴿عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ شبّه انطباع صورته فى الاعين باستعلاء الراكب المركوب فاستعير له على استعارة تبعيّة ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١)﴾ لفعله فنعاقبه ﴿قَالُوا﴾ بعد احضاره ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ غضبا ان تعبد هذه الصغائر معه ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣)﴾ اسند الفعل الى الكبير حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه فهو تعريض لا كذب كقوله انّى سقيم وقوله لزوجته سارة هى اختى لمّا قصدها ملك الشّام وكان لا يقصد غير ذوات الأزواج فنسميتها كذبا كما فى الحديث لمشابهة صورتها صورته ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ﴾ بالتّفكر ﴿فَقَالُوا﴾ بعضهم لبعض ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤)﴾ بهذا السّؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضرّ ولا ينفع ﴿ثُمَّ نُكِسُوا﴾ من الله ﴿عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾ اى انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالتفكر واجرى الله الحق على لسانهم كمن ينقلب راسا وعقبا فهو استعارة تبعية قالوا ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥)﴾ فكيف تامرنا بسؤالها ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بدله ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ﴾ هو صوة المتضجر بمعنى المصدر اى نتنا وقبحا ﴿لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)﴾ قبح صنيعكم ﴿قَالُوا﴾ لما عجزوا عن المجادلة ﴿حَرِّقُوهُ﴾ فانّ النّار اهول ما يعاقب به ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ بتحريقه ﴿إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨)﴾ نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير حتى كان نذر مريضهم للشّفاء جمع الحطب له فاوقعوا فيها النّار وكان يحترق الطّير فى الجوّ من هيجانها فلم يعلموا كيف يلقونه فعلمهم ابليس او من قال اوّلا حرّقوه وهو هبوب من اكراد فارس خسف به الأرض علم المنجنيق فالقوه بها

مغلولا وهو ابن ست عشر سنة فقال له جبرائيل فهل لك من حاجة فقال امّا اليك فلا وعلم الله بحالى يغنى عن سؤالى ﴿قُلْنَا﴾ على لسان جبرائيل ببركة ما اجابه ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ اى ذات برد وسلام ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ فصارت روضة لم تحرق منه الاّ وثاقه وكان نمرود ينظر اليه من سطح قصره فكفّ عنه بعد ذلك ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ مكرا فى اضراره بالاحراق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)﴾ دنيا وعقبا ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابن اخيه هاران بن تارخ آمن بابراهيم وكذا زوجته سارة بنت عمّه هاران الأكبر ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ الشّام ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١)﴾ لبعثة اكثر الأنبياء فيها اولكثرة النعم وفيه ترغيب النّاس بالمقام فيها فنزل هو بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ عطية فهو حال منهما او من يعقوب ان فسرت بولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾ من الثلاثة ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢)﴾ فى انفسهم ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ يقتدى بهم ﴿يَهْدُونَ﴾ النّاس الى الحقّ ﴿بِأَمْرِنَا﴾ لهم بذلك ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ ليحثوا الامة عليها فيتمّ كمالهم بانضمام العمل الى العلم بمعنى ان تفعل وكذا ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ من عطف الخاص على العام للشّرف وحذفت تاء الأقامة لقيام المضاف اليه مقامها ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)﴾ ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب على شريطة التّفسير والجملة عطف على وهبنا له ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ فصلا بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ وهى سدوم اعظم القرى بالمؤتفكة ﴿الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ اهلها الأعمال ﴿الْخَبَائِثَ﴾ من اللّواط والرّمى بالبندق واللّعب بالطّيور وغير ذلك فجعل عاليها سافلها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مصدر ساءه نقيض سرّه ﴿فَاسِقِينَ (٧٤)﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ اى فى اهل رحمتنا او فى جنّتنا ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ اى قصّته ﴿إِذْ﴾ بدل منه ﴿نَادَى﴾ دعا على قومه بقوله: ﴿ربّ لا تذر﴾[1] آه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ المذكورين ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ الّذين فى سفينته ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)﴾ من الطوفان واذى قومه ﴿وَنَصَرْنَاهُ﴾ منعناه مطاوع

[1] - سورة نوح: ٢٦

انتصر بمعنى امتنع بقرينة استعماله بمن فى ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدّالة على رسالته ان لا يصلوا اليه بسوأ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧)﴾ و﴿ اذكر ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ اى قصتهما ويبدل منهما ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ اى الزّرع او كرْم تدلّت عناقيده ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ اى رعته ليلا بلا راع بان انفلتت ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨)﴾ اى لحكم الحاكمين والمتحاكمين او استعمل ضمير الجمع لاثنين والأضافة لمجرّد الاختصاص مع قطع النّظر عن كون المضاف اليه فاعلا على طريق عموم المجاز فلا يقال انّه لا يضاف الى الفاعل والمفعول معا لانّها الى الفاعل على سبيل القيام والحقيقة والى المفعول على سبيل الوقوع والمجاز قال داود لصاحب الحرث رقاب الغنم وقال سليمان وهو ابن احدى عشر سنة ينتفع بذوائدها الى ان يعود الحرث كما كان باصلاح صاحبها فيردّها اليه حكما باجتهادهما ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ اى الحكومة ﴿سُلَيْمَانَ﴾ فرجع داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وفى مدح داود ايضا بأيتاء العلم اشارة الى انّ خطأ المجتهد لا اثم فيه ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ الله بلسان الحال او بصوت خلق فيها وهو حال وضع موضع مسبّحات المناسب بسخرنا استحضارا للحال الماضية وللدلالة على استمرار التّجدد ﴿وَ﴾ سخرنا معه ﴿الطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩)﴾ لامثاله وان كان عجبا عندهم ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ عمل الدّروع لانها تلبس وهو اوّل من صنعها وكان قبلها صفائح ﴿لِتُحْصِنَكُمْ﴾ الصنعة بدل الاشتمال من لكم باعادة الجار ﴿مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠)﴾ ذلك لمر اخرجه فى صورة الاستفهام مبالغة ﴿وَ﴾ سخّرنا ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ شديدة الهبوب فى قطع المسافة وكانت رخاء كما فى آية اخرى[1] اى طيبة فى نفسها او كانت تختلف بحسب ارادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ اى الى الشّام رواحا بعد ما سار منه بكرة ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١)﴾ ومنه خضوعه بما

[1] – سورة ص: ٣٦

نعطيه ﴿و﴾ سخّرنا له ﴿مِنَ الشَّياطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ﴾ فى البحار ويخرجون النّفائس ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذٰلِكَ﴾ اى غير الغوص من البناء والصّنائع الغريبة ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حافِظِينَ (٨٢)﴾ من ان يفسدوا ما عملوا كما هو مقتضى جبلّتهم ﴿و﴾ اذكر ﴿أَيُّوبَ﴾ اى قصّته ﴿إِذْ نادى رَبَّهُ﴾ بعد ما ابتلا بنفد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع النّاس له خوفا من الالتصاق منه الاّ زوجته ثلث سنين او اكثر وكانت تخدم النّاس وتطعمه ثم منعوها عن خدمتهم نفرة من مصاحبتها معه فجعلت تسئل له الى ان باعت ذات يوم ضفائرها برغيف فشق عليه ذلك ﴿أَنِّي﴾ اى بانّى ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ (٨٣)﴾ اكتفى بهذا عن عرض المطلوب تلطّفا فى السّؤال ﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ﴾ ندائه اذ لم يكن جزعا بل دعاء وغرضا للحال ﴿فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بان ولد له ضعف ما كان اوحي له ولده وكانوا سبعا من الذكور ومثلها من الأناث وولد له منهم توافل ﴿رَحْمَةً﴾ على ايوب مفعول له ﴿مِنْ عِنْدِنا﴾ صفة ﴿وَذِكْرى لِلْعابِدِينَ (٨٤)﴾ ليصيروا مثله فيثابوا ﴿و﴾ اذكر ﴿إِسْماعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ الياس سمّى به لانّه كان ذاحظ من الله ﴿كُلٌّ﴾ من هؤلاء ﴿مِنَ الصّابِرِينَ (٨٥)﴾ على الطّاعة وترك المعاصى ﴿وَأَدْخَلْناهُمْ فِي رَحْمَتِنا﴾ من النّبوة ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصّالِحِينَ (٨٦)﴾ لها ﴿وَ﴾ اذكر ﴿ذَا النُّونِ﴾ اى صاحب الحوت وهو يونس بن متّى اى قصّته ﴿إِذْ ذَهَبَ﴾ لطول دعوة قومه وتمادى اصرارهم قبل ان يأذن له فى الذّهاب ﴿مُغاضِبًا﴾ لهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ ان نقضى عليه ما قضيناه من حبسه فى بطن الحوت او نضيق عليه بذلك ﴿فَنادى فِي الظُّلُماتِ﴾ ظلمة اللّيل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ﴾ بانه ﴿لا إِلٰهَ إِلّا أَنْتَ سُبْحانَكَ﴾ ان يعجزك شئ ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ (٨٧)﴾ لنفسى بالمهاجرة بلا اذن وعن النّبى عليه السّلام ما من مكروب يدعوا بهذا الدّعاء الاّ استجيب له ﴿فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ اى غمّ الألتقام بان قذفه الحوت الى السّاحل بعد المكس فى بطنه اربع ساعات او ثلثة ايّام او سبعة او

عشرين او اربعين ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾ من كروبهم اذا استغاثوا بنا ﴿وَ﴾ اذكر قصّة ﴿زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ بلا ولد يرثنى بيان للنّداء ثمّ ردّ الامر الى مولاه بقوله ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩)﴾ فان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى به ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ بتحسينها خلقا وخُلْقا بعد ما كانت سيّئة الخلق او للولادة بعد عقرها ﴿إِنَّهُمْ﴾ اى زكريّا وابنه وامرأته ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ راغبين فى ثوابنا ﴿وَرَهَبًا﴾ راهبين من عذابنا اى بين الخوف والرّجاء ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ فى عبادتهم ﴿وَ﴾ اذكر مريم ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من حلال وحرام ﴿فَنَفَخْنَا﴾ فى عيسى كائنا ﴿فِيهَا﴾ فى جوفها بان احييناه فيه ويجوز ان يكون النّفخ على معناه اى نفخنا على يد جبرائيل فى جيب درعها فحملت بعيسى ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ اى الرّوح الّذى هو بامرنا ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (٩١)﴾ اذ بالتّامل فى حالهما يتحقّق كمال قدرتنا ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ اى ملّة الاسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم الّذى يجب ان تكونوا عليه ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ غير مختلفة حال لازمة من امتكم ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)﴾ لا غير ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ فيه التفات ﴿أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ اى تفرّقوا فى الدّين وجعلوا امره قطعا فاخذوا كلاّ بقطعة فصار بنو اسرائيل احد وسبعين فرقة وامة محمّد ثلث وسبعين ﴿كُلٌّ﴾ من الفرق ﴿إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣)﴾ فنجازيهم ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ﴾ جحود ﴿لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٤)﴾ فى صحيفة اعماله على يد الحفظة فلا يضيع بوجه مّا ﴿وَحَرَامٌ﴾ ممتنع ﴿عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ اى حكمنا باهلاك اهلها خبر مقدّم لقوله ﴿أَنَّهُمْ لاَ﴾ زائدة ﴿يَرْجِعُونَ (٩٥)﴾ اى رجوعهم الى التّوبة او الحيوة ﴿حَتَّى﴾ غاية لأمتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ سدّ ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ متعلّق بحرام اى غاية امتناع رجوعهم قيام الساعة وظهور أماراتها كالفتح ﴿وَ﴾ حال ﴿هُم﴾ اى يأجوج ومأجوج ﴿مِن كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَنسِلُونَ (٩٦)﴾ يسرعون ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ وهو القيامة عطف على فتحت ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ اى القصّة ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فى

ذلك اليوم لشدته والجملة جواب الشّرط واذا الفجائية تسدّ مسدّ فاء الجزائية فاذا اجتمعتا تأكد الأتصال بين الشّرط والجزاء يقولون ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا﴾ فى الدّنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧)﴾ انفسنا بتكذيب الرّسل ﴿إِنَّكُمْ﴾ ايّها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الاوثان ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ اى وقودها ﴿أَنْتُمْ لَهَا﴾ اى لاجلها فللدلالة على الأختصاص عدل عن على ﴿وَارِدُونَ (٩٨)﴾ داخلون فيها استيناف او بدل من حصب جهنّم ابدال جملة من مفرد لكونهما بمعنى واحد ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ﴾ الاوثان ﴿آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ﴾ للعابدين ﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾ انين وتنفس شديد ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)﴾ شيئا لشدّة غليانها ونزل لمّا قال ابن الزّبعرىّ قد عبد العزير والمسيح والملائكة فهم فى النّار على مقتضى ما تقدّم ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا﴾ الخصلة ﴿الْحُسْنَى﴾ وهى السّعادة ومنهم من ذكر ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من النّعيم ﴿خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو ان يامر بالعبد الى النّار ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ تستقبلهم وتقول لهم ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ﴾ يوم ثوابكم ﴿الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾ فى الدّنيا اذكر ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ الطّومار ﴿لِلْكُتُبِ﴾ اى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ عن عدم ﴿نُعِيدُهُ﴾ بعد اعدامه فالكاف متعلّقة بنعيد وضميره عائد الى اوّل وما مصدريّة او كافة ﴿وَعْدًا﴾ منصوب بوعدنا مقدرا تاكيد لنعيده ﴿عَلَيْنَا﴾ انجازه ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)﴾ ما وعدناه ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ اى كتاب داود او جنس الكتب المنزّلة ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ التّورية او اللّوح المحفوظ ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ ارض الجنّة او الأرض المقدّسة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾ اى عامة المؤمنين ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ المذكورين الاخبار والمواعظ والمواعيد ﴿لَبَلَاغًا﴾ كفاية فى النّجاة ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦)﴾ عاملين به ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمّد ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ الانس والجنّ لانّ ما بعثت به سبب لأسعادهم لو تدبروا فيه او لأمن

المؤمنين بك دنيا وعقبا حتى قال جبرائيل امنت بك من سوأ العاقبة يا رسول الله والكفار دنيا عن نحو خسف ومسخ حتّى الشّيطان من ضربة يضربه ملك كلّ يوم على قفاه فتبقى مرارتها فى حلقه الى اليوم الآتى ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ انّما الأولى لقصر الحكم وهو الوحى على الوحدانيّة كما فى انّما يقوم زيد والمعنى ما يوحى الىّ اى من المقصود الأولى الاّ الواحدانيّة والثّانى لقصر الشئ وهو الله على الحكم كما فى انّما زيد قائم ولا يلزم منه عدم اتصافه بغير الوحدانيّة من الصفات لانّ المقصود نفى ما يصفه المشركون ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٨)﴾ منقادون لما يوحى الىّ من الوحدانيّة والاستفهام بمعنى الامر ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد ﴿فَقُلْ آذَنتُكُمْ﴾ اعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حال من الفاعل و المفعول اى مستوين فى العلم بما اعلمتكم به ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩)﴾ من غلبة المسلمين او الحشر ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ فى الاسلام بالطعن ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠)﴾ من حقدكم للمسلمين فيجازيكم عليه ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ تأخير جزائكم ﴿فِتْنَةٌ﴾ امتحان ﴿لَّكُمْ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿وَمَتَاعٌ﴾ تمتيع ﴿إِلَىٰ حِينٍ (١١١)﴾ مضروب لآجالكم ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم﴾ بيننا وبين اهل مكّة ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعدل المقتضى لاستحال العذاب بهم ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢)﴾ من امانيكم وافترائكم على ربكم فعذّبوا اجابة لدعائه ببدر وحنين وغيرهما.

* * *

سورة الحج

مكية الا (من هذان خصمان) الى (صراط الحميد) أو الا (ومن الناس من يعبد الله) الآيتين وهى ثمان أو أقل وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ عقابه بان تطيعوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ اى تحريكها للاشياء من اضافة المصدر الى فاعله المجازى على طريق اسناد الفعل الى زمانه او تحريك الاشياء فيها فالاضافة بمعنى فى ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ (١)﴾ هائل ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ الزّلزلة ظرف لقوله ﴿تَذْهَلُ﴾ تغفل وتدهش ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل بان القمت ثديها الصّبى ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ اى عن الطّفل الّذى ارضعته او عن ارضاعها تصوير لهولها والاّ فلا ارضاع حينئذ وكذا ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ اى حبلى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾ كانّهم سكارى ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ حقيقة بالشراب ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾ طارت من هوله عقولهم ونزل فى النّضر بن الحارث وجماعة ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بنحو الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ فى جداله ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣)﴾ متجاوز فى الفساد ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضى على الشّيطان ﴿أَنَّهُ﴾ الشّأن ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ تبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٤)﴾ النار بالحمل على ما يؤدّى اليه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ﴾ امكان ﴿الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ منىّ من النطف وهو الصب ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ قطعة من الدم جامدة ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهى لحمة قدر ما يضغم ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ مسواة لا عيب فيها ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ غير مسوّاة ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التّدريج كمال قدرتنا لتستدلّوا بها فى ابتداء الخلق على اعادته ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ ان نقرّه ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت خروجه ﴿ثُمَّ

نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون امّهاتكم ﴿طِفْلًا﴾ حال بمعنى اطفالا ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ كمال القوة والعقل جمع شدّة وهو فيما بين الثّلاثين الى الأربعين ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ عند بلوغ الاشد او قبله ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ اخسّه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ فيصير كالاطفال فى قلّة العقل ونفى العلم عنه بالكلّية للمبالغة قال عكرمة من قرا القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يابسة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت بالنّبات ﴿وَرَبَتْ﴾ زادت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ (٥)﴾ حسن ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من بدأ خلق الانسان الى هنا ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ اى بسبب انّه الثّابت الدّائم ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ والاّ لما احيى النّطفة والأرض الميتة ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧)﴾ كلها معطوفة على ما فى حيّز الباء ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ تكرير لتأكيد الذّم ولنفى السّند بقوله ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨)﴾ له نور ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ حال اى لاوى عنقه تكبرا عن الأيمان والعطف جانب من يمين او شمال ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ علّة للجدال ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ فقتل فى بدر ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩)﴾ المحرق وهو النار ويقال له ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٠)﴾ والمبالغة لكثرة العبيد او راجعة الى النّفى بان يعتبر النّفى قبلها ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ طرف من الدّين لا ثبات له فيه كمن يكون على طرف شئ ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ نفسا ومالا ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ على الدّين ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ محنة فيهما ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ بالرجوع الى الكفر ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ اذ الأرتداد يحبط العمل ويهدر الدّم ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١)﴾ لا خسران مثله ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢)﴾ عن المقصد ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ﴾ بعبادته من القتل دنيا والعذاب عقبا ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ الذى تخيّله من الشّفاعة والتّوسل الى الله واللاّم زائدة او للأبتداء ويدعو تكرير للاوّل وخبر المبتدأ ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾

النّاصر هو ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)﴾ الصّاحب اى جملة القسم مع جوابه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤)﴾ من اثابة الصّالح وعقاب الطّالح انّ الله ناصر رسوله دنيا وعقبا ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ﴾ من غيظه ﴿أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ﴾ محمّدا ﴿اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ حبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ اى سقف بيته يشد فيه وفى عنقه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ اى ليختنق به فيقطع نفسه من الأرض ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ يتفكر فى نفسه ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ اى هذا الصّنيع سمّاه كيدا لانّه منتهى ما يقدر عليه ﴿مَا يَغِيظُ﴾ منها وهى نصرة النّبى ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل انزالنا الآيات السّابعات ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ القرآن كلّه ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات حال منه ﴿وَأَنَّ﴾ اى لانّ ﴿اللَّهَ يَهْدِي﴾ به ﴿مَنْ يُرِيدُ (١٦)﴾ هدايته شرع فى بيان امر من يهديه وضدّه بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ اى اليهود ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيميّزهم ويجازى كلاّ بما يليق به ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧)﴾ عالم به علم المشاهدة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾ يخضع لأمره ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من العقلاء وغيرهم على التّغليب فافراد ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ بالذكر لشهرتها ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ عطف على من ان جوّز استعمال السّجود فى الخضوع والسّجود الحقيقىّ اذ تخصيص الكثير يقتضى الثّانى والاّ فهو مبتدأ خبره محذوف اى حقّ له الثّواب ﴿وَكَثِيرٌ﴾ مبتدا خبره ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ بكفره وابائه السّجود ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ﴾ بالشّقاوة ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ يكرمه بالسّعادة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)﴾ من الأهانة والأكرام ﴿هَذَانِ﴾ الفريقان اى المؤمنون السّعداء والكافرون الاشقياء ﴿خَصْمَانِ﴾ فوجان مختصمان اذ الخصم يطلق على الواحد والجماعة ولذا جمع فى ضمير ﴿اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ اى فى دينه ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فصل لخصومتهم وهو المراد بقوله يفصل بينهم يوم القيامة ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ اى تحيط بهم كالثّياب ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩)﴾ الماء الحارّ بحيث لو قطر

على الجبال لاذا بها حال من ضمير لهم وكذا ﴿يَصْطَلُونَهَا﴾ يذاب ﴿بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من الاحشاء ﴿وَالْجُلُودُ (٢٠)﴾ من قبيل عطف المشبه به على المشبه ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ﴾ سياط ﴿مِنْ حَدِيدٍ (٢١)﴾ يضربون بها ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ اى النّار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ بدل منها باعادة الجار فخرجوا ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ ردّوا اليها بالمقامع وقيل لهم ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢)﴾ النّار البالغة فى الأحراق ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ سبق تفسيره الأظهر فى الكهف[1] ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنّصب عطفا على محلّ من اساور وبالجر عطفا على ذهب لانّ السّوار يتّخذ من اللّؤلؤ وحده ايضا او على معنى منهما بان يرصع اللؤلؤ فى الذّهب والاسلوب المناسب لما قال فى حقّ الكفار ان يقال والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات اعدّت لهم جنّات آه عدل عنه واسند الأدخال الى الله واكّده بانّ تعظيما لشأن المؤمنين ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)﴾ المحرّم فى الدّنيا لبسه عدل الى الجملة الاسميّة ولم يقل وحريرا بالعطف مفردا للدلالة على الدّوام والثبات ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وهو قولهم: ﴿الحمد لله الّذى صدقنا وعده﴾[2] او كلمة التّوحيد ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)﴾ المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنّة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيه ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ للاستمرار لا للحال او الاستقبال ولذا حسن عطفه على الماضى ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَ﴾ عن ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وخبر انّ محذوف دلّ عليه اخر الآية اى معذّبون اعنى ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ﴾ منسكا ومتعبدا ﴿لِلنَّاسِ﴾ فهو مفعول ثان و ﴿سَوَاءً﴾ حال من المستكن فيه ﴿الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ اى المقيم ﴿وَالْبَادِ﴾ الطّارى مرفوعان بسواء ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ﴾ مرادا فحذف المفعول لأرادة العموم ملتبسا ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ عدول عن القصد ﴿بِظُلْمٍ﴾ متعلّق به اى ملحدا بسبب ظلم ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)﴾ جواب لمن ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾ عيّنا

---

[1] - آية: ٣١

[2] - سورة الزمر: ٧٤

﴿لإبراهيم مكان البيت﴾ ليبنيه بان ارسلنا ريحا فكشفت اساسه القديم لانّه كان رفع زمن الطّوفان وأمرناه ﴿أن﴾ اى بان ﴿لا تشرك﴾ او فعلنا لئلا تشرك على الالتفات ﴿بي شيئا وطهر بيتي﴾ من الاوثان ﴿للطائفين﴾ به ﴿والقائمين﴾ فيه ﴿والركّع السّجود (٢٦)﴾ اى المصلّين عبّر عن الصّلوة بالاركان للدّلالة على انّ كلّ واحد منها يقتضى التّطهير كيف وقد اجتمعت ﴿وأذن﴾ ناد ﴿في النّاس بالحجّ﴾ اى بالأمر به فنادى على جبل ابى قبيس يا ايّها النّاس حجّوا بيت ربكم فاجابه كلّ من كتب له ان يحجّ من اصلاب الرّجال وارحام النّساء لبيك اللّهم لبّيك وجواب الأمر ﴿يأتوك رجالا﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام ﴿و﴾ ركبانا ﴿على كلّ ضامر﴾ بعير مهزول من بعد السفر ﴿يأتين﴾ اى الضوامر فهو صفة ضامر حملا على المعنى ﴿من كلّ فجّ﴾ طريق ﴿عميق (٢٧)﴾ بعيد ﴿ليشهدوا﴾ يحضروا متعلّق بيأتوك ﴿منافع لهم﴾ مخصوصة بهذه العبادة ولذا نكّرها وهى التّجارة فى الدّنيا والمغفرة فى الآخرة ﴿ويذكروا اسم الله في أيّام معلومات﴾ عشر ذى الحجّة او ايّام النّحر ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ الأبل والبقر والغنم الّتى تنحر فى يوم العيد وما بعده من الهدايا والضّحايا ﴿فكلوا منها﴾ ان كانت مستحبّة ﴿وأطعموا﴾ وجوبا ﴿البائس الفقير (٢٨)﴾ شديد الفقر والاحتياج مأخوذ من فقار الظّهر ﴿ثمّ ليقضوا﴾ يزيلوا ﴿تفثهم﴾ اوساخهم بنحو قصّ الشّارب والاظفار ﴿وليوفوا نذورهم﴾ ما نذروا من البرّ فى حجّهم ﴿وليطّوّفوا﴾ طواف الركن فانه قريب ازالة الاوساخ او طواف الوداع ﴿بالبيت العتيق (٢٩)﴾ اى القديم لانّه اوّل بيت وضع للنّاس ﴿ذلك﴾ خبر محذوف اى الامر ذلك المذكور ﴿ومن يعظّم حرمات الله﴾ كلّ ما لا يحلّ هتكه ﴿فهو﴾ تعظيمها ﴿خيرٌ له عند ربّه﴾ ثوابا اتبع حثّ تعظيم حرماته بردّ ماكانوا عليه بقوله ﴿وأحلّت لكم الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم﴾ تحريمه وهو ما حرّم من الانعام لعارض ممّا ذكر فى اوّل المائدة فى ﴿حرّمت عليكم﴾[1] آه فالأستثناء متّصل ﴿فاجتنبوا الرّجس﴾ القذر ﴿من الأوثان﴾ اى الرّجس

[1] – سورة المائدة: ٣

الّذى هو الاوثان فمن للبيان حال ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠)﴾ من الشرك وتحريم ما لم يحرّمه الله تعميم بعد تخصيص لانّ عبادة الاوثان رأس الزّور ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ مخلصين له مائلين عن كلّ دين الى دينه ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ تاكيد لما قبله وهما حالان من الواو ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ اى تاخذه بسرعة فانّه سقط من اوج الأيمان الى حضيض الكفر والاهواء اخذت افكاره ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ اى تسقطه ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)﴾ بعيد فانّ الشّيطان طرحه فى الضّلالة وأوْ للتّخيير فى التّشبيه ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ الهدايا الّتى هى من معالم الحجّ بان تستحسن وتسمّن ﴿فَإِنَّهَا﴾ اى تعظيما منه ﴿مِنْ﴾ فعل ذوى ﴿تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ درّها ونسلها وركوبها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ وقت نحرها او مكانه عطف على منافع و ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣)﴾ بتقدير مستقرة ومنتهية حال من ضمير فيها والمعنى لكم بعد تلك المنافع هذه المنفعة العظيمة وهى وقت نحرها حال كونها منتهية الى الحرم الّذى فى حكم البيت فانّ المراد به الحرم كلّه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ قربانا يتقربون به الى الله ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ اخلصوا بالتّقرب ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)﴾ المتواضعين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هيبة منه لاشراق اشعّة جلاله عليها ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ من البلايا ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ فى اوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)﴾ فى وجوه الخير ﴿وَالْبُدْنَ﴾ جمع بدنة وهى الأبل وانتصابه بفعل يفسّره ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ اعلام دينه ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ منافع دينيّة ودنيويّة حال ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ على ذبحها بنحو الله اكبر لا آله الاّ الله والله اكبر اللّهم منك واليك مع التّسمية ﴿صَوَافَّ﴾ قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سقطت على الأرض اى ماتت ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ بما يعطى من غير مسئلة ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ المتعرض بالسؤال ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما وصفنا من نحرها قياما

﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ مع عظمها وقوتها فتفعلوا بها ما تريدون ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦)﴾ انعامنا عليكم بالتقرب ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ اى لا يرفعان اليه ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ اى يرفع اليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الأيمان ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ كرّره تذكيرا للنّعمة وتعليلا له بقوله ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ الى طريق تسخيرها والتّقرّب بها ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧)﴾ المخلصين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ غائلة المشركين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ فى امانته ﴿كَفُورٍ (٣٨)﴾ لنعمته وهم المشركون ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ المشركين وللمأذون فيه محذوف اى ان يقاتلوا ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ بسبب انّهم ظلموا وهم الأصحاب كانوا يستأذنون النّبى فى القتال دفعا لاذى الكفار فلم يأذنهم حتى هاجر فنزلت وهى اوّل آية نزلت فى الجهاد بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)﴾ وعد لهم بالنّصر هم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مكّة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فى الأخراج ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ الاستثناء متّصل على سبيل الادّعاء فى عدّ هذا من حق الأخراج او منقطعة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل بعض من النّاس ﴿بِبَعْضٍ﴾ بتسليط المؤمنين على الكافرين ﴿لَهُدِّمَتْ﴾ باستيلاء المشركين على اهل الملل ﴿صَوَامِعُ﴾ الرّهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ للنّصارى ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ كنائس اليهود سمّيت بها لانّها يصلّى فيها ﴿وَمَسَاجِدُ﴾ للمسلمين اخّره فى الذكر لتأخره فى الوجود ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ اى فى الأربعة ﴿اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ اى ينصر دينه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على نصرهم ﴿عَزِيزٌ (٤٠)﴾ غالب لا يمنعه شئ هم ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ بالنّصرة ﴿فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث القوم باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾ غير الاسلوب لانّ تكذيبه كان اشنع ولم يصدر من قومه بل من القبط ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ امهلتهم بتأخير العقاب ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ

(٤٤)﴾ انكارى عليهم بما فعلت بهم والاستفهام للتّقرير اى هو واقع موقعه ﴿فَكَأَيِّنْ﴾ اى كثيرا فهو منصوب على شريطة التّفسير ﴿مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها﴾ اى اهلها ﴿وَهِيَ ظالِمَةٌ﴾ اى اهلها ﴿فَهِيَ خاوِيَةٌ﴾ ساقطة حيطانها ﴿عَلى عُرُوشِها﴾ سقوفها ﴿وَ﴾ كم من ﴿بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ لا يسقى منها لهلاك اهلها ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥)﴾ رفيع اخليناه عن ساكنيه ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ كفّار مكّة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها﴾ ما نزل بالمكذّبين قبلهم ﴿أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها﴾ اخبارهم بالهلاك فيعتبروا ﴿فَإِنَّها﴾ اى القصّة ﴿لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ عن الاعتبار ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾ تاكيد عن الاعتبار ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ﴾ المتوعد به ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ﴾ فيصبهم به البتة وقد انجزه يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من أيام عذابه ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧)﴾ مرطبة بيستعجلون وبيان لوجه الأنكار عليهم فى الاستعجال كانّه قيل يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايّام عذابه فى طول الف سنة من سنتكم حقيقة او من حيث شدّته ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ اى كم ﴿مِنْ﴾ اهل ﴿قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ﴾ كما امهلتكم ﴿لَها وَهِيَ ظالِمَةٌ﴾ مثلكم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُها﴾ بالعذاب ﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨)﴾ المرجع ﴿قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّما أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤٩)﴾ اوضح ما انذركم به واقتصر على الأنذار لانّ المقصود المشركون وذكر المؤمنين لزيادة غيظهم ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لما بدى منهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠)﴾ هو الجنّة ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا﴾ القرآن بالأبطال ﴿مُعاجِزِينَ﴾ اى مسابقين مشاقين لمن يقبل الآيات من عاجزه فاعجزه وعجزه اى سابقه فسبقه ﴿أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ (٥١)﴾ النّار ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ ذى شرع جديد ﴿وَلا نَبِيٍّ﴾ مبلّغ شرعه او شرع غيره فهو اعمّ ﴿إِلاَّ إِذا تَمَنَّى﴾ اشتهر ولاحظ شيئا ﴿أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ اى تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدّنيا ﴿فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطانُ﴾ اى يبطله ويعصم عن الرّكون اليه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ﴾ يثبت ﴿اللهُ آياتِهِ﴾ الداعية الى الاستغراق فى امر الآخرة ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بالقاء الشّيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ (٥٢)﴾ فى تيسير دفعه وما قيل انّه

عليه السّلام قرأ فى مجلس من مجالس قريش سورة النجم فلما بلغ افرايتم اللاّت والعزّى ومناة الثّالثة الأخرى قال الشّيطان من دون وقوفه او وسوسه حتى جرى على لسانه سهوا تلك الغرانيق العلى وانّ شفاعتهنّ لترتجى ففرحوا بذلك وسجدوا معه ثم اخبره جبرائيل بالواقعة فحزن فسلّى بهذه الآية فالتمنى بمعنى القرائة او تمنى ان ينْزل عليه شيئا يقرئه حرصا فمردود لانّ السّهو منه عليه السّلام فى مقام الوحى محال وكذا خلط الشّيطان عليه لانّه يوجب عدم الوثوق وان صحّ كما اختار اكثرهم لوروده من طرق كثيرة جدّا ثلاث منها رجالها رجال الصّحيح وباقيها امّا ضعف او منقطع وبعضها مفرد يوصله اميّة بن خالد وهو ثقة مشهور كما قال الحافظ العسقلانىّ فهو ماوّل بانّه اصابته سِنَةٌ فجرى على لسانه ولم يشعر به فلمّا علم اظهر بطلانه واحكم ربّه آياته ولا يثبت بذلك ولاية الشّيطان عليه كما ظنّ وانّما غاية امره لما راى اصابته تلك السّنة حاكى قرائته بصوت يشبه صوته ثمّ بيّن تعالى على لسان رسوله بطلان ما وقع منه حتّى لا يغتر به احد او بانّه ابتلاء يميّز به الثّابت على الأيمان عن ضدّه ويؤيّده قوله ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ لانّه يدلّ على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحقّ والمبطل اللاّم للعاقبة وتسميتها لام علّة كما فى القاضى باعتبار انّها فى الأصل للعلّة ﴿فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شك ونفاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ عن قبول الحقّ اى المشركين ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ اى الفريقين اظهرهم حكما عليهم بالظّلم ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ (٥٣)﴾ عن الحقّ ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ﴾ اى القرآن هو ﴿الْحَقُّ﴾ النّازل ﴿مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ﴾ تطمئنّ ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيما اشكل ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤)﴾ اى الى نظر يوصلهم الى الحقّ ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾ شكّ ﴿مِّنْهُ﴾ القرآن لعدم نظرهم الصحيح فيه او لما القاه الشيطان على لسان النّبى ثمّ ابطله ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ اى ساعة موتهم او القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)﴾ يوم حرب يقتلون فيه كبدر سمّى به لانّه لا خير لهم فيه كالرّيح العقيم لم تأت بمطر او يوم القيامة

على انّه وضعه موضع ضمير السّاعة للتّهويل ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ اى يوم يزول مريتهم ﴿لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ اى المؤمنين والكافرين بالمجازات لتفصله بقوله ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥٧)﴾ بسبب كفرهم فلذا ادخل الفاء هنا وقال لهم دون الاوّل لانّه محض تفضّل ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ الى المدينة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اى طلبا لنصرة دينه ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ فى الجهاد ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ حتف انف ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ اى نعيم الجنّة سوى بينهما لاشتراكهما فى القصد واصل العمل سئل عليه السّلام ما بالنا ان متنا مجاهدين غير مقتولين فنزلت ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨)﴾ فانّه يرزق بغير حساب ﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ هو الجنّة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بما يجرى ﴿حَلِيمٌ (٥٩)﴾ لا يعاجل فى العقوبة الأمر ﴿ذَلِكَ﴾ الّذى قصصنا عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ولم يزد فى القصاص وتسمية الاوّل عقابا للمشاكلة او لانّه سببه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بان الجأ الى الخروج من وطنه ﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ لا محالة خبر من ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠)﴾ لقصور المنتصر حيث انتقم ولم يصبر مع انّه مندوب اليه ﴿ذَلِكَ﴾ النّصر ﴿بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ اى بسبب انّ الله قادر وجرى عادته على تغليب بعض الامور المعاندة على بعض كاللّيل والنّهار ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ للاقوال ﴿بَصِيرٌ (٦١)﴾ بالافعال فيجازى على وفقها ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف بكمال القدرة والعلم ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت فهو المستحقّ لصفات الكمال ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الزّائل فى حدّ ذاته ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على الاشياء بقدرته ﴿الْكَبِيرُ (٦٢)﴾ عن ان يكون له شريك ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ عطف على انزل والعدول الى المضارع لبقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده فى اخراج النّبات بالماء ﴿خَبِيرٌ (٦٣)﴾ بالتّدابير الظّاهرة والباطنة ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقا وملكا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن كلّ شئ ﴿الْحَمِيدُ (٦٤)﴾ المحمود ذاتا وصفة وفعلا ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ

الله سخر لكم ما فى الأرض﴾ من البهائم ﴿والفلك﴾ السفن عطف على ما ﴿تجرى فى البحر بأمره﴾ حال منها ﴿ويمسك السماء﴾ من ﴿أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾ فى يوم القيامة وفيه ردّ على الحكماء انّها مستمسكة بذاتها ﴿إن الله بالناس لرؤف رحيم (٦٥)﴾ فى التسخير والامساك ﴿وهو الذى أحياكم﴾ بالانشاء اوّل مرّة ﴿ثم يميتكم﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ عند البعث ﴿إن الإنسان لكفور (٦٦)﴾ لجحود النّعم مع ظهورها ﴿لكل أمة﴾ اهل دين ﴿جعلنا منسكا﴾ شريعة مصدر ميمىّ من النسك وهو العبادة ﴿هم ناسكوه﴾ عاملون به ﴿فلا ينازعنك﴾ سائر ارباب الملل ﴿فى الأمر﴾ اى امر الدّين ان خالف شراعئهم لانّها ايضا متخالفة فهذا تعليم له عليه السّلام وجه المعاملة معهم والأحتجاج عليهم ﴿وادع إلى ربك﴾ اى دينه ﴿إنك لعلى هدى﴾ دين ﴿مستقيم (٦٧) وإن جادلوك﴾ وقد ظهر الحقّ ﴿فقل الله أعلم بما تعملون (٦٨)﴾ من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم وهذا قبل الامر بالقتال ﴿الله يحكم بينكم﴾ ايّها المؤمنون والكافرون ﴿يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون (٦٩)﴾ من امر الدّين ﴿ألم تعلم أنّ الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك﴾ اى ما ذكر ﴿فى كتاب﴾ اى اللّوح المحفوظ ﴿إن ذلك﴾ اى الأحاطة به واثباته فى اللّوح ﴿على الله يسير (٧٠) ويعبدون﴾ المشركون ﴿من دون الله ما لم ينزل به سلطانا﴾ حجة تدلّ على جواز عبادته ﴿وما ليس لهم به علم﴾ انّها آلهة ﴿وما للظالمين﴾ بالاشراك ﴿من نصير (٧١)﴾ ينصر دينهم او يدفع العذاب عنهم ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ من القرآن ﴿بينات﴾ حال ﴿تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر﴾ اى الأنكار اى اثره من الكراهة والعبوس لغيظهم لأباطيل اخذوها ﴿يكادون يسطون﴾ يثبون ويحملون ولتضمّنه معنى يبطشون تعدى بالباء فى ﴿بالذين يتلون عليهم آياتنا﴾ محمّد واصحابه ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم﴾ اى باكره اليكم من القرآن المتلوّ عليكم هو ﴿النار﴾ كانّه جواب سائل قال ما هو ﴿وعدها الله الذين كفروا﴾ جملة مستانفة ﴿وبئس المصير (٧٢)﴾ هى ﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ بين لكم قصّة عجيبة مرتبط بقوله

ويعبدون من دون الله آه فى انّ ذلك يدلّ على نفى تمسّك لهم وهذا على فساد عقلهم وصنيعهم ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ للمثل استماع تفكر هو ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ لا يقدرون على خلقه مع صغره اسم جنس للمذكر والمؤنث واحده ذبابة وجمعه اذبّة وذبان ﴿وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ لخلقه مع جوابه المقدر جملة حالية معطوفة على حال محذوفة اى لن يخلقوا ملتبسين بايّ حال ولو بهذا الحال ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ من الطّيب والزّعفران الملطخون به اذ كانت الذّباب تاكله ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ﴾ يستردّوه ﴿مِنْهُ﴾ لعجزهم فكيف يعبدون ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾ العابد ﴿وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)﴾ والمعبود او الصّنم والذباب كانّه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حقّ معرفته حيث اشركوا به ما هو ادنى شئ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)﴾ غالب ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ تتوسّط بينه وبين الانبياء بالوحى ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ يدعون غيرهم الى الحقّ لما قرّر وحدانيته بيّن انّ له عبادا مصطفين ليتوسطوا بينه وبين الخلق لا استحقاق لهم فى العبادة كما زعموا ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥)﴾ مدرك للأشياء كلّها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما عملوا وما سيعملون ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ اى صلّوا عبّر بهما لانّهما اعظم اركانها ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ بسائر ما تعبّدكم به ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ ممّا يتضمّن الشّفقة على خلق الله كصلة الرّحم ومكارم الاخلاق كانّه تعميم بعد تعميم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧)﴾ ذكر كلمة التّرجى لانّ الانسان لا يخلو من تقصير فيما كلّف به ولا ينبغى ان يثق بعمله وهو حال اى افعلوا ما قلنا راجين الفلاح ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ اى لوجهه الكريم اعدائه الظّاهرة كاهل الزّيغ والباطنة كالنّفس والهوى كما فى حديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر»[1] ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ باستغراق الطّاقة فيه نصب على المصدر واصله جهادا حقّا فيه ولاجله فاضيف الجهاد الى الضمير على الاتساع او لادنى ملابسة واختصاص ثم اضيفت صفته اليه ليفيد

[1] - فيض القدير: ٣/١٤١

انّ المطلوب القيام بواجبه على وجه الكمال ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ اختاركم لنصرة دينه استيناف لبيان علّة الامر بالجهاد ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ اى ضيق بل سهّله عند الضّرورات كالقصر والتّيمم واكل الميتة للمضطّر والفطر للمرض والسفر وغير ذلك من الرّخص عن عمر من رغب عنها حُمِّلَ يوم القيامة مثل بشر حتّى يقضى بين النّاس وعن ابن عبّاس اذا اجتمع امران فاحبهما الى الله ايسرهما ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض الكاف او على الاغراء اى الزموا ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف بيان سمّاه اب الأمّة باعتبار انّه ابّ النّبى عليه السّلام ﴿هُوَ﴾ اى الله ﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل القرآن فى الكتب المتقدّمة ﴿وَفِي هَذَا﴾ القرآن ﴿لِيَكُونَ﴾ متعلّق بسمّاكم ﴿الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ بانّه بلّغكم تبليغا يترتب عليه تصديكم ما جاء به وعدالتكم فهى تزكية لكم فى الحقيقة لا شهادة لنفسه حتى يجاب عن عدم قبولها للنّفس بانّه معصوم ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ انّ رسلهم بلغّتهم وفرّع على الاجتباء والتّسمية الامر بانواع الطاعات البدنيّة والماليّة بقوله ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ وتخصيصهما لشرفهما ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ ثقوا ﴿بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولّى اموركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)﴾ هو بل لا مولى ولا ناصر فى الحقيقة سواه.

* * *

سورة المؤمنون

مكية وهى مائة وثمان أو تسع عشر آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ﴾ للتّحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز بالمطلوب ﴿الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾ متواضعون لله ناظرون دائما الى مسجدهم الاّ عند رفع المسبحة فى الاّ الله اذ يستحب النّظر حينئذ اليها ليجتمع القلب والجوارح على الاقرار بالتّوحيد ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ اى ما لا يعنيهم من قول او فعل ﴿مُعْرِضُونَ (٣)﴾ لاشتغالهم بما يعنيهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤)﴾ مؤدّون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ زوجاتهم صلة حافظون لتضمّنه معنى الامساك والاستثناء مفرغ وقع فى الموجب لاستقامة المعنى ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ اى سراريكم ولاشاعة الملك فى غير العقلاء عبّر بما الموضوعة لهم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦)﴾ فى اتيانهنّ ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ المستثنى كان زنى او استمنا بيده ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧)﴾ الكاملون فى العدوان ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ اى لما يأتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحقّ او الخلق ﴿رَاعُونَ (٨)﴾ قائمون بحفظها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩)﴾ بان يؤدوها فى اوقاتها صدّر الاوصاف وختمها بامر الصّلوة تعظيما لشانها والخشوع فيها غير المحافظة عليها فلا تكرار ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠)﴾ حقا لا غيرهم اطلق الوراثة ثمّ قيّدها تعظيما لشانها مع بيان ما يورثونه بقوله ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ اسم الجنّة او طبقتها الاعلى ولذا انّث الضّمير فى ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) وَ﴾ الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ آدم بدأ بذكر ما يدلّ على وجوده وقدرته الباهرة بعد الامر بالعبادة لانها لا تكون بدون معرفته ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾ خلاصة سلّت من بين الكدر يقال سللت الشئ من الشئ اى استخرجته منه ﴿مِّن طِينٍ (١٢)﴾ متعلّق بها لانّها بمعنى مسلولة

او صفتها او بيانها اى سلالة هى الطّين ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ اى نسله على حذف المضاف ﴿نُطْفَةً﴾ اى خلقناه منها والاّ فلا معنى لجعل الانسان ايّاها بل الامر بالعكس وقيل منصوبة بنزع الخافض كائنة ﴿فِى قَرَارٍ﴾ مصدر سمّى به الرّحم مبالغة اى مستقر ﴿مَكِينٍ (١٣)﴾ حصين وهو صفة النّطفة وصف به محلها مبالغة ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا﴾ جعلنا ولذا تعدى الى اثنين ﴿النُّطْفَةَ﴾ البيضاء ﴿عَلَقَةً﴾ حمراء ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ قطعة لحم ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ بان صلّبناها ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ مما بقى من المضغة او ممّا يصل اليها ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الرّوح فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ تعالى شأنه فى قدرته وحكمته ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾ اى المقدّرين تقديرا حذف للعلم به صفة الجلالة ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥)﴾ صايرون الى الموت لا محالة كما يفهم من الصّفة المشبّهة الدّالة على الثّبوت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ اى سماوات جمع طريقة لانّها طرق الملائكة او طورقت بعضها فوق بعض ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ اى جميع المخلوقات تحتها ﴿غَافِلِينَ (١٧)﴾ بان نتركها فتقع عليهم بل نحفظها عن ذلك ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ من كفايتهم ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِى الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ﴾ اى على ازالته بان نصعده الى السّماء او نعمّقه بحيث يتعذّر استنباطه ﴿لَقَادِرُونَ (١٨)﴾ كما كنا قادرين على انزاله وفى الآية دلالة على انّ المياه كلّها من السّماء وفى الحديث ان سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنّة على جناح جبرائيل واستودعها الجبال لتجرى فى الأرض لمنافع النّاس ترفع عند خروج يأجوج مأجوج الى السّماء كما يرفع القرآن والعلم والحجر الاسود ومقام ابراهيم وتابوت موسى لكن الظاهر ان رفع هذه بعد موت عيسى عليه السلام ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ﴾ بالماء ﴿جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ هما اكثر فواكه العرب ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ فى الجنّات ﴿فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ تتفكهون بها ﴿وَمِنْهَا﴾ من الجنّات ثمارها وزروعها ﴿تَأْكُلُونَ (١٩)﴾ تغذّيا ﴿وَشَجَرَةً﴾ اى شجرة الزّيتون عطف على جنّات ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ﴾ جبل موسى بين المصر

و ايله اضيف الى ﴿سَيْنَاءَ﴾ اسم بقعة غير منصرف للعلميّة والتّأنيث او المجموع علم الجبل كامرأ القيس منع للتّعريف والعجمة وقد يقال له طور سينين ﴿تَنبُتُ﴾ ملتبسة ﴿بِالدُّهْنِ﴾ اى فيها الدّهن ﴿وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ (٢٠)﴾ عطف على الدهن عطف احد وصفى الشئ على الآخر اى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به و يسرج منه وادما يصبغ اللّقمة بغمسها فيه للاكل ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ﴾ الأبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظّة تعتبرون بها ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من اللّبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ فى ظهورها واصوافها واشعارها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١)﴾ اى تنتفعون باعيانها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ على الانعام باعتبار بعضها اى الأبل والبقر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)﴾ فى البر والبحر ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ لمّا بيّن دلائل التّوحيد شرع فى القصص كما هو عادته فى سائر السّور لبيان كفران النّاس النعم ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ استيناف لتعليل الامر بالعبادة ﴿أَفَلاَ تَتَّقُونَ (٢٣)﴾ تخافون عقابه بعبادتكم غيره ﴿فَقَالَ الْمَلأُ﴾ الاشراف ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ لعوامهم ﴿مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ﴾ يتشرّف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بان تكونوا اتباعا له ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ان لا يعبد غيره ﴿لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً﴾ رسلا ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الّذى دعانا اليه نوح من التّوحيد ﴿فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون لأجله يقول ذلك ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ﴾ انتظروه ﴿حَتَّى حِينٍ (٢٥)﴾ الى زمن لعلّه يفيق من جنونه او يموت عليه فنستريح منه ﴿قَالَ﴾ بعد ما ايس من ايمانهم ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦)﴾ اى بسبب تكذيبهم ايّاى بان تهلكهم قال تعالى مجيبا دعاه ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ السّفينة ملتبسا ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه على تشبيه حفظ الله بجماعة الحفّاظ الّذين يسمون عيونا لكون العين اعظم ما يتوسّل به الى الحفظ فكانّهم نفس العيون ﴿وَوَحْيِنَا﴾ امرنا وتعليمنا كيف تصنع ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالرّكوب او نزول العذاب ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ للخبّاز بالماء وكان ذلك علامة لنوح كما فى سورة الهود[1]

---

[1] - آية: ٤٠

﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ اى ادخل فى السّفينة ﴿مِنْ كُلٍّ﴾ اى من كلّ نوع من الحيوانات الّتى تلد من النّطفة او البيض لا الّتى تلد من العفونات ﴿زَوْجَيْنِ﴾ ذكرا وانثى لئلا ينقطع نسلها ﴿اثْنَيْنِ﴾ تاكيد ﴿وَأَهْلَكَ﴾ اى زوجتك واولادك عطف على زوجين ﴿إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالاهلاك وهو ولده كنعان وامّه واعلة فانّهما كانا كافرين واستثناء من سبق آه من اهل بيته يدلّ على انّه تعالى امره بادخال جميع من آمن به وان لم يكن من اهل بيته ولذا اكتفى به عن ذكرهم هنا مع انّه ذكرهم فى الهود وتفصيل القصّة هناك ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالدّعاء لهم بالأنجاء ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧)﴾ استيناف لبيان نهيه عن الدّعاء ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨)﴾ باهلاكهم ﴿وَقُل﴾ عند نزولك من السّفينة ﴿رَبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا﴾ اى انزالا او مكانه ﴿مُبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩)﴾ امره بان يشفع الدّعاء بهذا مبالغة فيه لانّ ثناء المحتاج على الكريم يغنى عن السؤال فاذا اجتمع معه ياكّده وفى امره فقط بالدّعاء مع كون المعلّق به استوائه الجميع اظهار لفضله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ ما فعل نوح وقومه ﴿لآيَاتٍ﴾ دالة على قدرة الله ﴿وَإِن﴾ اى انه ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠)﴾ مختبرين قوم نوح بارساله اليهم ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ قوما ﴿آخَرِينَ (٣١)﴾ هم عاد ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هود ﴿أَنِ﴾ اى بان ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ (٣٢)﴾ عقابه فتؤمنون ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾ اى بالمصير اليها ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ نعّمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣)﴾ منه ﴿وَ﴾ الله ﴿لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٣٤)﴾ تنوين اذا عوض عن الفعل اى ان اطعتموه وهو مع جملته جواب القسم سدّ مسدّ جواب الشّرط ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ﴾ تاكيد للاوّل لطول الفصل بينه وبين خبره وهو ﴿مُّخْرَجُونَ (٣٥)﴾ والجملة فى تأويل المصدر مفعول يعدكم عامل فى اذا وهى هنا لمجرّد الظرفيّة ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ اسم فعل لازم بمعنى الماضى اى بعد الصحة والتّصديق وتكريره للتّاكيد ﴿لِمَا

تُوعَدُونَ (٣٦)﴾ من الأخراج من القبور متعلق بهيهات او بفاعله المضمر المذكور او للبيان بان يكون مفسرا للفاعل المضمر المبهم كما فى ربّه رجلا ﴿إِنْ هِيَ﴾ اى ما الحيوة اضمرها للاشعار بان تعيّنها يغنى عن التّصريح بها ولانّه يدلّ عليها ﴿إِلاَّ حياتُنا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيَى﴾ اى يموت بعضنا ويولد بعضنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ﴾ اى ما الرّسول ﴿إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨)﴾ بمصدقين له فى البعث بعد الموت ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِى﴾ عليهم بانتقامك منهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩)﴾ اى بسبب تكذيبهم ايّاى ﴿قَالَ﴾ تعالى مجيبا لدعائه ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ اى عن قليل من الزّمان فما مزيدة لتاكيد معنى القلّة ﴿لَيُصْبِحُنَّ﴾ ليصيرن ﴿نَادِمِينَ (٤٠)﴾ على التكذيب بمعاينة العذاب ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ اى صيحة هائلة من جبرائيل واستدل بهذا على انّهم قوم صالح اذ هلاك عاد كان بالرّيح لكن روى انّهم لمّا خرجوا مع شدّاد الى جنّته هلكوا بالصّيحة قبل بلوغها وقيل المراد بالصيحة العذاب المستاصل وهو الرّيح ملتبسة ﴿بِالْحَقِّ﴾ اى بالوعد الصّدق فماتوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ وهو ما يحمله السّيل من النّبت اليابس والاوراق البالية ﴿فَبُعْدًا﴾ من المصادر الّتى لم يظهر فعلها فى الاستعمال ولعلّ ذلك لقربه من خيبة ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١)﴾ واللاّم لبيان من دعا عليه بالبعد كما فى لما توعدون ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢)﴾ كقوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ﴾ زائد للاستغراق ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بان تموت قبله ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣)﴾ عنه ذكر الضّمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى واللّفظ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ اى متواترين واحدا بعو واحد من الوتر وهو الفرد والتّاء بدل من الواو والألف للتّأنيث لانّ الرّسل جماعة ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ فى الاهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ جمع حديث او احدوثة وهى ما يتحدث بها تلهيا اى لم يبق منهم الاّ اخبار يتعجّب منها ﴿فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا﴾ التّسع ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥)﴾ حجة واضحة وهى العصا افردها لانّها اوّل المعجزات ويترتب عليها عجائب شتّى ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الأيمان والمتابعة

﴿عَالُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦)﴾ قاهرين بنى اسرائيل بالظلم ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ﴾ ثنّاه لانّه يطلق للواحد كما يطلق للجمع وافرد ﴿مِثْلِنَا﴾ لانّه فى حكم المصدر يطلق للواحد والأثنان والجمع والمذكر والمؤنّث ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ اى بنو اسرائيل ﴿لَنَا عَابِدُونَ (٤٧)﴾ خادمون كالعباد ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٨)﴾ بالغرق فى بحر قلزم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التّورية بعد هلاك فرعون ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ اى قومه بنى اسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ (٤٩)﴾ به من الضّلالة ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ بولادتها ايّاه من غير فحل فالآية امر واحد مضاف اليهما فلم يثنّها ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع وهى بيت المقدس او دمشق او فلسطين ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ اى مستوية يستقرّ عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ (٥٠)﴾ اى ماء جار ظاهر فعيل من معن الماء اذا جرى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ خطاب لجميع الأنبياء لكن لا دفعة بل كلاّ فى زمانه ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ اى المباحات المستلذات ففيه احتجاج على الرّهبانية فى ترك الطيبات ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ من فرض ونفل فانّه النّافع عند ربّكم ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)﴾ فاجازيكم عليه ﴿وَإِنَّ﴾ اعلموا ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ اى ملة الاسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ ملّتكم ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة اى متحدة فى العقائد واصول الشرائع لا فى الفروع ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢)﴾ فى مخالفة الكلمة ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ اتباع الرّسل ﴿أَمْرَهُمْ﴾ اى دينهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ اى جعلوه ﴿زُبُرًا﴾ قطعا جمع زبور الّذى بمعنى الفرقة فتفرقوا الى اليهوديّة والنّصرانيّة وغيرهما ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من الدّين ﴿فَرِحُونَ (٥٣)﴾ لاعتقادهم انّهم على الحق ﴿فَذَرْهُمْ﴾ اتركهم ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ جهالتهم شبّهها بالماء الّذى يغمر القامة لانغمارهم فيها ﴿حَتَّى حِينٍ (٥٤)﴾ اى حين موتهم او قتلهم ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾ اى ما نعطيهم ونجعله مددا لهم ﴿مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥)﴾ بيان لما وخبره ﴿نُسَارِعُ﴾ به ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ اى فيما فيه خيرهم واكرامهم والاستفهام للأنكار ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦)﴾ انّ ذلك استدراج لا مسارعة خير ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ﴾ خوف ﴿رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧)﴾ حذرون ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩)﴾ شركا جليا ولا خفيّا ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾

يعطون ﴿ما آتَوا﴾ ما اعطوا من الصّدقات والأعمال الصّالحة ﴿وَقُلُوبُهُمْ وجلةٌ﴾ خائفة ان لايقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ اى لانّهم ﴿إِلَى رَبِّهِمْ راجِعُونَ (٦٠)﴾ وهو يعلم ما يخفى عليهم ﴿أُولَئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ﴾ اى فى نيل الخيرات الدّنيويّة الموعودة على صالح الاعمال لا اضدادهم الحاسبون انّه يسارع لهم فى الخيرات ﴿وَهُمْ لَها سابِقُونَ (٦١)﴾ اى ينالونها فى الدّنيا قبل الآخرة ﴿وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾ اى قدر طاقتها يعنى ما ذكرنا من الخصال فى وسع الانسان فبادروا لها ﴿وَلَدَيْنا كِتابٌ﴾ اى اللّوح المحفوظ او صحيفة الأعمال ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ اى بما هو الواقع ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٢)﴾ بزيادة عقاب او نقصان ثواب ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ اى الكفرة ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ غفلة ﴿مِنْ هذا﴾ الّذى وصف به هؤلاء او كتاب الحفظة ﴿وَلَهُمْ أَعْمالٌ﴾ خبيثة ﴿مِنْ دُونِ ذلِكَ﴾ متجاوزة لما وصفوا به ﴿هُمْ لَها عامِلُونَ (٦٣)﴾ فاعلون دائما ﴿حَتَّى﴾ غاية غمرتهم او ابتدائية ﴿إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ﴾ متنعّميهم ورؤسائهم ﴿بِالْعَذابِ﴾ القتل يوم بدر او القحط الّذى اصابهم من دعائه عليه السلام عليهم ﴿إِذا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤)﴾ يصرخون لشدّة ما نالهم وهو جواب الشّرط قيل لهم ﴿لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ (٦٥)﴾ تعليل للنّهى اى لانّه لا يلحقكم نصرة من جهتنا فمن ابتدائيّة ﴿قَدْ كانَتْ آياتِي﴾ القرآن ﴿تُتْلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦)﴾ ترجعون قهقرايا اى تعرضون مدبرين عن سماعها ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ اى بالتكذيب او بالبيت بانكم اهله وخدامه وشهرة استكبارهم به اغنت عن سبق ذكره ﴿سامِراً﴾ حال منهم وهو الجماعة الّذين يتحدثون ليلا فانّهم كانوا يجلسون ليلا حول البيت فيطعنو فى النّبى والقرآن ما قال ﴿تَهْجُرُونَ (٦٧)﴾ تتركون القرآن وتمذون فى شأنه ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ القرآن الدّال على صدق النّبى ﴿أَمْ جاءَهُمْ ما لَمْ يَأْتِ آباءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)﴾ من الأمن من عذاب الله فلم يخافوا مثلهم ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ بالصّفات الكاملة النّبوية ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ فلا يبالون به ﴿بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ القرآن اى ليست ضلالتهم مبنيّة على شئ ممّا قلنا بل آه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ (٧٠)﴾ لانّه يخالف

اهوائهم لا كلّهم لانّ منهم من كان عدم ايمانه لخوف طعن قومه فيه كابى طالب او لقلّة فطنته وفكرته لا لكراهة الحقّ ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ بان كان فى الواقع آلهة شتّى ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ لا يلزم من توارد علّتين مستقلّتين على معلول واحد ان اتفقت فى المراد او التّعاوق عنه ان اختلفت فيه كما فى لو كان فيهما آلهة آه ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ اى بالقرآن الّذى فيه وعظهم وشرفهم لكونه بلغتهم فليس فيه ما يكرهونه فهذا مرتبط بقوله واكثرهم للحقّ كارهون ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١)﴾ لا يلتفتون اليه ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ قسيم ام به جنّة ﴿خَرْجًا﴾ جزاء على اداء الرّسالة ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ من الرّزق فى الدّنيا والثواب فى العقبا ﴿خَيْرٌ﴾ لسعته ودوامه ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢)﴾ تقرير لخيرية خراجه ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣)﴾ دين الاسلام الّذى لا عوج فيه حتى يوجب اتّهامهم له ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ﴾ السّوى ﴿لَنَاكِبُونَ (٧٤)﴾ عادلون لانّ خوف الآخرة اقوى باعث على سلوكه وهو منتف فيهم ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ اى قحط اصابهم بمكّة سبع سنين فجاء ابو سفيان يرجو منه ﷺ كشفه فنزلت ﴿لَلَجُّوا﴾ تمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ اى افراطهم فى الكفر وعداوة الرّسول ﴿يَعْمَهُونَ (٧٥)﴾ يتحيرون لخلل فى بصيرتهم واستشهد على مفهوم هذه الشّرطية بقوله ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ يوم بدر ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ تواضعوا من الكون لانّ المفتقر ينتقل من كون الى كون او من السّكون اشبعت فتحته ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦)﴾ اى ليس من عادتهم التّضرع ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ وهو الجوع فانّه اشد من الاسر والقتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧)﴾ آيسون من كلّ خير ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ بمعنى الجمع ﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَا﴾ زائد لتاكيد القلّة ﴿تَشْكُرُونَ (٧٨)﴾ لانّكم لا تصرفونها الى ما خلقت لأجلها حقّ الأصراف ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم وبثّكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩)﴾ تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ لونا وقدرا وتعاقبا ففيه ردّ لنسبته الى الشّمس

﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (٨٠)﴾ بتفكّر انّ الممكنات كلّها منا والبعث من جملتها ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١)﴾ اسلافهم ﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢)﴾ اى هذا محال ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا﴾ اى البعث بعد الموت ﴿مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣)﴾ اكاذيبهم الّتى كتبوها جمع اسطورة بالضّم ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤)﴾ مالكها ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لحكم بديهة العقل بذلك ﴿قُلْ﴾ بعد ما قالوه ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (٨٥)﴾ فتعلمون انّ من قدر على الخلق ابتداء قادر على ايجاده ثانيا بل هو اهون عليه ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ (٨٧)﴾ عقابه فلا تشركوا به شيئا ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ والتاء للمبالغة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ يحمى ويحرس ﴿وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ ولا يحمى عنه ولتضمّنه معنى النّصرة تعدّى بعلى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)﴾ اى فمن اين تخدعون من جانب الشّيطان والهوى فتصرفون عن الرّشد مع ظهور الادلة فعبّر بتسحرون استعارة تبعية من ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ من التّوحيد والوعد بالنّشور ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠)﴾ فى انكاره ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذًا﴾ اى لو كان معه آله فهى للشّرط وتنوينها عوض عن الفعل واجريت مجرى لو فى دخول اللاّم فى جوابها ومتى اجتمعت مع حرف الشّرط فحكمها هذا ايضا فكانّها للتّاكيد والقاضى يجعلها حيث وقعت جوابا للشّرط ويقدره ان لم يذكر كما هنا ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ اى انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بالتّحارب كما هو حال ملك الدّنيا فلم يكن الاشياء مستندة كلّها اليه تعالى واللاّزم باطل بالبديهة فكذا التّعدد الملزوم ويلزم من هذا الدّليل انتفاء الولد ايضا لانّه لو كان لكان الها من جنس والده ولزم المحذور المذكور ﴿سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١)﴾ من الولد والشّريك اذ فسد بالدّليل ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ بالجر صفة ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّ﴾ زيدت ما على ان الشّرطية للتاكيد فاكد الفعل ايضا والمعنى ان كان لابدّ ان ترينى ﴿مَا يُوعَدُونَ (٩٣)﴾ من

العذاب فى الدّارين ﴿رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤)﴾ فاهلك معهم قاله هضما لنفسه ولانّ شوم المسيئين قد يسرى الى غيرهم ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥)﴾ لكنّا نؤخّره لعلمنا بأيمان بعضهم او بعض اعقابهم ففيه ردّ لاستعجالهم العذاب استهزاء به ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ بان تعرض عنها وتحسن فى مقابلتها ما لم يقع وهن فى الدّين ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧)﴾ وساوسهم وحثّهم على المعاصى مستعار من همز الدّابة اى نخسها برأس عود ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)﴾ فى اموری وطاعتى لانّهم انّما يحضرون بسوأ ﴿حَتَّى﴾ ابتدائيّة او غائية متعلّقة بيصفون ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النّار ﴿قَالَ﴾ تحسّرا لما فاته من مقعده فى الجنّة بسبب ترك الأيمان ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩)﴾ ردونى الى الدّنيا والجمع للتّعظيم ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ من الايمان اى لعلّى آتى بالأيمان واعمل فيه ﴿كَلاَّ﴾ ردع عن طلب الرّجعة ﴿إِنَّهَا﴾ اى ربّ ارجعونى ﴿كَلِمَةٌ﴾ بمعنى الكلام ﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾ دائما لتحسّره لكن لا تنفعه صفة كلمة ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ امامهم والضّمير للجماعة ﴿بَرْزَخٌ﴾ حائل من الرّجعة ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)﴾ وهو اقناط كلّى عن الرّجوع الى الدّنيا اذ فى ذلك اليوم رجوعهم الى حيوة الآخرة ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ لقيام السّاعة ﴿فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يفتخرون بها كما يفعلون اليوم ﴿وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ (١٠١)﴾ اى لا يسأل بعضهم بعضا لا لدهشتهم واشتغال كلّ بنفسه لكن يتسائلون بعد الحساب كما فى واقبل بعضهم على بعض يتسائلون ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ موزونات اعماله ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢)﴾ الفائزون ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بان لا يكون لعمله وزن وهم الكفار ﴿فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتضييع استكمالها ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣)﴾ بدل من الصّلة ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ اى تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤)﴾ اى ترتفع شفاههم العلى الى رأسهم وتقع السفلى على صدورهم فتكشف اسنانهم من شدة الاحتراق ويقال لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تخوّفون بها ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥)

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ بمعنى الشّقاوة ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦)﴾ عن الحقّ ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ النّار ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ الى التكذيب ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ﴾ لهم على لسان مالك بعد قدر الدّنيا مرّتين ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا﴾ ابعدوا بعد ذلّة من خسأت الكلب اى زجرته فخسأ اى انزجر ﴿وَلاَ تُكَلِّمُونِ (١٠٨)﴾ فى رفع العذاب او اصلا ﴿إِنَّهُ﴾ اى الشّأن ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾ اى المؤمنين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ هزوا مصدر سخر زيدت فيه ياء النّسبة للمبالغة ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فلما كانوا سبب الانساء نسب اليهم ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)﴾ استهزاء بهم ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على اذاكم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١)﴾ بمطلوبهم استيناف ﴿قَالَ﴾ الله لهم على لسان مالك لما كانوا يقولون لا لبث الاّ فى دار الدّنيا ولا بعث بعد الموت ﴿كَمْ﴾ معمول ﴿لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ على ظهرها وفى القبور ﴿عَدَدَ سِنِينَ (١١٢)﴾ تميز لكُمْ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شكّوا فى ذلك واستقصروه لعظم ما هو فيه من العذاب ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣)﴾ الملائكة الّذين يحصون اعمار الخلق واعمالهم فانّا لا نعرف مثلهم ولا نتذكّر لاشتغالنا بالعذاب ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤)﴾ تصديق لهم فى مقالهم ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ اى تلهيّا لا لحكمة فهو مفعول له ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ (١١٥)﴾ فنجازيكم عطف على انّما خلقناكم ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ من البعث وغيره ممّا لا يليق به ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الّذى يحقّ له الملك مطلقا فانّ ملك غيره عرضىّ ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)﴾ لنسبته الى اكرم الاكرمين ولنزول الاحكام كلّها منه ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ يعبده اشراكا او افرادا ﴿لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة لإلها لا مفهوم لها ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ فيجازيه قدر ما يستحقه ﴿إِنَّهُ﴾ الشأن ﴿لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)﴾ صدّر السّورة بفلاح المؤمنين وختامها بنفى فلاح ضدهم ثم امر رسوله بالدّعاء فقال ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨)﴾

سورة النور

مدنيّة وهى اثنان أو أربع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هذه ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ اى ما فيها من الاحكام فهو من ذكر المحلّ وارادة الحال ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدّلالة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١)﴾ تتعظون باتّقاء المحارم ﴿الزَّانِيَةُ﴾ قدمت هنا على عكس آية السّرقة[1] لانّ الزّنى من شانهنّ كما انها من شانهم ﴿وَالزَّانِي﴾ مبتدان محذوف الخبر اى فيما يتلى عليكم حكمهما وقوله ﴿فَاجْلِدُوا﴾ اضربوا عطف على سبيل التّفسير للحكم او هو الخبر والفاء لتضمّن المبتدأ معنى الشّرط ﴿كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ ان لم يكونا محصنين بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة فى نكاح صحيح اذ حدهما الرّجم كما فى الحديث ﴿مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ضربة مع تغريب سنة كما فى الحديث وعلى الرقيق نصف ما ذكر ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ شفقة ﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾ اى فى حكمه بان تتركوه وتنقصوا منه ولذالك قال عليه السّلام لو سرقت فاطمة بنت محمّد لقطعت يدها وقال ايضا لحدّ يقام فى الأرض خير لاهل الأرض من ان يمطروا ثلاثين صباحا وعدّ المتشفع فى حدّ من الحدود من الملعونين فظهر ان المداهنة فى اقامة الحدود من الكبائر ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ اى يوم البعث فانّ الإيمان يقتضى الأجتهاد فى اقامة الحدود وهذا تحريض على ماقبله الدّال على جوابه ﴿وَلْيَشْهَدْ﴾ يحضر ﴿عَذَابَهُمَا﴾ اى الجلد ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾ ثلاثة او اربعة لزيادة التنكيل بالتفضيح ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ اذلا يرغب الطالح غالبا فى نكاح الصّالحات ولا الصّالح فى نكاح الطالحات فانّ المشاكلة سبب

[1] - سورة المائدة: ٣٨

الالفة والمخالفة سبب النّفرة حق المقابلة ان يقال والزّانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكنّ المراد بيان احوال الرّجال فى الرّغبة فيهن لانّها فى نزل من ارادوا ان يتزوّجوا الزّانيات لينفقن عليهم من كسبهن على عادة الجاهلية ولذا قدم الزّانى ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ تحريم تنزيه ما لم يكن بنيّة من نزلت فيه ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣)﴾ الأخيار ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ يقذفون ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ اى ذوات الحريّة والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزّنا وتخصيصهنّ لخصوص الواقعة وكثرة قذفهنّ والاّ فالمحصنون مثلهنّ ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ على زناهنّ يشهدون بانّا رأينا ذكره فى فرجها كالميل فى المكحلة وانّما خصّ الأربعة فى الزّنا دون غيره تغليظا على المدعى وسترا على العباد وقيل ليكون على كلّ واحد من الزّانيين شاهدان كسائر الحقوق لكنّه ردّ بانّه لا مدخل لليمين فيه فليس كسائر الحقوق ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ اى كل واحد منهم ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾ فى شئ ﴿أَبَدًا﴾ ما لم يتوبوا ﴿وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)﴾ لاتيانهم كبيرة ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ عن القذف ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم بالاستسلام للحدّ او الاستحلال عن المقذوف اذ به تمام التّوبة ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ علّة للاستثناء ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ بالزّنا ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ﴾ عليه ﴿إِلاَّ أَنفُسُهُمْ﴾ بدل من شهداء او صفة على انّ الاّ بمعنى غير وقع ذلك لهلال بن اميّه ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦)﴾ فيما رمى به زوجته من الزّنا ﴿وَ﴾ الشّهادة ﴿الْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧)﴾ فى الرّمى هذا لعان الرّجل ويسقط به حدّ القذف عنه وتحصل الحرمة الأبديّة بينهما وينتفى الولد عنه ان تعرض له فيه ويثبت حدّ الزّنا على المرأة ﴿وَيَدْرَأُ﴾ يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ اى الجلد الّذى ثبت من لعانه ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨)﴾ فيما رماني به من الزّنا ﴿وَ﴾ الشهادة ﴿الْخَامِسَةَ﴾ عطف على اربع اذ هو نصب على المصدر ﴿أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)﴾ فى ذلك ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالسّتر فى ذلك ﴿وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ﴾ يقبل التّوبة فى

ذلك وغيره ﴿حَكِيمٌ (١٠)﴾ فيما حكم به وجواب لو محذوف للتّعظيم اى لفضحكم وعاجل بالعقوبة من يستحقّها ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُ بِالْإِفْكِ﴾ اسوء الكذب وابلغه على عايشة امّ المؤمنين استصحبها عليه السّلام فى غزوة لخروج القرعة لها كما كانت عادته فى من خرج له القرعة من نسائه فلماّ رجع منها ودنا من المدينة وامر ليلة بالرّحيل فمشت لقضاء الحاجة فلماّ عادت وجدت ان عقد خرزها قد انقطع فرجعت لتلتمسه فحمل قائدها هودجها على ابلها ظنّا انّها دخلته فرجعت فلم تجد احدا فجلست كى يرجع اليها احد من القوم وكان صفوان بن المعطّل السلمى قد نزل ليلا للاستراحة فلماّ اتى منزلها اناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش بلا تكلّم منه ومنها فاتّهمت به ﴿عُصْبَةٌ﴾ كائنة ﴿مِنْكُمْ﴾ خبر انّ اى جماعة من المؤمنين عبد الله ابن ابىّ ايمانه كان ظاهرا فقط وزيد بن رفاعة وحسان ابن ثابت ومسطح وحمنة بنت جحش ومن تابعهم ﴿لاَ تَحْسَبُوهُ﴾ اى الأفك ايها المؤمنون غير العصبة ﴿شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ اذ حصل لكم به الثواب العظيم وظهرت كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشر آية فى برائة امّكم ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ جزاء ﴿مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ فى ذلك ﴿وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ معظمه ﴿مِنْهُمْ﴾ اى من الخائضين وهو عبد الله بن ابىّ فانّه خاض فيه واشاعه عداوة له عليه السّلام ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١)﴾ فى الدّارين فانّه صار مطرودا مشهورا بالنّفاق وجلدوا جميعا ﴿لَوْلاَ﴾ هلا ﴿إِذْ﴾ حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾ ايّها العصابة ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ اى بعضهم ببعض اى ظننتم بانفسكم ففيه التفات الى الغيبة للتوبيخ ﴿خَيْرًا وَقَالُوا﴾ اى قلتم ﴿هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢)﴾ اى كذب بين ﴿لَوْلاَ جَاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِنْدَ اللهِ﴾ اى فى حكمه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣)﴾ من جملة المقول تقرير لكونه كذبا فانّ ما لا حجة عليه كذب عند الله ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِى الدُّنْيَا﴾ بانواع النّعم وامهالكم للتّوبة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالعفو والمغفرة المقدّران لكم ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ ايّها العصابة عاجلا ﴿فِى مَا أَفَضْتُمْ﴾ خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤)﴾

يستحقر دونه اللّوم والجلد ﴿إِذْ﴾ ظرف لمسكم او افضتم ﴿تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ اى ياخذه بعضكم من بعض حذفت تاء التفعّل تخفيفا ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ لا اثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ (١٥)﴾ فى الاثم ﴿وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغى وما يصحّ ﴿لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ للتّعجب ممّن يقول ذلك او للتّنزيه لله من ان تكون زوجة نبيّه فاجرة فانّ فجورها ينفرّ من يدعوا الى الدّين عنه فيفوت ماهو المقصود من ارساله بخلاف كفرها فجاز ان تكون زوجة النّبى كافرة كأمرأة نوح ولوط لا فاجرة ﴿هَذَا بُهْتَانٌ﴾ كذب ﴿عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللهُ﴾ كراهة ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧)﴾ فانّ الأيمان يمنع عنه ﴿وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدّالة على الشّرايع والادب ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ بالأحوال كلّها ﴿حَكِيمٌ (١٨)﴾ فى تدابيره فكيف يقدّر نبيّه على الكشخنة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ﴾ تنتشر ﴿الْفَاحِشَةُ﴾ وهم كالعصابة ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بان ينسبوها اليهم ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بالحدّ للقذف ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنّار لحق الله ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ مافى الضمائر فيجازى عليها ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (١٩)﴾ فعاقبوا فى الدّنيا على مادلّ عليه الظّاهر ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ كرّره للدّلالة على عظم الجريمة ولذا عطف على حصول فضله ورحمته قوله ﴿وَأَنَّ اللهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (٢٠)﴾ وحذف الجواب للاستغناء عنه بذكره مرّة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ اى تزييناته و وساوسه باشاعة الفاحشة ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ المتبع ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ اى القبيح ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ شرعا ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى﴾ طهر مما قلتم ايّها العصابة بالتّوبة ﴿مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ من الذّنوب بقبول توبته ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالهم ﴿عَلِيمٌ (٢١)﴾ بنيّاتهم ﴿وَلاَ يَأْتَلِ﴾ يحلف ﴿أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ فى الدّين ﴿وَالسَّعَةِ﴾ فى المال وهو ابوبكر حلف ان لا ينفق على مسطح بعد ما خاض فى الأفك وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا﴾ ما فرط منهم

﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ بالاغماض عنه ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ على احسانكم الى من اساء اليكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)﴾ مع كمال قدرته فتخلّقوا باخلاقه فقال ابوبكر احبّ ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح نفقته ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفيفات ﴿الْغَافِلَاتِ﴾ عن الفواحش لا يقع فى قلوبهنّ فعلها ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله على وجه يستلزم الكفر من استباحة عرضهن والطّعن فى الرّسول ولم يتوبوا كابن ابىّ فلا ينافى مامر من قوله: ﴿الاّ الّذين تابوا﴾ آه فى حق القاذفين ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ كما طعنوا فيهنّ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣)﴾ لعظم ذنوبهم ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ ظرف لما فى لهم من معنى الفعل ﴿أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)﴾ من قول او فعل تنطق بغير اختيارهم ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ﴾ جزائهم ﴿الْحَقَّ﴾ الواجب عليهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)﴾ الثّابت الظاهر الألوهية ينتقم من الظّالم لا محالة ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ من النّساء والأقوال ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من النّاس ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾ من النّاس ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ ممّا ذكر ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾ مما ذكر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من النّاس ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ منهم ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ ممّا ذكر اى كلّ لائق لمثله ﴿أُولَئِكَ﴾ الطيّبون والطّيبات من النّاس ومنهم عايشة وصفوان رضى الله عنهما ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ الخبيثون والخبيثات من النّاس فيهم ﴿لَهُمْ﴾ للمبرّئين ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ التى تسكنوها ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ اى تستأذنوا من الاستيناف بمعنى الاستعلام ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ بان يقول السّلام عليكم ادخل ثلث مرّات فان اذن له دخل والاّ رجع كما فى الحديث ﴿ذَلِكُمْ﴾ الاستيذان ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الدّخول بغيره حتّى امر عليه السّلام بالاستيذان على الامّ اذ ربّما تكون عريانة انزل عليكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ اى يأتى من يأذن ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ﴾ بعد الاستيذان ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ﴾ الرّجوع ﴿أَزْكَى﴾ اطهر ﴿لَكُمْ﴾ من الوقوف على الباب وترك المروّة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخول باذن وغيره ﴿عَلِيمٌ (٢٨)﴾ فيجازيكم عليه ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ

جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ كالرّبط والخانات ﴿فِيهَا مَتَاعٌ﴾ منفعة ﴿لَكُمْ﴾ من الاتقاء من الحرّ والبرد وحفظ الامتعة والجلوس للمعاملة استثناء من الحكم السّابق لعمومه ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩)﴾ فى دخولكم من صلاح او تطلع على عورات ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا﴾ يطبقوا بعضا ﴿مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ وهو ما تعلّق بالحرام وتبعضها باعتبار تبعّض المبصرات وعند الأخفش من زائدة ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ الاّ على ازواجهم او ماملكت ايمانهم ولما كان المستثنى من الفرج هذان فقط لم يقيّد بمن التّبعيضيّة بخلاف الغضّ فان المستثنى منه كثير ﴿ذَلِكَ أَزْكَى﴾ اطهر وانفع ﴿لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)﴾ بالجوارح فليحذروا منه فى كلّ حركة وسكون ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما يحرم نظره من العورات قدّمه فى الموضعين لانّ النّظر بريد الزّنا ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما يحرّم فعله بها ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ جمع خمار وهو ما تغطى به راسها ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ سترا لرأسهنّ والأعناق ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية وهى ماعدا الوجه والكفّين ﴿إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ فانّها لهم فلهم النظر الى جميع بدنهنّ حتى الفرج بكره لانّه يوجب العمى فى العين والقلب ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ اذ لا فتنة لتنفر الطّباع عن مماسة القرائب فلهم النظر الى ما يبدوا عند الخدمة ما عدا ما بين السّرة والركبة ولم يذكر الأعمام لانّهم فى معنى الاخوان ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ اى النّساء الّتى من جنسهنّ اسلاما فالأضافة لادنى ملابسة وخرجت الكافرات اذ تفشى سرهنّ للرّجال ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من الاماء والعبيد فهم كالمحرم فى حقّ السّيدات ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ لهنّ ﴿غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ﴾ اصحاب الحاجة الى النّساء ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ الشيوخ الهرم والممسوحون والمجبوبون والمخصّيون ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ اى الاطفال بقرينة ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ يطلعوا ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ لعدم تميزهم وقدرتهم على الجماع فهم كالمحرم ان تأتى منهم الحكاية والاّ فكالعدم ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ على نحو الأرض ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ من نحو

خلخال يقعقع فانّ ذلك يورث ميلا فى الرّجال وصوت نفسها اولى بالتّحريم من هذا انّ النذّ به او خشى فتنة والاّ فهو ليس بعورة ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيّما فى الكفّ عن الشّهوات وفيه تغليب الذّكور ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ تنجون من ذلك بقبول التّوبة منهم ﴿وَأَنْكِحُوا﴾ ايّها الاولياء والسّادة ﴿الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ مقلوب ايايم جمع ايم كيتامى مقلوب يتايم جمع يتيم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ اى المؤمنين خصّهم لانّ الأهتمام بشانهم اهم ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ اى لا يمنعنّ فقر الخاطب او المخطوبة عن المناكحة فانّ فى فضل الله غنية عن المال ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ ذو سعة لا تنتهى نعمه ﴿عَلِيمٌ (٣٢)﴾ يرزق على ما يقتضيه حكمته من كثير او قليل ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ اى وليجتهد فى العفّة عن الزّنا ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ ما ينكحون به من مهر ونفقة ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ فيجدوا ما يتزوّجون به ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿الْكِتَابَ﴾ اى المكاتبة على مال ليعتق اذا ادّاه سمى به لانّ العبد يكتب على نفسه المال والسّيّد العتق ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والأماء ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ ندبا خبر الّذين ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ امانة وقدرة على الكسب واداء المال ﴿وَآتُوهُمْ﴾ وجوبا يا ايّها السّاداة ﴿مِن مَّالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ ما يستعينون به فى اداء ما التزموه لكم ولو اقلّ ما يتموّل وفى معنى الايتاء حطّ شئ ممّا التزموه او امر لعامة المسلمين ان يعطوهم من الزّكوة ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ امائكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ الزّنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعفّفا عنه وهذه الأرادة محلّ الاكراه وشرط له فلا مفهوم للشّرط وان جعلت شرطا للنّهى لم يلزم من عدمها جواز الاكراه اذ لا يتصوّر حينئذ اكراه حتّى ينهى عنه وفى الاتيان بان التّشكيكيّة دون اذ التّحقيقيّة تقبيح لحالهنّ بانّ ارادة التّحصن منهنّ نادر ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نزلت فى عبد الله بن ابىّ كان يكره جوارى الستّ له على الكسب بالزّنا ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣)﴾ لهنّ والأكراه وان كان مسقطا للاثم لكن لا

ينافى المؤاخذة بالذات فاحتاج الى المغفرة ﴿ولقدْ أنزلْنا﴾ فى هذه السورة ﴿إليْكُمْ آياتٍ مُبَيِّناتٍ﴾ واضحات تصدقها العقول المستقيمة ﴿ومثلًا﴾ خبرا عجيبا وهو خبر عايشة ﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ اى من جنس امثالهم واخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ اى ما يوعظ به فى تلك الآيات ﴿لِلْمُتَّقِينَ (٣٤)﴾ وتخصيصهم لانّهم المنتفعون ولمّا وصف نفسه بانزال آيات مبيّنات وقصة عجيبة متضمنة لمواعظ ينتفع بها المتّقون عقّبه بما يدلّ على كمال لطفه على خلقه فقال ﴿اللهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ اى منوّرهما بالكواكب النّيرات او العالم العلوى بالملائكة والسفلى بالأنبياء فانّهما يشبهان النّور الّذى هو عبارة عن كيفيّة تدركها الباصرة اوّلا وبواسطتها سائر المبصرات كما لهكواكب والسّراج فى كونهما سبب الأدراك والاشراق على القلوب فسمّيا به ككلّ ما يشابهه ؛ هذه السّببيّة من الباصرة الّتى يدرك الاشياء والبصيرة الّتى هى القوّة العاقلة الّتى تدرك نفسها وغيرها من الكلّيات والجزئيات والقرآن الّذى يرشد ذوى القوى العاقلة ويصلونها عن الزّيغ والخلل او مظهرهما وموجدهما من العدم بكمال القدرة الأزليّة فهو كالنّور بالنّسبة اليهما لانّ الوجود اصل الظّهور الّذى يتّصف به النّور الظاهر بنفسه المظهر لغيره والّذى يدلّ على انّ اطلاقه عليه لا يخلوا عن تأويل اضافته اليه فى قوله ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ اى صفته العجيبة الشّأن مبتدأ خبره ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ اى كصفتها على حذف المضاف وهى الكوة الغير النّافذة والجملة تفسير لما قبلها كان المناسب دخول الكاف على المصباح لانّه هو منبع النّور لكن دخوله عليها بمنزلة دخوله عليه لاشتمالها عليه وقيل المعنى على القلب اى كمصباح فى المشكاة والتّشبيه بما دون الشّمس مع كونها انور لانّ المناسب للمثل الآتى التّشبيه بما يلوح فى الظّلمة لا بما تنعدم الظلمات عند وجوده ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج ﴿الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ قنديل من الزّجاج ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ مضئ يتلألأ كالزّهرة منسوب الى الدّر اللّؤلؤ مبالغة فى استنارته ﴿يُوقَدُ﴾ المصباح ﴿مِنْ﴾ زيت ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ ولتفخيم شأنها ابهمها ووصفها بالبركة ثم ابدل عنها ﴿زَيْتُونَةٍ﴾

خصّها لكثرة نفعها ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ تقع عليها الشّمس فى بعض الأحيان بل على قلة او صحراء واسعة تقع عليها طول النّهار او فى وسط المعمورة وهو الشّام فانّ زيتونه اجود ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لصفائه حذف جوابه بقرينة ما قبله ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ اى متضاعف فانّ نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزّيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعّته ولما لم يخلو التّشبيه عن مشبّه ومشبّه به فاختلفوا فى تعيين المشبّه ههنا فذهب جمهور المتكلّمون الى انّه هدى الله الدّال عليه الآيات البيّنات والمعنى انّها قد بلغت فى الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصارت بمنزلة المشكاة المنعوتة وقيل انّه امور متعدّدة فالزّجاجة الرّوح والمصباح نورها والمشكاة الفواد وشجرة الزّيتون الهداية والإيمان هو لا شرقيّ ولا غربيّ بل من منبع الفضل الالهى الأبدىّ الأزلىّ وهو المعنى من قوله ﷺ: «انّ الله خلق الخلق فى ظلمة ثمّ رشّ عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النّور اهتدى ومن اخطأه ذلك النّور ضلّ او المشكاة البشريّة لكثافتها والمصباح التوحيد لاضائته على ما يجاوره والزّجاجة القلب للطافته والشجرة الطريقة المحمديّة لا شرقية ولا غربية مائلة الى دين من الأديان» وقال الغزالىّ انّه القوى الخمس الدّراكة المرتبة الّتى منوط بها المعاش والمعاد لكنّه سماها الأرواح الخمسة فقال المشكاة الرّوح الحسّاس اى الحس المشترك الّذى يتلقّى ما تورده الحواس الخمس الظاهرة فهو كالمشكاة فى ان انواره خارجة من عدة ثقب غير نافذة كالكوى نحو العينين والمنخرين وغيرهما ووجهه الى الظاهر لا يدرك ما ورائه وهو موجود للصبى الرضيع ايضا والزّجاجة الرّوح الخيالى اى القوة الخياليّة الّتى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوّة العقلية متى شاأت فهو كالزّجاجة الّتى تحفظ نور المصباح من الانطفاء ولا تحجبه عمّا حوله وهى توجد للحيوانات ايضا والمصباح الرّوح العقلىّ اى القوّة العاقلة الّتى تدرك المعانى الكلية الخارجة عن الحس والخيال فهى مضيئة فى هذا الأدراك كالمصباح ولا توجد فى غير الانسان والشجرة المباركة الرّوح الفكرىّ اى القوّة المفكّرة الّتى تؤلّف المعقولات لتستنتج منها ما لم تعلم من المعارف الشّريفة ولا تزال

تؤلف بين النّتائج الى ان تؤدّى الى ثمرات لانهاية لها كالشّجرة الزّيتونة الّتى لا نهاية لمنافعها فهى لا شرقية ولا غربية لتجردها عن اللّوافح الجسميّة او لوقوعها بين الصّور والمعانى متصرفة فى القبيلين والزّيت الرّوح القدسىّ اى القوّة القدسيّة الّتى يتجلّى بها لوائح الغيب واسرار الملكوت وهى مختصّة بالأنبياء والأولياء فهى كالزّيت من حيث انّها لزكوئها تكاد تضئ من غير تفكّر ولا تعليم ولا يخفى ان ظاهر الآية الكريمة تشبيه النّور الّذى نوّر به السّموات والأرض بالمشكاة المنعوتة وانّ هذه معان باطنيّة لها كما فى الحديث انّ للقرآن ظاهرا وباطنا ولكلّ منهما حدّ ومطلع فالاقتصار على الظّاهر وانكار الأسرار الباطنيّة مذهب الحشويّة كما انّ ابطال الظّواهر والاقتصار على البواطن مذهب الباطنيّة فهما نظرا بالعين العوراء الى احد العالمين ولم يعرفوا الموازنة بينهما وامّا الكامل فهو من يجمع بينهما لكن المعنى الباطنى ليس مرادا من نصّ القرآن بل مأخوذ من غرضه يوفّق الله من يشاء لأخراجه منه كما اخرجوا من قوله وانزل من السّماء ماء فسالت اودية بقدرها انّ الماء هو المعرفة والاودية القلوب مع عدم انكار الماء واسالة الاودية حقيقة وامثلته لا تحصى ﴿يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ﴾ المذكور ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ ادناء للمعقول من المحسوس ليفهموا ويعتبروا فيؤمنوا ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)﴾ معقولا او محسوسا ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ﴾ بناء او تعظيما وهى المساجد ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ سواء كان بالتّوحيد او بمباحثة افعاله واحكامه متعلّق بيوقد او صفة مشكاة على انّ المراد بها وبما بعدها النّوع فيكون التقييد به مع الغنية عنه باقى القيود زيادة تحسين فى المشبه به فانّ قناديل المساجد تكون اعظم واحسن او بقوله ﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾ اى ينزّه او يصلّى وتكرير ﴿فِيهَا﴾ للتّاكيد ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ مصدر اطلق للوقت الّذى قبل طلوع الشّمس ولذا وقع فيه الفعل وحسن مقابلته مع قوله ﴿وَالْآصَالِ (٣٦)﴾ جمع اصيل وهو مابعد العصر الى المغرب ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل يسبّح ﴿لاَ تُلْهِيهِمْ﴾ تشغلهم ﴿تِجَارَةٌ﴾ معاملة رابحة ﴿وَلاَ بَيْعٌ﴾ خصّه بالذّكر للاهتمام لانّ الرّبح يتحقق به ويتوقع بالشّرى ﴿عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ﴾

حذفت تاء المصدريّة تخفيفا لاقامة الاضافة مقامها ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ﴾ مع ما هم فيه من الطّاعة ﴿يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ الْقُلُوبُ﴾ من توقع النجاة وخوف الهلاك ﴿وَالْأَبْصَارُ (٣٧)﴾ من اىّ ناحية يؤخذ بهم ويؤتى بكتابهم ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ متعلّق بيسبّح او يخافوا ﴿أَحْسَنَ﴾ جزاء ﴿مَا عَمِلُوا﴾ اى الجنة ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)﴾ اى يوسّع فيه حتّى كانه لا يحسب ما ينفقه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ﴾ الّتى يعدّونها صالحة نافعة لهم عند الله ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ بمعنى القاع وهو الأرض المستوية اى كشعاع يرى فيها نصف النّهار من شدّة الحرّ يشبه الماء الجارى ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ﴾ اى العطشان ﴿مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ ممّا حسبه كذلك لا يجدون اعمالهم نافعة يوم القيامة ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ اى عند عمله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ اى جازاه عمّا حسبه خيرا شرّا ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)﴾ لا يشغله حساب عن حساب ﴿أَوْ﴾ للتنويع اعمالهم السّيئة ﴿كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ عميق منسوب الى اللّج وهو معظّم الماء ﴿يَغْشَاهُ﴾ اى البحر ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ اى امواجه متراكمة ﴿مِنْ فَوْقِهِ﴾ اى الموج الثّانى ﴿سَحَابٌ﴾ غطّى النّجوم هذه ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ﴾ النّاظر ﴿يَدَهُ﴾ وهى اقرب مايرى اليه ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ اى لم يقرب ان يريها فضلا عن ان يريها ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠)﴾ اى من يهده الله لم يهتد ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم علما يشبه المشاهدة فى اليقين فهو من رأية القلب لانّ تسبيح المسبّحين لا يتعلّق به رأية البصر والاستفهام للتقرير اى قد علمت بالوحى والاستدلال ﴿أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ﴾ بلسان القال والحال وهو الدّلالة على تنزّهه او القال فقط على ما قيل من انّ لكلّ شئ حتى الجمادات تسبيح مقالىّ ﴿مَنْ﴾ غلّبت على غير العقلاء ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ﴾ خصّها بالذكر لما فيها من الصّنع الدّال على كمال القدرة ولذلك قيّدها بالحال وهو ﴿صَافَّاتٍ﴾ اى باسطات اجنحتهنّ فانّ فى وقوف احرامها الثّقيلة فى الجوّ ببسط الأجنحة حكمة باهرة ﴿كُلٌّ﴾ ممّا ذكر ﴿قَدْ عَلِمَ﴾

الله او هو ﴿صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فانّه الخالق لهما ولما فيهما من العجائب ومدبّرهما ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ (٤٢)﴾ مرجع الجميع ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ اى بين قطعه بان يضم بعضها الى بعض ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ اى المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ اى الغمام اذ كلّ ما علاك فهو سماء ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾ اى قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها بدل اشتمال بأعادة الجار ﴿مِن بَرَدٍ﴾ بيان للجبل والمفعول محذوف اى بردا هذا جرى على ما هو المشهور عند الحكماء من ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يتخلّلها حرارة فبلغت الطّبقة الباردة من الهواء اجتمعت وصارت سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد ووصل الى الأجزاء البخاريّة قبل انعقادها سحابا نزل ثلجا والاّ نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فيصير كالبخار فيما قلنا وعندهم بهذا البرق والصّاعقة متولّدان من هذا السّحاب ولا بعد فيه من حيث انّه مسند الى ارادة الله وقدرته لكنّ الصّحيح الّذى جرى عليه اهل التّفسير والحديث انّ المطر ينزل من بحر الحيوة فى السماء السّابع والبرد والثلج من جبال السّماء اذ فيها جبال من برد كما فى الأرض جبال من حجر والغيم علامة لذلك والبرق والصاعقة من الملك كما مرّ فى البقرة ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ اى بالبرد ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ لمعانه ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣)﴾ النّاظر له ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ بالمعاقبة بينهما وسائر احوالهما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً﴾ لدلالة على وجود الصّانع القدم ﴿لأُوْلِي الْأَبْصَارِ (٤٤)﴾ لأصحاب البصائر ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ حيوان يدبّ على الأرض ﴿مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيّة سمّى الزّحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالانسان والطّير ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب فانّ اعتمادها فى المشى على اربع ذكّر الضّمير مع رجوعه الى الدّابة لتغليب العقلاء فعبّر عن الأصناف بمن على وفقه ﴿يَخْلُقُ اللهُ

مَن يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)﴾ فيفعل ما يشاء ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا﴾ اليكم ﴿آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ للحقائق بانواع الدّلائل وهى القرآن ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ بالتّوفيق للنّظر فيها ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٦)﴾ اى دينه الاسلام ﴿وَيَقُولُونَ﴾ اى المنافقون ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ لهما ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يعرض عن قبول الحكم ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ وهو بشر خاصم يهوديّا ولم يرض بالتحاكم الى رسول الله ولمّا تحاكما اليه لم يرض بحكمه فنزلت ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ القول ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ﴾ القائلين كلّهم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الرّسول وذكر الله لتعظيمه والدّلالة على انّ حكمه حكمه فى الحقيقة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨)﴾ عن المجئ اليه اذا كان الحقّ عليهم ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ﴾ اى الحكم ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩)﴾ مسرعين طائعين ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر او ميل الى الظّلم ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾ بان رأوا منك تهمة فزال اعتقادهم بك ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ فى الحكم اى يظلماهم فيه وام فى الموضعين متّصلة لمساوات الاحتمالات فى سببيّتها للاعراض عن المحاكمة اليه ﷺ وقوله ﴿بَل أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)﴾ اضراب لأبطال القسمين الأخيرين وتحقيق الأوّل لها ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ اى القول اللاّئق بهم ﴿أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا﴾ الدّعاء ﴿وَأَطَعْنَا﴾ بالأجابة ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ حينئذ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما يأمرانه ﴿وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ على ما صدر عنه من الذّنوب ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما بقى من عمره ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)﴾ بالنعيم المقيم ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غايتها حال من فاعل اقسموا كانّه قيل جاهدين ايمانهم ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالجهاد ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ جواب للقسم على الحكاية ساد مسدّ جواب الشّرط ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا﴾ على الكذب ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ للنّبى خير من قسمكم الكاذب ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣)﴾ من الطّاعة قولا والمخالفة فعلا ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية عنه بقرينة ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ حيث لم يقل واطيعونى لكنه تعالى عبّر عن نفسه بلفظ الغيبة ايماء الى

وجوب طاعته عليهم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ اى على محمّد ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من التّبليغ ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ الى الحقّ ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ (٥٤)﴾ التّبليغ الموضح ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ للبيان ان كان الخطاب للرّسول ومن تابعه وللتّبعيض ان كان له وللامة ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بدل الكافرين جواب للوعد لانّه منه تعالى بمنزلة القسم ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من بنى اسرائيل بعد الجبابرة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ وهو الاسلام بان يظهره على جميع الأديان ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ فى مكّة من الكفّار ﴿أَمْنًا﴾ وقد انجز وعده بعد ما هاجروا الى المدينة فاظهرهم على كلّ العرب ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ استيناف لبيان ما يوجب الاستخلاف والأمن ﴿لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ حال من واو يعبدونى ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الانعام بان ارتدّ او جحد هذه النّعم ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾ واوّل من كفر بهذه النّعم وجحد حقّها قتلة عثمان فغيّر الله امنهم بالخوف فصاروا يقتلون بعد ان كانوا اخوانا ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦)﴾ عطف على اطيعوا الله لانّ الفاصل اى وعد الله آه من تمّة المعطوف عليه لانّه وعد عليه وتكرير الأمر بطاعة الرّسول للتّاكيد وتعليق الرّحمة بها كما علّق بها الهدى فى ان تطيعوه تهتدوا او على يعبدوننى عطف خاص على عام للشرف على انّه التفات ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ﴾ يا محمّد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ لنا عن اهلاكهم وادراكهم ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ عطف عليه من حيث المعنى اى ليسوا معجزين ومأواهم النّار ﴿وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)﴾ هى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ﴾ فى الدّخول ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والاماء فيه تغليب الذّكور بقرينة انه نزل فى غلام اسماء بنت ابى مرثد حيث دخل عليها فى وقت كرهته والامر بالأستيذان وان كان للمماليك والأطفال لكنه فى الحقيقة للمؤمنين ان يمنعوهما من الدخول عليهم بقرينة ندائهم اوّلا رجع الى تتمّة الاحكام السّابقة بعد الفراغ عن الالهيّات الدّالة على وجوب

الطّاعة فى تلك الاحكام ﴿و﴾ الصّبيان ﴿الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ عبّر عن البلوغ بالاحتلام لانّه اقوى دلائله ﴿مِنْكُمْ﴾ من الاحرار ان عرفوا امر النّساء ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ اى فى ثلاث اوقات فسرها بقوله ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ لانّه وقت طرح ثياب النّوم ولبس ثياب اليقظة ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ للقيلولة ﴿مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ اى وقت الظّهر بيان للحين ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ لانّه وقت التجرّد عن الثّياب ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ خبر محذوف حذف منه المضاف واقيم مقامه اى هذه اوقات ثلث خلالات بتستّركم ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ اى بعد هذه الاوقات فى ترك الاستيذان كما ترى هذا مخصوص بالصبيان والمماليك فليس بناسخ لما مرّ من وجوب الاستيذان فى جميع اوقات الدّخول لانّه فى الاحرار البالغين هم ﴿طَوَّافُونَ﴾ اى كثير الدّخول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ للخدمة استيناف لبيان العذر المرخص فى ترك الاستيذان بعد الاوقات الثلثة ﴿بَعْضُكُمْ﴾ طائف ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ والجملة مؤكّدة لما قبلها ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التّبيين ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ اى الأحكام ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ باحوالكم ﴿حَكِيمٌ (٥٨)﴾ فيما يشرع لكم ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ﴾ اى من جنسكم حرية فخرج المماليك البالغة فلا يجب عليهم الأستيذان فى الدّخول على سيداتهم الاّ فى الاوقات الثلثة المتقدمة ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ فى جميع اوقات الدّخول استيذانا ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأحرار البالغين ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)﴾ كرّره تاكيدا ومبالغة فى الامر بالاستيذان ﴿وَالْقَوَاعِدُ﴾ اى اللاّتى قعدن عن الحيض والولد لبكرهنّ مبتدأ و ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ حال من المستتر فيه و ﴿اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ صفته ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ الظاهرة من نحو جلباب خبر المبتدأ والفاء لتضمّنه معنى الشّرط ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾ مظهرات حال ﴿بِزِينَةٍ﴾ امر بخفائها كقلادة وسوار ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بان لا يضعنها ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ لبعده من التّهمة ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهن للرّجال ﴿عَلِيمٌ (٦٠)﴾ بمقصودهنّ ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ فى

مواكلة الأصحاء وان تأذوا منهم باكل الاعمى من امام رفيقه وتضييق الأعرج على جليسه وكراهة ريح المرض ﴿ولا﴾ حرج ﴿على أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾ اى بيوت من هم فى حكم انفسكم لشدّة الاتّصال بينكم وبينهم كالاولاد والازواج ونحوهما ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ وهو ما يكون تحت تصرفكم وكالة او حفظا ﴿أَوْ﴾ بيوت ﴿صَدِيقِكُمْ﴾ وهو من صدقكم فى مودّته يطلق على الواحد والجمع لكن اذا علم رضائهم او كان اول الاسلام فنسخ فلا دلالة فيه على عدم القطع فى سرقة مال المحرم ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ اى مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين جمع شتت نزلت فيمن تحرجوا عن الاكل منفردا حتّى تركوه ان لم يجدوا من ياكل معهم او فيمن تحرجوا عن الاجتماع على الاكل لاختلاف الآكلين فى قلة الاكل وكثرته ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ من البيوت المذكورة ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ اى على اهلها الّذين منكم دينا وقرابة او على انفسكم حقيقة ان لم يكن بها احد بان تقولوا السّلام علينا وعلى عباد الله الصّالحين فانّ الملائكة تردّ عليكم وهذا حكم من دخل المساجد ايضا ﴿تَحِيَّةً﴾ مفعول مطلق ليسلّموا من غير لفظه لاتّحادهما معنى ثابتة مشروعة ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً﴾ لانّها يرجى بها زيادة العمر والثّواب ﴿طَيِّبَةً﴾ يطيب بها النّفس المستمع ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ كرّره ثالثا لمزيد التّاكيد وليترتّب عليه ما هو المقصود منه اعنى قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)﴾ احكامه كما رتّب على الاولين ماهو المقتضى له اعنى قوله والله عليم حكيم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ اى الرّسول ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ اى سبب الجمع كالجمعة والحروب والمشاورة ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ فياذن لهم فانّه مصداق على صحة الأيمان ودافع للحرج فى الذّهاب من مجلسه بغير اذن ولذا اعاده على وجه ابلغ بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ ما يعرض

لهم من المهمّات ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ﴾ بعد الأذن لانّ الاستيذان وان كان لعذر قصور لانّه تقديم امر الدّنيا على الدّين ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٢) لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ اى لا تقيسوا دعائه ايّاكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الأعراض عن الأجابة والرّجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرّمة ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ﴾ اى يخرجون قليلا قليلا من المسجد من غير استيذان ﴿لِوَاذًا﴾ حال من ضمير يتسلّلون اى مستترا بعضهم ببعض حتى يخرج ومثله الملاوذة ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ اى امر الله او رسوله بترك مقتضاه ولتضمّنه معنى الاعراض استعمل بعن ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ محنة فى الدّنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ فى الآخرة ﴿أَلاَ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ﴾ للتحقيق ﴿يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص ﴿وَ﴾ يعلم ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ﴾ اى المنافقون ﴿إِلَيْهِ﴾ للجزاء ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ من الشر بالمجازاة عليه ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)﴾ لا يخفى عليه خافية.

* * *

سورة الفرقان

مكّية إلاّ (والّذين لا يدعون) إلى (رحيما) وهي سبع وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ﴾ اى تزايد وتعالى فى ذاته وصفاته عن كلّ شئ ولا يتصرف فى هذا اللفظ ولا يستعمل الاّ لله ﴿الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ اى القرآن الفارق بين الحق والباطل ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمّد ﴿لِيَكُونَ﴾ العبد او الفرقان ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ اى الأنس والجن اجماعا والملائكة اذ الأصح انّه مرسل اليهم ايضا وان كانوا معصومين ليقرّوا بشرفه ويدخلوا تحت دعوته تشريفا له على سائر الأنبياء بل قيل الى الجمادات ايضا بعد جعلها مدركة ﴿نَذِيرًا (١)﴾ مخوّفا من عذاب الله ﴿الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بدل من الأوّل او مرفوع او منصوب على المدح ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ﴾ نبّه على ما يدلّ على نفيهما بقوله ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ اوجده من كتم العدم ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ سوّاه تسوية على ما اقتضته حكمته بلا تفاوة والفاء للتّرتيب ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ لما تضمّن الكلام اثبات التّوحيد والنّبوة شرع فى الرّد على المخالفين فيهما ﴿لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ اذ عبدتهم يصوّرونهم ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ اى دفعه ﴿وَلاَ نَفْعًا﴾ اى جلبه ﴿وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُورًا (٣)﴾ اى اماتة احد واحياءه وبعثه مع انّ الآلهة يجب ان يكون بهذا الشّأن ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ انكارا للنّبوة ﴿إِنْ هَذَا﴾ اى ما القرآن ﴿إِلاَّ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿افْتَرَاهُ﴾ اختلقه محمّد ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ﴾ اى على افترائه ﴿قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ وهم اهل الكتاب يلقون اليه اخبار الأمم وهو يعبّر عنه بعبارته ﴿فَقَدْ جَاؤُ ظُلْمًا وَزُورًا (٤)﴾ كفرا وكذبا اى بهما ﴿وَقَالُوا﴾ هذا ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ اى ما سطّره المتقدّمون ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ اى كتبها لنفسه باعتبار كونه سببا آمرا بكتابتها ﴿فَهِىَ تُمْلَى﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥)﴾

ليحفظها فانه امّى لا يحسن الكتابة على استعارة الأملاء الّذى هو القاء الكلام الى الكاتب ليكتب للألقاء الى الامّى ليحفظ والجملة تفريع على اكتتبها ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ سِرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لانّه اعجزكم بفصاحته واخباره عن مغيبات مستقلة لا يعلمها الاّ عالم الاسرار فكيف يجعلونه اساطير الأولّين ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦)﴾ فلذلك لا يعجّل فى عقوبتكم مع كمال قدرته عليها ﴿وَقَالُوا﴾ القاء للشّبهة فى نبوّته ﴿مَا هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ اى الّذى يزعم الرّسالة وفى التّعبير عنه بهذا وتسميته رسولا مع انكار رسالته استهانة به ﷺ ﴿يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ كما نأكل ﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ لطلب المعاش مثلنا فان كان رسولا لخالف حاله حالنا فلعميهم لم يظهر لهم انّ تميز الرّسول عن العوام باحوال نفسانيّة لا جسمانيّة ﴿لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا (٧)﴾ يصدّقه فنعلم صدقه ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ من السّماء فيستغنى به عن تحصيل المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ هذا على سبيل التّنزه اى ان لم يلق اليه كنز فلا اقلّ من ان يكون بستان فيعيش بريعه ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وضعهم موضع الضّمير تسجيلا عليهم بالظّلم فيما قالوه ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ ايّها المؤمنون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٨)﴾ مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور والمحتاج الى ما ينفقه والى ملك يقوم معه بالامر ﴿فَضَلُّوا۟﴾ بذلك عن الطّريق الموصل الى معرفة خواص النّبى فلم يميّزوه عن المتنبّى بالمعجزات الباهرة والكمالات الرّوحانية ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩)﴾ الى القدح فى نبوتك او الى الهدى ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِنْ شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾ فى الدّنيا ﴿خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الّذى قالوه لكن اخّره الى الآخرة لانّه خير وابقى ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بدل من خيرا ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا (١٠)﴾ عطف على محلّ الجزاء روى انّه عليه السّلام لمّا نسبوه الى الفاقة اهتمّ بذلك فنزل جبرائيل وقال انّ الله يقرأك السّلام ويقول وما ارسلنا من قبلك من المرسلين الاّ انّهم ليأكلون الطّعام ويمشون فى الاسواق فبينما هما كذلك اذ نزل رضوان وقال هذا مفاتيح خزائن الدّنيا فاقبضها من غير ان

ينقصك الله شيئا ممّا ادخر لك فى الآخرة فابى عن قبولها ﴿بَلْ﴾ للأضراب الى العلّة الداعية لهم الى انكار النّبوة ﴿كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ اى القيامة فظنّوا انّ الكرامة انّما هى بحطم الدّنيا ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١)﴾ نارا شديدة ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ اى صارت بمرأ منهم فهو مجاز من قبيل ذكر الملزوم وهو الرّأية وارادة هذا اللاّزم والضمير للسعير اذ الجملة صفته والتّأنيث لانّه بمعنى النّار ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢)﴾ اى صوت تغيظ فانّه شدة الغضب وهو لا يسمع بل المسموع صوته شبّه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه ولا بعد فى ان يخلق الله فيها حيوة فتراهم وتغيظ وتزفر ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾ حال من ﴿مَكَانًا﴾ منصوب على الظّرفية ﴿ضَيِّقًا﴾ لزيادة العذاب والكرب ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسّلاسل حال من واو القوا ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ﴾ اى فى ذلك المكان ﴿ثُبُورًا (١٣)﴾ هلاكا فيقال لهم ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤)﴾ لتنوّع عذابكم ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ العذاب ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ ايّاها والاستفهام والتّرديد للتهكم بهم لا للشك ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ فى علم الله ﴿جَزَاءً﴾ لاعمالهم ﴿وَمَصِيرًا (١٥)﴾ ويتفضل بها على غيرهم من الفساق برضاهم فلا ينافى كونها جزاء لهم او المراد بهم من يتقى الكفر والتكذيب بقرينة المقابلة ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ﴾ على ما يليق بمراتبهم اذ كل يخطر له طلب ما يليق برتبته لا رتبة من هو اشرف منه ﴿خَالِدِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ ما يشائون ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا﴾ موعودا ﴿مَسْئُولًا (١٦)﴾ يسأله من وعد به ربّنا ﴿وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾[1] او يسأله لهم الملائكة ﴿ربّنا وادخلهم جنات عدن الّتى وعدتهم﴾[2] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الملائكة وعيسى وعزير بقرينة السّؤال والجواب الآتيين ﴿فَيَقُولُ﴾ للمعبودين اثباتا للحجة على العابدين وتبكيتا لهم ﴿أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي

---

[1] – سورة غافر: ٨

[2] – سورة آل عمران: ١٩٤

هؤُلَاءِ﴾ اوقعتموهم فى الضّلال بامركم ايّاهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧)﴾ الطريق الحق بترك النظر الصحيح والإعراض عن المرشد النّصيح ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تعجّبا ممّا قيل لهم لعصمتهم ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ﴾ مفعول ثان والاوّل ﴿مِنْ﴾ زائدة لتاكيد النّفى ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ لعدم قدرتنا فكيف يصحّ لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ باطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ اى غفلوا عن ذكرك والتّدبير فى آياتك ﴿وَكَانُوا﴾ فى قضائك ﴿قَوْمًا بُورًا (١٨)﴾ هلكى جمع بائر كعايد وعود ﴿فَقَدْ﴾ اى فقلنا قد ﴿كَذَّبُوكُمْ﴾ المعبودون ايّها العبدة فيه التفات من الغيبة فى يحشرهم الى الخطاب ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ اى فى قولكم لهم انّكم آلهة فالباء بمعنى فى ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ يا عبدة ﴿صَرْفًا﴾ دفعا للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ منعا لكم منه ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ ايّها المكلّفون ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (١٩)﴾ شديدا فى الآخرة ان لم يتب ولم يزل ذلك الظلم بطاعة اعظم منه ولم يعفوا عنه الله فلا دلالة فيه على تعذيب الفاسق البتة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ الجملة حال من اعم الأحوال اكتفى فيها بالضمير وحده ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فانت مثلهم فى ذلك جواب لقولهم ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ﴾ آه ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ ايّها النّاس ﴿لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ ابتلاء ابتلى الغنى بالفقير والصّحيح بالمريض والشّريف بالوضيع بقول كلّ من هؤلاء الثوانى مالى لااكون كضدّى ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ علّة للجعل اى لنعلم ايّكم بصبر وخلاصة المعنى فاصبروا على اذى بعضكم بعضا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠)﴾ بمن يصبر وبمن يجزع ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بالخير لكفرهم بالبعث ﴿لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فتخبّرنا بصدق محمّد او تكون رسولا الينا ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ فيامرنا بتصديقه والله ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ حيث طلبوا لها مع خبثها ما هو رتبة اكمل الخلق من الأنبياء ﴿وَعَتَوْا﴾ تجاوزوا الحدّ فى الظّلم ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١)﴾ ثم انّ الّذى طلبوه سيوجد ولكنهم يلقون منه ما يكرهون بقوله اذكر ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ اى ملائكة الموت او العذاب ﴿لَا بُشْرَى

يَوْمَئِذٍ﴾ خبر لا ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ اى الكافرين خبر ثان او بيان لا بشرى لما فيه من الأبهام والجملة استيناف او بتقدير القول حال من الملائكة ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استعاذة من الملائكة ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢)﴾ اى يقولون هذه الكلمة الّتى تقال عند هجوم مكروه او لقاء عدوّ للاستعاذة وهى مصدر حجره اذا منعه لانّ المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه وفعلها واجب الحذف ﴿وَقَدِمْنَا﴾ قصدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا﴾ فى الدّنيا ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ من خير كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف واغاثة ملهوف ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣)﴾ اى كالغبار المتفرقة الّذى يرى فى شعاع الشمس حين تطلع من الكوة فى حقارته وعدم النّفع به اذ لا ثواب فيه لعدم شرطه وهو الأيمان ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ﴾ من الكافرين فى الدّنيا ﴿مُّسْتَقَرًّا﴾ مكانا يستقر فيه فى اكثر الاوقات للتحادث ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤)﴾ مكانا يؤدى اليه للتّمتع بالازواج مستعار من مكان القيلولة اذ لا نوم فى الجنّة ولا فى النّار لانّ اهلهما مشغولون دائما بما هم فيه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾ اى كل سماء ﴿بِالْغَمَامِ﴾ اى بسبب طلوع الغمام منها وهو المذكور فى قوله هل ينظرون الاّ ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وهو سحاب بيض فيه الملائكة كما قال ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا (٢٥)﴾ فى ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد ﴿الْمُلْكُ﴾ مبتدأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفه ﴿الْحَقُّ﴾ الثّابت خبره ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ متعلق بالحقّ او بمحذوف على التّبيين فيزول كل ملك ويبقى ملكه ﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦)﴾ شديدا بخلاف المؤمنين ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ كناية عن فرط الحسرة فانّ المتحسّر يفعل ذلك او المراد حقيقة العض والأكل اى يأكلها كلّ مرة الى المرفقين فينبتان واللاّم للجنس او العهد اشارة الى عقبة ابن ابى معيط نطق بالشهادتين ليأكل النّبى عليه السّلام طعامه ثمّ رجع رضا لابى ابن خلف وبزق فى وجهه ﷺ فعاد بزاقه فى وجهه فاحترق خدّه فكان اثر ذلك فيه حتّى مات ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمّد ﴿سَبِيلًا (٢٧)﴾ طريقا الى الهدى ﴿يَا وَيْلَتَىٰ﴾ هلكتى الفه عوض عن ياء الأضافة ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ اى من ضلّنى كابىّ وهو كناية عن اعلام العقلاء وباللاّم عن

غيرهم ﴿خليلا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ اى ذكر الله او القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ ومكّنت منه ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ اى الخليل المضلّ او ابليس الّذى يسوّل الأعمال القبيحة ﴿لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٢٩)﴾ يواليه حتّى يؤدّى الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمّد يومئذ او فى الدّنيا ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾ قريشا ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠)﴾ متروكا فى الحديث: «لا ذنب اعظم من نسيان سورة او آية من القرآن وانّ ناسيه يلقى الله يوم القيامة اجزم» اذ القرآن نور يعاقب من فوّته بضدّه من شناعة الخلقة وتنافر اللّحم الموجب للنّفرة عنه ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ يحتمل الواحد والجمع ﴿مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ كما لك فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ الى طريق قهرهم ﴿وَنَصِيرًا (٣١)﴾ لك عليهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ اى انزل بقرينة قوله ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كالكتب الثلاثة لا طائل تحت هذا القول اذ لا يختلف الأعجاز بنُزوله جملة او متفرقا بل لهذا فوائد كما قال ﴿كَذَٰلِكَ﴾ اى انزلناه انزالا مثل انزاله متفرّقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ اى نقوّى بتفريقه قلبك على حفظه لانّك امّى لست كموسى وداود وعيسى لانّهم كانوا يكتبون فلو القى اليك دفعة عجزت عن حفظه ومن فوائد تفريقه ان يعلم من تقدم بعض على بعض النّاسخ والمنسوخ ومنها انّه اذا نزل مفرقا على حسب الوقائع انضم الى دلالة الفاظه وفصاحتها القرائن الحالية فاعانت على البلاغة فبالجملة تفريقه فضيلة خصّ بها نبيّنا عليه السّلام ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)﴾ عطف على انزلنا المقدّر والمعنى بيّناه بيانا او انزلنا بعضه بعيد بعض فى مدّة عشرين او ثلث وعشرين سنة ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ شبهة للقدح فى نبوّتك فى حال من الاحوال ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ﴾ فى جوابه ﴿بِالْحَقِّ﴾ الدافع له فالجملة الاستئنافية فى موضع الحال من احد متعلّقات يأتونك ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣)﴾ اى بما هو احسن بيانا للحقّ والصواب ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ اى محرورين عليها ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ مبتدا خبره ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤)﴾ منك يا محمّد ان كان مكانك حقيرا كما قالوا ولمّا بيّن انّ لكلّ نبى عدوّا من المجرمين اتبعه ببيان تكذيب جماعة من الأنبياء وما نزل بمكذّبيهم

تسلية له عليه السّلام فقال ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥)﴾ مرجعا للمشورة ومعينا فى الدّعوة ولا ينافى ذلك كونه شريكا له فى النّبوة لانّ المتشاركين فى الأمرين متوازرين عليه ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ اى فرعون وقومه القبط فذهبا اليهم فكذّبوهما ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦)﴾ اهلكناهم اهلاكا وفاء التّعقيب هنا محمولة على الحكم بالأهلاك لا على وقوعه حتّى يرد انّه لم يكن عقيب الذّهاب بل بعد مدّة مديدة ﴿وَ﴾ اذكر ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ نوحا ومن قبله او اياه فقط لانّ تكذيبه فى قوّة تكذيب الكلّ لاشتراكهم فى اصول الدّين ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ بالطّوفان جواب لمّا ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ﴾ بعدهم ﴿آيَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ فى الآخرة ﴿لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧)﴾ كلّهم او هؤلاء والأتيان بالمظهر لتظليمهم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح وصرفه لتأويله بالحىّ كما انّ عدمه لتأويله بالقبيلة ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ اى البئر كانوا عبدة الأصنام نبعث اليهم شعيب او غيره فبينما هم حولها فانهارت وخسف بهم وبديارهم ﴿وَقُرُونًا﴾ اى اهل اعصار والقرن اربعون سنة او سبعون او مائة وعشرون ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَثِيرًا (٣٨)﴾ لا يعلمها الاّ الله وبهذا يعلم انّ ما قيل فى مدّة بقاء الدّنيا ومدّة ما بين آدم ونبيّنا ليس بشئ ﴿وَكُلًّا﴾ منصوب بما يفسّره ﴿ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ اى القصص العجيبة من قصص الاوّلين انذارا فلمّا اصرّوا اهلكوا كما قال ﴿وَكُلًّا﴾ مفعول ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩)﴾ فتناه تفتيتا ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا﴾ اى مرّ كفّار مكّة مرارا فى مسافرتهم الى الشّام ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ مصدر ساء وهى سدوم عظمى قرى لوط الخمس امطرت على اهلها الحجارة فهلكوا لما كانوا يعملون الفواحش ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ فى مرورهم عليها فيعتبرون من آثار عذاب الله والاستفهام للتّقرير والتّوبيخ وانتقل منه الى توبيخ آخر بقوله ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ اى لا يتوقّعون على المجاز او لا يخافون على لغة تهامة اذ الرّجاء انتظار ما فيه مسرّة ولا مسرة لهم فى النّشور حتى تنفى ﴿نُشُورًا (٤٠)﴾ بعثا فلا يعتبروا مما رؤا ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ مهزوّا به يقولون ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١)﴾ بزعمه والاشارة

للاستحفار حيث نزّلوا دنوّ مكانته منزلة دنوّ مكانه ﴿إِنْ﴾ اى انه ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ يصرفنا لكثرة دعائه الى التوحيد واظهار ما يتوهّم انّها معجزات ﴿عَنْ﴾ عبادة ﴿آلِهَتِنَا لَوْلاَ أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ دلّ على جواب لولا ما قبلها قال تعالى ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ عيانا فى الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢)﴾ انتم ام هم ﴿أَرَأَيْتَ﴾ استفهام استخبار اى اخبرنى فهو من وضع السّبب موضع المسبب او للتعجب او للتقرير اى قد رأيت ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ اى جعل هواه كالآله فى التزام طاعته وعدم مخالفته فقدّم المفعول الثّان للأهتمام والموصول مع صلته مفعول اوّل لرأيت والثانى ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣)﴾ حافظا تحفظه عن اتّباع الهوى والاستفهام للانكار ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهّم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾ منها لانّها تنقاد لمن يتعهّدها وتميّز المحسن اليها من المسيئ وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم ولا يعرفون احسانه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى﴾ صنع ﴿رَبِّكَ كَيْفَ﴾ معمول ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾ بسطه من وقت الاسفرار الى وقت طلوع الشمس وهو من اطيب الاحوال لتوسّطه بين الظلمة الخالصة المسدة للنّظر والشعاع الخالص المسخن للجوّ ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ مقيما لا يزول بطلوع الشّمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ اى الظلّ ﴿دَلِيلًا (٤٥)﴾ اذ لولا طلوعها ما ظهر للحسّ ﴿ثُمَّ﴾ مستعار فى الموضعين من التّراخى الزّمانى للتّراخى الرّتبى ﴿قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦)﴾ اى انزلناه قليلا قليلا على وفق ارتفاع الشّمس لينتفع ما فى الكون بحما معا اذ فى الأرتفاع دفعة يزول نفع الظّل ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ ظلامه ﴿لِبَاسًا﴾ كاللّباس فى السّتر ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع الشواغل واصل السّبت القطع ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧)﴾ منشورا فيه لابتغاء الرّزق وغيره ﴿وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ جمع بشير بمعى مبشّر ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ اى قدام المطر ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨)﴾ مطهّرا لغيره امّا ظاهريّته فى نفسه فمستفادة من الأمتنان به اذ لا امتنان فى المتنجّس وهذا هو الأصل فى فعول وان جاء مصدرا وللمفعول كالحلوب والآلة كالسّحور لما يتسحر به والمبالغة ومن حمله

هنا عليه استدلّ به على طهوريّة المستعمل لكنّه مدفوع بما سمعت من الأصل مع تحقّقها برفعه احداث اجزاء العضو الواحد وعدم استعماله مادام مترددا عليه ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً﴾ بادية ولتأويله بالمكان وصف بقوله ﴿مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ﴾ اى الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا﴾ متعلّق بنسقيه ومن للتّبعيض ويبدل من محلّه ﴿أَنْعَامًا﴾ ابلا وبقرا وغنما وتخصيصها لانّ غيرها لا يكون عاجزا عن نيل الشّرب غالبا ولانّ المعاش بها غالبا ولذلك قدم سقيها كما قدّم احياء الأرض الّذى هو سبب معاشها وانزال الماء الّذى هو سبب عليه فرتب الأرزاق كما هى فى الواقع ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٤٩)﴾ جمع انسان اصله اناسين فابدلت النّون ياء وادغمت فيها الّتى قبلها او جمع انسىّ لكن ردّ بانّ فعاليل انما يجمع عليه ما فيه ياء مشدّة لا تدل على النسبة نحو كراسى فى كرسىّ ولأرادة اهل البوادى الّذين يعيشون بالمطر منه وممّا قبله نكّرهما والتّخصيص لقرب اهل العمران من الانهار والمنابع دونهم ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ اى الماء ﴿بَيْنَهُمْ﴾ اى النّاس ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ نعمنا به عن ابن عبّاس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء على وفق لياقتهم وربما يمنعه منهم لمعاصيهم ويصرفه الى الفيافى فهذا تصريفه ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠)﴾ اى كفرانا للنّعمة وقلّة مبالاة بها وبشكر منعمها او جحودا لها حيث قالوا مطرنا بنوأ كذا واعتقاد النّوأ اى الكوكب فاعلا حقيقة كفر وسببا ظاهريّا لا لكن يكره هذا القول لأيهامه ولمآ بيّن دلائل وحدانيّته شرع فى تعظيم رسوله فقال ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١)﴾ يخوّف اهلها لكن اقتصرنا عليك تعظيما لرتبتك واجرك ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فى هواهم ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ﴾ اى القرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)﴾ لانّ المجاهدة بالحجج اكبر منها بالسّيف ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ارسلهما متجاورين ﴿هَذَا عَذْبٌ﴾ حلو ﴿فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ بليغ الملوحة استيناف لبيان مزجهما ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزا من قدرته ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا (٥٣)﴾ تنافرا بليغا كانّ كلا منهما يتعوّذ بهذه الكلمة من الآخر وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها فالمراد بالبحر الماء الكثير الواسع فلا يرد ان لا وجود للبحر العذب ﴿وَهُوَ الَّذِي

خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾ اى النّطفة او ما فى طينة آدم ﴿بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ اى قسمه قسمين ذوى نسب ينسب اليهم وهو الذكور وذوات اصهار يصاهر بهنّ وهنّ الأناث ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) وَيَعْبُدُونَ﴾ اى الكفار ﴿مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلاَ يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾ بشركه وعدواته الحقّ ﴿عَلَى رَبِّهِ﴾ معمول ﴿ظَهِيرًا (٥٥)﴾ معينا للشّيطان على عصيانه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمّد ﴿إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦)﴾ بالجنّة للمؤمنين والنار للكافرين ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرّسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ﴾ فعل ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (٥٧)﴾ طريقا بانفاق جميع ما انعم به عليه فى مرضاته سمّى فعلهم جزاء لشبهه به من حيث كونه المقصود من التّبليغ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾ فى دفع شرهم والاغناء عن اجرهم ﴿وَسَبِّحْ﴾ ملتبسا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ اى قل: «سبحان الله والحمد الله» ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ الباء زائدة فى الفاعل ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾ ما ظهر منها وما بطن متعلّق ﴿خَبِيرًا (٥٨)﴾ مطلقا فلا عليك ان آمنوا او كفروا تميز من النّسبة او حال ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ صفة مادحة للحىّ او خبر محذوف ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ مرّ فى اوّل سورة طه.[1] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بدل من ضمير استوى ﴿فَسْئَلْ بِهِ﴾ اى عن ما ذكر من الخلق والاستواء ولتضمن السّؤال معنى الاعتناء يتعدّى بالباء كما يتعدّى بعن لتضمّنه معنى التّفتيش ﴿خَبِيرًا (٥٩)﴾ عالما يخبرك بحقيقته وهو الله او جبرائيل او من وجده فى الكتب المتقدّمة ليصدّقك فيه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ كفّار مكّة ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ سؤالا عن المسمّى به لانّهم ماكانوا يعرفون تسميته تعالى بهذا الاسم ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا﴾ اى الّذى ﴿تَأْمُرُنَا﴾ بسجوده ولا نعرفه ﴿وَزَادَهُمْ﴾ الأمر بالسجود له ﴿نُفُورًا (٦٠)﴾ عن الأيمان ولمّا بيّن زيادة نفرتهم بهذا الامر ذكر باهر قدرته ما لو تفكّروا فيه لأضطرّوا الى الأيمان فقال ﴿تَبَارَكَ﴾ تعظّم ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثنى عشر الحمل والثّور والجوزاء والسّرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وتنسب الى الطبائع الأربع

[1] - سورة طه: ٥

فيقال الحمل والأسد والقوس ناريّة والثور والسّنبلة والجدى ارضيّة والجوزاء والميزان والدلو هوائية والسّرطان والعقرب والحوت مائيّة وهى بيوت الكواكب السّبعة السيّارة فالحمل والعقرب للمريخ والثّور والميزان للزهرة والجوزاء والسنبلة لعطارد والسرطان للقمر والاسد للشمس والقوس والحوت للمشترى والدّلو والجدى للزّحل وكلّ منها منزلان ونصف للقمر وثلاثون للشّمس واكثر لغيرهما والتّفصيل فى الهيئة ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ اى البروج او السّماء ﴿سِرَاجًا﴾ وهو الشّمس ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ اى ذوى خلفة لانه مصدر للنوع لا يصحّ جعله مفعول ثان او حالا الاّ بتأويل اى يخلف كلّ منهما الآخر ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ نعم الله ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)﴾ شكرها فيؤدّى ما فاته من احدهما فى الآخر ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ﴾ مبتدا وخبره اولئك يجزون الآتى ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ مشيا ﴿هَوْنًا﴾ اى بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا سَلَامًا (٦٣)﴾ اى قولا يسلمون فيه من الأثم والأذا فالسّلام ليس عين عبارتهم بل اشارة الى ما قالوه من حيث المعنى ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤)﴾ فى الصّلوة جمع قائم اخّره ليتوافق آخر الآى وتخصيص عبادة اللّيل لانّها اشقّ وابعد من الرّيا ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لعدم الاعتماد على اعمالهم ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥)﴾ اى لازما ومنه الغريم لملازمته ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾ بئست ففيه ضمير مبهم يفسّره ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦)﴾ اى موضع استقرار وقيام والمخصوص بالذم محذوف اى هى يربط الخبر بالاسم والجملة تعليل كالاولى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ على العيال او غيره ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾ لم يجاوزوا حدّ الكرم ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ لم يضيّقوا كالشحيح ﴿وَكَانَ﴾ انفاقهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الأسراف والأقتار ﴿قَوَامًا (٦٧)﴾ وسطا خبر ثان او حال مؤكّدة ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكور الّذى هو امّهات المعاصى ﴿يَلْقَ أَثَامًا (٦٨)﴾ عقوبة اثم ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ بدلان من يلق ﴿مُهَانًا (٦٩)﴾ حال من الأهانة ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ

سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ اى يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها لواحق الطّاعات كانهم لم يعملوا فى الدّنيا سوى الطاعة ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)﴾ اى لم يزل متّصفا بذلك ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ عن هذه المعاصى وغيرها فهو تعميم بعد تخصيص ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ﴾ اى يرجع اليه ﴿مَتَابًا (٧١)﴾ مرضيّا يمحو عه الخطيات ويرفع له الدّرجات ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ اى شهادة الكذب والباطل فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ ما يجب ان يلغى ويطرح من كلام قبيح او فعل ﴿مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)﴾ جمع كريم نصب على الحال اى معرضين عنه ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظا او قراءة ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ اى القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾ يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣)﴾ غير مستمعين لها ولا ناظرين اليها كمن لا يسمع ولا يبصر بل يخرون سامعين ناظرين منتفعين فالمنفى هو الحال لا الفعل ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ﴾ ابتدائيّة ﴿أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ بان توفقهم للطّاعة فتسر بهم قلوبنا وتقر اعيننا لمساعدتهم لنا فى الدّين وتوقع لحوقهم بنا فى الجنّة ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)﴾ يقتدون بنا فى امر الدّين وتوحيد المفعول الثّانى لدلالته على الجنس وعدم اللبس او لانّه مصدر فى الأصل او لارادة كلّ واحد ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ اعلى درجات الجنّة اسم جنس اريد به الجمع ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على الطاعة والأذى ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ اى الغرفة ﴿تَحِيَّةً﴾ دعاء بالتّعمير ﴿وَسَلاَمًا (٧٥)﴾ دعاء بالسّلامة اى يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يخرجون ولا يموتون ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦)﴾ مقابل سائت مستقرا معنى ومثله اعرابا ﴿قُلْ﴾ لاهل مكّة ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ اى ما يصنع بكم فما استفهامية وما يعتد بكم فهى نافية ﴿لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ﴾ عبادتكم فانّ شرف الانسان بها والاّ فهو كسابر الحيوانات وجواب (لولا) دلّ عليه ما قبله ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ ما اخبرتكم به اى خالفتموه فهو من ذكر الملزوم اى التكذيب وارادة اللاّزم اى المخالفة عطف على شرط محذوف وهو اذا علمتم لا اعتداد بكم الا للعبادة وجزائه ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)﴾ مصدر اقيم مقام الفاعل اى لازما يحيق بكم لا محالة فى الآخرة بعد ما يحلّ بكم فى الدّنيا كما فى بدر.

سورة الشعراء

مكّية إلاّ (والشعراء) إلى آخرها مدنيّ
وهي مائتان وسبع أو ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ (١)﴾ متشابه ﴿تِلْكَ﴾ اى هذه السّورة واختيار لفظ البعيد للتّعظيم مبتدأ خبره ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن والأضافة بمعنى من ﴿الْمُبِينِ (٢)﴾ الظّاهر اعجازه او المظهر الحق من الباطل ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلها غما ولعلّ للاشفاق والخوف اى اخف على نفسك فلا تهلكها من اجل ﴿أَلَّا يَكُونُوا﴾ اهل مكّة ﴿مُؤْمِنِينَ (٣) إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ دلالة ملجئة الى الأيمان ﴿فَظَلَّتْ﴾ عطف على نَنَزّل بالفاء التعقيبية او السّببيّة لكونه بمعنى الماضى او كون هذا بمعنى المستقبل ﴿أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤)﴾ اسند فعلهم الى اعناقهم لبيان موضع الخضوع وترك الخبر الّذى هو وصفهم بحاله للدّلالة على الاصل والاّ لقيل خاضعة ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾ طائفة من القرآن ﴿مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ مجدد انزاله لتكرير التّذكير ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ به بعد اعراضهم تكذيبا ادّى بهم الى الاستهزاء ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ﴾ اخبار ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦)﴾ من انّه كان حقّا حقيقا بالتّعظيم ام باطلا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ كَمْ﴾ كثيرا معمول ﴿أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿كَرِيمٍ (٧)﴾ محمود كثير المنفعة وهو اسم يوصف به كلّ ما يحمد ويرضى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الأنبات ﴿لَآيَةً﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٨)﴾ فى علم الله وقضائه فلا تنفعهم الآيات ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على الانتقام منهم ﴿الرَّحِيمُ (٩)﴾ لمن تاب وآمن ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ﴾ اى بان ﴿ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)﴾ انفسهم بالكفر وبنى اسرائيل

بالاستعباد ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ بدل او عطف بيان والأقتصار على القوم لانّ فرعون اولى بذلك كما يقتصر عليه فى بعض الآيات لانّه رايسهم ﴿أَلاَ يَتَّقُونَ (١١)﴾ استيناف استفهام للانكار والتعجب من افراطهم فى الظلم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (١٢) ويَضِيقُ صَدْرِي﴾ من تكذيبهم لى ﴿وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ من ضيق القلب اذ عنده تنقبض الرّوح والحرارة الغريزيّة الى باطن القلب فتزداد الحبسة الّتى فى لسانى ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى﴾ اخى ﴿هَارُونَ (١٣)﴾ معى ليعينني ويثوب منابى عند وجود احد هذه الأمور المرتبة حتّى لا يقع خلل فى الدّعوة ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ﴾ حقّ ﴿ذَنبٌ﴾ على زعمهم وهو قتلى القبطىّ منهم بركزة ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (١٤)﴾ به قبل اداء الرّسالة فيفوت امتثالى المأمور به ﴿قَالَ﴾ تعالى فاجاب له عن طلبه دفع شرّهم وارسال هارون معه ﴿كَلاَّ﴾ ارتدع عما تظّنه من القتل فانّى اسلطك عليهم ﴿فَاذْهَبَا﴾ انت واخوك ففيه تغليب الحاضر على الغائب لانه معطوف على الفعل المفهوم من كلاّ ﴿بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم﴾ يعنى موسى وهارون وفرعون ﴿مُّسْتَمِعُونَ (١٥)﴾ سامعون لما يجرى بينكم فاظهركما عليه ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦)﴾ وافراد الرّسول باعتبار كلّ واحد او لانّه مصدر وصف به ﴿أَنْ﴾ مفسّرة لتضمن الرّسول معنى الارسال المتضمن معنى القول او مصدريّة اى بان ﴿أَرْسِلْ معنا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧)﴾ اى خلّهم يأتوا معنا الى الشّام فاتياه فقالا له ما ذكر ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ فى منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ طفلا سمى به لقربه من الولادة ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨)﴾ ثلاثين سنة كان يلبس من لباس فرعون ويركب من مراكبه ويسمّى ابنه ﴿وفعلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ وهى قتل القبطىّ لم يصرّح باسمها للتّعظيم ﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)﴾ الجاحدين لنعمتى حتّى عمدت الى قتل خواصى حال من احدى التّائين ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠)﴾ اى الجاهلين الفاعلين فعل اولى الجهل والسّفه من غير اتباع وحى ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علما ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَتِلْكَ﴾ التّربية ﴿نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا﴾ تمنّ بها ﴿عَلَيَّ﴾ ظاهرا

وهى فى الحقيقة ﴿أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢)﴾ اى تعبيدك ايّاهم وذبحك اولادهم فانّه السّبب فى حصولى فى بيتك فهو خبر محذوف ويجوز ان يكون بدلا من نعمة ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ بعد ما ردّ موسى ما طعنه به استفسارا عن حقيقة المرسِل ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ عرّفه بافعاله لانّها اظهر عند السّائل ولا يمكن تعريف حقيقته لاستحالة التّركيب فيه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)﴾ بانّه الخالق والمالك لكلّ شئ فتؤمنوا به وحده ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من اشراف قومه ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥)﴾ جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦)﴾ اسند اليه جميع الموجودات ثمّ خصّ منها ماهو اقرب بالنّسبة الى المستدلّ وهو نفسه ومن ولد منه فانّهما اظهر دلالة على المؤثر القادر الحكيم ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧)﴾ لا يجيب بما يطابق السّائل وسمّاه رسولا على السّخرية ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)﴾ ياتى بالشّمس كل يوم من المشرق يحركها الى المغرب على مدار غير مدار اليوم الّذى قبله على وجه ينتظم به امور الكائنات ﴿قَالَ﴾ عدولا الى التهديد لانقطاع محاجاته ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)﴾ اللاّم للعهد اى ممن عرفت حالهم فى سجنى كان عميقا تحت الأرض يطرحهم فيه حتّى يموتون ﴿قَالَ أَ﴾ تفعل ذلك ﴿وَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (٣٠)﴾ برهان بيّن على رسالتى ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١)﴾ فى ان لك بيّنة ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢)﴾ حيّة عظيمة بيّنة الثّعبانية فلماّ رأى هذه الآية قال فهل غيرها فاخرج يده كما قال ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ اخرجها بعد ادخالها فى جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّاظِرِينَ (٣٣)﴾ يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ﴾ مستقرين ﴿حَوْلَهُ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤)﴾ فائق فى علم السّحر ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)﴾ بمره سلطان المعجز فانحطّ عن دعوى الرّبوبيّة الى مؤامرتهم ﴿قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ﴾ اى اخّر امرهما ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ

﴿...﴾ جامعين يجمعون السّحرة ﴿...بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٧)﴾ يفوق موسى فى علم السحر ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨)﴾ وهو وقت الضّحى من يوم الزّينة ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩)﴾ الاستفهام استبطاء لهم فى الاجتماع اريد به الحثّ على مبادرتهم اليه ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠)﴾ وترجى الأتباع باعتبار ترجى الغلبة لكنّهم علّقوا التّرجى باتّباع السّحرة عدولا الى طريق الكناية عن عدم اتباع موسى لانّها ابلغ ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ﴾ لكم اجر ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾ حينئذ ﴿لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢)﴾ زيادة على الاجر ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ اذنا فى تقدم ما هم فاعلوه البتّة لا امرا بالسّحر الحرام حتّى يقال لا يجوز ذلك ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ (٤٥)﴾ يلقونه بتمويههم فيخيّلون ان حبالهم وعصيّهم حيّات تسعى ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦)﴾ لعلمهم انّ صنيعه ليس من جنس السحر قد ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨)﴾ ابدال للتوضيح ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ شيئا منه دون شئ فلذا غلبكم فظننتم انّه غلبكم بالمعجز الالهى وليس كذلك او المراد وصفهم بالخيانة اى انّه لكبيركم فسلّمتم الأمر بيده ليظهر امره والاّ فكيف عجزتم ان تفعلوا مثل ما فعل ساحر ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال ما فعلتم بيّنه بقوله ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا فى ذلك ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠)﴾ راجعون بسبب من اسباب الموت فليكن القتل تعليل لنفى الضير وكذا قوله ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ﴾ اى بان ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١)﴾ فى زمننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ بعد سنين اقام بينهم يدعوهم بآيات الله الى الحقّ فلم يزيدوا الاّ عتوّا وفسادا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بنى اسرائيل ليلا ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢)﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فيلحون ورائكم البحر فانجيكم واغرقهم

فهو تعليل للامر بالاسراء ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ﴾ قيل كان له الف مدينة واثنا عشر الف قرية حين اخبر بذهابهم ﴿حَاشِرِينَ (٥٣)﴾ جامعين للجيش قائلا ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ (٥٤)﴾ جمعه باعتبار الاسباط اى كلّ سبط منهم قليل قللّهم مع كونهم ستمأية الف وتسعين الفا بالنسبة الى جيشه اذ كان مقدّمته فقط سبعمأية الف ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥)﴾ فاعلون ما يغيظنا من الذّهاب بحليّنا او الخروج عن عبوديّتنا او المخالفة فى ديننا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦)﴾ من عادتنا الحذر منهم واستعمال الحزم ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ اى بان خلقنا داعية الخروج فحملتهم عليه ﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين كانت على جانب النّيل ﴿وَعُيُونٍ (٥٧)﴾ انهار جارية فى الدّور من النّيل ﴿وَكُنُوزٍ﴾ اموال ظاهرة من الذّهب والفضّة سمّيت كنوزا لانّه لم يعط حقّ الله منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨)﴾ المجالس الحسنة المهيّئة للأمراء والوزراء ﴿كَذَلِكَ﴾ اى اخرجناكما وصفنا فهو مصدر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)﴾ بعد اغراق فرعون وقومه ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠)﴾ داخلين وقت طلوع الشّمس ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾ اى رأى كلّ منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١)﴾ لملحقون يلحقنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿كَلَّا﴾ لن يدركوكم ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بالحفظ والنّصر ﴿سَيَهْدِينِ (٦٢)﴾ طريق النّجاة قال تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ القلزم او النّيل فضربه ﴿فَانْفَلَقَ﴾ اثنى عشر فرقا بينها مسالك ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)﴾ الجبل الضّخم الثابت فى مقرّه فدخل كلّ سبط فى شعب وجعل لهم كوة ينظر بعضهم الى بعض لئلاّ يخافوا ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ قرّبنا ﴿ثَمَّ﴾ هناك ﴿الْآخَرِينَ (٦٤)﴾ فرعون وقومه فدخلوا مداخلهم ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥)﴾ بامساك البحر كذلك الى ان عبروا ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦)﴾ باطباقه عليهم بعد تمام دخولهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الانجاء والأغراق ﴿لَآيَةً﴾ عبرة والتّنكير للتّعظيم اى ايّة آية ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧)﴾ اى لم يتنبّه عليها اكثر من عاين هذه الواقعة فلم يؤمن ما بقى من القبط بمصر وبنى اسرائيل اتخذوا العجل او

الضمير راجع الى القبط فقط اذ روى انّه لم يامن منهم الاّ آسية امرأة فرعون وخزبيل ابن عمّه ومريم بنت ناموسى الّتى دلت موسى على عظام يوسف اذ اراد ان يخرج جسده معه فلم يجد من يعرف قبره سواها ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فانتقم من اعدائه ﴿الرَّحِيمُ (٦٨)﴾ فرحم اوليائه ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ كفّار مكّة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠)﴾ ليبطل صنيعهم ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ﴾ ندوم ﴿لَهَا عَاكِفِينَ (٧١)﴾ زاده فى الجواب افتخارا ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ اى دعائكم ﴿إِذْ﴾ حين ﴿تَدْعُونَ (٧٢)﴾ استحضار للحال الماضية ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ ان عبدتموه ﴿أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣)﴾ كم ان تركتموها ﴿قَالُوا﴾ اضرابا عن وجود شئ مما ذكر فيها والجاء الى التّقليد ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦)﴾ فانّ الباطل لا ينقلب حقّا بكثرة فاعليه وتقدّمهم ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ﴾ افرده لانّه فى الاصل مصدر ﴿لِي﴾ والمراد عدوّ لكم لانّكم تتضرّرون من جهة عبادتهم اكثر ممّا يتضرّر من جهة العدوّ لكنّه ذكر نفسه تعريضا بهم فانّه ادخل فى النّصح ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧)﴾ فانّى اعبده ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾ صفة ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨)﴾ الى امور المعاش والمعاد عطفه بفاء التعقيبية مع تغير النظم لتقدم الخلق واستمرارالهداية ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩)﴾ وتكرير الموصول هنا وما بعده للدّلالة على استقلال كلّ من الصّلات باقتضاء الحكم ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)﴾ عطفه على الصّلة قبله لانّه مرادفها اذ الصّحة والمرض يتبعان الماكول والمشروب غالبا ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾ اسند الموت اليه تعالى دون المرض لانّه فى مقام تعداد النعم وهو ضرر واذى حتّى فى حقّ الخواص ولانّه انّما يحدث غالبا من تفريط الانسان فى المطاعم والمشارب بخلاف الموت فانّه من حيث انّه لا يحسّ به لا ضرر فيه بل هو عين السعادة للنفوس الزّكية ولا دخل للأنسان فيه ﴿ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١)﴾ فى الآخرة ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)﴾ الجزاء قاله هضما لنفسه وتعليما للامة ان يكونوا مع تجنّب المعاصى على حذر وطلب لان يغفر لهم ﴿رَبِّ هَبْ لِي

حُكْمًا﴾ علما ﴿وَأَلْحِقْنِي﴾ بتوفيق كمال العمل ﴿بِالصَّالِحِينَ (٨٣)﴾ الّذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ذكر حسن ﴿فِي الْآخِرِينَ (٨٤)﴾ الّذين يأتون بعدى الى يوم القيامة ولذا ترى الأمم كلهم محبون له مثنون عليه ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥)﴾ وقد مر بمعنى الوراثة لها ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦)﴾ طريق الهدى والمراد طلب توفيقه للايمان لانّ المغفرة مشروطة به فطلبها يتضمّن طلبه او كان قبل ما منع من الدّعاء للكفّار او قبل ما تبيّن له انّه عدوّ الله كما قيل فيها اذا كان بعد موته ووصفه بالضّلالة حالىّ على الأوّلين وماضوىّ على الأخير ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ تفضحنى قاله لخفاء العاقبة وجواز التّعذيب عقلا ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧)﴾ العباد ويبدل منه ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨)﴾ احدا ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ من الكفر وميل المعاصى فانّهما ينفعانه او الاّ مال وبنون من آه فالاستثناء متّصل على التّقديرين الاّ انّه مفرغ على الاوّل ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ قرّبت عطف على يبعثون ﴿لِلْمُتَّقِينَ (٩٠)﴾ فيرونها ويتيقّنون دخولها ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١)﴾ اظهرت لهم وفى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ توبيخا ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غيره من الأصنام وتزعمون انّهم شفعائكم ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣)﴾ بدفعه عن انفسهم اذ يدخلون كلاهما النّار كما قال ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ﴾ الآلهة اى القوا منكبّين مرّة بعد اخرى حتّى بلغوا قعرها لانّه من باب التفعيل منقول من كبّ بتكرير العين لكثرة الفعل واصله كبّبوا اجتمع البآآت فابدلت الثانية كافا وفى امثاله ثلثة مذاهب ثانيها انّ الحرف الثالث زائد تكرير للفاء وثالثها انّها رباعية لا زيادة فيها ﴿وَالْغَاوُونَ (٩٤)﴾ عبدتهم ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ اتباعه من عصاة الثّقلين او شياطينه ﴿أَجْمَعُونَ (٩٥)﴾ تاكيد للضمير وما عطف عليه ﴿قَالُوا﴾ العبدة ﴿وَهُمْ﴾ اى كلّ المذكورين ﴿فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦)﴾ فانّ الاصنام ايضا تخاصم عبدتها بخلق النطق فيها ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧)﴾ بيّن ﴿إِذْ﴾ حيث ﴿نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨)﴾ اى فى

استحقاق العبادة ﴿وما أضلّنا إلاّ المُجرمُون (٩٩)﴾ اى الشّياطين او من اقتدينا بهم من الآباء ﴿فما لنا من شافعين (١٠٠)﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء والمؤمنين ﴿ولا صديق حميم (١٠١)﴾ يهمّه امرنا اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الاّ المتّقين ﴿فلوْ أنّ لنا كرّة﴾ رجعة الى الدّنيا ولو للتّمنى لانّه لتقدير المعدوم وفرضه كليت وقوله ﴿فنكُونَ من المُؤمنين (١٠٢)﴾ منصوب فى جوابه ﴿إنّ فى ذلك﴾ المذكور من قصة ابراهيم ﴿لآيةً﴾ عظة لمن اراد ان يستبصر بها ﴿وما كانَ أكثرُهُم﴾ اكثر قومه ﴿مُؤمنين (١٠٣)﴾ به ﴿وإنّ ربّك لهُو العزيزُ﴾ القادر على تعجيل الانتقام ﴿الرّحيمُ (١٠٤)﴾ بالأمهال لكى يؤمنواهم او واحد منهم ﴿كذّبتْ قوْمُ نُوحٍ المُرسلين (١٠٥)﴾ قد مر معنى تكذيبهم لهم وانّث القوم باعتبار معناه كما ذكّره باعتبار لفظه فى قوله ﴿إذْ قالَ لهُمْ أخُوهُمْ﴾ نسبا ﴿نُوحٌ ألاَ تتّقُونَ (١٠٦)﴾ الله فتتركوا عبادة غيره ﴿إنّى لكُمْ رَسُولٌ أمينٌ (١٠٧)﴾ على تبليغ ما ارسلت به ﴿فاتّقُوا الله وأطيعُونِ (١٠٨)﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته ﴿وَمَا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ﴾ اى التّبليغ والنّصح ﴿منْ أجْرٍ إنْ﴾ ما ﴿أجْرِىَ إلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتّقُوا اللّهَ وَأطيعُون (١١٠)﴾ كرّره للتّاكيد ﴿قالُوا أنُؤمنُ لَك وَ﴾ قد ﴿اتّبَعَكَ الأرْذَلُونَ (١١١)﴾ السّفلة كالحاكة والاساكفة جمع ارذل ولقلّة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدّنيويّة جعلوا اتّباع المقلّين فيها مانعا من اتّباعهم ودليلا على بطلان ما يدعوهم اليه لزعمهم انّه ليس لله فى الله بل لطلب المال والرّفعة فلذلك ﴿قالَ وَمَا﴾ استفهامية خبرها ﴿عِلْمِى﴾ او نافية خبرها محذوف وعلى التّقديرين يتعلّق بعلمى قوله ﴿بمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢)﴾ أعملوه اخلاصا او طمعا كما زعمتم ﴿إنْ﴾ ما ﴿حسابُهُمْ﴾ على بواطنهم ﴿إلاّ عَلَى رَبّى﴾ لانّه المطلع ﴿لَوْ تشْعُرُون (١١٣)﴾ لعلمتم ذلك لكنّكم جاهلون تقولون ما لا تعلمون ﴿وَمَا أنَا بطارِدِ المُؤمنين (١١٤)﴾ اى لا اقدر على طردهم حتى ترضوا فتؤمنوا بى وقوله ﴿إنْ﴾ ما ﴿أنَا إلاّ نذيرٌ مُبينٌ (١١٥)﴾ بيّن الأنذار كالعلّة له ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ﴾ عمّا تقول ﴿لَتَكُونَنّ منَ الْمَرْجُومينَ (١١٦)﴾ بالحجارة او بالشتم ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ إنّ قَوْمِى كَذّبُونِ

(١١٧) فافْتَحْ﴾ فاحكم ﴿بَيْنِي وبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ حكما والمراد به انزال العقوبة بقرينة ﴿ونَجِّنِي ومَنْ معِي من الْمُؤْمنين (١١٨)﴾ قال تعالى ﴿فأنجيْناهُ ومَنْ معهُ فِي الْفُلْكِ الْمشْحُونِ (١١٩)﴾ المملوّ من النّاس والطّير والحيوان ﴿ثُمَّ أغْرقْنا بعْدُ﴾ اى بعد انجائهم ﴿الْباقِين (١٢٠)﴾ من قومه ﴿إنَّ فِي ذلِك لآيةً﴾ شاعت وتواترت ﴿وما كان أكْثرُهُمْ مُؤْمنِين (١٢١) وإنَّ ربَّك لهُو الْعزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢) كذَّبتْ عادٌ الْمُرْسلِين (١٢٣)﴾ انّه باعتبار القبيلة وهو فى الأصل اسم ابيهم ﴿إذْ قالَ لهُمْ أخُوهُمْ هُودٌ ألا تتَّقُون (١٢٤) إنِّي لكُمْ رسُولٌ أمِينٌ (١٢٥) فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ (١٢٦) وما أسْألُكُمْ عليْهِ مِنْ أجْرٍ إنْ أجْرِي إلاَّ علَى ربِّ الْعالمِين (١٢٧) أتبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿آيةً﴾ بناء علما للمارة يهتدون بها فى اسفارهم ﴿تعْبثُونَ (١٢٨)﴾ بتلك الآية يعنى انّها عبث وتضييع مال لاستغنائهم عنها بالنجوم او المراد تعبثون بمن يمرّ بكم وتسخرون بهم والجملة حال من ضمير تبنون ﴿وتتَّخِذُونَ مصانِعَ﴾ للماء اى الحياض تحت الأرض واحدها مصنعة ﴿لعلَّكُمْ تخْلُدُونَ (١٢٩)﴾ اى ترجون الخلود فلعلّ على بابها وقيل معناها التّشبيه اى كانّكم تخلدون ﴿وإذا بطشْتُمْ﴾ بسوط او سيف ﴿بطشْتُمْ جبَّارِينَ (١٣٠)﴾ ظالمين بلا رأفة ﴿فاتَّقُوا اللهَ﴾ بترك هذه الاشياء ﴿وأطِيعُونِ (١٣١)﴾ فيما امرتكم به ﴿واتَّقُوا الَّذِي أمدَّكُمْ﴾ انعم عليكم ﴿بِما تعْلمُونَ (١٣٢)﴾ من انواع النّعم كرر التّقوىٰ مرتّبا على امداد الله ايّاهم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الأمداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم ابدل عن الصّلة على وجه التّفصيل قوله ﴿أمدَّكُم بِأنْعامٍ وبنِين (١٣٣) وجنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وعُيُونٍ (١٣٤)﴾ واوعدهم بقوله ﴿إنِّي أخافُ علَيْكُمْ عذاب يوْمٍ عظِيمٍ (١٣٥)﴾ فى الدّنيا والآخرة فانّه كما قدر على الأنعام قدر على الأنتقام ﴿قالُوا سواءٌ علَيْنا أوعظْتَ أمْ لمْ تكُنْ مِنَ الْواعِظِين (١٣٦)﴾ اى وعظك وعدمه مستو عندنا لا نرجع عما نحن عليه عدل عن ام لم تعظ الّذى يقتضيه المقابلة مع كونه اخصر للمبالغة فى قلّة اعتدادهم بوعظه اذ التسوية بين وعظه وعدم كونه من اهل الوعظ اصلا بل حجرا صلدا فى غاية قلّة المبالاة ﴿إنْ﴾ ما ﴿هذا﴾ الّذى خوفتنا

به ﴿إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧)﴾ اى عادتهم المقررة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨)﴾ على ما نحن عليه ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بسبب التكذيب فى الدّنيا بالرّيح ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦)﴾ من الخير انكار لان يتركوا فيه ثم فسّره بقوله ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا﴾ ما يطلع منها كنصل السّيف فى جوفه شماريخ القنو اى اغصان العنقود ﴿هَضِيمٌ (١٤٨)﴾ لطيف ليّن للطف الثمر ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ تحفرون ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩)﴾ بطرين من الفراهة وهى النّشاطة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١)﴾ نسب ما حقّه ان يتعلّق بالآمر الى الامر مجازا بعلاقة الملابسة ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣)﴾ الّذين سحّروا كثيرا حتى غلب على عقلهم ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤)﴾ فى رسالتك ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ﴾ بعد ما خرجت من الصخرة بدعائه كما اقترحوها ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء كالقيت للحظّ من القوت ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥)﴾ فلا تزاحموها فى شربها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ كضرب وعقر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٦)﴾ لعظم عذابه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ اى عقرها بعضهم برضاء الكلّ ولذلك اخذوا جميعا ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧)﴾ على عقرها خوفا من العذاب لا توبة فلم ينفعهم ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الموعود به ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥)﴾ اى النّاس حال من الذكران ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ

أزواجكم﴾ للتبعيض اى اقبالهنّ ففيه تعريض بانّهم كانوا كان صنيعهم مع نسائهم ايضا ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦)﴾ الحلال الى الحرام ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ﴾ عن انكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧)﴾ من بلدتنا باسوأ حال ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ (١٦٨)﴾ من المبغضين غاية لا انته عن الانكار عليه بالأيعاد ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩)﴾ اى من شؤمه وعذابه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠)﴾ بأخراجهم من بينهم ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ امرأته مقدّرة ﴿فِي الْغَابِرِينَ (١٧١)﴾ الباقين فى العذاب فاهلكها حجر فى الطريق لانّها كانت راضية بفعلهم ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢)﴾ اهلكناهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ حجارة ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣)﴾ مطرهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥) كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦)﴾ غيضة شجر ناعم قرب مدين ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ وكان احبّا منهم بعث اليهم كما بعث الى مدين ﴿أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ اتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١)﴾ الناقصين حقوق النّاس ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢)﴾ بالميزان السوى ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوا شيئا من حقوقهم ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣)﴾ بالقتل وغيره من عثى بالكسر فمفسدون حال مؤكّدة ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ﴾ الخليقة ﴿الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ اتوا بالواو جمعا بين وصفين منافيين للرّسالة مبالغة فى التكذيب ﴿وَإِن﴾ اى انه ﴿نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦)﴾ فى دعواك ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قطعة منها ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧)﴾ فى رسالتك ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨)﴾ فيجازيكم به ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ هى السّحابة اظلّتهم بعد ما اصابهم حرّ شديد سبقه ايّام فاجتمعوا اليها رجاء المطر فامطرت نارا فاحترقوا ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١) وَإِنَّهُ﴾ اى القرآن المشتمل على هذه القصص ﴿لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣)﴾ جبرائيل فانّه امين الله على وحيه لا يتصرف فيه ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ اى روحك او العضو المخصوص وتخصيصه لانّ ما ينزل على الرّوح ينتقل اوّلا اليه ثم ينصعد منه الى الدّماغ فينتقش به لوح المخيّلة ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)﴾ واضح المعنى لئلاّ يقولوا ما نصنع بما لا نفهم فهو متعلّق بنزل ليكون نصّا على انه نزل عربيّا كما هو لا معنى غير موصوف بلغة ثم ادّاه عليه السّلام باللّسانى العربىّ كما زعمت الباطنيّة ﴿وَإِنَّهُ﴾ اى ذكر القرآن المنزّل عليك لا عينه كما هو ﴿لَفِي زُبُرِ﴾ كتب ﴿الْأَوَّلِينَ (١٩٦)﴾ كالتّورية والأنجيل ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ﴾ الاستفهام للتّقرير بمعنى قد كان آه ﴿لَهُمْ﴾ كفار مكّة ﴿آيَةً﴾ على صحة القرآن او نبوتك ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧)﴾ اى معرفتهم ايّاه بنعته المذكور فى كتبهم وهم يخبرونهم بذلك فهو اسم يكون وآية خبر ولهم حال منها ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨)﴾ كما هو جمع اعجم او بلغتهم ﴿فَقَرَأَهُ﴾ ذلك البعض ﴿عَلَيْهِمْ﴾ اى على مشرك العرب ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩)﴾ انفة عن اتباع العجم او لعدم فهمهم له ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ادخالنا التكذيب بقراءة الاعجم ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ ادخلنا التكذيب به ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠)﴾ اى كفار مكّة بقرائة النّبى عليه السّلام ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١)﴾ الملجئ الى الأيمان ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ فى الدّنيا والآخرة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢)﴾ باتيانه ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٣)﴾ فنؤمن فيقال لهم لا قالوا متى هذا العذاب قال تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤)﴾ وحالهم طلب النظرة عند نزوله ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ اخبرنى ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦)﴾ من العذاب ﴿مَا﴾ استفهاميّة بمعنى اىّ شيء ﴿أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧)﴾ فى دفع العذاب وتخفيفه اى لم يغن ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨)﴾ رسل تنذر اهلها الزاما للحجة ﴿ذِكْرَى﴾ تذكرة وعظة لهم فى تقدير النّصب على العلّة ﴿وَمَا كُنَّا

ظَالِمِينَ (٢٠٩)﴾ فنهلك غير الظّالمين وقبل الأنذار ونزل ردّا على المشركين ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠)﴾ كما زعمتم انّه من قبيل ما يلقونه على الكهنة ﴿وَمَا يَنبَغِي﴾ يصحّ ﴿لَهُمْ﴾ ان ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١)﴾ ذلك ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ (٢١٢)﴾ محجوبون بالشّهب لانّ نفوسهم خبيثة ظلمانية لا تقبل فيضان الحقّ والانتقاش بالصّور الملكوتيّة ﴿فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ وهو بنى هاشم وبنى المطلب لانّ الاهتمام بشأنهم اهمّ وقد صعد الصفا ودعيهم وانذرهم بالعذاب كما فى الحديث ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ﴾ بيان ﴿الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)﴾ اى لين جانبك لهم فهو استعارة تبعية على تشبيه التّواضع ولين الأطراف عند الأتباع بحفظ الطائر جناحه عند ارادة الانحطاط ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ عشيرتك كابى لهب قال تبّا لك لهذا دعوتنا ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦)﴾ من عبادة غير الله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ﴾ القاهر لاعدائه ﴿الرَّحِيمِ (٢١٧)﴾ باوليائه يكفيك شرّهم وشرّ غيرهم كما اهلك ابى لهب وانزل فيه تبّت آه ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨)﴾ للتّهجد وحدك ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩)﴾ عطف على مفعول يراك اى يرى تصرّفك مع المصّلين فى الجماعة بالقيام والقعود والركوع والسّجود ذكر علمه بحاله بعد الأمر بالتوكّل تطمينا لقلبه عليه ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)﴾ لما تقوله وتنويه ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ كفّار مكّة ﴿عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١)﴾ اى تتنزل فحذف منه تاء التفعل وكذا ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢)﴾ كذّاب فاجر كمسيلمة وغيره من الكهنة وصفهم بقوله ﴿يُلْقُونَ﴾ الأفاكون ﴿السَّمْعَ﴾ الى الشّياطين فيأخذون منهم امارات ويضمون اليها تخيّلاتهم الفاسدة الكاذبة كما قال ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)﴾ فيما يحكى من الجنّ فلا ينافى وصف الكلّ بالكذب فى قوله كلّ افّاك وقيل الاكثر بمعنى الكلّ ومحمّد ليس كذلك بل هو صادق فى كلّ ما اخبر من المغيبات فكيف يحكم عليه بتنزّل الشّياطين عليه كما زعمتهم لمّا ابطل ما طعنوا فى معنى القرآن من انّه منزّلات الشّياطين

شرع فى ابطال طعنهم فى لفظه بانّه من جنس كلام الشعراء فقال مستأنفا لأبطال كونه ﷺ شاعرا ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤)﴾ فى شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم واتباع محمّد ليسوا كذلك وقرّر ابطال كونه شاعرا بقوله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ﴾ الشعراء ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾ من اودية الكلام وفنونه ﴿يَهِيمُونَ (٢٢٥)﴾ يمضون فيشببون بالنّساء ويهتكون سترهم ويقدحون فى الانساب ويجازفون فى المدح والهجاء ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ (٢٢٦)﴾ اى يكذبون فيما ينسبون الى نفسهم ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الشّعراء ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ اى لم يشغلهم الشّعر عن الذّكر ولم يجعلوه همّتهم او يكون فى التّوحيد والثناء على الله والحثّ على طاعته ﴿وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ اى هجوا من هجاهم من الكفار بقدر حقّهم كان عليه السّلام يأمر شعراء الاسلام بذلك ويقول هو اشدّ من المجاهدة بالسّيف ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ﴾ مرجع بمعنى رجوع ﴿يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾ يرجعون بعد الموت وفيه تهديد شديد من حيث اشتماله على ذكر السين الدّالة على الوقوع لا محالة وتعميم الّذين وابهام ايّ منقلب.

* * *

سورة النمل

مكّية وهي ثلث أو أربع أو خمس وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طس﴾ متشابه ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾ مرّ تفسيره فى اوّل ما قبلها ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١)﴾ اى اللّوح المحفوظ الّذى يبيّن للنّاظرين فيه كلّ ماهو كائن وتاخيره هنا باعتبار تعلّق علمنا به كما انّ تقديمه فى الحجر باعتبار الوجود او القرآن فيكون من عطف احدى الصفتين على الأخرى ﴿هُدًى﴾ من الضّلالة ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾ به حالان من الآيات والعامل فيهما الأشارة ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ كرّر للأختصاص ﴿يُوقِنُونَ (٣)﴾ عطف على الصّلة او حال وتغيير النّظم للدلالة على قوّة يقينهم وثباته ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة بجعلها مشتهاة للطبع وتزيين الشّيطان اياها كما فى آية دعائهم الى ما تشتهيه طباعهم فلا منافات ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤)﴾ متحيّرون فيها لقبحها عندنا وهو لا يدركون ضرّها ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ فى الدّنيا بالقتل والأسر ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٥)﴾ للعقوبة الأبديّة ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ﴾ يلقى عليك بشدّة ﴿مِنْ لَدُنْ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦)﴾ التنكير للتعظيم والجمع بينهما لكون العلم اعم سواء كانت الحكمة عبارة عن اتقان الفعل وهو ظاهر او عن ما ينقسم الى العملية والنّظرية كالعلم المتعلّق بالشّرائع والأحكام والمتعلّق بالاعتقاديّات اذ يطلق العلم على ما ليس حكمة بهذا المعنى ايضا كعلم القصص بالمغيبات الّتى شرع فى بعضها بقوله اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطّريق وكان قد ضلّها نبّههم بالسّين على بعد المسافة لئلاّ يدخلهم شبهة عند تأخيره والاّ فتركهم فى تلك الورطة لا يقبل التّسويف ولمّا كنى عن امرأته بالاهل

جمع الضمير ويمكن ان يكون معه غيرها ﴿أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ﴾ شعلة نار ﴿قَبَسٍ﴾ بدل او صفة لانّه بمعنى مقبوس ذكر هنا العدتان بالسّين الدّالة على التيقن مع ذكرهما فى طٰهٰ بصيغة التّرجى لقوّة الرّجاء ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧)﴾ رجاء ان تستدفّون بها من البرد ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ﴾ اى بان ﴿بُورِكَ﴾ اى جعل مباركا من جهة الله ﴿مَنْ﴾ الّذى ﴿فِي النَّارِ﴾ اى فى مكانها الّذى هو البقعة المباركة ﴿وَمَنْ﴾ الّذى فى ﴿حَوْلَهَا﴾ اى حول مكانها من ساير ارض الشّام بسبب تكليم الله موسى واستنبائه هناك ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تنزيها له عمّا لا يليق من جملة ما نودى به لئلاّ يتوهم من سماع كلامه تشبيهه بالمخلوقات فى حدوث كلامه وساير ما لا يليق بذاته الاعلى ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ الشأن ﴿أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ﴾ القادر على ايجاد الاشياء العجيبة ﴿الْحَكِيمُ (٩)﴾ كل ما افعله بحكمة وتدبير تمهيد لما اراد ان يظهره على يده ﴿وَ﴾ ان ﴿أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك حال من الهاء وكذا ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ حيّة خفيفة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ هاربا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يرجع قلنا له ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾ عندى ﴿الْمُرْسَلُونَ (١٠)﴾ حين الوحى والخطاب من فرط الاستغراق وان كانوا اخوف النّاس من الله كما فى الحديث: «انّى اخشاكم لله»[1] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١)﴾ فالاستثناء منقطع لدفع توهم عدم جواز نفى الخوف عمن زل من المرسلين بنحو ترك الأولى لا بالذّنوب لانّهم معصومون حتى من الصغيرة سهوا ولو قبل النّبوة وفيه تعريض موسى بوكزه القبطىّ لا متّصل حتى يفهم جواز الخوف عليهم لأمتناعه مع التّبديل الموجب للمغفرة والرّحمة ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ كان عليه مدرعة صوف كمّاها الى مرفقيه لا يستر ايديه فلما اراد ان يجعلها بيضاء وهى مستورة لحكمة لا يعلمها الاّ هو امره بذلك ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف لونها من الادمة ﴿بَيْضَاءَ﴾ لها شعاع كالشمس يغشى الباصرة حال من الفاعل وكذا ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ علّة كبرص هما ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ اى فى جملتها

---

[1] - صحيح مسلم: ٤/١٢٤

هى هاتان والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدّم والنقصان فى مزارعهم والطمسة اذ دعى على اموالهم بالطمس فجعلت حجارة مرسلا ﴿إِلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِه إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢)﴾ تعليل للارسال ﴿فَلَمّا جاءَتْهُمْ آياتُنا﴾ على يد موسى ﴿مُبْصِرَةً﴾ بيّنة اسم فاعل اطلق للمفعول كمدافق للمدفوق اشعارا بانّها لفرط اجتلائها للأبصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت اهلا لذلك ﴿قالُوا هَذا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣)﴾ بيّن سحريّته ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ اى كذبوا بها لسانا ﴿وَ﴾ قد ﴿اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ اى تيقّنت قلوبهم انّها من عند الله ﴿ظُلْمًا﴾ لانفسهم مفعول له لجحدوا ﴿وَعُلُوًّا﴾ تكبّرا عن الأيمان بما جاء به موسى ﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمّد ﴿كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)﴾ من الأغراق فى الدّنيا والأحراق فى الآخرة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْمًا﴾ بالقضاء بين النّاس ومنطق الطّير وغير ذلك والتنكير للتّعظيم ﴿وَقالا﴾ شكرا لنا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥)﴾ بالعلم والنّبوة وتسخير الجنّ والأنس والشّياطين ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾ النّبوة والعلم والملك من بين بنيه التسعة عشر وكان اشد ملكا من ابيه وهو اشد تعبدا منه ﴿وَقالَ﴾ اعترافا بالنّعم لا افتخارا ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ عُلِّمْنا﴾ الضمير له ولأبيه ان كان له ايضا هذا العلم والاّ فهو له اتى به على عادة الملوك فى التّكلم بما فيه تعظيم النفس رعاية لقاعدة السياسة ورفع قدرهم فى قلوب الرّعايا لا تكبرا ﴿مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ هو كالنّطق فى العرف اللّفظ الّذى يعبّر به عما فى الضمير والمراد هنا مطلق الصوت على سبيل التّشبيه كان يعلم كلّ ما يقول الطّير ويتصوت به ﴿وَأُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ اراد به كثرة ما اوتى به كما يقال يقصده كلّ احد ﴿إِنَّ هَذا﴾ الموتى ﴿لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦)﴾ الّذى لا يخفى على احد ﴿وَحُشِرَ﴾ جمع ﴿لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ فى مسير له ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧)﴾ يجمعون ليتلاحقوا لانّه احسن فى الهيئة واهيب فى الرأية فساروا كذلك ﴿حَتّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ﴾ واد بالشّام كثير النمل الكبار اى اتوه من فوق لينزلوا فيه لانّهم كانوا محمولين فى البساط على الرّيح ولذا تعدّى بعلى مع انّه يتعدى بنفسه

وبالى وقيل كانوا مشاة وركبانا اذ كذا ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ حقيقة ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ بخلق الله فيها العقل والنّطق كما فى سائر ما سخّر له فامر العقلاء على ظاهره والاصّح انها كانت ذكرا ولا دلالة لتاء قالت على انّها انثى كما نسب الى ابى حنيفة لانّ تانيثها لفظىّ كحمامة وشاة ﴿لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يكسرنّكم ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ نهى لهم ظاهرا والمراد نهيها عن التوقف حتى تحطم مثل لا ارينّكم ههنا ﴿وَ﴾ حال ﴿هُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (١٨)﴾ بهلاككم اذ لو علموا لم يحطموكم قالته عن علم بعصمة الأنبياء من الظّلم ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ ابتداء ﴿ضَاحِكًا﴾ انتهاء لانّهما لا يجتمعان ﴿مِنْ قَوْلِهَا﴾ سرورا بما خصّه الله به من ادراك نحو هذا النّطق الخفى ولذلك سأل توفيق شكره ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ الهمنى ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ ادرجهما لرجوع نفع نعمته اليهم ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ تماما للشكر واستدامة للنّعمة ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي﴾ عداد ﴿عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)﴾ من الانبياء والأولياء حكى انّه سمع صوتها من ثلثة اميال حملته اليه الرّيح فحبس جنده حتّى دخلوا بيوتهم وامر باحضارها وقال لها لم حذرت النّمل من ظلمى اما علمت عدلى قالت بلى ولكن اما سمعت قولى وهم لا يشعرون مع انى لم ارد حطم النّفوس بل حطم القلوب حيث يرون ما انعم الله عليك فيقعوا فى كفران النّعم ويشتغلوا بالنظر اليك من التسبيح فقال عظينى قالت اتدرى لم سخّر لك الرّيح قال لا قالت لتعلم انّ الدّنيا كلّها ريح فمن اعتمد عليها كانّه اعتمد على الرّيح ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ لما نزل بارض صنعاء لورى الهدهد فيدله على الماء تحت الارض بنقره فيها فتخرجه الشّياطين للوضوأ كما كان عادته فى موضع لم يجد فيه ماء ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ ظنّ انّه حاضر ولا تراه لساتر ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك سائلا عن صحة ما لاح له بقوله ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه والقائه فى الشمس فلا يمتنع من الهوام او بجعله مع ضدّه فى قفص ﴿أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ﴾ ليعتبر بابناء جنسه ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١)﴾ برهان بيّن على عذره ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ

بَعِيدٍ﴾ اى زمانا يسيرا خوفا منه وكان قد ذهب مع هدهد غريب ليريه العجائب فرجع ناكسا رأسه مرخيا ذنبه وجناحيه فعفى عنه وسأله عمّا رأى فى غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ اى اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ كان لقب عبد الشمس من قحطان لانّه اول من سبا اطلق على الحىّ او البلد ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢)﴾ اى بخبر محقّق ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ هى ملكة لهم اسمها بلقيس بنت سراحيل ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج اليه الملوك لا مثل ما لسليمان ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٌ (٢٣)﴾ ثمانون ذراعا فى ثمانين من ذهب وفضّة مكلّل بانواع الجواهر ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من عبادة الشمس وغيرها ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحقّ ﴿فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ (٢٤)﴾ اليه ﴿أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ اى فصدهم لان لا يسجدوا له ففيه ادغام نون ان النّاصبة فى لا النّافية ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ اى يظهر ما خفى فى غيره من نحو النّبات والمطر والحيوان وهو فى الاصل مصدر ﴿فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)﴾ الّذى لا اعظم منه ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾ نتأمّل ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)﴾ اى ام كذبت والتّغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل فدلّهم على الماء فاستخرجوه فشربوا وتوضأوا ثم كتب سبيمان كتابا صورته من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ: «بسم الله الرّحمن الرّحيم، السّلام على من اتّبع الهدى، أما بعد فلا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين» ثم طبعه بالمسك وختمه، وقال للهدهد: ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ﴾ انصرف ﴿عَنْهُمْ﴾ وقف قريبا منهم ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾ يردّونه من الجواب ان كان انظر بمعنى تأمل فهو متعلّق عن العمل فى ماذا على كلا وجهيها المشهورين وان كان بمعنى انتظر فهو بمعنى الّذى مفعوله ﴿قَالَتْ﴾ لاشراف قومها بعد ما دخل فى كوة والقاه فى حجرها بحيث لم تشعر به فارتعدت خوفا ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩)﴾ لكرم مضمونه او لكونه مختوما ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ استيناف كانّه

قيل لها ممّن هو وما هو فقالت انّه اى الكتاب من سليمان ﴿وَإِنَّهُ﴾ اى المكتوب ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ﴾ ان المصدرية بصلتها خبر محذوف اى المقصود ان لا تعلوا ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١)﴾ منقادين لله ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي﴾ اشيروا علىّ ﴿فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢)﴾ تحضرون ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اصحاب شدّة فى الحرب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)﴾ من الحرب والصلح نطيعك ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ بالاضرار والاسر ﴿وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤)﴾ تاكيد لما وصفت من حالهم او تصديق لها من الله ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)﴾ من قبول الهدية او ردّها ان كان ملكا قبلها او نبيّا لم يقبلها فبعثت الف جارية بزىّ الغلمان والف غلام بزى الجوارى ليميّز بينهما ان كان نبيّا وخمسمأية لبنة من ذهب وغير ذلك من العجائب مع رسول بكتاب فاسرع الهدهد الى سليمان واخبره بالحال فامر ان يضرب لبنات الذّهب والفضّة وان تبسط من موضعه الى تسع فراسخ ميدانا وان يبنوا حوله حائطا مشرفا من الذّهب والفضة وان يؤتى باحسن دواب البحر مع اولاد الجنّ عن يمين الميدان وشماله وقيل خلّى موضع خمسمأة لبنة فارغا حتى يخاف الّذين مع الهدية ان يرموا بسرقة اللّبن من ذلك الموضع ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ الرّسول ومعه اتباعه ﴿سُلَيْمَانَ﴾ بالهدية وما عنده من العجائب وميّز بين الغلمان والجوارى بان امرهم بغسل الوجه فكانت الجارية تاخذ الماء بيد فتجعله فى الأخرى ثم يضرب به وجهها والغلام ياخذه ويضربه وجهه بدون تحويل ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ اى اتزيدوننى مالا بهديّتكم والاستفهام لأنكار الامداد اى لا اطلب زيادة المال ولا اقبل هديّتكم ثم علّل هذا الأنكار بقوله ﴿فَمَا آتَانِيَ اللهُ﴾ من النّبوة والملك الجزيل ﴿خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ من الدّنيا ثم اضرب عن الأنكار وتعليله الى بيان ما حملهم عليه بقوله ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦)﴾ لفخركم بزخارف الدّنيا فقستم حالى على حالكم ﴿ارْجِعْ﴾ ايّها الرّسول بما جئت من الهدية ﴿إِلَيْهِمْ﴾ اى الى بلقيس وقومها

﴿فلنأتينّهم بجنود لا قبل﴾ لا طاقة ﴿لهم بها﴾ اى بمقاومتها ﴿ولنخرجنّهم منها﴾ من بلدتهم سبأ ﴿أذلّة وهم صاغرون (٣٧)﴾ اسراء مهانون اى ان لم يأتونى مسلمين فلما رجع اليها الرّسول وعرفت الحال جعلت سريرها داخل سبعة ابواب من قصرها وهو داخل سبعة قصور واغلقت الأبواب وجعلت عليها حراسا فتجهزت الى سليمان فى اثنى عشر الف قيل مع كلّ قيل الوف كثيرة فلماّ دنت منه على فراسخ وشعر بها واراد ان يريها بعض ما خصّه الله به من العجائب ﴿قال يا أيّها الملأ أيّكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين (٣٨)﴾ اذ بعد اسلامهم لا يجوز لى اخذه الاّ برضاها ﴿قال عفريت﴾ خبيث مارد اسمه ذكوان ﴿من الجنّ﴾ بيان له ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ بمجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النّهار ﴿وإنّى عليه لقوىّ﴾ اى على حمله ﴿أمين (٣٩)﴾ على ما فيه من الجواهر قال اريد اسرع من ذلك ﴿قال الّذى عنده علم من الكتاب﴾ الكتب المنزّلة وهو وزيره آصف بن برخيا كان يعلم اسم الله الاعظم الّذى دعا به اجاب ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك﴾ اذا نظرت به الى شئ فامره بالنّظر الى السّماء ودعا ففار كرسيّها تحت الأرض ونبع لدى كرسيّه قبل ان يرجع اليه طرفه وكان فى مسيرة شهرين ومرّ فى سورة اسرى دفع ما قيل من استحالة قطع المسافة الكثيرة فى آن قليل ﴿فلمّا رآه﴾ العرش ﴿مستقرًّا عنده قال هذا﴾ الأتيان لى به ﴿من فضل ربّى﴾ تفضّل به علىّ من غير استحقاق ﴿ليبلونى﴾ يختبرنى ﴿أأشكر أم أكفر﴾ نعمه ومحلهما النّصب على البدل من الياء ﴿ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه﴾ اى لأجلها لان ثواب شكره له ﴿ومن كفر فإنّ ربّى غنىّ﴾ عن شكره ﴿كريم (٤٠)﴾ بالأنعام عليه مع كفرانه ﴿قال نكّروا لها عرشها﴾ اى غيّروا هيئته الى هيئة لا تعرفه اذا رأته ﴿ننظر أتهتدى أم تكون من الّذين لا يهتدون (٤١)﴾ الى معرفته ﴿فلمّا جائت قيل أهكذا عرشك﴾ تشبيها للأمر عليها زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرها الجان عنده بانّها خفيفة العقل وشعرة السّاقين تنفيرا له منها لئلاّ يأخذها فتفشّى سرّهم اليه ويولد له منها ولد فلا ينفكّوا من التّسخير ﴿قالت

كَأَنَّهُ هُوَ﴾ لم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها وايضا شبّهت عليهم كما شبّهوا عليها ولو قيل أهذا لقالت نعم ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ قبل هذه الحالة بكمال قدرة الله وصحّة نبوّتك بما تقدّم من الآيات ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)﴾ قالته لما ظنّت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها ﴿وَصَدَّهَا﴾ من عبادة الله عبادة ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ او صدّها الله من تلك العبادة بالتوفيق للإيمان والجملة استيناف من الله لبيان حالها وقوله ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣)﴾ ايضا استيناف وتعليل لما قبله ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ القصر امر ببنائه قبل قدومها وجعل صنحه من زجاج ابيض واجرى من تحتها الماء والقى فيه السّمك ليزيل به ما قالوا فى ساقيها ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماء راكدا ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ لتخوضه وكان سليمان على سريره فى صدر الصّرح فرأى ساقيها وقدميها حسانا وكان فيهما نوع شعر فعملت له الشّياطين النّورة فازالته بها ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾ زجاج لتستر ساقها لعدم جواز النّظر اليه بعد ما تبيّن له حاله ﴿قَالَتْ﴾ نادمة على كفرها المتقدم وناشئة عقد الاسلام بكمال الرّغبة ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة الشّمس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)﴾ فزوّجها وولدت منه ابنا سمّاه داود واقامها على ملكها فكان يزورها كلّ شهر ثلثة ايام وانقضاء ملكها بانقضاء ملكه روى انّه ملك وهو ابن ثلاثة عشر سنة ومات وهو بن ثلاث وخمسين فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ﴾ بان ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥)﴾ فى الدّين فريق مؤمنون به وفريق كافرون ﴿قَالَ﴾ للمكذّبين ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ اى العقوبة فتقولون ايتنا بما تعدنا ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ قبل التّوبة فتؤخرونها الى نزول العذاب كانوا يقولون ان نزل تبنا ﴿لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ قبل نزوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦)﴾ فلا تعذّبون اذ حين نزوله لا ينفع ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾ تشأمنا ﴿بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ اى المؤمنين حيث وقع فينا القحط والجوع والأفتراق منذ افترحتم دينكم ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ﴾ اى السّبب الّذى جاء

منه شركم وخيركم تشبيها له بالطائر الّذى هو سبب لهما فى زعم العرب ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ وهو قضائه وقدره اذ كلّ ما يصيب العبد منهما ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧)﴾ تختبرون بالخير والشّر هل تنتهون او لا فالاضراب من مبدأ ما يصيبهم الى الدّاعى اليه ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ اى انفس وقع تميزا لتسعة مع كونه مفردا نظرا الى المعنى لانّه من الثلثة الى العشرة كما انّ النفر منها الى تسعة ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بانواع المعاصى ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨)﴾ قطّ ﴿قَالُوا﴾ اى قال بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ اى احلفوا به فهو امر مقول لقالوا ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ اى نقتل صالحا ومن آمن معه ليلا ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ اى ولىّ دمه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ حضرنا ﴿مَهْلِكَ﴾ مصدر او زمان او مكان ﴿أَهْلِهِ﴾ فضلا ان نقتلهم ﴿وَ﴾ نحلف ﴿إِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ فى ذلك ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ اى جزيناهم بتعجيل العقوبة سمى به على سبيل التّشبيه او المشاكلة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ﴾ خبر ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ ويجعل استينافا لبيان العاقبة قوله ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ اهلكنا التّسعة بصخرة وطبقت فم الشعب الّذى وقعوا فيه ليقتلوا شعيبا فى مسجده ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)﴾ بصيحة جبرائيل ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ خالية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ اى بسبب كفرهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢)﴾ فيتّعظون ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بصالح وهم اربعة آلاف ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)﴾ الشرك فخصّوا بالنّجاة ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اى اللّواط ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤)﴾ اى يبصر بعضكم فعل بعض يعنى تعملونها جهرا واعلان المعصية ذنب على ذنب ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ عطف بيان لأتيانهم الفاحشة ﴿شَهْوَةً﴾ مفعول له اى لقضاء الشّهوة مع انّ الحكمة فى المواقعة طلب النّسل لاقضاء الوطر ﴿مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ اى حالكونكم متجاوزين النّساء اللاّتى خلقن لذلك ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥)﴾ عاقبة فعلكم والتاء فيه لكون الموصوف فى معنى المخاطب ولوقوعه خبرا عن انتم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾

اهله ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦)﴾ من ادبار الرّجال ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا﴾ اى قدّرنا كونها ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ (٥٧)﴾ اى الباقين فى العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ وهو حجارة السّجيل اهلكتهم ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (٥٨)﴾ بالعذاب مطرهم ﴿قُلِ﴾ يامحمّد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما عرّفنى من احوال الأنبياء من قبلى وامهم ﴿وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ لحقّ تقدّمهم واجتهادهم فى الدّين ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)﴾ به كفار مكّة تحكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ ليس لما اشركوا به مظنّة الموازنة مع من هو مبدأ كلّ خير لعدم الخير فيه اصلا ﴿أَمَّنْ﴾ بل امن ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة الى التّكلم لتاكيد اختصاص الأنبات بذاته تعالى ﴿بِهِ حَدَائِقَ﴾ جمع حديقة وهى البستان المحوّط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حسن ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يعونه على ذلك اى لا ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)﴾ عن الحقّ الّذى هو التّوحيد ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ صالحة لاستقرار بدل من امّن خلق آه ﴿وَجَعَلَ خِلاَلَهَا﴾ فى ما بينها ﴿أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالا اثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ حتّى لا يختلط العذب بالملح كما مرّ فى الفرقان.[1] ﴿أَإِلَهٌ مع اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٦١)﴾ توحيده ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ الّذى مسّه الضّر فالجأه الى الله واللاّم للجنس لا الاستغراق حتى يلزم منه اجابة كلّ مضطر ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ اى ما يسوء الانسان ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ الأضافة بمعنى فى اى يخلف كلّ قرن القرن الّذى قبله ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا﴾ زائدة لتقليل القليل ﴿تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾ الآلاء ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بالنّجوم وعلامات الأرض اضاف ظلمات اللّيالى اليهما للملابسة ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ اى قدام المطر ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)﴾ به من المخلوق العاجز ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت والبراهين القائمة

---

[1] - سورة الفرقان: ٥٣

على الاعادة تجهّلهم وتلزمهم فنزّلوا منزلة من اقرّبها وان لم يكوفو مقرّين فى الواقع ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بالنّبات ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ﴾ اى لا آله معه فى شئ من هذه الأفعال والتّكرير فى هذا وامثاله للتّنبيه على كمال غفلة الانسان ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ علىّ ان غيره يقدر على شئ من ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)﴾ فى اشراككم ثم اتبع بيان اختصاصه بالقدرة التّامة بما هو كاللاّزم له وهو تفرّده بعلم الغيب فقال ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ﴾ الاستثناء منقطع ورفع المستثنى على البدليّة كما هو لغة بنى تميم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ من ﴿أَيَّانَ﴾ متى معمول ﴿يُبْعَثُونَ (٦٥)﴾ والضمير لمن فالجملة حال منهم لكن نسبة مايأتى الى جميعهم من قبيل اسناد فعل البعض الى الكلّ ﴿بَلِ ادَّارَكَ﴾ تتابع وتكامل اسباب ﴿عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ حتى صارت وقوعها كالعيان عندهم مع انّهم لا يعلمونها فهو اضراب من عدم علمهم بالغيب وعدم شهودهم بما هو مآلهم لا محالة الى ماهو اشنع ثم اضرب الى اشنع من هذا بقوله ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ مستقرّون فى جهلهم لا يتفكّرون فى ما يزيل ظلمات الاوهام والشكوك ثم الى اشنع بقوله ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٦)﴾ من عمى القلب اى اختلّت بصيرتهم لا يدركون الدلائل واصله عميون فاعلّ بنقل ضمّة الياء الى الميم للاستثقال وحذفها وجعل كالبيان لعميهم قوله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧)﴾ من القبور والعامل فى اذا نخرج الدّال عليه مخرجون لاهو لمنع كلّ من الهمزة المكررة للمبالغة فى الانكار وانّ واللاّم من ذلك ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل وعد محمّد ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٦٩)﴾ بانكاره وهى هلاكهم بالعذاب فلا بعد ان ينزل بكم مثله ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ اى على تكذيبهم ﴿وَلاَ تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)﴾ اى من مكرهم فانّ الله عاصمك وناصرك ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ العذاب الموعود ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ لحقكم واللاّم مزيدة للتّاكيد ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ

(٧٢)﴾ حلوله فاصابهم مثل عذاب يوم بدر فى الدّنيا ويأتيهم اعجب منه بعد الموت ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بتاخير عقوبتهم على المعاصى وغير ذلك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ نعمه لجهلهم فيستعجلون وقوع عذابه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤)﴾ بالسنتهم من عداوتك فيجازيهم ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الهاء للمبالغة اى شئ فى غاية الخفاء على النّاس ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥)﴾ بيّن وهو اللّوح ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حقيقة ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦)﴾ من نحو احوال الجنّة والنّار وعزير والمسيح بعضه على سبيل التّصريح وكلّه بطريق التّضمين فلا ينافى كونه تبيانا لكلّ شئ وفيه تحريك المشركين على اتّباعه ﴿وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)﴾ فانهم المنتفعون به ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ اى بين بنى اسرائيل ﴿بِحُكْمِهِ﴾ اى بالحقّ او بحكمته فلا استدراك ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فلا يردّ قضائه ﴿الْعَلِيمُ (٧٨)﴾ بما يحكم به ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ولا تبال بمعاداتهم ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩)﴾ ومن هو على الحقّ حقيق بحفظ الله ونصره ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ تعليل آخر للامر بالتوكّل من حيث انه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠)﴾ فان استعماعهم فى هذه الحالة ابعد ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ يعنى هم مشبهون بهذه الثلثة فلا ينتفعون بشيء ممّا يلقى اليهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع افهام وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن اى من هو فى علم الله كذلك ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١)﴾ مخلصون ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾ بالبعث والعذاب ﴿عَلَيْهِمْ﴾ اى قرب وقوع مدلوله ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ يقال لها الجسّاسة لانّها تجسّ اى تطلب الكفار فلا ينجو منها هارب معها خاتم سليمان يختم به انف الكافر وعصى موسى تجلو بها وجه المؤمن وجاء فى وصفها ومكان خروجها ووقته وما يترتب عليه روايات مختلفة تجدها فى كتب الحديث ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بالعربيّة من جملة كلامها انّها تحكى عن الله ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ اى الكفار ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ خروجها وسائر

احوالها ﴿لاَ يُوقِنُونَ (٨٢)﴾ لا يتيقّنون ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ بيان للفوج ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣)﴾ يحبسون بحيث يتلاحقون ثم يساقون ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُ﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَ﴾ حال ﴿لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ حتى يتبيّن لكم انّها حقيقة بالتّصديق او التّكذيب ﴿أَمَّاذَا﴾ اىّ شئ ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤)﴾ ممّا امرتم به تبكيت لهم اذ لم يفعلوا سوى التكذيب فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ حقّ العذاب الموعود ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا﴾ بسبب ظلمهم وتكذيبهم ﴿فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ (٨٥)﴾ اذ لا حجة لهم ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ بالنّوم والقرار ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ اى ليبصروا فيه لكن جعله مبصرا مبالغة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلالات على التّوحيد وحقّية الرّسل والحشر اذ من يقدر على تعاقب الظّلمة والنّور واحد يقدر على بعث الرّسل والحشر ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦)﴾ خصّهم لانّهم ينتفعون ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى ﴿فَفَزِعَ﴾ خاف ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ من الهول عبّر عنه بالماضى لتحقّق وقوعه ﴿إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ ان لا يفزع فيثبّت قلبه ﴿وَكُلٌّ﴾ اى كلهم ﴿أَتَوْهُ﴾ يوم القيامة بعد النفخة الثانية ﴿دَاخِرِينَ (٨٧)﴾ صاغرين ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿الْجِبَالَ﴾ وقت النّفخة ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ ثابتة فى مكانها والجملة حال من فاعل ترى ﴿وَ﴾ حال ﴿هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ فى السّرعة اذ لعظمها لا ترى حركتها فتقع على الأرض فيستوى بها مبثوثة ثمّ تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لمضمون جملة قبله لا محتمل لها غيره اضيف الى فاعله بعد حذف عامله وجوبا اى صنع الله ذلك صنعا ﴿الَّذِي أَتْقَنَ﴾ احكم صنع ﴿كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)﴾ ظاهرا وباطنا فيجازيهم كما قال ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ اذ الواحدة بعشر امثالها الى سبعمائة ﴿وَهُمْ﴾ روعى فيه معنى من ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ اى خوف عذاب يوم القيامة والفزع الحاصل لهم من النّفخة هو مجرّد تهيّب ورعب من رأية العظائم فلا منافاة ﴿آمِنُونَ (٨٩) وَمَن جَاءَ

بالسَّيِّئَةِ﴾ اى الشّرك ﴿فَكُبَّتْ﴾ القيت ﴿وُجُوهُهُمْ﴾ انفسهم ﴿فِي النَّارِ﴾ ويقال لهم تبكيتا ﴿هَلْ﴾ اى ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)﴾ قل لهم ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ مكّة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ اى جعلها حرّما آمنا لكلّ شئ ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ خلقا وملكا ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١)﴾ المنقادين ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ عليكم دعوة لكم الى الأيمان ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ به ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ اذ نفعه عائد اليه ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ طريق الهدى ﴿فَقُلْ﴾ له ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢)﴾ لا وبال علىّ من الضّلالة اذ علىّ البلاغ وقد ادّيته ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه علىّ ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ القاهرة فى الدّنيا من القتل والاسر والآخرة من انواع العذاب ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ انّها آياته لكن لا ينفع ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)﴾ وانّما يمهلهم لوقتهم.

* * *

سورة القصص

مكّية وقيل: الآ قوله (الّذين آتيناهم الكتاب) إلى (لا نبتغى الجاهلين) وهى ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾ المظهر الحقّ من الباطل ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ﴾ نقرأه بقرائة جبرائيل ﴿مِنْ نَبَإِ﴾ خبر ﴿مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾ اى بعض نبئهما مفعول نتلوا ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣)﴾ لأجلهم لانّهم المنتفعون به ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تكبّر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ارض مصر والجملة استيناف لبيان ذلك البعض ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقا فى خدمته استعمل كلّ فرقة فى خدمة ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ وهم بنواسرائيل حال من فاعل جعل ويبدل منها ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ حين يولدون ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ يستبقى بناتهم ومرّ سببه فى اوّل البقرة. [1] ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)﴾ والآ لما فعل مثل هذا الصّنيع لتخبّل فاسد ﴿وَنُرِيدُ﴾ حكاية حال ماضية عطف على انّ فرعون آه ﴿أَنْ نَمُنَّ﴾ نتفضّل ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بانقاذهم من بأسه ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ فى امر الدّارين ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥)﴾ ملك فرعون ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ارض مصر والشام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ﴾ من بنى اسرائيل ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)﴾ من ذهاب ملكهم على يد مولود منهم ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحى الهام او منام ﴿إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما امكنك اخفائه ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ بان يحسّ به ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ البحر اى النّيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ غرقه وضياعه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ عن قريب ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧)﴾ فارضعته ثلثة اشهر لا يبكى قطّ وما اخبرت به القابلة

---

[1] - آية: ٤٩

الموكّلة على حبالى بنى اسرائيل لإلقاء الله محبّته فى قلبها فلمّا ألحّ فرعون فى طلب المواليد وضعته فى تابوت مطلّى بالقار واغلقته فى بحر النّيل ليلا ﴿فَالْتَقَطَهُ﴾ صبيحة تلك اللّيلة ﴿آلُ فِرْعَوْنَ﴾ اعوانه فوضعوه بين يديه فاخرجه من التّابوت وهو يمصّ من ابهامه لبنا ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ بقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نسائهم واللاّم للعاقبة كما فى لدوا للموت وابنوا للخراب او للتّعليل على تشبيه ما هو عاقبة الالتقاط بالغرض الحامل عليه ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)﴾ فى رأيهم حيث قتلوا سبعين الفا فى طلبه ثمّ اخذوه يربّوه ﴿وَقَالَتِ﴾ آسية ﴿امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد هم مع اعوانه بقتله هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ حيث لطخنا ريقه فى برص بنتنا فبرأت لما كانت الأطباء دلّتهم على ريق حيوان بحرى شبه الانسان ولو قال مثل قولها لانتفع به مثلها لكن القضاء حمله على ان قال لك لا لى كما فى الحديث ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩)﴾ عاقبة امرهم معه حال من القائلة والمقول له ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ من العقل لما علمت بوقوعه فى يد فرعون ﴿إِنْ﴾ مخفّفة من الثقيلة اى انها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ لتظهر قصّة موسى لتالّمها او للفرح بتبنّيه ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ بالصّبر والثّبات ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠)﴾ المصدقين بوعدنا وجواب لولا دلّ عليه ما قبلها ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ مريم ﴿قُصِّيهِ﴾ ابتغى اثره حتّى تعلمى خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾ ابصرته ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ من بعد اختلاسا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١)﴾ انّها اخته ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ فلم يلتقم ثدى مرضعة ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل قصّها ﴿فَقَالَتْ﴾ بعد ما رأت حنوّهم عليه ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بالارضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢)﴾ لما قالت ذلك ارادوا اخذها لتخبر لهم عن حقيقة حاله قالت مرادى من له الملك ليزول اضطرابه ويسكن قلبه لا الغلام اذلا اعرفه فخلّصت نفسها من التّهمة فامرت باتيان من يكفله فأتت بامّه فاخذ ثديها فسئلوها عن ذلك قالت لانّى امرأة طيبة الرّيح واللّبن لا اوتى بصبىّ الاّ قبلنى قطع اجرتها كلّ يوم دينارا واذن لها بارضاعه فى بيتها

فرجعت به كما قال ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ برده اليها ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ اى النّاس ﴿لَا يَعْلَمُونَ (١٣)﴾ انّ موعده حقّ فيرتابون فيه وبقى عندها الى ان فطمته ثم اتت به الى فرعون فتربّى عنده ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ مبلغه الّذى لا يزيد عليه نشوه وهو من ثمان عشرة سنة الى ثلاثين او منها الى اربعين ﴿وَاسْتَوَى﴾ عقله اذ كماله فى الأربعين ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ اى علم الحكماء والعلماء واخلاقهم قبل ان يبعث نبيّا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ما جازيناه وامّه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤)﴾ على احسانهم ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ مصر آتيا من قصر فرعون كائنا ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ﴾ صادرة ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ كان وقت القيلولة او بين العشائين ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ اى بنى اسرائيل قيل كان السامرىّ ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ اى قبطىّ يسخّر الاسرائيلىّ ليحمل حطبا الى مطبخ فرعون ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ بالاعانة ﴿عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقال له موسى خلّ عنه فقال لقد هممت ان احمله عليك ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ اى ضربه بجمع كفّه وكان شديد القوة ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ فقتله فندم اذ لم يكن قصد القتل ودفنه فى الرّمل ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ المهيج غضبى ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥)﴾ بيّن العداوة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦)﴾ سمّاه ظلما واستغفر منه مع هدر دم الحربىّ لانّه كان قبل الأذن له بقتل الكفّار فاستعظمه اذ من عادة المتّقين ان يستعظموا المحقّرات ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ استعطاف اى بحقّ انعامك علىّ اعصمنى ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ عونا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ (١٧)﴾ لذوى الجرم والجملة جواب للامر المقدّر مسبب عنه ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتل ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يستغيث به على قبطىّ آخر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٨)﴾ بين الغواية بما فعلته امس واليوم ﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ لموسى والاسرائيلىّ ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظنّا انه يبطش به لما

سماه غويّا ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩)﴾ بين النّاس بدفع التّخاصم بوجه احسن فعلم القبطيّ انّ القاتل موسى فاخبر فرعون بذلك فامر الذباحين بقتله ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ وهو مؤمن آل فرعون ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ صفة رجل ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ﴾ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون بسببك سمّي التّشاور ايتمارا لانّ كلاّ من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠)﴾ فى الامر بالخروج ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طالب ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١)﴾ حتى لا يلحقونى ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ﴾ جهة ﴿مَدْيَنَ﴾ قرية شعيب بن نويب بن مدين بن ابراهيم سميت باسم ابن ابراهيم كما سمّيت مداين باسم ابن آخر له وعلى ثمانية ايّام من مصر خارجة عن سلطنة فرعون وكان لم يعرف طريقها ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢)﴾ فاخذ بالاوسط من ثلاث طرق وقعت قباله واخذ طالبوه فى الآخرين فلم يجدوه ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة مختلفة ﴿مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾ اى سواهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان اغنامهما عن الماء ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ اى ما شأنكما لا تسقيان ﴿قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ اى يرجعوا اغنامهم من الماء خوف مزاحمة الرّجال جمع راع المواشى كما ان الرّعاة جمع راع النّاس اى الوالى ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣)﴾ لا يقدر ان يسقى فيبعثنا اضطرارا ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ مواشيهما من بئر اخرى رفع حجرا عنها لا يرفعه الاّ عشرة رجال ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ وهو جايع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾ اى لاىّ شئ انزلت ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَقِيرٌ (٢٤)﴾ محتاج سائل ولذا تعدّى باللاّم فى لما ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَيهُمَا﴾ الكبرى او الصغرى اسمها صفورا بعد ما ذهبا الى ابيهما واخبراه بالحال ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ اى واضعة كمّ درعها على وجهها حياء منه ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فاجابها

للتّبرك برأية الشّيخ والعمل برأيه لا لطمع الأجرة حتّى روى انّه لم يأكل طعامه خوفا ان يكون عوضا وقال نحن اهل بيت لا نطلب عوضا على عملنا حتى قال له شعيب ليس عوضا بل عادتنا انّا نضيف من اتانا البتة وكانت الرّيح تكشف ساقها فى الطّريق فامرها ان تمشى خلفه وتدلّه على الطّريق ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ مصدر بمعنى المقصوص اى جميع امره من يوم ولادته الى وقت خروجه ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)﴾ اذ لا سلطان لهم على هذه البلدة ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ الّتى دعته ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لرعى الغنم بدلنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)﴾ وهذان الوصفان موجودان فيه لما شاهدت من رفعه الحجر وابائه عن المشى خلفى فهو حقيق بالاستحار ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ وهى المرسلة ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ نفسك لرعاية غنمى ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ اى سنين نصب على الظرف ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ اى رعى عشر سنين ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ التمام ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ باشتراط تمام العشرة ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)﴾ فى حسن المعاملة والوفاء بالعهد ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَلِكَ﴾ الّذى قلت قائم ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ لا نخرج عنه ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ الثمان او العشرة وما مزيدة اى رعى ايهما ﴿قَضَيْتُ﴾ وفيتك ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ اى فلا يعتدى علىّ بطلب الزّيادة عليه وانا ايضا لا اريد شيئا بزيادة على الثمان ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ انا وانت ﴿وَكِيلٌ (٢٨)﴾ شاهد حفيظ فامر شعيب بنته ان تعطى موسى عصى من عصى الأنبياء الّتى عنده ليسوق بها الاغنام فوقع فى يدها عصى آدم من آسى الجنة روى انّه امرها ان تاتى بغيرها سبع مرات فلا تقع فى يدها الاّ هى فاخذها باذن شعيب وهى الّتى انقلبت ثعبانا ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾ روى انه قضى اقصاها ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ زوجته باذن ابيها نحو مصر مع الغنم الّتى اعطاه شعيب اذ وعد معه سنة النتاج البيض واخرى السود واخرى ذوات اللّونين فتمخّضت كل سنة ما وعده فاعطاه ايّاها ﴿آنَسَ﴾ ابصر من بعيد ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي

آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطّريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ قطعة او شعلة ﴿مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)﴾ تستدفئون بها ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ﴾ للأبتداء ﴿شَاطِئِ﴾ جانب ﴿الْوَادِي الْأَيْمَنِ﴾ لموسى صفة الشّاطى وقوله ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ حال له ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل اشتمال منه باعادة الجار لانّها كانت نابتة عليه كانت عناب او عليق او عوسج ﴿أَنْ﴾ مفسّرة ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠)﴾ ولا بأس باختلاف الفاظ القّصصة فى المواضع لاتّحادها مآلا ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فالقاها ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ حيّة صغيرة فى السّرعة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ فنودى ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ﴾ ادخل ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ عيب ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ بديك مستعار من جنح الطّير ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ اى من اجل الخوف الّذى حصل بك عند انقلاب العصى حيّة يعنى لا تبسطهما تتقى بهما كالخائف فانّ ذلك نقص لك عند العدوّ بل اضممهما بان تدخل اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس فتشجّع ﴿فَذَانِكَ﴾ العصى واليد ﴿بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ مرسلان على يدك ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣)﴾ بها ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معينا حال من المفعول ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بيان الحق وابطال شبههم ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤)﴾ ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ نقوّيك به ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوأ اذهبا ﴿بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ حال ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى﴾ مختلق كسائر انواع السحر فهو صفة مؤكّدة ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ السّحر كائنا ﴿فِي﴾ ايّام ﴿آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ فيعلم انّه المحقّ لا انتم ﴿وَمَنْ﴾ عطف على من قبله ﴿تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ العاقبة المحمودة للدّنيا وهى الجنّة لانّها مزرعتها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧)﴾ الكافرون دنيا وعقبا ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا

الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى﴾ وهو الآن يدّعى وجوده ﴿فَأَوْقِدْ لِى يا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ فاطبخ لى الآجر ﴿فَاجْعَل لِى صَرْحًا﴾ قصرا عاليا ﴿لَعَلِّى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسى﴾ انظر اليه واقف على الحال ﴿وَإِنِّى لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨)﴾ فى ادعائه الٰها اخر وانّه رسوله ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ﴾ مرّ بيانه مرارا ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمّد ﴿كَيْفَ﴾ خبر ﴿كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠)﴾ وحذّر قومك من مثلها ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ فى الدّنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ قدوة فى الشّرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ الى موجباتها من الكفر والمعاصى ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لاَ يُنصَرُونَ (٤١)﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ طردا من الرّحمة او يلعنهم اهل السّموات والأرض ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)﴾ الوجه او من المبعدين ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التّورية ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من الكتاب جمع بصيرة وهى نور القلب اى انوارا للقلوب تبصّر بها الحقائق ﴿وَهُدًى﴾ من الضّلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ ينال من عمل بها رحمة الله ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)﴾ يتّعظون مواعظه ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمّد حاضرا ﴿بِجَانِبِ﴾ الجبل او الوادى ﴿الْغَرْبِىِّ﴾ من مقام موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْنَا﴾ اوحينا ﴿إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ الّذى اردنا تعريفه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤)﴾ اى من الّذين شهدوا الوحى اليه وهم السّبعون المختارون للميقات والتّقدير لم تحضر هناك ولو حضرت ما شهدت ما وقع فلا تكرار ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ اى طالت اعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحى فجئنابك رسولا واوحينا اليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيما ﴿فِى أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ شعيب ومن آمن به ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ تقرأ عليهم وتتعلّم منهم خبر ثان ﴿آيَاتِنَا﴾ الّتى فيها قصصهم مع موسى فتخبر بها كفّار مكّة ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥)﴾ ايّاك مخبرين لك بها ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ موسى واستنبيناه حين جاء من عند شعيب والمراد بالاوّل اعطاء التّورية كما بيّنا

ويجوز العكس ﴿وَلَكِنْ﴾ علّمناك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا﴾ متعلّق بعلّمنا المقدّر ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهم اهل مكّة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)﴾ يتّعظون ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُوا﴾ عطف على تصيبهم بالفاء السببيّة للدلالة على انّه المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به ﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾ اجيبت لولا التّحضيضيّة بالفاء تشبيها لها بالامر وجواب الامتناعية محذوف والمعنى لولا قولهم المذكور المسبب عن المعصية لما ارسلناك اليهم فارسالك لقطع الحجّة عليهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من الآيات كاليد والعصا وغيرهما قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾ الّذين يوافقونهم فى الرأى والعناد ﴿بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ حيث ﴿قَالُوا﴾ فيه وفى محمّد هما ذوا ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ منهما ومن كتابيهما ﴿كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ﴾ يا محمّد ﴿فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ من الكتابين المفهومان من السّوق ﴿أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعائك باتيان الكتاب الاهدى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فى كفرهم اذلو اتّبعوا حجة لأتوا بها ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ كائنا ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ فهو حال للتاكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)﴾ لانفسهم بالانهماك فى الهوى ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ اى اتبعنا بعض القرآن بعضا فى الانزال ليتّصل التّذكير ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١)﴾ يتعظون فيؤمنوا ونزل فى مؤمنى اهل الكتاب ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ اى قبل القرآن ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾ الجملة خبر الّذين ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ استيناف لبيان ما حملهم على الأيمان به ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣)﴾ موحّدين استيناف آخر لبيان انّ ايمانهم به ليس محدثا بل من وقت ما وجدوه فى كتبهم وان لم يدينوا به قبل ذلك ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ بايمانهم بالكتابين ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على العمل بهما و اذى المشركين ﴿وَيَدْرَؤُونَ

بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ يدفعون بالطّاعة المعصية ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤)﴾ فى سبيل الخير ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفّار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ تكرّما ﴿وَقَالُوا﴾ للاغين ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ متاركة لهم اى سلمتم منّا من الشتم وغيره ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)﴾ لا نطلب صحبتهم ونزل فى حرصه عليه السّلام على ايمان عمّه ابى طالب حتى قال له عند الموت قل: «لا اله الاّ الله اشهد لك بها عند الله» فأبى مع الاقرار بصدقه خوف الملامة ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تدخله فى الاسلام ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يدخله فيه فالهداية خلق الاهتداء واستعمالها فى بيان الطّريق كما فى مواضع مجاز ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)﴾ اى المستعدين لذلك ﴿وَقَالُوا﴾ قومه عليه السّلام ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ نخرج منها من جهة العرب قال تعالى ردّا عليهم ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ﴾ بجعل مكانهم ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ ذا امن يأمنون فيه ممّا تفعل العرب بعضهم ببعض خارجه ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ﴾ يحمل اليه ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ مفعول له ليجبى فاذا كان هذا حالهم وهم على الكفر فكيف اذا آمنوا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)﴾ ان ذلك نعم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ﴾ فى ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ اى كانوا مثلكم فى الامن والرّخاء حتى اشرّوا فدمّرناهم ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارّة يوما او بعضه ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨)﴾ منهم اذ لم يبق منهم من يتصرّف فى ملكهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ بظلم منهم ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ اعظمها اذ اهلها افظن ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ قطعا للمعذرة ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩)﴾ بتكذيب الرسل والعناد ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ من اسباب الدنيا ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ تتمتّعون وتتزيّنون به مدة حياتكم ثم يفنى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وهو ثوابه ﴿خَيْرٌ﴾ فى نفسه من ذلك لانّه لذّة خالصة ﴿وَأَبْقَى﴾ لابديّته ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠)﴾ فتستبدلون الأدنى بالأعلى ثم اكّد ترجيح ما عند الله بقوله ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ﴾ على ايمانه والفاء للتّعقيب ﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾ بالجنّة وحسن الوعد بحسن الموعود ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾

مصيبه البتّة لامتناع الخلف فى وعده ولذا عطف بالفاء السّببية على صلة المبتدأ الذى خبره ﴿كَمَنْ مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فقط المشوب بالأيمان وسرعة الزّوال ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦١)﴾ للحساب والعذاب اى لا تساوى بينهما ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢)﴾ انّهم شركائى ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بدخول النّار وهم رأساء الضّلالة او الشّياطين ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾ مبتدأ خبره هم ﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هم وقوله ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ فغووا غيّا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ اى مثل غيّنا استيناف لبيان انّهم غووا باختيارهم وانّهم لم يفعلوا بهم الاّ وسوسة وجعله خبرا والموصوف صفة يضعّفه عدم زيادة فائدة فيه على ما فى الصّفة الاّ ان يقال بوجودها باعتبار كما غوينا فانه فضلة لازمة ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ترك فيه العاطف لانّه تقرير لما قبله وكذا ﴿ما﴾ نافية ﴿كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣)﴾ بل يعبدون اهوائهم ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ﴾ من فرط الحيرة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لعجزهم عن الأجابة والنّصرة ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لازما بهم ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤)﴾ فى الدّنيا لما راوه فى الآخرة ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥)﴾ عطف على الاوّل اذ يسئلهم اوّلا عن الاشراك به وثانيا عن التّكذيب للأنبياء ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ﴾ الأخبار المنجية فى الجواب عبّر عن الخفاء بالعمى استعارة تبعية او شبّهها بالمتوجّهين الى شئ واثبت لها العمى استعارة مكنية نسبته اليها دون اصحابها مبالغة فى عدمها اذ العكس يوهم تحقّقها فى نفس الامر من غير ان يطّلعوا عليها لخلل فيهم بخلاف هذا ﴿يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لاَ يَتَسَاءَلُونَ (٦٦)﴾ بعضهم بعضا عن الجواب بل يدهشون ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧)﴾ عسى ولعلّ وسوف فى وعد الملوك كالجزم بها وذكرها لاظهار الوقار والاشعار بانّ الرّمز منهم كالتّصريح من غيرهم وعليه جرى وعده تعالى ووعيده او للنزج من التّائب بمعنى فليتوقع ان يفلح ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء لا اعتراض لاحد عليه ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿الْخِيَرَةُ﴾ اى التخير

اذلا اختيار للعباد فى الحقيقة اصلا فانّ اختيارهم مخلوق باختياره تعالى ويلزم منه جبر متوسّط وهو ليس بمنكر كما فى الكتب الكلاميّة ﴿سُبْحَانَ اللهِ﴾ ان يزاحم اختياره اختيار ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)﴾ عن اشراكهم ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تستر قلوبهم من الكفر وعداوة الرّسول ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩)﴾ بالسنتهم من ذلك ﴿وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى﴾ الدّنيا ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ الجنة يقول اهلها به الحمد لله الّذى صدقنا وعده ونحوه تلذّذا ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النّافذ فى كلّ شئ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)﴾ بالنّشور ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبرونى ﴿إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائما من السّرد وهو المتابعة والميم مزيدة فوزنه فعمل ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ باسكان الشمس تحت الأرض ﴿مَنْ إِلَهٌ﴾ ذكرها بدل هل على زعمهم انّ غيره آلهة ﴿غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١)﴾ ذلك سماع تفهّم فترجعون عن الاشراك ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ باسكانها فى وسط السماء ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ للاستراحة من تعب الاشغال ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢)﴾ لكثرة المنافع للضوء والمقصودية فى نفسه ولم يصف بما يقابل به وقرنه بالسّماع الأفيد للتّعقّل ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ فى اللّيل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ فى النّهار وبانواع الكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ النّعم فيهما ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤)﴾ كرّره للاشعار بانّه لا اجلب لغضب الله من الاشراك او ليبين انّه كان محض تشه لا عن سند بقوله ﴿وَنَزَعْنَا﴾ اخرجنا عطف على يناديهم واختار الماضى لتحقّق الوقوع ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيّهم يشهد عليهم بما كانوا عليه ﴿فَقُلْنَا﴾ للأمم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ما كنتم عليه من الاشراك ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ﴾ فى الألهية ﴿لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيها احد ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)﴾ من الباطل ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ابن عمّه يصهر وابن خالته وآمن به ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ تكبر عليهم بكثرة المال وطلب ان يكونوا تحت امره

﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ الاموال المدخرة ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ اى مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به ﴿لَتَنُوءُ﴾ تثقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ الجماعة من سبعين او اربعين او غير ذلك على اختلاف فيه ﴿أُولِي﴾ اصحاب ﴿الْقُوَّةِ﴾ اى تثقلهم حتى تميلهم فالباء للتّعدية والجملة خبر انّ الواقعة مع ما فى حيزها صلة ما والواقعة ثانى مفعولى آتينا ﴿إِذْ﴾ ظرف تنوء ﴿قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فرح بطر ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)﴾ بذلك ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ﴾ من المال ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بصرفه فيما يوجبها لك ﴿وَلاَ تَنسَ﴾ تترك كالنّاسى ﴿نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وهو ان تحصّل بها وتاخذ منها ما يكفيك ﴿وَأَحْسِنْ﴾ الى عبادة الله بالصدقة ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصى والظلم ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ اى يعاقبهم ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ المال كائنا انا ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ كائن ﴿عِنْدِي﴾ اى بمقابلة ما عندى من العلم حتى استوجبت التّفوق بالجاه والمال وهو علم التّورية اذ كان اعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهارون بها او علم الكيمياء تعلّم ثلثه من موسى وثلثين من يوشع وكالب بالغدر فافتخر بانّ ما حصل له لفضله واستحقاقه ولم ينظر الى انّه مجرد فضل من الله فوقع فيما وقع فكذا حال كلّ من لم ينسب النّعم الى مجرد فضله تعالى قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال استفهام تعجب وتوبيخ من اغتراره مع علمه بذلك من التّورية وحفّاظ التّواريخ ﴿وَلاَ يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)﴾ سؤال استعلام لعلم الله بها بل سؤال توبيخ او لا يسئلون قطّ بل يعذبون بغتة بلا حساب وحينئذ نحو لنسألنّهم اجمعين يحمل على وقت آخر ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ باربعة آلاف تابع ركبانا متحلّين بالذهب والحرير هم ومراكبهم ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ تمنّوا المثل حذرا من الحسد ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩)﴾ من الدّنيا ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ باحوال الآخرة ﴿وَيْلَكُمْ﴾ دعاء بالهلاك استعمل للزّجر عمّا لا يرتضى ﴿ثَوَابُ اللهِ﴾ فى الآخرة ﴿خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ

صَالِحًا﴾ مما اوتى قارون بل من الدّنيا وما فيها ﴿وَلاَ يُلَقَّاهَا﴾ الجنة المثاب بها ﴿إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠)﴾ على الطاعات وعن المعاصى ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ حين اشتكى منه موسى ربّه لأمتناعه من الزّكوة وبرطيل امرأة بغية لترميه بنفسها فينفضح بين بنى اسرائيل فيتركوه ويقتل لما كان وعظ يوما انّ من زنا محصنا رجمناه فقال ولو انت قال ولو انا حكى انّه كلّما اخذت الأرض منه شيئا تضرّع الى موسى فلم يرحمه وكان حكمها بيده فاوحى الله اليه وعزّتى لو دعانى مرّة لاجبته ثم قال بنو اسرائيل فعل به ليرثه فدعى حتى خسف بداره وامواله ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾ اعوان ﴿يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ بان يمنعوا عنه الهلاك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١)﴾ منه ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾ منزلة ﴿بِالْأَمْسِ﴾ اى من قريب ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ﴾ مركبة من وى للتعجب وكانّ للتّشبيه والمعنى ما اشبه الأمر انّ ﴿اللهَ يَبْسُطُ﴾ يوسّع ﴿الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيّق عليه اى ليسا للكرامة والأهانة بل لمجرّد ما اقتضته حكمته ﴿لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾ بعدم عطاء ما طلبنا ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ لتكبرنا مثله ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ الشأن ﴿لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)﴾ لنعمة الله ﴿تِلْكَ الدَّارُ﴾ مبتدأ ﴿الْآخِرَةُ﴾ صفة الدّار والاشارة بلفظ البعيد للتّعظيم كانّه قيل تلك الّتى سمعت خبرها ووصفها ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الْأَرْضِ﴾ بالقهر والغلبة خبر المبتدأ ﴿وَلاَ فَسَادًا﴾ بعمل المعاصى ارادة كارادة فرعون وقارون لا انّ كلّ من صدق عليه انّه مريدهما يحرم عن السّعادة الأبديّة للنّصوص الدّالة على خلاف ذلك لكن فى الآية زجر بليغ عن الخصلتين حيث علّق الوعد بترك ارادتهما لا بتركهما ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)﴾ ما لا يرضاه الله ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ذاتا وقدرا وصفة ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ اظهرهم تهجينا بحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم ﴿إِلاَّ﴾ مثل ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤)﴾ حذف المضاف للمبالغة فى المماثلة ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ تلاوة وتبليغا وعملا ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ اى المقام المحمود الّذى وعدك او مكّة لما روى انّه اشتاقها لمّا بلغ جحفة فى مهاجره فنزلت فيكون

ما قبله وعدا له بالعاقبة الحسنى فى الدّارين ﴿قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ﴾ يعلم ﴿مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨٥)﴾ وما يستحقانه فهو تقرير للوعد السّابق وكذا ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ القرآن ﴿إِلاَّ﴾ لكن القى اليك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ فسيردك الى معادك كذلك ﴿فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ معينا ﴿لِّلْكَافِرِينَ (٨٦)﴾ على دينهم بمداراتهم والأجابة الى طلبهم ﴿وَلاَ يَصُدُّنَّكَ﴾ حذفت نون الرّفع للجازم وواو الجمع لاتقاء السّاكنين ﴿عَنْ آيَاتِ اللهِ﴾ اى عن قرائتها والعمل بها ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ اى الى توحيده وعبادته ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧)﴾ بمساعدتهم ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ ذاته ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)﴾ للجزاء على وفق ما كسبت.

* * *

سورة العنكبوت

مكية وهى سبع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ (١)﴾ متشابه ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ تركهم مفعول اوّل والثانى ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ اى لقولهم ﴿آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢)﴾ حال من فاعل يتركوا والمعنى أحسبوا تركهم لقولهم آمنّا غير مفتونين مختبرين بما يتبيّن به حقيقة ايمانهم من نحو المجاهدة ورفض الشّهوات والصبر على المصايب نزلت فى جماعة من الصحابة جزعوا من اذى المشركين ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ مثلهم ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ﴾ علما حاليا يتميّز به ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ فى ايمانهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾ فيه فيجازيهم ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الشرك والمعاصى ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ يفوتونا فلا ننتقم منهم سادّ مسدّ مفعولى حسب ولكون هذا الحسبان ابطل من الاوّل اضرب اليه وعقّبه بقوله ﴿سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ (٤)﴾ حسبانهم ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ﴾ فى الجنة فليبادر ما يحقّق امله ويستوجب به القربة ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ﴾ اى الوقت المضروب للقائه ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لاقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ (٥)﴾ بعقائدهم وبافعالهم ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ نفسه بالصبر على الطّاعات وعن المعاصى ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لانّ منفعته لها لا لله ﴿إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ لا حاجة له الى عبادتهم وانّما كلّفهم رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ خبره والله ﴿لَنُكَفِّرَنَّ﴾ اى لنذهبنّ ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المتقدّمة بما اتوا به فتكون كان لم تعمل ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ جزاء العمل ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ متعلّق بوصّينا على حذف المضاف اى باتيان والديه ﴿حُسْنًا﴾ اى فعلا ذا حسن بان يبرّهما اذ الواجب عليه ان يحسن حاله مع مولاه ثم معهما اذ لا اكبر من

نعمتهما بعد نعم الله ولذا اعقبها لما قبلها ﴿وَ﴾ قلنا ﴿إِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ بصحة اشراكه ﴿عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ فى ذلك فانّه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق فيما لا يعلم صحّته فضلا عمّا علم بطلانه ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ من الأيمان والاشراك والبر بالوالدين والمعنى اجازيكم عليه هذه الآية والّتى فى لقمان[1] والأحقاف[2] نزلت فى سعد بن ابى وقّاص لمّا اسلم فامتنعت امّه من الأكل ثلاثة ايّام ليرجع عن دينه لأجلها فابى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩)﴾ اى الأنبياء والمرسلين بان يحشرهم معهم ويدخلهم الجنة مثلهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾ بان عذّبهم الكفرة على الأيمان ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ اى اذا هم له على الأيمان ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ له على الكفر فيطيعهم ويعمل النفاق ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ بالفتح والغنيمة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ جواب القسم سادّ مسادّ جواب الشّرط ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ فى الأيمان فاشركونا فى الغنيمة قال تعالى ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)﴾ قلوبهم من الأخلاص والنفاق بلى ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١)﴾ فيجازى الفريقين واللاّم فى الفعلين لام قسم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ طريقنا فى ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ ان كان ذاك خطيّة اخبار اخرج بصورة الأمر مبالغة فى الوعد بتخفيف الاوزار عنهم قال تعالى ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ﴾ للتّبيين ﴿خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ﴾ مفعول حاملين بزيادة من وماقبله حال منه ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢)﴾ فى ذلك ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ اوزارهم الّتى اقترفوها ﴿وَأَثْقَالًا﴾ آخر ﴿مَّع أَثْقَالِهِمْ﴾ لما تسبّبوا لها بالاضلال من غير نقص شئ من اوزار من تبعهم فاين الحمل عنهم ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سؤال توبيخ وتبكيت ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)﴾ يكذبون على الله حتى اضلوا عباده ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ وهو ابن اربعين سنة او

---

[1] - آية: ١٥

[2] - آية: ١٥

مائة او مأتين وخمسين على اختلاف فى ذلك ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ بعد ذلك للدّعاء الى التّوحيد ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا﴾ عدل عن تسعمأية وخمسين لاحتماله المجاز باطلاقه على اقل منه لتنزيله منزلته بخلاف ما قال فانّه نصّ فى ارادة حقيقة العدد المذكور بقرينة الاستثناء ولانّه يخيل للسّامع طول المدّة من اوّل الامر فيكون ادخل فى تسلية النّبى عليه السّلام عمّا يناله من الكفّار وتفنن فى المميزين لقبح التكرير ولانّ العرب تستعمل العام فى الخصب والسّنة فى الجذب ولا شك ان مدة انذره كان فى الجذب والمشقة وبعدها طاب وقته ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ اى الماء الكثير طاف بهم وعلاهم ففرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)﴾ مشركون ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ اى نوحا ﴿وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ اى الّذين كانوا معه فيها من اولاده واتباعه ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ الحادثة ﴿آيَةً﴾ عبرة ﴿لِلْعَالَمِينَ (١٥)﴾ اى لمن بعدهم من النّاس فيتّعظون وعاش نوح بعد الطوفان ستّين سنة او اكثر ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ اى خافوا عقابه ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ممّا انتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦)﴾ الخير من الشّر وجواب ان دلّ عليه ما قبلها ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ اى تكذبون كذبا فى تسميتها آلهة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ اى لا يقدرون ان يرزقوكم ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ اطلبوا كلّه منه فانّه المالك له ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ اى ان تكذّبونى فهى وما بعدها الى فما كان جواب قومه آه من جملة قصّة ابراهيم ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الرّسل التّى من قبلى فلم يضرهم تكذيبهم بل حلّ بانفسهم وباله فكذا تكذيبكم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (١٨)﴾ البيّن الّذى زال معه الشّك ثم قال ردّا على الأمم المكذّبين للرّسل والبعث والتّعجيب من جهلهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ من مادة ومن غيرها ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت فهو عطف على اولم يروا لانّ الاستفهام فيه للأنكار وتقرير الرأية فهو اخبار بمعنى قد رأوا فلا يلزم عطف الاخبار على الانشاء لا على يبدأ لعدم وقوع الرأية عليه الاّ ان يراد اعادته كلّ

سنة مثل ما كان قبلها ﴿إِنَّ ذٰلِكَ﴾ المذكور من البدأ والأعادة ﴿على الله يسيرٌ (١٩)﴾ فكيف ينكرون الثّانى ﴿قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ﴾ ايضا من كلام ابراهيم لقومه على حكاية كلام الله حين امره لهم ﴿فانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ على اختلاف الاجناس والأحوال ﴿ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ بعد النّشأة الّتى هى الأبداء عطف على ماقبله على منوال ثم يعيده ولم يكتف بالضمير كما فى بدأ دلالة على انّ المقصود بيان الاعادة ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾ فيقدر عليها كما قدر على البدأ ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١)﴾ تردّون ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربّكم عن ادراككم بالهرب عن قضائه ﴿فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ﴾ ان امكنكم الهرب فيها فالمقصود بيان امتناع الفوات على جميع التقادير ممكنا كان او مستحيلا ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢)﴾ يحرسكم من ما حلّ بكم من البلاء ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ اى القرآن ﴿وَلِقَائِهِ﴾ اى البعث ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِى﴾ يوم القيامة عبّر بالماضى لتحقّق الوقوع ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)﴾ بكفرهم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ قوم ابراهيم له ﴿إِلَّا أَن قَالُوا﴾ اى قال بعضهم اسند الى الكلّ لرضائهم به ﴿اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ﴾ الّتى قذفوه فيها بان جعلها عليه بردا وسلاما ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ فى انجائه منها ﴿لَآيَاتٍ﴾ هى حفظه منها واخمادها مع عظمها وانشاء روض مكانها فى زمن يسير ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤)﴾ بتوحيد الله وقدرته لانّهم المنتفعون بها ﴿وَقَالَ﴾ ابراهيم ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا﴾ آلهة ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ مفعول له للاتّخاذ اى ليكون سبب التّواد بينكم من حيث اتفاقكم على شئ واحد او مفعول ثان له على حذف المضاف اى سبب المودة ﴿فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ بان يتبرّى الرّأساء من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ اى الأتباع ﴿بَعْضًا﴾ الرّأساء ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٢٥)﴾ يخلّصونكم منها ﴿فَآمَنَ لَهُ﴾ اوّلا ﴿لُوطٌ﴾ وهو ابن اخه هاران وقيل ابن اخته ﴿وَقَالَ﴾ ابراهيم ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ من قومى ﴿إِلَىٰ رَبِّى﴾ اى الى حيث امرنى ربّى فهاجر

مع لوط وامرأته سارة من كُرْثى من سواد الكوفة الى الشّام فنزل فلسطين ولوط سدوم ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذى يمنعنى من اعدائى ﴿الْحَكِيمُ (٢٦)﴾ الذى لا يؤمرنى الا بما فيه صلاحى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ ولدا من سارة بعد ما آيس عن ولادتها لكبرها ولذا لم يذكر اسماعيل ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ نافلة ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ اذ كلّ الأنبياء بعده منهم ﴿وَالْكِتَابَ﴾ اى الكتب الأربعة ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ﴾ على هجرته الينا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الثناء الحسن فى كلّ اهل الاديان ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)﴾ اى فى عداد الكاملين فى الصّلاح ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اى ادبار الرّجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨)﴾ استيناف مقرّر لفاحشيّتها من انّها ممّا يتنفر منه النّفوس السّليمة ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ بفعلكم الفاحشة بالمارة واخذ اموالهم حتّى تركوا المرور بكم ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾ بمجالسكم ﴿الْمُنْكَرَ﴾ فعل الفاحشة بعضكم ببعض والضراط وكشف العورة وغيرها من القبائح ولا تبالون ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)﴾ فى استقباح ذلك وفى انّ العذاب ينزل بنا بسببه ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي﴾ بتحقيق قولى فى انذال العذاب ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)﴾ باتيان الفاحشة وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب فاستجاب الله دعائه ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ باسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ قرية لوط وهى سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١)﴾ كافرين تعليل لاهلاكهم ﴿قَالَ﴾ ابراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢)﴾ الباقين فى العذاب ﴿وَلَمَّا أَنْ﴾ مزيدة لتاكيد الفعلين واتصالهما ﴿جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ اصابه الغمّ بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء لما كان بهم من حسن الصورة ولم يعلم انّهم ملائكة ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ اى ضاق بشأنهم وتدبيرهم ذرعه اى عجز عن كيفية حفظهم ومقابله رحب ذرعه اى قدر فهما من قبيل اطلاق السبب وارادة المسبب ﴿وَقَالُوا﴾ لما رأو فيه اثر الاغتمام ﴿لَا تَخَفْ وَلَا

نَحْنُ﴾ على تمكّنهم منّا ﴿إِنَّا مُنجُوكَ وَأَهْلَكَ﴾ منصوب بالعطف على محلّ الكاف ﴿إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذابا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤)﴾ اى بسبب فسقهم ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة هى آثار خرابها وحكايتها المشهورة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)﴾ يتدبّرون متعلّق بتركنا ﴿وَ﴾ ارسلنا ﴿إِلَى مَدْيَنَ﴾ فهو عطف على ولقد ارسلنا نوحا ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ﴾ اى افعلوا ما ترجون به ثوابه فامر بالمسبب اى الرّجاء واريد السّبب اى الأيمان والطّاعة ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦)﴾ حال مؤكّدة لعاملها ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشّديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ بلدهم ﴿جَاثِمِينَ (٣٧)﴾ باركين على الرّكب ميّتين ﴿وَ﴾ اهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ اهلاكهم ﴿مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾ اى من جهتها اذا مررتم بها ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصى ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ الحقّ ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)﴾ ذوى بصائر ﴿وَ﴾ اهلكنا ﴿قَارُونَ﴾ قدّمه لشرف نسبه ﴿وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩)﴾ فائتين عذابنا بل ادركهم ﴿فَكُلاًّ﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا﴾ عاقبنا ﴿بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحا عاصفا فيها حصباء اى حجارة كقوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ كمدين وثمود ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذّبهم بغير ذنب اذ ليس ذلك من شيمته ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)﴾ بارتكاب الذّنب المؤدّى الى العقاب ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ اى حال من اتخذ الاصنام اولياء وعبدها راجيا نفعها وشفاعتها ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾ يقع على الواحد والجمع والمؤنث والمذكر وتائه زائدة كتاء طاغوت لا للتانيث ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ فيما نسجته اى كحالها فى انّه لم يحصل لهم شئ من فوائد الالوهيّة كما لم يحصل لها شئ من فوائد البيت من نحو دفع حرّ وبرد ومطر ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ اضعف ﴿الْبُيُوتِ لَبَيْتُ

الْعَنكَبُوتِ﴾ اذ ليس فيه نفع مما قلنا فكذا اصنامهم لا تنفعهم اصلا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)﴾ اى لو رجعوا الى علمهم لعلموا انّ هذا مثلهم بل دينهم اوهى من ذلك قل لهم ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا﴾ الّذى ﴿تَدْعُونَ﴾ تعبدونه ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ غيره ﴿مِن شَىْءٍ﴾ بيان ما فيجازيكم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فى ملكه ﴿الْحَكِيمُ (٤٢)﴾ فى صنعه فكيف يليق ان تشركوا به ما لا يعدّ شيئا اصلا فما قبله وعيد وهذا كالتّعليل له ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ﴾ الّتى فى القرآن من المذكور هنا وغيره ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ تقريبا لما بعد من افهامهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ اى حسنها وفائدتها ﴿إِلاَّ الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾ المتدبّرون الاشياء على ما ينبغى ﴿خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ ملبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ اى محقّا غير قاصد به باطلا بل افاضة الخير والدّلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ﴿إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٤)﴾ لانّهم المنتفعون ﴿اتْلُ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ اى القرآن تقرّبا الى الله بقرائته وتحفظا لألفاظه واستكشافا لمعانيه اذ يزداد انكشافها بتكرير قرائته ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ﴾ الخالصة لوجهه الكريم المشتملة على التّذلل والخضوع لا كلّها ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ الفعلة القبيحة ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ شرعا وعقلا اى تصير سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال بها وغيرها لانها سبب تذكر الله والخشية منه وهما سببا الانتهاء فاسناده اليها من قبيل الاسناد الى سبب السّبب ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ﴾ اى الصّلوة عبّر عنها بالذكر اشارة الى علّة افضليّتها ﴿أَكْبَرُ﴾ من سائر الطّاعات لانّ اشتمالها عليه هو العمدة فى تفضيلها على ماعداها ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)﴾ فيجازيكم به ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى﴾ اى بالخصلة والمجادلة الّتى ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ بان تعاوضوا خشونتهم باللّين وتزيلوا شبههم وتبيّنوا لهم الحقّ باقامة الحجج وتلاوة القرآن لانّهم آمنوا بالكتب وما فيها سوى الرسول عليه السلام فليحملوا على الأيمان به برفق بخلاف المشركين فانّهم يستحقوا الأذى والنسبة الى الضلال فى المجادلة والمراد بهم اهل الذّمة او من لم يجاوز الحدّ منهم فى الأعتداء فلا نسخ بأية السّيف لانّها فى حقّ من افرط بمنع الجزية والأقدام على المحاربة كما قال ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾

بما ذكر فجادلوهم بالسّيف حتّى يسلموا او يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لهم اذا اخبروكم بشيء ممّا فى كتبهم غير مفرطين ﴿آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ فلا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم فى ذلك باطلا كان او حقّا بل قولوا ما قلنا فهو ايضا من المجادلة بالّتى هى احسن ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)﴾ مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم رهبانهم اربابا من دون الله ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الانزال العجيب ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ وحيا مصدّقا لسائر الكتب الالٰهيّة فلزم ان يؤمن اصحابها به فلذا فرّع عليه قوله ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ التّورية كعبد الله ابن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ اهل مكّة ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ بعد ظهورها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧)﴾ المتوغّلون فى الكفر ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ﴾ القرآن ﴿مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ ذكرها لزيادة تصوير المنفىّ ودفع توهّم التجوز فى الاسناد والمعنى ما كنت قاريا ولا كاتبا ﴿إِذًا﴾ اى لو كنت ايّاها ﴿لَّارْتَابَ﴾ شكّ ﴿الْمُبْطِلُونَ (٤٨)﴾ فقالوا لعلّه تعلّمه او التقطه من كتب الأوّلين ﴿بَلْ هُوَ﴾ اى القرآن اضراب عن انزاله انزالا عجيبا الى ماهو اهمّ ﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ اى على محمّد ﴿آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء ليست بيدى فآتيكم بما تقترحون ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠)﴾ ابيّن الأنذار بما اعطيت من الآيات ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ عمّا طلبوا ﴿أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ دائما فهو آية مستمرّة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الكتاب ﴿لَرَحْمَةً﴾ نعمة عظيمة ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)﴾ اى لمن همّه الأيمان دون التّعنت ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصدقى ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلا يخفى عليه حالى وحالكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ وهو ما يعبدون من دون الله ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أُولَٰئِكَ

هُمُ الْخاسِرُونَ (٥٢)﴾ فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالأيمان ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ بقولهم امطر علينا حجارة من السّماء ﴿وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ له او لهم ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلا ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ فى الدّنيا كبدر او الآخرة عند نزول الموت بهم ﴿وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٣)﴾ باتيانه ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤)﴾ اى ستحيط بهم لكن اتى بالجملة الاسميّة مؤكدة بانّ واللاّم لانّه كالمتحقق او محيطة الآن بهم لأحاطة ما يوجبها من الذنوب بهم فنزّل المسبّب منزلة الواقع فى الحال فى ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ اى من جميع جوانبه ﴿وَيَقُولُ﴾ على لسان الملائكة ﴿ذُوقُوا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ﴾ منصوب بفعل يفسّره ﴿فَاعْبُدُونِ (٥٦)﴾ والجملة جواب شرط محذوف اى ان لم تتيسّر العبادة لى فى ارض فاعبدونى فى ايّ ارض تيسّرت فيها بان تهاجروا اليها من ارض لم تتيسّر فيها فانّ من فرّ بدينه من ارض ولو بشبر استوجب الجنّة كما فى الحديث ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧)﴾ للجزاء فينبغى ان تجتهدوا فى الاستعداد له خوّفهم به ليهون عليهم ما امرهم به من الهجرة ثم بيّن ثواب مهاجرتهم بقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ لننزّلنهم ﴿مِنَ الْجَنَّةِ﴾ حال من ﴿غُرَفًا﴾ علالى ويجعل صفة لها قوله ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨)﴾ هذا الأجر ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على اذى المشركين والهجرة لاظهار الدّين وغير ذلك ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)﴾ دون غيره ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ مركّبة من كاف التّشبيه واىّ التى تستعمل استعمال من جعلت بمعنى كم الخبريّة فصارت كانّها مبنية على السّكون آخرها نون ساكنة فلذا يكتب تنوينها بالنّون مع انها لا صورة لها فهى مبتدأ و ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ تميزها و ﴿لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لا تطيق حمله لضعفها صفتها وخبرها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ ايّها المهاجرون وان لم يكن معكم زاد فلا تغتمّوا بالانتقال الى موضع ليس

لكم فيه معيشة ﴿وهو السَّميعُ﴾ لقولكم ﴿الْعَليمُ (٦٠)﴾ بضميركم ﴿وَلَئِنْ سأَلْتَهُمْ﴾ اهل مكة ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ لتقرر ذلك فى العقول كلّها ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١)﴾ يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسّعه ﴿لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيّق ﴿لَهُ﴾ اى للموسّع له بعينه بعد البسط امتحانا او لمن يشاء مطلقا ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢)﴾ فيعلم من يستحق البسط والتّضييق ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ فكيف يشركون به ما لا يقدر على شئ من ذلك ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ثبوت حجّتى عليكم او على ما عصمنى من مثل هذه الضلالة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (٦٣)﴾ فيتناقضون حيث يقرّون بانّه المبدأ لكل ما عداه ثم يشركون به الصنم ﴿وَما هَذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾ اشارة تحقير من حيث انّه نزّل قرب الدرجة ودنائتها منزلة قرب المسافة فاشير اليه بلفظ القريب ﴿إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ اى كما يلهى ويلعب به الصبيان ثمّ ينقضى ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ﴾ دار ﴿الْحَيَوانُ﴾ اى داره او جعلها نفسه مبالغة وهو مصدر بمعنى الحيوة ابلغ منه لما فى بناء فعلان من الحركة والأضطراب اللاّزم للحيوة ولذا اختير هنا واصله حييان قلبت الياء الثّانية واوا ﴿لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)﴾ ما اختاروا عليها الدّنيا التّى حيوتها عارضة سريعه الزّوال ﴿فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ عطف على ما دلّ عليه شرح حالهم اى هم على الشّرك فاذا ركبوا البحر وهاجت الرّياح والأمواج وكادوا يغرقوا ﴿دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ اى حال كونهم كمن اخلص دينه لله حيث لا يدعون غيره لعلمهم بانّه لا يكشف الشدائد الاّ هو ففيه تهكّم بهم حيث ليسوا مخلصين حقيقة بل الجأهم اليه الخوف ﴿فَلَمَّا نَجّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾ به ﴿لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ﴾ من نعمة الأنجاء ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الاصنام اللاّم فيه لام كى اى ليكون شركهم كفرا بنعمة الأنجاء وتمتعا بالاصنام لا لفائدة اخرويّة او لام الأمر على التّهديد

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦)﴾ عاقبة ذلك ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ كفّار مكّة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ يأمنون فيه نفوسهم واموالهم ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلا وسبيا دونهم ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ اى الصّنم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ اى بعد هذه النعمة الظاهرة ﴿وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ (٦٧)﴾ حيث اشركوا به غيره وتقديم الصّلتين للأهتمام ﴿وَمَنْ﴾ اى لا احد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بان زعم انّ له شريكا خصوصا فى مثل بلدهم المأمن الّذى يجب ان يكون المرأ فيه احسن حالا منه فى سائر البلاد ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ النّبى او الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾ اى اوّل ما سمعوه من غير توقف وتأمّل ففيه تسفيه لهم ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِلْكَافِرِينَ (٦٨)﴾ وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله اى لهم فيها ذلك اذ همزة الأنكار دخلت على النفى فافادت التّقرير ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ اى فى حقّنا ظاهرا وباطنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ اى طريق السّير والوصول الينا ﴿وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ بالنّصر والعون.

* * *

سورة الروم

مكية الا قوله: (فسبحان الله) الآية
وهى ستون اية او دون واحدة أو ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ـ ، ـ ﴾ متشابه ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ (٢)﴾ وهم اهل كتاب ملكهم قيصر غلبتهم فارس وهم عبدة الأوثان وملكهم كسرى ففرح اهل مكّة بذلك وقالوا للمسلمين نحن نغلبكم كما غلبت اخواننا فارس الأميّون مثلنا على اخوانكم الّذين ذوو الكتاب مثلكم فنزلت ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ اى اقرب ارض العرب من الرّوم ان كان اللاّم للعهد او اقرب ارضهم من العرب ان كان اللاّم عوضا عن المضاف اليه والمراد اطراف الشّام اضيفت تارة الى العرب وتارة الى الرّوم لسكون بعض من كلّ منهما فيها ﴿وَهُمْ﴾ اى الرّوم ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ من اضافة المصدر الى المفعول اى غلبت فارس ايّاهم ﴿سَيَغْلِبُونَ (٣)﴾ فارس ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ وهو ما بين الثلاث الى التّسع ولذلك قال عليه السّلام لابى بكر لمّا ناحب المشركين المنكرين لغلبة الروم على فارس على عشرة نياق الى ثلث سنين زدهم فى الخطر والأجل فجعلهما مأية نوق وتسع سنين فلمّا وقع غلبة الرّوم يوم الحديبيّة فى السّنة السّابعة من غلبة فارس اخذ ابوبكر الخطر من المشركين واتى به الى النّبى ﷺ فقال تصدّق به وكان ذلك قبل تحريم القمار ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ اى من قبل غلبة الرّوم وبعدها اى غلبة فارس عليهم وغلبتهم على فارس بامره وقضائه اذ كل شئ بيده ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ اى يوم يغلب الرّوم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ ايّاهم على فارس لما فيه من انقلاب التفأّل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وازدياد يقينهم وثباتهم فى الدّين ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)﴾ ينتقم

من عباده بالنّصر عليهم تارة ويتفضّل عليهم بنصرهم اخرى ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لنفسه لانّ ماقبله فى معنى الوعد وعامله مضمر اى وعدهم الله ذلك وعدا ثم قرر معناه بقوله ﴿لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ اى كفّار مكّة ﴿لا يَعْلَمُونَ (٦)﴾ وعده لانكارهم الرّسالة والوحى ويدل منه للدّلالة على عدم الفرق بين عدم العلم والعلم المختصّ بظاهر الدّنيا قوله ﴿يَعْلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ اى معاشيها من التّجارة والزّراعة والبناء والغراس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾ الّتى غايتها والمقصود منها ﴿هُمْ﴾ تاكيد للاوّل ﴿غافِلُونَ (٧) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي﴾ امر ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ القريبة اليهم المندرج فيها جميع مافى الممكنات من الغرائب والعجائب ليتحقّق لهم انّ مبدعها الّذى قدر على ابدائها على هذا النّمط العجيب قادر على اعادتها لا محالة وعلى هذا يجعل جملة مستأنفة لا تعلّق لها بما قبلها قوله ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ اى ملتبسا مقرونا به لا باطلا خاليا عن حكمة بالغة ﴿وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ تنتهى عنده ولا تبقى عنده فهو عطف على الحقّ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ اى كفار مكة ﴿بِلِقاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿لَكافِرُونَ (٨)﴾ جاحدون يحسبون ان لا آخرة ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم وهى اهلاكهم بتكذيبهم الرّسل ﴿كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثارُوا الْأَرْضَ﴾ حرثوها وقلبوها للزّرع والغرس واستخراج المعادن والمياه وغير ذلك ﴿وَعَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها﴾ اى اكثر من عمارة كفّار مكّة ايّاها فانّهم اهل واد غير ذى زرع لا تبسّط لهم فى غيرها وفيه تهكّم بهم من حيث انهم اغتروا بالدّنيا مع انّهم اضعف حالا فيها ومن يكون كذلك لا ينبغى له الأغترار بها ﴿وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ﴾ اى الحجج الظّاهرات ﴿فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ باهلاكهم من غير جرم وتذكير ﴿وَلَكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩)﴾ حيث عملوا ما ادّى الى اهلاكهم ﴿ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُوا﴾ وضع الظاهر موضع المضمر للدّلالة على ما اقتضى ان تكون تلك عاقبتهم ﴿السُّوأى﴾ تأنيث الاسوأ بمعنى الأقبح خبر كان ﴿أَنْ

كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون (١٠)﴾ علّة بتقدير اللاّم او بدل او عطف بيان للسّوأى اى كان عاقبتهم ان طبع على قلوبهم حتّى ماتوا على التّكذيب والاستهزاء ﴿اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ ينشئهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يبعثهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١)﴾ للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢)﴾ اى يسكتوا متحيّرين لانقطاع حجّتهم ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾ اى من الاصنام الّتى اشركوها بالله ﴿شُفَعَاءُ﴾ يشفعون لهم ويجيرونهم من العذاب والماضى المفهوم من لم لتحقّق الوقوع ﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣)﴾ حينئذ ليأسهم منها ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾ تاكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ (١٤)﴾ المؤمنون والكافرون بقرينة قوله ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ جنة ذات ازهار وانهار ﴿يُحْبَرُونَ (١٥)﴾ يسرّون سرورا تملّك له وجوههم ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦)﴾ مدخلون لا يغيبون عنه ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ﴾ اخبار فى معنى الأمر اى سبّحوه ونزّهوه عمّا لا يليق به ﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧)﴾ خصّهما للتّسبيح لانّ اثار القدرة والعظمة فيهما اظهر ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا﴾ اى آخر النّهار ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)﴾ تدخلون فى الظهيرة اى وسط النّهار وخصّ الحمد بهذين لانّ تجدد النّعم فيهما اكثر ويجوز ان يكونا عطفا على حين تمسون وجملة الحمد اعتراض فلا تخصيص وعن ابن عبّاس انّ المراد بتسبيح المساء صلوة المغرب والعشاء والصّبح صلاته والعشى صلوة العصر والظّهيرة صلوتها تسمية للشيء باسم ما فيه لكن لكثر الأحاديث من نحو قوله عليه السّلام من سرّه ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل ﴿فسبحان الله﴾ الآية يدلّ على كون التّسبيح على اصل معناه كما ذكرنا اوّلا كما يدل عليه كون الآية مدنيّة اذ الاكثر على انّ الصّلوات الخمس فرضت بمكّة لا بالمدينة وكان الواجب بمكّة ركعتان فى اىّ وقت اتّفقت كما قال البعض ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالانسان من النّطفة والطّائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ النّطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾ بالنّبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

يبسها ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الاخراج ﴿تُخْرَجُونَ (١٩)﴾ من قبوركم فانّه ايضا يعقب الحيوة والموت ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الدّالة على وحدانيّته وقدرته خبر مقدّم لقوله ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ فى اصل الأنشاء اى خلق اصلكم آدم منه ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ اى ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا ﴿تَنْتَشِرُونَ (٢٠)﴾ صفة بشر لانّ المراد به الجنس وثم للتّراخى الرّتبىّ بين كثرتهم وانتشارهم فى الأرض وبين كونهم مخلوقين من التّراب لا الزّمانى لانّ اذا الفجائيّة تدل على قرب زمانهما ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ لانّ حوّى خلقت من ضلع آدم وسائر النّساء من نطف الرّجال ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ تألفوا بها فانّ الجنسية علّة للضم والأختلاف سبب للتنافر ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ جميعا ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ فانّ تعيّش الانسان يتوقف على التّعاون المحوّج الى التّواد والتّرحم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ فى صنع الله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ لغاتكم بان علّم كلّ صنف لغة ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ من بياض وسواد وغيرهما بحيث يقع التّمايز حتّى بين التوأمين وانتم اولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ راحة لكم ﴿وَابْتِغَاؤُكُمْ﴾ بالنّهار ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ اى تصرّفكم فى طلب المعيشة بارادته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣)﴾ سماع تدبّر واعتبار ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ ان ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافرين من الصّواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ فى المطر للمقيم ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ﴾ بان تنبت ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤)﴾ يتدبرون صنايع قدرته ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ اى بارادته من غير عمد عبّر عنها بالأمر للمبالغة فى كمال القدرة والاستغناء عن الآلة ﴿ثُمَّ﴾ للتّراخ الزّمانىّ ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ بان ينفخ اسرافيل فى الصّور للبعث من القبور ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)﴾ احياء والجملة الشّرطيّة فى تاويل المفرد اى ثم خروجكم اذا دعاكم آه عطفا على ان تقوم وانّما اتى بهذا الاسلوب اشعارا بانّه حكم مستقل مقصود بذاته مع قطع النّظر عن كونه آية

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقا وملكا ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦)﴾ منقادون له فى ما كلّفهم به من الأوامر والنّواهى وفى ما فعل بهم من الأحياء والأمانة وغير ذلك وهو دليل على وحدانيّته اذ المنقاد بهذه الكيفية كيف يشارك المنقادله ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الهلاك ﴿وَهُوَ﴾ الاعادة والتّذكير للخبر اى ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ اسهل عليه من البدأ بالنّظر الى اصولكم من انّ اعادة الشّئ اسهل من ابتدائه والاّ فهما عنده تعالى سواء فى السّهولة ولذا قيل ضمير عليه للخلق ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ اى الوصف العجيب الشّأن الّذى ليس لغيره ما يدانيه كالقدرة العامة والحكمة التّامة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ متعلّق بما تعلّق به له اى ثابة ومعنى ثبوته له فيهما انّه تعالى عرف ووصف به فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلائل ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب الّذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته ﴿الْحَكِيمُ ٠﴾ الّذى يجرى الأفعال على مقتضى حكمته ﴿ضَرَبَ لَكُمْ﴾ ايّها المشركون ﴿مَثَلًا﴾ مأخوذا ﴿مِنْ﴾ احوال ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ الّتى هى اقرب الأمور اليكم وهو ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ اى من مماليككم ﴿مِنْ شُرَكَاءَ﴾ مبتدأ بزيادة من الاستغراقيّة ولكم خبره مقدّم عليه ومّما ملكت حال منه ومن فيه للتّبعيض ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من الاموال وغيرها ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ﴾ معمول ﴿سَوَاءٌ﴾ يتصرّفون مثل تصرّفكم ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ حين التّصرف فيه ﴿كَخِيفَتِكُمْ﴾ اى امثالكم من الاحرار الّذين بينكم وبينهم مشاركة ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ فالأضافة لادنى ملابسة والجملة حال من فاعل سواء او خبر ثان لانتم والجملة جواب للاستفهام النّافى للأمور الثلثة اى ليس مماليككم شركائكم فيما رزقناكم فتستووا فى التّصرف فيه وتخافوا منهم اى لم ترضوا بذلك فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ اى نبيّنها مثل ذلك التّفصيل فان التّمثيل يوضح الاشياء ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨)﴾ اى يتدبّرون الأمثال ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاشراك ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ اى جاهلين لا يكفهم شئ اذ العالم ربّما يكفّه علمه عن متابعة الهوى ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ اى لا هادى له ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ

ناصرين (٢٩)﴾ يخلّصونهم من الضّلالة والعذاب ﴿فأقم﴾ يامحمّد باتباعك ﴿وجهك للدّين حنيفا﴾ مائلا اليه عن كلّ دين اى اقبل قلبك عليه واستقم عليه واخلصه لله عبّر عنه باقامة الوجه تشبيها له باقبال الشّخص الى موضع معيّن ﴿فطرة الله﴾ اى الزموها فهو نصب على الاغراء ﴿الّتي فطر﴾ خلق ﴿النّاس عليها﴾ وهى الحالة الّتى فطرت الانسانية عليها من الصفاء والتمكّن من قبول الحقّ لولا العوارض كما فى الحديث: «ما من مولود الاّ وقد يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»[1] او دينه فانّهم لو خلّوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليه ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ اى ما ينبغى ان يغيّر ﴿ذلك﴾ الدين المأمور باقامة الوجه له ﴿الدّين القيّم﴾ المستقيم ﴿ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون (٣٠) منيبين إليه﴾ اى راجعين اليه حال من فاعل ما نصب به فطرة الله ﴿واتّقوه وأقيموا الصّلاة ولا تكونوا من المشركين (٣١)﴾ ويدل منه ﴿من الّذين فرّقوا دينهم﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا يتبع كلّ امامها الّذى اصل دينها ﴿كلّ حزب بما لديهم فرحون (٣٢)﴾ ظنّا انّه الحقّ ثم وبّخ متفرقين الأديان على اشراكهم حال الرّخاء وانابتهم اليه حال الشّدة بقوله ﴿وإذا مسّ النّاس ضرّ﴾ شدة كالمرض والقحط ونحوهما ﴿دعوا ربّهم منيبين﴾ راجعين ﴿إليه﴾ دون غيره ﴿ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة﴾ خلاصا من تلك الشّدة ﴿إذا فريق منهم بربّهم﴾ الّذى عافاهم ﴿يشركون (٣٣) ليكفروا بما آتيناهم﴾ اللاّم للعاقبة اى لم يترتب على اشراكهم سوى الكفر بنعمة الأنجاء او للتّهديد كقوله ﴿فتمتّعوا﴾ غير انّه التفت فيه مبالغة ﴿فسوف تعلمون (٣٤)﴾ عاقبة تمتّعكم ﴿أم﴾ منقطعة بمعنى بل للاضرابيّة الى توبيخهم على الشرك بغير حجة والهمزة الأنكاريّة اى بل أ ﴿أنزلنا عليهم سلطانا﴾ حجّة وكتابا ﴿فهو يتكلّم﴾ تكلّم دلالة ﴿بما كانوا به يشركون (٣٥)﴾ اى باشراكهم وصحّته ﴿وإذا أذقنا النّاس رحمة﴾ نعمة ﴿فرحوا بها﴾ فرح بطر ﴿وإن تصبهم سيّئة﴾ شدّة ﴿بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون (٣٦)﴾ يئيسون من الرّحمة ومن شأن المؤمن ان يشكر

---

[1] - صحيح البخاري: ١٤٣/٥

ربّه عند النّعمة ويرجوه عند الشّدة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ امتحانا فيشكروا حال السّراء ويصبروا على الضراء كما هو شأن المؤمنين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧)﴾ بها فيعرفوا كمال القدرة والحكمة ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ من البر وصلة الرحم ﴿وَ﴾ آت ﴿الْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ المسافر ما قدّر لهما من الزّكوة الخطاب لمن بسط له او للرسول تعظيما له ويدخل فيه الأمة وعلى التّقديرين مرتّب على ماقبله اى اذا علمتم انّه الباسط والقادر فلا تتوقّفوا فى الاحسان على المحتاجين اذ لا نقص بالانفاق ولا ازدياد بالامساك بل هما بيده ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ﴾ اى ذاته والتّقرب اليه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨)﴾ حيث كسبوا بما بسط لهم النّعيم المقيم ﴿وَمَا آتَيْتُمْ﴾ اعطيتم ﴿مِنْ رِبًا﴾ زيادة محرّمة فى المعاملة بيان ما ويجوز ان يراد من ربا عطيّة يطلب بها زيادة المكافاة سميت به لكونها سببا لاخذه فالمراد بالنّاس المعطين وبعدم الرّبو عند الله عدم الثواب للمعطين ﴿لِيَرْبُوَ﴾ يزيد ﴿فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الآخذين له ﴿فَلَا يَرْبُو﴾ يزيد ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ ولا يبارك فيه ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ اللهِ﴾ خاصّة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾ ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة فيه التفات عن الخطاب للتعظيم كانّه خطاب للملائكة وخواص الخلق بحال المزكّين ﴿اللهُ﴾ مبتدأ خبره ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ﴾ مزيدة ﴿شَيْءٍ﴾ لا ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)﴾ به ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ اى انواع البلايا من نقص الذّرع وموتان المواشى وكثرة الحرق والغرق ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ من المعاصى ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ جزاء ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ فانّ تمامه فى الآخرة واللاّم للعلة او العاقبة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)﴾ عمّا هم عليه ﴿قُلْ﴾ لكفّار مكّة ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ لتحققوا صدق ظهور الفساد بما اقترفوا ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢)﴾ استيناف لبيان انّ سوأ عاقبتهم كان لغلبة الشرك ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ بليغ الاستقامة وهو دين الاسلام ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ وهو يوم

القيامة ﴿لاَ مَرَدَّ لَهُ﴾ اى لا يقدر احد ان يردّه ﴿مِنَ اللهِ﴾ متعلّق بياتى ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣)﴾ اى يتفرّقون بعد الحساب فريق فى الجنة وفريق فى السّعير كما قال ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ اى وباله وهو النّار المؤبدة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤)﴾ يوطنون منازلهم فى الجنةوتقديم الظّرف للأختصاص فى الموضعين ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ متعلّق بيصّدّعون او يمهدون اقتصر على جزائهم اشعارا بانّه المقصود بالذّات واكتفاء على فحوى قوله ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥)﴾ اى يعاقبهم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ﴾ الشّمال والصبا والجنوب فانّها رياح الرّحمة وامّا الدّبور فريح العذاب. ومنه قوله عليه السّلام: «اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا»[1] ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ بالمطر ليبشركم ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ المنافع التّابعة لها فهو كالمعطوف عليه المقدر متعلّق بيرسل ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ بها ﴿بِأَمْرِهِ﴾ ارادته ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الرزق بالتجارة فى البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)﴾ لتشكروا نعمة الله فيها فتوحّدوه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فكذّبوهم ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ اى منهم بالاهلاك ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾ على الكافرين باهلاكهم وانجاء المؤمنين ففعلنا ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَبْسُطُهُ﴾ متّصلا تارة ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ اى فى سمتها ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلّة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ قطعا متفرقة تارة اخرى ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ﴾ وسطه فى التّارتين ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ اى بالودق اراضى ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨)﴾ بمجيء الخصب ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من المثقلة اى انه ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ المطر ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ اى قبل الانزال والتكرير للتّاكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ (٤٩)﴾ آيسين من انزاله ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ﴾ اى آثار المطر من النّبات والاشجار وانواع الثّمار ﴿كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ﴾ بالنّبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ القادر على احياء الأرض بعد موتها ﴿لَمُحْيِي

---

[1] – مسند الإمام الشافعي: ٣٤٢/١

سواء﴾ اى قادر على احيائهم لانّه احداث لمثل ماكان فى مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الأرض احداث لمثل ماكان فيها من القوى النّباتية ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وبعد﴾ اللاّم موطئة للقسم ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مضرة على النّبات ذكره بطريق الفرض دون ماقبله لانّه تعالى رؤف بالعباد كثير الفضل عليهم واضراره ايّاهم فى غاية النّدرة ولذا عبّر عن النّافعة بلفظ الجمع وعن الضارة بلفظ الواحد ﴿فَرَأَوْهُ﴾ اى النبات ﴿مُصْفَرًّا﴾ لما اصابه من الريح ﴿لَظَلُّوا﴾ صاروا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد الاصفرار ﴿يَكْفُرُونَ (٥١)﴾ يجحدون نعمه تعالى من المطر وجواب القسم سد مسدّ جواب الشّرط ﴿فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢)﴾ قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فانّ الاصمّ المقبل وان لم يسمع الكلام يفهم منه بواسطة الحركات شيئا بخلاف المدبر ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع افهام وقبول ﴿إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن اى من شارف الأيمان بها ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣)﴾ منقادون لما يؤمروا به ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر بقرينة تنكيره وهو ضعف الطّفوليّة ﴿قُوَّةً﴾ حين بلغتم الحلم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ ضعف الكبر ﴿وَشَيْبَةً﴾ اى شيب الهرم وجاء فى الضعف ضم اوّله وفتحه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من ضعف وقوّة وشباب وشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ (٥٤)﴾ على ما يشاء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ القيامة سميت بها لانّها تقع بغتة ﴿يُقْسِمُ﴾ يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَبِثُوا﴾ فى القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ استقلّوا مدّة لبثهم اضافة الى مدّة عذابهم فى الآخرة ونسيانا قال تعالى ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الصّرف عن الصّدق والتّحقيق فى مدّة اللّبث ﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥)﴾ يصرفون فى الدّنيا عن الحقّ بانكار البعث ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ﴾ من الملائكة والانس ردّا لحلفهم كذبا ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيما كتبه لكم واوجبه فى سابق علمه ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ وان كنتم منكرين للبعث ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ الّذى انكرتموه اى فقد تبيّن بطلان انكاركم ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٥٦)﴾

وقوعه لعدم التفكر ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾ فى انكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧)﴾ اى لا يطلب منهم العتبى اى الرّجوع الى ما يرضى الله تعالى به من التّوبة والطّاعة كما يطلب منهم فى الدّنيا ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ دال على التّوحيد والبعث وصدق الرّسول ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ من آيات القرآن او من آيات من قبلك من الأنبياء ﴿لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لفرط عنادهم وقسوة قلبهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ اى محمّد واصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨)﴾ مزوّرون ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الأطباع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩)﴾ لا يطلبون العلم ﴿فَاصْبِرْ﴾ على اذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك واظهار دينك على الدّين كلّها ﴿حَقٌّ﴾ لابدّ من انجازه ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ اى لا يحملنك على الخفة والقلق ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)﴾ بتكذيبهم وايذائهم فانّهم ضالون لا يستبعد منهم ذلك.

* * *

سورة لقمان

مكية إلا (ولو انّ ما فى الأرض من شجرة اقلام) الآيتين فمدنيتان وهى أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ۝١﴾ متشابه ﴿تِلْكَ﴾ اى هذه الآيات اختير لفظ البعيد للتّعظيم ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن الأضافة بمعنى من ﴿الْحَكِيمِ ۝٢﴾ اى محكم آياته او ذى الحكم ومشتمل عليها ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣﴾ حالان من الآيات والعامل فيها ماقى تلك من معنى الاشارة ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ للتّاكيد ﴿يُوقِنُونَ ۝٤﴾ صفة كاشفة للمحسنين على انّ اللاّم فيه للجنس او مادحة تخصّصه على انّه للاستغراق فتدلّ على اشرف المعانى الداخلة فى مفهوم الموصوف كالصّفات الجارية على اسم الله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ لاستجماعهم بين العقيدة الحقّة والعمل الصّالح ولمّا بيّن انّ القرآن كتاب حكيم شرع فى بيان من يكفر به ويتركه ويشتغل باللهو فقال ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ اى ما يلهى عما يعنى من نحو الأحاديث والحكايات الّتى لا اصل لها والمضاحك وفضول الكلام ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه او قراءة كتابه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بحال التّجارة حيث استبدل اللّهو بقرائة القرآن ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ اى ويتّخذ السّبيل سخريّة ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦﴾ ذو اهانة لهم لاهانتهم الحقّ باختيار الباطل عليه روعى هنا معنى من ولفظها فى قوله ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبّرا لا يعبأبها ﴿كَأَن﴾ مخفّفة حذف منها ضمير الشأن اى كانه ﴿لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ ثقلا وصمما وجملتا التّشبيه حالان من ضمير ولّى او مستكبرا او الثانية من المستكن فى لم يسمعها او بدل او بيان

للأولى ﴿فبشّرْهُ بعذابٍ أليمٍ (٧)﴾ مؤلم اى اعلمه بحلوله به لا محالة وذكر البشارة تهكّم ﴿إنَّ الّذِينَ آمنُوا وعمِلُوا الصّالِحاتِ لهُمْ جنّاتُ النّعِيمِ (٨)﴾ اى نعيم جنّات يعكس للمبالغة ﴿خالِدِينَ فِيها﴾ بعد الدخول فهو حال مقدّر من لهم ﴿وعْد اللهِ حقًّا﴾ مصدران مؤكدان الاوّل لنفسه والثّانى لغيره لانّ المؤكّد اى لمضمون له جنّات النّعيم وعد لا محتمل لها غيره وكلّ وعد ليس بحقّ فلها محتمل غير الحقّ ﴿وهُو العزِيزُ﴾ الّذى لا يغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده ﴿الحكِيمُ (٩)﴾ الّذى لا يضع الشّئ الاّ فى محلّه ﴿خلق السّمٰواتِ بِغيْرِ عمدٍ ترَوْنهَا﴾ قد سبق فى الرّعد[1] ﴿وألْقى فِى الأرْضِ رواسِى﴾ جبالا مرتفعة كراهة ﴿أنْ تمِيدَ﴾ او لئلاّ تميد اى تتحرك ﴿بِكُمْ وبثّ فِيها مِنْ كُلِّ دابّةٍ وأنْزلْنا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿مِنَ السّماءِ ماءً فأنبتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زوْجٍ كرِيمٍ (١٠)﴾ صنف حسن كثير المنفعة ﴿هذا﴾ الّذى ذكر ﴿خلْقُ اللهِ﴾ مخلوقه ﴿فأرُونِى﴾ يا اهل مكّة ﴿ماذا﴾ اىّ شئ مفعول ﴿خلقَ﴾ آلهتكم ﴿الّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره ﴿بلِ الظّالِمُونَ فِى ضلالٍ مُبِينٍ (١١)﴾ اضراب عن تبكيتهم الى التّسجيل عليهم بالضّلال البيّن اظهر هم دلالة على انّهم ظالمون باشراكهم ﴿ولقدْ آتيْنا لُقْمانَ﴾ بن باعوراء من اولاد آزر بن اخت ايوب او خالته كان يفتى قبل داود وادرك زمنه واخذ منه العلم الدّروع وغيرها والأصح انّه كان حكيما لا نبيّا ﴿الْحِكْمةَ﴾ اى استكمال النفس بالعلم والعمل وحكمته كثيرة مأثورة منها ان داود امره بذبح شاة واتيان اطيب مضغتين منها فاتى باللّسان والقلب ثم بعد ايّام باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا ﴿أنِ اشْكُرْ لِلّهِ﴾ مفسرة بمعنى اى فانّ الأتيان الحكمة يتضمّن معنى القول لما فيه من معنى التّعليم والتّلقين وفسّر ايتائها بالأمر بالشكر تنبيها على ان الحكمة الاصليّة والعلم الحقيقىّ عبادة الله وشكره ﴿ومنْ يشْكُرْ فإنّما يشْكُرُ لِنفْسِهِ﴾ لانّ نفعه من الثّواب ومزيد النّعمة عائد اليه ﴿ومنْ كفرَ﴾ النّعم بترك التّوحيد والطّاعة ﴿فإنّ اللهَ غنِىٌّ﴾ لا يحتاج

---

[1] - آية: ٢

الى الشّكر ﴿حميدٌ (١٢)﴾ حقيق بالحمد وان لم يحمد ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾ تصغير اشفاق ﴿لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ قيل كان كافرا فلم يزل به حتّى اسلم ﴿إِنَّ الشِّرْكَ﴾ به ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ اى ببرهما اعتراض الى قوله بما كنتم تعملون فى قصة لقمان تاكيدا لما فيهما من النّهى عن الشرك كانّه قال قد وصينا بمثل ما وصى به وتنبيها على انّ الوالدين مع استحقاقهما التّعظيم والطّاعة لا يجوز تقليدهما فى الشّرك فما ظنّك بغيرهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ استيناف لبيان علّة التوصية ويجعل حالا من امّه تحن ﴿وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ اى تضعف ضعفا على ضعف حيث ضعفت للحمل والطلق والولادة فالمراد من قوله وهنا على وهن التكرار والكثرة لا وهنين فقط ﴿وَفِصَالُهُ﴾ فطامه ﴿فِي﴾ انقضاء ﴿عَامَيْنِ﴾ وكانت ترضعه فى تلك المدّة فاستحقّ ان توصّى بها فهو كما قبله اعتراض مؤكد للتوصية فى حقها خصوصا لانّ مشقتها معه اشد من مشقة الأب ومن ثمة اكد فى الحديث البرّ بهما اكثر ممّا به ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ تفسير لوصّينا لانّ التّوصية فى معنى الأمر ببرهما فيفسّر بالترغيب فى شكرهما الاّ انّه تعالى لما كان سببا حقيقيّا لوجود الكائنات كان شكرهما فى الحقيقة شكره فلذاك قرنه او علّة له اى لشكرى وشكر والديه ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)﴾ فاحاسبك على شكرك وكفرك ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ﴾ باستحقاق الاشراك ﴿عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾ فى ذلك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا﴾ اصحابا ﴿مَعْرُوفًا﴾ يرتضيه الشّرع ﴿وَاتَّبِعْ﴾ فى الدّين ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بالتّوحيد والأخلاص فى الطّاعة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ انت وهما ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)﴾ بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ اى الخصلة سواء السّيئة والحسنة ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ اى مقدار حبّة الخردل ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ﴾ اى فى اخفى واحرزه كالمذكورات ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ يحضرها فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه الى كلّ خفىّ ﴿خَبِيرٌ (١٦)﴾ بكنهه ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾

تكميلا لنفسك ولغيرك ﴿واصْبِرْ عَلَى ما أَصابَكَ﴾ من الشّدائد بسبب الأمر والنّهى وغير ذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)﴾ اى معزوماتها ومقطوعاتها الّتى قطع الله بوجوبها ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ اى لا تمله عنهم تكبّرا ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ اى فرحا مصدر وقع موقع الحال وعلّل النهى بقوله ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ﴾ متبختر فى مشيه ﴿فَخُورٍ (١٨)﴾ على النّاس فهو مقابل المصعّر خدّه اخره رعاية لفواصل الآى ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعليك بالسّكينة والوقار ﴿وَاغْضُضْ﴾ انقص شيئا ﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ اى اخفضه ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ﴾ اقبحها واوحشها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)﴾ وحد الصوت لانّه فى الاصل مصدر والحمار مثل فى الذم سيّما نهاقه ولذا يكنّى عنه بطويل الأذنين والجملة استيناف تعليل للامر بغض الصّوت كانّه قيل لانّ الصّوت اذا رفع كان منكرا كصوته لكن ذكر المشبّه به فقط استعارة مصرّحة ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّمٰواتِ﴾ من النّيرات لتنتفعوا بها ﴿وَما فِي الْأَرْضِ﴾ من متلذّذاتها ﴿وَأَسْبَغَ﴾ اتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً﴾ من حسن الصّورة وغيره ﴿وَباطِنَةً﴾ من المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ النّاسِ﴾ كفار مكّة ﴿مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ﴾ فى توحيده وصفاته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من دليل ﴿وَلا هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ (٢٠)﴾ من الله بل بمجرّد التّقليل كما قال ﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾ قال تعالى انكارا عليهم وتعجّبا ﴿أَ﴾ يتّبعونه ﴿وَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ (٢١)﴾ اى الى موجباته من التّقليد ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ﴾ بان فوّض امره اليه واقبل بشراشره على طاعته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحّد ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ﴾ الحلقة المتدلية من الحبل اى هو كهذا المستمسك حذف ادات التّشبيه للمبالغة فيه ﴿الْوُثْقى﴾ تأنيث الاوثق واوثق العرى جانب الله لانّ كلّ ماعداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له ﴿وَإِلَى اللهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢)﴾ مرجعها ومنه هذا شأنه كيف لا يسلم المرأ وجهه اليه ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾ اى لا تهتم بكفره فانّه لا يضرّك ﴿إِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (٢٣)﴾ اى بما فيها فيجازى عليه فضلا عمّا

فى الظّاهر ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ فى الدّنيا تمتّعا او زمنا ﴿قَلِيلًا﴾ فان ما يزول قليل بالنّسبة الى ما يدوم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)﴾ متكاثف ثقيل ووصف العذاب به مبنىّ على تشبيهه بالأجرام المتلاصقة استعارة بالكناية ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على الزامهم حتّى اعترفوا بما يوجب بطلان معتقدهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥)﴾ انّ ذلك يلزمهم ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن حمد الحامد ﴿الْحَمِيدُ (٢٦)﴾ المستحقّ للحمد وان لم يحمد ﴿وَلَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّمَا﴾ الّتى ﴿فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ﴾ بيان ما حال من ضميرها فى الصّلة ﴿أَقْلَامٌ﴾ خبر انّ ﴿وَالْبَحْرُ﴾ المحيط مبتدأ خبره مقدّر اى مداد حذف لما يدلّ عليه قوله ﴿يَمُدُّهُ﴾ اى يصير مدادا له ينصب فيه لأزدياده ﴿مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مثله فاعل يمدّ والجملة حال من البحر وهو مع خبره جملة مستانفة او حال ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ المعبّر بها عن معلوماته لانّها غير متناهية فكذا ما يعبّر به عنها لا يتناهى وينفد بكتبها بتلك الأقلام والمداد ولا بألف مثلها لكن خصّ السبع بالذكر لانه عدد يحصر معظم الموجدات فانّ الايّام والأقاليم والكواكب السّيارة والسّموات والأرض وابواب جهنّم كلّها سبع سبع ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شئ ﴿حَكِيمٌ (٢٧)﴾ لا يخرج شئ عن علمه وحكمته ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ اى كخلقها وبعثها لانّه بكلمة كن فيكن ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ (٢٨)﴾ يبصر كل مبصر لا يشغله شئ عن شئ وكذلك الخلق ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ فى فلكه ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ منتهى معلوم وهو آخر السّنة للشمس وآخر الشهر للقمر او يوم القيامة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الكمالات ﴿بِأَنَّ﴾ اى بسبب انّ ﴿اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثّابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ المعدوم فى حدّ ذاته ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ على خلقه بالقهر ﴿الْكَبِيرُ (٣٠)﴾ العظيم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ باحسانه فى تهيئة

اسبابه ﴿لِيُرِيَكُمْ﴾ بذلك ﴿مِنْ آيَاتِهِ﴾ دلائله الدالة على باهر قدرته ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ عبرا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على تعب النفس فى تفكر الانفس والأفاق ﴿شَكُورٍ (٣١)﴾ لنعمه تعالى ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ اى علا الكفار ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ كالجبال الّتى تظلّ من تحتها ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ لشدة الخوف ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ اى مقيم على التّوحيد الّذى اتى به فى البحراو متوسّط بين الكفر والايمان ومنهم باق على كفره اكتفى عنه بقوله ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ ومنها الأنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدّار ﴿كَفُورٍ (٣٢)﴾ للنّعم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي﴾ اى لا يقضى فيه ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ شيئا من الحقوق الثابتة عليه ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ مبتدأ لوقوعه فى سياق النفى خبره ﴿هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ﴾ فيه ﴿شَيْئًا﴾ والجملة عطف على لا يجزى آه والعدول الى الاسميّة الّتى آكد خصوصا مع ضمير الفصل للدّلالة على انّ الولد اولى بان يتبيّن انّه لا يجزى وقطع طمع من توقّع ان ينفع اباه الكافر يعنى لا معاونة فيه كما فى الدّنيا بدون ان يأذن الله بها فلا ينافى ما دلّ عليه النّصوص من معاونة المتقين وشفاعة بعضهم لبعض سواء الأقارب وغيرهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث والمجازاة ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ﴾ فى حلمه وامهاله ﴿الْغَرُورُ (٣٣)﴾ الشّيطان ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ فى وقته المعين له فى علمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ اذكر ام انثى اتام ام ناقص ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير او شرّ وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ حتّى انّ واحدا من جلساء سليمان كان مكتوبا عليه ان يموت بالهند فجائه ملك الموت ناظر اليه متفكرا فى انّه كيف يقبضه بالهند فخاف من نظرته ورجى من سليمان ان يلقيه الرّيح فى الهند هربا منه فاتاه هناك وانجز امر الله ولما فى الدّراية من معنى الحيلة جعلها للعبد ونبّه بنفيها على انّ حيله وصرف وسعه لا ينفعه شيئا فى الحديث: «مفاتح الغيب خمس انّ الله عنده علم السّاعة» آه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكلّ شيء ﴿خَبِيرٌ (٣٤)﴾ ببواطنه كظواهره.

سورة السجدة

مكية وهي ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ (١)﴾ متشابه ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن مبتدأ خبره ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ كائنا ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ والأضراب للأنتقال من الكلام الاوّل لا لأبطاله كانه قيل اترك كونه مصونا من الرّيب وانظر فى كلمتهم الحمقاء وتعجب منها ثم اضرب عن ذلك بقوله ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ منزّلا ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ كانّه قال لا تلتفت الى قولهم وانظر الى كونه حقّا واستغرق اوقاتك فى التّفكر فيه انزله ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا﴾ نافية ﴿أَتَاهُمْ مِنْ﴾ زائدة لتاكيد النفى ﴿نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ بل كانوا اهل فترة والمنذر به محذوف اى العذاب ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)﴾ بانذارك ﴿اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ مرّ بيانه فى الأعراف[1] ﴿مَا لَكُمْ﴾ ايّها المشركون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ اى متجاوزين رضاء الله فهو حال من كم ﴿مِنْ وَلِىٍّ﴾ ناصر ينصركم ومن زائدة فى اسم ما ﴿وَلا شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم او المعنى مالكم سواه وليّ ولا شفيع على انّ من دونه حال من وليّ قدّم عليه مع كونه مجرورا بمن لزيادتها والشفيع بمعنى النّاصر من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللاّزم لانّه منزّه عن ان يكون شفيعا يشفع به الى احد ولذا ردّ عليه السّلام على اعرابىّ قال استشفع بالله اليك ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ (٤)﴾ مواعظ الله ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ اى امر الدّنيا واحوالها بالأثبات فى اللّوح فينزل به الملك ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ﴾ زمن ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥)﴾ بسير الأنسان لو فرض فانّ مابين السّماء والأرض مسيرة خمس مائة سنة فمسافة النّزول من مقعر السّماء الدّنيا والعروج اليه تكون

---

[1] - آية: ٥٤

الف سنة وامّا من محدّ به واليه فالفا سنة اذ ثخن كلّ فلك خمسمأية سنة وكذا مابين كلّ اثنين منها وفى آية اخرى تعرج الملائكة والرّوح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فلعلّه اراد العروج من الأرض الى سدرة المنتهى مقام جبرائيل فان ما بينهما على ما قيل مسيرها وقال القاضى هو من باب التّشبيه البليغ اى مقداره بالنّسبة الى الملائكة كمقدارها بالنّسبة الى الانسان فى انّهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا انّ ما بينهما ذلك القدر فى الواقع لان ما سمعت من مسافة ما بين الأرض والسّماء الدنيا وثخن الأفلاك وما بينها لا تبلغه ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالق المدبر ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ فيدبّر على وفق الحكمة ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على امره ﴿الرَّحِيمُ (٦)﴾ على العباد فى تدبيره ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ بدل اشتمال اى احسن خلق كل شئ هو مخلوقه اى الموجودات الممكنة اذ العقل جازم بانّه لم يخلق كلّ شئ وقرأ خلقه بفتح اللاّم على انّه صفة شئ فهو المخصص له حينئذ لا العقل حتى يكون المخصص امرا منفصلا كما فى الاوّل ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ ذريّته سمّيت بها لانّها تنسل وتنفصل منه ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ علقة ﴿مِن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٨)﴾ ضعيف وهو النّطفة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ قوّم آدم بتصوير اعضائه على ما ينبغى ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ اضافه الى نفسه تشريفا له ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ التفات من ضمير الغائب فى نسله الى الخطاب لصلوحه له بعد نفخ الروح وقيل الضمير لذريته اى يا ذريّته ﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ﴾ لتسمعوا وتصبروا وتعقلوا ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩)﴾ اى تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة مؤكّدة للقلّة ﴿وَقَالُوٓا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى الْأَرْضِ﴾ اى ضعنا فيها بان صرنا ترابا مختلطا ترابها والعامل فى اذا نحو يجدّد خلقنا المفهوم من ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لا هو نفسه لانّ ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيما قبلها وتكرير الاستفهام للمبالغة فى انكارهم للبعث ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ (١٠)﴾ جاحدون ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾ يقبض ارواحكم كلّها ﴿مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ لقبضها وهو عزرائيل جعلت له الدّنيا كراحة اليدفيقبض فيها الأرواح

بلا كلفة ثم يدفع ارواح المؤمنين الى اعوانه من ملائكة الرّحمة وارواح الكافرين الى اعوانه من ملائكة العذاب ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)﴾ فيجازيكم ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمّد ﴿إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ من الحياء قائلين ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما وعدتنا ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق رسلك فيما كذبناهم فيه ﴿فَارْجِعْنَا﴾ الى الدّنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)﴾ لزوال شكّنا وجواب لو محذوف اى لو يكن منك رأية فى هذا الوقت لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتّمنى لكن بالنّسبة الى الرّسول لاستحالة التّمنى من الله والمضى الدّال عليه لو واذ لتحقّق الوقوع قال تعالى فى جوابهم ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ اى ما تهتدى به الى الأيمان والطاعة بالتّوفيق له فى الدّنيا لكن ما شأنا بل طبعنا على قلوبكم واردنا كفركم لاختياركم ايّاه فلا فائدة لكم فى الرّجوع كما قال ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ اى ثبت قضائى وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ نسيان ترك وعدم ايمان مع ظهور براهينه لا نسيان سهو وغفلة حتى يقال لا مؤاخذة به وجعل الذوق مسبّبا عن النسيان لا ينافى جعله مسبّبا عن القضاء لانّه ايضا مسبب عنه كما عرفت ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ تركناكم فى العذاب فهو استعارة تبعيّة ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾ من الكفر والتّكذيب كرّر الأمر للتّاكيد والتّنبيه على انّ هذا ايضا يقتضيه ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ على وجوههم تذلّلا له تعالى وتعظيما لآياته ﴿وَسَبَّحُوا﴾ اى نزّهوه عمّا لا يليق بشانه كالعجز عن البعث ملتبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ اى قال سبحان الله وبحمده ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥)﴾ عن الأيمان والطّاعة ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ ترتفع وتتنحى ﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ اى الفرش ومواضع النّوم للتّهجد والجملة استيناف او حال وكذا ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ فى رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)﴾ فى وجوه الخير ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ﴿مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ممّا تقرّبه عيونهم ممّا لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على بال بشر بله مما

اطّلعتم عليه كما فى الحديث القدسى ﴿جَزَاءً﴾ مفعول له لاخفى فانّ اخفائه لعلوّ شأنه ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾ سمّاه جزاء لاعمالهم لوقوعه بعدها ولجرى عادته بالوعد فى مقابلة الحسنات والاّ فهو محض تفضل لانّ اعمالهم لا تفيئ بسابق نعمه من التّخليق والتّرزيق وغير ذلك فكيف تقتضى جزاء ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ خارجا عن الأيمان ﴿لاَ يَسْتَوُونَ (١٨)﴾ استيناف وتصريح بعدم مساواتهم فى الشّرف والثواب والجمع للحمل على المعنى وبين ما به امتيازهم بقوله ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا﴾ وهو ما يعدّ للضّيف ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ عبارة عن خلودهم فيها ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)﴾ اهانة لهم وزيادة فى غيظهم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى﴾ اى الاقرب وهو عذاب الدّنيا من القتل والاسر والقحط سبع سنين والأمراض ﴿دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ﴾ اى قبله او دونه فى الشدة لان عذاب الآخرة لا يقاس على عذاب الدّنيا ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ اى من بقى منهم ﴿يَرْجِعُونَ (٢١)﴾ الى الأيمان اى اذاقة من يرجى رجوعهم فلا يلزم التّرجى على الله ﴿وَمَنْ﴾ اى لا احد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ فلم يتفكّر فيها ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)﴾ فكيف ممّن كان اظلم من كلّ ظالم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كما آتيناك ﴿فَلاَ تَكُنْ فِى مِرْيَةٍ﴾ شكّ ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ اى لقاء موسى الكتاب او من لقائك الكتاب او موسى ليلة الأسراء والمقصود بيان انّ الوحى وانزال الكتب واقع قبلك ايضا لا امر مستحدث حتّى ترتاب فيه من قول المشركين انّ البشر لا يوحى اليه ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ اى المنزّل على موسى ﴿هُدًى﴾ هاديا ﴿لِبَنِى إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ النّاس الى ما فيه ﴿بِأَمْرِنَا﴾ ايّاهم ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ على دينهم والبلاء من عدوّهم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾ لغاية تفكرهم فيها ولمّا فهم من من التّبعيضيّة انّ بعضهم لم يهتد به فضلا عن ان يهدى النّاس الى ما فيه قال ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ (٢٥)﴾ من امر الدّين فيميز الحقّ من الباطل ﴿أَ﴾ لم ينبّه ﴿وَلَمْ يَهْدِ﴾ يبيّن ﴿لَهُمْ﴾ اى لكفار مكّة والفاعل الكثرة المستفادة من قوله ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الماضية بكفرهم ﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير لهم ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ فى اسفارهم الى الشّام وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلاَ يَسْمَعُونَ (٢٦)﴾ سماع اتّعاظ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ اليابسة الّتى ازيل نباتها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ من الزّرع ﴿أَنْعَامُهُمْ﴾ التّبن والورق ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ الحبّ والتّمر ﴿أَفَلاَ يُبْصِرُونَ (٢٧)﴾ هذا فيعلمون كمال قدرتنا على كل شئ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ اى الفصل بالحكومة او النّصر الّذى تدّعونه علينا ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٨)﴾ فى الوعد به والمقصود من السّؤال استعجاله تكذيبا له واستهزاء به فقال تعالى ﴿قُلْ﴾ فى جوابهم ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩)﴾ فلا تستعجلوه وتستهزؤا به اذ فى وقوعه ندامة لكم فهو جواب لسؤالهم معنى والمراد به يوم القيامة اذ فيه نصر المؤمنين على الكفرة او يوم بدر اذ لا ينفع فيه ايمان الكافرين المقتولين حال القتل ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ عطف على قوله قل يوم آه والمعنى اجبهم بذلك ثم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم ﴿وَانتَظِرْ﴾ النّصرة عليهم ﴿إِنَّهُمْ مُنتَظِرُونَ (٣٠)﴾ الغلبة عليك فلا نسخ بآية السّيف اذ لا منافات بينهما.

* * *

سورة الأحزاب

مدنيّة وهي ثلث وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ دم على تقواه ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يوجب وهنا فى دينك جاؤا اليه وقالوا لا تطعن فى آلهتنا ندعمك وربّك فنزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالح والمفاسد ﴿حَكِيمًا (١)﴾ لا يحكم الاّ بما يقتضيه الحكمة ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ كالنّهى عن طاعتهم وغير ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ انت وامتك واخبر للتعظيم ﴿خَبِيرًا (٢)﴾ فيوحى اليك ما يصلحه ويغنى عن الاستماع الى الكفرة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فى امرك ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣)﴾ حافظا لك وامّته تبع فيما ذكر كلّه ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ﴾ زائدة ﴿قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ اى ما جمع قلبين فى جوف لانّ القلب معدن الرّوح الحيوانىّ المتعلّق للنفس الأنسانى تتعلّق به اوّلا وبالبدن بواسطته ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التّعدد لاستلزامه التّناقض اى كون كلّ منهما محتاجا اليه لكونه منبعا ومستغنى عنه بالآخر والمقصود منه الردّ على المنافقين المركوز فى قلبهم محبّة الكفر وهم راغبون فى عمل المسلمين فاعلون ايّاه لحصول الأمن به او على من يدّعى امكان اجتماع محبتين كمحبة الله مع غيرها فى قلب او على ما يدّعى على انّ اللّبيب له قلبان اذ كانوا يسمّونه ذا قلبين او تمهيد اصل يحمل عليه ويشبه به قوله ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ﴾ يقول احدكم مثلا لزوجته انت علىّ كظهر امّى ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ اى كالامهات فى التّحريم كانوا يعدونه طلاقا فى الجاهلية فردّ ذلك وجعله قولا منكرا موجبا للكفارة بشرطه كما ياتى فى سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ جمع دعىّ وهو من يدعى لغير ابيه ابنا له ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حقيقة ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ لا حقيقة له فى الواقع كان يقال لزيد بن

حارثه عتيق رسول الله ابن محمّد فلمّا نكح امرئته زينب بنت جحش بعد ما طلّقها كما ياتى قالوا المنافقون نكح حليلة ابنه فكذّبهم الله فى ذلك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ فى ذلك وغيره ﴿وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ (٤)﴾ سبيل الحقّ ثم افرد من اقواله الحقّ ما هو المناسب لهذا المقام فقال ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ اى انسبوا الأدعياء الى آبائهم وعلّله بقوله ﴿هُوَ﴾ اى الدعوى للأباء ﴿أَقْسَطُ﴾ اعدل اسم تفضيل قصد به الزّيادة مطلقا ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ حتّى تنسبوهم اليهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ اى فهم اخوانكم ﴿فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ بنوا عمكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التأويل ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ اثم ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ من ذلك قبل النهى او بعده ﴿وَلَكِنْ﴾ الجناح فى ﴿مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه بعد النّهى ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)﴾ لعفوه عن الخطأ مطلقا وعمّا صدر قبل النّهى ﴿النَّبِىُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فى الأمور كلّها فانّه لا يدعوهم الاّ الى ما فيه صلاحهم بخلاف النّفس فيجب ان يكون احبّ اليهم منها ﴿وَأَزْوَاجُهُ﴾ اللاّتى دخل بهنّ ﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾ اى كامهاتهم فى حرمة نكاحهنّ عليهم ووجوب التّعظيم وفى سائر الاحكام كالأجنبيات فيحرم نحو النظر اليهن والخلوة بهنّ ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ ذووا القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ فى التّوارث ﴿فِى كِتَابِ اللَّهِ﴾ اى فى اللّوح او فيما فرض فالكتاب بمعنى المكتوب اى المفروض متعلّق بأولى وكذا ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ الّذين تورّثونهم لحقّ الدّين والهجرة كان ذلك فى اوّل الاسلام فنسخ بهذه الآية وابيح الوصيّة بقوله ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ﴾ اى ممن احببتم من هؤلاء ﴿مَعْرُوفًا﴾ توصية فهو جائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ المذكور فى الآيتين ﴿فِى الْكِتَابِ﴾ اللّوح او القرآن ﴿مَسْطُورًا (٦)﴾ ثابتا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ عهودهم بتبليغ الرّسالة ﴿وَمِنْكَ﴾ يامحمّد قدّمه للتّعظيم ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ خصّ الخمسة لانّهم اولوا العزم ومشاهير ارباب الشّريعة ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧)﴾ مؤكّدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف فعل الله ذلك ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾ الأنبياء ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ فى تبليغ الرّسالة

تبكيتا لقومهم ﴿وأعدّ﴾ الله ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا (٨)﴾ عطف على ما دلّ عليه اخذنا من حيث انّ بعثة الرّسل واخذ الميثاق منهم لأثابة المؤمنين فكانه قيل اكّد الميثاق لأثابة المؤمنين واعدّ للكافرين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ واحزاب من الكفار وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنّضير وكانوا قدر اثنى عشر الفا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ من قبل المشرق ﴿وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ اى الملائكة روى انّه عليه السّلام لمّا سمع بهم ضرب الخندق حول المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم وهم واقفون قدر شهر لا حرب بينهم الاّ التّرامى بالنّبل والحجارة الى ان اصابهم ريح فى ليلة شاتية اطفأ نيرانهم وقلع خيامهم وكبّرت الملائكة فى جوانب العسكر فانهزموا ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من حفر الخندق ﴿بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ﴾ بدل من اذ جائكم ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ اى من اعلا الوادى واسفله من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ﴾ مالت عن مسنوى نظرها حيرة وشخوصا ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ﴾ لارتفاعها بارتفاع الرّية من شدّة الخوف ﴿الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة وهى منتهى الحلقوم ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا (١٠)﴾ المختلفة بالنّصر واليأس والألف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى ﴿هُنَالِكَ﴾ اى فى ذلك المكان او الزمان ظرف ﴿ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا ليتبيّن لخلقه تعالى المخلص من المنافق والثابت من المزلزل ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)﴾ من شدة الخوف ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الّذين لا اعتقاد لهم اصلا ﴿وَ﴾ المؤمنون ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ بالنصر ﴿إِلاَّ غُرُورًا (١٢)﴾ باطلا ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ اى من المنافقين اوس بن قيظى واتباعه ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هى الأرض الّتى وقعت المدينة فى ناحية منها لم يصرف للعلميّة ووزن الفعل ﴿لاَ مُقَامَ﴾ اى اقامة او مكانها ﴿لَكُمْ﴾ لكثرة العدوّ ﴿فَارْجِعُوا﴾ الى منازلكم هاربين ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ فى الرّجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة يخشى عليها قال تعالى ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل هى حصينة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا (١٣)﴾ من

القتال ﴿لا [illegible]﴾ المدينة او بيوتهم ﴿عليهم من أقطارها﴾ نواحيها والاصل لو دخل الأحزاب المدينة او البيت وهم فيها فحذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول للأيماء بان المقصود بيان الحكم المرتب على الدّخول لا خصوص الفاعل ﴿ثُمَّ سُئِلُوا﴾ من جهة الدّاخلين ﴿[illegible]﴾ الشرك ﴿[illegible]﴾ لأعطوا الفتنة ﴿وما تلبثوا بها إلاّ يسيرا (١٤)﴾ ومن كان بهذه المثابة فلا محبة له للأيمان وليس استيذانه لمجرّد حفظ البيوت ﴿ولقد كانوا عاهدوا [illegible] من قبل﴾ قبل الان بعد فرار يوم احد ﴿لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مسئولا﴾ عن الوفاء به ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا﴾ ان فررتم ﴿[illegible]﴾ فى الدّنيا بعد فراركم ﴿إذا﴾ زمانا ﴿قليلا (١٦)﴾ وهو بقيّة آجالكم ﴿قل من [illegible] يعصمكم﴾ يجيركم ﴿من الله إن أراد بكم سوءا﴾ هلاكا او هزيمة ﴿أو﴾ يصيبكم بسوأ ان ﴿[illegible]﴾ الله ﴿بكم رحمة﴾ حذف ما قدّرنا اختصارا ﴿ولا يجدون لهم من [illegible]﴾ ينفعهم ﴿[illegible]﴾ يدفع الضّرر عنهم ﴿قد يعلم الله المعوّقين﴾ المثبّطين الشاغلين للنّاس عن رسول الله وهم المنافقون ﴿منكم و﴾ المنافقين ﴿القائلين لإخوانهم﴾ من ساكنى المدينة اى لمن يشاركهم فى سكنى المدينة من الأنصار الّذين هم بمعزل عن النفاق ﴿[illegible]﴾ تعالوا ﴿[illegible]﴾ والاّ لمالكم الكفّار ﴿ولا يأتون البأس﴾ القتال ﴿إلا﴾ اتيانا او زمانا ﴿[illegible]﴾ فانّهم يعتذرون فى التّخلّف ما امكن لهم ﴿أشحّة﴾ بخلاء ﴿[illegible]﴾ بالمعاونة جمع شحيح وهو حال من ضمير يأتون ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون [illegible] كالذى﴾ كنظر او كدوران الّذى ﴿يغشى عليه من [illegible]﴾ اى سكراته ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ وحيّزت الغنائم ﴿سلقوكم﴾ آذوكم او ضربوكم ﴿[illegible] حداد [illegible] على الخير﴾ المال والغنيمة يطلبونها ولا يسامحون فيها نصب على الحال ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ اخلاصا ﴿فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك﴾ الأحباط ﴿على الله يسيرا (١٩)﴾ هيّنا لتعلّق ارادته به وعدم ما يمنعه عنه ﴿يحسبون﴾ اى يظنّ هؤلاء لجبنهم ﴿الأحزاب﴾ من الكفّار ﴿لم يذهبوا﴾ اى ينهزموا ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ مرة اخرى

﴿يودُّوا﴾ يتمنّوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بادُون فى الأعْراب﴾ اى حاصلون فى البادية بين الاعراب ﴿يَسْأَلُون﴾ كلّ من ذهب اليهم من جانب المدينة ﴿عَنْ أَنبائِكُمْ﴾ اخباركم مع الكفّار ﴿وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ﴾ فى هذه الكرّة ولم يرجعوا الى المدينة ووقع قتال ﴿ما قاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)﴾ رياء وخوفا من التّعيير ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ خصلة ﴿حَسَنَةٌ﴾ من حقّها ان يأتسى بها كالثّبات فى الحرب وتحمّل الشّدائد ﴿لِمَنْ كانَ﴾ بدل من لكم باعادة الجار ﴿يَرْجُو اللَّهَ﴾ لقائه ﴿وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ نعيمه ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾ بخلاف من ليس كذلك ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزابَ﴾ من الكفار ﴿قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ﴾ بقوله: ﴿أم حسبتم ان تدخلوا الجنّة ولمّا ياتكم مثل الّذين خلوا من قبلكم﴾[1] الآية ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بقوله سيشتدّ الامر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ اى ظهر صدق خبرهما والاظهار للتّعظيم ﴿وَما زادَهُمْ﴾ ما رأوا ﴿إِلَّا إِيمانًا﴾ بالله ومواعيده ﴿وَتَسْلِيمًا (٢٢)﴾ لاوامره ومقاديره ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثّبات مع رسوله والمقاتلة مع اعدائه ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ نذره اى مات او قتل فى سبيل الله لانّه كنذر لازم فى رقبة كلّ حيوان ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ الشّهادة كعثمان وطلحة ﴿وَما بَدَّلُوا﴾ العهد ﴿تَبْدِيلًا (٢٣)﴾ وفيه تعريض لاهل النّفاق ومرض القلب بالتّباديل فعلّل المنطوق وهذا المعرّض به بقوله ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ﴾ تعذيبهم بان يميتهم على النفاق فيتحتم تعذيبهم كما فى النّصوص القاطعة بتعذيب المنافق ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ اى يقبل توبتهم ان تابوا ﴿إِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤)﴾ لمن تاب ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى الأحزاب عطف من حيث المعنى التعقيبيّ على ليجزى الله آه فانّ اللاّم فيه للعاقبة اذ تعذيب المنافقين عاقبة التّبديل شبّه بالعلّة الحاملة عليه فاستعمل له لام العلّة وحمل عليه جزاء الصّادقين مع كونه علة عدم التّبديل

---

[1] – سورة البقرة: ٢١٤

حقيقة لئلاّ يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ حالان من واو كفروا ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالرّيح والملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ على احداث ما يريده ﴿عَزِيزًا (٢٥)﴾ غالبا على كلّ شئ ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ اى الأحزاب ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اى قريظة ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصّن به ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦)﴾ روى انّه عليه السّلام امر فى عين صبيحة اللّيل الّتى انهزم فيها الأحزاب بالسّير الى بنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين يوما حتى اخرجهم من حصونهم وقتل منهم ستّمأية مقاتل او اكثر واسر من ذراريهم سبعمأية ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا﴾ كفارس والرّوم او خيبر اخذت بعد قريظة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ وهنّ تسع وطلبن منه ثياب الزّينة وزيادة النّفقة ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ السّعة والتّنعم فيها ﴿وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ اعطيكنّ متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨)﴾ اى اطلقكنّ طلاقا من غير ضرار وبدعة ﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ﴾ بهذه الأرادة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾ يستحقر دونه الدّنيا ومافيها فاخترن كلّهنّ الآخرة على الدّنيا ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ ظاهر قبحها ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفى عذاب غيرهنّ اى مثليه لانّ الذّنب منهنّ اقبح لزيادة فضلهنّ ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ﴾ يدم على الطّاعة ﴿مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وذكر الله للتّعظيم لقوله ﴿وَتَعْمَلْ﴾ التانيث لمعنى من كما انّ التّذكير للفظها ﴿صَالِحًا نُؤْتِهَا﴾ التفات من الغيبة الى التّكلم ذكر هنا الآتى اى الله ولم يذكر المعذّب فى يضاعف اشارة الى كمال الرّحمة والكرم ﴿أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ مرّة على الطّاعة ومرة على طلبهنّ رضى النّبى بالقناعة او مثلى ثواب غيرهنّ من النّساء ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)﴾ فى الجنّة زيادة على اجرها ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ اى كجماعة منهنّ فى الفضل اصله وحد بمعنى الواحد ثمّ وضع فى نفى العام مستويا فيه

المذكر والمؤنث والواحد والكثير ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ مخالفة حكم الله ورضا رسوله ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ اى لا تحنن بقول ليّن مثل قول المريبات ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ فجور ونفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢)﴾ حسنا بعيدا عن الرّيبة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ امر من الباب الرّابع من المضاعف اصله اقررن نقلت حركة الرّاء الى القاف وحذفت مع همزة الوصل او من الاجوف منه اى قار يقار اذا اجتمع لكنّه بعيد لانّ المناسب للمقام الامر بالوقار والسكون لا الأجتماع وامّا على قرائة كسر القاف فهو من مضاعف الباب الثانى او مثاله ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ تتبخترن فى مشيكنّ ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ اى مثل تبرج النّساء واظهار محاسنهنّ للرّجال فى ايام الجاهليّة السّابقة على الأيمان وجاهليّة الفسوق فى الاسلام تسمى الجاهلية الاخرى ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى سائر ما امركم به ونهاكم عنه ثمّ علّل نهيهنّ وامرهنّ بقوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ الأثم يا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ تخصيصه بفاطمة وعلى والحسنين كما هو مذهب الشيعة لا يناسب ماقبلها ومابعدها ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ عن المعاصى ﴿تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ من قبيل عطف الصّفات فانّ القرآن كما انّه آيات دالّة على صدق النّبى فهو ايضا حكمة من حيث كونه مشتملا على العلوم النّظرية وطريق الأصابة فى القول والعمل وقيل المراد بها السنة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)﴾ يعلم ويدبّر مايصلح فى الدّين ولذلك خيّركنّ ووعظكنّ ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ المنقادين لحكم الله قولا وعملا ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المصدقين بما يجب التّصديق به ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ المداومين على الطّاعة ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ فى القول والعمل ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ على الطّاعات وعن المعاصى ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ مما وجب فى مالهم ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ الصّوم المفروض ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ عن الحرام ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ بقلوبهم والسنتهم ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ لصغائرهم

لانّهن مكفّرات ﴿وأجرا عظيما (٢٩)﴾ على طاعاتهم روى انّ ازواج النّبى قلن يا رسول الله ذكر الله الرّجال فى القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ ما صحّ له ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ اى قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم امر الرّسول والاشعار بانّ قضائه قضاء الله لانّه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها لزيد بن حارثة فابت هى واخوها عبد الله لكونها قرشية وبنت عمّه وزيد معتق من الموالى ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ شيئا هو خلاف امرهما ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)﴾ بيّن الأنحراف عن الصّواب فزوّجها عليه السّلام من زيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع فى نفسه حبها فقال: سبحان الله مقلّب القلوب فذكرت ذلك لزيد فعلم الحال ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فقال للنبى اريد فراقها فقال امسكها كما قال تعالى ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالاسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالاعتاق كان من سبى الجاهلية اشتراه عليه السّلام قبل البعثة واعتقه وتبنّاه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ فى امر طلاقها فلا تطلقها ضرارا ان فعلت ﴿وَ﴾ حال ﴿تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو نكاحها ان طلّقها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ ان يقولوا تزوّج زوجة ابنه ﴿وَ﴾ حال ﴿اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ ان كان فيه مايخشى وليست المعاتبة على نفس الأخفاء فانّه حسن بل عليه مخافة اقالة النّاس ثم طلّقها وانقضت عدتها فزوّجها الله منه عليه السّلام لا اوليائها كما قال ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة بحيث كرهها وطلقها وانقضت عدّتها ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فدخل عليه السّلام عليها بغير اذن وعمل للمسلمين وليمة ثم علّل التّزويج بقوله ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ وفيه دليل على انّ حكمه وحكم الامّة واحد الاّ ما خصّه الدّليل ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ اى ما يريده ﴿مَفْعُولًا (٣٧)﴾ مكوّنا لا محالة ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ اى قسم وقدّر له ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لفعله المحذوف اى سنّ الله ذلك سنة كما ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأنبياء

بان نفى الحرج عنهم فيما اباح لهم من مثل هذا النّكاح وغيره ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨)﴾ قضاء مقضيًا ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ صفة للذين خلوا ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ تعريض له عليه السّلام بعد ما صرّح بانه يخشى النّاس والله احقّ ان يخشاه ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩)﴾ كافيا للمخاوف او حافظا لأعمال خلقه مجازيا لها فهو الأحقّ ان يخشى ثم ردّ عليهم ما قالوا من انّه ﷺ تزوّج امرأة ابنه بقوله ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ على الحقيقة حتّى يثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها فيجوز له تزويج امرأة زيد ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ شفيق ناصح لهم كالابّ يجب تعظيمه ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ختموا به ولو كان له ابن بالغ كان منصبه ان يكون نبيًا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه يعمل بشريعته ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾ فيعلم من يليق ان يختم به النّبوة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بما هو اهله ﴿ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١)﴾ يغلب الأوقات ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾ اوّل النّهار وآخره خصّهما لفضلهما على سائر الأوقات كتخصيص التّسبيح لفضله على سائر الاذكار ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ اى يرحمكم ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ اى يستغفرون لكم والمراد بالصّلوة هنا العناية بصلاح امر الانسان على سبيل عموم المجاز فتشمل الرّحمة والاستغفار فلا يلزم الجمع بين معنيين مختلفين بلفظ واحد ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ اى يدوم اخراجكم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ اى الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الأيمان ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ﴾ منه تعالى فهو من اضافة المصدر الى المفعول ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ اى عند الموت او الحشر او دخول الجنة ﴿سَلَامٌ﴾ اى اخبار بلسان الملائكة من كلّ مكروه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤)﴾ هو الجنّة واختلاف النظم اسميّة وفعليّة لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهمّ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ على من ارسلت اليهم بجميع احوالهم وهو حال مقدّرة ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ اى الى توحيده وطاعته ملتبسا ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بتيسيره من ذكر السبب وارادة المسبّب وقيّد به الدعوة ايذانا بانّها لصعوبتها لا تتأتّى الا بمعونة منه ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا

(٤٠)﴾ اى مثله فى الأهتداء به عن ظلمات الجهالة ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧)﴾ على سائر الأمم عطف على محذوف اى فراقب احوال امّتك ليكون مقابلا للصّفة الاولى من الصفات الخمس اى شاهدا وكلّ ممّا بعده مقابلا لصفة منها فعليك بارجاع كلّ الى ماهو له ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ اى لا تجازهم على كفرهم الى ان تؤمر فيهم بامر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فهو كافيك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)﴾ مفوضا اليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ تجامعوهنّ ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ ايّام تربّص ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ تحصونها بالاقراء وغيرها والاسناد الى الرّجال للدّلالة على انّ العدّة حقّهم كما دلّ عليه فمالكم ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ اعطوهن متعة يستمتعن بها ان لم يسمّ لهن صداق فى النّكاح والاّ فلهنّ نصف المسمّى فقط ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)﴾ اى خلّوا سبيلهم فى الحال من غير ضرار ومنع حقّ اذلا عدة لكم عليهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ لانّها اجر على البضع وتقييد الأحلال باعطائها لا يثار ما هو الأفضل له لا لتوقّف الحلّ عليه كتقييد المملوكة بكونها مسبية فى قوله ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفّار بالسّبى فانّها افضل اذ المشتراة لا تخلو عن شبهة وتقييد القرايب بكونها مهاجرات معه فى قوله ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ ويحتمل تقييد الحلّ بذلك فى حقّه خاصّة ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾ عطف على ماسبق ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ ولا تطلب مهرا ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ﴾ اظهره مكررا لبيان ان ما خصّ به لشرف نبوّته ﴿أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ اى يطلب نكاحها شرط للشرط الاوّل فانّ هبتها بدون ارادته لا توجب حلها خلّص احلالها بلفظ الهبة من غير صداق ﴿خَالِصَةً خلوصا لك مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اذ لا ينعقد نكاحهم بلفظ الهبة ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ اى علمنا مايجب فرضه على المؤمنين ففرضناه على وفق علمنا ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من الأحكام كعدم الزيادة على اربعة وشرائط

العقد من الولىّ والشهود وغير ذلك ﴿و﴾ فى ﴿ما ملكتْ أيمانُهُمْ﴾ من توسيع الامر فيها بان احللنا لهم المشتراة وغيرها ما لم تكن غير كتابيّة ﴿لكيلا يكون عليك حرجٌ﴾ لا دينا ولا دنيا متعلق بخالصة وما بينهما اعتراض للدّلالة على انّ فرقه منهم بنحو ماذكر لحكمة تقتضى التوسيع عليه والتّضييق عليهم تارة والعكس اخرى ﴿وكان اللهُ غفورًا﴾ لما يعسر التّحرز عنه ﴿رحيمًا (٥٠)﴾ بالتوسعة فى مظان الحرج ﴿تُرجى﴾ تؤخر وتترك ﴿مَنْ تشاءُ مِنْهُنَّ﴾ ازواجك عن نوبتها ﴿وتُؤوِى﴾ تضمّ ﴿إليكَ مَنْ تشاءُ﴾ منهنّ فتأتيها خيّر فى ذلك بعد ان كان القسم واجبا عليه فآوى اليه اربعا فكان يقسم بينهنّ على السّواء وارجى خمسا يقسم لهن مايشاء ﴿ومَنِ﴾ موصولة او شرطية مبتدأ ﴿ابتغيتَ﴾ طلبت ﴿ممَّنْ عَزَلْتَ﴾ من القسمة خيره ﴿فلاَ جُناحَ عَلَيْكَ﴾ فى طلبها وضمّها اليك ﴿ذلكَ﴾ التّخيير ﴿أدْنَى﴾ اقرب الى ﴿أنْ تَقَرَّ أعْيُنُهُنَّ ولاَ يَحْزَنَّ ويَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ﴾ اذ يعلمن بعد ذلك ان التّسوية تفضل منك والتّرجيح حكم من الله فتطمئنّ نفوسهنّ ﴿كُلُّهُنَّ﴾ تاكيد للفاعل فى يرضين ﴿واللهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ من امر النساء والميل الى بعضهنّ وانّما خيّرناك فيهنّ تيسيرا عليك فى كلّ ما اردت ﴿وكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمًا (٥١)﴾ عن عقابهم ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾ بعد التّسع اللاّتى اخترنك والآخرة بدل الدّنيا وزينتها حين خيرتهنّ حتّى لو ماتت واحدة لم يحل لك نكاح اخرى فعلى هذا بقيّة الأثنى عشرة المدخولات بهنّ والسبع اللاّتى تزوجهن ولم يدخل بهن كانت قبل التّخيير ﴿ولاَ أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ﴾ زائدة لتاكيد الاستغراق ﴿أزْوَاجٍ﴾ بان تطلّقهن او بعضهن وتنكح بدل من طلقت ﴿ولَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ اى حسن الأزواج المتبدلة وهو حال من فاعل تبدّل اى لا يحلّ لكِ التّبديل فى كلّ حال ولو فى حال انّك اعجبك حسنهنّ ﴿إلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الأماء فتحلّ لك وقد ملك بعدهنّ مارية القبطية وولدت له ابراهيم ومات فى حيوته فتوفّى عليه السّلام عن التّسع على التّحريم وقيل نسخت اخرا ﴿وكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ رَقِيبًا (٥٢)﴾ حفيظا فلا يجاوزوا ما حدّ لكم ﴿يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ

﴿ ... ﴾ وقت ﴿ ... ﴾ ولتضمّنه معنى يدعى تعلّق به ﴿ ... ﴾ ويجعل حالا من مجرور لكم قوله ﴿غير ناظرين﴾ منتظرين ﴿ ... ﴾ اى وقت اكله على انه اسم او نضجه وادراكه على انه مصدر الى يأنى ﴿وإذا دُعِيتُمْ فادْخُلُوا فإذا طَعِمْتُمْ فانْتَشِرُوا ...﴾ تمكثوا ﴿مستأنسين لحديث﴾ من اهل البيت او من بعضكم لبعض ﴿إنَّ ذلِكُمْ﴾ المكث ﴿كان يؤذي النبي﴾ لاشتغاله فيما لا يعنيه ﴿فيستحيي منكم﴾ ان يخرجكم ﴿واللهُ لا يستحيي من الحق﴾ كاخراجكم اى لا يترك بيانه حياء فامركم بالخروج ونزل لمّا قال عمر يدخل عليك البر والفاجر يا رسول الله فلتأمر امّهات المؤمنين بالحجاب ﴿وإذا سألتموهن﴾ اى ازواج النّبى ﴿متاعا فاسألوهن﴾ اياه ﴿من وراء حجاب﴾ ستر ﴿ذلكم﴾ حين يطلبكم ﴿وقلوبهن﴾ من الخواطر الرديّة ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ بشيء ﴿ولا أن تنكحوا ...﴾ اللاّتى دخل بهنّ فانّها امّهات المؤمنين دون غيرها فلا يحرم وقد وقع فى زمان عمر من غير نكير ﴿من بعده﴾ بعد وفاته او فراقه ﴿أبدا إنَّ ذلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللهِ﴾ ذنبا ﴿عظيما ... شيئا﴾ من نكاحهنّ بعده على الستكم ﴿أو تخفوه﴾ فى صدوركم ﴿... بكل شيء عليما ...﴾ فيجازيكم عليه والتّعميم لمزيد التخويف ﴿لا جناح عليهن فى ... ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا ...﴾ اى المؤمنات ﴿ولا ما ملكت أيمانهن﴾ من العبيد والأماء فلهنّ ان يكلّمن هؤلاء من غير حجاب ﴿واتقين الله﴾ فيما امرتنّ به التفات ﴿إنَّ اللهَ كانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شهيدا ...﴾ لايخفى عليه خافية ﴿إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه فالمراد بما القدر المشترك بين الرّحمة من الله والاستغفار من الملائكة على طريق عموم المجاز ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ...﴾ اى قولوا اللّهم صلّى على محمّد وسلّم وكيف ماوقع من الألفاظ والآية تدلّ على وجوب الصّلاة والسلام فى الجملة فيسقط بما فى التّشهد حين الصّلوة وقيل يجب فى العمر مرّة فيما سوى الصّلوات الخمس وقيل كلمّا جرى ذكره لحديث: «رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ

عليّ»[1] وغير ذلك من الأحاديث المشتملة على الوعيد لتاركها والأحتياط هذا واختاره من كلّ مذهب امام فمن الشّافعيّة الحليميّ ومن المالكية اللّخمى ومن الحنفيّة الطّحاوى ومن الحنابلة ابن بَطَّةَ وان كان الاصحّ الاوّل ويكره افرادها بدون السّلام لفظا لا كتابة وهى مختصّة بالانبياء والملائكة فلا يجوّز على غيرهم الاّ تبعا لهم لانّها صارت شعارا لهم عرفا كعزّ وجلّ لله فلا يجوز لغيره ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم الكفّار يصفون الله بما هو منزّه عنه من الولد والشّريك ويكذّبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ ابعدهم من رحمته ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧)﴾ يهينهم مع الأيلام ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ اى يرمونهم بغير ما اكتسبوا ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ كذبا ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)﴾ بيّنا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ جمع جلباب وهى الملحفة الّتى تشتمل بها المرأة فوق جميع لباسها والمعنى قل لهنّ يرخين بعضها على وجوههنّ اذا خرجن لحاجة والبعض يلتحفن به فمن للتّبعيض ﴿ذَلِكَ أَدْنَى﴾ اقرب الى ﴿أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ بانّهم حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ من جهة اهل الرّيبة بالتّعريض لهنّ بخلاف الأماء فانّهنّ مخيرات فى كشف الوجوه ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف من ترك السّتر ﴿رَحِيمًا (٥٩)﴾ بهنّ اذ سترهنّ ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ميل الزّنا عن فجورهم ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ اى يرجفون المؤمنين بنحو قولهم قد اتاكم العدوّ وسراياكم قتلوا وهزموا ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنامرنّك بقتالهم واخراجهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ عطف على لنغرينّك وثم لتعظيم ما يصيبهم من الرّسول ﴿فِيهَا﴾ فى المدينة ﴿إِلَّا﴾ زمانا ﴿قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ﴾ حال من فاعل لا يجاورونك ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾ وجدوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١)﴾ اى الحكم فيهم هذا على جهة الامر به ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ اى سنّ الله ذلك سنّة ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية فى منافقيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)﴾ لا منه ولا من احد

---

[1] - سنن الترمذي: ٤٥٥/١١

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ﴾ اهل مكّة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ متى تكون استهزاء وتعنّتا وامتحانا ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لم يطلع عليه احدا من خلقه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك بها اى انت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣)﴾ صفة موصوف محذوف اى شيئا قريبا ولذا لم يؤنّث مع كونه خبر كان مسندا الى ضمير السّاعة ظاهرا او منصوب على الظّرف فى موضع الخبر اى فى زمان قريب وفيه تهديد وتخويف للمستعجلين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤)﴾ نارا شديدة يدخلونها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ حال مقدّرة اى مقدار خلودهم فيها وكذا قوله ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ صديقا يشفع لهم ﴿وَلَا نَصِيرًا (٦٥)﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ كاللّحم الّذى يشوى فى النّار والعامل فى الظرف ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦)﴾ الفه لرعاية الفواصل والحاقها بالقوافى كما مرّ فى يظنون بالله الظّنونا ﴿وَقَالُوا﴾ اى الاتباع منهم ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾ الّذين لقنونا الكفر ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧)﴾ طريق الهدى ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ اى مثلى عذابنا لانّهم ضلّوا واضلّوا ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)﴾ اى اشدّ اللّعن واعظمه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا﴾ مع نبيّكم فى نحو قول بعضكم لقسمة قسمها عليه السّلام ما اريد بها وجه الله ﴿كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ بتحريض امرأة على قذفه بنفسها ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ بان قدّر المرأة ان اقرّت انّ قارون حرضها على ذلك كما مرّ فى آخر القصص ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)﴾ ذا قرابة وجاه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عمّا يوذى رسوله ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)﴾ صوابا ولا تقولوا ضدّه من نحو حديث زينب ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ بالقبول والأثابة عليها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى الأوامر والنّواهى ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ حيث يعيش فى الدّنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا ﴿إِنَّا عَرَضْنَا﴾ عرض تخيير لا الزام ﴿الْأَمَانَةَ﴾ الصّلوة وغيرها ممّا فى فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ الّتى هى اعظم الأجرام بعد ان خلق فيها فهما ونطقا ان يتحملنها

ويراعينها حقّ رعايتها ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ وقلن تركنا الثواب مخافة العقاب فلا نلتزم ما يشق علينا رعاية حقّه بل نطيعك طاعة طبيعية على حسب ما خلقنا عليه ﴿وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿مِنْهَا﴾ ان لا يؤدّوا حقّها ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ووعد بحسن الثواب على رعايتها وسوء العقاب على تركها ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بتحمّل ما يشق عليها ﴿جَهُولًا (٧٢)﴾ بعاقبته ويجوز ان يكون المراد من الأمانة العقل والتّكليف وبعرضها عليهنّ اعتبارها بالاضافة الى استعدادهنّ وبأبائهنّ الأباء الطّبيعى الّذى هو عدم اللّياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوّة الغضبيّة والشّهويّة والظّاهر انه على هذا استيناف لتعليل حمل الامانة على الانسان لا بيان لما يتفرّع على حمله كما فى التفسير الاوّل والمعنى انّ حملها عليه لوجود هتين القوّتين فيه فيحفظهما العقل من مجاوزة الحدّ ويكسر التّكليف شدتهما ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ المضيّعين للأمانة ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المؤدّين لها تعليل للحمل من حيث انّه نتيجته وفى ذكر التّوبة فى الوعد اشعار بانّ ظلمهم وجهلهم الجبلّيان لا يخلّيانهم عن فرطات وكذا قوله ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين فرطاتهم ﴿رَحِيمًا (٧٣)﴾ بهم حيث اثابهم على طاعاتهم.

* * *

سورة سبا

مكيّة الاّ (ويرى الّذين) الاية، وآيها خمس وأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقا ونعمة فله الحمد فى الدّنيا لكمال قدرته الّتى هو من الفضائل اللاّزمة فيه وعلى تمام نعمته المتعدية الينا المفهومان من هذا الوصف ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ على ما فيها من النّعم الدّالة على كمال قدرته وتقديم الخبر هنا على خلاف الاوّل للاختصاص لانّ الحمد فيها ليس الاّ له وامّا فى الدّنيا فقد يحمد غير الله لوصول نعمته الى الحامد من يد ذلك الغير ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فى فعله ﴿الْخَبِيرُ (١)﴾ بخلقه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كالمطر والكنوز والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنّبات والعيون ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالملائكة والأرزاق والبلايا ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ كالملائكة واعمال العباد ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)﴾ لمن لم يؤدّى شكر نعمه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ تتينّكم ﴿وَرَبِّي﴾ قسم مؤكّد للأتيان وقوله ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ تكرير لذلك المقسم عليه وقوله ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ وصف للمقسم به يقرّر امكان الأتيان وينفى استبعاده وقوله ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا﴾ مسطور ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣)﴾ اى اللّوح جملة مؤكّدة لنفى العزوب من حيث انّ معلوميّة هذين وثبوتهما فى اللوح يدل على معلوميّة ما هو مثقال ذرة بطريق الأولى ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ علّة لقوله لتأتينّكم وبيان لما يقتضى اثباتها من حيث انّه لو لا دار الجزاء للزم ان يكون المسئ المتنعّم فى الدّنيا احسن حالا من المحسن المتألّم فيها مطلقا وهو خلاف مقتضى الحكمة ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)﴾ لا تعب فيه ولا منّ عليه استيناف

لبيان الجزاء المدلول عليه بقوله: ليجزى آه ﴿والّذين سعوْا فى آياتنا﴾ اى فى ابطالها وصرف النّاس عن الأخذ بها ﴿مُعاجِزِين﴾ اى مسابقين لنا فى زعمهم انهم يفوتون اطلق المعاجزة على المسابقة لكون كلّ واحد من المسابقين فى طلب اعجاز الآخر عن اللّحوق به ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾ سئ العذاب ﴿أَلِيمٌ (٥)﴾ مؤلم صفة عذاب ﴿ويرى﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ مؤمن اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ﴿الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ مفعول اوّل ليرى ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ اى القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل ﴿الْحَقَّ﴾ مفعول ثان ليرى والجملة استيناف لبيان انّ ذوى العلم يقطعون بحقّية القرآن وما دل عليه من اتيان الساعة على الخلاف الجهلة السّاعين فى الآيات ﴿وَيَهْدِى إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦)﴾ وهو التّوحيد والتّدرع بلباس التّقوى عطف على الحقّ لانّه فى معنى الجملة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى قال بعضهم لبعض على جهة التّعجب ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ هو محمّد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم باعجب العجائب ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ قطعتم وطرحتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى تمزيق او مكانه واذا ظرف لتبعثون المفهوم من قوله ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧)﴾ بمعنى فاعل من جدّ يجدّ بالكسر اى صار جديدا وعدم تأنيثه عند الجرى على مؤنث امّا لتقدير موصوف او لانّ ما هو بمعنى الفاعل يستوى فيه المذكر والمؤنّث حملا على ما هو بمعنى المفعول ﴿أَفْتَرَى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى به عن الهمزة الوصل ﴿عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ فى ذلك ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون تخيّل به ذلك واستدلال الجاحظ بهذه الآية على الواسطة بين الصّدق والكذب والردّ عليه فى متن التّلخيص فى اوّل احوال الاسناد الخبرىّ فراجعه قال تعالى ردا عليهم على سبيل الأضراب عن استفهامهم الى تضليلهم واثبات العذاب لهم ﴿بَلِ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والثواب والعذاب واقعون ﴿فِى الْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَالضَّلالِ﴾ من الحق فى الدّنيا جمع بينهما بالواو الدّالة على الاجتماع فى الوقوع مع اختلاف وقتيهما وقدّم ما حقّه التّأخير للمبالغة فى استحقاقهم له ﴿الْبَعِيدِ (٨)﴾ صفة الضلال على الاسناد المجازىّ لانّه فى الأصل صفة الضّال ﴿أَ﴾ عموا ﴿فَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا

﴿إلى ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خلْفَهُمْ﴾ اى ما احاط بجوانبهم ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ فيتفكّروا اهم اشدّ خلقا ام هى ليحقّقوا ان من يقدر على خلقها يقدر على الحشر والاعادة لا محالة فنحن قادرين عليهم ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ قطعة ﴿مِنَ السَّماءِ﴾ بتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البيّنات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المرأى ﴿لآيَةً﴾ دلالة على قدرة الله على كلّ ما يشاء ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩)﴾ راجع الى ربّه فانّه اكثر تأمّلا فى امره ثمّ بدأ فى ذكر واحد من المنيبين فقال ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً﴾ على سائر النّاس بالنبوّة والكتاب والملك والصوت الحسن قلنا ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ اى رجعى معه التّسبيح بان خلقنا فيها صوتا مثل صوته فكان اذا سبّح سمع تسبيحها معه وجملة القول بدل من آتينا او استيناف ﴿وَالطَّيْرَ﴾ عطف على محلّ الجبال وهو النّصب او على فضلا فيقدر له سخّرنا كما على منوال علفتها تبنا وماء اى سقيتها ماء ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠)﴾ وكان فى يده كالشّمع يصرفه كيف يشاء من غير نار وآلة وامرناه ﴿أَنِ اعْمَلْ﴾ فان مفسّرة لأمرنا المقدر الّذى فى معنى القول ويجوز ان تكون مصدريّة بتقدير اللاّم متعلّقة بالنّا ﴿سَابِغَاتٍ﴾ دروعا كوامل وهو اوّل من اتّخذها وكان قبله الصفايح صلبة ثقيلة لا يستلذّ بها صاحبها روى انّه كان يفرغ من واحد فى نصف يوم ويبيعه بالف درهم او اربعة آلاف ينفق منها عليه وعلى عياله قدر الكفاية ويتصدّق بالباقى ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ اى النّسج اى اجعله بحيث تناسب حلقها ﴿وَاعْمَلُوا﴾ انت واهلك ﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)﴾ فاجازيكم عليه ﴿وَ﴾ سخّرنا ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا﴾ اى سيرها به وبجنوده على البساط نسجه الجن له من ذهب وابريسم فرسخ فى فرسخ من الغدوة بمعنى الصّباح الى الزّوال مسيرة ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾ سيرها بهم من الزّوال الى الغروب مسيرة ﴿شَهْرٌ وَأَسَلْنَا﴾ اجرينا ﴿لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ اى معدن النّحاس باليمن سمّاه عينا مع جموده باعتبار ما يؤل اليه حيث جرى ونبع له كالماء من العين ثلاثة ايّام بلياليها وعمل النّاس الى اليوم مما اعطى سليمان وقيل كان يجرى عليه كلّ شهر ثلثة ايّام ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾

عطف على الرّيح ومن الجنّ حال متقدّمة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ بامره ﴿وَمَنْ يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعة سليمان ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢)﴾ النّار فى الآخرة كما هو المتبادر ولانّهم ايضا مكلّفون وقيل فى الدّنيا لانّه وكل بهم ملك بيده سوط من خرج عن طاعة سليمان ضربه ضربة احرقته ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ : اريب﴾ قصورا حصينة ومنها بيت المقدس كما سيأتى عالية سميت به لانّها يحارب عليها ﴿وَتَماثِيلَ﴾ جمع تمثال وهو كلّ شئ مثلّته بشئ اى صورا من نحاس وزجاج على هيئة الملائكة والأنبياء الثابتين فى العبادة ليريها النّاس فعبدوا مثلهم وحرمة اتّخاذ الصّور شرع جديد لم يكن فى شرعته وكانوا قد عملوا له اسدين فى اسفل كرسيّه اذا اراد ان يصعده بسطا له ذراعيهما ونسرين فوقه اذا قعد ظلاّه باجنحتهما ﴿وَجِفانٍ﴾ جمع جفنة ﴿كَالْجَوَابِ﴾ جمع جابية وهى الحوض الكبير كان يجتمع على الجفنة الف رجل ياكلون منها ﴿وَقُدُورٍ﴾ جمع قدرة وهى ما يطبخ فيها ﴿رَاسِيَاتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك من اماكنها لعظمها يصعد اليها بالسّلالم وقلنا ﴿اعْمَلُوا﴾ يا ﴿آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ له على ما اتاكم نصب على العلّة او الحال او المصدر لانّ العمل شكر ﴿وَقَلِيلٌ﴾ خبر مقدّم ﴿مِنْ عِبَادِيَ﴾ صفة ﴿الشَّكُورُ (١٣)﴾ مبتدأ مأخّر والمعنى العامل بطاعتى شكرا لنعمتى قليل من عبادى اذلا يفى احد حقّه ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ اى على سليمان ﴿الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ﴾ اى الجنّ ﴿عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ﴾ وهى الأرضة اضيفت الى فعلها يقال ارضت الأرضة الخشبة ارضا اى اكلتها ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ عصاه لانّها تنسأ اى يطرد بها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتا ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ علمت ﴿الْجِنُّ﴾ بعد التباس الأمر عليهم ﴿أَنْ﴾ مخفّفة اى انهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ كما يزعمون لعلموا موته ﴿مَا لَبِثُوا﴾ حولا بعد موته ﴿فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)﴾ اى فى تسخيره ايّاهم لبناء بيت المقدّس وذلك انّ داود عليه السّلام اسّس بيت المقدّس فى موضع فسطاط موسى عليه السّلام فمات قبل تمامه فوصّى به الى سليمان فشرع فيه بعد ما مضى من ملكه اربع سنين وعمل فيه سبعة وثلاثين فلمّا اعلم بدنوّ اجله وكان قد بقى فيه عمارة سنة اراد ان

يغمر عليهم موته ليتمّوه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام فى محرابه متّكيا على عصاه فقبض روحه وبقى كذلك حتى اكلتها الأرضة ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصى فاكلت يوما وليلة فحسبوا على ذلك النحو فعلموا انّه مات منذ سنة وانّهم لا علم لهم بالغيب كما يدعون والاّ لعلموا موته وما لبثوا فى العمل الشّاق وكان مجموع عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة ثم انّه تعالى لمّا بين حال الشّاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان بيّن حال الكافرين بقصّة اهل سبأ فقال ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ اى لاولاد سبأ بن يُشْجُب بن يَعْرِبَ بن قحطان ﴿فِى مَسْكَنِهِمْ﴾ باليمن وهى البلدة الّتى كانت بها بلقيس ﴿آيَةٌ﴾ علامة دالة على قدرة الله ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل من آية ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ اى كان لكل واحد بستانان واحدة عن يمين داره وواحد من شمالها قيل لهم على لسان نبيّهم ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النّعم بلدة سبأ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ الهواء ليس بها شئ من الأمراض الناشية من وخامة الهواء ولا من هوام الأرض من نحو برغوث وذباب وحيّة وعقرب وكان الرّجل الغريب يمر بها فتموت القمل كلها فى ثيابه من طيب هواها ﴿وَ﴾ رازقكم ﴿رَبٌّ غَفُورٌ (١٥)﴾ لفرطات من يشكره ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن الشكر وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ من اضافة الموصوف الى الصفة بمعنى سيل المطر العرم اى الشّديد الصّعب فدفت الرّمل ارض جنانهم ومنازلهم فتفرقوا فى البلدان ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ تسميتهما به للمشاكلة والتهكم ﴿ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ مرّ بشيع بدل او عطف بيان لاكل ﴿وَأَثْلٍ﴾ وهو الطّرفاء فهو عطف على اكل لا خمط اذلا ثمر له وكذا ﴿وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦)﴾ وصفه بالقلّة لانها مناط العقاب والاّ فهو ممّا ينتفع بثمره وهو النّبق اكلا وبورقه غسلا فلا عقاب فى جعله بدلا وقيل السّدر نوعان منتفع به وغيره فالمراد هنا الاخير ﴿ذَلِكَ﴾ التّبديل مفعول ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرانهم النّعمة او كفرهم بالرسل اذ روى انّه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيّا فكذبوهم ﴿وَهَلْ﴾ ما ﴿نُجَازِى إِلاَّ﴾ بمثل ما فعلنا بهم ﴿الْكَفُورَ

﴿١٧﴾ البليغ فى الكفران او الكفر ﴿وجعلنا بينهم﴾ اى بين سبأ ﴿وبين القرى التى باركنا فيها﴾ بالماء والشجر وغير ذلك وهى قرى الشّام الّتى يسيرون اليها للتجارة ﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة من اليمن الى الشّام ﴿وقدّرنا فيها السّير﴾ بحيث يقيلون فى واحدة ويبيتون فى اخرى الى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه الى حمل زاد وماء وقلنا بلسان الحال ﴿سيروا فيها ليالى وأيّاما آمنين ﴿١٨﴾﴾ لا يختلف عليكم الأمن بتبدّل اللّيل والنّهار ﴿فقالوا﴾ بطرا بالنعمة ﴿ربّنا باعد بين أسفارنا﴾ اى الشام اى اجعل بيننا وبينها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرّواحل وحمل الزّاد والماء فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بعدم الأعتداد بالنّعمة وبالكفر ﴿فجعلناهم﴾ بالاهلاك ﴿أحاديث﴾ يتحدّث النّاس بهم تعجّبا ويجعل بيانا لجعلناهم ﴿ومزّقناهم كلّ ممزّق﴾ اى فرقناهم فى البلاد كلّ التّفريق وغايته فصار تفرّقهم مضربا للأمثلة فيقال تفرّقوا ايدى سبا ﴿إنّ فى ذلك﴾ المذكور ﴿لآيات﴾ عبرا ﴿لكلّ صبّار﴾ عن المعاصى ﴿شكور ﴿١٩﴾﴾ على النّعم ﴿ولقد صدّق عليهم﴾ اى بنى آدم ومنهم سبأ ﴿إبليس ظنّه﴾ اى فى ظنّه اغوائهم حين راى نفاد حيلته فى ابيهم آدم انقلب ما ظنّه صدقا ويجوز ان يكون مفعولا به لانّه كالوعد فى نوع من القول فكما يتعدّى الصدق الى الوعد يتعدّى اليه ﴿فاتّبعوه إلاّ فريقا من المؤمنين ﴿٢٠﴾﴾ للبيان اى هم المؤمنون لم يتبعوه او الاّ فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ تسلّط منّا بالوسوسة لشئ من الأشياء ﴿إلاّ لنعلم من يؤمن بالآخرة ممّن هو منها فى شكّ﴾ اى ليتعلّق علمنا بايمان المؤمن وكفر الكافر موجودين فنجازيهم وامّا فى الأزل فقد علم بانّهما سيقعان وذلك لا يترتب عليه الجزاء ﴿وربّك على كلّ شئ حفيظ ﴿٢١﴾﴾ رقيب محافظ ﴿قل﴾ يامحمّد للمشركين ﴿ادعوا الّذين زعمتم﴾ اى زعمتموهم آلهة حذف الاوّل لطول الموصول بصلته وحذف العائد المنصوب مغتفر والثانى لقيام صفته مقامه وهى قوله ﴿من دون الله﴾ من غيره ليقضوا حوائجكم ويشفعوا لكم كما زعمتم فاجاب تعالى عنهم بما لا جواب غيره فقال ﴿لا يملكون مثقال﴾

وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ من خير او شرّ ﴿فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ذكرهما للعموم العرفيّ او لانّ بعض آلهتهم سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالأصنام ﴿وما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ﴾ شركة لا خلقا ولا ملكا ﴿وما لَهُ﴾ تعالى ﴿مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢)﴾ يعينه فى تدبير امرهما وردّ دعواهم شفاعة الاصنام ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ ان يشفع على انّ من عبارة عن الشّافع واللاّم داخلة عليه للأختصاص او يشفع له على انّها عبارة عن المشفوع له واللاّم للأجل ويجعل غاية للانتظار والتّوقع المفهوم من هذا الكلام قوله ﴿حَتّٰى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ اى كشف الفزع عن قلوب الشّافعين والمشفوع لهم بالأذن ﴿قالُوا﴾ اى قال بعضهم لبعض استبشارا ﴿ماذا قالَ رَبُّكُمْ﴾ فى الشّفاعة ﴿قالُوا﴾ قال القول ﴿الْحَقَّ﴾ اى قد اذن فيها للمؤمنين ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿الْكَبِيرُ (٢٣)﴾ العظيم ليس لاحد ان يتكلّم ذلك اليوم الاّ باذنه ثم قرّر لا يملكون آه بقوله ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللّٰهُ﴾ ان لم يقولوه اذ لا جواب سواه ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ اى احد الفريقين من الموحّدين والمشركين ﴿لَعَلىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلٰالٍ مُبِينٍ (٢٤)﴾ وفى الأبهام بعد ذكر ما يدل على من هو على الهدى وضدّه تلطّف بهم وسدّ لباب الجدال عليهم داع الى أيمانهم وقوله ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥)﴾ ادخل فى التّلطف والأنصاف حيث اسند الأجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ بحكم ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ بان يدخل المحقّين الجنّة والمبطلين النّار ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم فيما انغلق من الأحكام ﴿الْعَلِيمُ (٢٦)﴾ بما ينبغى ان يحكم به ﴿قُلْ أَرُونِيَ﴾ من رأية البصر تعدّى بالنقل الى اثنين ﴿الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ حال من العائد المحذوف لارى ما حملكم على الحاقهم به وهذا زيادة فى تبكيتهم بعد الزام الحجة عليهم ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة ﴿بَلْ هُوَ﴾ اى الله او الشأن فهو مبهم على التقديرين للتفخيم مفسّر بقوله ﴿اللّٰهُ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ (٢٧)﴾ فى صنعه فكيف يشاركه الاذلاّء الخالية عن الشعور والقدرة وهو جملة على الثّانى صفة وموصوف على الاوّل

وبعد ما اسّس مسائل التّوحيد شرع فى تحقيق الرّسالة فقال ﴿وما أرسلناك إلاّ﴾ ارسالة ﴿كافّة﴾ عامة على طريق التّعبير باللازم اذا العموم مستلزم الكفّ عن الخروج او الاّ جامعا فى الابلاغ كما هو احد معنى الكفّ على انّه حال من الكاف والتّاء للمبالغة كما فى علاّمة او الاّ ﴿للنّاس﴾ عامة على انّه حال منهم قدم للاهتمام بل هو الاظهر الخالى عن التّكليف وان لم يذهب اليه الاّ جماعة من النّحاة ﴿بشيرا ونذيرا ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون (٢٨)﴾ فيخالفوك لجهلهم ولمّا قرّر الرّسالة بيّن الحشر على وجه يتضمّن تجهيل منكريه فقال ﴿ويقولون﴾ من فرط جهلهم وانكارهم ﴿متى هذا الوعد﴾ المفهوم من بشيرا ونذيرا او من يجمع بينا ربنا آه ﴿إن كنتم صادقين (٢٩) قل لكم ميعاد﴾ وعد ﴿يوم﴾ وهو يوم القيامة ﴿لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون (٣٠)﴾ ولما كان مرادهم من سؤالهم عن الوقت الأنكار والتّعنت اجابهم بطريق التهديد عليه ولم يعيّن لهم الوقت ﴿وقال الذين كفروا﴾ اى كفار مكّة ﴿لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالّذى بين يديه﴾ اى تقدّمه من الكتب الدّالة على البعث فقال تعالى فى بيان حالهم فى الآخرة ﴿ولو ترى﴾ يامحمّد ﴿إذ الظّالمون موقوفون عند ربّهم﴾ اى فى موضع المحاسبة ﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الّذين استضعفوا﴾ اى الأتباع ﴿للّذين استكبروا﴾ اى الرّأساء ﴿لولا أنتم﴾ صددتمونا عن الأيمان ﴿لكنّا مؤمنين (٣١)﴾ بالنّبى ﴿قال الّذين استكبروا للّذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جائكم﴾ لا ﴿بل كنتم مجرمين (٣٢)﴾ فى انفسكم ﴿وقال الّذين استضعفوا للّذين استكبروا﴾ اضرابا عن اضرابهم ﴿بل مكر اللّيل والنّهار﴾ اى مكركم فيهما صدّنا عن الهدى فاتّسعْ فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المصدر اليه ﴿إذ﴾ ظرف او علّة للمكر ﴿تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسرّوا﴾ اى اخفى كلّ من الفريقين ﴿النّدامة﴾ على الضّلالة عن صاحبه خوف التّعيير او اظهرها على انّ الهمزة للسّلب ﴿لمّا رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الّذين كفروا﴾ اى فى اعناقهم فجاء بالظاهر اشعارا بموجب اغلالهم ﴿هل﴾ ما ﴿يجزون إلاّ﴾ بجزاء ﴿ما كانوا يعملون (٣٣) وما أرسلنا فى قرية

من نذير إلاّ قال مُترفُوها﴾ رؤسائها المتنعّمون ﴿إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ من الأيمان والتوحيد ﴿كافِرُون (٣٤) وقالُوا نَحْنُ أكْثَرُ أمْوالاً وأوْلاداً﴾ فنحن اولى بالرّسالة ان امكنت من البشر ﴿وما نَحْنُ بمُعَذَّبِين (٣٥)﴾ اذ لا عذاب او لانّه اكرمنا بالنعمة فلا يهيننا بالعذاب ﴿قُلْ﴾ ردّا لما ظنّوا ﴿إنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسّعه ﴿لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيّقه لمن يشاء فليس احدهما لكرامة او اهانة فكم من موسر شقى ومعسر تقى والاّ لما اختلف فيه الاشخاص المتماثلة فى الخصائص والصفات ﴿ولَكِنَّ أكْثَرَ النّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٣٦) وَما أمْوالُكُمْ﴾ يا بنى آدم ﴿وَلاَ أوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفى﴾ قربة بل قد تكون استدراجا ﴿إلاَّ﴾ اموال واولاد ﴿مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً﴾ بصرف الأموال فى سبيل الله وتربية الاولاد على الصّلاح ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾ من اضافة المصدر الى المفعول اى يجازوا ضعف ما صنعوا الى عشر فاكثر ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفاتِ﴾ قصور الجنّة ﴿آمِنُونَ (٣٧)﴾ من المكاره ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آياتِنا﴾ القرآن بالطعن فيه ﴿مُعاجِزِينَ﴾ سابقين للأنبياء او لنا اى مقدّرين فى انفسهم ان يسبقونهم مع ان شأنهم اثبات الحق او يفوتونا ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ بعينه فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين لبيان نعيم الآخرة وتضاعف الحسنات لا ينافى سعة الرّزق فى الدّنيا وما سبق فى شخصين لبيان انّ اختلاف الأشخاص فى السعة والضيق لا يبتنى على كرامة الموسع عليه كما زعموا فلا تكرار ﴿وَما﴾ شرطيّة فى محلّ النّصب معمول ﴿أنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ عوضا امّا فى الدّنيا او فى الآخرة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرّازِقِينَ (٣٩)﴾ فانّ كلّ من عداه وسط فى ايصال رزقه تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ المشركين مستكبريهم ومستضعفيهم ﴿ثُمَّ يَقُولُ﴾ اقناطا لهم عما يتوقعون من الشفاعة ﴿لِلْمَلائِكَةِ﴾ خصّهم لانهم اشرف شركائهم ﴿أهؤُلاءِ إيّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قالُوا سُبْحانَكَ﴾ تنزيها عن التّشريك ﴿أنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ﴾ اى لا موالات بيننا وبينهم ولا رضاء لنا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا عبادتهم ايّاهم على الحقيقة بقولهم ﴿بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ اى الشّياطين حيث اطاعوهم فى عبادة

غيرك ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ اى كلّ المشركين ﴿بِهِمْ﴾ اى بالجنّ ﴿مُؤْمِنُونَ (٤١)﴾ قال تعالى ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ اذ الأمر فيه لله ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢)﴾ عطف على لا يملك مبيّن للمقصود من تمهيده ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات بلسان محمّد نبيّنا ﴿قَالُوا مَا هَذَا﴾ اى محمّد ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ اى القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ اى امر النّبوة او القرآن على انّ الاوّل باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣)﴾ بيّن وكرّر الفعل مع كلّ من هذين المقولين مع اظهار الفاعل فى الأخير للأيذان بانّ الأمر عظيم وان ارتكابه عجيب غريب ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ فيها دليل على صحة الاشراك والتكذيب ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤)﴾ يدعوهم اليهما وينذرهم عن تركهما فمن اين وقع لهم هذه الشّبهة جهلهم بهذا ثم هدّدهم بقوله ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كما كذّبوا ﴿وَمَا بَلَغُوا﴾ هؤلاء ﴿مِعْشَارَ﴾ عشر ﴿مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ اى من قبلهم من القوّة وطول العمر وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ اليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)﴾ انكارى عليهم بالعقوبة والأهلاك اى هو واقع موقعه فليحذر هؤلاء من مثله كذّب الاوّل لتكثير الفعل لا للتّعدية ومطلق عن مفعول به جار مجرى اللاّزم كانّه قيل فعلوا التكذيب والثّانى للتّعدية ومقيّد بالمفعول به فلذا عطف عليه بالفاء السببيّة فلا تكرار ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ اى بخصلة واحدة هى ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾ من مجلس رسول الله او تقوموا للأمر وتشمروا له ﴿لِلَّهِ﴾ اى لاجله وطلب مرضاته ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ اى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فانّ الأزدحام مما يشوّش الخواطر ويعمى البصائر ويقل معه الأنصاف وعطف على ان تقوموا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ فى امر محمد وما جاء به فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ﴾ زائد لتاكيد الاستغراق ﴿جِنَّةٍ﴾ جنون يحمله على ذلك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦)﴾ قدامه ان عصيتموه ﴿قُلْ مَا﴾ شرطية معمول

﴿سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ على الرّسالة وجواب ما ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ المراد نفى السّؤال يعنى دعوى النّبوة كذبا يستلزم اما الجنون او توقع نفع دنيوىّ وكلاهما منتفيان فيلزم الصّدق فى دعواها ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابى ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧)﴾ مطّلع يعلم صدقى وخلوص نيّتى ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٤٨)﴾ خبر ثان او خبر محذوف ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ اى الاسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ (٤٩)﴾ اى زهق لم يبق له اثر وابداء واعادة ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عن الحقّ ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ فانّ اثم ضلالى عليها لانّها الأمّارة بالسوء ولذا قابل الشرطية بقوله ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ من القرآن والحكمة فانّ الأهتداء بتوفيقه ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)﴾ يدرك قول كلّ ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا﴾ عند الموت او البعث لرأيت امرا فظيعا ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لهم منّا اى لا يفوتونا بهرب ﴿وَأُخِذُوا﴾ عطف على فزعوا او لافوت باعتبار معناه المذكور ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥١)﴾ اى ظهر الأرض الى بطنها او الموقف الى النّار ﴿وَقَالُوا﴾ يوم الفزع ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ اى محمّد المتقدّم ذكره فى قوله ما بصاحبكم آه ونفى عنهم نفع هذا الأيمان بقوله ﴿وَأَنَّى﴾ اى من اين خبر قدّم لتضمه معنى الاستفهام ﴿لَهُمُ﴾ حال والمبتدأ ﴿التَّنَاوُشُ﴾ اى تناول الأيمان تناولا سهلا ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢)﴾ فانه فى مكان التّكليف اى الدّنيا وقد بعد عنهم لانّهم فى الآخرة ﴿وَ﴾ حال ﴿قَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ اى محمّد ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ فى الدّنيا وهى محلّ التّكليف ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ يرمون عطف على كفروا اتى بالمضارع على حكاية الحال الماضية ﴿بِالْغَيْبِ﴾ اى الغائب عنهم الغير المعلوم لهم وهو تكلّمهم فى حقّ الرّسول بانّه شاعر ساحر مفترى ونحو ذلك فانّه غيب اذ لم يشاهدوا منه شيئا فيه عليه السّلام ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣)﴾ وهو الشّبهة الّتى تمحّلوها فى امره عليه السّلام ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من نفع الإيمان والنّجاة به من النّار ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ اشباههم فى الكفر من الأمم الماضية ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (٥٤)﴾ موقع فى الرّيبة اسند فعل صاحب الشكّ اليه مجازا.

سورة فاطر

مكيّة وآيها خمس أو ست وأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ خالقها على غير مثال سبق من الفطر وهو الشّق كانه شقّ العدم باخراجهما منه والإضافة معنويّة لانّه بمعنى الماضى ﴿جَاعِلِ الْمَلٰئِكَةِ﴾ جعلهم ﴿رُسُلًا﴾ الى الأنبياء والصّلحاء يبلغون اليهم رسالته بالوحي والإلهام والرّأيا الصّالحة ويوصف رسلا بقوله ﴿أُولِى﴾ ذات ﴿أَجْنِحَةٍ﴾ متعددة ﴿مَثْنَىٰ وَثُلٰثَ وَرُبٰعَ﴾ على حسب مراتبهم يسرعون بها الى ما وكّلهم عليه ولم يرد به خصوصية هذا العدد ونفى ما زاد عليه اذ روى انّه عليه السّلام رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمأية جناح ﴿يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿مَا يَشَاءُ﴾ زيادته على اصل المخلوق من حسن الوجه والصّوت وتمام العقل وسخاوة النفس وغير ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ وتخصيص بعض الاشياء بالذّكر لتحصيل دون بعض انّما هو من جهة الأرادة ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ اى يرسل لهم فهو من ذكر السبب اى الفتح الّذى هو من ملائمات الباب وارادة المسبّب ﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾ كرزق وامن وعلم ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِ﴾ اى بعد امساكه وفى تفسير المرسل بالرّحمة وتقديمه ونفى من يمسكه مطلقا وابقاء الممسك على عموم بحيث يعمّ الرّحمة والغضب وتقييد من يرسله بمن بعده اشعار بانّ رحمته سبقت غضبه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب لا منازع له فيما شاء ﴿الْحَكِيمُ (٢)﴾ لا يفعل الا بمصلحة واتقان ولما بيّن انّه الموجد لكلّ شئ المتصرّف فيه على الاطلاق امر النّاس بشكر انعامه بقوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالاعتراف بها وطاعة مولاها فقط اذ لا مدخل لاحد فيها حتى يستحق ان يشرك به كما

قال ﴿هَلْ مِنْ﴾ زائدة ﴿خَالِقٍ﴾ مبتدأ ﴿غَيْرُ اللهِ﴾ صفة مرفوعة على محلّه والخبر محذوف اى فى الوجود او ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النّبات ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣)﴾ فمن اين تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ اى فتأسّ بهم فى الصّبر على تكذيبهم فحذف واقيم سببه اعنى فقد كذّبت مقامه وليس هو الجزاء حقيقة لانّ حقّه ان يكون مرتبا على الشّرط فى الوقوع وهو واقع قبل تكذيب قريش ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤)﴾ فيجازيك واياهم على الصّبر والتكذيب ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ بالبعث والجزاء وغير ذلك ﴿حَقٌّ﴾ لا خلف فيه ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فتغفلكم عن الآخرة ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ (٥)﴾ الشيطان بان يمنّيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ التنكير للتّعظيم اى عدوّ بعداوة عامة قديمة ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فلا تسمعوا قوله فى شئ واشتغلوا فيما فيه محاربته من الاعمال الصّالحة ثم قرّر عداوته بقوله ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ اتباعه فى الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)﴾ النّار الشّديدة قرّر عداوته بهذا ثمّ وعّد من اجابه ووعد من خالفه بقوله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)﴾ وقرّره بقوله ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ بان غلب هواه على عقله حتى رآه مع كونه باطلا حقّا حسنا من موصولة او شرطيّة مبتدأ والخبر محذوف هوه خير وجواب معا على تقدير الشرطية اى كمن لم يزيّن له حتّى ميّز الحقّ من الباطل لدلالة ﴿فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ عليه ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾ اى لا تهلكها فالمراد من نهيها عن الهلاك نهيه عن اهلاكها من قبيل لا ارينّك ههنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ اى المزين لهم صلة تذهب و ﴿حَسَرَاتٍ﴾ مفعول له والحسرة شدة الحزن والجمع للدّلالة على تكررها ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨)﴾ فيجازيهم عليه ثم بيّن قدرته على الحشر والجزاء وعلى ان ما وعد حق باثبات ماهو من دلائل القدرة الباهرة له بقوله ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ اى تزعجه اتى بلفظ المضارع فى المعطوف على حكاية

الحال الماضية استحضارا للصّورة البديعة الدالة على كمال الحكمة او لانّ الأثارة امر ممستمرّ فجاز ان يحكى عن ماضيها ايضا بالحال تغليبا ﴿فَسُقْنَاهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَى بَلَدٍ﴾ صحراء ﴿مَيِّتٍ﴾ لا نبات فيه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ اى بالمطر النّازل منه ﴿الْأَرْضَ﴾ من البلد اى انبتنا فيها الزرع والكلاء ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿كَذَلِكَ﴾ اى مثل احياء الموات فهو خبر لقوله ﴿النُّشُورُ (٩)﴾ اى نشور الأموات واحيائهم فى المقدوريّة ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ الشرف والغلبة من شرطية وجوابه فليطلبها من عند الله استغنى عنه بدليله وهو قوله ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ حال تم بين مايطلب به العزّة بقوله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ﴾ جنس لا جمع ولذا وصف بقوله ﴿الطَّيِّبُ﴾ اى التّوحيد ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ وصعودهما بصعود صحيفتهما مع الكرام الكاتبين او مجاز عن قبولهما ﴿يَرْفَعُهُ﴾ اى يرفع الكلم العمل بمعنى انّه لا يقبل الاّ بالتّوحيد او بالعكس بمعنى انّ العمل يقوّى الإيمان ويحقّقه لا انّه يحصّله ويجعله مقبولا فانّه بدونه مقبول عند اهل السّنة او يرفع الله كلّ واحد منهما لما بيّن مايحصل به العزّة بيّن مايحصل به الذّلة بقوله ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بالنّبى وهم قريش اجتمعوا فى دار النّدوة وهى ما بناها قصّى بمكّة وتشاوروا فى حبسه او قتله او اخراجه كما ذكر فى الانفال.[1] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لا يبالى بمكرهم بالنسبة اليه ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠)﴾ يفسد ولا ينفذ لانّ الأمور مقدّرة منه تعالى لا تتغيّر به كما دلّ بقوله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق ابيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ بخلق ذريّته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا واناثا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ﴾ زائدة ﴿أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ حال اى الاّ معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ﴾ زائدة ﴿مُعَمَّرٍ﴾ اى ما يزاد فى عمر احد من شأنه ان يعمّر فالتّعبير باعتبار مايؤل اليه والاّ فتعمير المعمر تحصيل الحاصل ولذا رجع اليه ضمير ﴿وَلَا يُنْقَصُ﴾ بالنّسبة الى غيره ﴿مِنْ عُمُرِهِ﴾ اذ لو كان المراد به المعمر الحقيقى ورجع الضمير اليه للزم اجتماع الطول والنّقص فى شخص واحد وهو محال وقيل لا محالية

---

[1] - آية: ٣٠

فيه فانهما باعتبار الشرائط المكتوبة فى اللّوح مثل ان حجّ زيد فعمره ستّون والاّ فاربعون ﴿إِلاَّ فِى كِتَابٍ﴾ هو اللّوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (١١)﴾ ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر ﴿وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ كاسر للعطش ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ اى سهل شربه ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ يحرق بملوحته ووصف البحرين استطرادا للدّلالة على وحدانيته لا تنميما للمثل بقوله ﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هوالسمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الملح وقيل منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هى اللّؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ﴾ اى فى كلّ منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾ تشقّ الماء بجريها ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا متعلق بمواخر ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)﴾ الله على ذلك وحرف التّرجى باعتبار ما تقتضيه ظاهر حال المخاطبين لا حقيقته لانّه تعالى عالم بعواقب الأمور فيستحيل عليه التّرجى ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِى﴾ فى فلكه على العادة المعروفة ﴿لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ اى الى ان يجئ الاجل المسمّى عند الله تعالى فى نقض هذه العادة وهو يوم القيامة ﴿ذَلِكُمُ﴾ الفاعل لهذه الاشياء المتصف بها مبتدأ وقوله ﴿اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ اخبار مترادفة له وترتّبها عليه يفيد عليّة تلك الأوصاف للحكم بها وعطف على مجموعه للدلالة على تفرّده بهذا الحكم قوله ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣)﴾ لفافة النواة ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ لنفع دنيوىّ ﴿لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ لانّهم جماد ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ فرضا ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لعدم قدرتهم على الانفاع ولتبريهم منكم مما تدعون لهم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ باشراككم ايّاهم مع الله اى يقرّون ببطلانه او يقولون تبرّأ ماكنتم ايّانا تعبدون ﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ﴾ باحوال الدّارين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ به وهو الله تعالى فانّه الخبير به على الحقيقة دون غيره ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ﴾ فى كلّ حال ﴿وَاللهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ (١٥)﴾ عن كلّ خلقه ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦)﴾ بدلكم اطوع منكم ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ (١٧)﴾ متعذّر او متعسّر ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ اى لا تحمل نفس آثمة

اثم نفس اخرى وامّا قوله وليحملن اثقالا مع اثقالهم ففى الضّالين المضلّين يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكلّ ذلك ذنبهم لا ذنب غيرهم الاّ انّه اضاف الثانى فقط اليهم لانّ ضرره مقصور عليهم لا يتعدّاهم بخلاف الاوّل ﴿وإِنْ تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالذنوب غيرها ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾ اى الى ان يحمل بعض ذنوبها ﴿لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ اى لم تجب فى ذلك اى كما لا يحمل عليها لا يحمل عنها ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المدعوّ ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابة كالابّ والابن وغيرهما ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ملتبسين ﴿بِالْغَيْبِ﴾ منه اى ما رأوه ولا عذابه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾ فانّهم المنتفعون بالانذار لا غير وان كنت منذرا لكلّ النّاس واختلاف الفعلين لما مرّ فى ﴿فتثير﴾[1] آه ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ تطهّر عن دنس المعاصى ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ اذ نفعه لها ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ (١٨)﴾ فيجازى على التّزكى وضدّه ﴿وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩)﴾ اى الكافر والمؤمن ﴿وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ (٢٠)﴾ الباطل والحقّ اللام الأولى لتأكيد نفى الاستواء والثانى لمزيد التاكيد وكذا فى ﴿وَلاَ الظِّلُّ﴾ الثواب ﴿وَلاَ الْحَرُورُ (٢١)﴾ فعول من الحرّ غلب على السّموم والمراد العقاب ﴿وَمَا يَسْتَوِى الأَحْيَاء وَلاَ الأَمْوَاتُ﴾ اى المؤمنون والكافرون وهو ابلغ من التمثيل الاوّل ولذا كرّر الفعل وقيل تمثيل للعلماء والجهال ﴿إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته اى يوفّقه لفهم آياته والأتعاظ بها ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى الْقُبُورِ (٢٢)﴾ ترشيح لاستعارة الاموات للمصرّين على الكفر لانّه من ملائمات المستعار منه وفيه مبالغة فى اقناطه عليه السّلام عنهم ﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ (٢٣)﴾ فلا تقدر على الاسماع ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ حال من الفاعل او المفعول ﴿بَشِيرًا﴾ لمن اجاب اليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن لم يجب اليه ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿أُمَّةٍ﴾ اهل عصر مبتدأ خبره ﴿إِلاَّ خَلاَ﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)﴾ من نبى او عالم ينذر عنه كما فى زمان الفترة اقتصر عليه لانّ البشارة من توابعه ولوازمه وبالعكس فجاز الاكتفاء باحدهما عن الآخر مع انّه المقصود الأهم من البعثة لانّ التّحلية عن الرّذائل متقدّم على

---

[1] – سورة فاطر: ٩

التّحلية بالفضائل ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم وقد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ فهو حال من المفعول ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ اى المعجزات الشّاهدة على نبوتهم ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ كصحف ابراهيم ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥)﴾ المراد الكتاب الكبير لا ما يساوى الزّبر كالتّورية والأنجيل والمراد مجيئ بعضهم بالزّبر وبعضهم بالكتاب لا انّ كلاّ جاء بالكلّ وامّا البيّنات فالكلّ جاء بها اذ لا من نبيّ الاّ له معجزة ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)﴾ اى انكارى عليهم بالعقوبة اى هو واقع موقعه فالاستفهام للتقرير ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كاخضر واصفر واحمر وغيرهافهذا الاختلاف مع اتفاق الماء والتّراب دليل واضح على كمال قدرته تعالى ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ﴾ خبر لقوله ﴿جُدَدٌ﴾ اى ذو جدد جمع جدة وهو طريق فى الجبل وغيره ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ صفة جدد وكذا ﴿مُخْتَلِفٌ﴾ ويرفع على فاعليته ﴿أَلْوَانُهَا﴾ الوان الجدد بالشّدة والضعف فكل من الجدد البيض يخالف بياضه بياض الباقين فى الشّدة والضّعف وكذا كلاّ من الجدد الحمر فظهر وجه جمع الألوان ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ متحدة اللّون عطف على جدد وهو تاكيد لسود مقدّر يفسّره ﴿سُودٌ (٢٧)﴾ لا له لانّ التاكيد حقه التّاخير ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ﴾ خبر لقوله ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ اختلافا كائنا ﴿كَذَلِكَ﴾ اى كاختلاف الثّمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ﴾ بين ﴿عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بافعاله وصفاته لانّه كلّما كان المرأ اعلم بالمخشى كان اخشى منه ولذا قال عليه السّلام: «انا اخشاكم الله واتقيكم له» واخّر الفاعل لانّ المقصود حصر الخوف من الله فى العلماءوالجملة استيناف لبيان علّة تخصيصه عليه السّلام بالخطاب فى الم تر آه ثم علّل وجوب الخشية بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب يعاقب المصر على طغيانه ﴿غَفُورٌ (٢٨)﴾ للتائب عن عصيانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرؤن بالمداومة على ما يفهم من الاتيان بالماضى فيما عطف عليه ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ القرآن او جنس كتبه فيكون مرتبطا بان يكذّبوك آه وثناء على المصدّقين من الامم بعد ذم المكذّبين ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا

وعلانية﴾ وخبر انّ ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ تحصيل ثواب بالطاعة ﴿لَنْ تَبُورَ (٢٩)﴾ لن تملك بالخسران صفة تجارة ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ اللاّم للعاقبة متعلّق بيرجون ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ على ما يقابل اعمالهم ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لفرطاتهم ﴿شَكُورٌ (٣٠)﴾ لطاعتهم اى مجاز عليها ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ﴾ للتبيين ﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ اى لما تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١)﴾ اى عالم بالبواطن والظواهرفلو كان فى احوالك ما ينافى النّبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز ﴿ثُمَّ﴾ للعطف على اوحينا ﴿أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ حكمنا بتوريثه منك ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم امّتك لانّهم مصطفون على سائر الامم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتّقصير فى العمل به ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ يعمل به فى اغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بضمّ التّعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم المجرم والمقتصد الّذى خلط الصّالح بالسّيء والسّابق الّذى ترجّحت حسناته بحيث كفّرت سيأته فهؤلاء لا حساب عليهم ومن قبلهم يحاسبون حسابا يسيرا والمجرمون يحبسون حتى يتلقّاهم الله برحمته كما فى الحديث ﴿ذَلِكَ﴾ التّوريث او السّبق ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ اقامة مبتدأ خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ اى الثلاث المذكورين ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ خبر ثان او حال مقدّرة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ من للتبعيض اى بعض من الأساور اشرف من سائر افراد الأسورة وتخصيصها من بين حليّ الجنّة للدّلالة على انّها دار استراحة لانّ تحلية الأيدى الّتى اكثر الأعمال بها دليل على الفراغ منها ﴿مِنْ﴾ للبيان ﴿ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ سبق بيان عطفه فى سورة الحجّ[1] ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ من كلّ الجهات ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للمذنبين ﴿شَكُورٌ (٣٤)﴾ للمطيعين ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ اى الأقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ بمحض احسانه ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)﴾ كلال اذ لا تكليف فيها ولاكّد وذكره مع كونه تابعا للنّصب مبالغة فى نفيه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا

---

[1] – آية: ٢٣

يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ثانيا ﴿فَيَمُوتُوا﴾ ويستريحوا ونصبه باضمار ان ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ جزاء مثل ذلك الجزاء مفعول ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦)﴾ مبالغ فى الكفر او الكفران ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدّة يقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ﴾ العمل ﴿الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ بظنّنا انّه صالح والآن عرفنا انّه طالح فغير مضافة الى الصّالح الظّنى وهو غير مشهور بمخالفة ما قبلها حتّى تكسب التّعريف منه كما فيما اذا كانت مضافة الى القبيح فيقال لهم توبيخا ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ اى عمرا تمكّن المكلّف فيه من التّفكّر والتّذكر ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ الرّسول او الكتاب فما اجبتم ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِن نَّصِيرٍ (٣٧)﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يخفى عليه شيء علّل بقوله ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨)﴾ اى مضمرات القلوب فعلمه بغيره اولى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ﴾ جمع خليفة ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ اى استخلفكم وسلّطكم على التّصرف فيما فيها من المنافع ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ اى وبال كفره بينه بقوله ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ غضبا شديدا ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩)﴾ للآخرة والتكرير للدّلالة على انّ اقتضائه لكلّ من الأمرين مستقلّ باقتضاء قبحه ووجوب التجنّب عنه ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾ آلهتكم ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ اى غيره ﴿أَرُونِي﴾ امر تعجيز من رأية البصر نقلت الى باب الأفعال فتعدت الى مفعولين ثانيهما قوله ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ هذا اذا كان الاستفهام فى ارأيتم على حقيقته وامّا اذا كان المراد منه اخبرونى كما بيّنا فى مواضع عديدة فهو متنازع فيه بينه وبين ارونى اعمل فيه الثّانى والجملة بدل اشتمال عنه للملابسة بين الاخبار والأرائة وهذا متنازع فيه ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شركة مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَاوَاتِ أَمْ﴾ بل أ ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾ اى الشّركاء ﴿كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾ حجة بانّ لهم مع الله شركة اى لا شئ من ذلك فلم تعبدوهم ولمّا بيّن ان لا تمسّك لهم بوجه ما اضرب عنه الى بيان ما حملهم عليه وهو تعزير الاسلاف بقوله ﴿بَلْ إِن﴾ ما ﴿يَعِدُ

الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلاَّ غُرُورًا (٤٠)﴾ باطلا بقولهم هذه الآلهة شفعاء لتقرّب الى الله ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضَ﴾ كراهة ﴿أَنْ تَزُولاَ﴾ او يمنعهما من الزّوال لان الأمساك منع ﴿وَلَئِنْ﴾ اللاّم موطئة للقسم ﴿زَالَتَا إِنْ﴾ ما ﴿أَمْسَكَهُمَا مِنْ﴾ زائدة لتاكيد النّفى ﴿أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ اى من بعد الله وسواه او من بعد الزّوال وجملة النّفى جواب القسم سادة مسدّ جواب الشّرط ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)﴾ استيناف فى معرض التّعليل لامساكهما يعنى انّما امسكهما حليما منه وغفرانا فى تأخير العقاب الى قيام السّاعة ولولا هما لانشقّتا واهلكتهم من شناعة مقالتهم فى حقّه من اثبات الولد والشركاء ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ كفّار قريش ﴿بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ اى غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ﴾ اى من كلّ واحد من الأمم اليهود والنّصارى وغيرهم المكذّبين رسلهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمّد عليه السّلام ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ مجيئه على التّسبب ﴿إِلاَّ نُفُورًا (٤٢)﴾ تباعدا عن الهدى ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ﴾ مفعول له ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ اى وان مكروا المكر السّئ فحذف الموصوف ثم ابدل ان مع الفعل بالمصدر واضيف ﴿وَلاَ يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم من تعذيب مكذّبيهم ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا (٤٣)﴾ اى لا يبدّلها بجعله غير التّكذيب ولا محوّلها بان ينقلها من محقيها الى غيرهم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ نحو الشّام واليمن والعراق ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ يسبّقه ويفوته ﴿فِي السَّمٰوٰتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالاشياء كلّها ﴿قَدِيرًا (٤٤)﴾ عليها ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصى ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾ اى ظهر الأرض على تشبيها بالدّابة مكنية واثبات الظهر لها تخييلا ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ نسمة تدبّ عليها ﴿وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)﴾ فيجازيهم على اعمالهم.

سورة يس

مكيّة او إلاّ (إذا قيل لهم اتقوا) الاية او مدنية، وهى ثلث وثمانون أية
وفى الحديث: من قرأ يس كلّ ليلة غفر له ومن قرئها مرّة فكانّما قرأ القرآن عشر مرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ (١)﴾ متشابه ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)﴾ المحكم بعجيب النّظم وبديع المعانى او الحاكم بما فيه من الأحكام قسم جوابه ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣)﴾ يتعلّق به ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤)﴾ وهو التّوحيد والاستقامة والتّاكيد بالقسم وانّ واللاّم ردّ لقول الكفار لست مرسلا نزّل او اعنى ﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ﴾ فى ملكه ﴿الرَّحِيمِ (٥)﴾ بخلقه ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلّق بتنزيل او بارسلناك المفهوم من المرسلين لا به لانّ ارسالهم ليس لينذر محمّد عليه السّلام واقتصر على ذكر الأنذار لانّه المقصود من البعثة ﴿قَوْمًا﴾ وصفهم بقوله ﴿مَا﴾ نافية ﴿أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ الأقربين لتطاول مدّة الفترة ﴿فَهُمْ﴾ اى القوم بسبب عدم الأنذار ﴿غَافِلُونَ (٦)﴾ عن الأيمان والرّشد وفى غاية الاحتياج الى الارسال ﴿لَقَدْ حَقَّ﴾ وجب ﴿الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب وهو قوله لاملأنّ جهنّم من الجنّة والنّاس اجمعين ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧)﴾ سبب لما قبله اى لانّه علم عدم ايمانهم ثم بين سبب تركهم الأيمان بقوله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ عريضة جمع غلّ وهو ما يشدّ به اليد الى العنق ﴿فَهِىَ﴾ اى الأغلال واصلة لعرضها ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن فالفاء للنّتيجة كما فى ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨)﴾ رافعون رأوسهم لا يستطعون خفضها والمراد تمثيلهم فى الطبع على قلوبهم وعدم قبولهم الحقّ والألتفات اليه وخفض الرأس له بمن هذا شأنهم وفى محبوسيتهم فى الجهالة وعن النّظر فى الدلائل بمن احاط بهم سدّان فغطّى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وورائهم كما قال ﴿وجعلنا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السّين ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ

فهُمْ لا يُبْصِرُون (٩) وسواءٌ عليْهِمْ أأنذرْتهُمْ أمْ لمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤمِنُون (١٠)﴾ سبق فى البقرة[1] ﴿إنّما تُنْذِرُ﴾ انذارا يترتّب عليه النّفع ﴿من اتّبع الذِّكْر﴾ القرآن بالتأمل فيه والعمل ﴿وخشِى الرّحْمٰن بالْغيْب﴾ اى خاف عقابه ولم يره ﴿فبشِّرْهُ بمغْفِرةٍ وأجْرٍ كرِيمٍ (١١)﴾ هو الجنة ﴿إنّا نحْنُ نُحْيِى الْموْتٰى﴾ اى الاموات بالبعث او الجهال الموتى القلوب بالهداية على انّ الأحياء مجاز عنها ﴿ونكْتُبُ ما قدّمُوا﴾ فى حياتهم من خير او شر ليجازوا عليه ﴿وآثارهُمْ﴾ اى سننهم الحسنة والقبيحة الباقية بعدهم ﴿وكُلّ شىْءٍ﴾ نصبه بفعل يفسّره ﴿أحْصيْناهُ﴾ اضبطناه ﴿فِى إمامٍ مُبِينٍ (١٢)﴾ بيّن هو اللّوح المحفوظ سمّى اماما لانّه يؤتم به ويتبع ولا يخالف ﴿واضْرِبْ﴾ اى اجعل ﴿لهُمْ مثلًا﴾ مفعول ثان والاوّل مثل ﴿أصْحٰب الْقرْيةِ﴾ انطاكية كانوا عبدة الأصنام ﴿إذْ جاءها﴾ اى اهلها بدل اشتمال من اصحاب القرية ﴿الْمُرْسلُونَ (١٣)﴾ رسل عيسى عليه السّلام واضافته الى نفسه فى قوله ﴿إذْ﴾ بدل من اذ قبلها ﴿أرْسلْنا إلىْهِمُ﴾ لانّه فعل خليفة ﴿اثْنيْنِ﴾ يحيى ويونس او غيرهما يدعيانهم الى الأيمان ﴿فكذّبُوهُما﴾ وحبسوهما ﴿فعزّزْنا﴾ اى قوينا الأثنين ﴿بِثالِثٍ﴾ وهو شمعون روى انّه لما بعثه عيسى دخل متنكّرا حتّى تعرّف مع الملك وقال له يوما سمعت انّك حبست رجلين ادعهما لنسألهما عمّا يقولون فقال لهما شمعون من ارسلكما قالا الله الّذى خلق كلّ شيء لا شريك له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال ما آيتكما قالا نبرأ الأكمه والأبرص ونحى الموتى فدعا الملك بغلام مطموس العينين فدعيا الله فانشقّ له بصر ووضعا بندقتين فى حدقتيه فصارا مقلتين ينظر بها فاقرّ الملك لشمعون سرّا بانّ آلهتهم لا تقدر على ذلك بل لا شعور لها اصلا ثم دعى بغلام مات منذ سبعة ايام فقال ان احيى الهكم هذا آمنّا به فدعيا فحيى فحذرهم من النّار وأمرهم بالأيمان وقال رأيت فى السّماء شابا حسنا يشفع لشمعون وهذين فلمّا رأى شمعون رقة قلب الملك نصحه فآمن فى جمع وصاح جبرائيل بمن لم يؤمن فهلكوا كما قال تعالى ﴿فقالُوا إنّا إلىْكُمْ مُرْسلُونَ (١٤) قالُوا

---

[1] - آية: ٦

مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا مزيّة لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ وحي ورسالة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)﴾ فى دعوى رسالته ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ(١٦)﴾ استشهدوا بعلم الله وهو يجرى مجرى القسم وزيد التّاكيد به وباللاّم على ما قبله لزيادة الأنكار ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ التبليغ ﴿ٱلْمُبِينُ (١٧)﴾ البين الظّاهر بالأدلة الواضحة وهى ما ذكرنا ﴿قَالُوٓا إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾ تشاءمنا والأصل فى التّطير انّ العرب كانت ترجوا الطّير فتشأم بالبارح اى الجائى على اليسار بحيث لا يمكن رميه حتى ينحرف الرّامى اليه وتتبرك بالسانح اى ماجاء من جهة اليمين وقيل كانوا اذا همّوا حاجة ذهبوا الى الطير فى موضع وقوعه ينفروه فاذا مضى يمينا فعلوها او يسارا فلا وسمّوه بالاسمين المذكورين فلمّا جعلوا الطائر دليلا على الشوم سمّى الشوم به وبالطير والطيرة تسمية للمدلول باسم الدّليل ثم اشتق منه التطيّر بمعنى التّشأم ونحن منعنا عن التطير بالطائر فانّه حرام وان لم يوجب الكفر اذ ارواح البهائم ضعيفة لا تليق لان يستدلّ بحركاتها بخلاف ارواح الأنسان فانّها اقوى واصفى فيمكن الاستدلال بنحو الكلمة الجارية على لسان انسان ولذا كان عليه السّلام يتفأل بنحو الكلمة الحسنة ولا يتطيّر ﴿بِكُمْ﴾ وذلك لانّهم دعوهم الى دين غريب فنفرت عنه طبيعتهم ورأوهم مضرّين لهم كالطير البارح الّذى يزعمون انّه سبب الشّر وقيل لانّه حبس عنهم المطر فرأوه بشومهم ﴿لَئِن﴾ لام توطئة قسم ﴿لَّمْ تَنتَهُوا﴾ عمّا تقولون ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨)﴾ قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ اى سبب شؤمكم معكم وهو سوأ عقيدتكم واعمالكم ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ وعظتم وخوّفتم وجواب الشّرط محذوف اى تطيّرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام التّوبيخىّ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩)﴾ متجاوزين الحدّ فى الطّغيان فلذا تشأمتم بمن يجب ان يتبرك به ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ وهو حبيب النّجار كان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمّد ايضا وكان بينهما ستمأية سنة ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا ٱلْمُرْسَلِينَ (٢٠)﴾ وهو قد كان آمن بهم حين راى منهم الايات ﴿ٱتَّبِعُوا

من لا يسئلكم أجرا﴾ على الرسالة والنّصح ﴿وهم مهتدون (٢١)﴾ الى خير الدّارين ﴿وما لي لا أعبد الّذي فطرني﴾ خلقني اى لا مانع لى من عبادته الموجود مقتضيها تلطّف فى الارشاد بافراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النّصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم ولذلك قال ﴿واليه ترجعون (٢٢)﴾ مبالغة فى التّهديد ثم عاد الى الاسلوب الاوّل فقال ﴿أأتخذ﴾ استفهام انكار اى لا اتخذ ﴿من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا﴾ اى لا ينفعنى شفاعتهم ﴿ولا ينقذون (٢٣)﴾ بالنّصر والجملة الشّرطيّة صفة آلهة ﴿إنى إذا﴾ ان عبدت غيره ﴿لفى ضلال مبين (٢٤)﴾ بيّن ﴿إنى آمنت بربكم﴾ الّذى خلقكم ﴿فاسمعون (٢٥)﴾ اى اسمعوا ايمانى واطيعونى ياقوم ﴿قيل﴾ له لمّا قتلوه ﴿ادخل الجنّة﴾ حالا كسائر الشهداء استيناف لبيان حاله عند لقاء ربّه وبيّن ماقال عند ذلك القول بقوله ﴿قال يا ليت قومى يعلمون (٢٦) بما﴾ الّذى ﴿غفر لى ربّى﴾ به ﴿وجعلنى من المكرمين (٢٧)﴾ وهو ترك دينهم والصبر على اذاهم ليعملوا مثلى فيفوزوا بالثواب المؤبّد فى الحديث انّه نصح قومه حيّا وميّتا ﴿وما﴾ نافية ﴿أنزلنا على قومه﴾ اى حبيب ﴿من بعده﴾ بعد قتله ﴿من جند من السّماء﴾ لاهلاكهم كما ارسلنا على قومك يوم بدر ونحوه بل كفينا امرهم بصيحة فيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام ﴿وما كنّا منزلين (٢٨)﴾ اى ما صحّ فى حكمنا ان ننزّل ملائكة لاهلاك احد اذ جعلنا لكلّ شئ سببا وهو سبب لأنتصارك من قومك فقط ﴿إن﴾ ما ﴿كانت﴾ عقوبتهم ﴿إلا صيحة واحدة﴾ صاح بهم جبريل ﴿فإذا هم خامدون (٢٩)﴾ ميّتون شبّهوا بالنّار رمزا الى انّ الحىّ كالنّار السّاطعة والميت كرمدها ﴿يا حسرة﴾ منادى مشابه بالمضاف اذ تعلّق بها ﴿على العباد﴾ المأخوذين بالصيحة او كلّ من يستهزأ بالرّسل بها والمعنى يا حسرة عليهم تعالى فهذا آوان حضورك لانّ حالهم من حقها ان تحضرى فيها وفائدة ندائها تنبيه المخاطب على انّ هذه الحالة يوجب التحسر والتلهف وهى مادلّ عليها ﴿ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون (٣٠)﴾

فهو استيناف لبيان سبب التّحسر عليهم ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ كفّار مكّة المنكرون رسالتك والاستفهام للتقرير اى قد علموا تعلّق عن العمل فى ﴿كَمْ﴾ كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ لانّ كم وان كانت خبريّة لا يعمل فيها ما قبلها لانّ اصلها الاستفهام فهى هنا معمول لما بعدها وقوله ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١)﴾ بدل منها على المعنى ليكون معمول الم يروا لا على اللّفظ ليكون معمول اهلكنا اذ لا معنى لاهلاك عدم رجوعهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿كُلٌّ لَمَّا﴾ اى الاّ ﴿جَمِيعٌ﴾ خبر المبتدأ اى مجموعون ﴿لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)﴾ للحساب خبر ثان ﴿وَآيَةٌ﴾ دليل ﴿لَهُمُ﴾ على البعث مبتدأ لتخصّصه بالصفة وقوله ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ مبتدأ ثان خبره ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ والجملة خبر الاوّل ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ جنس الحب كالحنطة وغيرها ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ من انواع النّخل والعنب ولذا جمعهما دون الحبّ فانّ الدّال على الجنس مشعر بالأختلاف ولا كذلك الدّال على الأنواع ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ شيئا ﴿مِنَ﴾ للبيان ﴿الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ اى ثمر الجنات والتّذكير باعتبار المذكور وعطف عليه ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ من الثمر كالدّبس ونحوه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)﴾ نعمنا امر بالشكر من حيث انّه انكار لتركه ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ اى الأصناف ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من النّبات والشّجر ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ الذّكور والأناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾ من المخلوقات العجيبة والغريبة ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ﴾ على القدرة العظيمة ﴿اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ اى نزيله عن مكان اللّيل وملقى الظّلمة بحيث تكون تلك الظّلمة منكشفة ظاهرة كما كانت قبل وجود النّهار اذ الأصل الظّلمة وهو داخل عليها مستعار من سلخ الجلد استعارة تبعية واعرابها ما سبق ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧)﴾ داخلون فى الظّلام ﴿وَالشَّمْسُ﴾ مبتدأ خبره ﴿تَجْرِي﴾ او عطف على اللّيل وهذا حال ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)﴾ اى الى مكان تستقر فيه وينتهى اليه دورها فى اخر السّنة فشبّه بمستقرّ المسافر اذا قطع مسيره فى الأنتهاء وعدم التجاوز وان كان لاحدهما استقرار دون الاخر او لاستقرارها

على انّه مصدر ميمىّ واللاّم للعاقبة اى يترتّب على جريها استقرارها فى كلّ برج شهر ونهاية ارتفاعها فى الصّيف بحيث يأخذ النّهار من اللّيل ونهاية انخفاضها فى الشّتاء حتّى يأخذ اللّيل من النّهار ويترتّب عليه اختلاف الفصول الأربعة وتهيئة اسباب المعاش الأرضيّة ﴿وَالْقَمَرَ﴾ منصوب بما يفسّره ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾ اى سيره فى ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين الشُّرْطَيْن والبُطَيْن * الثُّريا * الدَّبران * القَلْعة * الهَنْعة * الذِّراع * النَّثْرة * الطَّرْف * الجَبْهة * الزُّبْرة * الصَّرْفة * العوّاء * السِّماك * الغَفر * الزُّبانَا * الأكْلِيل * القَلْب * الشَّوْلة * النَّعايم * البَلْدة * سَعْد الذّابح * سعد بلع * سَعْد السُّعود * سَعْدالأخبية * فَرْع الدَّلْو المقدم * فَرْع الدّلو المؤخّر * الرّشا * وهو بطن الحوت * ينْزل كل ليلة واحدا منها لا يخالف ويستتر ليلتين ان كان الشهر تاما وليلة ان كان ناقصا واذا كان فى آخر منازله دق واستقوس ﴿حَتَّى عَادَ﴾ صار ﴿كَالْعُرْجُونِ﴾ اى كاصل عنقود النّخل المعوج الّذى يذهب منه الشّماريخ وهو فعلون من الأنعراج وهو الأنعواج وقيل لا نظير له فى كلامهم فليكن فعلول ﴿الْقَدِيمِ (٣٩)﴾ العتيق عادة فانّه اذا عتق يدقّ ويتقوّس ويصغر ﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِى﴾ يصحّ ويسهل ﴿لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فى الأجتماع معه باللّيل او فى سرعة سيره فانّه يقطع فلكه فى شهر وهى فى سنة فهى ابطأ منه بقدر ما يخرج النبات ويحصل نضج الثّمار والحبوب واسرع من الرحل لئلاّ تحرق الاشياء بمكسها بجزائها ﴿وَلاَ الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ فلا ياتى قبل انقضائه ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف اليه اى كلّ الشّمس والقمر وما يفهم من ذكرهما اى والنّجوم ﴿فِى فَلَكٍ﴾ اى جسم مستدير ولا ينافيه نحو قوله: ﴿والسّقف المرفوع﴾[1] فانّه يدلّ على انّها سقف اطرافه على جبال ولا يدلّ على انّها ليست مستديدة كقبة كذا قال الأمام وان اتّفق المفسّرون على مبسوطيّتها ولكنّ القولين ينافيان قول الحكماء انّها كرويّة فى وسطها العناصر الأربعة ﴿يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾ يسيرون بانبساط كالسّابح ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ اولادهم الّذين

[1] - سورة الطور: ٥

يبعثونهم الى تجاراتهم ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (٤١)﴾ المملوّ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ مثل الفلك ﴿مَا يَرْكَبُونَ (٤٢)﴾ كالأبل فانها سفائن البرّ ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ﴾ مغيث ﴿لَهُمْ﴾ يحرسهم عن الغرق ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ (٤٣)﴾ ينجون من الموت به ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ كائنة ﴿مِّنَّا وَمَتَٰعًا﴾ تمتع بالحياة ﴿إِلَىٰ حِينٍ (٤٤)﴾ زمان قدّر لآجالهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من الوقائع التى حلّت قبلكم بالامم اى اتقوا ان ينزل بكم مثلها ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من العذاب المعدّ فى الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥)﴾ اى لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف اى اعرضوا دلّ عليه ماهو كالعلّة له اى قوله ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦)﴾ اى الأعراض صار عادة لهم فتركوا تعظيم جانب الله مع انّه احد الأمرين الّذين يرجع اليهما التكليف وذكر انّهم تركوا الأمر الآخر وهو الشّفقة على خلقه بقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ اى قال فقراء الصّحابة لهم ﴿أَنفِقُوا۟﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأموال اى ما تقولون انّه لله ونصيبه كما حكى عنهم بقوله: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا﴾[1] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ المسئول عنهم ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ تهكّما واستهزاء بهم من تعليقهم الأمور بالمشّية ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ فى زعمكم يعنى اذا لم يطعمه هو مع قدرته على ذلك كما تقولون فنحن احقّ بان لا نطعمه وقد يتمسّك بنحوه فيقولون لا نعطى من حرمه وذلك باطل فانّه اغنى بعضا وافقر بعضا ابتلاء لشفقة الأغنياء وصبر الفقراء لا حرمانا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ فى امرنا على خلاف معتقدكم ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٤٧)﴾ بين مع انّهم هم الضّالون حيث لم يفقهوا ان مافى ايدهم هو ماله ان يشأ يعطى منه وان يشأ يعطى من خزائنه ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالبعث المفهوم من اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٨)﴾ قال تعالى فى جوابهم ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهى النّفخة الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩)﴾ يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر

[1] - سورة الأنعام: ١٣٦

بيالهم امرها واصله يختصمون فسكّنت التّاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء السّاكنين ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ فى شئ من امورهم ولو بكلمة يسيرة ﴿وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)﴾ فيروا حالهم بل يموتون حيث تأخذهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ مرّه ثانية ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ بعد الدّفن ﴿مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ القبور جمع جدث فانّه تعالى يجمع اجزاء كل فى موضع قبره ليخرج منه وان زلزلت الصيحة الجبال وموضع قبورهم ﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥١)﴾ يسرعون ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ اى ياهلاكنا هذا زمانك ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ يظنون لحيرتهم وتفرق عقولهم انّهم كانوا نياما فاستيقظوا فيقولون ذلك فلا استعارة ولا ترشيح فى الكلام وقيل لا يعذّبون بين النّفختين فيسترحون كالنّائم فيتحسرون عند البعث على تلك الاستراحة او لهول القيامة يصير عليهم ماكانوا فيه من العذاب نوما ﴿هَذَا﴾ البعث مبتدأ خبره ﴿مَا﴾ الّذى ﴿وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ فيه ﴿وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿الْمُرْسَلُونَ (٥٢)﴾ اى يقرّون حينئذ لكن لا ينفعهم وقيل يقال لهم ذلك من جهة الملائكة او المؤمنين ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ الفعلة ﴿إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هى النفخة الأخيرة ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ﴾ مجموعون ﴿لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣)﴾ فى موقف الحساب بمجرّد تلك الصّيحة وحكى ما يقال لهم حينئذ بقوله ﴿فَالْيَوْمَ﴾ معمول ﴿لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ﴾ مؤمنة كانت او كافرة ﴿شَيْئًا﴾ من الظّلم ﴿وَلاَ تُجْزَوْنَ﴾ ياكفّار ﴿إِلاَّ﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾ يتلذّذون به من نحو افتضاض الأبكار لاشغل يتعبون فيه لانّ الجنّة لا تعب فيها خبر انّ وتنكيره للتعظيم و ﴿فَاكِهُونَ (٥٥)﴾ اى طيّبون العيش خبر ثان ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿فِي ظِلاَلٍ﴾ جمع ظلّة او ظلّ اى لا تصيبهم الشّمس ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾ السّرر المزيّنة متعلّق ﴿مُتَّكِؤُنَ (٥٦)﴾ وهو خبر محذوف والجملة استيناف او هو الخبر والظّرفان صلة له او الثّلثة اخبار ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ لا توصف لذّتها لا تشاركها فاكهة الدّنيا الاّ فى الاسم فالتنكير للتّعظيم ﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧)﴾ يتمنّون يفتعلون من الدّعاء بمعنى التّمنى لهم ﴿سَلاَمٌ﴾ يقال لهم ﴿قَوْلاً﴾ كائنا ﴿مِنْ﴾ جهة ﴿رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٨)﴾ اى يسلم عليهم بواسطة الملائكة

او بلا واسطة تعظيما لهم ويقال حين يسار بهم الى الجنة ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩)﴾ اى انفردوا عن المؤمنين ويقال لهم ايضا الزاما للحجّة ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ من الحجج العقلية والسّمعية ﴿يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ اى لا تطيعوه فيما زيّن لكم وعلّل هذا المنع بقوله ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي﴾ عطف على ان لا تعبدوا ﴿هٰذَا﴾ اى ماعهد اليكم او عبادتى ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ﴾ خلقا جمع جبيل ﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢)﴾ عداوته واضلاله مع ظهورهما ويقال لهم حين يدنون من النّار ﴿هٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣)﴾ بها فى الدّنيا ﴿صَلَوْهَا﴾ ذوقوا حرّها ﴿الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤)﴾ اى بكفركم فى الدّنيا ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ اى نمنعهم من الكلام حين ينكرون عبادة الشّيطان ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ وغيرها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥)﴾ فكلّ عضو ينطق بما صدر منه ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ فى الدّنيا اى مسحناها بحيث لا يبدو لها جفن وشقّ ﴿فَاسْتَبَقُوا﴾ اى ابتدروا وتسارعوا ﴿الصِّرَاطَ﴾ الطّريق الّذى اعتادوا سلوكه ﴿فَأَنَّى﴾ كيف ﴿يُبْصِرُونَ (٦٦)﴾ الطّريق وجهة السّلوك فضلا عن غيره ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ قردة وخنازير او حجارة ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ اى مكانهم بحيث يخمدون فيه ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا﴾ ذهابا ﴿وَلاَ يَرْجِعُونَ (٦٧)﴾ اى ولا رجوعا لكن اتى بالفعل بدله للفواصل يعنى انّهم لكفرهم وشؤم صنيعهم استحقّوا ان نفعل بهم شيئا من ذلك فى الدّنيا لكن لم نفعل لشمول الرّحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ نطوّل عمره ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ اى خلقه فيكون بعد قوّته وشبابه ضعيفا وهرما ﴿أَفَلاَ يَعْقِلُونَ (٦٨)﴾ انّ القادر على ذلك قادر على الطمس والمسخ فانّه مشتمل عليهما وزيادة غير انّه على تدرّج ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ اى النبى ﴿الشِّعْرَ﴾ ردّ لقولهم انّ ما اتى به من القرآن شعر ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ اى مايصحّ له الشعر ولا يقدر على اتيانه لو اراد كما هو امىّ لا يقدر على الخطّ ولا على قرائة ماكتب غيره حتى انّه كان لا يقدر على انشاد عشر غيره ايضا وامّا ماوقع منه على

صورة الشّعر من نحو قوله يوم حنين انا النّبي لا كذب انا ابن عبدالمطّلب فهو اتفاقى غير صادر عن قصد وزن حتى يكون شعرا وكذا يقال فيما وقع فى القرآن والاحاديث من الألفاظ الموزونة ﴿إِنْ هُوَ﴾ اى ليس الّذى اتى به ﴿إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩)﴾ مظهر للاحكام وغيرها انزل ﴿لِيُنذِرَ﴾ هو او الرسول به ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ حىّ القلب يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون ﴿وَيَحِقَّ﴾ يثبت ويجب ﴿الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)﴾ الموتى القلوب لا يعقلون مايخاطبون به فظهر مقابلتهم مع من كان حيّا ثم انّه تعالى اعاد الوحدانية والدّلائل الدّالة عليها فقال ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا والاستفهام للتقرير ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ فى جملة النّاس ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ اى تفردنا باحداثه من غير استعانة من غيرنا عبر عنه بعمل اليد استعارة تمثيليّة مبالغة فى الاختصاص والتّفرد فانّ معمول الشّخص بيده اخص به ممّا تملكه من غيره ﴿أَنْعَامًا﴾ هى الأبل والبقر والغنم مفعول خلقنا وماقبله حال منه اى انعاما كائنة من جملة ماعملت ايدينا ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١)﴾ ضابطون متمكّنون من التّصرف فيها ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ سخّرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)﴾ اى بتقدير ما ياكلون لحمه ليكون من افراد الأنعام فيقابل الرّكوب ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كاصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من لبنها جمع مشرب بمعنى شرب او موضعه ﴿أَفَلاَ يَشْكُرُونَ (٧٣)﴾ من انعم بها عليهم فيؤمنوا اى ما فعلوا ذلك ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ اصناما ﴿آلِهَةً﴾ يعبدونها بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤)﴾ اى رجاء ان ينصروهم فى مهمّاتهم والامر بالعكس لانّه ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ﴾ اى لآلهتهم ﴿جُندٌ مُحْضَرُونَ (٧٥)﴾ معدّون لحفظهم والدفع عنهم على عكس ما كانوا يرجون اى محضرون معهم فى النّار كقوله: ﴿انتم وما تعبدون﴾[1] الآية ﴿فَلاَ يَحْزُنكَ﴾ اى لا يهمنّك ﴿قَوْلُهُمْ﴾ فى الله بالشرك او فيك بالتكذيب ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)﴾ فنجازيهم عليه تعليل للنّهى

[1] – سورة الأنبياء: ٩٨

وتسلية له عليه السّلام ثم سلاّه ثانيا بما يهون هذا القول بالنّسبة اليه من انكارهم الحشر فقال ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ وهو ابيّ بن خلف او العاص بن وابل لكن تصلح ردّا لكلّ من ينكر البعث ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧)﴾ اى شديد الخصومة وبيّنها لنا فى انكار البعث ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ امرا عجيبا وهو نفى قدرتنا على احياء الموتى قياسا على الخلق ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ خلقنا ايّاه من اخسّ شئ واحقره فجعله فى احسن تقويم وهو اغرب ممّا ينكره ﴿قَالَ﴾ للنّبى عليه السّلام آتيا بعظم رميم يفتّته بيده ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)﴾ اى بالية فعيل بمعنى فاعل لم يأت بالتاء لانّه صار اسما بالغلبة ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ (٧٩)﴾ اجمالا وتفصيلا قبل الخلق وبعده فيعلم الأجزاء المفتّة وكيفية اعادتها الى ما كانت عليه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ كالمرخ والعفار ﴿نَارًا﴾ يؤخذ منهما غصنان وهما يقطران ماء فيحك بعضها ببعض فتخرج منهما النّار ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠)﴾ لا تشكون فى انّها نار تخرج منه كما يفهم من تقديم منه ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمتهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ اى الأناسى فى الصغر ﴿بَلَىٰ﴾ هو قادر على ذلك اجاب نفسه اشعارا بانّه لا جواب سواه ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)﴾ اى كثير المخلوقات والمعلومات ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ شانه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ اى خلقه ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن﴾ اى تكوّن ﴿فَيَكُونُ (٨٢)﴾ اى فهو يكون ويحدث استعارة تمثيلية لسرعة نفاد قدرته فى تكوين الاشياء وليس المراد حقيقة الأمر حتى يعترض بانّ المعدوم لا يصلح للامر وامر الموجود تحصيل للحاصل وغير ذلك فيحتاج الى الجواب بانّ الممكنات باسرها حاضرة فى علم الله قبل وجودها وغير ذلك. ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾ اى ملك زيدت التاء للمبالغة ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ اى تنزيها له عمّا ضربوا له ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ وعد للمقرين ووعيد للمنكرين.

* * *

سورة الصافات

مكية وآيها مائة واثنتان واثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١)﴾ اى اقسم بالملائكة الصّافين فى مقام العبودية صفا على حسب مراتبهم منتظرين لما يأمرهم الله ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢)﴾ الملائكة الّذى تزجر السّحاب وغيرها من الاجرام العلويّة والسفلية بالتدبير المأمور فيها ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ لآياته تعالى وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه والعطف لاختلاف الذّات او الصّفات والفاء لترتب الوجود ﴿ذِكْرًا (٣)﴾ مصدر من معنى التّاليات وجواب القسم ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥)﴾ اى مشارق الشمس وهى ثلثمأية وستة وستون كرة تخرج كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها وحيث ذكر المشرقين والمغربين فالمراد مشرقا الشتاء والصّيف ومغربهما او المشرق والمغرب فالمراد الجانبان فلا منافات ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ القربى منكم ﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦)﴾ بدل من زينة وكون ما عدا القمر مركوزا فى غير السماء الدّنيا على ما قالت الحكماء لا ينافى تزيينها بها اذ كلّها ترى منها ﴿وَ﴾ حفظناها ﴿حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧)﴾ خارج من الطّاعة برمى الشّهب ﴿لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى﴾ الملائكة فى السّماء ولتضمّن التّسمع معنى الاصغاء تعدّى بالى والجملة استيناف لبيان حالهم بعد ما حفظ السّماء عنهم ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ يرمون بالشّهب اى بنار خارجة من النجوم لا بعينها كما يترأى ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨)﴾ من جوانب السّماء قصدوا صعوده ﴿دُحُورًا﴾ مفعول له اى للدّحور وهو الطّرد ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ آخر ﴿وَاصِبٌ (٩)﴾ دائم فى الآخرة ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ استثناء من واو يسمّعون فالمختار فيه البدل والمعنى لا

يسمع الاّ الشيطان الّذى سمع الكلام من الملائكة فسلبها بسرعة فالخطفة مصدر للمرّة بمعنى المفول اى الكلام المسلوب ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ اى ما يرى كانّ كوكبا انقضّ اى نار تخرج منه كما مرّ[1] ﴿ثَاقِبٌ (١٠)﴾ مضيء كانّه يثقب الجوّ بضوئه فيتحرق به او يتأذى قيل فيرجع خائبا فلا يصل احد منهم الى مراده البتّة ولكن انّما يصعدون كلّ مرّة ولا يرتدعون عنه مع اشتهارهم بالحيل الدقيقة لانّ منهم من لا يصيبه لعدم بلوغه الى موضع الاستماع فيرجع سالما فيذهبون طمعا فى الاستماع مع السّلامة وقيل يصعد المارد منهم ويكون الآخر اسفل منه فاذا سمع قاله للاسفل فيهرب ويرمى هو بالشهاب فياتى الاسفل بالأمر الّذى سمع ويلقيه الى الكهنة فذلك قوله الاّ من استرق آه وهو المختار للموافق لما صرح به فى الأحاديث ثمّ وحدوث هذا او كثرة وقوعه من وقت ولادة النّبى عليه السّلام كما فى الأحاديث ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ اى استخبر كفار مكة تقريرا او توبيخا ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ من المذكورات الى هنا ومن لتغليب العقلاء ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ باعتبار اصلهم آدم ﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١)﴾ لازم يلصق باليد فلم يتكبرون بانكارك وانكار ما جئت به من القرآن الدّال على سهولة اهلاكهم واعادتهم ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ انت من قدرة الله وانكارهم البعث ﴿وَيَسْخَرُونَ (١٢)﴾ من تعجّبك وتقريرك للبعث ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظّوا بشئ ﴿لَا يَذْكُرُونَ (١٣)﴾ لا يتّعظون ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ معجزة دالة على صدقك كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ (١٤)﴾ السّين للمبالغة اى يبالغون فى السّخرية ﴿وَقَالُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ المرأى ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥)﴾ بيّن وقالوا ايضا منكرين للبعث ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦)﴾ اصله انبعث اذا متنا فبدّلوا الفعليّة بالاسميّة وقدموا الظّرف وكرّروا الهمزة مبالغة فى الانكار ﴿أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧)﴾ عطف على محلّ انّ واسمها والخبر محذوف لدلالة ما قبله عليه او على الضّمير فى مبعوثون والفاصل همزة الاستفهام لكن يتّجه انّ ما قبل الهمزة لا يعمل فيما بعده ﴿قُلْ نَعَمْ﴾

---

[1] - فى سورة الحجر: ١٨

تبعثون اكتفى به فى الجواب من غير تأكيد بقسم مع ان مبالغتهم فى الاستبعاد تقتضى ذلك لانّه فقط دليل قطعى على الوقوع حيث سبق البرهان القطعى الدال على امكانه وهو فاستفتهم آه وقيام المعجزات القاهرة الدالة على صدق من اخبر عن وقوعه ﴿وَ﴾ حال ﴿أَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨)﴾ صاغرون واذا وقع البعث ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ البعثة ﴿زَجْرَةٌ﴾ صيحة ﴿وَاحِدَةٌ﴾ هى النّفخة الثانية اى سببها لكن جعلها نفسها للمبالغة ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ احياء ﴿يَنْظُرُونَ (١٩)﴾ ما يفعل بهم ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠)﴾ اى الجزاء نجازى فيه باعمالنا وتقول لهم الملائكة ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ القضاء والفرق بين المحسن والمسىء ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١)﴾ ويقول تعالى للملائكة ﴿احْشُرُوا﴾ يا ملائكتى ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ انفسهم بالشرك اى اجمعوهم وسوقوهم الى الجحيم ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ نسائهم الّتى على دينهم او قرنائهم من الشياطين ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام وغيرها زيادة فى تحسيرهم ما عدا الّذين سبقت لهم منّا الحسنى كما فى آخر سورة الانبياء.[1] ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)﴾ اى دلوهم الى طريق النّار ليسلكوها تفصيل لأحشروا معطوف عليه بالفاء المفيدة للترتيب فى الذكر لا فى الزمان فقوله ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ احبسوهم فى موقف السؤال عند الصّراط واقع فى موقعه فلا حاجة الى ان يجاب بان الواو لا يفيد الترتيب كما فى ما اذا كان الحشر عبارة عن احضارهم فى الموقف فانّ وقف يتعدّى ولا يتعدّى ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤)﴾ عن عقائدهم واعمالهم ويقال لهم توبيخا ﴿مَا﴾ مبتدأ خبره ﴿لَكُمْ﴾ ويجعل حالا من المجرور فى لكم ﴿لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥)﴾ لا ينصر بعضكم بعضا كما فى الدّنيا ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)﴾ منقادون لعجزهم ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ اى الاتباع والمتبوعون ﴿يَتَسَاءَلُونَ (٢٧)﴾ يتلاومون ويتخاصمون ﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨)﴾ اى عن الحلف بانّكم على الحقّ فنصدّقكم فاضللتمونا ﴿قَالُوا﴾ اى المتبوعون لهم ﴿بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩)﴾ يعنى ما

---

[1] - آية: ١٠١

اضللناكم بل كنتم ضالين فى انفسكم ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ تسلّط حتى نجبركم على الكفر ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠)﴾ مختارين للطّغيان مثلنا ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعا بحيث لا خلاص لنا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ اى وعيده ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١)﴾ مقول قوله الاّ انهم عدلوا عن انّكم لذائقون الى التكلّم بذلك عن انفسهم وفرعوا عليه ما نشأ عنه فى الحقيقة بقولهم ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢)﴾ اى غاية ما فعلنا بكم ان دعوناكم الى الغىّ بسبب كوننا على الغى ولكن ليست غوايتكم فى الحقيقة من اغوائنا اياكم بل مما قضى الله والاّ لاقتضى ان يكون لنا ايضا مغو فيتسلسل ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣)﴾ كما كانوا مشتركين فى الغواية ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ فعلا مثل ذلك الفعل ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤)﴾ اى المشركين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾ عن هذه الكلمة ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦)﴾ اى لاجل قول محمّد عليه السّلام قال تعالى ردا عليهم ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ الدال عليه البرهان ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧)﴾ الجائين به ايضا ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ (٣٨)﴾ بالاشراك وتكذيب الرّسول ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)﴾ لا ازيد ولا انقص ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾ الموحّدين ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ﴾ فى الجنّة ﴿رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١)﴾ دوامه ولذّته ولذا فسّره بقوله ﴿فَوَاكِهُ﴾ فانّ الفاكهة ما يقصد للتّلذذ دون التّغذى فرزقهم كله للتّلذذخاصة ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢)﴾ فى نيله يأتيهم بلا تعب وسؤال ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣)﴾ ظرف مكرمون او حال من مستكنّه ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ متعلّق بقوله ﴿مُتَقَابِلِينَ (٤٤)﴾ بحيث لا يرى بعضهم فوق بعض وهو حال من ضمير مكرمون وكذا ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ على كلّ منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾ هوالأناء بخمره ﴿مِنْ مَعِينٍ (٤٥)﴾ اى من خمر فعيل من معن الماء اذا جرى سمّيت به خمر الجنّة لانّها تجرى على وجه الأرض كانهار الماء صفة كأس وكذا ﴿بَيْضَاءَ﴾ اشدّ بياضا من اللّبن و﴿لَذَّةٍ﴾ لذيذة ﴿لِلشَّارِبِينَ (٤٦)﴾ بخلاف خمر الدّنيا فانّها كريهة عند الشرب ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما يغتال

عقولهم كما فى خمر الدّنيا مبتدأ وخبر لبطلان عمل لا بتقدّم الخبر صفة كأس ايضا ﴿وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧)﴾ بفتح العين اى يسكرون من نزف الشارب اذا ذهب عقله عطفه على ما يعمّه لانّه من عظم فساده كانّه جنس برأسه ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ قصّرن ابصارهن على ازواجهنّ لا ينظرن الى غيرهم لحسنهم عندهن ﴿عِينٌ (٤٨)﴾ جمع عيناء اى واسع العين ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ فى اللّون ﴿بِيضٌ﴾ جمع بيضة والمراد هنا بيض النّعام ﴿مَكْنُونٌ (٤٩)﴾ مستور بريشه لا يصل اليه غبار ولونه وهو البياض فى صفرة احسن الألوان فلذا شبّههن به وتذكير مكنون مع انّه صفة الجمع نظرا الى اللّفظ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَائَلُونَ (٥٠)﴾ عطف على يطاف اى يشربون فيتحادثون الشراب بما مرّ بهم فى الدّنيا والتّعبير عنه بالماضى للتاكيد فيه فانه آكد تلك اللّذات فى العقل ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ فى مكالمتهم ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١)﴾ جليس منكر للبعث قيل هما الّذان قصّ الله خبرهما فى سورة الكهف بقوله: ﴿واضرب لهم مثلا رجلين﴾[1] آه ﴿يَقُولُ﴾ لى تبكيتا وتوبيخا ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢)﴾ فى الدّنيا بالبعث ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣)﴾ اى مجزيون ومحاسبون ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لأخوانه فى الجنّة ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤)﴾ معى الى اهل النّار لاريكم ذلك القرين ﴿فَاطَّلَعَ﴾ خرج ذلك القائل مع من قال لهم او بدونهم وقيل انّ فى الجبة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النّار ﴿فَرَآهُ﴾ اى قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥)﴾ اى وسطه ﴿قَالَ﴾ له تشميتا ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ مخفّفة بقرينة اللاّم اى انه ﴿كِدْتَ﴾ قاربت ﴿لَتُرْدِينِ (٥٦)﴾ تهلكنى باغوائك ﴿وَلَوْلاَ نِعْمَتُ رَبِّي﴾ علىّ بالهداية والعصمة ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧)﴾ معك فيها وقال له ايضا تقريعا له على انكاره البعث ﴿أَ﴾ نحن مخلّدون ﴿فَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى﴾ الّتى فى الدّنيا ومنها ما فى القبر بعد الأحياء للسؤال مستثنى مفرغ منصوب على المصدر بميّتين ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩)﴾ مثلكم ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الّذى نحن عليه ﴿لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ

---

[1] - سورة الكهف: ٧٦

الْعَامِلُونَ (٦١)﴾ لا للحظوظ الدّنيوية المشوبة بالآلام السريعة الزّوال قال تعالى ﴿أَذَلِكَ﴾ المذكور المعدّ للمخلصين فالقصة اعتراض ﴿خَيْرٌ نُزُلًا﴾ وهو ما يعدّ للنّازل نصب على التميز او الحال ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢)﴾ المعدّة لأهل النّار وهى شجرة صغيرة الورق مرة تكون بتهامة سميت بها الشّجرة الموصوفة ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣)﴾ عذابا لهم فى الآخرة يكرهون على اكلها فيشق عليهم ذلك وابتلاء فى الدّنيا ففتنوا بها فى دينهم بان طعنوا فى القرآن بانّ النّار تحرق الشّجر فكيف تنبت فيها ولم يعلموا انّ من خلق النّار وخلقا تعيش فيها بلذّة كالرّبانية فهو قادر على حفظ الشّجرة ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤)﴾ اى تنبت فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها ﴿طَلْعُهَا﴾ حملها مستعار من طلع النّخل لمشاركة له فى الشّكل او فى الطّلوع من الشّجر ﴿كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥)﴾ فى تناهى القبح والهول تشبيه بالمتخيّل فانّ رؤسهم وان كانت موجودة لكن بالنّسبة الينا مخيّلة لا نعرف حقيقتها ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ من الشّجرة ﴿فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦)﴾ للجوع او الجبر على اكلها كما مرّ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش ﴿لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧)﴾ مصدر بمعنى المفعول اى صديدا مشوبا بماء حميم يقطع امعائهم فى مقابلة شراب اهل الجنّة بالزنجبيل والكافور والمسك ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨)﴾ يفيد انّهم يخرجون منها لشرب الحميم فانّه خارجها ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا﴾ وجدوا ﴿آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)﴾ تزعجون الى اتباعهم فيسرعون اليه من غير نظر وبحث علّل استحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الضّلال ثم سلّى رسوله عليه السّلام بقوله ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ اى قبل قومك ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١)﴾ اى الأمم الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾ رسلا ﴿مُنْذِرِينَ (٧٢)﴾ مخوّفين لهم من العواقب ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣)﴾ من الشّدة والفضاعة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)﴾ اى الّذين اخلصهم الله لدينه فانهم نجوا من ذلك وشرع فى تفصيل القصص بعد هذا الاجمال بقوله ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا﴾ دعانا ﴿نُوحٌ﴾ حين ايس من قومه

بقوله ربّ انّى مغلوب فانتصر فاجبناه ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥)﴾ اى فوالله لنعم المجيبون نحن ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)﴾ اى الغرق او اذى قومه ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧)﴾ الى يوم القيامة اذ مات كل من كان معه فى السّفينة بعد الخروج وبقى بنوه الثلثة سام وحام ويافث وازواجهم فتناسلوا فالعرب وفارس والرّوم من سام والسودان من حام والترك والخزرج ويأجوج ومأجوج من يافث ﴿وَتَرَكْنَا﴾ ابقينا ﴿عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ (٧٨)﴾ من الأمم ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ مبتدأ وخبر جىء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما فهو فى محلّ النصب مفعول تركنا ﴿فِى الْعَالَمِينَ (٧٩)﴾ بدل من قوله فى الآخرين ليشمل الملائكة والثقلين جميعا فانه اشمل ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ (٨٠)﴾ تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانّه مجازاة على احسانه وعلّل احسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره فقال ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٨٢)﴾ كفار قومه ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ اى ممّن تابعه فى الأيمان واصول الشريعة والفروع ايضا كلها او اكثرها ﴿لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣)﴾ وكان بينهما الفان وستمأية واربعون سنة وبعث بينهما هود او ثمود وصالح اذكر ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤)﴾ من الشك وغيره ﴿إِذْ﴾ بدل ظرف جاء او سليم ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ موبخا لهم على طريقتهم ﴿مَاذَا﴾ ما الّذى ﴿تَعْبُدُونَ (٨٥) أَإِفْكًا﴾ باطلا وكذبا ﴿آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ (٨٦)﴾ قدم المفعول به وهو آلهة للأهتمام والمفعول له ايضا اى افكا لانّه اهم ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧)﴾ من قبيل ذكر الملزوم وارادة اللاّزم اى فما ظنّكم اى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربّ العالمين حتى تركتم عبادته اى اظنيتم به وصفا صار سببا لاعراضكم عنه اولامنكم من عقابه ﴿فَنَظَرَ﴾ لمّا سئلوه ان يخرج معهم الى عيدهم وكانوا منجّمين ﴿نَظْرَةً فِى النُّجُومِ (٨٨)﴾ ايهاما لهم انّه يعتمد عليها ليتركوه ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ (٨٩)﴾ عليل باعتبار ما يؤل اليه اى ساسقم عن قريب فلا كذب ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ الى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ (٩٠)﴾ اى هاربين مخافة العدوى اذ كان اكثر اسقامهم الطّاعون فخافوا ذلك ﴿فَرَاغَ﴾ اى ذهب فى خفية واصله الميل بحيلة ﴿إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ﴾

لها استهزاء ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١)﴾ اى الطّعام الّذى وضعوه عندها ليتبرك الى ان يرجعوا فياكلوه فلم ينطقوا فقال ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢)﴾ فى جوابى ﴿فَرَاغَ﴾ مال بخفية ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عدّى هنا بعلى للاستعلاء الحقيقىّ لانّه كان مع الضرب المستولى عليهم من فوقهم الى اسفلهم يضربهم ﴿ضَرْبًا﴾ ملابسا ﴿بِالْيَمِينِ (٩٣)﴾ قيّده به للدّلالة على قوّته فان قوّة الآلة تستدعى قوّة الفعل ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾ اى الى ابراهيم بعد ما رجعوا وسئلوا وعلموا انّه كاسرها كما مرّ فى سورة الأنبياء.[1] ﴿يَزِفُّونَ (٩٤)﴾ يسرعون فقالوا نحن نعبدها وانت تكسرها ﴿قَالَ﴾ لهم موبخا ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥)﴾ من الحجارة وغيرها اصناما ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾ اى ما تعملونه على انّ ما موصوله فانّه وان كان لقدرتهم دخل فى شكله لكن جوهره والقدرة عليه والاسباب كلّها بخلقه تعالى او عملكم على انّها مصدريّة لكن بمعنى معمولكم ليوافق الاوّل فيكون ردا عليهم بانّ العابد والمعبود كلاهما بخلقه فكيف يعبد المخلوق المخلوق وليتعلّق به الخلق فانّه لايتعلّق بنفس الحدث لانّه امر نسبىّ لا وجود له فى الخارج كما فى الكتب الكلاميّة وان رجّح كونه بمعنى الحدث لاستغنائه عن حذف عائد ومجاز ﴿قَالُوا﴾ لمّا الزمهم فلم يقدر على الجواب ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ فاملأوه حطبا واشعلوه بالنّار فاذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧)﴾ اللاّم عوض عن المضاف اليه اى جحيم ذلك البنيان ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بالقائه فى النّار لئلاّ يتبيّن عجزهم فيفتضحوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨)﴾ الأذلين لبطلان كيدهم وخروجه سالما فتبيّن به علوّ شأنه ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ اى الى حيث اتجرّد فيه لعبادته او الى حيث امرنى به وهوالشّام ﴿سَيَهْدِينِ (٩٩)﴾ الى ما فيه اصلاحى او الى مقصودى الّذى امرنى به ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولدا ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾ يتبعنى فى الدّعوة ويونّسنى فى الغربة ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾ ذى الحلم كثير ﴿فَلَمَّا﴾ وجد و ﴿بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ اى ان يسعى معه فى اعماله ومصالحه ويعينه وانّما جاز تقديم معمول المصدر عليه لكونه ظرفا

---

[1] - آية: ٥٩

وقيل متعلّق بمحذوف دلّ عليه المذكور وليست متعلّقا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كان بلغ ثلاثة عشرة سنة او اقلّ ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ قيل رأى فى ليلة التّوربة انّ قائلا يقول له انّ الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روّى وشكّ انّه من الله او من الشّيطان فلماّ امسى رأى مثل ذلك فعرف انّه من الله ورأىمثله فى اللّيلة الثّالثة فهمّ بنحره وقال له ذلك ولذلك سمّيت الأيّام الثلاثة بالتّوربة وعرفة والنّحر والاصّح انّه كان اسمعيل والقصة بمكّة لانّه الّذى وهب له اثر الهجرة ولانّ البشارة باسحاق ستجىء معطوفة على هذه البشارة ولقوله عليه السّلام انا ابن الذّبيحين يعنى اسمعيل لانّه كان من نسله وعبد الله فانّ عبد المطلب نذر ذبح واحد من بنيه العشر ان وفّق لحفر بئر زمزم فلماّ فرغ واقرع بينهم خرجت لعبد الله ففداه بمائة من الإبل فسمّى ذبيحا روى ان الشيطان عرض له فى الطريق عند كلّ من الجمرات الثلاثة ينهاه عن الذبح فرماه كلّ مرّة بسبع حصياة فلذا وجب علينا الرّمى ﴿فَانظُرْ﴾ تدبّر ﴿مَاذَا تَرَى﴾ من الرّأى لا رأية العين ولا القلب لانها تقتضى الجزم وهو لم يطلب منه ذلك وانّما شاوره مع وجوبه عنده لينصحه ان جزع وليانس به وينال الثّواب بالأنقياد له قبل وقوعه ﴿قَالَ يَا أَبَتِ﴾ التّاء عوض عن ياء الأضافة ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به اتى بالمضارع لتكرر الرأيا كما فى انى ارى ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)﴾ على ذلك ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ اى خضعا وانقادا لأمر الله ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣)﴾ صرعه اى القاه على جبينه ولكلّ انسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمنى وامر السكين على حلقه مرارا فلم تعمل شيئا بمانع من القدرة الالهيّة وقيل كانت تنقلب كلّ مرّة فتوهّم انّها لا تقطع فضربها على الصخرة فجعلتها نصفين ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ بما اتيت به ممّا امكنك من امر الذّبح اى يكفيك ذلك وجواب لماّ هذه بزيادة الواو او محذوف اى كان ما كان بينهما وبين الله مما لا يحيط به المقال وعلّل فراغ تلك الشّدة عنهما بقوله ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جازيناك ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥)﴾ لانفسهم بامتثال الامر فنفرّج الشّدة عنهم ﴿إِنَّ

هَذَا﴾ الذّبح المأمور به ﴿لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦)﴾ اى الأختبار البيّن الّذى يتميّز به المخلص من غيره ﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ اى اسماعيل ﴿بِذِبْحٍ﴾ اسم لما يذبح اى كبش ﴿عَظِيمٍ (١٠٧)﴾ من الجنّة وهو الّذى قرّبه هابيل فتقبّل منه فكان مخزونا فيها فاتى به جبرئيل فذبحه ابراهيم مكبرا وانقذ ابنه فهو الفادى فى الحقيقة لكنّه تعالى اسنده الى نفسه مجازا فى الاسناد لانّه الآمر به او فى الأفراد على انّه بمعنى اعطيناه ذبحا بدله وانّما احتاج الى فداء مع سقوط الأمر عنه بمافعل تتميما للفعل ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩)﴾ سبق بيانه فى قصة نوح ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ترك انّا اكتفاء بما قبله ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا﴾ حال مقدّرة وكذا ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢)﴾ مدحه بالصّلاح صراحة ولم يكتف بما تدلّ عليه النبوة تعظيما لشأنه ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ على ابراهيم بتكثير ذريته ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ بجعل اكثر الأنبياء من نسله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ اى كافر ﴿مُبِينٌ (١١٣)﴾ اى بيّن الكفر فيه اشارة الى انّ ظلم النّسل لا يعود على الآباء ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ انعمنا ﴿عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤)﴾ بالنبوة وغيرها ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥)﴾ اى استبعاد فرعون ايّاهم او الغرق ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ الضمير لهما و القوم ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦)﴾ على فرعون وقومه ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧)﴾ البليغ البيان وهو التّورية ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨)﴾ الطّريق الموصل الى الصّواب ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢)﴾ سبق مثله ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣)﴾ هو ابن ياسين سبط هارون اخ موسى بعث بعده ارسل الى بعلبكّ من الشّام اذكر ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤)﴾ عذاب الله ﴿أَتَدْعُونَ﴾ اى تعبدون ﴿بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب سمّى به البلد مركبا مع بكّ وهو اسم صاحبها ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥)﴾ فلا تعبدونه ﴿اللَّهَ﴾ بدل من احسن ﴿رَبَّكُمْ وَرَبَّ

آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧)﴾ اى فى العذاب ﴿إِلاَّ عباد الله الْمُخْلَصِينَ (١٢٧)﴾ مستثنى متصل من واو فكذبوه لا من ضمير محضرون لانّه يقتضى انّهم ايضا كذّبوه لكن يحضروا لكونهم مخلصين وذلك فاسد ولا وجه لجعله منقطعا مع امكان المتّصل ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الآخِرِينَ (١٢٩) سَلاَمٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ (١٣٠)﴾ لغة فى الياس ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢) وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلاَّ عَجُوزًا فِى الْغَابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٣٦)﴾ سبق بيانه[1] ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ يا اهل مكّة ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ﴾ على منازلهم فى اسفاركم الى الشّام ﴿مُصْبِحِينَ (١٣٧)﴾ حال من فاعل تمرّون من اصبح التّامة اى داخلين فى وقت الصّباح ﴿وَ﴾ ملتبسين ﴿بِاللَّيْلِ﴾ عطف عليه وتخصيصهما لان المسافر فى تلك الدّيار يمشى غالبا فى طرفى النّهار فيقع مروره على الاشياء فيهما ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾ ما حلّ بهم فتعتبرون ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩)﴾ اذكر ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ هرب من قومه بلا اذن ربّه لما لم ينزل بهم العذاب الّذى اوعدهم به ولذا اطلق عليه الأباق الّذى هو هرب المملوك من السيد ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠)﴾ اى السّفينة المملوّة فركبها فوقفت فقال الملاّحون هنا عبد آبق من سيّده فظهره بالقرعة ﴿فَسَاهَمَ﴾ اى فقارعهم ﴿فَكَانَ﴾ صار ﴿مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١)﴾ اى المغلوبين بالقرعة فرمى فى الماء ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ ابتلعه من اللّقمة ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)﴾ اى آت بما يلام عليه من الهرب وركوب السّفينة بلا اذن ربّه ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣)﴾ الذاكرين كثيرا مدّة عمره او فى بطن الحوت بقوله لا آله الاّ انت سبحانك انّى كنت من الظّالمين ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤)﴾ حيّا اوميّتا وفيه تعظيم لشأن الذكر وحثّ عليه ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ بان حملنا الحوت على لفظه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ المكان الخالى عما يغطّيه ومرّ قدر لبثه فى سورة الأنبياء[2]

---

[1] – فى سورة الشعراء: ١٧٢

[2] – آية: ٨٧

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥)﴾ ممّا ناله اذصار بدنه كبدن الطّفل حين يولد ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦)﴾ وهو القرع تظلّله وهو من قطن بالمكان اذا اقام به سمّيت به لانّها تنبسط على وجه الأرض ولا تقوم على ساق لكن جعل لها ساق حينئذ معجزة له ولذا سمّيت شجرة وكانت تأتيه وعلة صباحا ومساء يشرب من لبنها حتّى قوى ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ ثانيا ﴿إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ﴾ اى قومه الّذين هرب عنهم وهم اهل نينوىٰ من ارض موصل ﴿أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧)﴾ فى مرأى النّظر فكلمة او للتّشكيك على المخاطبين وابهام الأمر عليهم لا للشك من المتكلّم لاستحالته عليه ﴿فَآمَنُوا﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ اى ابقيناهم متمتّعين باموالهم ﴿إِلَىٰ حِينٍ (١٤٨)﴾ اى الى اجلهم المسمّى ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ عطف على فاستفتهم اهم اشدّ فهو استخبار عن وجه انكارهم البعث وما بعده كلّه تقرير له وهذا استخبار عن وجه هذه القسمة الخبيثة وجعلهم الملائكة اناثا من غير ان يشاهدوا خلقهم ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾ بزعمهم انّ للملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩)﴾ فيختصّون بالاشرف ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠)﴾ خلقنا فيعلموا ذلك يعنى انّهم لم يشاهدوا خلقهم والانوثة ليست من لوازم حقيقتهم فلا تمكن بالعقل الصرف فمن اين يعرفوا ذلك ولشناعة هذا على الله جعله عديلا لتقسيمهم ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ﴾ الملائكة بناتا ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢)﴾ فيما يتديّنون لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه ﴿أَصْطَفَى﴾ اى اختار ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣)﴾ استغنى بهمزة الاستفهام الأنكارى عن همزة الوصل ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤)﴾ هذا الحكم الفاسد ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥)﴾ انّه منزّه عن الولد ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٦)﴾ حجة واضحة نزلت عليكم من السّماء بانّ الملائكة بناته ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ الّذى انزل عليكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧)﴾ فى دعواكم ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ اى الملائكة لاختفائهم عن الابصار ﴿نَسَبًا﴾ بقولهم انّها بناته ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ اى القائلون بذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ (١٥٨)﴾ فى العذاب ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩)﴾ من الولد او النّسب

﴿إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠)﴾ استثناء منقطع من المحضرين ومابينهما اعتراض او من واو يصفون ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١)﴾ عود الى خطابهم وخبر انّ ﴿مَا﴾ نافية ﴿أَنْتُمْ﴾ غلبهم على آلهتهم فاتى بضمير المخاطب ﴿عَلَيْهِ﴾ على الله متعلّق بقوله ﴿بِفَاتِنِينَ (١٦٢)﴾ احدا بالاغواء ﴿إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣)﴾ داخلها ومحترق بها فى علم الله اصله صالى من صلى يصلى صليا اى احترق فاعلّ اعلال قاض ثم سقط التّنوين فى الاضافة ﴿وَ﴾ قالت الملائكة ﴿مَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٤)﴾ فى العبادة فهو حكاية اعترافهم بالعبودية ردّا على عبدتهم ويجوز ان يكون سبحان الله الى هنا ايضا من كلامهم فيكون قصة واحدة من ولقد علمت الجنّة الى المسبّحون ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥)﴾ اقدامنا فى الطّاعة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)﴾ المنزّهون لله عما لا يليق به فالاوّل اشارة الى درجتهم فى الطّاعة وهذا فى المعارف ﴿وَإِنْ﴾ اى انه ﴿كَانُوا﴾ كفّار مكّة ﴿لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ كتابا ﴿مِنَ الأَوَّلِينَ (١٦٨)﴾ اى من الكتب الّتى نزلت على الامم الماضية ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٩)﴾ للعبادة ولم نخالف مثلهم ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ اى بالذكر الّذى هو اشرف الأذكار يعنى القرآن لمّا جائهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠)﴾ عاقبة كفرهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١)﴾ وهى قوله ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا﴾ اى المؤمنين ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾ والحصر باعتبار الغالب فانّ انهزامهم قد وقع قليلا نادرا لعوارض من نحو مخالفة الوالى او طمع الدّنيا او العجب فلا اعتبار به ﴿فَتَوَلَّ﴾ اعرض ﴿عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤)﴾ تؤفيه بقتالهم ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ على ما ينالهم حينئذ والامر للدّلالة على انّه كائن قريب كانّه قدامه ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥)﴾ ماقضينا لك من النّصر فى الدّنيا والثّواب فى الآخرة وسوف للوعيد فالمناسب ان لا تحمل على التّبعيد وان جاز لئلا يزهل عنه فقالوا استهزاء متى هذا فنزل تهديدا له ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ﴾ العذاب ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم قال الفراء يكتفى العرب بذكر السّاحة عن القوم فتجوّز فى السّاحة لكن الأبلغ ان يجوز فى

العذاب بان يقال شبّه بجيش هجم بغتة بفنائهم ﴿فَسَاءَ﴾ بئس ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ (١٧٧)﴾ اللأم للجنس لا للعهد ليحصل بالمخصوص بالذم وهو صباحهم التفسير بعد الأبهام ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩)﴾ تكرّر تاكيدا لتهديدهم وتسلية له عليه السّلام ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة اضافه اليها لعدم وجودها فى غيره ﴿عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)﴾ بما ذكر فى هذه السّورة ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١)﴾ عمّمهم بالتّسليم بعد تخصيص بعضهم ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)﴾ على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلّمون على رسله.

* * *

سورة ص

مكيّة وآيها ستّ أو ثمان وثمانون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿صٓ﴾ متشابه ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)﴾ اى البيان والشّرف وجواب القسم محذوف اى انّ محمّد صادق فى جميع ما اتى به ما فيه خلل يقتضى الكفر به ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ به ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ اى حميّة وتكبّر عن الحقّ ﴿وَشِقَاقٍ (٢)﴾ خلاف الله ورسوله فلذاكفروا به وعدهم على هذا الكفر بقوله ﴿كَمْ﴾ اى كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ وعيد لهم على كفر ﴿فَنَادَوا﴾ حين نزل بهم العذاب استغاثة واستغفارا لكن مانفعهم ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣)﴾ اى ليس الحين حين فرار وفوات فلا بمعنى ليس زيد عليها تاء التّأنيث للتّاكيد او للدّلالة على نقصان مرتبتها فى العمل كما زيدت على ربّ وثم فاختصت بلزوم الأحيان فالمذكور خبرها والمحذوف اسمها ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ اى بشر مثلهم وهو النّبى عليه السّلام ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ اتى بالمظهر غضبا عليهم ﴿هَٰذَا سَاحِرٌ﴾ فيما يظهر من المعجزات ﴿كَذَّابٌ (٤)﴾ فيما يقول على الله ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ اى جعل الالوهيّة لواحد فقط ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)﴾ وهوكالعجب الأمر الذى يعجب منه لكنه ابلغ فلذا فسّر بالبليغ فى العجب فانه كيف يفى بالعالم آله فقط ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ﴾ اى الاشراف ﴿مِنْهُمْ﴾ اى من قريش من مجلس ابى طالب حين قال لهم النّبى عليه السّلام فيه: قولوا: لا آله الاّ الله تملكوا العرب والعجم فابوا ﴿أَنِ امْشُوا﴾ ان مفسّرة لما فى الأنطلاق من مجلس التّقاول من الاشعار بالقول اذ العادة ان ينطلقوا منه متقاولين فكانّه قال قائلين بعضهم لبعض امشوا ﴿وَاصْبِرُوا﴾ اثبتوا ﴿عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ اى على عبادتها فلا تنفعكم مكالمته ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الأمر بالتّوحيد ﴿لَشَيْءٌ﴾ من ريب الزّمان

﴿يُرَادُ (٦)﴾ بنا ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الّذى يقوله ﴿فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ﴾ اى ملة عيسى التى هى آخر الملل فانّ النّصارى يثلثون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ (٧)﴾ كذب ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ القرآن ﴿مِن بَيْنِنَا﴾ ولم ينزل علينا مع كوننا اشرف واكبر منه فمبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النّظر على الحطام الدنيوىّ واضرب عن كون هذا الاقوال صادرة عن صميم قلبهم بقوله ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ اى القرآن لميلهم الى التّقليد فليس فى عقيدتهم ما يثبّتون به اقوالهم ثم اضرب عن كونهم على الحسد والشك بقوله ﴿بَل لَّمَّا﴾ لم ﴿يَذُوقُوا عَذَابِ (٨)﴾ اى عذابى اكتفى بالكسرة اى فاذا ذاقوه زال شكّهم وحسدهم فيصدقون حينئذ لكن لا ينفعهم ثم انتقل عن الأضراب الاوّل الى اضراب باسلوب آخر فقال ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْوَهَّابِ (٩)﴾ الّذى يهب ما يشاء لمن يشاء اى ليست النّبوة وغيرها فى تصرفهم حتّى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمّن شاؤا ثم قوّى ذلك بقوله ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يعنى ليس لهم دخل فى هذا العالم الجسمانىّ الّذى هو جزء يسير من خزائنه فكيف يتصرّفون فيها ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ (١٠)﴾ المعارج الموصلة الى السّماء فيأتوا بالوحى لمن يشاؤا ﴿جُندٌ مَّا﴾ اى هم جند حقير ﴿هُنَالِكَ﴾ اى فى المقام الّذى وضعوا انفسهم فيه من الأعتراض على الله صفة جند او متعلّق ﴿مَهْزُومٌ﴾ مكسور عمّا قريب وهو صفة وكذا ﴿مِنَ الأَحْزَابِ (١١)﴾ اى من جنس الكفّار المتحزّبين على الأنبياء قبلك فيقهرون مثلهم فمن اين لهم التّصاريف الإلهية فلا تبال بما يقولون ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ (١٢)﴾ كانى نصب اربع اوتاد لمن يريد تعذيبه ويشدّ اليها يديه ورجليه ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتّى يموت ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ اى الغيضة وهم قوم شعيب ﴿أُوْلَئِكَ الأَحْزَابُ (١٣)﴾ الّذين جعلنا الجند المهزوم منهم فالجملة استيناف لبيانهم ﴿إِن﴾ ما ﴿كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤)﴾ اى كذّب كلّ واحد رسوله فهو من مقابلة الجمع بالجمع او الكلّ فانّ المكذب لواحد منهم مكذّب جميعهم ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾

ينتظر ﴿هَؤُلاَءِ﴾ اى قومك ﴿إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هى نفخة القيامة فيحل بهم مايحلّ ﴿مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥)﴾ اى رجوع ﴿وَقَالُوا﴾ لمّا نزل ﴿فامّا من اوتى كتابه بيمينه﴾[1] آه ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ اى كتاب اعمالنا ننظر فيه ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦)﴾ استعجلوا ذلك استهزاء ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾ اى قصته وصن نفسك ان تزلّ فتعاتب مثله ﴿ذَا الأَيْدِ﴾ اى القوّة فى العبادة كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف اللّيل وينام ثلاثة ويقوم سدسه ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧)﴾ رجّاع الى مرضاة الله ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ مرّ بيانه فى سورة الأنبياء[2] ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَالإِشْرَاقِ (١٨)﴾ اى وقت صلاة الضّحى وهو ان تشرق الشّمس ويتناها شعاعها وامّا الشروق فهو نفس طلوعها ﴿وَ﴾ سخّرنا ﴿الطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ اليه من كلّ جانب لم يقل يحشرون فيطابق يسبّحون لانّ الحشر جملة ادلّ على القدرة منه تدريجا ﴿كُلٌّ﴾ من الجبال والطير ﴿لَهُ أَوَّابٌ (١٩)﴾ رجّاع الى طاعته بالتّسبيح فما قبله يدلّ على الموافقة فى التّسبيح وهذا على المداومة عليها ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ اى قوّينا بالهيبة وكثرة الجنود كان يحرس محرابه اى قصره كلّ ليلة ثلاثون الف رجل ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ النّبوة او كمال العلم واتقان العمل ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠)﴾ اى الكلام المفصول المبيّن الّذى لا التباس فيه الجارى على قواعد المعانى وسمّى به امّا بعد لفصلها المقصود عمّا سبق مقدّمة له من الخطبة ﴿وَهَلْ﴾ الاستفهام هنا للتّعجبوالتّشويق الى استماع ما بعده ﴿أَتَاكَ﴾ يامحمّد ﴿نَبَأُ﴾ تحاكم ﴿الْخَصْمِ﴾ فى الاصل مصدر فلذا اطلق للجمع كما يدلّ عليه ﴿إِذْ﴾ ظرف تحاكم ﴿تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١)﴾ اى صعدوا سور محرابه ونزلوا اليه من فوق اذ الحرسة منعتهم من الدّخول فى الباب لانّه كان يوم العبادة اذ كان قد يجعل لكل من العبادة والقضاء والوعظ والحاجة يوما قيل كانوا جبرائيل وميكائيل ومن معهما على صورة المدّعى والمدعى عليه والشّهود والمزكّين

---

[1] - سورة الحاقة: ١٩ ، سورة الانشقاق: ٧

[2] - آية: ٧٩

لينبهاه على خلاف اولى صدر عنه لعدم لياقته بعلو قدره من نحو ما قيل انّه اضمر انّ وزيره ان قتل تزوّج بزوجته لا ما وقع فى بعض التفاسير فانّه غير صحيح ولوصحّ وجب تاويله لعصمة الانبياء كلهم حتى من الصّغائر ﴿إِذْ﴾ بدل من الاوّل او ظرف تسوّروا ﴿دخلوا على داوٗود ففزع منهم قالوا لا تخف﴾ نحن ﴿خَصْمَانِ﴾ فريقان متخاصمان لاشخصان ليطابق تسوّروا ﴿بغى بعضنا على بعضٍ فاحكم بيننا بالحقّ ولا تشطط﴾ اى لا تجر فى الحكومة ﴿واهدنا﴾ ارشدنا ﴿إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢)﴾ اى وسطه وهو العدل ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي﴾ فى الدين ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ هى الانثى من الضأن استعيرت هنا للمرأة لتوافق واقعة داود وتحمل ظاهرها ﴿وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ اى اجعلنى كافلها ومالكها ﴿وعزّنى﴾ غلبنى ﴿فِي الْخِطَابِ (٢٣)﴾ الجدال فجاء بحجج لا اقدر على ردّها ﴿قال﴾ بعد اعتراف الآخر والله ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾ قصد بهذا القسم المبالغة فى انكار فعله ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ الشّركاء الّذين يخلطون اموالهم جمع خليط ﴿ليبغى﴾ يتعدّى ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ اذ يطلع كلّ صاحبه على ما عنده من النفائس حتّى النّساء فيؤدى ذلك الى المخاصمة والبغى ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ اى وهم قليل وما مزيدة لتاكيد القلة والتّعجب منها فقال الملكان قضى الرّجل على نصيبه فتنبّه داود كما قال ﴿وَظَنَّ دَاوٗودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ ابتليناه بالذّنب ﴿فاستغفر ربّه﴾ لذنبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ اى ساجدا سمّاه ركوعا لانّه مبدأه ﴿وَأَنَابَ (٢٤)﴾ رجع الى الله بالتّوبة ﴿فغفرنا له ذلك﴾ الذّنب ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ قربة بعد المغفرة فى الدّنيا ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥)﴾ مرجع فى الآخرة ﴿يَا دَاوٗودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ اى اهل تصرف نافذ الحكم فيها وهو معنى كون العبد خليفة الله فى ارضه لامتناع معناه الحقيقىّ هنا وهو من يخلّفه الغائب لينفذ حكمه فى رعيّته ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ اى هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اى عن الدّلائل الدّالة عليها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ

(٢٦)﴾ اى بسبب نسيانه وترك الأيمان به فانّ نسيانه هو الموجب لجرئته على الذّنوب وترك التّوحيد ثم ذكر تذكيرا عن نسيانه قوله ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطِلًا﴾ عبثا لا حكمة فيه بل خلقتهم لأمتحنهم بالتّكليف فيتميّز محسنهم من مسيئهم فاجازى كلاّ على وفق اعمالهم وذلك لايكون الاّ يوم الحساب ﴿ذلك﴾ اى الخلق باطلا ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى مظنونهم ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧)﴾ بسبب هذا الظنّ ثم انكر التّسوية بين المؤمنين وضدّهم ومتقيهم ومجرميهم الّتى هى من لوازم الخلق باطلا بقوله ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨)﴾ هذا ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ اى يتفكّروا فى معانيها فيظهر لهم ما فيها من حلائل الحكم ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ يتعظ به ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)﴾ اى اصحاب العقول السّليمة ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ هو وعلّل المحد بقوله ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠)﴾ اى رجّاع الى التّسبيح والذكر آتيا بهما فى جميع الاوقات ﴿إِذْ﴾ ظرف لاوّاب ﴿عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾ اى بعد الظّهر ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ جمع صافن وهو من الخيل ما يقوم على ثلاث قوائم وينصب الاخرى على طرف الحافر وهو من الصّفات الممدوحة فى الخيل ﴿الْجِيَادُ (٣١)﴾ جمع جواد وهو سريع الجرى او شديد العدو وكانت الف فرس عرضت عليه بعد ما صلّى الظهر لأرادة الجهاد عليها فعندبلوغ عرض تسع مأية منها غربت الشمس ولم يكن صلّى العصر فاغتمّ ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ اى آثرت حب الخيل على ذكره لكن لتضمّنه معنى انبت اى جعلته نائبا تعدى بعن ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ استترت الشمس ﴿بِالْحِجَابِ (٣٢)﴾ بما يحجبها عن الابصار عبّر عن غروبها بالتوارى بالحجاب الّذى هو فعل النّساء استعارة تبعية ﴿رُدُّوهَا﴾ اى الصّافنات ﴿عَلَيَّ فَطَفِقَ﴾ اخذ يمسح السيف ﴿مَسْحًا بِالسُّوقِ﴾ اى بسوقها جمع ساق ﴿وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)﴾ اى اعناقها يعنى ذبحها وقطع ارجلها تقرّبا الى الله لما شغلته من الصّلوة وتصدّق بلحمها فعوّضه الله خيرا منها وهى الرّيح تجرى بامره كيف شاء ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ ابتلينا

﴿سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ وذلك لانّه قال لأطوفنّ اللّيلة على سبعين امرأة تأتى كلّ واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فلم تحمل الاّ امرأة واحدة جائت بشق رجل وذلك هو الجسد الملقى على كرسيّه فانّه لمآ ولد جيء به ووضع فى حجره جالسا على كرسيّه وقيل هو صخر الجنىّ تمثل بصورته لأمرأته امنيّة واخذ منها خاتمه الّتى فيها ملكه حين وضعها عندها ليقضى حاجته وجلس على سريره فنفذ حكمه فى كلّ شئ الاّ فى نسائه فجاء الى النّاس وقال انا سليمان فانكروه وطردوه فكان يطوف على البيوت فيسأل حتّى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت زوجة له صورة الصنّم فى بيته من غير علمه فانّ هذه المصيبة كانت بسبب ذلك ﴿ثُمَّ أَنَابَ (٣٤)﴾ رجع عمّا قال او الى ملكه فانّ الشّيطان هرب بعد الأربعين والقى الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فاخذها صيّادا واعطاها لسليمان لما كان عمل له ذلك اليوم فشق بطنها فوجده فيه فتختمّ به وخرّ ساجدا وتمكّن على كرسيه كما كان فامر باحضار صخر وقتله باشدّ عذاب ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لاَ يَنبَغِى﴾ لا يتسهّل ولايكون ﴿لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِى﴾ سواى ليكون معجزة لى مناسبة لحالى فليس طلبه رغبة فى استقلاله به وحسدا على غيره بل ليكون معجزة له لانّ معجزة كلّ نبىّ من جنس الغالب فى زمانه كالسّحر فى زمن موسى والأبراء فى زمن عيسى والفصاحة فى زمن نبيّنا عليه السّلام ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَآءً﴾ ليّنة ﴿حَيْثُ أَصَابَ (٣٦)﴾ اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب ﴿وَ﴾ سخّرنا ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ ويبدل منه ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ يبنى الأبنية العجيبة ﴿وَغَوَّاصٍ (٣٧)﴾ فى البحر يخرج له اللّؤلؤ قيل هو اوّل من استخرجه من البحر ﴿وَآخَرِينَ﴾ عطف على كلّ ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ مشدودين ﴿فِى الأَصْفَادِ (٣٨)﴾ القيود بجمع ايديهم الى اعناقهم لدفع شرهم عن الخلق وقلنا له ﴿هَذَا﴾ الّذى اعطيناك ﴿عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ﴾ اعط منه من شأت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن العطاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩)﴾ حال من الضمير فى الأمر اى لا حساب عليك فى ذلك ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى﴾ القربى فى الآخرة

مع ملكه العظيم فى الدّنيا ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠)﴾ مرجع وهوالجنّة ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ بن عيص بن اسحق وامرأته ليا بنت يعقوب ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بدل من عبدنا وايّوب طف بيان له ﴿أَنِّي﴾ بانى ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ تعب ﴿وَعَذَابٍ (٤١)﴾ الم لكونهما بسبب وسوسته الأعجاب بكثرة ماله او عدم اغاثة مظلوم استغاثه او بسبب سؤاله من الله ان يسلّطه على اهلاك جميع ما انعم عليه امتحانا لصبره اسندهما اليه والاّ فالفاعل للاشياء كلّها هو الله وقيل فى جوابه ﴿ارْكُضْ﴾ اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾ الأرض فضرب فنبعت عين فقيل له ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾ اى ما تغتسل به ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢)﴾ تشرب منه فتبرأ ظاهرا وباطنا ففعل فذهب عنه كل علّة فيه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ مرّ فى سورة الأنبياء ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ اى لرحمة منا عليه ﴿وَذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣)﴾ لينتظروا الفرج بالصّبر ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ﴾ عطف على اركض ﴿ضِغْثًا﴾ هو الحزمة الصغير من حشيش ونحوه ﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾ زوجتك وكان قد حلف ليضربها مأية ضربة لابطائها عليه يوما ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ بترك ضربها باخذ مأية عود من الأذخر او غيره فضربها به ضربة واحدة فصارت رخصة باقية فى الحدود ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ على ما اصابه ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ ايّوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾ رجّاع الى الله بشراشره ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي﴾ اى اصحاب القوى فى الطّاعة ﴿وَالْأَبْصَارِ (٤٥)﴾ اى البصائر فى الدّين ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ لنا ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ اى بخصلة خالصة هى ﴿ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦)﴾ تذكّرهم للآخرة دائما فان خلوصهم فى الطّاعة بسببها ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ﴾ المختارين ﴿الْأَخْيَارِ (٤٧)﴾ جمع خير كشرّ واشرار او خيّر بالتّشديد اوخير مخفّفة ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ بن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم صار نبيّا واللاّم فيه للتّعريف بعد التنكير فانّه قد ينكّر العلم فيحتاج الى التّعريف ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ ابن عمّ يسع ﴿وَكُلٌّ﴾ اى كلّهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨) هَذَا﴾ اى المتقدم من امورهم ﴿ذِكْرٌ﴾ شرف لهم وثناء جميل ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩)﴾ مرجع ويجعل بيانا له ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ اقامة ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ

الْأَبْوَابُ (٥٠)﴾ حال منها لانّها من الأعلام الغالبة ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك حال من فاعل ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١)﴾ وهو استيناف لبيان فِيهَا حالهم فيها والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التّلذذ ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حابسات الاعين على ازواجهنّ ﴿أَتْرَابٌ (٥٢)﴾ متساويات فى السن ذوات ثلاث وثلاثين سنة ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ التفات ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣)﴾ اى لأجله فانّ الحساب علّة الوصول الى الجزاء ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤)﴾ انقطاع ﴿هذا﴾ اى الامر هذا او خذ هذا ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان له ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حال من جهنّم ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦)﴾ المفترش جهنّم ﴿هَذَا﴾ خبر محذوف اى العذاب هذا ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ هو ﴿حَمِيمٌ﴾ ماء محرق ﴿وَغَسَّاقٌ (٥٧)﴾ ما سيل من صديد اهل عذاب ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ﴾ من مثل هذا المذوق فى الشّدة ﴿أَزْوَاجٌ (٥٨)﴾ اصناف حبر آخر ويقال لرؤساء الطّاعين عند دخولهم النّار مع اتباعهم ﴿هَذَا﴾ اى الأتباع ﴿فَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ داخل النّار الشّديدة فيقول المتبوعون ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ اى لا سعة عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩)﴾ داخلوها باعمالهم مثلنا ﴿قَالُوا﴾ اى الأتباع لهم ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ اى انتم احقّ بما قلتم ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ العذاب ﴿لَنَا﴾ باغوائكم ايّانا ﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠)﴾ اى المقرّ لنا ولكم جهنّم ﴿قَالُوا﴾ اى الاتباع ايضا ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ﴾ على عذابه ﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾ اى ذا ضعف فانه اذا زيد على عذابه مثله يصير ضعفين ﴿فِي النَّارِ (٦١) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢)﴾ يعنون فقراء المسلمين ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ فى الدّنيا ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ مالت ﴿عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (٦٣)﴾ اى ايّ الأمرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فانّ زيغ الأبصار كناية عنه والمراد بالاستفهام انكارها على انفسهم ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الّذى حكينا عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ واجب عليهم التكلّم به ويبدل منه ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) قُلْ﴾ يا محمّد لمشركى مكّة ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ مخوّف لكم بالعذاب ﴿وما مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥)﴾ لكلّ شئ ﴿رَبُّ

السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وما بَيْنَهُمٰ﴾ بديه خلقها وامرها ﴿الْعَزِيزُ﴾ لايغلب اذا عاقب ﴿الْغَفَّارُ (٦٦)﴾ لمن يشاء ﴿قُلْ هُوَ﴾ اى ما انبئتكم به من كونى نذيرا و الآله وحدا ﴿نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨)﴾ لتمادى غفلتكم والاّ فقد قامت عليه الحجج الواضحة امّا على التّوحيد فما مرّ من الأوصاف وامّا على النّبوة فقوله ﴿ما كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى﴾ اى الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩)﴾ فى شأن آدم حين قال تعالى لهم على لسان ملك: ﴿انّى جاعل فى الأرض خليفة﴾[1] الآية سمّى ما جرى هناك من السؤال والجواب مخاصمة ومناظرة مجازا تشبيها له بها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠)﴾ الاستثناء فى محلّ النّصب بنزع الخافض على انه تعليل ليوحى والىّ قائم مقام فاعله والرّفع على انّه القائم مقامه ﴿إِنْ﴾ بدل من اذ يختصمون مبيّن له ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ عدّلت خلقه ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ اى احييته بنفخ الرّوح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته ﴿فَقَعُوا لَهُ﴾ فخرّوا له ﴿سَاجِدِينَ (٧٢)﴾ تكرمة ومرّ كيفيته فى البقرة ﴿فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣)﴾ فيه تاكيدان ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ﴾ تعظّم ﴿وَكَانَ﴾ اى صار ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤)﴾ فى علم الله او صار منهم باستكباره عن امره ﴿قَالَ﴾ موبّخا ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ اى توليت خلقه من غير توسط ابوين فهو استعارة لتفرده بحكمه كما مرّ فى سورة يس[2] ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ اى أتكبرت من غير استحقاق ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)﴾ اى ممّن علا واستحقّ التفوق ﴿قَالَ﴾ ابداء للمانع ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ وعلّله بقوله ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦)﴾ وهى اشرف منه للطافتها وكونها اقرب العناصر الى الفلك الّذى هو افضل من الأجرام السّفلية كما فى الكتب الحكميّة ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ اى من الجنة او السّماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧)﴾ مطرود من الرّحمة ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨)

---

[1] - سورة البقرة: ٣٠

[2] - آية: ٧١

قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١)﴾ مرّ بيانه فى الحجر[1] ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ اى بسلطانك وقهرك ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ اى النّاس ﴿أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)﴾ اى الّذين اخلصتهم لطاعتك وعصمتهم من الضّلالة ﴿قَالَ فَالْحَقُّ﴾ مبتدأ محذوف الخبر اى قسمى ﴿وَالْحَقَّ﴾ منصوب بقوله ﴿أَقُولُ (٨٤)﴾ والجملة معترضة بين القسم وجوابه وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ من جنسك وهم الشّياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ اى من النّاس بيان لمن تبعك ﴿أَجْمَعِينَ (٨٥)﴾ تاكيد للضميرين اوللثانى والمعنى ظاهر ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ اى على القرآن او تبليغ الرّسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦)﴾ المتصنّعين بما لست من اهله بان ادعى النّبوة وآتى بالقرآن من تلقاء نفسى ﴿إِنْ هُوَ﴾ اى ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ (٨٧)﴾ اى للثقلين ﴿وَ﴾ الله ﴿لَتَعْلَمُنَّ﴾ تعرفنّ ﴿نَبَأَهُ﴾ اى الخبر الّذى فيه من الوعد والوعيد او خبر صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍ (٨٨)﴾ اى يوم القيامة.

* * *

[1] - آية: ٧٢

سورة الزمر

مكيّة إلاّ (قل يا عبادى الّذين اسرفوا) الآية فمدنيّة
وآيها خمس أو اثنان وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ اى القرآن مبتدأ خبره ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢)﴾ اى الطاعة من الشّرك والرّيا منصوب بمخلصا ﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لا يستحقّه غيره ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ اى المشركون المفهومون من سوق الكلام ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ تعالى الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ قائلين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ قربى مصدر بمعنى تقريبا وخبر الموصول قوله ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من امر الدّين بادخال المحق الجنّة والمبطل النّار ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي﴾ اى لا يوفق للاهتداء الى الحقّ ﴿مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ بنسبة الولد اليه تعالى ﴿كَفَّارٌ (٣)﴾ بعبادة غيره فانّه فى علم الله كذلك لفقدان البصيرة ﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعموا ﴿لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من متعلقات الجواب اقيم مقامه والآية من قبيل لا عيب فيهم غير انّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب والمعنى لو قيل انّه تعالى اراد اتخاذ الولد لكان معناه ارادة اصطفاء بعض خلقه وتقرّبهم اليه لا على حقيقته لامتناع ان يكون المخلوق من جنس الخالق ومن البين انّ هذا الأصطفاء ليس باتخاذ ولد فاستحال اتخاذه قطعا لكنّكم لانطماس عين بصيرتكم زعمتم انّ هذا الاصطفاء اتخاذ ولد ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)﴾ والوحدة تنافى المماثلة والقاهريّة لكلّ شئ تنافى قبول الزّوال المخرّج الى الولد ثم استدلّ على وحدانيته وقهاريته بقوله ﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ

﴿وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ يغشى كلّ واحد منهما الآخر على سبيل التتابع والتعاقب فعبّر عنه بالتّكوير الّذى هو لفّ بعض اكوار العمامة على بعض استعارة تبعيّة ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾ فى فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ليوم القيامة او لمنتهى دوره ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على كلّ ممكن ﴿الْغَفَّارُ (٥)﴾ حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب مافى هذه الصّنائع من الرّحمة ثم اتبع الدّلائل الفلكيّة بالدلائل الأرضية فقال ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خلقها من غير ابوين ويعطف على هذه الصّفة المقدرة قوله ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حوا ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾ اى قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنُزول من السّماء حيث كتبت فى اللّوح فهو من ذكر اللازم وارادة الملزوم ﴿مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ الأبل والبقر والضأن والمعزّ ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ من كلّ زوجان ذكر وانثى فالزوج اسم لواحد معه آخر وبدونه فرد وقد مرّ فى آخر الانعام[1] ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ بيان لكيفية خلق ما ذكر من الأناس والأنعام لكن غلب فيه العقلاء او خصّهم بالخطاب لانّهم المقصودون ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ اى حيوانا من بعد عظام مكسّوة لحما من بعدها عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظلمة البطن والرحم والمشيمة ﴿ذَلِكُمُ﴾ الّذى هذه افعاله ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦)﴾ يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ اى عن ايمانكم ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ رحمة عليهم لاستضرارهم به ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ الله فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ﴾ اى الشكر ﴿لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمحاسبة والمجازاة ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)﴾ بما فى القلوب فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ اى الكافر ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾ اى تضرع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعا ﴿إِلَيْهِ﴾ لزوال الأوهام الفاسدة المنازعة للعقل فى الدّلالة على انّ مبد الكلّ ليس الاّ هو ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ﴾ اعطاه ﴿نِعْمَةً مِنْهُ﴾ تعالى ﴿نَسِيَ مَا﴾ اى الضر الّذى

---

[1] - آية: ١٤٣

﴿كَانَ يَدْعُوا﴾ الله ﴿إِلَيْهِ﴾ اى الى كشفه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل النّعمة ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ﴾ الاوثان ﴿أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ اللاّم للعاقبة فانّه شبّه الاضلال الّذى هو عاقبة الجعل بغايته فى ترتّبه عليه فاستعمل فيه العلّة استعارة تبعيّة ﴿قُلْ﴾ يا محمّد له تهديدا ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ تمتعا او زمانا ﴿قَلِيلًا﴾ مدّة اجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨)﴾ استيناف تعليل للمبالغة فى اقناطه من التّمتع فى الآخرة المفهوم من قليلا الكافر خير ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ قائم بوظايف الطاعات ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ اساعته ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ فى الصّلاة حالان من فاعل قانت ويجعل حالان من فاعلهما فوله ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلميّة بعد نفيها باعتبار القوة العمليّة على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتّعظ بامثال هذه البيّنات ﴿أُوْلُوا الْأَلْبَابِ (٩) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ بلزوم طاعته ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالطاعة ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ هى الجنّة فى الآخرة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فمن تعسر عليه الأحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكّن منه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ على الطّاعات والبلايا ومهاجرة الاوطان ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)﴾ لا يهتدى اليه حساب حاسب بل يصبّ عليهم صبّا حتى يتمنى من عفوى فى الدّنيا ان يقرض اجساده بالمقاريض ليكون مثلهم كما فى الحديث ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١)﴾ من الشرك ﴿وَأُمِرْتُ﴾ بما ذكر والمغايرة مستفادة من التّعليل بقوله ﴿لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢)﴾ اى مقدّمهم فى الدّنيا والآخرة وفائدة الذكر مطلقا ثم مقيّدا الأشعار بان الاخلاص كما يستحق ان يؤمر به لذاته يستحقه ايضا لمايلزم من السبقة فى الدّين ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والريا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤)﴾ من الشرك ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ فيه تهديد لهم وايذان بانّهم لا يعبدون الله ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ الكاملين فى الخسران وخبر انّ قوله ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بسبب الضلال فى الدّنيا ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾

بسبب الاضلال فيها ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حين يدخلون النّار بدل الجنّة ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥)﴾ البين ثم شرح خسرانهم بقوله ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ اطباق تظلّلهم ﴿مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ اطباق منها هى ظلل لمن تحتهم من المنافقين لقوله تعالى انّ المنافقين فى الدّرك الاسفل من النّار ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦)﴾ ولاتتعرضوا لمايوجب سخطى ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ اى الشيطان او الأصنام ﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ بدل اشتمال منه ﴿وَأَنَابُوا﴾ اقبلوا بشراشرهم ﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ بالجنّة على السنة الرّسل او الملائكة عند حضور الموت ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ عاقبة مرتب على ما قبله اى اذا كان لهم البشرى فبشّرهم الاّ انّه اعادهم مظهرا للدّلالة على ان استحقاقهم البشارة ليس بسبب الوصفين الأولين فقط بل بسبب تميزهم بين الحقّ والباطل واختيارهم الأفضل فالأفضل ايضا ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨) أَ﴾ انت مالك امرهم ﴿فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ اى ﴿لَأَملأنّ جهنّم﴾[1] الآية فالفاء للعطف على مقدّر بينها وبين الهمزة كما عرفت ومن شرطيّة مبتدأ جوابه خبرها ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ﴾ تخلّص ﴿مَنْ فِي النَّارِ (١٩)﴾ اى فانت تنقذه كرّر فيه الهمزة لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع من فى النّار موضع الضمير لذلك ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ﴾ منازل رفيعة فى الجنّة ﴿مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ اى منازل ارفع منها ﴿مَبْنِيَّةٌ﴾ بناء المنازل على الأرض بان كان لها صحن بنيت عليه فهو صفة غرف الثّانى وتمهيد لقوله ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ اى تحت تلك الغرف ﴿الْأَنْهَارُ﴾ فانّها اذا كانت مبنية كذلك يأتى جرى الانهار تحتها كالسفلى من غير تفاوت ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لمضمون لهم غرف لانّها فى معنى الوعد لا محتمل لها غيره والتقدير وعد الله تلك الغرف وعدا ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)﴾ اى وعده لانّ اخلافه نقص وهو محال على الله ولمّا تضمن بيان ما للفريقين كونه صانعا عظيم القدرة

---

[1] - سورة ص: ٨٥

نبّه على ما يدلّ على كمالها بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ اى المطر ﴿فَسَلَكَهُ﴾ سلوكا فى ﴿يَنَابِيعَ﴾ جمع ينبوع بمعنى المنبع الّذى ينبع منه الماء كائنة ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ من خضرة وحمرة وغيرهما ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس حتى يقرب ان يهيج ويرتفع من مكانه فهو مجاز من تسمية الشئ باسم مايؤل اليه ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ من اليبس ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ فتاتا متكسّرا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ تذكيرا للدّلالة على وحدانيته وقدرته وعلى انّ الحيوة الدّنيا مثله فلا يغترّ بها ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١)﴾ لانّهم المتذكّرون ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ بان خلق نفسه شديد الاستعداد لقبوله عبّر عنه بشرح الصدر لعلاقة انّه محلّ القلب الّذى هو منبع الرّوح المتعلق للنفس القابل للاسلام ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ اى على المعرفة والاهتداء الى الحقّ فى الحديث: «اذا دخل النّور القلب انشرح وانفسح» وعلامته الأنابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتّأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف اى كمن طبع على قلبه فلم يهتد دلّ عليه ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ اى من اجل ذكره وسببه بان احدث فيها مع كونه نورا تضمّن به القلوب قساوة وبعدا عن الحقّ لخبثها وكونها مجبولة على عدم قبول الفضائل الرّوحانيّة ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢)﴾ بين ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ وهو القرآن ﴿كِتَابًا﴾ بدل من احسن ﴿مُتَشَابِهًا﴾ اجزائه فى الأعجاز والنّظم والدّلالة على المنافع ﴿مَثَانِيَ﴾ صفة ثان لكتاب وبيان مأخذه فى الحجر[1] ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ ترقد عن ذكر وعيده ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ واقشعرار الجلد مثل فى شدة الخوف ﴿ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئنّ ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ ذكرها هنا لذكرها اوّلا بذكر الخشية الّتى من عوارضها ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ﴾ بالرّحمة وعموم المغفرة الاّ انّه لم يقيّده للاشعار بانّ مبنى امره على الرأفة والرّحمة فاذا ذكر لا يخطر بالبال الاّ كونه رؤفا رحيما فتلين به الجلود ﴿ذَٰلِكَ﴾ اى الكتاب ﴿هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ﴾

---

[1] - آية: ٨٧

اى يجعله ترسا يقى به نفسه لانّه تكون مغلولة يداه الى عنقه فلايقدر ان يتقى الاّ بوجهه ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ اى اشدّه ﴿يَوْمَ الْقِيٰمَةِ﴾ وخبر من محذوف كنظائره اى كمن هو آمن منه ﴿وَ﴾ قد ﴿قِيلَ﴾ حال من فاعل يتقى ﴿لِلظّٰلِمِينَ﴾ اى لهم فهو من الأتيان بالظاهر تسجيلا عليهم بالظلم ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤)﴾ اى اجزائه ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتٰهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ (٢٥)﴾ من جهة لا يخطر ببالهم الأتيان منها ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللّٰهُ الْخِزْيَ﴾ الذلّ ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ من المسخ والقتل وغيرهما ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ﴾ المعدّلهم ﴿أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾ عذابه ما كذّبوا ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتاج اليه فى امر الدّين ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧)﴾ يتّعظون به ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال موطئة من هذا لانّ تبيين الهيئة بالصّفة وهى عربيّا فهى الحال فى الحقيقة وهو توطئة لها ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ لا اختلاف فيه بوجه مّا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨)﴾ الشرك ﴿ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً﴾ للمشرك والموحّد عبدا بدل من مثلا ﴿رَجُلاً فِيهِ﴾ ظرف ﴿شُرَكَاءُ مُتَشٰكِسُونَ﴾ متنازعون سيئة اخلاقهم ﴿وَرَجُلاً سَلَمًا﴾ مصدر نعت به اى خالصا ﴿لِرَجُلٍ﴾ ليس لغيره عليه سبيل ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ اى صفة وحالا نصب على التّميز وجنسا لكونه لم يثنى اى لا يستوى العبد لجماعة والعبد لواحد فانّ الاوّل اذا طلب كلّ من مالكيه خدمته فى وقت واحد تحيّر فيمن يخدم منهم ولا كذلك الثّانى فكذا المشرك والموحّد ﴿الْحَمْدُ﴾ اى كلّه ﴿لِلّٰهِ﴾ لا يشاركه فيه غيره ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٢٩)﴾ فيشركون به غيره ولا يتعظون بالامثال ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمّد ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠)﴾ صفة مشبّهة وهى لم يجيء للاستقبال فلم يطلق الاّ على من كان متصفا بفعلها لكن تطلق على الحىّ لتنزيله منزلة الميّت لكون موته محقّق الوقوع ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ فيه تغليب المخاطب على الغائبين ﴿يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾ فتحتج عليهم بانّك كنت على الحقّ وهم على الباطل فيعتذرون بالأباطيل من نحو اطعنا سادتنا ووجدنا آبائنا ﴿فَمَنْ﴾ اى لا احد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللّٰهِ﴾ باسناد الولد والشّريك اليه ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾

وهو ماجاء به محمّد ﴿إذْ جاءَهُ﴾ من غير توقّف وتفكّر ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِلْكَافِرِينَ (٣٢)﴾ بلى وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ وهم الأنبياء ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ وهم الاتباع ولكون الموصول بمعنى الاستغراق شاملا لهما اخبر عنه بقوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فى الجنّة ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤)﴾ على احسانهم ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ خصّ الاسوء لانّ تكفيره يستلزم تكفير غيره بالأولى فاسم التفضيل هنا للزّيادة على ما اضيف اليه على ما هو اكثر استعماله ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥)﴾ اى بجميع اعمالهم لكن عبر عنها بالأحسن تنبيها على انّه يعد لهم محاسن الاعمال به لحسن اخلاصهم فاسم التفضيل للزيادة المطلقة لا على ما اضيف اليه ويجوز ان يكونا بمعنى السئ والحسن ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ اى النّبى عليه السّلام ﴿وَ﴾ قريش ﴿يُخَوِّفُونَكَ﴾ يامحمّد حال من العبد والمعنى اليس كافيك حال تخويفهم اياك ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ اى بالاصنام بان يقولوا انّ اصنامنا تخيّل عقلك بطعنك فيها ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ حتّى غفل عن الكفاية لك وخوّفك بما لا يضرّ ولاينفع ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب على امره ﴿ذِي انْتِقَامٍ (٣٧)﴾ من اعدائه بلى ﴿وَلَئِنْ﴾ اللاّم موطّئة للقسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ جواب القسم سادّ مسدّ جواب الشّرط ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ﴾ اى اخبرونى بعد ما تحقّقتم انّ خالق العالم هو الله ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ﴾ انث الضمير تحقيرا لها ولتسميتهم اياها باسم الأناث كالمنات واللات والعزّى ﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ لا ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ اذ تبين انّه القادر الّذى لا مانع لما يريده من خير اوشرّ ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨)﴾ لعلمهم بانّ الكلّ منهم ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ اى حالكم اسم للمكان استعير للحال ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على مكانتى حذف للأختصار ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ

عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ وقد اخزاهم يوم بدر ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠)﴾ دائم وهو عذاب النّار ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ﴾ ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى﴾ به ﴿فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١)﴾ لتجبرهم على الهدى وانّما عليك البلاغ وقد بلّغت ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ﴾ يتوفّى ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ اى وقت النّوم ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ ولا يردّها الى البدن الى يوم البعث ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى﴾ اى النّائمة الى بدنها عند اليقظة ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ اى وقت موتها والحاصل انّ فى ابن آدم شئ واحد هو الجوهر المشرق الرّوحانى المسمى بالنفس فباعتبار تعلّقه به ظاهرا وباطنا ثبت له حالة اليقظة وباعتبار انقطاعه عنه ظاهرا فقط حالة النّوم وظاهرا وباطنا جميعا حالة الموت ويقرب منه ما قال ابن عبّاس ان فيه نفسا بها العقل والتميز وروحا بها النفس والحيوة وهى بمنزلة الشعاع للنفس فيقبض تعالى النفس فقط عند النّوم وكلاهما عند الموت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على كمال قدرته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢)﴾ ثم اضرب عن الطّمع فى تفكرهم بقوله ﴿أَمِ﴾ بل أ ﴿اتَّخَذُوا﴾ اى قريش ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ عند الله بزعمهم ﴿قُلْ أَ﴾ يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ اى هو مالكها لا يقدر احد عليها الاّ باذنه قرّره بقوله ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فكيف يتكلم احددون اذنه ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤)﴾ يوم القيامة فيكون له الملك حينئذ ايضا ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ اى دون آلهتهم ﴿اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ نفرت وانقبضت ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ اى الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)﴾ لفرط افتتانهم بمانوسيانهم حقّ الله ﴿قُلِ﴾ الجاء اليه تعالى بالدعاء لما شاهدت منهم ﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ﴾ مبدع ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ﴾ وحدك ﴿تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ اى تقدر على الحكم بينهم ﴿فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لكن لم يقبّل منهم اقناط كلى لهم من الخلاص ﴿وَبَدَا﴾ ظهر

﴿لَهُمْ مِنَ اللهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧)﴾ يظنون من انواع العذاب وهو نظير قوله فى الوعد: ﴿فلا تعلم نفس ما اخفى لهم﴾[1] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾ نزل واحاط ﴿بِهِمْ﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (٤٨)﴾ من ايات الله ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ اى جنسه بدليل اكثرهم الآتى ﴿ضُرٌّ دَعَانَا﴾ عطف على اذا ذكر الله وحده بالفاء السّببيّة للدّلالة على انّهم يجعلون اشمئزاز قلوبهم عن ذكره تعالى سببا للألتجاء اليه وما ذلك الاّ تناقض منهم لانّ السبب الصالح له هو الأنقياد وما بينهما اعتراض لأنكار تناقضهم ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ اعطيناه ﴿نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ راجع الى النّعمة لانها بمعنى الأنعام ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ من الله بانّ اهل له ﴿بَلْ هِيَ﴾ اى النّعمة ﴿فِتْنَةٌ﴾ امتحان له ايشكر ام يكفر ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا﴾ اى كلمة انّما اوتيته على علم ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠)﴾ من متاع الدّنيا ﴿فَأَصَابَهُمْ﴾ جزاء ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ من الأعمال ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ﴾ للبيان ﴿هَؤُلاَءِ﴾ المشركين ﴿سَيُصِيبُهُمْ﴾ جزاء ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ كما اصاب من قبلهم ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١)﴾ اى فائتين عذابنا فقحطوا سبع سنين ثم وسّع عليهم ولذا قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيّق لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾ بانّ الكلّ من الله ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ المؤمنين بقرينة الأضافة ﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ فى المعاصى ولتضمنه معنى الجناية تعدى بعلى فى قوله ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا﴾ تيأسوا ﴿مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ مغفرته وتفضّله ﴿إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ولو بعد التعذيب مدة فيمن سبق عليه الكتاب ان لم يتب لكن ما عدا الشّرك فانّه لا يغفر الاّ بالتّوبة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)﴾ فى الحديث: «ما احبّ ان يكون الدّنيا لى وما فيها بها»[2] اى بهذه الآية. فالقاضى استدلّ به وبوجوه آخر على انّها غير مشروطة بالتوبة فراجعه ﴿وَأَنِيبُوا﴾ ارجعوا

---

[1] - سورة السجدة: ١٧

[2] - مسند الإمام احمد

﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ اخلصوا العمل ﴿لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤)﴾ تمنعون من عذابه استيناف غير معطوف على يأتيكم بقرينة عدم سقوط النّون ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ وهو القرآن ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥)﴾ بمجيئه فتداركون كراهة ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا﴾ اصله حسرتى اى ندامتى ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ اى فى حقه وطاعته ﴿وَإِن﴾ مخففة فى موضع الحال من فاعل فرطت اى وانّى ﴿كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦)﴾ المستهزئين بدينه وكتابه ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ بالارشاد الى الحقّ ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧)﴾ الشرك او عذابه ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجعة الى الدّنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)﴾ ولما تضمن قول لو انّ الله هدانى نفى الهداية ردّه تعالى بقوله ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ القرآن وهى سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشّريك والولد اليه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)﴾ عن الأيمان بلى ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشّرك ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ اى بسبب فلاحهم وظفرهم بالمطلوب مفعلة من الفوز ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١)﴾ حال اواستيناف لبيان المفازة ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ حتى الشّرك والكفر خلافا للمعتزلة فى نسبة خلقهما الى العبد ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢)﴾ يتولّى التّصرف فيه ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اى مفاتيحهما لا يتمكّن من التصرف فيها غيره كما يستفاد من تقديم له جمع مقليد او مقلاد من قلدته اى الزمته وهو كناية عن قدرته وحفظه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣)﴾ معطوف على قوله وينجّى الله الّذين اتقوا عطف مقابل على مقابل وماينهما اعتراض للدلالة على انّه مطّلع على افعال العباد مجازعليها ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي﴾ اعتراض للدّلالة على انّهم امروه عقيب هذه الدّلائل وغير مفعول ﴿أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من المرسلين والله ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾

فرضا وافراد الخطاب باعتبار كلّ واحد من الموحى اليهم ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ان متّ على الشرك فانّ احباط عمل المرتد مقيّد به ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)﴾ من عطف المسبب على السبب ﴿بَلِ اللَّهَ﴾ وحد ﴿فَاعْبُدْ﴾ ردّ لما امروه به كما يفيده الأختصاص المستفاد من التقديم ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)﴾ انعامه عليك ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ اى ما عظموه حقّ عظمته حيث اشركوابه غيره ويجعل حالا من مفعول قدروا الله قوله ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً﴾ حال اى السبع ﴿قَبْضَتُهُ﴾ مقبوضة له اى فى ملكه وتصرّفه وتخريبها اهون شئ عليه ﴿يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾ مبتدأ وخبر عطف على الجملة الحالية قبلها ﴿بِيَمِينِهِ﴾ بقدرته متعلّق بمطويّات او حال من ضميره ﴿سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾ معه ولمّا قرّر كمال عظمته بماسبق ذكره اردفه طريقا آخر دالا عليه ايضا فقال ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ المرّة الأولى وقد مرّ بيانه فى سورة قد افلح ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاءَ اللَّهُ﴾ اى خروا ميّتا او مغشيا عليهم على انّها عين نفخة الفزع المذكورة فى سورة النّمل[1] فعنى هذا النفخ الصعق ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ الصّور نفخة ﴿أُخْرى﴾ بعد اربعين يوما او شهرا او سنة ﴿فَإِذا هُمْ قِيامٌ﴾ من قبورهم ويجعل حالا من ضميره ﴿يَنْظُرُونَ (٦٨)﴾ يقلّبون ابصارهم فى الجوانب كالمبهوتين حال ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ اضائت ﴿بِنُورِ رَبِّها﴾ حين يتجلّى لفصل القضاء والمراد بنوره عدله المبسوط حينئذ سمّاه نورا لانّه يزيّن البقاع ويظهر الحقوق او نور يخلقه لا بتوسط اجسام مضيئة فعلى هذا الاضافة لأدنى ملابسة لانّه غير قائم به تعالى بخلاف الاوّل ﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ﴾ اى صحايف الأعمال بايدى اصحابها للحساب فاكتفى باسم الجنس عن الجمع ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَداءِ﴾ للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين العباد ﴿بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩)﴾ شيئا ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿ما عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِما يَفْعَلُونَ (٧٠)﴾ فلا يفوته شئ من افعالهم ثمّ فصّل التّوفية بقوله ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعنف ﴿إِلى جَهَنَّمَ زُمَراً﴾ افواجا متفرقة

---

[1] - آية: ٨٧

بحسب تفاوتهم فى الضّلال ﴿حَتَّى﴾ استينافية لا تعلق لما بعدها بما قبلها من حيث الاعراب فى كلّ موضع دخلت على اذا ﴿إِذَا جَاؤُوهَا﴾ وجواب اذا ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ حين الوصول اليها ليدخلوها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ توبيخا ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ اى من جنسكم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ﴾ اى وقتكم ﴿هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ اى قضائه الشقاوة او لأملئنّ جهنّم الآية ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)﴾ اى علينا والاظهار للدّلالة على اختصاص ذلك بالكفرة ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ايهم القائل لتهويل مايقال لهم ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢)﴾ جهنّم ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ بحسب تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلوّ الطّبقة ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا﴾ حذف جواب اذا وجعل ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ حالا للدلالة على انّ لهم من الكرامة والتعظيم مالا يحيط به الوصف وانّ ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها منتظرين ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ فلا يلحقكم بعد مكروه ﴿طِبْتُمْ﴾ طهرتم من دنس المعاصى ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)﴾ الفاء للدّلالة على انّ طبتم سبب لدخولهم وخلودهم وهولا يمنع دخول العاصى بعفوه او الشفاعة كما زعمت المعتزلة لانّه يطهّره ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ بالجنّة ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ التّعريف للعهد الخارجىّ اى مقرّ كل واحد منّا فيها اذ لكلّ من ارضها ماهو مقرّه ومثواه ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ننزل ﴿مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ اى يتبوّأ كلّ منّا فى اىّ مقام اراد من جنّته الواسعة فاحد منّا لا يحتاج الى مكان غيره ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤)﴾ الجنّة ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ﴾ محيطين حال منهم لانّ الرأية بصريّة ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ من مزيدة كما عند الأخفش او ابتدائيّة على معنى انّ ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله ويجعل حالاثانية منهم ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ ملتبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ اى يقولون سبحانالله وبحمده ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ اى بين جميع الخلق ﴿بِالْحَقِّ﴾ اى العدل فيدخل المؤمنون الجنّة والكافرون النّار ﴿وَقِيلَ﴾ من جهة المؤمنين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)﴾ على ما قضى بيننا بالحقّ.

سورة غافر

مكية إلاّ (الّذين تجادلوا) الآيتين وهي خمس وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حٰمٓ (١)﴾ متشابه ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ اى القرآن مبتدأخبره ﴿مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ مصدر كالتّوبة وصف الجلالة بهما لكون اضافتهما معنويّة اذ لم يرد بها زمان مخصوص وتوسيط العاطف بينهما دون باقى الصّفات لافادة الجمع بين محو الذّنوب وقبول التّوبة او تغاير موقع الفعلين بان يكون الغفران الّذى هو الستر مع بقاء الذّنب بالنّسبة الى من لم يتب من اصحاب الكبائر والقبول بالنّسبة الى التّائبين منهم ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ بمعنى اسم الفاعل الّذى لم يرد به زمان مخصوص اى مشدّده فاضافته ايضا معنويّة وان كانت اضافه الصفة المشبهة لفظيّة دائما ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ اى الفضل بترك العقاب المستحقّ وفى توحيد صفة العذاب وتوسيطها بين صّفات الرّحمة دليل على انّ جانب الرّحمة والكرم ارجح واوسع وان العقاب انّما يكون بالعرض ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ فيجب الأقبال الكلىّ على عبادته ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣)﴾ فيجازى المطيع والعاصى ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ﴾ القرآن الّذى حقّق انه من عنده بان يطعن فيه ﴿إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كاهل مكّة ﴿فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاَدِ (٤)﴾ للمعاش سالمين فان عاقبتهم النّار ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ اى بعد قوم نوح ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ بالاسر والحبس ليتمكّنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب واهلاك ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا﴾ يزيلوا ﴿بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالاهلاك جزاء لهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)﴾ اى عقابى لهم اى هو واقع موقه ﴿وَكَذَلِكَ﴾ حقّا اى مثل ما حقّ على اولئك ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ اى وعيد بالأملأن جهنّم او حكمه الازلىّ

بالعذاب ﴿على الذين كفروا﴾ من قومك ﴿أنهم أصحاب النار (٦)﴾ بدل من كلمة ﴿الذين يحملون العرش﴾ الآن وهم اربعة احدهم بصورة الملائكة والثانى الثور والثالث البشر والرابع الاسد او يوم القيامة وهم ثمانية وهو اشراف الملائكة واكابرهم ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ اى حول العرش وهو الكروبيون عطف على الّذين وهومبتدأ خبره ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ ملتبسين ﴿بحمد ربهم ويؤمنون به﴾ عن بصيرة واستدلال بقرينة المدح لا عن مشاهدة كما قالت المجسّمة اذ لا مدح فيه حينئذ اخبر عنهم بالأيمان مع ظهوره سيّما بعد الأخبار بانّهم يسبحون اظهارا لفضله وتعظيما لاهله وسوق الآية لهذا التّعظيم كماصرّح به بقوله ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ حتّى لاصحاب الكبائر فهم ايضا داخلون تحت استغفارهم وشفاعتهم وبيّن الاستغفار بقوله ﴿ربّنا﴾ اى يقولون ربّنا ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ منصوبان على التّميز اى وسعت رحمتك وعلمك كل شئ عدل عنه للمبالغة فى العموم ﴿فاغفر للذين تابوا﴾ من الشرك ﴿واتبعوا سبيلك﴾ دين الاسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧)﴾ اى احفظهم عنه صرّح به للتّاكيد ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُم وَمَنْ صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ ايّاها ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ﴾ الّذى لا يمتنع عليه مقدور ﴿الحكيم (٨)﴾ الّذى لا يفعل الاّ على مقتضى حكمته ومنه الوفاء بالعهد ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ اى المعاصى فى الدّنيا ﴿ومن تق السيئات يومئذ﴾ اى فى الدّنيا ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ فى الآخرة ﴿وذلك هو الفوز العظيم (٩) إنّ الّذين كفروا يُنَادَوْنَ﴾ من قبل الملائكة وهم ماقتون لانفسهم حين معاينة جزاء اعمالهم ﴿لمقت الله﴾ ايّاكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ ظرف لمقتكم الله الدّال عليه لمقت الله لا له للفصل باجنبى وهو الخبر ﴿تدعون إلى الإيمان﴾ فى الدّنيا ﴿فتكفرون (١٠) قالوا ربّنا أمتّنا اثْنَتَيْنِ﴾ اماتتين اماتت النّطفية واماتة انقضاء الاجل او هذه والّتى فى القبر بعد الأحياء للسّؤال ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ احيائين الاحياء فى اوّل النشأة او فى القبر واحياء البعث ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث واغترارنا بالدّنيا ﴿فهل إلى خروج﴾ اى نوع خروج فالتنكير للنّوعية ﴿مِنْ

سبيلٍ (١١)﴾ طريق فنسلكه يقولونه تحيّرا لفطر قنوطهم ولذلك اجيبوا بقوله ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الّذى انتم فيه ﴿بِأَنَّهُ﴾ اى بسبب انّه فى الدّنيا ﴿إِذَا دُعِىَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِ﴾ اى يجعل له شريكا ﴿تُؤْمِنُوا﴾ بالاشراك ﴿فَالْحُكْمُ﴾ فى تعذيبكم ﴿لِلَّهِ الْعَلِىِّ﴾ على خلقه ﴿الْكَبِيرِ (١٢)﴾ فيحكم على من يشرك به ﴿هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل توحيده وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ بالمطر لمعاشكم ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ بالآيات ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ (١٣)﴾ يرجع من الانكار الى تفكّرها ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤)﴾ اخلاصكم وشق عليهم ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ اى مرتفع درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال او رافع درجات المؤمنين فى الجنّة خبر لقوله هوالّذى آه وكذا ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكه و ﴿يُلْقِى الرُّوحَ﴾ اى الوحى وهو الكلام الخفىّ الّذى القاه الله الى الأنبياء بواسطة الملك ويسمّى روحا لكونه سببا لحيوة القلب وجاء بمعنى الاشارة والكتابة والرّسالة والألهام ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بيان للوحى لانّه امر بما هو خير للمكلّف ﴿عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ﴾ الملقى عليه النّاس ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥)﴾ يوم القيامة يتلاقى اهل السّماء والأرض والعابد والمعبود والظّالم والمظلوم فيه ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ﴾ خارجون من قبورهم بدل او ظرف للتّلاق ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ استيناف لتقريرهم بارزون يقال لهم حينئذ ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فيقول المؤمنون تلذّذا والكافرون تحسّرا ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)﴾ يحاسب الخلق فى نحو نصف نهار من ايام الدّنيا وقيل السّائل والمجيب هو الله نفسه ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ اى القيامة سمّيت به لأزفها اى قربها لانه من ازف اى قرب ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ فانها ترتفع عن اماكنها فتلصق بحناجرهم ولا تعود ولا تخرج فيستريحوا ﴿كَاظِمِينَ﴾ ممتلئين غما لايقدرون على شرحه فيحصل له نوع خفة حال من القلوب عوملت بالجمع بالياء والنّون معاملة اصحابها ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ قريب مشفق ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨)﴾

اى يجاب ويقبل شفاعته كما زعموا ﴿يَعْلَمُ﴾ اى الله فهو ايضا خبر عن قوله هو الّذى آه وما قبله وقع استطرادا ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ اى النّظرة الخائنة كاسترق النظر الى غير المحرم ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩)﴾ اى القلوب لا يخفى عليه مثقال ذرّة ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ فكيف يكونون شركاء لله وهو تهكم بهم لانّ الجماد لا يقال فيه انه يقضى اولا يقضى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)﴾ ولمّا خوّفهم باحوال الآخرة اتبعه تخويفهم باحوال الدّنيا فقال ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من القلاع والمدائن الحصينة ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١)﴾ يحفظهم من عذابه ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأخذ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرة ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ المعجزات ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣)﴾ برهان بيّن ظاهر ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾ خصّهم لانّهم كانوا مدبرى القوم ﴿فَقَالُوا﴾ هو ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ كماكنتم تفعلون بهم اوّلا ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)﴾ اى ضياع والأتيان بالظّاهر لتعميم الحكم والدّلالة على العلّة ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ لانّهم كانوا يكفّونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه منّى ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ ان لم اقتله ﴿أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ اى يغيّر ما انتم عليه من عبادتى وعبادة الاصنام ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)﴾ من التّحارب وغيره ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلّية ﴿وقال موسى﴾ لقومه لمّا سمع كلامه ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ من اقاربه قيل ابن عمّه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ اى تقصدون قتله ﴿أَنْ﴾ اى لان ﴿يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ وحده ﴿وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ المعجزات الدّالة على صدقه ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ اى ضرر كذبه لا يتحازه حتى يحتاج فى دفعه الى قتله ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم

بعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ به وهو عذاب الدّنيا فانّه كان يعدهم عذاب كلا الدّارين فخصّ عذاب الدّنيا لكونه اظهر احتمالا عندهم وكافيا فى تخويفهم من قتله ويجوز ان يكون البعض بمعنى الكلّ ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ بالشرك ﴿كَذَّابٌ (٢٨)﴾ فلو كان موسى كذلك لما هداه الى اقامة المعجزات وفيه تعريض لفرعون بانّه بهذا الوصف فلا يهديه الله ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غالبين حال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ارض مصر ﴿فَمَنْ يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ﴾ اى عذابه ان قتلتم اوليائه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ اى لا ناصر لنا ادرج نفسه معهم للقرابة وليؤثّر نصحه بايهامهم انّه معهم فى خيرهم وشرهم ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى﴾ اى ما اشير اليكم الاّ ما استصوبه وهو قتل موسى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)﴾ طريق الصّواب ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ فى تكذيبه والتعرض له ﴿مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ (٣٠)﴾ اى مثل ايّام الامم الماضية ويبدل منه ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ اى مثل جزاء عادتهم وشأنهم من الكفر وايذاء الرّسل ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١)﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب فانّما اهلك هؤلاء لاستحقاقهم ايّاه بذنوبهم ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢)﴾ يوم القيامة ينادى بعضهم بعضا للاستغاثة ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ﴾ عن الموقع ﴿مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين عنه الى النّار ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ يعصمكم من عذابه ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ بن يعقوب على انّ فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء الى الأولاد لما قيل انّ فرعونه كان ريّان وفرعون موسى مصعب بن ريّان وكان بينهما اكثر من اربعمأية سنة او المراد به يوسف بن ابراهيم بن يوسف ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ اى قبل موسى ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ من الدّين ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾ مات ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ ضمّا الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده ﴿كَذَلِكَ﴾ اضلالا مثل ذلك الاضلال ﴿يُضِلُّ اللهُ﴾ فى العصيان ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤)﴾ شاك فيما يشهد به البيّنات ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ

سُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿أَتَاهُمْ﴾ بدل من من لانّه بمعنى الجمع وافراد ضميره فى ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ باعتبار اللّفظ كما يعتبر اوّلا فى هو ويجوز ان يكون الّذين مبتدأ وكبر خبره وضميره يرجع الى جدالهم المفهوم من يجادلون ﴿كَذَلِكَ﴾ اى مثل ضلالهم ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ يختم بالضلال ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥) وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لوزيره ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ بناء عاليا ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦)﴾ الطرق ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ بيان لها تفخيما لشأنها بالايضاح بعد الأبهام ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ منصوب فى جواب التّرجى ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ لعلّه اراد ان يبنى له رصدا فى موضع عال يرقب منه احوال الكواكب الّتى هى اسباب سماوية تدلّ على الحوادث الارضيّة فيرى هل فيها ما يدلّ على ارسال الله ايّاه لا انّه اراد ان يطلع الى الله كما ذهب اليه بعض اهل التّفسير وذكر حكاية طويلة فى كيفية بناء الصّرح لانّ فرعون لم يكن من المجانين حتّى يطلب ماهو بديهى الأمتناع ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ فى دعوى الرّسالة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التّزيين ﴿زُيِّنَ﴾ من قبل الله بالحقيقة والشيطان بالواسطة ﴿لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ اى سبيل الرّشاد ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧)﴾ خسار ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ اى مؤمن آل فرعون المذكور ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ تمتع يزول ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ عدلا من الله ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ ولوواحدا من الصالحات ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ﴾ حال ﴿مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ وان ارتكب معه الكبيرة فانّها معفوّة اما ابتداء او بعد العقاب بمثلها ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)﴾ بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولا يخفى مافى هذا الاسلوب من تغليب جانب الرّحمة والتّفصيل فى القاضى ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١)﴾ ويبدل منه او يجعل بيانا له ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ وفيه تعليل لمتبوعه لانّ الكفر ما ادّى لخلود النّار والدعاء كالهداية يتعدى بالى واللاّم ﴿وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ﴾ اى بربوبيّته ﴿عِلْمٌ

وَأنا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢)﴾ اى المستجمع للصفة الألوهيّة من القدرة على التعذيب والغفران ﴿لاَ جَرَمَ﴾ فعل بمعنى حقّ وفاعله قوله ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ﴾ بالموت ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ فى الضّلالة والطّغيان كسفك الدماء ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)﴾ دائما ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ اى يذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ من النّصيحة ولمّا قال هذا توعّدوه وخوفوه بالقتل فقال ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ﴾ ليعصمنى من كلّ سوأ ﴿إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)﴾ فيحرسهم ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ شدائد مكرهم ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥)﴾ الغرق ثمّ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ اى يحرقون بها ارواحا فانّها فى اجوف طير سود تعرض على النّار ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ اى فى هذين الوقتين واما فيما بينهما فينفس عنهم او يعذبون بنوع آخر ويحتمل ان يكون ذكرهما كناية عن الدوام والجملة استيناف دال على دوام عذاب القبر هذا ما دامت الدّنيا ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يقال لهم: ﴿أَدْخِلُوا﴾ يا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾ عذاب جهنّم فانّه اشدّ ممّا كانوا فيه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَتَحَاجُّونَ﴾ يتخاصمون ﴿فِي النَّارِ﴾ فصّله بقوله ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ نحن وانتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن انفسنا شيئا ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨)﴾ فادخل المؤمنين الجنّة والكافرين النّار ولا معقّب لحكمه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ اى قدر يوم ﴿مِنَ الْعَذَابِ (٤٩)﴾ فهو بيان للمفعول المقدّر اى شيئا ﴿قَالُوا﴾ اى الخزنة الزاما لهم وتوبيخا ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا﴾ انتم فانّا لا نشفع لكافر ثم صرّحوا بانّه لا اثر لدعائهم فقالوا ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ (٥٠)﴾ ضياع لايجاب قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالحجّة والظّفر والانتقام لهم من الكفرة وان جعلناهم مغلوبين على النّدرة امتحانا اذ العبرة بالعواقب ﴿فِي

حياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد (٥١)﴾ اى فى الدّارين جمع شاهد وهم الملائكة والأنبياء والمؤمنون القائمون للشهادة على النّاس ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ لانها باطلة او لانّه لا يؤذن لهم فيعتذرون بدل من يوم قبله ﴿ولهم اللعنة﴾ البعد من الرّحمة ﴿ولهم سوء الدار (٥٢)﴾ الآخرة اى شدّة عذابها ولمّا ذكر انّه ينصر الأنبياء والمؤمنين ذكر نوعا من تلك النّصرة فقال ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ ما يهتدى به فى الدين من التّورية والمعجزات ﴿وأورثنا بني إسرائيل﴾ من بعد موسى ﴿الكتاب (٥٣)﴾ التوراة ﴿هدى وذكرى﴾ اى هاديا ومذكّرا ﴿لأولي الألباب (٥٤)﴾ لاصحاب العقول السليمة ﴿فاصبر﴾ يامحمّد على اذى المشركين ﴿إن وعد الله﴾ بالنّصر ﴿حق﴾ لا يخلفه كما يشهد له حال موسى وفرعون ﴿واستغفر لذنبك﴾ اى اقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الأولى وقيل لذنب امّتك فى حقك وقيل هو تعبّد من الله لرسوله ليزيد به درجته ويصير سنّة لمن بعده ﴿وسبح﴾ ملتبسا ﴿بحمد ربك بالعشي والإبكار (٥٥)﴾ اى دم على التّسبيح والتحميد لربّك وقيل المراد الصّلوات الخمس ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ عام فى كلّ مجادل مبطل وان نزلت فى مشركى مكة ﴿إن﴾ ما ﴿في صدورهم إلا كبر﴾ تكبّر وطمع ان يعلوا عليك بالرّياسة ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ اى بالغى ما يطمعون فيه ﴿فاستعذ بالله﴾ اى التجئ اليه ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦)﴾ لاقوالهم وافعالهم ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ فمن قدر على خلقهما ابتداء من غيراصل قدر على خلق الأنسان ثانيا من اصل وهو الأعادة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٥٧)﴾ لانّهم لفرط غفلتهم لا يتأمّلون ﴿وما يستوى الأعمى﴾ الغافل ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ اى المتبصّر فينبغى ان يكون لهم حال يظهر فيه التفاوت وهى فيما بعد البعث فهو احتجاج آخر على حقّيته ﴿و﴾ لا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلاَ الْمُسِيءُ﴾ اى ولا المحسن والمسئ والعطف مع الأتحاد ذاتا للدّلالة على الوصف المقصود صراحة ﴿قَلِيلًا مَا﴾ اى تذكّرا قليلا ﴿تتذكرون (٥٨)﴾ يتّعظ الكفّار ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا﴾ اى فى

مجيئها ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩)﴾ بها ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ اى اعبدونى اثبكم بقرينة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)﴾ اى صاغرين وان فسّر الدّعاء بالسؤال كان المراد بالعبادة الدّعاء ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا﴾ اى تستريحوا ﴿فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ اى يبصر فيه فاسناد الأبصار اليه مجاز للمبالغة ولذلك عدل عن التّعليل الى الحال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١)﴾ لجهلهم بالمنعم ﴿ذَلِكُمُ﴾ المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهيّة والرّبوبيّة ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ اخبار مترادفة لاسم الاشارة يخصّص كلّ سابقه ويقرّره ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢)﴾ فكيف تصرفون من عبادته الى عبادة غيره ﴿كَذَلِكَ﴾ اى مثل افك هؤلاء ﴿يُؤْفَكُ﴾ اى افك فالعدول الى المضارع لحكاية الحال الماضية ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفا ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ﴾ اى المتفرد بالحيوة الذّاتية ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾ اى اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك قائلين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾ اى دلائل التّوحيد ﴿مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ باعتبار آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ اى اطفالا والتّوحيد لارادة الجنس ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ تكامل قوتكم من ثلثين سنة الى اربعين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ اى قبل الاشتداد والشيوخة ﴿وَ﴾ يفعل ذلك بكم ﴿لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى﴾ وهو وقت الموت او القيامة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧)﴾ مافى ذلك من الحجج والعبر ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ اى اراده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩)﴾ عن التّصديق كرّر ذمّ المجادلة للتّاكيد ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ اى القرآن ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من

سائر الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠)﴾ جزاء تكذيبهم ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ ظرف ليعلمون لانّه بمعنى اذا الاستقبالية اتى به للدّلالة على تحقّقه ﴿وَالسَّلاسِلُ﴾ عطف على الاغلال ويجعل حالا ﴿يُسْحَبُونَ (٧١)﴾ يجرّون ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ اى جهنّم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢)﴾ يوقدون ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ وذلك قبل ان تقرن بهم آلهتهم ﴿بَلْ﴾ تبيّن لنا انا ﴿لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ فانّهم ليسوا شيئا يعتدّ بهم ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل اضلال هؤلاء المكذّبين ﴿يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ (٧٤)﴾ ومن جملة ما يقال لهم ﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ عدل الى الخطاب للمبالغة فى التّوبيخ ﴿تَفْرَحُونَ﴾ تبطرون ﴿فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وهو الشرك والطّغيان ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥)﴾ توسعون فى الفرح ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦)﴾ عن الحقّ جهنّم ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ باهلاك الكفّار ﴿حَقٌّ﴾ كائن لا محالة ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فى حيوتك ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ كالقتل والاسر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل ان تراه ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧)﴾ فنعذّبهم اشدّ العذاب وهو جواب نتوفينّك وجواب نرينّك محذوف اى فذاك ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ اذ عدد الانبياء مأية الف واربعة وعشرون الفا والرّسل منهم ثلثمأية وثلاثة عشر والمذكور قصصهم فى القرآن ثمانية وعشرون ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ معجزة ﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ بنزول العذاب على الكفّار ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ بين الرّسل ومكذّبيهم بانجاء المحقّ وتعذيب المبطل ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الدر والوبر والصّوف ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ وهى حمل الأثقال الى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ فى البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ فى البحر ﴿تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ الدّالة على كمال قدرته ورحمته ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ﴾ استفهام توبيخ منصوب بقوله ﴿تُنْكِرُونَ (٨١)﴾ فانّها لظهورها لاتقبل الأنكار لم يقل ايّة لانّ الفرق بالتّاء فى الاسماء

الجامدة غريب لاسيّما ايّ فانّه موضوع للأبهام لا يقصد فيه التميز اصلا فالتفرقة فى غاية البعد وان جاء على قلة ﴿أفلمْ يسيرُوا فى الأرْض فينظرُوا كيْف كان عاقبةُ الّذين مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وأشدَّ قُوَّةً وآثارًا فى الأرْضِ﴾ ما بقى منهم من القصور والمصانع ونحوهما ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)﴾ ما الأولى نافية او استفهاميّة منصوبة باغنى والثّانية موصولة او مصدرية مرفوعة به على الفاعلية ﴿فلمّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ اى العقائد الزائغة واستحقروا علم الرّسل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ شدة عذابنا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤)﴾ من الأصنام ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ لأمتناع قبولهم حينئذ الفاء فى فما اغنى للنّتيجة لقوله كانوا اكثر منهم وفى فلماّ جائتهم لتفسيرها وفى الأخيرين لتسبّب رأية البأس عن مجئ الرّسل وامتناع نفع الأيمان عن الرأية ﴿سُنَّةَ اللهِ﴾ نصبه على المصدر بفعل من لفظه والأصل سنّ الله عدم قبول الأيمان وقت رأية العذاب سنّة ﴿الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ﴾ اى الأمم الماضية كلّها ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ اى وقت رؤيتهم البأس فهو مستعار من الاشارة الى المكان للاشارة الى الزّمان ﴿الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾ اى تبيّن خسرانهم لكلّ واحد وهم خاسرون فى كلّ وقت.

* * *

سورة فصلت

مكيّة وايها ثلاث وخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حٰمٓ (١)﴾ متشابه ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (٢)﴾ مبتدأ لتخصّصه بالصفّة خبره ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ لفظا ومعنى ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على المدح اوحال من مرفوع فصّلت وفيه امتنان لسهولة قرائته وفهمه ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣)﴾ صفة ثانية لقرآنا وكذا ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ للعاملين به والمخالفين له ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن تدبّره ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤)﴾ سماع قبول ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ اغطية جمع كنان ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل وصمم ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ يمنعنا عن التّواصل ﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥)﴾ على ديننا ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ اى لست ملكا ولا جنيا حتى لا يمكنكم التّلقى منه ولا ادعوكم الى ما يبعد عنه العقول بل انّما ادعوكم الى التّوحيد والاستقامة الدّال عليهما دلائل العقل والنّقل ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ اى استووا اليه بالتّوحيد والأخلاص فى العمل ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من سوأ عقيدتكم وعملكم ثمّ هدّد على ذلك فقال ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦)﴾ من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وفيه دليل انّهم مكلّفون بالفروع ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تاكيد ﴿كَافِرُونَ (٧)﴾ حال مشعرة بانّ امتناعهم عن الزّكوة لاستغراقهم فى الدّنيا وانكارهم للآخرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨)﴾ اى لا يمنّ به عليهم او لا يقطع ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ اى مافى جهة السفل من العناصر الأربعة ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ اى قدرهما او نوبتين على طريق ذكر الملزوم وارادة اللاّزم بان خلق فى النّوبة الأولى هولا واصلا مشتركا ثمّ خلق لها فى

النّوبة الثانية صورا جسمية ونوعية بها صارت انواعا متمايزة وذلك لعدم تحقّق اليوم قبل خلق الأرض وان كان خلقها متأخّرا عن خلق السّموات لانّ طلوع الشّمس وغروبها المتحقّق بهما اليوم لايكونان بدون الأفق وهو لا يكون بدون الأرض ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿ذَٰلِكَ﴾ الّذى خلق الارض فى يومين ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩)﴾ خالق جميع ماوجد من الممكنات ومربيّها ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت تمنعها من الميلان والجملة استيناف غير معطوف على خلق للفصل بماهو خارج عن الصّلة ﴿مِن فَوْقِهَا﴾ صفة رواسى اى مرتفعة عليها ليعلم الناظر انّ وضع الثّقيل على الثّقيل لاثباته لا تحته كالاسطوانة على ماهو المتعارف انّما هو فعل قادر حكيم ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾ بكثرة المياه والزّروع والحيوان ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ للنّاس والبهائم ﴿فِي﴾ تتمة ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ ولم يقل فى يومين للاشعار باتّصالهما للبومين الأوّلين ﴿سَوَاءً﴾ اى منصوب على المصدر اى استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص فالجملة صفة ﴿لِّلسَّائِلِينَ (١٠)﴾ متعلّق بمحذوف اى هذا الحصر للسّائلين عن مدّة خلق الأرض وما فيها ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ قصد نحوها قصدا يليق بذاته من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجّه اليه توجّها لا يلوى على غيره وقد مرّ فى اوّل البقرة[1] معنى التّراخى فى ثمّ هذه ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ اى امر ظلمانىّ عديم النّور شبه الدّخان فى بادى النظر لا دخان ناريّ حقيقة ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا﴾ ليس بمعطوف على استوى حتى يكون الأمر بالاتيان ارادة ايجاد موجود بالنّسبة الى الارض بل على مقدّر ومفعول الأمر محذوف اى فخلقها فقال لها وللأرض بعد خلق ذاتهما ائتيا اى ابرزا ما اودعتكما من الأوصاف كتأثير العلويّات فى السّفليات وتأثر هذه من تلك وتبدّل او ضاع الأولى وكيفيات الثّانية وما يتفرّع عليها من الكائنات المتنوّعة وفى القاضى تاويلات اخر ايضا فراجعه ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ اى شئتما ذلك او ابيتما فهما مصدران فى موضع الحال اى طائعتين او مكرهتين ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)﴾

---

[1] - آية: ٢٩

اى منقادين بالذّات لا بالمشية والأختيار ولعلّ الكلام من قبيل الاستعارة التّمثيليّة على تشبيه تأثير قدرته فيهما بالأمر وتأثرهما عنها بالجواب ولا بعد فى ان يكون الأمر والجواب بعد ما خلق الحيوة والعقل فيهما وعلى التّقديرين جمع العقلاء الذّكور لتنزيلهما بالخطاب منزلتهم ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ اى خلقهنّ والضمير للسماء لانّه فى معنى الجمع ﴿سَبْعَ سَمٰوَاتٍ﴾ حال ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ اى قدرهما وفى الحديث انّه تعالى خلق الأرض فى الأحد والأثنين وسائر مافيها فى يوم الثّلثة والأربعاء والسّموات ومافيها فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة منها وخلق فيها آدم وهى السّاعة الّتى تقوم فيها القيامة والظّاهر انّ المراد انّه خلق العالم فى مدّة لو حصل فيها فلك وشمس لكان مبدأ تلك المدّة اوّل يوم الأحد وآخرها آخر يوم الجمعة ﴿وَأَوْحَى فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ شأنها ومايتأتّى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ بنجوم اذ كلّها ترى كانّها تتلألأ عليها ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بفعله المقدّر اى حفظناها حفظا من الآفات او من المسترقة ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)﴾ اى البالغ فى القدرة والعلم ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الأيمان بعد هذ الشّأن ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ اى فحذّرهم ان يصيبهم عذاب شديد كانّه صاعقة ﴿مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ﴾ حال من صاعقة عاد ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ اى من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كلّ جهة ﴿أَلَّا﴾ تفسيرية بمعنى اى او مصدرية اى بان ﴿لَا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا﴾ ارسال الرسل ﴿لَأَنزَلَ﴾ علينا ﴿مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ على زعمكم ﴿كَٰفِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا﴾ لمّا خوّفوا بالعذاب اغترارا بشوكتهم ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ كان احدهم يقلع الصّخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث شاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)﴾ اى ينكرون مع علم وهو عطف على فاستكبروا وبينهما اعتراض لبيان السبب الدّاعى الى استكبارهم والرّد عليهم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة من الصرّ وهو البرد او شديدة الصوت بلا مطر من

الصّرير وهو التصوت ﴿فى أيّامٍ نحسات﴾ جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا ونحوسها باعتبار انّه تعالى ادام الرّيح فيها على وتيرة واحدة حتى اهلك القوم بها لا انّ بعض الأيام فى ذاتها نحس وبعضها سعد كما زعمت منجمون استدلالا بهذه الآية فانّ اجزاء الزّمان متساوية فى ذاتها لا تمايز بينها الاّ بحسب تمايز ماوقع فيه من الطّاعات والمعاصى ولا استدلال بالمحتمل قيل كنّ آخر شوّال من الأربعاء الى الأربعاء وما عذّب قوم الاّ فى يوم الأربعاء ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الخزى الذّل والهوان واضافة العذاب اليه من اضافة الموصوف الى الصّفة بقرينة قوله ﴿وعذاب الآخرة أخزى﴾ فانّ كون هذا اخزى يدلّ على انّ ذلك خزى وهو صفة المعذّب وصف به العذاب على الاسناد المجازىّ للمبالغة ﴿وَهُمْ لاَ يُنْصَرُونَ (١٦)﴾ بمنع العذاب عنهم ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ بيّنا لهم طريق الهدى ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ مصدر بمعنى الهوان وصف به العذاب مبالغة كما اضيفت الصّاعقة الّتى هى نوع منه اليه لذلك ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧)﴾ من اختيار الضّلالة ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)﴾ واذكر ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩)﴾ يحبس اوّلهم على آخرهم لئلاّ يتفرّقوا وهو عبارة عن كثرتهم ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠)﴾ حيث لم يجيزواشاهدا الاّ من انفسهم فيختم على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾ تعجّبا ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ اى ليس نطقنا بعجب من قدرة من انطق كلّ حىّ ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١)﴾ من تتمّة كلام الجلود او استيناف من الله كقوله ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عند ارتكاب الفواحش من ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ﴾ كماكنتم تسترون من النّاس عند ارتكابها مخافة الفضاحة ﴿وَلَكِنْ ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢)﴾ سرّا فاجترأتم على ارتكابها ﴿وَذَلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ بدل منه

وخبره ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ اى اهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ على العذاب ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ منزل ﴿لَهُمْ﴾ لاخلاص لهم عنها ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾ يطلبون العتبى اى الرّجوع الى ما يحبّون ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤)﴾ المجابين اليها ثمّ انّه ذكر السّبب الّذى به وقعوا فى الكفر بقوله ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ اى قدّرنا ﴿لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من امر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من امر الآخرة وانكاره ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ اى كلمة العذاب ﴿فِي أُمَمٍ﴾ اى جملة امم حال من الضّمير فى عليهم ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ﴾ اى الكفرة والأمم ﴿كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥)﴾ فلذلك استحقوا العذاب ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عند قرائة النّبى عليه السّلام ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ اى ايتوا باللغو ونحوه وصيحوا حين قرائته تشويشا على القارى ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦)﴾ فيسكت عن القرائة قال تعالى فيهم ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ جزاء ﴿أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧)﴾ اى اجزاء سيّات اعمالهم وقد سبق مثله فى سورة الزّمر.[1] ﴿ذَلِكَ﴾ اى جزاء الاسوأ مبتدأ خبره ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء ﴿لَهُمْ فِيهَا﴾ اى فى النّار ﴿دَارُ الْخُلْدِ﴾ اى هى نفسها دار اقامتهم لا انتقال منها فكلمة فى للتّجريد لا للظرفية وتحقيقه فى فنّ البديع جزوا ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨)﴾ اى يلغون اذ الجحود سبب اللّغة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فى النّار ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ اى شيطان النّوعين او ابليس وقابيل فانّهما سنّا الكفر والقتل ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ ندوسهما انتقاما منهما ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)﴾ مكانا او ذلاّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ على التّوحيد والعمل ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَلَّا﴾ اى بان لا فهى مصدرية ولا نافية او ناهية على خلاف او مخفّفة من الثقيلة ولا ناهية ﴿تَخَافُوا﴾ ما تقدمون عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)﴾ فى الدّنيا على لسان الرّسل

[1] - آية: ٣٥

﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نحملكم على الخير ونحفظكم فيها على عكس ما تفعل الشّياطين بالكفرة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والمتابعة حتّى تدخلوا الجنّة لا عداوة بيننا كالكفرة وقرنائهم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ فى الآخرة ﴿مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١)﴾ اى تمنّون من الدّعاء بمعنى الطلب ﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)﴾ حال ممّا تدّعون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ اى الى عبادته ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)﴾ تفاخرا به ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ فى حسن العاقبة ولا الثّانية مزيدة لتاكيد النّفى ﴿ادْفَعْ﴾ السّيئة ﴿بِالَّتِي﴾ اى بالخصلة الّتى ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ اى احسن ما يمكن دفعها به كالغضب بالصّبر والجهل بالحلم والاسائة بالعفو ﴿فَإِذَا﴾ للمفاجأة ﴿الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾ اى اذا فعلت ذلك يصير عدوّك كالصّديق الشّفيق ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ اى هذه الخصلة وهى مقابلة السيئة بالاحسان ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ من الخير وكمال اليقين ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ ان يصرفك عن هذه الخصلة وغيرها من الخير صارف فنزغ بمعنى نازغ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ من شرّه ولا تطعه ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لاستعاذتك ﴿الْعَلِيمُ (٣٦)﴾ بنيّتك ولما ذكر ان احسن القول الدّعاء الى الله والعمدة فيه تقرير الدّلائل شرع فى تقريرها فقال ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لانّها مخلوقات مثلكم ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ اى الآيات الأربع ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن السّجود له وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ اى الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ اى دائما بقرينة قوله ﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨)﴾ اى لا يملّون ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ يابسة بلا نبات مستعار من الخشوع بمعنى التّذلّل ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحرّكت ﴿وَرَبَتْ﴾ اى تزخرفت وانتفخت بالنبات ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ بعد الموت ﴿لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ يميلون عن الاستقامة ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ بالطّعن والتّحريف ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فنجازيهم على

الحادهم ﴿أَفَمَن يُلْقَى فِى النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَّن يَأْتِى آمِنًا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ اى القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ بدل من قوله انّ الّذين يلحدون اواستيناف بحذف الخبر اى هالكون ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ (٤١)﴾ اى كثير النّفع عديم النّظير او منيع لا يتأتى ابطاله فهو صفة كتاب وكذا ﴿لاَّ يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ اى لا يتطرّق اليه الباطل من جهة من الجهات فالكلام استعارة تمثيليّة وعلل اتصافه بالوصفين المذكورين بقوله ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾ التنكير للتّعظيم ﴿حَمِيدٍ (٤٢)﴾ يحمده كلّ احد على نعمه ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من قبل كفّار مكّة ﴿إِلاَّ﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لانبيائه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣)﴾ لاعدائهم ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ اى الذّكر ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ كما قالوا هلاّ انزل القرآن بلغة العجم ﴿لَّقَالُوا﴾ عائدين الى الاعتراض ﴿لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُۥ﴾ بيّنت بلسان نفقهه ﴿ءَأَعْجَمِىٌّ﴾ كلام ﴿وَعَرَبِىٌّ﴾ لا يفهم ويقال لذى هذا الكلام ايضا ﴿وَ﴾ مخاطب ﴿عَرَبِىٌّ﴾ انكار مقرّر للتخضيض التّوبيخىّ على ترك التّفصيل هذا ما اجمع عليه مفسّرون برمتهم وقال الامام هذا مخلّ بالنظم فالاظهر انّه جواب لقولهم قلوبنا فى اكنّة آه والمعنى انّا لو انزلناه بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف ارسلت الكلام العجمى الى القوم العرب على لسان النّبى العربى ففلوبنا فى اكنّة منه فلما نزّل بلغتهم لم يبق لذلك القول وجه ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى﴾ من الضّلالة ﴿وَشِفَآءٌ﴾ من الجهل والشكّ ﴿وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ خبره ﴿فِى ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ بتقدير هو بقرينة قوله ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فيكون المعنى هو عين الوقر والعمى لهؤلاء كما انّه عين الهدى لأولئك ﴿أُوْلَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ (٤٤)﴾ اى هم كالمنادى من ماكن بعيد لا يسمعون ما ينادى بهم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتّصديق والتكذيب كما فى القرآن ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء الى يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ باهلاك المكذّبين ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ اى المكذّبين به ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ اى القرآن ﴿مُرِيبٍ (٤٥)﴾ موقع الرّيبة ﴿مَّنْ

عملَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ نفعه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ ضرّه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾ اى ذى ظلم فيفعل بهم ما ليس له ان يفعل ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الاّ هو ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن﴾ زائد للاستغراق ﴿ثَمَرَاتٍ مِّن﴾ ابتدائيّة ﴿أَكْمَامِهَا﴾ اوعيتها جمع كمّ بالكسر ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ اى الاّ مقرونا بعلمه واقعا بسبب تعلّقه به فهو مستثنى مفرّغ من اعم الأحوال ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ نداء توبيخ ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ بزعمكم ظرف لقوله ﴿قَالُوا آذَنَّاكَ﴾ اى قلنا لك لانّ حقيقة الاعلام لا تتصوّر فى حقّه تعالى والأتيان بالماضى للدّلالة على انّهم قالوا ذلك حين حقيقة الحال قبل ان يناديهم ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧)﴾ اى من احد شهد لهم بالشّركة اذ تبرّأنا عنهم حين عاينّا الحال ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن قَبْلُ﴾ فلا ينفعهم ﴿وَظَنُّوا﴾ ايقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٤٨)﴾ مهرب ﴿لَا يَسْأَمُ﴾ يملّ ﴿الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ اى لايزال يطلب المال والصّحة وغيرهما ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشّدة ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩)﴾ من فضل الله ورحمته هذا وما بعده صفة الكافر لانّ المؤمن لا ييأس من فضل الله ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ بان فرّجناها عنه ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ اى استحقه بعملى وفضلى ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن﴾ لام توطئة القسم ﴿رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾ فرضا ﴿إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ اى الحالة الحسنى من الكرامة لاستحقاقى ايضا ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾ نخبرنّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ اى بحقيقة اعماله ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠)﴾ اللاّم فى الفعلين لام جواب قسم ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَأَىٰ﴾ اى بعد والباء فى ﴿بِجَانِبِهِ﴾ للتعدية اى ثنى عطفه وانحرف عن الشّكر متبخترا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١)﴾ كثير كالشئ العريض المتسّع ويفهم منه الطّول بطريق الاولى ولذا اختاره ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبرونى ﴿إِن كَانَ﴾ اى القرآن ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢)﴾ اى لا احد اضلّ منكم فوضع الموصول موضع الضمير لبيان حالهم من انّهم فى شقاق ومخالفة لله خلافا بعيدا عن

الوفاق ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ اى اقطار السموات والأرض من الثّمرات والنّبات والاشجار وما وقع على يد النّبى عليه السّلام من الفتح والغلبة على ممالك الشرق والغرب ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من عجائب الصّنع الدّالة على كمال القدرة ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ اى القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ المنزّل من الله فيعاقبون على كفرهم به وبالجائى به ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ الباء زائدة اى اولم يكف ربّك فى صدقك ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾ بدل من ربّك ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شكّ ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث والجزاء ﴿أَلَا إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)﴾ علما وقدرة لا يفوته شيء.

* * *

سورة الشورى

مكيّة إلاّ (قل لا اسألكم) الآيات الأربع وهي ثلث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حٰمٓ (١) عٓسٓقٓ (٢)﴾ متشابه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ اى ايحاء مثل ايحاء هذه السّورة ﴿يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ﴾ فاعل يوحى ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)﴾ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)﴾ استيناف مقرّر لعزّته وحكمته ﴿تَكَادُ السَّمٰوٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ يتشقّقن من عظمة الله بقرينة كون الأوصاف السّابقة مسوقة لبيان عظمته ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ اى يبتدى الأنفطار من جهة السّموات الفوقانية بان لا تبقى سماء الاّ سقطت على الأخرى ﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ بالسّعى فيما يدفع الخلل المتوقعة فيعم الحيوان بل الجماد او بالشّفاعة فيخصّ المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)﴾ اذما من مخلوق الاّ وهو ذو حظّ من رحمته والآية زيادة تقرير لعظمته ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ الأصنام ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ﴾ رقيب ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فيجازيهم ﴿وَمَا أَنتَ﴾ يامحمّد ﴿عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦)﴾ انّما عليك البلاغ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ اى ايحاء مثل ذلك الايحاء ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ اى اهل مكّة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من العرب وغيرهم بعذاب الله الثانى حذف للتهويل كما حذف الاوّل فى ﴿وَتُنذِرَ﴾ المذكورين ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ اى يوم القيامة لجمع الخلائق فيه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض على قول من يجوّزه فى آخر الكلام والاّ فهو حال من يوم الجمع ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ﴾ مبتدأ محذوف الخبر اى من المجتمعين فى الموقف الدّال عليهم الجمع فريق فى الجنّة ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)﴾ بعد جمعهم ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مهتدين او ضالين ﴿وَلٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية ﴿وَالظّٰلِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨)﴾ عدل عن ويدخل من يشاء فى سخطه الّذى

يقتضيه المقابلة الى الاسميّة الدّالة على الدّوام وعلية مأخذ الاشتقاق للحكم للمبالغة فى الوعيد ﴿ م ﴾ بل أ ﴿ ٱتَّخَذُوا۟ ﴾ الاصنام ﴿ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ والاستفهام للانكار اى ليس المتخذون اولياء ان ارادوا اولياء بحق ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٩) ﴾ كالتّقرير لكونه حقيقا بالولاية ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ ﴾ انتم والكفّار ﴿ فِيهِ مِن شَىْءٍ ﴾ من الدّين او الدّنيا ﴿ فَحُكْمُهُۥٓ ﴾ مفوّض ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ فيميز المحقّ من المبطل يوم الفصل بالأثابة والمعاقبة قل لهم ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) ﴾ ارجع ذلكم مبتدأ ومابعده اخبار له وكذا ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ اى من جنسكم ﴿ أَزْوَٰجًا ﴾ نساء ﴿ وَ ﴾ جعل ﴿ مِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ اى من جنسها ﴿ أَزْوَٰجًا ﴾ لها ﴿ يَذْرَؤُكُمْ ﴾ اى يكثّركم فيه تغليب النّاس على الانعام ﴿ فِيهِ ﴾ اى فى هذا التّدبير والجعل المذكور ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ كناية عن ذاته كما فى مثلك لا يبخل لانّ البلغاء يثبتون لمثل الشئ وصفا او ينفونه عنه فيلزم اثباته لذلك الشئ او نفيه عنه على ابلغ وجه لانّه بمنزلة اثبات الشئ او نفيه بالدّليل لانّ ما للمشبه الأدنى يثبت للمشبه به بالأولى ومثله يسمى اثبات الشئ او نفيه بالطريق البرهانى ولا يستدعى ان يكون لذلك الشئ مثل فى الخارج حتى يقال نفى مثل مثله يستلزم اثبات المثل له فيحكم بزيادة الكاف الاّ انّه يجوز ان يحكم بزيادتها للتّاكيد لتمام المعنى بدونها ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (١١) لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ اى مفاتح خزائنهما من المطر والنّبات وغيرهما ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ اى يوسّعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ اى يضيّقه لمن يشاء ﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١٢) ﴾ فيفعله على ما ينبغى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾ اى شرع لكم من الدّين دين اوّل انبياء الشّريعة واخرهم نوح ومحمّد ومن بينهما من ارباب الشّرايع ويبدل منه ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ ﴾ وهوالتّوحيد والطاعة فى احكام الله ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ اى لا تختلفوا فى هذا الاصل وان اختلفت فروع شرائعكم ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ من التّوحيد ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ ﴾ يجتلب ﴿ إِلَيْهِ ﴾ اى الى التّوحيد ﴿ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ

(١٣)﴾ يقبل اليه ﴿وما تفرّقوا﴾ اى الأمم الماضية فى الدّين بان وحّد بعض وكفر بعض ﴿إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بالتّوحيد وبانّ التّفرق ضلال ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ اى عداوة او طلبا للدنيا ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بتعذيب الكافرين فى الدّنيا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ اى اهل الكتاب الّذين فى عهدك ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ اى من كتابهم فلا يؤمنوا به حقّ الأيمان ﴿مُرِيبٍ (١٤)﴾ موقع الرّيبة ﴿فَلِذَلِكَ﴾ اى لاجل ذلك التّفرق والمشروع البيّن الّذى هو الأمر باقامة الدّين والنّهى عن التفرق ﴿فَادْعُ﴾ النّاس الى الأتفاق على دين الاسلام ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ على الدعوة ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الباطلة ﴿وَقُلْ﴾ لهم ﴿آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ اى بجميع الكتب المنزّلة لا ببعض دون بعض مثلكم ﴿وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ﴾ اى لان اعدل ﴿بَيْنَكُمُ﴾ فى تبليغ الشرايع والحكومة ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فكلّ مجازى بعمله ﴿لاَ حُجَّةَ﴾ اى خصومة على طريق ذكر الملزوم وارادة اللاّزم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ اذ الحقّ قد ظهر ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ المرجع لفصل القضاء وليس فى الآية مايدلّ على متاركتهم رأسا حتّى تكون منسوخة بآية القتال ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ اى دينه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ بان دخل فيه النّاس ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ اى جنسه والقرآن ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ بعيدا عن البطلان ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ اى العدل تسمية الشئ باسم آلته بان انزل الأمر به ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧)﴾ اتيانها فواظب على العدل قبل مفاجاة يوم الجزاء ووزن الاعمال ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ بقولهم متى تأتى استهزاء ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ الكائن لا محالة فيعتنون بها لتوقع الثواب ﴿أَلاَ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ اى يجادلون ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ (١٨)﴾ عن الحقّ ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ برهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم مايشاء على ما اقتضته حكمته ﴿وَهُوَ

الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ (١٩)﴾ الغالب على امره ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ اى ثوابها شبّه بالزرع من حيث انّه فائدة تحصل بعمل الدّنيا اصل الحرث القاء البذر فى الارض ويقال للزّرع الحاصل منه ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بالتضعيف بان نعطيه بالواحد عشرا الى سبعمأية فاكثر ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ اى شئ منها على ما قسمنا له بلا تضعيف ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)﴾ اذ لكل امرأ ما نوى ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ﴾ اى الكفّار مكّة ﴿شُرَكَاءُ﴾ وهم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾ اى الشركاء بالتّزيين ﴿لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك وانكار البعث وغيرهما ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ اى القضاء السّابق بتأخير الجزاء الى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ اى بين المؤمنين والكافرين بتعذيبهم ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١)﴾ استيناف ولمّا كان العذاب الأليم غالبا فى عذاب الآخرة بين حال الفريقين فيها على طريق الاستيناف فقال ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ فى القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من السّيأت ﴿وَهُوَ﴾ اى جزاء ماكسبوا ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ اشفقوا اولم يشفقوا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ اى اطيب بقاعها وانزهها على ما يستفاد من الأضافة فى مقام الأمتنان فانّها تنبئ عن امتياز المضاف من المضاف اليه والأمتنان يدلّ على افضليّته ﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ اى ما يشتهونه ثابت لهم عند ربّهم فعند ايضا ظرف لعامل لهم لا يشائون ليبقى على عمومه ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢)﴾ الّذى يتلاشا دونه جميع ما فى الدّنيا وفيه تصريح بانّه حصل لهم بطريق الفضل لا الاستحقاق ﴿ذَلِكَ﴾ التّبشير ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ اى على ما اتيت به من التّبليغ والبشارة ﴿أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ اى ان تودون لقرابتى منكم على انّ فى بمعنى اللاّم متعلق بالمودة او تودّوا ذوى قرابتى وهم على وفاطمة وابناهما كما فى الحديث على انّ فى القربى حال من المودة اى الاّ المودة ثابتة فى ذى القربى متمكنة فى اهلها وعلى التّقديرين المستثنى متّصل على طريق ولا عيب فيهم غير انّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب اى لا اسئلكم الاّ هذا وهذا ليس

بأجر لانّه مايكون فى مقابلة العمل وهذا واجب على كل احد فليس بأجر فيأول المعنى الى انّه لا يسئل الأجر البتّة فلا يرد انّ جعل الاستثناء متصلا يقتضى جواز طلب الأجر وهو ممتنع ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ﴾ يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة سيّما حبّ آل الرّسول ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا﴾ اى فى الحسنة ﴿حُسْنًا﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للذّنوب ﴿شَكُورٌ (٢٣)﴾ للطاعة ولو قليلة فيضاعفها ﴿أَمْ﴾ منقطعة بمعنى بل الأضرابية من ام لهم شركاء وهمزة التوبيخيّة اى بل أ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَى﴾ محمّد ﴿عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنسبة القرآن اليه تعالى ثم استبعد الافتراء عنه بقوله ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ حتّى يتصوّر منك افتراء لانّه لا يرتكبه الاّ مختوم القلب لا من هو مثلك فى كونه اعرف خلق الله واكرمهم حتى انّ آدم ومن دونه تحت لوائه فانّه مستبعد منه ﴿وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ﴾ الّذى قالوه ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ اى يثبته ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ المنزّلة على نبيّه اى القرآن فهو استيناف لوعده بهذا المحو والأثبات ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤)﴾ اى بما فى القلوب ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ ولتضمّنه معنى الأبانة تعدى بعن فى ﴿عَنْ عِبَادِهِ﴾ بالتّجاوز عمّا تابوا عنه وفى التمدح بقولها اشارة الى انّه غير واجب عليه اذلا مدح فى الواجب خلافا للمعتزلة ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ صغيرها وكبيرها لمن يشأ بمحض رحمته او بشافعة شافع وان لم يتوبوا على هو مذهب اهل السّنة ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)﴾ فمجازاته وتجاوزه عن ايقان وحكمة ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اى يستجيب الله لهم ما يسألوه فحذف اللاّم كما فى كالوهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ على ما سألوا و ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦)﴾ بدل ما للمؤمنين من الثّواب والتّفضل ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾ لتكبروا وافسدوا فيها بطرا فى الغالب والاّ فكم من فقير باغ ومن غنى ضدّه ﴿وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير ﴿مَا يَشَاءُ﴾ اى ما اقتضته مشيّته ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)﴾ فيقدّر لهم ما يناسب شانهم من البسط وضدّه ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ اى المطر الّذى يغيثهم من القحط ولذلك خصّ بالنّافع ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ يئسوا من نزوله ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ فى كلّ شئ من السّهل والجبل والنبات والحيوان فذكرها بعد

الغيث مع انّه ايضا رحمة تعميم بعد تخصيص ﴿هُوَ الْوَلِيُّ﴾ الّذى يتولّى عباده باحسانه ونشر رحمته ﴿الْحَمِيدُ (٢٨)﴾ المستحقّ للحمد ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ﴾ خلق ﴿مَا بَثَّ﴾ فرّق ونشر ﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ اى حىّ على اطلاق اسم المسبب على السبب فانّ الحيوة سبب الدّبيب فيشمل الملائكة ويجوز ان يراد المعنى اللّغوى اى ما يدبّ على الأرض باعتبار انّ مايكون فى احد الشّيئين يصدق انّه فيهما فى الجملة ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للحشر وفيه تغليب العقلاء ﴿إِذَا﴾ ظرف لجمعهم ﴿يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩)﴾ والاصل فى اذا ان تدخل على الماضى لانّها للقطع وهو يدل عليه لكن قد تدخل على المضارع الحاقا به ولمّا كان المراد من الجمع الجمع للحساب والجزاء بيّن انّه يطهّر عباده بالمصائب تخفيفا عليهم فى القيامة فقال ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ ولو خدش عود وعثرة قدم ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ اى بسبب ما كسبتم من الذّنوب لكن عبّر بالأيدى لان اكثر الأفعال بها ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)﴾ منها فلا يجازى عليه فهذه ارجى آية فى كتاب الله لانّه جعل ذنوب المؤمن صنفين مكفّر بالمصائب ومعفوّ عنه فى الدّنيا ولا يليق بكرمه ان يعود العقاب مرّة اخرى فى الآخرة او يرجع عن عفوه وامّا ما يصيب غير المذنبين فى الدّنيا فهو لرفع درجاتهم فى الآخرة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ فائتين ماقضى عليكم من المصائب ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحرسكم عنها ﴿وَلَا نَصِيرٍ (٣١)﴾ يدفعها عنكم ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾ اى السّفن الجارية ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢)﴾ كالجبال فى العظم ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾ يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابت بلا جرى ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ اى البحر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣)﴾ اى المؤمن الكامل فانّه يصبر فى الشّدة ويشكر فى الرّخاء ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ اى يهلك اهلها بارسال الرّياح العاصفة المغرقة فهو عطف على يسكن ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الذّنوب ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤)﴾ منها فلا يغرق اهله ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بالنّصب عطفا على مقدّر اى يغرقهم لينتقم منهم ويعلم ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥)﴾ مهرب من العذاب ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تمتعون به

مدة حياتكم فقط ﴿وما عند الله﴾ من ثواب الآخرة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ اى موجبات الحدّ والعطف لتغاير الوصفين ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧)﴾ يتجاوزون ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ الى ما دعاهم اليه من التّوحيد والعبادة نزلت فى الأنصار لمّا دعاهم رسول الله الى الأيمان فاستجابوا فعطفها على ما قبلها من عطف الخاص على العام ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ الّتى هى امهات للفضائل ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الّذى يبدو لهم ذو ﴿شُورَى﴾ مصدر بمعنى التّشاور ﴿بَيْنَهُمْ﴾ اى يتشاورون فيه ولا ينفردون برأيهم من فرط تدبيرهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨)﴾ فى سبيل الخير ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ الظلم ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩)﴾ اى ينتقمون من الظالم المتغلّب فهو وصف لهم بالشجاعة ولايناف وصفهم بالغفران لانّه للعاجز الذّليل ثمّ منع عن التّعدى وبيّن حد الأنتصار بقوله ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سميت الثّانية سيّئة لمشابهتها للأولى صورة والاّ فهى فى نفسها مشروع حسن لانّها اخذ حقّ لكنّ العفو احسن كما قال ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ من ظلمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ بينه وبين عدوّه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ابهمه للتّعظيم فى الحديث انّه يقال للعافين عن من ظلم ادخلوا الجنّة باذن الله ولما كان الانتصار ممّا لايؤمن فيه تجاوز الحدّ قال فى مقام التّحريض على العفو: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)﴾ المبتدأين بالسّيئة والمتجاوزين فى الانتقام ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ اى اضافة المصدر الى المفعول اى ظلم الظّالم اياه ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١)﴾ اى لوم او عقوبة لانّهم فعلوا ما ابيح لهم من الانتصار ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ ابتداء ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ اى يطلبون ما لا يستحقونه او يتكبرون فيها تجبرا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)﴾ مؤلم على ظلمهم وبغيهم ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على الأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ اى تجاوز عنه ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصّبر والتجاوز منه فحذف لدلالة فحوى الكلام عليه ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣)﴾ اى معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ اى احد يلى هدايته بعد اضلال الله اياه ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا﴾ اتى بالماضى تحقيقا ﴿الْعَذَابَ

يقولون هل إلى مردّ﴾ الى الدنيا ﴿مِنْ سَبِيلٍ (٤٤) وتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ اى على النّار ﴿خَاشِعِينَ﴾ خايفين متواضعين ﴿مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾ اليها ﴿مِنْ﴾ ابتدائية او بمعنى الباء ﴿طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ضعيف النظر مسارقة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ وخبر انّ ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾ بالتعريض للعذاب المخلّد والمنع عن لذيذ الجنّة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف لقالوا اى يقولون اذا رأوهم فى تلك الحال ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥)﴾ تمام كلامهم او تصديق من الله لهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ (٤٦)﴾ الى الهدى والنجاة ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ اى لايردّه الله بعد ما حكم به ومن صلة لمردّ ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧)﴾ انكار للذّنوب لانّها فى صحائف وتشهد عليها الجوارح ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيبا او محاسبا ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وقد بلّغت ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ اى جنسه ﴿مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ (٤٨)﴾ بليغ الكفران للنعمة صدّر الأولى باذا لتحقّق اذاقة النعمة بخلاف اصابة البلية واقام علّة الجزاء مقامه فى الثّانية واتى بالمظهر للدلالة على انّ هذا الجنس موسوم بكفران النّعمة ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فله ان يقسم النّعمة والبلية كيف شاء ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من غير لزوم واعتراض ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ فقط كلوط وشعيب لم يكن لهما الاّ البنات ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩)﴾ فقط كابراهيم فانه لم يكن له الاّ الذّكور اخّره عن الأناث وعرّفه حتّى لايكتب فيه التّنوين للمحافظة على الفواصل فيوافق نكير وكفور وقدير ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ اى يجعلهم زوجا ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ اى يهب الصّنفين لمن يشاء كمحمّد كان له من البنين ثلثة على الصّحيح القاسم وعبد الله وابراهيم، ومن البنات اربعة زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ كيحيى وعيسى والمقصود من ذكر هذه الأنبياء التّمثيل والاّ فالحكم عام فى كلّ النّاس ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار ﴿وَمَا كَانَ﴾ اى ما صحّ ﴿لِبَشَرٍ﴾ خبر كان

واسمها قوله ﴿أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا﴾ كلاما خفيّا ليس من قبيل الاصوات يدرك بسرعة لكونه عبارة عن تمثّل المعنى وارتسامه فى علم المتكلّم ليس فى ذاته مركّبا من حروف مقطّعة يتوقّف على تموّجات متعاقبة والمراد به ما بالمشافهة كما وقع فى ليلة المعراج بقرينة ﴿أَوْ﴾ كلاما ﴿مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ وهو ان يسمعه الكلام من غير ان يراه السّامع كما وقع لموسى فى الطّور ﴿أَوْ﴾ الاّ ان ﴿يُرْسِلَ﴾ اليه ﴿رَسُولاً﴾ ملكا ﴿فَيُوحِيَ﴾ ذلك الملك ﴿بِإِذْنِهِ﴾ تعالى ﴿مَا يَشَاءُ﴾ الى المرسل اليه كما وقع للأنبياء غير موسى والمقصود من الحصر فى قوله الاّ وحيا آه نفى الكلام بوجه يقتضى الحدوث كالكلام الحسى المعهود لنا وانتصابه على المصدر لانّ الوحى هو الكلام ومن وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المحدثات ﴿حَكِيمٌ (٥١)﴾ يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلّم تارة بوسط وتارة بغير وسط امّا عيانا وامّا من وراء حجاب ﴿وَكَذَلِكَ﴾ اى ايحاء مثل ذلك الايحاء والتّكلم على الطّرق الثّلاث ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ وهو القرآن سمّاه روحا لانّ القلوب تحيى به ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ بيان للرّوح لانّه امر بما هو خير للمكلّف ويجعل حالا من كاف اليك ﴿مَا﴾ نافية ﴿كُنتَ تَدْرِى﴾ تعلم قبل الوحى ﴿مَا﴾ استفهاميّة معلقة للفعل عن العمل سادة مسد مفعوليه ﴿الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾ وهو دليل على انّه لم يكن متعبّدا قبل النّبوة بشرع لكن لا يلزم منه كفره لانّ المراد بعدم الدّراية الجهل البسيط وهو كون النّفس ساذجة عن الأعتقاد والحكم لا الجهل المركّب الّذى هو الكفر والاعتقاد الباطل وذهب جمهور المتكلّمين على انّه قبل الوحى كان على دين ابراهيم عليه السّلام فعلى هذا المراد بالمنفى كمال الأيمان والتّوحيد الّذى هو عليه الآن ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ اى الرّوح او الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ بالتوفيق للقبول ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى﴾ به ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾ هو دين الاسلام ويبدل منه ﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ﴾ خلقا وملكا ﴿أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ (٥٣)﴾ ترجع فيجازى كلاّ بما يليق ففيه وعد ووعيد.

سورة الزخرف

مكيّة قيل: إلاّ (واسئل من أرسلنا) الآية وآيها تسع وثمانون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حٰمٓ (١)﴾ متشابه ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ اى القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ (٢)﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج اليه من الشّريعة وجواب القسم ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)﴾ لكى تفهموا معانيه ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عطف على انّا ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اى فى اللّوح المحفوظ فانّه اصل الكتب السّماوية ﴿لَدَيْنَا﴾ عندنا لا يتغيّر بدل من امّ الكتاب وهو متعلّق بقوله ﴿لَعَلِىٌّ﴾ رفيع الشأن على سائر الكتب لكونه ناسخا لها خبر انّ وكذا ﴿حَكِيمٌ (٤)﴾ ذو حكمة بالغة او محكم لاينسخه غيره ﴿أَ﴾ نمهلكم ﴿فَنَضْرِبُ﴾ نبعّد ونمسك ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ اى القرآن ﴿صَفْحًا﴾ حال بمعنى صافحين اى معرضين فلا نؤمركم ولا ننهيكم لأجل ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥)﴾ مشركين لا ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِم﴾ اى اتاهم ﴿مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٧)﴾ كقومك فهو تسلية له عليه السّلام ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾ اى من قومك المسرفين ﴿بَطْشًا﴾ قوّة ﴿وَمَضَىٰ﴾ سبق فى القرآن ﴿مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ (٨)﴾ قصّتهم العجيبة فعاقبة قومك كذلك ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ﴾ الله ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (٩)﴾ لما قالوا هذا زاد تعالى عليه على وجه الأستيناف صفات اخر لا يشاركه فيها احد من خلقه تنبيها على انّها تقتضى ان تكون من تتمّة كلامهم وان لم يتفوّهوا بها فقال ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشا كالمهد للصّبى ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ تسلكونها ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠)﴾ الى مقاصدكم ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ﴾ اى بقدر حاجتكم لا ازيد فيضرّكم ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ احيينا فيه التفات ﴿بِهِۦ بَلْدَةً﴾ بمعنى البلد والمكان بقرينة

﴿مَيْتًا﴾ بلا نماء ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الانشار ﴿تُخْرَجُونَ (١١)﴾ من قبوركم احياء ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ اى اصناف المخلوقات ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا﴾ تستقرّوا ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾ ذكّر الضمير وجمع الظهر نظرا للفظ ما ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا﴾ بقلوبكم حامدين ﴿نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣)﴾ مطيقين ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤)﴾ اى راجعون واتصاله بما قبله لانّ الرّكوب للنّقل والنّقلة العظمى هو الأنقلاب الى الله او لانّه موقع فى خطر الهلاك فينبغى للرّاكب ان لا يغفل عنه ويستعدّ للقاء الله عنه عليه السلام انّه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال: بسم الله، فاذا استوى على الدّابة قال: الحمد لله على كلّ حال سبحان الّذى الآية[1] ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ متّصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف ولدا لانّ الولد جزأ للوالد فقالوا الملائكة بنات الله مع انّهم عباده ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥)﴾ ظاهر الكفران ﴿أَمِ﴾ منقطعة بمعنى بل الأضرابيّة وهمزة الأنكار والتعجب اى بل أتقولون ﴿اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لنفسه ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾ اخلصكم ﴿بِالْبَنِينَ (١٦) وَ﴾ حال ﴿إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ اى بالجنس الّذى جعله له مثلا اذ الولد لابدّ وان يماثل الوالد ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيّرا تغيّر مغتمّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)﴾ مملوّ قلبه من الكرب فكيف ينسبوا البنات اليه تعالى مع عدم رضائهم بها ﴿أَوَ﴾ الهمزة للانكار والواو لعطف ناصب من اى او يجعلوا له ﴿مَنْ يُنَشَّأُ﴾ يربّى ﴿فِي الْحِلْيَةِ﴾ الزّينة يعنى البنات وهو صفة ذميمة لانّه ينبأ بنقصان المتزين ذاتا ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ اى المجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ (١٨)﴾ مظهر الحجة لضعفه عنها بالانوثة ثم شنّع عليهم بكفر اخر تضمنته مقالتهم فقال ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ واكرمهم عليه ﴿إِنَاثًا﴾ ناقصات رأى ثمّ جهّلهم وتهكم بهم بقوله ﴿أَشَهِدُوا﴾ حضروا ﴿خَلْقَهُمْ﴾ فابصروا انّهم اناث فانّ ذلك

---

[1] - سنن أبي داود: ١٤٧/٧

لايعلم الاّ بالمشاهدة لا دخل للعقل فيه ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ بانّهم اناث ﴿وَيُسْأَلُونَ (١٩)﴾ عنها يوم القيامة فيعاقبون عليها ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ﴾ عدم عبادة الملائكة ﴿مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ فجعلوا نفي المشية دليلا على حسن عبادتهم ﴿مَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)﴾ يكذبون فيعاقبون به ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ اى قبل القرآن ﴿فَهُم بِهِ﴾ اى بذلك الكتاب ﴿مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ سنّة وطريقة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢)﴾ ثم بيّن ان تمسّك الجهّال بالتقليد امر مستمرّ من قديم الزّمان تسلية له عليه السّلام فقال ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ اى كما تمسك قومك بالتقليد ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ اى متنعّموها وتخصيصهم للاشعار بانّ التنعّم اطغاهم صرفهم عن النظر الى التّقليد فظهر انّ حبّ الدّنيا وايثار لذاتها رأس كلّ خطيئة ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ﴾ لهم النّذير المرسل ﴿أَ﴾ تتبعون آبائكم ﴿وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ﴾ بدين اهدى ﴿مِمَّا﴾ اى من الدّين الّذى ﴿وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم﴾ انتم معاشر الرّسل ﴿بِهِ كَافِرُونَ (٢٤)﴾ وان كان اهدى ممّا كنّا عليه يعنى لا نتفكر فيه ولا نترك دين ابائنا له قال تعالى ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالاستيصال ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥) وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ اى برئ ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦)﴾ اى الاصنام فلينظروا كيف تبرأ عن التّقليد وتمسّك بالدّليل فليقفوا اثره ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقنى ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧)﴾ اى يثبتنى على الهداية لانّه كان مهديًا حينئذ فلا معنى للتّسويف ﴿وَجَعَلَهَا﴾ اى كلمة التّوحيد المفهومة من قوله انّنى آه ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ذريّته فلا يزال فيهم من يوحّد الله ويدعوا الى توحيده ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨)﴾ اى لكى يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحّد ثم اضرب عن قصة الى ما انعم على اهل مكّة وهم من عقبه عليه السّلام فقال ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ بطول العمر وسعة الرّزق فانهمكوا فى الشّهوات ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ

الْحَقُّ﴾ اى القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٢٩)﴾ مظهر لهم الأحكام الشّرعية وهو محمّد عليه السّلام ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ لازالة غفلتهم ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا﴾ استحقارا بالرّسول ﴿لَوْلَا﴾ هلاّ ﴿نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ﴾ احدى ﴿الْقَرْيَتَيْنِ﴾ اى من احدهما مكّة وطائف ﴿عَظِيمٍ (٣١)﴾ كالوليد بن مغيرة بمكّة وعروة بن مسعود الثّقفى بالطّائف فانّ الرّسالة منصب عظيم لايليق الاّ بعظيم جاها ومالا ولم يعلموا انّها لا تليق الاّ بالعظيم فضلا وكمالا ولمّا تضمّن كلامهم ادعاء قسمة رحمته انكر عليهم ذلك تعجّبا وتجهيلا من حكمهم فقال ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ اى النبوّة ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فجعلنا بعضهم غنيّا وبعضهم فقيرا ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ اى اوقعنا بينهم التفاوت فى الرّزق والقوّة والضّعف والعلم والجهل الى غير ذلك لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المقتر بل ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ مسخّرا فى حوائجه بالاجرة فينتظم بذلك نظام العالم فلم يقدروا ان يعترضوا علينا فى ذلك فكيف يعترضون فى النبوّة الّتى هى اعلى المراتب الانسيّة ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ اى النّبوة ومايتبعها ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾ من حطام الدّنيا فالعظيم من رزق منها ثم قرّر خيريّتها بتحقير الدّنيا على وجه الاستيناف بقوله ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ مجتمعة على الكفر حين يروا سعة الكفّار ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدل من لمن ﴿سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ اى مصاعد جمع معرج ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣)﴾ يعلون السّطوح لحقارة الدّنيا ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا﴾ من فضّة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا﴾ اى زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محلّ من فضة ولمّا ورد ان يقال لم لم يجعل ذلك للمؤمنين ليجتمع النّاس كلّهم على الأيمان دفعه بقوله ﴿وَإِنْ﴾ مخفّفة من الثّقيلة ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا﴾ اللاّم فارقة وما زائدة ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثمّ يزول ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)﴾ الكفر وانواع المعاصى فلو وسّعنا الدّنيا على المؤمنين لفوّتت عليهم مالهم فى الآخرة لما فيها من

الآفات ولرغب النّاس فى الاسلام لاجلها لا لطلب مرضاة الله وانهمكوا فى الشّهوات واستحقّوا مافى قوله ﴿ومن يعش﴾ يعرض ﴿عن ذكر الرحمن﴾ لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه فى الشّهوات ﴿نقيض﴾ نسبّب ﴿له شيطانا فهو له قرين (٣٦)﴾ لا يفارقه ﴿وانهم﴾ اى الشياطين جمعه باعتبار المعنى لانّ المراد الجنس كما جمع مفعول ﴿صدوهم﴾ اى العاشين لمعنى من ﴿عن السبيل﴾ اى طريق الهدى ﴿ويحسبون﴾ اى العاشون ﴿انهم﴾ اى العاشون او شياطينهم ﴿مهتدون (٣٧) حتى إذا جاءنا﴾ اى العاشى يوم القيامة ﴿قال﴾ للشّيطان القرين ﴿يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين﴾ اى مثل بعد ما بين المشرق والمغرب فغلّب المشرق وثنّى ﴿فبئس القرين (٣٨)﴾ لى انت قال تعالى ﴿ولن ينفعكم﴾ التّمنى المفهوم من ياليت بيبى آه ﴿اليوم إذ ظلمتم﴾ اى اذ بيّن انّكم ظلمتم انفسكم فى الدّنيا فهو بدل من اليوم لاتحادهما حينئذ ذاتا واذ لمطلق الزّمان هنا كما انّ لن لمجرّد النفى ﴿أنكم فى العذاب مشتركون (٣٩)﴾ تعليل لعدم النّفع بتقدير لانّ حقكم ان تشركوا وشياطينكم فى العذاب كما فى الدّنيا ونزل لمّا اتعب عليه السّلام على وجه الانكار والتّعجب نفسه فى دعاء قومه فلم ينفع ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين (٤٠)﴾ عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بانّ الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لا يخفى ثم طيّب قلبه بقوله ﴿فإما﴾ فيه ادغام نون ان الشّرطية فى ما الزّائدة للتّاكيد وكذا اكّد بالنّون ﴿نذهبن بك﴾ اى ان نميتك قبل تعذيبهم ﴿فإنا منهم منتقمون (٤١)﴾ فى الدّنيا والآخرة ﴿أو نرينك﴾ فى حيوتك ﴿الذى وعدناهم﴾ من العذاب ﴿فإنا عليهم مقتدرون (٤٢)﴾ قادرون ﴿فاستمسك بالذى أوحى إليك﴾ اى القرآن ﴿إنك على صراط مستقيم (٤٣) وإنه لذكر﴾ شرف ﴿لك ولقومك﴾ قريش حيث يقال انزل لهؤلاء ﴿وسوف تسألون (٤٤)﴾ يوم القيامة عن القيام بحقّه ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (٤٥)﴾ اى اسئل امهم وعلماء دينهم اذ لا يتأتى سؤالهم لانّهم قد

مضوا وقيل امر بالسؤال منهم بالنّفس ليلة الاسراء لانّهم قد جمعوا له فى البيت المقدّس ولم يسئل عليه السّلام على واحد من القولين لانّه لم يكن فى شك من ذلك فالأمر بالسؤال انّما كان للتّقرير لمشركى قريش انّه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله ثم ذكر سلة له عليه السّلام وردّا لقولهم لولا انزل هذا القرآن آه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ الدّالة على رسالته كالعصا واليد البيضاء ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧)﴾ ويستهزؤن بها من غير تامّل ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ فى بادى رأى النّاظر فلا يلزم ان تكون كلّ واحدة فاضلة ومفضولة عن اختها فى حالة واحدة والمراد وصف الكلّ بالكبر ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ كالسّنين والطوفان والجراد المذكورة فى الأعراف[1] ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨)﴾ اى عوملوا معاملة من يرجى رجوعه فالكلام استعارة تمثيليّة ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ اى كانوا يسمّون العالم الكامل ساحرا لكون السّحر عندهم علما عظيما فلذا نادوه به فى حال تضرّعهم ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من استجابة دعوتك او كشف العذاب عمّن اهتدى ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠)﴾ اى ينقضون عهدهم ويصرّون على كفرهم ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ بنفسه او مناديه ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ بعد كشف العذاب مخافة ان يؤمن بعضهم ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ حال ﴿هَٰذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ اى الأنهار الّتى حصولها من النّيل مبتدأ خبره ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ اى تحت قصرى او بين يدىّ فى جنانى ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١)﴾ عظمتى ﴿أَمْ﴾ تبصرون فتعلمون ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا﴾ اى موسى ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ (٥٢)﴾ ضعيف حقير لا يصلح للرّياسة ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يظهر الكلام للعقدة فى لسانه قاله على توهّم انّها باقية كما رأيها اوّلا لكنّها كانت زائلة حينئذ بدعائه ﴿واحلل

[1] - آية: ١٤١

عقدة من لسانى يفقهوا قولى﴾[1] ﴿فَلَوْلَا﴾ اى هلاّ ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ﴾ جمع سوار ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ ان كان صادقا فى انّ الله سوّده اذ كان عادتهم ان يسوّروا من يسوّدوه بسوار من ذهب ويطوقوه بطوق منه ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَٰئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣)﴾ اى منضمّين اليه يعينونه او يصدّقونه ﴿فَاسْتَخَفَّ﴾ فرعون ﴿قَوْمَهُ﴾ اى طلب منهم الخفّة فى مطاوعته ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما امرهم به ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤)﴾ فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ اغضبونا ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥)﴾ فى اليمّ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ جمع سالف ولكونه مجازا عن القدوة تعدّى باللاّم المتنازع فيه فى ﴿وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ (٥٦)﴾ اى عظة لهم او قصة عجيبة كالمثل السائر يمثّلون بها ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جعل ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ ضربه ابن الزّبعرى لمّا نزل ﴿انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم﴾[2] حيث قال عيسى ايضا عبد من دون الله فاذا كان هو حصب جهنّم فلتكن آلهتنا ايضا حصبها ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ اى مشركوا قريش ﴿مِنْهُ﴾ اى من المثل ﴿يَصِدُّونَ (٥٧)﴾ يضجّون فرحا لظنهم انّك صرت ملزما به ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ عندك ﴿أَمْ هُوَ﴾ اى عيسى فان كان فى النّار فلتكن آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ اى المثل ﴿لَكَ إِلاَّ جَدَلاً﴾ اى للخصومة لا لتميز الحقّ من الباطل ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨)﴾ شديد الخصومة ﴿إِنْ هُوَ﴾ اى عيسى ﴿إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوّة ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ بوجوده من غير اب ﴿مَثَلاً﴾ امرا عجيبا كالمثل فى الغرابة ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)﴾ فيشبهون به ما يرون من عجائب صنع الله فلا ينكرونه وهو كالجواب المزيح لتلك الشّبهة لانّه اذا كان عبدا كالعباد فلا يستحقّ العبادة ولا يطلبها وانّما يعبده من تلقاء نفسهم فهو لايستحقّ بذلك شيئا ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا﴾ لولّدنا ﴿مِنْكُمْ﴾ يا رجال مكّة ﴿مَلَٰئِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠)﴾ اى يخلفونكم فى الأرض يعنى انّ حال عيسى وان كانت عجيبة لكنّه

---

[1] – سورة طه: ٢٧-٢٨

[2] – سورة الأنبياء: ٩٨

تعالى قادر على اعجب من ذلك بان يجعل الملائكة اولادا لكم فهم مثلكم فى امكان خلقها توليدا كما خلقت ابداعا فمن اين لهم استحقاق الألوهيّة والأنتساب اليه تعالى ﴿وَإِنَّهُ﴾ عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ يعلم دنوّها بنُزوله ﴿فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ اى لا تشكنّ فيها ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ اى اتّبعوا هداى او رسولى ﴿هَذَا﴾ الّذى ادعوكم اليه ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَلاَ يَصُدَّنَّكُمُ﴾ اى لا يصرفنّكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ عن المتابعة ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٢)﴾ بيّن العداوة حيث اخرجكم من الجنّة وعرضكم للبليّة ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ اى بالمعجزات والشرايع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنّبوة وشرايع الأنجيل ﴿وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وهو ما يكون من امر الدّين لا الدّنيا فانّ الأنبياء لم يبعثوا لبيانه ولذا قال نبيّنا عليه السّلام انتم اعلم بامر دنياكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ بيان لما امرهم بالطّاعة فيه وهو اعتقاد التّوحيد والتّعبد بالشّرايع ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ﴾ الفرق المتحزّبة ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ اى من بين النّصارى بان صاروا فريقا ثلاثة فيه فمنهم من قال انّه الله ومنهم من قال انّه ابنه ومنهم من قال انّه ثالث ثلثة ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من المتحزّبين ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥)﴾ هو يوم القيامة ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ كفّار مكة او الّذين ظلموا ﴿إِلاَّ السَّاعَةَ﴾ ويبدل منها ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ اى اتيانها ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ (٦٦)﴾ اى غافلون عنها لأشتغالهم بامور الدّنيا وانكارهم لها ﴿الأَخِلاَّءُ﴾ اى الأحبّاء ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف عدوّ ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ اذ يظهر انّ ما كانوا يتحابون به سبب للعذاب ﴿إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧)﴾ الّذين كانت خلتهم على الأيمان والتّقوى فانّها تبقى ابدا بل تزداد لظهور نفعها لهم ويقال لهم ﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ نعت لعبادى ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩)﴾ مخلصين حال من واو يؤمنون ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ تاكيد للمتصل ليعطف عليه ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ ويجعل حالا منهم ﴿تُحْبَرُونَ (٧٠)﴾ تسرّون سرورا يظهر حبارته اى اثره ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ

بِصِحَافٍ﴾ جمع صحفة وهى اناء الطعام ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ منه جمع كوب وهو اناء لا عروة له يشرب الشّارب من حيث شاء ثمّ ذكر بيانا كليا فقال ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ﴾ اى تطلبه القلوب من شهواتها ﴿وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ بنظرها ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا﴾ اى بعضها ﴿تَأْكُلُونَ (٧٣)﴾ لا كلّها لكثرتها ودوامها اذ لا يرى فيها شجرة عارية عن ثمرتها اصلا اذ كلّما اخذت تنبت مكانها مثلها ولعلّ تفصيل المطاعم والملابس وتكريره فى القرآن مع حقارته بالنّسبة الى سائر نعم الجنّة لانّه عليه السّلام بعث اوّلا الى العرب وهم كانوا فى غاية الشدة والفاقة فذكر لهم ما يرغبوا فيه ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ اى الكفّار ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لاَ يُفَتَّرُ﴾ اى يخفّف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ﴾ اى فى العذاب ﴿مُبْلِسُونَ (٧٥)﴾ آيسون من النجاة ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ وهو خازن النّار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ اى اسئله ان يمتنا وهو لا ينافى ابلاسهم فانّه تمنّى من فرط الشدّة لا ترجىّ ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧)﴾ مقيمون فيه دائما لا خلاص لكم منه واجابهم تعالى بعد جواب مالك ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ﴾ على لسان الرّسول ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ﴾ بل أ ﴿أَبْرَمُوا﴾ اى احكموا كفار مكّة ﴿أَمْرًا﴾ فى تكذيب الحقّ وردّه او فى الكيد بالنّبى عليه السّلام ولم يقتصروا على كراهته والعدول الى الخطاب للأشعار بانّ ذلك اسوأ من كراهتهم ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩)﴾ اى محكمون امرا فى ابطال كيدهم باظهار الحقّ او اهلاكهم ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ اى حديث نفسهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ اى تكلّمهم على وجه المشاورة ﴿بَلَى﴾ نسمعهما ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحفظة مع ذلك ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم وملازموهم ﴿يَكْتُبُونَ (٨٠)﴾ ذلك ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ فرضا ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١)﴾ منكم لذلك الولد لانّ من يعظّم الوالد ينبغى ان يعظّم الولد ايضا لكن ثبوت الولد له محال فكذا عبادتى له ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢)﴾ اى من نسبة الولد اليه

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾ فى باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ فى دنياهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ (٨٣)﴾ فيه العذاب وهو القيامة ﴿وَهُوَ الَّذِى﴾ هو ﴿فِى السَّمَاءِ﴾ متعلّق بقوله ﴿إِلَٰهٌ﴾ لانّه فعال بمعنى المفعول اى المعبود وكذا ﴿وَفِى الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وفيه حصر الالهية فيه تعالى فانّ وقوع الموصول مع صلته خبرا يفيده كوقوع المعرّف بلام الجنس ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤)﴾ كالدّليل عليه ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كالهواء ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥)﴾ للجزاء ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ اى الأصنام وغيرها فالاستثناء الآتى متّصل ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ كما زعموا انّهم شفعائهم عنده ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ اى بانّه لا اله الّا الله وحده ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦)﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم كالملائكة والمسيح وعزير فانّهم عبدوا من دونه لكن لهم الشّفاعة عنده ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ اى العابدين ﴿مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لتعذّر المكابرة من فرط ظهوره ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧)﴾ يصرفون عن عبادته ﴿وَقِيلِهِ﴾ اى قول الرّسول بالجرّ عطف على السّاعة ﴿يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨)﴾ قلنا له ﴿فَاصْفَحْ﴾ اعرض ﴿عَنْهُمْ﴾ اى عن دعوتهم آيسا عن إيمانهم ﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)﴾ تهديد لهم وتسلية له عليه السّلام.

* * *

سورة الدخان

مكية الا قوله: (انا كاشفوا العذاب) الاية وهى سبع او تسع وخمسون أية
وفى الحديث: من قرءها فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون ألف ملك

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حـم﴾ متشابه اقسم ﴿وَالْكِتَابِ (٢)﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ (٢)﴾ المظهر للاحكام ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ اى فى ليلة القدر او البراءة اى النّصف من شعبان ابتدأ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السّماء الدّنيا ثم انزل الى الرّسول عليه السّلام نجوما على حسب الوقائع ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣)﴾ استيناف لبيان المقتضى للأنزال المفهوم من انّا انزلناه آه وقوله ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)﴾ محكم لا يتبدّل من الأرزاق والآجال وغيرها الواقعة فى تلك السّنة الى مثل تلك اللّيلة استيناف لبيان مايقتضى اختصاص ذلك الأنزال بليلة مباركة ﴿أَمْرًا﴾ منصوب على المدح اى اعنى بهذا الأمر امرا حاصلا ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ او على المصدرية على ان يكون المراد به مقابل النّهى وهو متّحد مع الفرقان معنى لما فيهما من معنى الأيجاب فجاز وقوع كلّ موقع الآخر ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥)﴾ للرّسل الى العباد ﴿رَحْمَةً﴾ اى لأجل الرّحمة على المرسل اليهم ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ لم يقل منّا للأشعار بانّ الرّبوبيّة اقتضت ذلك فانّه اعظم انواع التّربية والجملة بدل من انّا كنّا منذرين او علّة ليفرق ورحمة مفعول به والمعنى ظاهر ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦)﴾ لأقوال العباد واحوالهم تحقيق لربوبيّته وكذا ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ خبر آخر لانّ او لمحذوف والجملة استيناف ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ اى يا اهل مكة ﴿مُوقِنِينَ (٧)﴾ بانّه تعالى ربّ السّموات والأرض فلتيقنوا انّ محمّدا عليه السّلام رسوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٨)﴾ بدلان او نعتان لربّ السّموات ﴿بَلْ هُمْ﴾ التفات ﴿فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩)﴾

ردّ لكونهم موقنين وتحقير لشأنهم بانّهم لغفلتهم لا يلتفتون الى البراهين القاطعة فلذا يكذّبوك يا محمّد فقال اللّهم اعنّى بسبع سنين كسبع يوسف قال تعالى اجابة لدعائه ﴿فَارْتَقِبْ﴾ فانتظر لهم ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠)﴾ اى يوم شدّة القحط والجوع سمّيت دخانا مجازا على طريق اطلاق المسبب على السبب لانّها سبب لان يرى الهواء مظلما كالدّخان امّا من ضعف البصر منها وامّا لتكدّر الهواء بسبب اليبس على الأرض وتصاعد الغبار المكدّر اليه واسناد الأتيان الى السّماء لكونها سببا لانّ ذلك يحصل بعدم امطارها روى انّهم قحطوا حتّى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ يحيط بهم صفة للدخان قالوا ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١)﴾ يا ربّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مُؤْمِنُونَ (١٢)﴾ وعدوا بالأيمان ان كشف العذاب عنهم قال تعالى ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ اى كيف يتذكّرون ويتعظون ويوفون بما وعدوا ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٣)﴾ بيّن لهم ماهو اعظم وادخل فى وجوب الأذكار من هذا الكشف وهو الآيات والمعجزات ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ يعلمه القرآن بشر ﴿مَجْنُونٌ (١٤)﴾ اى قال بعضهم هذا وبعضهم ذاك ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ اى القحط بدعائك يا محمّد فانّه دعى برفعه كشفا او زمانا ﴿قَلِيلًا﴾ وهو ما بقى من اعمارهم ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥)﴾ الى الكفر غبّ الكشف ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ وهو الأخذ بقوّة ﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ اى يوم القيامة او يوم بدر ظرف لفعل دلّ عليه ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (١٦)﴾ لا له لمنع انّ من ذلك ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ امتحنّا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ وهو موسى عليه السّلام ﴿كَرِيمٌ (١٧)﴾ على الله او على المؤمنين ﴿أَنْ﴾ اى بان ﴿أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ اى ارسلوا معى بنى اسرائيل ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨)﴾ غير متّهم لدلالة المعجزات على صدقه وهو علّة الأمر ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ اى لا تتكبّروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٩)﴾ بيّن علّة للنّهى ولذكره مع العلاء والأمين مع الأداء شأن لا يخفى ثمّ انّهم توعّدوه بالرّجم فقال ﴿وَإِنِّي عُذْتُ﴾ التجأت ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠)﴾ اى تقتلون بالحجارة ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ

(٢٠)﴾ اى فكونوا بمعزل منّى واتركوا اذاى فلم يتركوه ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ﴾ اى بانّ ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٢)﴾ مشركون فقال تعالى ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣)﴾ اى يتبعكم فرعون وقومه اذا علموا خروجكم ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ﴾ اذا جاوزته انت واصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكنا منفرجا على هيئته ولا تضربه بعصاك فيتغيّر ليدخله القبط ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ﴾ كثيرا ﴿تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦)﴾ منازل حسنة ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ اى تنعّم ونضارة عيش فانّها بالفتح له وبالكسر اسم لما انعم به ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧)﴾ متنعّمين ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر محذوف اى الأمر كذلك ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ عطف على تركوا ﴿قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨)﴾ ليسوا منهم فى شئ وهم بنو اسرائيل ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ مجاز عن عدم المبالات بهلاكهم والأعتناء بوجودهم لعدم وجود عمل صالح منهم يقتضى ذلك بطريق ذكر المسبب وارادة السبب فانّ المبالات سبب يؤدّى الى البكاء ومع ذلك فى الكلام استعارة بالكناية على تشبيههما بمن يصحّ منه المبالات وعليه يحمل ماقى الأخبار انّ المؤمن ليبك عليه مصلاّه ومحلّ عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وما مات مؤمن الاّ بكت عليه السّماء والأرض أربعين صباحا ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)﴾ ممهلين الى وقت آخر ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠)﴾ اى من استعباد فرعون وقتله ابنائهم ﴿مِنْ﴾ عذاب ﴿فِرْعَوْنَ﴾ بدل من العذاب ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا﴾ متكبّرا ﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾ فى الظّلم خبر ثان او حال من ضمير عاليا ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ اى بنى اسرائيل ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ منا بانّهم يرفعون فى بعض الأحوال ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢)﴾ كلهم لكثرة الأنبياء فيهم او على عالمى زمانهم ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (٣٣)﴾ نعمة ظاهرة من فلق البحر والمنّ والسّلوى وغيرهما ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ اى كفّار مكّة لانّ الكلام فيهم وهذه القصّة كانت للدّلالة على انّهم مثلهم فى الأصرار على الضّلال وللأنذار عن مثل ما حلّ بهم ﴿لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ اى ما العاقبة ونهاية الأمر ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾ لا بعث بعدها كما قالوا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ

(٣٥)﴾ بمبعثين بعد الموت فهو انكار منهم للحيوة بعد الموت لا لموتة ثانية يدّعيها المسلمون كما يتوهّم من توصيف الموتة بالأولى فانّ ذلك غير مراد كما فى قولك حجّ زيد الحجّة الأولى ومات ﴿فأْتُوا بآبائنا﴾ يا من تعدونا بالنّشور يعنون النّبى والمؤمنين ﴿إِن كُنتُمْ صادِقِينَ (٣٦)﴾ فى وعدكم قال تعالى ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ فى القوّة والمنعة ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ اى تبّع الحميرى الّذى سار بالجيوش وحبر الحبرة وبنى سمرقند وكان مؤمنا نبيّا او صالحا وقومه كافرين ولذلك ذمّهم دونه ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كعاد وثمود ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ استيناف لبيان مآل قوم تبّع ومن قبلهم هدّد به كفّار مكة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)﴾ بيان للجامع المقتضى للأهلاك ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ (٣٨)﴾ بخلق ذلك وهو دليل على صحّة الحشر كما مرّ فى الأنبياء[1] ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ اى بسبب الّذى اقتضاه الدّليل من الأيمان والطّاعة والبعث والجزاء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ اى كفّار اهل مكّة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ (٣٩)﴾ لقلّة نظرهم ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين العباد وهو يوم القيامة ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾ وقت موعدهم ﴿أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لاَ يُغْنِي﴾ بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم ﴿مَوْلًى﴾ لقرابة او صداقة ﴿عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾ من الأغناء ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ (٤١)﴾ الضمير لمولى الاوّل باعتبار المعنى لانّه عام لانّ عدم نصرة المولى الثّانى فهم من لا يغنى فلو رجع الضّمير اليه كان تاكيدا والتأسيس خير منه ﴿إِلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾ بالعفو عنه وقبول الشّفاعة فيه ومحلّه الرّفع على البدل من الواو ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ لا ينصر منه من اراد تعذيبه ﴿الرَّحِيمُ (٤٢)﴾ لمن اراد ان يرحمه ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣)﴾ مرّ بيانه فى الصّافات[2] ﴿طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤)﴾ اى الكثير الأثام والمراد الكافر ﴿كَالْمُهْلِ﴾ خبر ثان وهوما يمهل فى النّار حتى يذوب او دردىّ الزيت ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥)﴾ حال من الزّقوم او الطّعام غليا ﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦)﴾ يقال للزّبانية ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ جرّوه بغلظة وشدّة ﴿إِلَى سَوَاءِ

---

[1] - آية: ١٦

[2] - آية: ٦٢

حميم (٤٧)﴾ اى وسطه ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ﴾ للتّبعيض ﴿عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨)﴾ من الحميم الّذى لا يفارقه العذاب لكن اضيف اليه العذاب اضافة بيانية للمبالغة فى سببيّته للعذاب حتى كانّه نفسه فهو ابلغ من ﴿يصبّ من فوق رأوسهم الحميم﴾[1] كما فى آية اخرى وقولوا له استهزاء به ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا﴾ العذاب ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)﴾ فيه تشكّون ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ موضع اقامة ﴿أَمِينٍ (٥١)﴾ يؤمن صاحبه من الآفة والانتقال ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢)﴾ بدل من مقام ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ اى مارق من الديباج وما غلظ منه خبر ثان او استيناف ﴿مُتَقَابِلِينَ (٥٣)﴾ فى مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض فلا ينظر بعضهم الى قفا بعض لدوران الاسرّة بهم ﴿كَذَلِكَ﴾ اى الامر كذلك ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ قرنّاهم ولذا تعدّى بالباء فانّ ما بمعنى العقد لا يتعدّى بها بل بنفسه ﴿بِحُورٍ﴾ جمع حوراء اى البيضاء ﴿عِينٍ (٥٤)﴾ جمع عيناء اى عظيمة العينين واصله عين بضمّ العين كسرت لاجل الياء والاصحّ انّها غير نساء الدّنيا لكن نساء الدّنيا افضل منهنّ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا﴾ اى يطلبون فى الجنّة ان يؤتوا ﴿بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥)﴾ من انقطاعها ومضرّتها ومن كلّ مخوف حال ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ ابدا ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ اى الّتى فى الدّنيا والاستثناء منقطع لانّ الموتة الاولى ليست من جنس ما يذاق فى الجنّة او منقطع للمبالغة فى نفى الموت عنهم كما فى لا عيب فيهم غير انّ ضيوفهم تعاب بنسيان الأحبة والوطن ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦)﴾ اعطوا كلّ ذلك ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ﴾ اى تفضّلا منه ورحمة لا وجوبا كما زعمت المعتزلة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ اى سهّلنا القرآن بلغتك لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨)﴾ يتعظون به فيؤمنون لكنّهم لم يؤمنوا وهو فذلكة واجمال لجميع ما فصّل فى هذه السورة كالاجمال الّذى يكتب فى آخر الحساب ﴿فَارْتَقِبْ﴾ جواب شرط محذوف اى ما لم يتذكروا فارتقب ما يحل بهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩)﴾ ما يحلّ بك.

---

[1] - سورة الحج: ١٩

سورة الجاثية

مكية إلاّ (قل للذين امنوا) الاية وهي ست او سبع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حٰمٓ (١)﴾ متشابه ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن مبتدأ خبره ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي﴾ خلق ﴿السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ووحدانيته ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَ﴾ خلق ﴿مَا﴾ فهو عطف على خلقكم ﴿يَبُثُّ﴾ يفرق فى الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ هى ما يدبّ على الأرض من النّاس وغيرهم ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤)﴾ مرفوع بالحمل على محلّ انّ واسمها ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذهابا ورجوعا وطولا ونقصا ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِّزْقٍ﴾ اى مطر لانّه سبب الرّزق ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ تقليبها مرّة جنوبا ومرّة شمالا وباردة وحارة الى غير ذلك ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)﴾ بالرفع ايضا ويلزمه العطف على معمولى عاملين مختلفين فى والأبتداء لكن لا وصمة فيه لتقدّم المجرور وان اعتبر العطف بعد اضمار فى فى واختلاف فلا يلزم هذا العطف اصلا ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ حال عاملها معنى الاشارة ﴿بِالْحَقِّ﴾ حال من فاعل او مفعول نتلوها او متعلّق به ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ اى بعد حديثه وهو القرآن ﴿وَآيَاتِهِ﴾ حججه المتلوّة ﴿يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذّاب ﴿أَثِيمٍ (٧)﴾ كثير الاثام ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عن الأيمان بالآيات ﴿كَأَنْ لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ كان مخفّفة محذوف الاسم وهو ضمير الشّأن والجملة حال اى يصرّ مثل غير السّامع ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ على اصراره ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا﴾ كلّها ﴿هُزُوًا﴾ مهزوّا بها ﴿أُولٰئِكَ﴾ الافّاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩)﴾ ذو اهانة ﴿مِنْ

وراءهم﴾ اى امامهم لانّهم فى الدّنيا ﴿جهنّم ولا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾ من الأموال والأولاد والأفعال ﴿شيئا﴾ من العذاب ﴿وَلاَ مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ﴾ اى الأصنام ﴿ولهم عذاب عظيم هذا﴾ القرآن ﴿هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ﴾ اشدّ العذاب ﴿أليم﴾ بالرّفع صفة عذاب ﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ بان جعله املس السّطح لا يغوص فيه ماهو متخلخل كالخشب ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ اى باذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالتجارة والغوص والصّيد وغيرها ﴿ولعلكم تشكرون﴾ هذه النّعم ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجم وماء وغيره ﴿وما فى الأرض﴾ من دابّة واشجر ونبات وانهار وغيره اى خلق ذلك لمنافعكم ﴿جميعا منه﴾ حال من ما اى سخّر هذه الأشياء كائنة منه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فى صنايعه ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ اغفروا ﴿يَغْفِرُوا﴾ اى يعفوا ويصفحوا ﴿لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ﴾ يتوقّعون ﴿أَيَّامَ اللهِ﴾ وقائعه باعدائه نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه غفارى فهمّ ان يبطش به والمراد ترك المنازعة معهم فى محقرات الأمور فلا تنافى آية القتال حتّى يقال انّها منسوخة بها كما ذهب اليه اكثر المفسرين ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ هو المؤمنون والتّنكير للتّعظيم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ علّة للأمر بالمغفرة كانّه قيل انّما امروا بان يغفروا ليوفّيهم الله جزاء مغفرتهم يوم القيامة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ ثوابه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ عقابه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم على اعمالكم ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الْكِتَابَ﴾ التّورية ﴿وَالْحُكْمَ﴾ به بين النّاس ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ اذ كثر فيهم الأنبياء ما لم يكثر فى غيرهم ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ اى ما احلّ الله من اللّذائذ ﴿وفضّلناهم على الْعَالَمِينَ﴾ حيث آتيناهم من كثرة الأنبياء منهم وغير ذلك من النّعم ما لم نؤت غيرهم ﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ﴾ اى ادلّه فى امر الدّين ويندرج فيها المعجزات ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ فى ذلك الأمر ﴿إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بحقيقة الحال ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ عداوة وحسدا ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ

يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون (١١)﴾ بالمؤاخذة والمجازات ﴿ثم جعلناك﴾ يا محمّد ﴿على شريعةٍ﴾ طريقة ﴿من الأمر﴾ اى امر الدّين ﴿فاتّبعها ولا تتّبع أهواء الّذين لا يعلمون (١٨)﴾ فى عبادة غير الله اذ كانوا يقولون له ارجع الى دين ابيك ﴿إنّهم لن يُغْنُوا عنك من اللهِ شيئًا﴾ ممّا اراد بك ﴿وإنّ الظّالمين﴾ اى الكافرين ﴿بعضهم أولياء بعضٍ﴾ اذ الجنسيّة علّة الأنضمام فلا توالوهم باتّباع اهوائهم ﴿والله وليّ المتّقين﴾ فوالوه بالتقى واتباع الشّريعة ﴿هذا﴾ القرآن ﴿بصائر للنّاس﴾ بيّنات تبصّرهم وجه الفلاح ﴿وهُدًى﴾ من الضّلال ﴿ورحمةٌ﴾ نعمة من الله ﴿لقومٍ يوقنون (٢٠)﴾ يطلبون اليقين ﴿أمْ﴾ بمعنى بل وهمزة الانكار اى بل أ ﴿حسب الّذين اجترحوا﴾ اكتسبوا ﴿السّيّئات أن نجعلهم﴾ نصيرهم ﴿كالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات﴾ اى مثلهم وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله ﴿سواءً محياهم ومماتهم﴾ بدل منه والضمير للموصول الاوّل لانّ المماثلة فيه اد المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيّان فى البهجة والكرامة كما للمؤمنين قال تعالى على وفق انكاره بالهمزة ﴿ساءَ ما يحكُمُونَ (٢١)﴾ كلمة ما مصدرية اى ساء حكمهم هذا فانّهم فى الآخرة فى العذاب على خلاف عيشهم فى الدّنيا والمؤمنون فى الآخرة فى الثّواب بعملهم الصّالحات فى الدّنيا ﴿وخلقَ اللهُ السّمواتِ والأرضَ بالحقّ﴾ اى بسبب الحقّ ولأجل ظهوره وهو وجود الصّانع ووحدته ووجوب طاعته وحرمة مخالفته ومن جملته حكمه وعدله فيستدعى انتصار الانتقام من الظالم لاجل المظلوم والتّفاوة بين المحسن والمسيء واذا لم يكن فى الحيوة كان بعد الممات فهو كالدّليل على الحكم بعدم مساوات المسيئين والمحسنين بعد الممات ﴿ولتُجْزَى كُلُّ نفسٍ بما كسبتْ﴾ عطف على بالحقّ ﴿وهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٢)﴾ بنقص ثواب او تضعيف عذاب ﴿أفرأيتَ﴾ اخبرنى ﴿من اتّخذَ إلهَهُ هواهُ﴾ اى ترك متابعة الهوى الى مطاوعة الهوى فكانّه يعبده ﴿وأضلّهُ اللهُ على علمٍ﴾ منه تعالى اى عالما بانّه من اهل الضّلالة قبل خلقه ﴿وختمَ على سمعِهِ وقلبِهِ﴾ فلا يبالى بالمواعظ ولا يتفكّر فى الآيات ﴿وجعلَ على بصرِهِ غشاوةً﴾ ظلمة ولا

ينظر بعين الأعتبار ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ اى بعد اضلاله ﴿أفلا تذكّرون (٢٣)﴾ تتعظون ﴿وقالوا﴾ اى منكروا البعث ﴿ما هي﴾ اى الحيوة ﴿إلاّ حياتُنا الدُّنيا﴾ الّتى نحن فيها ﴿نموت ونحيا﴾ اى يموت بعضنا ويحيى بعض بان تولدوا ﴿وما يُهلكُنا إلاّ الدّهرُ﴾ اى مرور الزّمان ﴿وما لهم بذلك﴾ القول ﴿من علمٍ إنْ﴾ ما ﴿هُمْ إلاّ يظنُّون (٢٤)﴾ لبناء امرهم على التّقليد والأنكار لما لم يحسنوا به ﴿وإذا تُتلى عليهم آياتُنا﴾ القرآن ﴿بيّنات﴾ واضحات الدّلالة على البعث حال ﴿ما كانَ حُجّتَهُمْ إلاّ أنْ قالُوا ائتُوا بآبائنا﴾ احياء ﴿إن كنتُمْ صادقين (٢٥)﴾ انا نبعث ﴿قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد ما كنتم نطفا ﴿ثُمّ يُميتُكُمْ ثُمّ يجمعُكُمْ﴾ احياء ﴿إلى يَوْمِ الْقِيمَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾ لقلّة تفكّرهم ﴿وللّه مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ﴾ تعميم للقدرة بعد تخصيصها ﴿ويوم تقوم السّاعة يومئذٍ﴾ بدل ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ﴾ اى اهل دين ﴿جاثية﴾ مجتمعة غير مجتمعة بامّة اخرى او جالسة على الرّكب حال من كلّ امّة لانّ الرّأى بصريّة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ اى صحيفة اعمالها ويقال لهم ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون (٢٨) هٰذَا كِتَابُنَا﴾ اى ديوان الحفظة اضافه الى نفسه لانّ امرهم بكتب الأعمال فيه ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ لا يزيد ولا ينقص ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾ اى نستكتب الملائكة ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالحات فيدخلهم ربّهم في رحمته﴾ الّتى من جملتها الجنّة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠)﴾ الظّاهر ﴿وأمّا الّذين كفروا﴾ فيقال لهم ﴿أَ﴾ لم يأتكم رسلى ﴿فَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ فحذف القول المعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة اذ لا تلاوة بدون اتيان الرّسل ﴿فاستكبرتم﴾ عن الأيمان بها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٣١)﴾ اى قوما عادتهم الأجرام والكفر ﴿وإذا قيل إنّ وعد الله﴾ بالبعث ﴿حقٌّ﴾ كائن لا محالة ﴿والسّاعة لا ريب فيها﴾ افراد للمقصود ﴿قُلْتُمْ ما نَدْرِي مَا﴾ اىّ شئ ﴿السَّاعَةُ إِنْ﴾ ما ﴿نظنّ إلاّ ظنًّا﴾ اصله نظنّ ظنّا فادخل حرف النّفى والاستثناء لأثبات الظنّ ونفى ما

سواه مبالغة فى نفى اليقين كانه قيل ما نحن الاّ نظنّ ظنّا فكلمة الاّ وان كانت متأخرة لفظا فهي متقدمة تقديرا فلا يرد انّ المصدر المؤكّد لا يجوز ان يكون مستثنا مفرّغا لعدم الفائدة ﴿وما نحن بمستيقنين (٣٢)﴾ انّها آتية فعاّ هذا قول بعضهم لئلاّ ينافى جزمهم بنفى البعث فى قولهم ان هى الاّ حياتنا الدّنيا نموت ونحيى ﴿وبدا﴾ ظهر ﴿لهم﴾ فى الآخرة ﴿سيئات ما عملوا﴾ فى الدّنيا اى جزائها ﴿وحاق﴾ نزل ﴿بهم ما كانوا به يستهزؤون (٣٣)﴾ اى العذاب ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ نترككم فى النّار ﴿كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ اى كما تركتم العمل للقائه ﴿ومأواكم النار وما لكم من ناصرين (٣٤)﴾ يخلّصونكم منها ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله﴾ القرآن ﴿هزوا﴾ مهزوا بها ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ فحسبتم ان لا حياة سواها ﴿فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (٣٥)﴾ اى لا يطلب منهم ان يعتبوا ربّهم اى يرضوه بالتّوبة والطّاعة لانّها لا تنفع يومئذ ﴿فلله الحمد﴾ خبر فى معنى الأمر عدل اليه للدّوام والمعنى اذا ثبت ما بيّن فى هذه السّورة من دلائل وحدانيّته وكمال قدرته وعلمه وثواب من اطاعه وعقاب من خالفه ثبت انّه يستحقّ الحمد والتّعظيم فاحمدوه ﴿رب السموات ورب الأرض رب العالمين (٣٦)﴾ اذ كلّ نعمة منه فيجب تخصيص الحمد به دائما ﴿وله الكبرياء﴾ العظمة ﴿في السموات والأرض﴾ اذ ظهر فيهما آثارها وهى ايضا بمعنى الأمر بالتكبير ﴿وهو العزيز﴾ الغالب ﴿الحكيم (٣٧)﴾ فيما قدّر وقضى فخصّصوا التّحميد والتّكبير به.

* * *

سورة الأحقاف

مكيّة إلاّ (قل أرأيتم إن كان من عند الله) الآية وإلاّ (فاصبر كما صبر) الآية (ووصينا الإنسان بوالديه) الثلاث آيات وآيها أربع أو خمس وثلثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حٰمٓ (١)﴾ متشابه وافتتاح السّور السّبع بحم وتسميتها به لكونها مصدّرة ببيان الكتاب متشاكلة فى النّظم والمعنى ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن مبتدأ خبره ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خلقا ملتبسا ﴿بِالْحَقِّ﴾ وهو ما يقتضيه الحكمة والمعدلة ويدلّ على وجود الصّانع الحكيم والبعث للمجازات ﴿وَ﴾ تقدير ﴿أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ينتهى اليه الكلّ وهو يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا﴾ من هول ذلك الوقت ﴿مُعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبرونى ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مفعول اوّل ﴿أَرُونِي﴾ اخبرونى تاكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثان وان لم يجعل اروني تاكيدا فهو متنازع فيه ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بيان ما ﴿أَمْ﴾ منقطعة للأضراب عن الأستفهام الاوّل الى استفهام آخر ﴿لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمٰوَاتِ﴾ خصّ الشّرك بالسّموات احترازا عمّا يتوهم من ان للوسائط شركة فى ايجاد الحوادث السّفلية من حيث انّه تعالى جعلها منوطة بتأثيرها وان لم تستقلّ فيه فلا يتم الاحتجاج عليهم ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ منزّل ﴿مِنْ قَبْلِ هٰذَا﴾ القرآن الناطق بالتوحيد ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾ بقيّة ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ بقيت عليكم من علوم الأوّلين هل فيها ما يدلّ على استحقاق الأصنام العبادة او الأمر بها ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤)﴾ فى دعواكم ﴿وَمَنْ﴾ اى لا احد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ﴾ وهم الأصنام وغيرها لا يجيبون عابدهم الى شئ يسئلونه ابدا ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)﴾ لانّهم امّا جمادات لا يعقلون وامّا عباد مسخرون

مشتغلون بعبادتهم ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ آلهتهم ﴿لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ يضرّونهم ولا ينفعونهم ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦)﴾ جاحدين بلسان الحال والمقال ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ اى لأجله وفى شأنه والمراد به الآيات اتى به للتّسجيل بحقّيتها كما اتى بالّذين كفروا بدل الضّمير للتّسجيل عليهم بالكفر ﴿لَمَّا﴾ حين ﴿جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)﴾ ظاهر بطلانه ثمّ اضرب عنه الى ذكر ماهو اشنع وانكاره فقال ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ فرضا ﴿فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ﴾ اى عذابه ﴿شَيْئًا﴾ اى لا تقدرون على دفعه عنى ان عذّبنى فاىّ نفع لى فى ارتكاب ما لا اتوقّع له نفعا ولا دفع ضرّ من قبلكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون فى القرآن ﴿كَفَى بِهِ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨)﴾ لمن تاب ولا يعاجله بالعقوبة قبلها ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا﴾ بديعا ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه من الأتيان بالمقترحات كلّها ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾ فى الدّارين على التّفصيل فلا ينافى علمه على الأجمال بنحو انّه معصوم وارفع منزلة فى الدّارين وانّ المؤمنين هم المنصورون ومصيرهم الى النّعيم ومصير الكفّار الى الجحيم ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ لا اتجاوزه الى ما تقترحونه من الأخبار بالغيوب ﴿وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩)﴾ بيّن الأنذار بالمعجزات المصدّقة ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اخبرونى ماذا حالكم ﴿إِنْ كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ﴾ جملة حالية بتقدير قد وكذا ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وهو عبدالله بن سلام ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ اى مثل ذلك وهو كونه من عندالله ﴿فَآمَنَ﴾ الشاهد ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ وجواب الشّرط محذوف اى الستم ظالمين دلّ عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)﴾ وهو استيناف مشعر بانّ كفرهم به اضلالهم المسبب عن ظلمهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اى قريش ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ اى لأجلهم وفى حقّهم ﴿لَوْ كَانَ﴾ الأيمان او ما اتى به محمّد ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ فانّهم سقاط عامتهم فقراء وموالى ورعاة ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾ القائلون ﴿بِهِ﴾ اى القرآن ظرف لمحذوف اى ظهر عنادهم

وقوله ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾ كذب ﴿فآمن﴾ مسبّب عنه ﴿ومن قبله﴾ اى القرآن خبر لقوله ﴿كتاب موسى﴾ التّوراة ﴿إماما ورحمة﴾ للمؤمنين حالان من ضمير الكتاب فى الظّرف ﴿ومن قبله كتاب موسى﴾ لكتاب موسى ﴿لسانا عربيا﴾ حال من ضمير مصدّق المعلّل بقوله ﴿لينذر﴾ الله او الرسول لا الكتاب بقرينة الأتيان باللاّم ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿وبشرى للمحسنين (١٢)﴾ فى محلّ النّصب عطف على محلّ لينذر لانّه مفعول له او خبر مبتدأ محذوف اى وهو بشرى بل قيل هو الأجود ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ فى الامور والطّاعة ﴿فلا خوف عليهم﴾ عن لحوق مكروه ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣)﴾ على فوات محبوب ﴿أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها﴾ حال من يجزون ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه إحسانا﴾ مرّ الكلام فيه فى العنكبوت[1] ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ اى حملا ذا كره ومشقّة ﴿ووضعته كرها﴾ بيان لما تكابده الأمّ فى تربية الولد مبالغة فى الوصيّة وكذا ﴿وحمله وفصاله﴾ اى مدّة حمله وفطامه اى رضاعه المنتهى اليه فعبر به عنه ﴿ثلاثون شهرا﴾ ستّة اقلّ مدّة الحمل والباقى اكثر مدّة الرّضاع وتخصيصها لانضباطهما اذ اقلّ من ستة ليس بولادة واكثر منها لا ينضبط واكثر من حولين ليس برضاع واقلّ منهما ضرورىّ ولتحقّق ارتباط حكم النسب والرّضاع بهما ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ﴾ غاية لمحذوف اى فعاش بعد الفصال او اخذ ما وصّيناه به حتّى اذا بلغ ﴿أَشُدَّهُ﴾ اى وقت اشدّه وهو كمال قوّته وعقله وانتهاء النّشو والنّماء وهو ثلاث وثلاثون سنة وقيل ثمانى عشر سنة ﴿وبلغ﴾ تمام ﴿أربعين سنة﴾ وهو اخر مدّة الشّباب والوقوف وبعده تأخذ القوى الطّبيعيّة الحيوانيّة فى الأنتقاص والنّفس تأخذ فى الأستكمال ولذا قيل لم يبعث نبىّ الاّ بعد الأربعين لكن يشكل بعيسى فانّه جعل نبيّا من اوّل الصّبا الاّ ان يحمل على انّ الأغلب انّه ما جاء الوحى الاّ بعد اربعين سنة ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ الهمنى ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ يعنى نعمة الدّين وما يعمّها وغيرها وذلك يؤيّد

[1] - آية: ٨

ما روى انّها نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه لا فى ابن ابى وقاص كما مرّ فى العنكبوت[1] لانّه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والأنصار سواه وكان قبل بعث النّبى عليه السّلام بعشرين سنة صاحبه فى تجارة الى الشّام وهو ابن ثمانى عشر سنة ورأى منه امارة النّبوة فانتظر نزول الوحى عليه ليؤمن به فهو ممّن لم يجر عليه كفر اصلا ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ نكّره للتّعظيم ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ اى اجعل لى الصّلاح ساريا فى ذريّتى طلب من الله المراتب الثلث للسّعادة اكملها النّفسانيّة وهى اشتغال القلب بشكر نعمة الله واوسطها البدنيّة وهى اشتغاله بالطّاعة وادناها الخارجيّة وهى صلاح الأهل والولد فاجابه تعالى فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله منهم بلال ولم يرد شيئا من الخير الاّ اعانه عليه ولم يكن له ذريّة الاّ آمنوا جميعا ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ عمّا لا ترضيه او يشغل عنك ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)﴾ اى المخلصين لك ﴿أُولَئِكَ﴾ القائلون هذا القول ﴿الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ اى طاعتهم فانّ المباح حسن ولا يثاب عليه ويجوز ان يكون بمعنى حسن ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ لتوبتهم كائنين ﴿فِي﴾ عداد ﴿أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ﴾ مصدر مؤكّد لنفسه لانّ ماقبله وعد ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦)﴾ فى الدّنيا لمّا وصف البارّ بوالديه اعقبه بوصف العاق بهما بما نزل فى عبد الرّحمن بن ابى بكر قبل اسلامه فقال ﴿وَالَّذِي﴾ مبتدأ خبره اولئك الآتى ﴿قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ﴾ صوت اذا صوّت به الأنسان علم انّه يتضجّر وقيل اسم فعل بمعنى الضجر واللاّم فى ﴿لَكُمَا﴾ للبيان اى هذا التّأفيف لأجلكما خاصّة دون غيركما ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ ابعث ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ﴾ اى الأمم ﴿مِنْ قَبْلِي﴾ ولم يخرج احد منهم ﴿وَ﴾ حال ﴿هُمَا﴾ اى الوالدين ﴿يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ اى يسألانه ان يغيثه بالتّوفيق للأيمان يقولان له ﴿وَيْلَكَ آمِنْ﴾ بالبعث منصوب على انّه مفعول مطلق لفعل محذوف وجوبا موافق له من حيث المعنى دون الاشتقاق والأصل اهلكك الله ويلا اى اهلاكا فحذف الفعل واضيف المصدر الى مفعوله والمراد منه الحثّ على الأيمان لا

[1] - آية: ٨

حقيقة الدّعاء بالهلاك ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا﴾ الّذى تدعوننى الى الأيمان به من امر البعث ﴿إِلَّا سَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧)﴾ اكاذيبهم الّتى كتبوها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بانّهم اهل النّار لكن دفع عن من نزلت فيه باسلامه ﴿فِي﴾ عداد ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ بيان للأمم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨)﴾ استيناف تعليلىّ للحكم المذكور ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ بمعنى مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر على عموم المجاز فلا يرد انّ ما للكافرين دركات لا درجات ويجوز ان يكون من باب التغليب ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ اى جزائها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩)﴾ بنقص ثواب وزيادة عقاب ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ اى يعذّبون بها بطريق التّعبير عن الشّئ باسم ما يؤدى اليه اذ لا شعور للنّار حتّى يكون بمعنى يظهرون ويبرزون لها ظرف ليقال لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ لذّاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ اى استوفيتموها فيها ﴿وَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ اى تمتّعتم ﴿بِهَا﴾ فما بقى لكم منها شئ ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ اى الهوان والذلّ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)﴾ تخرجون عن طاعة الله ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ ليعتبر قومك وهو هود عليه السّلام ويبدل منه بدل اشتمال ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ واد باليمن به منازلهم ﴿وَ﴾ حال ﴿قَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ الرّسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ اى من قبل هود ومن بعده وفى وصف الآتين بعده بالخلوّ تنزيل للاتىّ منزلة الماضى لكونه محقّق الوقوع والجملة حال اى انذرهم معلّما اياهم بخلو النّذر قبله وبعده او معترضة ﴿أَنْ﴾ اى بان ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ تصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢)﴾ فى وعدك ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ اى هو الّذى يعلم متى يأتيكم العذاب مالى فيه دخل حتّى استعجل به ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ اى ما علىّ الاّ البلاغ ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣)﴾ باستعجالكم العذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ اى الموعود من العذاب ﴿عَارِضًا﴾ اى سحابا عرض فى افق السّماء

حال او تميز لانّ الرأية بصريّة ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ اى متوجّها صفة عارضا اذ الأضافة فيه لفظية وكذا فى ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ اى يأتينا بالمطر قال هود ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب هى ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤)﴾ صفة ريح وكذا ﴿تُدَمِّرُ﴾ تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ من نفوسكم واموالكم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ اى باذنه فطارت بارجالهم ونسائهم وصغارهم بين السّماء والأرض فمزّقتهم بعد ما ملات الاحقاف عليهم سبع ليال وثمانية ايّام وبقى هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ﴾ اى جزاء مثل ذلك الجزاء ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا﴾ اى فى الّذى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ يا اهل مكّة من القوّة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ اسماعا ﴿وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ قلوبا ليعرفوا تلك النّعم ويواظب على شكرها ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ شيئا من الأغناء ومن زائدة ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ظرف لما اغنى مفيد للتّعليل كانّه قيل لانّهم كانوا يجحدون لانّ الحكم مرتب على ما اضيف اليه الظرف ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ (٢٦)﴾ من العذاب ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ يا اهل مكّة ﴿مِنَ الْقُرَى﴾ كحجر ثمود وقرى قوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ بتكريرها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧)﴾ عن كفرهم ﴿فَلَوْلَا﴾ هلاّ ﴿نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ هم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا﴾ منقرّبا بهم الى الله وشفعاء عنده مفعول ثان لاتخذوا و ﴿آلِهَةً﴾ بدل او عطف بيان ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾ الأتخاذ الّذى هذا اثره ﴿إِفْكُهُمْ﴾ صرفهم عن الحقّ ﴿وَمَا﴾ مصدرية او موصولة ﴿كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨)﴾ يكذبون ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ صَرَفْنَا﴾ املنا واهّلنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا﴾ وهو دون العشرة وجمعه انفار ﴿مِنَ الْجِنِّ﴾ جنّ نصيبين اليمن او جنّ نينوى ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ حال ﴿الْقُرْآنَ﴾ الّذى تقرائه فى تهجّدك بواد النّخلة عند الاتيان من الطّائف ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ اى القرآن او الرّسول على طريق الالتفات من الخطاب ﴿قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ اى قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من قرائته ﴿وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩)﴾ ايّاهم بما سمعوا ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ

بعد موسى﴾ قيل انّما قالوا ذلك لانّهم كانوا يهودا او لانّهم متفرقون كالانس ما سمعوا بامر عيسى عليه السّلام ﴿مصدّقا لما بين يديه يهدى إلى الحقّ﴾ من العقايد ﴿وإلى طريق مستقيم﴾ من الشّرايع ﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم﴾ اى بعضها وهو مايكون فى خالص حقّ الله فانّ المظالم لا تغفر بالأيمان ﴿ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض﴾ اذ لا ينجى منه مهرب ﴿وليس له من دونه أولياء﴾ يمنعونه منه ﴿أولئك﴾ الّذين لم يجيبوا ﴿في ضلال مبين (٣٢) أولم يروا﴾ يعلموا ﴿أنّ الله الّذى خلق السّموات والأرض ولم يعى بخلقهنّ﴾ اى لم يتعب ولم يعجز ﴿بقادر على أن يحيى الموتى﴾ خبر انّ زيدت الباء فيه لانّ الكلام فى قوّة اليس الله بقادر بقرينة الجواب ببلى الموضوعة لايجاب النّفى فى ﴿بلى إنّه على كلّ شيء قدير (٣٣) ويوم يعرض الّذين كفروا على النّار﴾ ظرف ليقال لهم ﴿أليس هذا﴾ العذاب ﴿بالحقّ قالوا بلى وربّنا﴾ اهابة بهم وتوبيخا ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٤)﴾ اذا سمعت انّى منتقم من الّذين كفروا ﴿فاصبر﴾ على اذاهم ﴿كما صبر أولوا العزم من الرّسل﴾ اى ذوو الثّبات والصّبر على الشّدائد منهم فانّك من جملتهم ومن للتّبيين فكلّهم ذو عزم وان كان مشاهيرهم وافضلهم بعد محمّد عليه السّلام ابراهيم وموسى وعيسى ونوح وجعل من للتّبعيض بناء على انّ آدم ويونس لم يكنا منهم لقوله ولم نجد له عزما وقوله ولا تكن كصاحب الحوت ليس بصحيح لانّ معنى قوله لم نجد له عزما لم نجد له قصدا الى الخلاف وخروج يونس لم يكن لترك الصّبر ولكن توقّيا عن نزول العذاب او يقال نفى العزم عنهم فى خصوص الواقعة لا مطلقا ﴿ولا تستعجل لهم﴾ اى لقومك بالعذاب كانّه ضجر منهم فاحبّ نزوله بهم فامر بالصبر وترك الاستعجال انّه نازل بهم فى وقته لا محالة ﴿كأنّهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب فى الآخرة لطوله وهوله ظنّوا انّهم ﴿لم يلبثوا﴾ فى الدّنيا ﴿إلاّ ساعة من نهار بلاغ﴾ خبر محذوف اى هذا القرآن او السّورة بلاغ اى تبليغ من الله اليكم ﴿فهل﴾ اى لا ﴿يهلك إلاّ القوم الفاسقون (٣٥)﴾ الخارجون عن الاتّعاظ.

سورة محمد

وتسمّى سورة القتال مدنيّة إلاّ (وكأيّ من قرية) الاية وقيل: مكيّة وآيها ثمان أو تسع وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اهل الكتاب او شياطين قريش او ست نفر من اغنيائهم اطعموا يوم بدر جنود الكفار معدّة لهم على القتال مع المسلمين ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ امتنعوا عن الدّخول فى الأسلام فهو عطف تفسير لكفروا او منعوا النّاس عنه فانّه جاء لازما ومتعدّيا فهو من عطف الخاص على العام للدّلالة على انّه اشدّ مراتب الكفر ﴿أَضَلَّ﴾ احبط بالكفر ﴿أَعْمَالَهُمْ (١)﴾ كاطعام الطّعام وصلة الرّحم وفكّ الاسارى وحفظ الجوار فلا يرون لها فى الآخرة ثوابا ويجزون بها فى الدّنيا من فضله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ اى المهاجرون والأنصار من اهل الكتاب وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ اى القرآن وتخصيصه للتّعظيم والاشعار بانّ الأيمان لا يتمّ دونه وانّه الاصل فيه ولذا اكّده بقوله ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ اعتراضا على طريق الحصر وحقّيته بكونه ناسخا لا ينسخ ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ سترها بالأيمان وعملهم الصّالح ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢)﴾ اى حالهم فى الدّنيا والدّين بالتّوفيق والتّأييد ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإضلال والتكفير والإصلاح مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك البيان ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣)﴾ اى يبيّن احوالهم اى فالكافر يحبط عمله لانّه حزب الشيطان والمؤمن يغفر له لانه حزب الرّحمن فاذا كان الامر كذلك ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فى المحاربة ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ مصدر مؤكّد لفعله المحذوف لدلالته عليه اى فاضربوا رقابهم ضربا فحذف الفعل وقدّم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول عبّر عن

القتل بضرب الرّقاب لان الغالب فيه ان يكون بضرب الرّقبة ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ اكثرتم قتلهم بحيث يعجز الباقون عن الأضرار بالمسلمين ﴿فَشُدُّوا﴾ اى فامسكوا عنه وأسروهم وشدّوا ﴿وَثَاقَ﴾ اى ما يوثق به الاسرى ﴿فَإِمَّا﴾ تمنون عليهم ﴿مَنًّا بَعْدُ﴾ باطلاقهم من غير شئ ﴿وَإِمَّا﴾ تفدون ﴿فِدَاءً﴾ بمال او اسرى مسلمين ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ﴾ اى اهلها ﴿أَوْزَارَهَا﴾ اى اثقالها من السّلاح وغيره بان يسلم الكفّار او يدخلوا فى العهد وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر محذوف اى الامر فيهم ذلك المذكور ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُم﴾ اى لانتقم منهم بالاستيصال بغير قتال ﴿وَلَٰكِن﴾ امركم به ﴿لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ اى المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوا ليستوجبوا الثّواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلوهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدّ بعضهم عن الكفر ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ اى استشهدوا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾ يضيّع ﴿أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ﴾ الى الثّواب ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥)﴾ حالهم ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ﴾ قد ﴿عَرَّفَهَا﴾ بيّنها ﴿لَهُمْ (٦)﴾ فيهتدون الى مساكنهم وازواجهم وخدمهم من غير استدلال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ اى دينه ورسوله ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على عدوّكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾ اى يثبتكم فى المعركة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مبتدأ خبره فتعسوا الواجب الحذف الّذى ابدل عنه ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ اى هلاكا وخيبة من الله واصله الكبّ والسقوط على الوجه بسبب العثرة ﴿وَأَضَلَّ﴾ احبط ﴿أَعْمَالَهُمْ (٨)﴾ عطف على الفعل المقدّر ﴿ذَٰلِكَ﴾ التّعس والأضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ اى القرآن لما فيه من التّوحيد والتكاليف المخالفة لاشتهائهم ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩)﴾ كرّره اشعارا بان الأحباط لا ينفكّ عن الكفر بالقرآن سواء انضم اليه الكفر بسائر مايجب الأيمان به او لا ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ اى اهلك عليهم ما يختصّ بهم من الأنفس والأهل والأموال بالكليّة ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ من وضع الظّاهر موضع المضمر ﴿أَمْثَالُهَا (١٠)﴾ اى امثال عاقبة من قبلهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ اى ناصرهم على اعدائهم

﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١)﴾ يدفع العذاب عنهم وان كان مولاهم بمعنى مالكهم كما فى بعض الآيات ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ والّذين كفروا يتمتّعون﴾ فى الدّنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ اى ليس لهم همّة الاّ بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون الى الآخرة ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢)﴾ اى منزل ومقام ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ مكّة ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ المراد اهلها واسناد الأخراج اليهم لكونهم سببا له لانّهم لم يخرجوه حقيقة لكن مكروا به وارادوا به ان يخرجوه او يقتلوه او يجرحوه فاضطر الى الخروج ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ روعى فيه معنى القرية الاولى ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣)﴾ من الأهلاك ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ حجّة اى القرآن ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ اى من عنده وهم المؤمنون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ كالشرك والمعاصى فرأه حسنا وهم كفار مكّة ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤)﴾ فى ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن الحجّة ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ صفتها العجيبة ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ محذوف الخبر اى فيما قصصنا عليك ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ اى غير متغيّر اسم فاعل من اسن الماء اذا تغير طعمه او ريحه استيناف لبيان المثل ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ الى الحموضة او قرص اللّسان ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾ لذيذة صفة خمر ﴿لِّلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدّنيا فانّها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ لم يخالطه الشمع وفضلات النّحل وغيرها ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ اصناف كائنة ﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ فهو صفة للمبتدأ المحذوف ولهم خبره وفيها متعلّق بما تعلّق به الخبر وقوله ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ اى رضى مع الاحسان المذكور ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ عطف على المبتدأ ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ خبر محذوف اى افمن هو خالد فى هذه الجنّة كمن هو خالد فى النّار ﴿وَسُقُوا﴾ روعى فيه معنى من ﴿مَاءً حَمِيمًا﴾ شديد الحرارة مكان تلك الاشربة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)﴾ اى مصارينهم فخرجت من ادبارهم وهو جمع معا بالقصر وهو مجرى الطعام والشراب فى الجوف والمراد فى الآية جميع ما فى بطن الحيوان والفه عن ياء لقولهم معيان ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ فى خطبة الجمعة وغيرها

وهم المنافقون ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ اى لعلماء الصّحابة استهزاء وسخريّة ﴿مَاذَا﴾ اى ما الّذى ﴿قَالَ آنِفًا﴾ ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا لانّه عبارة عن اوّل وقت يقرب اليك مأخوذ من انف الشئ بمعنى ما تقدّم منه مستعار من الجارحة ومنه الاستيناف وابتنف بمعنى ابتدأ فانّ المستأنف من الشّئ الجزأ المتقدّم منه ولم يستعمل منه فعل ثلاثىّ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَائَهُمْ (١٦)﴾ بالنّفاق فلذلك استهزؤوا بكلامك ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ﴾ الله او قول الرّسول ﴿هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)﴾ اى بيّن لهم ما يتّقون به ﴿فَهَلْ﴾ اى ما ﴿يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ بدل اشتمال من السّاعة ويجعل كالعلّة له ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ جمع شرط بفتح الراء اى علاماتها منها بعث النّبى عليه السّلام وانشقاق القمر والدّخان ﴿فَأَنَّى﴾ اى كيف ﴿لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الساعة ﴿ذِكْرَاهُمْ (١٨)﴾ اى تذكّرهم يعنى لا ينفعهم اذا علمت يامحمّد سعادة المؤمن وشقاوة الكافر ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ اى دم على علمك بالوحدانيّة فانّها النّافعة ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ اى كمّل نفسك باصلاح احوالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وقيل امر به مع عصمته لتستأنس به امّته وقد فعله قال انّى لاستغفر الله فى كلّ يوم مأية مرّة ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ اى لذنوبهم بالدّعاء وتحريضهم على ما يستدعى غفرانهم وفى اعادة الجار اشعار بفرط احتياجهم الى الاستغفار لانّها تدلّ على زيادة عنايته تعالى بطلب المغفرة لهم وذلك يشعر بالأفراط لما فى حذف المضاف وجعل انفسهم مستغفرا لهم اشعار بكثرة ذنوبهم فكانّهم لتوغلهم فيها نفسها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ متصرّفكم لاشغالكم فى الدّنيا ﴿وَمَثْوَاكُمْ (١٩)﴾ فى العقبى فانّها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدّوا لمعادكم ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فى امر الجهاد ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ مبيّنة لا تشابه فيها ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ اى الأمر به ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضعف فى الدّين ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ مخافة منه وكراهة له ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ (٢٠)﴾ فعل ماض من ولى بمعنى قرب وفاعله مضمر فيه

بقرينة السياق اى فقارب الهلاك لهم والمقصود الدعاء عليهم بالهلاك ﴿طاعةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ خبر محذوف اى امرهم فى الاوّل طاعة والجملة استيناف ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ اى جدّ القتال والجدّ لاهله اسند اليه مجازا وجواب اذا العامل فيه محذوف اى كذبوا فيما وعدوا من الطاعة او ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ فى ذلك الوعد ﴿لَكَانَ﴾ الصّدق ﴿خَيْرًا لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ استفهام تقرير وتأكيد للتّوبيخ السّابق والألتفات الى الخطاب للمبالغة فيه وعسى لطمع مضمون الخبر من كلّ من يعرف حالهم فهى بمعنى لعلّ وردت على لغة اهل الحجاز اذ بنوتميم لا يلحقون الضّمائر بها والفاء جزائية اى اذا ثبت انّكم كرهتم امر الجهاد وملتم الى الحظوظ العاجلة فهل يتوقّع منكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ اى ملكتم امور النّاس او اعرضتم عن الاسلام ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)﴾ اى تعودوا الى امر الجاهليّة من البغى والتّناهب وقتال الاقارب على ادنى شئ ﴿أُولَئِكَ﴾ المذكورين ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ لفسادهم وقطعهم الارحام رجع الى الغيبة ليكون كالتّعريض الّذى هو ابلغ من التّصريح ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحقّ ﴿وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)﴾ عن طريق الهدى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ فيعرفوا الحقّ انكر عليهم عدم تدبّرهم فيه مع انّه حكم بانّه الذى اصمهم واعمى ابصارهم ولا انكار على الاصم والاعمى لانّها بسبب اختيارهم اتباع الهوى وترك طريق الهدى اى تدبر القرآن والاتعاظ بما فيه فانّهم لو آثروه لزال صممهم وعميهم واقفال قلوبهم ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾ اى ام يتدبرونه ولكن لا يدخل معانيه فى قلوبهم لكونها مقفّلة فأم متّصلة وتنكير القلوب لانّ المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانّها بلغت فى القسوة حدّا لا يدرك كنهه كانّها مبهمة منكورة ليست من جنس ما يتعارف من القلوب الأنسانية ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ اى الى ما كانوا عليه من الكفر ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ بالدلائل الواضحة ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ اى سهّل لهم اقتراف الكبائر ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥)﴾ اى مدّ لهم فى الآمال والأمانى بان قال لهم فى آجالكم فسحة فتمتّعوا برياستكم ثمّ فى آخر العمر تؤمنون ﴿ذَلِكَ﴾ اى ما ذكر من

التّسويل والأملال ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ اى احد الفريقين المذكورين لآخر وهم اليهود الذين كفروا بمحمد بعد ما ايقنوا بحقيقة امره فى كتبهم او المنافقين الراجعين عن الطاعة من بعد ما تبين لهم حقيقة الاسلام او كليهما للمشركين ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ من نحو عداوة النّبى عليه السّلام وتثبيط النّاس عن الجهاد معه والموافقة فى الخروج ان خرجوا قالوا ذلك سرّا فاظهره الله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦)﴾ بالأمور المذكورة فهو بكسر الهمزة مصدر اسرّ اى اخفى ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حال ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧)﴾ ظهورهم بمقامع من حديد حال من الملائكة وتصوير لتوفّيهم بما يخافون منه ويتركون القتال لأجله ﴿ذَلِكَ﴾ اى التّوفى على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ اى ما يرضاه من الأيمان والجهاد وغيره وامّا رضائه فهم راغبون فيه غير كارهين له بزعمهم ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)﴾ لذلك ثم اضرب عن العلم بالأسرار الى انكار حسبان المنافقين فقال ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ﴾ اى يظهر ﴿أَضْغَانَهُمْ (٢٩)﴾ احقادهم على النّبى والمؤمنين ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ عرّفناكهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ اى بعلامتهم الّتى تسميهم بها كرّرت لام جواب لو فى المعطوف ﴿وَ﴾ الله ﴿لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ اى اسلوبه وامالته الى جهة تعريض فانّهم اذا تكلّموا عندك يعرضوا بما فيه تهجين امر المسلمين فكان عليه السّلام يعرفهم بفحوى كلامهم ولذا يمنع من الصّلوة على جنازتهم والقيام على قبورهم لكن لا يظهر امرهم مالم يأذن له الله ثمّ انّه لمّا شرح حالهم خاطب المؤمنين بقوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠)﴾ فيجازيكم على حسب قصدكم فيها اذ الاعمال بالنّيات ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ نختبرنكم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ على المشاق ﴿وَنَبْلُوَ﴾ اى نعلم فهو من اطلاق اسم السّبب وهو الاخبار على المسبّب وهو العلم ﴿أَخْبَارَكُمْ (٣١)﴾ الّتى نخبرها عن اعمالكم اهى حسنة ام قبيحة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ خالفوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ

الهدى﴾ هم قريظة والنّضير ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢)﴾ اى ثواب حسنات اعمالهم فى الآخرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)﴾ بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرّياء والمنّ والأذى ونحوها ولا دليل فيها على احباط الطاعات بالكبائر ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤)﴾ عام فى كلّ من مات على كفره وان صحّ نزوله فى اصحاب القليب ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ اى الصلح مع الكفار اذا لقيتموهم ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ اى الأغلبون القاهرون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنّصر ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَالَكُمْ (٣٥)﴾ اى ثوابها ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ لا ثبات لها ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ اى ثواب ايمانكم وتقويكم ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦)﴾ اى جميعها بل الزّكوة المفروضة فيها ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ اى يلحّ عليكم ويبالغ فى الطّلب عطف على فعل الشّرط بالفاء الدّالة على انّ الاحفاء يتبع السّؤال وجواب الشرط ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ﴾ اى الله او البخل لانّه سبب ﴿أَضْغَانَكُمْ (٣٧)﴾ جمع ضغن بمعنى الحقد لدين الاسلام والنّبى عليه السّلام ﴿هَا﴾ للتّنبيه ﴿أَنْتُمْ﴾ يا مخاطبون مبتدأ خبره ﴿هَؤُلَاءِ﴾ الموصوفون الّذين وصفناهم ويجعل استينافا لبيان ما وصفوا به قوله ﴿تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اى يطلب منكم اليسير ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ﴾ عليه فكيف لو طلب منكم الكلّ فهو كالدّليل على الآية المتقدّمة ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ فان نفع الانفاق وضرّ البخل عائدان اليه والبخل يتعدّى بعن وعلى لتضمّنه معنى الامساك والتّعدى فانّه امساك عن مستحقّ وتعدّى عليه ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عن انفاقكم ﴿وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ اليه فان امتثلتم فلكم وان تولّيتم فعليكم ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عطف على ان تؤمنوا ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ اى يجعلهم بدلكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)﴾ بل مطيعين له تعالى فى كلّ ما امرهم سئل عليه السّلام عن ذلك القوم فضرب فخذ سلمان وقال هذا وقومه يعنى الفرس ثمّ قال والّذى نفسى بيده لو كان الإيمان منوطا بالثّريا لتناوله رجال من الفرس.

سورة الفتح

مدنيّة وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١)﴾ ظاهرا وعده سنة الست من الهجرة بعد ما رجع من الحديبية بفتح مكّة سنة الثمان من الهجرة فعبّر بالماضى لتحقّقه ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ﴾ علّة للفتح من حيث انّه مسبب عن الجهاد المشتمل على منافع دينيّة ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ اى جميع ما فرط منك مما يصحّ ان يعاتب عليه وقيل المقصود ترغيب الأمّة اذ لا ذنب له اصلا ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ باعلاء الدّين وضمّ الملك الى النّبوة ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢)﴾ فى تبليغ الرّياسة واقامة مراسم الرّياسة ﴿وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣)﴾ اى ذا عزّ ومنعة لا ذلّ معه كما فى عيشة راضية اى ذات رضى ثم بيّن وجه النّصرة بقوله ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطّمأنينة تحقيقا للنصرة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بتقوية يقينهم فيثبتوا على الحقّ حين تضطرب ضعفاء القلوب ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يدبّر امرها فيسلّط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهم الصلح اخرى كما تقتضيه حكمته ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بالمصالح ﴿حَكِيمًا (٤)﴾ فيما يقدّر ويدبّر ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ علة بما بعده لما دلّ عليه ولله جنود آه من معنى التّدبير بتسليطهم غيظا للكفّار او لفتحنا ليكون بيانا لنفع الفتح للمؤمنين كما انّ قوله ليغفر بيان لنفعه له عليه السّلام ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الأدخال والتكفير ﴿عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥) وَيُعَذِّبَ﴾ عطف على يدخل ﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ

السَّوْءِ﴾ اى ظنّوا ان لا ينصر رسوله والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ اى دائرة ما يظنونه ويتربّصون بالمؤمنين لا يتخطّاهم ولم يظفروا بالنّصرة ابدا ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٦)﴾ هى ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اى جنود العذاب يعذّب بهم الكفار فى جهنّم كما له جنود الرّحمة يدخل بهم المؤمنين الجنّة كما فهم من ذكره قبل ليدخل المؤمنين ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ على امّتك فى القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨)﴾ لهم على الطّاعة والمعصية ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ انت وامّتك بتغليب المخاطب على الغائبين وهو دليل انّه يجب عليه الأيمان برسالته ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ اى تقووه بنصرة دينه ورسوله ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ اى تعظّموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ اى تنزهوه او تصلّوا له ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)﴾ اى غدوة وعشية او دائما ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بيعة الرّضوان بالحديبيّة تحت الشّجرة عبّر عن المعاهدة بالمبايعة على سبيل الاستعارة التّبعية لاشتراكهما فى المبادلة فانّ فى المعاهدة تبدّل الثّبات بمرضات الله والأثابة بالجنّة ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ لانّه المقصود بالبيعة من حيث انّ ثوابها يصل اليهم منه تعالى فهو نحو من يطع الرّسول فقد اطاع الله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ حال من فاعل يبايعون او استيناف لتصوير المبايعة معه تعالى وتاكيدها ولما شبّه بالمبايع اثبت له اليد تخييلا ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ نقض العهد ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ فلا يعود ضرر نكثه الاّ عليه ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)﴾ هو الجنّة لانّها الثّمن فى المبايعة ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ اى الّذين خلّفهم الله من صحبتك وهم اربعة قبائل حول المدينة طلب منهم ان يخرجوا معه عام الحديبيّة فتخلّفوا خوفا من ان يعرض لهم قريش بالحرب ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك اذ ليس لنا من يقوم باشغالنا ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ من الله على التّخلف قال تعالى تكذيبا لهم فى اعتذارهم واستغفارهم ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ اذ ليس لهم مانع من الخروج الاّ ضعف العقيدة والنّفاق وخوف حلول الضّرر بهم ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ

ﷺ﴾ اى لا احد يمنعكم من مشيته وقضائه ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ اى ما يضرّكم كقتل وهزيمة وخلل فى المال والأهل ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ كضد ذلك ثم اضرب عن تكذيبهم الى ايعادهم بالجزاء بقوله ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١)﴾ فيجازيكم عليه ثم اضرب عنه الى بيان ما حملهم على التّخلف بقوله ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ﴾ يرجع ﴿الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ لظنّكم انّ المشركين يستأصلونهم بالقتل ﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ هذا وسائر ظنونكم الزائغة فهو من عطف العام على الخاص ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢)﴾ جمع بائر اى هالكين عند الله لفساد عقيدتكم ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ من وضع الظّاهر موضع المضمر ﴿سَعِيرًا (١٣)﴾ ولمّا وعد المبايعين بالاجر العظيم والظانين بالعذاب الاليم اى السعير ذكر مايدلّ على ذلك وعلى القدرة على الوفاء فقال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٤)﴾ فانّ الغفران والرّحمة من دأبه والتّعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذا جاء فى الحديث القدسىّ سبقت رحمتى غضبى ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ﴾ اى مغانم خيبر فانّه عليه السّلام غزاها بمن شهد معه الحديبيّة بعد ما رجع منها بنحو شهر ففتحها واغنم اموالا كثيرة فخصّها بهم ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ﴾ حال من المخلّفين او استيناف لبيان مرادهم ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ اى وعده لاهل الحديبية ان يعوّضهم من مغانم مكّة مغانم خيبر ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ نفى فى معنى النّهى ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ اى من قبل تميّزهم للخروج الى خيبر ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ ما حكم الله بعدم اتّباعنا ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ اى ان نشارككم فى الغنائم قال تعالى ردّا لهم فى ذلك وتجهيلا لهم بأمور الدّين ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ اى يفهمون ﴿إِلَّا﴾ فهما ﴿قَلِيلًا (١٥) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ اعادهم مظهرا مبالغة فى الذمّ وشناعة التّخلف ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي﴾ اى اصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ هم بنو حنيفة اصحاب اليمامة او غيرهم

ممّن ارتدّوا بعده عليه السّلام او المشركين ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ﴾ حال مقدّرة ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ اى الواجب احد الأمرين امّا المقاتلة او الأسلام لا غير كماهو حال المرتدّ والمشرك وامّا غيرهم كاهل الكتاب والمجوس فيقبل منهم الجزية ايضا ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ هو الغنيمة فى الدّنيا والجنّة فى الآخرة ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ عن الحديبيّة ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦)﴾ لتضاعف جرمكم ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ فى ترك الجهاد ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المسمين باهل بيعة الرضوان ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبيّة ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ السّمرة او السّدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفرّوا منهم وكانوا الفا وثلثمأية او اكثر ويشهد لهم بالجنّة كاهل احد وبدر ويدخل فيهم العشرة المبشّرة المشهورة وهى ارجى لباقى الصّحابة من غيرهم ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصّدق والوفاء ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ اى الطّمأنينة بالتّشجيع او الصّلح ﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)﴾ وهو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ لخيبر ﴿يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩)﴾ غالبا مراعيا مقتضى الحكمة ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات الى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ مغانم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ اى ايدى اهل خيبر وهم سبعون الفا وايدى حلفائهم من بنى اسد وغطفان بالقاء الرّعب فى قلوبهم فلم يضرّوا عيالكم بالمدينة وايدى قريش بالصّلح ﴿وَلِتَكُونَ﴾ اى هذه الكفة اوالغنيمة عطف على محذوف اى لتشكروه ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ على نصرتهم ورفعتهم عند الله ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠)﴾ هو الثّقة بفضل الله والتّوكل عليه ﴿وَ﴾ مغانم ﴿أُخْرَى﴾ لهوازن وفارس عطف على هذه ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ بعد ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ اى استولى فاظفركم بها عقيب فتح مكّة فى غزوة حنين ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من اهل مكّة بالحديبيّة ولم يصالحوا ﴿لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ﴾ اى

لأنهزموا ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصرة المؤمنين اى سنّ الله ذلك سنّة قديمة كما قال لأغلبنّ انا ورسلى ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ فى داخل مكّة ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ﴾ سلّطكم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بان هزم جندكم مع خالد بن وليد جندهم الخارجين مع عكرمة بن ابى جهل حتى ادخلوهم حيطان مكّة وعادوا ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من مقاتلتهم اوّلا طاعة لرسوله وكفّهم ثانيا لتعظيم بيته ﴿بَصِيرًا (٢٤)﴾ فيجازيهم عليه ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ﴾ اى ما يهدى الى مكّة عطف على كم ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوسا حال منه ويجعل بدل اشتمال عن الهدى او بتقدير عن متعلّقا بمعكوفا قوله ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ اى مكانه المعهود الّذى ينحر فيه وهو منى فى حقّ غير المحصر واما هو فيريقه حيث احصر ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون بمكّة مع الكفار ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ اى لم تعرفوهم لأختلاطهم بهم فيه تغليب الذّكور وكذا فى ﴿أَنْ تَطَئُوهُمْ﴾ اى توقعوا بهم وتقتلوهم بدل اشتمال من هم ويعطف عليه ﴿فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ﴾ اى من جهتهم ﴿مَعَرَّةٌ﴾ مكروه كالاثم بالتّقصير فى البحث عنهم ووجوب الدّية او الكفارة ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ صفة معرّة وجواب لولا محذوف اى لما كفّ ايديكم عنهم لكن كفّ حينئذ ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كالمؤمنين المذكورين ومن يرجى منه الاسلام ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ تميز بعضهم عن بعض ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥)﴾ بالقتل والسّبى على يدكم ﴿إِذْ﴾ ظرف لعذّبنا او مقدّر باذكر ﴿جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الانفة ويبدل منها ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ اى الحميّة النّاشية من الجهل والكفر بان قالوا انّهم كيف نأذن ان يدخل علينا من قتل آبائنا واخواننا حتّى تعيّرنا العرب فهمّ المؤمنون حينئذ ان يبطشوهم ويقاتلوهم ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ اى انزل عليهم الوقار والثّبات حتّى صالحوهم بطلبهم ان يرجع

من ذلك العام ليخلّوا لهم مكّة من العام القابل ثلاثة ايّام وكتبوا لهم كتابا على ذلك ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ اى كلمة الشّهادة واضافتها الى التّقوى لانّها بسببه او لانّها يتّقى بها من الشّرك والنّار او الوفاء بعهد فانّ المشركين نقضوه دونهم ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ اى بالكلمة من الكفّار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطف تفسير لاحقّ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦)﴾ فيعلم اهل كلّ شئ ويسّره له ولمّا صالحوا ولم يدخلوا مكّة ارتاب المنافقون فى ماكان قد قصّ عليه السّلام انّه رأى انّه واصحابه دخلوا مكّة آمنين محلّقين او مقصّرين فنزل ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا﴾ اى فى رأياه على الحذف والأيصال فانّ يصدق يتعدى الى اوّل مفعوليه بنفسه والى الثّانى بفى ملتبسة ﴿بِالْحَقِّ﴾ فانّها واقعة البتة وان لم تقع فى هذه السّنة لانّ وقتها المقدّر السّنة القابلة وقوله ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ تفسير لها او جواب قسم مقدّر وجملة القسم استيناف لتحقيق صدقه تعالى فيما اراه ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ للتبرك او تعليم العباد ليقولوه فى عداتهم والاّ فهو ليس بشاك حتّى يعلّق عدته به ﴿آمِنِينَ﴾ حال مقدّر من واو تدخلن وكذا ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ اى محلّقا بعضهم جميع شعرها ومقصرا آخرون بعضه ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ بعد ذلك ابدا حال مؤكّدة او استيناف ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الحكمة فى تأخير ذلك الى السّنة القابلة عطف على لقد صدق ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ الدّخول ﴿فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧)﴾ هو فتح خيبر لتستريح به قلوبكم الى ان يتيسّر الموعود ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ ملتبسا ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ اى دين الاسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ يغلبه ﴿عَلَى الدِّينِ﴾ اى جنس الدين ﴿كُلِّهِ﴾ بان ينسخ به ما عداه ويسلّط اهله على اهله ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨)﴾ على انّ ما وعده كائن البتة ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ جملة مستانفة لبيان الرّسول بعد ذكر ارساله بالهدى او مبتدأ موصوف ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ عطف عليه وخبرهما ﴿أَشِدَّاءُ﴾ جمع شديد اى غلاظ ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ جمع رحيم اى يرحم بعضهم بعضا كالوالد مع الولد ﴿تَرَاهُمْ﴾ تبصرهم ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ اى مصلّين فى اكثر اوقاتهم حالان

منهم وقوله ﴿يَبْتَغُونَ﴾ استيناف او حال من المستكنّ فيهما ﴿فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم مبتدأ خبره ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ بيان للعلامة صفة لها او حال من ضميرها فى الخبر والمراد بذلك الأثر ما يظهر عليها فى الدّنيا من اصفرار الوجه من طول السّهر وابتهاجها وما يبقى على الجباه من التّراب لانّ المستحبّ ان يسجد عليه او ما يظهر عليها يوم القيامة من النّور ﴿ذَلِكَ﴾ اى ما ذكر من وصفهم مبتدأ خبره ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم العجيبة المذكورة ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ﴾ اى وصفوا بذلك فى الكتابين جميعا ﴿كَزَرْعٍ﴾ تمثيل مستأنف اى هم كزرع ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾ اى قوّاه واعانه ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ غلظ ﴿فَاسْتَوَى﴾ استقام ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾ قصبه جمع ساق ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ لحسن منظره مثّل الصّحابة بذلك لانّهم بدوا فى قلّة وضعف فكثّروا وقووا بحيث اعجبوا النّاس ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ علّة لتشبيههم بالزّرع فيما ذكر او لقوله ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ لبيان الجنس لا للتبعيض لانّ كلّهم بالصّفة المذكورة ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)﴾ اى الجنّة.

* * *

سورة الحجرات

مدنيّة وآيها ثمان عشرة
ويسمّى من هنا على الأصح إلى الآخر مفصّلا لكثرة الفصول بين سوره،
وقيل: لقلّة المنسوخ، وقيل: من الصافات. وقيل: من الضحى وقيل غير ذلك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا﴾ امّا متعدّ حذف مفعوله للتعميم اى لا تقدّموا امرا او من قدّم بمعنى تقدّم اى لا تتقدّموا ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ اى لا تقطعوا امرا من امور الدّين قبل ان يحكما به فهو استعارة تمثيليّة على تشبيه حالهم فى ذلك القطع بحال من يتقدّم فى المشى على من كان الواجب عليه ان يتأخّر عنه تعظيما له ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ فى مخالفة الحكم ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لاقوالكم ﴿عَلِيمٌ (١)﴾ بافعالكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ اى لا تجعلوا اصواتكم اعلى من صوته حين المكالمة معه بل اجعلوها اخفض ﴿وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ حين تكلّموه وهو ساكة ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل ناجوه بقول ليّن مخفوض اجلالا له ﴿أَنْ تَحْبَطَ﴾ اى خشية ان تحبط بالجهر والرّفع ﴿أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ (٢)﴾ لانّ فيهما استخفافا يؤدّى الى الكفر المحبط اذا انضمّ اليه قصد الأهانة وبعد النّهى عنهما مدح من لا يفعلهما بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ﴾ يخفضون ﴿أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ﴾ مراعاة للأدب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ اى جرّبها له كناية عن تمرّنها عليه وجعله صفة راسخة فيها لانّ التّجربة بالتّكرير وهو يستلزم التّمرن والرّسوخ ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)﴾ لغضهم وسائر طاعاتهم استيناف لبيان ماهو جزائهم او خبر ثان لانّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ﴾ ابتدائيّة ﴿وَرَاءِ﴾ خلف او قدام ﴿الْحُجُرَاتِ﴾ اى حجرات نسائه عليه السّلام جمع حجرة وذلك بان اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او تفرّقوا عليها منادين فاسند فعل الأبعاض الى الكلّ ﴿أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ (٤)﴾ ما يناسب منصبك

من التّعظيم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ اى لو ثبت صبرهم وانتظارهم ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ﴾ الصبر ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرّسول الموجبين للثناء والثّواب ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ حيث اقتصر على النّصح لهم ونزّل لما همّ عليه السّلام بقتال بنى المصطلق لما قال له الوليد بن عقبة وكان قد بعثه لأخذ زكوتهم منعوا الزكوة وهمّوا بقتلى وكانوا قد استقبلوه اكراما له فظنّهم مقاتليه لحقد كان بينه وبينهم فى الجاهليّة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ خبر ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ تفصّحوا واعرفوا صدقه من كذبه كراهة ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ حال من الفاعل اى جاهلين بحالهم ﴿فَتُصْبِحُوا﴾ تصيروا ﴿عَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ بهم ﴿نَادِمِينَ (٦)﴾ روى انّهم جائوا اليه عليه السّلام منكرين ما حكاه الوليد عنهم فبعث اليهم خالدا فلم ير فيهم الاّ الطّاعة والخير ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ نزلهم منزلة من لا يعلم انّه فيهم لتقصيرهم فى طاعته وطلبهم ان يتبع رأيهم الفاسد ثمّ بيّن فساد ما ارادوه من طاعته لهم بقوله ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ كامركم اياه بالأيقاع ببنى المصطلق لانّ بعضهم كان اشار اليه بذلك ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لوقعتم فى الجهد والأثم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾ اى الخروج عن العدل بارتكاب الكبائر ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾ اى الأمتناع عن الأنقياد باىّ ذنب كان وذلك هو الّذى حملكم على تصديق قول الوليد والاهتمام على الأيقاع ببنى مصطلق والاستدراك لبيان عذرهم ودفع توهم ان يكون الحامل لهم على ذلك محبة الظلم والفساد فى الارض بغير حق ﴿أُولَئِكَ﴾ فيه التفات الى الخطاب ﴿هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ تعليل لحبّب وكرّه على سبيل التّنازع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ باحوال المؤمنين ﴿حَكِيمٌ (٨)﴾ فى انعامه عليهم ولمّا حذر من العمل بمقتضى قول الفاسق بيّن الحكم على تقدير ان يتّفق ذلك ويلزم منه اقتتال كما وقع بين الاوس والخزرج فانّه عليه السّلام مرّ راكبا حمارا على ملأ من الانصار فيهم عبدالله بن ابى المنافق الخزرجى فبال الحمار فامسك انفه وقال نحّ عنّا نتن حمارك فقال عبد الله بن رواحة الاوسىّ والله لبول حمار رسول الله اطيب رائحة من مسكك وطال الكلام

بينهما حتّى وقع بين قومهما ضرب بالأيد والنّعال والسّعف فقال ﴿وإن طائفتان من المؤمنين﴾ وعشيرة بن ابيرق كانوا مؤمنين وان كان هو منافقا ﴿اقتتلوا﴾ تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فانّ كلّ طائفة جمع ﴿فأصلحوا بينهما﴾ بالنّصح والدّعاء الى حكم الله ﴿فإن بغت﴾ تعدّت ﴿إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء﴾ ترجع ﴿إلى أمر الله﴾ اى ما امر به ﴿فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ بفصل ما بينهما على ما حكم الله والتّقييد بالعدل لانّ الاصلاح بعد المقاتلة مظنّة الحيف ﴿وأقسطوا﴾ اعدلوا فى كلّ الأمور ﴿إن الله يحب المُقْسِطِينَ (٩)﴾ بان يجازيهم حسن الجزاء ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ لانّهم منسوبون الى اصل هو الأيمان الموجب للحيوة الأبديّة فهى اقوى من اخويّة النّسب لانّها لا تعتبر اذا خلت عن اخوّية الاسلام ولذلك لا يتوارث الكافر والمسلم ولهذا المعنى اتى بانّما للحصر وهو تعليل وتقرير للأمر بالصّلاح ولذلك كرّره مرتّبا عليه بالفاء فقال ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ واتى بالمظهر مضافا الى المأمورين للمبالغة فى التّقرير وخصّ الأثنين لانّهما اقل من يقع بينهم الشّقاق ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ فى مخالفة حكمه والاهمال فيه ﴿لعلكم ترحمون (١٠) يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قَوْمٌ﴾ رجال منكم ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ اى لا يستحقره ويسقطه عن درجة الأعتبار واستأنف العلّة الموجبة للنّهى بقوله ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا﴾ اى المسخور منهم ﴿خَيْرًا﴾ عند الله ﴿مِنْهُمْ﴾ اى من السّاخرين ﴿وَلاَ نِسَاءٌ﴾ منكم ﴿مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ اى لا يعيب بعضكم بعضا بما فيه فانّ المؤمنين كنفس واحدة وهذا دون السّخرية لانّ اللاّمز لا يسقط الملموز عن درجة الأعتبار بالكليّة كالساخر بل يلتفت اليه فيعيبه بشئ ﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾ اى لا يدعوا بعضكم بعضا بلقب يكرهه ومنه يا فاسق ويا كافر وهو دون اللّمز لانّه لا يوجب النّقص من حيث انّه مجرّد تسمية لا يقتضى وجود معناه اللّغوى فى المسمّى ﴿بِئْسَ الاِسْمُ﴾ ما يذكر به المؤمن فاعل بئس والمخصوص بالذّم ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ اى ان يذكر بالفسوق والنّبز المنهىّ عنه بعد دخوله فى الأيمان ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ عمّا نهى عنه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ

﴿ ... ﴾ وايهام الكثير وتنكيره ثمّ تبيينه الدّال على انّ المراد بعض الظنّ لبيان انّه كثير فى نفسه وانّه ينبغى ان يحتاط فى كلّ ظن ويتأمّل حتى يعلم انّه من اىّ قبيل فانّ منه ما يجب اتباعه كحسن الظنّ بالله وما يحرم كسوء الظّن بالمؤمنين وما يباح كالظنّ فى الأمور المعاشية ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ كسوء الظّن بمن لا يعلم منه فسق فانّه كثير فهو استيناف تعليل للأمر بالاجتناب ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ عن عورات المسلمين ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ اى لا يذكره بشيء يكرهه ثمّ فيه او فى نحو دابّته سئل عليه السّلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ استعارة تمثيلية على تشبيه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول غرض المغتاب بأكل لحم لأخ ميتا انّه فى غاية القبح والبعد عن حق الأخوة وان لم يؤلمه فميتا وفتحه يدفع توهم ان الاغتياب لا يؤلم المغتاب اذا لم يطلع عليه فليكن مباحا وهو حال من اللحم لانّ لحم المنفصل من الحيّ يوصف بانّه ميت او من الأخ لجواز اسقاط المضاف واقامته مقامه ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ جواب شرط محذوف اى ان عرض عليكم هذا كرهتموه فاكرهوا لاغتياب انّه نظيره ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه ويكفى التّوبة من الغيبة والاستغفار للمغتاب مالم تبلغه والاّ فلابدّ من استحلاله عما يقدرها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ آدم وحوى ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ جمع شعب بفتح الشّين وهو الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو تجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة البطون والبطن الأفخاذ والفخذ الفصائل فخزاعة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعبّاس فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ فيه حذف احدى التّائين اى ليعرف بعضكم بعضا فلا تضلّوا النّسب لا لان تتفاخروا بالآباء والنّسب اذ الفخر ليس بذلك بل بالتّقوى كما قال ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ اذ بالتّقوى تكمل النّفوس ويتفاضل الأشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما فى حديث: «من سرّه ان يكون اكرم النّاس فليتّق الله فعبد حبشىّ متّق اكرم على الله من نحو قريشىّ ذا

نسب فاسق» وان كان انتفاع النّسب مرجوّا البتّة كما نطقت به بعض النّصوص ﴿إِنَّ اللَّهَ عليمٌ﴾ بكم ﴿خبيرٌ (١٣)﴾ ببواطنكم ولمّا بيّن انّ الشّرف انّما هو بالتّقوى واصله الأيمان بيّن انّه لا يكون باللّسان وحده بل لابدّ من التّصديق بالجنان فقال ﴿قالت الأعراب﴾ نفر من بنى اسد متلفّظين بالشّهادتين ﴿آمنّا﴾ ولم نقاتلك لطعنهم الصّدقة ﴿قل لم تؤمنوا﴾ لانّ الأيمان التّصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل ذلك لكم والاّ لما منتم عنّى بالاسلام وترك المقاتلة كما دلّ عليه آخر السّورة ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ فانّ الاسلام انقياد ودخول فى السّلم وقد حصّلتموه باظهار الشّهادتين وترك المقاتلة ﴿ولمّا﴾ اى ولم ﴿يدخل الايمان فى قُلُوبِكُمْ﴾ الى الآن لكنه يتوقّع منكم حال من فاعل قولوا وتوقيت له ﴿وإن تطيعوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالاخلاص وترك النّفاق ﴿لاَ يَلِتْكُمْ﴾ اى لا ينقصكم ﴿من أعمالكم﴾ اى اجورها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما فرط من المطيعين ﴿رَحِيمٌ﴾ بالتّفضل عليهم ﴿إِنَّمَا المؤمنون﴾ مبتدأ خبره ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكّوا فى الأيمان ابدا كما يقتضيه ثمّ ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اى فى طاعته والمجاهدة بالاموال والأنفس لا يختصّ بتقوية الغزاة فقط بل تعمّ جميع العبادات المالية والبدنيّة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فى ايمانهم لا من قالوا آمنّا ولم يوجد منهم غير الأسلام ﴿قُلْ﴾ توبيخا لهم وانكارا عليهم ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ اى اتخبرونه به بقولكم آمنّا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦)﴾ لا يخفى عليه خافية ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ﴾ اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمّن الفعل معنى الاعتداد وكذا الكلام فى ما قبله وما بعده سمّى ما ادّعاه ايمانا اسلاما لكونه اياه حقيقة ثمّ ذكر انّه على تقدير كونه أيمانا كما هو زعمهم فللّه المنّة عليهم بالهداية له لا لهم فقال ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ الّذى زعمتموه ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾ فى ادعاء الأيمان لكن لستم بصادقين فلا ينافى ما مرّ من قوله لم تؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ اى ما غاب فيهما ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ فى سرّكم وعلانيّتكم فلا يخفى عليه خافية.

سورة ق

مكيّة قيل: الاّ (ولقد خلقنا السّموات) الاية وايها خمس وأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قٓ﴾ متشابه ﴿وَ﴾ للقسم ﴿الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١)﴾ اى ذى المجد والشّرف وجواب القسم محذوف اى انّ محمّدا رسول الله لا مجال للتّعجب من امره او ما آمن الكفّار بمحمّد فيجعل اضرابا منه على التّقديرين قوله ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ﴾ اى رسول من انفسهم يخوّفهم بالعذاب بعد البعث مع انّه ليس بعجب فى نفس الأمر وحكى تعجّبهم وفصّله بقوله ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا﴾ اى اختيار محمّد للرّسالة ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢)﴾ وانّما اضمرهم ثمّ اظهرهم مع انّ القياس العكس للاشعار بتعيّنهم لهذا المقال ثمّ التّسجيل على كفرهم بذلك ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ وجواب اذا النّاصب له محذوف اى نرجع دلّ عليه قوله ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣)﴾ عن الوهم او العادة وردّ هذا الاستبعاد النّاشى من استبعاد احاطة العلم بتفاصيل الأجزاء والقدرة على جمعها باثبات علمه المحيط الدّال على قدرته على ما يشاء فقال ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ اى ما تاكل من اجساد موتاهم ﴿وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)﴾ لتفاصيل الاشياء كلّها وهو اللّوح المحفوظ والمراد تأكيد علمه بها بثبوتها فيه ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ اى النّبى او القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ظرف زمان منصوب بكذّبوا والأضراب لانكر تعجبهم من امر البعثة وهذا الأنكار تكذيبهم الحقّ فى اوّل الأمر من غير تدبّر ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ (٥)﴾ مضطرب فقالوا مرّة ساحر وسحر ومرّة شاعر وشعر ومرّة كاهن وكهانة ثمّ ذكر ما يدلّ على قدرته على البعث دلالة ظاهرة فقال ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا﴾ باعينهم معتبرين بعقولهم حين انكروا البعث ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ كائنة ﴿فَوْقَهُمْ

كيْف بنيْناها﴾ رفعناها بلا عمد ﴿وزيّنّاها﴾ بالكواكب ﴿وما لها مِنْ فُرُوجٍ (٦)﴾ شقوق تعيبها ﴿والأَرْضَ﴾ منصوب بفعل يفسّره كيف ﴿مددْناها﴾ بسطناها على وجه الماء بحيث يمكنهم السّكون عليها ﴿وألْقيْنا فيها رواسِيَ﴾ جبالا ثبتها ﴿وأنبتْنا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ (٧)﴾ حسن ﴿تَبْصِرَةً وذِكْرى﴾ اى تبصيرا منّا وتذكيرا ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨)﴾ راجع الى ربّه متفكّر فى بدايع صنعه وهما علّتان للأفعال المذكورة كلّها على سبيل التّنازع ﴿ونَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً﴾ كثير البركة والنّفع ﴿فَأَنبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ اشجارا وثمارا ﴿وَحَبَّ﴾ الزّرع ﴿الْحَصِيدِ (٩)﴾ اى من شأنه ان يحصد كالبرّ والشّعير ﴿والنَّخْلَ﴾ عطف على جنات وتخصيصها بالذّكر لكثرة منافعها ﴿باسِقاتٍ﴾ حال اى طولا او حوامل حال مقدّرة منها لانّها حال الأنبات لم تكن كذلك وكذا ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠)﴾ متراكب بعضه فوق بعض ﴿رِزْقاً لِلْعِبادِ﴾ علّة لأنبتنا ﴿وأَحْيَيْنا بِهِ﴾ اى بذلك الماء ﴿بَلْدَةً مَيْتاً﴾ ارضا يبسة ﴿كَذلِكَ﴾ اى مثل هذا الأحياء ﴿الْخُرُوجُ (١١)﴾ اى خروجهم احياء بعد موتهم ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تانيث الفعل لمعنى القوم ﴿وأَصْحابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾ اى هو وقومه ليلائم ماقبله وما بعده ﴿وَإِخْوانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ مرّ فى الدّخان[1] ﴿كُلٌّ﴾ واحد من المذكورين ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤)﴾ اى وجب وحلّ عليه وعيدى وفيه تسلية للرّسول وتهديد لهم ﴿أَفَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ اى افعجزنا عن الأبداء حتّى نعجز عن الأعادة ادخال همزة الانكار على الفاء العاطفة يفيد ان نفى العجز مرتّب ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ شك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥)﴾ اى الأعادة لما فيه من مخالفة العادة لمّا قرّر دلائل الآفاق لمنكر البعث شرع فى تقرير دلائل الأنفس فقال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسانَ وَنَعْلَمُ﴾ حال بتقدير نحن لانّ المضارع المثبت الواقع حالا لا يكون الاّ بالضّمير وحده ﴿مَا تُوَسْوِسُ﴾ تحدث ﴿بِهِ نَفْسُهُ﴾

---

[1] - آية: ٣٧

الضمير لما ان جعلتها موصولة والباء زائدة وللأنسان ان جعلتها مصدرية والباء للتعدية اى وسوسة النّفس اليه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم وعند محقّق الصّوفية بالذات ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)﴾ هما عرقان بصفحتى العنق من مقدّمها والأضافة للبيان اذكر ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ اى يأخذ ويثبت الملكان المتوكلان به ما يعمله وما يتلفظ به وفيه ايذان بانّه غنىّ عنهما فانّه مطّلع حتى على ما يخفى عليهما لكنّه لحكمة اقتضته وبيانها مرّ فى الأنعام ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منه ﴿قَعِيدٌ (١٧)﴾ مبتدأ خبره عن الشّمال وعن اليمين خبر لمحذوف من جنسه او هما خبره لانّه يستوى فيه الواحد والمتعدد ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ ملك يرقيب قوله ﴿عَتِيدٌ (١٨)﴾ حاضر يكتبه وكلّ ما يصدر عنه حتى انينه فى مرضه او ما فيه ثواب او عقاب فقط على اختلاف فى ذلك وفى الحديث كاتب الحسنات امين على كاتب السّيئات فاذا عمل حسنة كتبها بعشرة واذا عمل سيّئة يقول له دعه سبع ساعات لعلّه يسبّح او يستغفر والاّ فاكتب واحدة ولمّا ردّ استبعادهم البعث للجزاء بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانّهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام السّاعة فقال ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ اى غمرته وشدّته الذّاهبة للعقل كسكرة الشّراب ﴿بِالْحَقِّ﴾ اى حقيقة الأمر الّذى نطق به كتاب الله واخبر به رسوله من امر الآخرة فالحقّ مصدر بمعنى التّحقيق والباء للتّعدية ﴿ذَلِكَ﴾ اى الموت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩)﴾ تهرب وتفزع يا انسان ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للبعث ﴿ذَلِكَ﴾ النّفخ ﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠)﴾ اى وقت تحقّق الوعيد للكفار ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ الى المحشر ﴿مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١)﴾ اى ملكان احدهما يسوقها اليه والآخر يشهد بعملها ويقال لكلّ نفس او للكافر فقط ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ فى الدّنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ النّازل بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ اى غفلتك عن امور المعاد ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)﴾ حادّ تدرك به ما انكرته فى الدّنيا لزوال المانع للأبصار ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ اى الملك الموكّل به ﴿هَذَا﴾ اى دوان العمل مبتدأ

خبره ﴿ما﴾ اى الّذى هو ﴿لدىّ﴾ عندى ﴿عتيدٌ (٢٣)﴾ حاضر مكتوب ويقال للسّائق والشّاهد او لملكين من خزنة النّار ﴿ألقيا﴾ او لمالك على انّ الألف بدل من نون التاكيد اجراء للوصل مجرى الوقف ﴿فى جهنّم كلّ كفّار﴾ اى كثير الكفر من حيث انّه انكر دلائل الوحدانية مع كثرتها ﴿عنيدٍ (٢٤)﴾ معاند للحقّ ﴿مناع للخير﴾ اى كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة فانّ الكفّار مخاطبون بفروع الدّين من حيث انّهم يعذّبون بتركها وان لم يكونوا مطالبين بها حال الكفر لعدم اهليّتهم لثوابها ﴿معتدٍ﴾ اى متعدّ بنحو اخذ مال الحرام بطريق الرّبا ﴿مريب (٢٥)﴾ شاك فى الله وفى دينه ﴿الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ﴾ مبتدأ متضمّن معنى الشّرط وخبره ﴿فألقياه فى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ﴾ اى الشّيطان لمّا قال الكافر هو اطغانى ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧)﴾ فاعتنه عليه يعنى كان مختلى الرّأى فدعوته فاستجاب لى ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ﴾ اى فى موقف الحساب فانّه لا فائدة فيه الآن ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ فى الدّنيا ﴿بِالْوَعِيدِ (٢٨)﴾ على الطّغيان على السنة رسلى فلم يبق لكم حجّة وهو حال فيه تعليل للنّهى والباء مزيدة ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدّل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الأسباب ليس من التّبديل فانّ دلائل العفو تدلّ على تخصيص الوعيد ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩)﴾ فاعذّبهم بغير جرم وقد مرّ تحقيقه[1] ﴿يَوْمَ﴾ مقدر باذكر او ظرف ظلّام ﴿نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ﴾ زائدة ﴿مَزِيدٍ (٣٠)﴾ تصوير لأمتلائها يعنى تملأ من الجنّة والنّاس لقوله: ﴿لأملأن جهنّم﴾[2] آه بحيث لو قيل لها ذلك وهى عاقلة ناطقة لقالت على سبيل الأنكار والتّعجب من كثرة من فيها هل من مزيد فىّ اى امتلأت لا اسع غير هؤلاء فليس ثمّه سؤال وجواب حقيقة ﴿وَأُزْلِفَتِ

---

[1] – سورة غافر: ٣١ ، سورة آل عمران: ١٨٢ ، سورة الأنفال: ٥١ سورة الحج: ١٠

[2] – سورة الأعراف: ١٨

﴿... قربت ﴿... مكانا ﴿... (٣١)﴾ منهم فيرونها ويقال لهم ﴿هذا﴾ المرأىّ ﴿... ﴾ فى الدّنيا ﴿... أوّاب﴾ رجّاع الى الله ﴿حفيظ (٣٢)﴾ اى حافظ لحدوده بدل من المتّقين باعادة الجار ويبدل منه ﴿من خشى الرّحمن بالغيب﴾ اى حال كونه غائبا عن الأعين لا يراه احد ﴿... بقلب منيب (٣٣)﴾ مقبل على طاعته ويقال للمتّقين ايضا ﴿... بسلام﴾ اى سالمين من كلّ خوف او مع سلام اى سلّموا وادخلوا ﴿... ﴾ اليوم الّذى حصل فيه الدّخول ﴿يوم الخلود (٣٤)﴾ الدّوام فى الجنّة ﴿... ﴾ ﴿... ﴾ على ما يطلبون اذ فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وكم﴾ كثيرا ﴿أهلكنا قبلهم﴾ اى قبل قومك ﴿... ﴾ من الكفار ﴿هم أشدّ منهم بطشا﴾ قوّة ﴿فنقّبوا فى البلاد﴾ اى سار اهل مكّة فى اسفارهم فى بلاد القرون ﴿هل من محيص (٣٦)﴾ اى هل راوا محيصا اى ملجاء ومفرّا من الله او الموت حتّى يتوقعوا مثله لأنفسهم ﴿إنّ فى ذلك﴾ المذكور فى هذه السّورة ﴿... ﴾ تذكرة وعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ عقل واع حين يتلوه بنفسه بتفكّر فى حقائقه فهو من قبيل ذكر المحلّ وارادة الحال لانّ العقل فيه وما يقال انّه فى الرّأس فباعتبار ﴿... ﴾ ﴿... السّمع﴾ اى اصغى اليه حين يتلى عليه ﴿وهو شهيد ...﴾ حاضر بذهنه ليفهم معانيه ﴿ولقد خلقنا السّموات والأرض وما بينهما فى ستّة أيّام﴾ مرّ بيانه مرارا لاسيّما فى حم فصّلت ﴿وما مسّنا من لغوب (٣٨)﴾ تعب اذ لا مماثلة بيننا وبين المخلوقين انّما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون نزل ردّا على اليهود انّه فرغ يوم الجمعة واستراح يوم السّبت مستلقيا على العرش تعالى عن ذلك علوّا كبيرا ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ اى المشركون من انكار البعث فان من قدر على خلق العالم بلا تعب قدر على بعثهم والانتقام منهم او اليهود من الكفر والتّشبيه ﴿وسبّح بحمد ربّك﴾ اى نزّهه عن العجز عمّا يمكن والوصف بما يوجب التّشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحقّ وغيرها ﴿قبل طلوع الشّمس

وقبل الغروب (٣٩)﴾ اى الفجر والعصر لشرفهما ﴿ومن الليل فسبحه﴾ اى سبّحه بعضها ﴿وأدبار السجود (٤٠)﴾ اى اعقاب الصّلوة جمع دبر وقيل المراد بهذا النّوافل بعد الفروض وبما قبله الصّلوات الخمس والتّهجد ﴿واسمع﴾ ما اقول لك من احوال يوم القيامة وفصّله بقوله ﴿يوم﴾ نصب بمقدّر اى يخرجون يوم ﴿ينادى المنادى﴾ اسرافيل ﴿من مكان قريب (٤١)﴾ الى السّماء بالنّسبة الى باقى الأرض وهو صخرة بيت المقدّس يقول ايّتها العظام البالية والأوصال المقطّعة واللّحوم الممزّقة والشّعور المتفرّقة انّ الله يأمركنّ ان تجتمعن لفصل القضاء ﴿يوم﴾ بدل من يوم قبله ﴿يسمعون﴾ كلّ الخلق ﴿الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث للجزاء متعلّق بالصّيحة وهى النّفخة الثّانية فانّه ينفخ وينادى بما ذكر ﴿ذَلِكَ﴾ اى يوم النّداء ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢)﴾ من القبور ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ فى الدّنيا ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣)﴾ للجزاء ﴿يوم﴾ بدل من يوم يسمعون ﴿تَشَقَّقُ﴾ اى تتشقّق ﴿الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ جمع سريع حال من مجرور عن او فاعل يخرجون فانّ يوم ﴿ذَلِكَ﴾ التّشقّق او الاخراج المفهوم من الكلام ﴿حَشْرٌ﴾ بعث وجمع ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤)﴾ وتقديم ظرف الصّفة للأختصاص ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ قريش ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ مسلّط تجبرهم على الأيمان انّما انت داع ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)﴾ فانّه المنتفع به.

* * *

سورة الذاريات

مكيّة وآيها ستّون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿و﴾ للقسم ﴿الذّٰرِيٰتِ﴾ اى الرّياح الّتى تذروا وتطير التّراب وغيره جمع ذارية ﴿ذَرْوًا (١)﴾ مصدر للتاكيد ﴿وَالْحٰمِلٰتِ﴾ اى السّحب الحاملة بالأمطار ﴿وِقْرًا (٢)﴾ ثقلا مفعول الحاملات ﴿وَالْجٰرِيٰتِ﴾ السّفن الجارية على وجه الماء ﴿يُسْرًا (٣)﴾ صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر وسهل ﴿فَالْمُقَسِّمٰتِ أَمْرًا (٤)﴾ اى الملائكة الّتى تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها والفاء العاطفة لترتيب الأقسام بها باعتبار ما بينهما من التّفاوة فى الدّلالة على كمال القدرة فالرّياح ادلّ عليه بالنّسبة الى السّحب لكونها اسبابا لها وهى لغرابة ماهيتها وكثرة منافعها ادلّ من السّفن وهذه الثّلاثة لكونها من قبيل المحسوسات ادلّ من الملائكة الغائبة عن الحسّ اذ الخصم ربّما ينكر وجود من هو غائب عن الحسّ فلا يتمّ الاستدلال به ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ به من البعث ﴿لَصَادِقٌ (٥)﴾ من باب النّسب كتامر اى ذو صدق لانّ الصّادق الواعد به وهو جواب القسم كانّه استدلّ باقتداره على هذه الأشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطّبيعة على اقتداره على الموعود لكن اخرجه فى صورة اليمين ليحملهم على تمام الاصغاء كما هو فائدة اليمين فى اوّل الكلام فيظهر لهم البرهان كمال ظهور فهو ترويج للدّليل وعلى هذا القياس جميع الأيمان الواقعة فى القرآن ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ اى الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ (٦)﴾ لا محالة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧)﴾ جمع حبكة كالطّرق جمع طريقة اى ذات الطّرائق المحسوسة الّتى هى مسير الكواكب او المعقولة الّتى يسلكها العارف والنّظار ويتوصّل بها الى المعارف او ذات الزّين وهى النّجوم فانّها مزيّنة لها ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا اهل مكّة فى شان النّبى او القرآن ﴿لَفِى قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨)﴾ وهو قولكم شاعر ساحر كاهن

شعر سحر كهانة ولعلّ النّكتة فى هذا القسم مع انّ اختلاف اقوالهم مقرّر لا يحتاج اليه تشبيهها فى اختلافها وتنافى اغراضها بالطّرايق للسّموات فى تباعدها واختلاف غاياتها ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ اى عن النّبى او القرآن اى عن الأيمان به ﴿مَنْ أُفِكَ (٩)﴾ صرف صرفا لا اشدّ منه فانّ المفهوم منه مطلق الصّرف وهو يصرف الى الفرد الكامل وايضا ابهام الموصول يفيد المبالغة فى الأتّصاف بمضمون الصلّة وعدم ذكر المأفوك عنه يدلّ على تعميمه وجعله فى قوّة من افك عن كلّ خير وسعادة وقيل من صرف فى علم الله وقضائه ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠)﴾ لعّن الكذابون من اهل القول المختلف ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ (١١)﴾ غافلون عن امور الآخرة ﴿يَسْأَلُونَ﴾ النّبى استهزاء ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢)﴾ اى متى وقوع مجيء يوم الجزاء وجوابه يقع ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣)﴾ يحرقون مقولا لهم ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ عذابكم ﴿هَذَا﴾ الفتنة والعذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤)﴾ فى الدّنيا استهزاء ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥)﴾ تجرى فيها ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ اى قابلين لما اعطاهم راضين به حال من المنوىّ فى جنات وعلّل استحقاقهم ذلك بقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ اى دخول الجنّة يعنى فى الدّنيا ﴿مُحْسِنِينَ (١٦)﴾ وفسّر احسانهم بقوله ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)﴾ ينامون خبر كان وما مزيدة وقليلا ظرفه اى ينامون فى زمن يسير من الليل ويصلّون كثيره ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨)﴾ اى انّهم مع ذلك اذا سحروا اخذوا بالأستغفار كانّهم اسلفوا فى ليلهم الجرائم وتقديم الضّمير للحصر اى هم الكاملون فى الأستغفار الأحقاء به لكثرة علمهم بالله وخشيتهم منه ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾ نصيب يستوجبونه على انفسهم تقرّبا الى الله وشفقة على عباده ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩)﴾ الّذى لا يسأل لتعففه فيحرم الصّدقة لظنّ غنائه ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ دلائل على وحدانية الله وقدرته وحسن تدبيره من المعادن والحيوانات والجبال والأنهار وانواع النّبات وغير ذلك ممّا لا يحصى ﴿لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ آيات اذ ما فى العالم الكبرى شيء الاّ وفى الإنسان له نظير يدلّ دلالته مع ما انفرد به من استجماع الكمالات العجيبة

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾ تنظرون فى ذلك نظر من يعتبر ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ اى اسبابه من المطر والشّمس والقمر وسائر الكواكب واختلاف المطالع والمغارب الّذى يترتّب عليه اختلاف الفصول الّتى هى مبادى الأرزاق او تقديره فانّ الأرزاق كلّها مقدّرة منها ﴿وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)﴾ من الثّواب والعقاب والخير والشّر لانّها مكتوبة فى اللّوح وهو فى السّماء ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ اى ما ذكر من الآيات والرّزق والوعد ﴿لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣)﴾ اى مثل نطقكم فكما انّكم لا تشكّون فيه ينبغى ان لا تشكّوا فى تحقيق ذلك ونصب مثل على الحال من المستكنّ فى لحقّ وما زائدة وانّ مع ما بعدها فى موضع الجرّ باضافة مثل ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمّد ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ﴾ فى الأصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ مرّ بيانهم فى هود،[1] والحجر.[2] ﴿الْمُكْرَمِينَ (٢٤)﴾ عند الله او ابراهيم لانّه خدمهم بنفسه وزوجته ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ ظرف حديث ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ نسلم عليك سلاما ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ اى عليكم سلام انتم ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥)﴾ اى لا اعرفكم وذلك لانّه ظنّهم بنو آدم ولم يعرفهم من هم او لانّ السّلام لم يكن تحيّتهم لانّه علم الاسلام وقومه كانوا كفّارا ﴿فَرَاغَ﴾ ذهب فى خفية كما هو دأب المضيف ﴿إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦)﴾ لانّه كان عامة ماله البقرة ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ بان وضعه بين ايديهم ﴿قَالَ﴾ معرضا عليهم الاكل على طريق الأدب ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧)﴾ منه وهو مشعر بكونه حنيذ اى مشويّ كما فى هود.[3] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ اضمر فى نفسه لمّا راى عدم تناولهم ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفا لظنّه انّهم جاؤا لشرّ فانّ عادة من يجيء له ان لا ياكل طعام من اراد اضراره فلا جرم حصل له بهم انكار غير الإنكار الّذى كان قبل تقريب العجل فانّه كان لعدم العلم بانّهم من اىّ بلدة او قوم وهذا لعدم علمه بانّهم جاؤه للخير او الشّر فلا تناقى بين ما هنا الدّال على كون الأنكار قبل تقريب العجل وبين ما فى هود الدّال على انّه بعده ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾

---

[1] - آية: ٦٩

[2] - آية: ٥١

[3] - آية: ٦٩

انّا رسل ربّك ﴿وبشّروه﴾ فى ضمن توجيه البشارة الى امرأته كما فى هود لانّها ممّا تعمّهما ﴿بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨)﴾ كثير العلم وهو اسحاق ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ سارة ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ صيحة خبر اقبلت لانّه بمعنى اخذت من افعال المقاربة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ فلطمت باطراف الاصابع جبهتها ﴿وَقَالَتْ﴾ انا ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩)﴾ ما ولدت قطّ فكيف الد ﴿قَالُوا كَذَلِكِ﴾ مثل ذلك الّذى بشّرنا به ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ وانّما نخبرك به عنه فلا تستبعديه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ فى صنعه ﴿الْعَلِيمُ (٣٠)﴾ بخلقه ﴿قَالَ﴾ بعد ما علم انّهم ملائكة وانّهم لا ينزلون مجتمعين الاّ لأمر عظيم ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم اى لاىّ شئ جئتم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢)﴾ كافرين اى قوم لوط ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣)﴾ يطبخ بالنّار ﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلمة للعذاب ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤)﴾ اى المجاوزين الحدّ باتيانهم الذّكور مع كفرهم قال تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ اى قرى قوم لوط المفهومة من السّوق ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥)﴾ لأهلاك الكافرين حيث قلنا له على لسان الرّسل ﴿فأسر بأهلك بقطع من اللّيل﴾[1] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ﴾ اهل ﴿بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦)﴾ اى لوط وبناته وصفوا بالأيمان والاسلام لانّهما متحدان ما صدقا وان اختلافا مفهوما فلا دليل فيها على اتحادهما فى المفهوم ﴿وَتَرَكْنَا﴾ بعد اهلاك الكافرين ﴿فِيهَا آيَةً﴾ علامة ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧)﴾ فانّهم المعتبرون بها وهى تلك الأحجار الّتى رجموا بها او ماء اسود منتنّ خرج من ارضهم ﴿وَفِي مُوسَى﴾ عطف على فيها على معنى وجعلنا فى موسى آية من قبيل علفتها تبنا وماء باردا ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ ملتبسا ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨)﴾ برهان واضح وهو معجزاته كاليد والعصى وغيرهما ﴿فَتَوَلَّى﴾ عن الأيمان ﴿بِرُكْنِهِ﴾ اى مع جنوده لانّهم كالرّكن له ﴿وَقَالَ﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر فغرقوا ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ (٤٠)﴾ آت بما يلام عليه من تكذيب الرّسل ودعوى الرّبوبيّة والجملة حال من ضميره فى فاخذناه ﴿وَفِي عَادٍ﴾ آية

---

[1] - سورة هود: ٨١

ايضا ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١)﴾ اى التّى لا خير فيها لانّها لا تحمل المطر ولا تلقح الشّجر وهى الدّبور ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ نفس او مال ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢)﴾ اى كالبالى المتفتة ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر النّاقة ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (٤٣)﴾ اى تمتعوا فى داركم ثلاثة ايّام كما فى سورة[1] ﴿فَعَتَوْا﴾ تكبّروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ اى عن امتثاله عطف على وفى ثمود آه على سبيل التفصيل والتّفسير لا على تمتّعوا حتى يرد انّ العتو قبله لا بعده ويحتاج الى تفسير حين بانقضاء الآجال المقدرة لهم لولا العصيان ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ اى الصيحة بالعذاب فانّها فى الاصل النّار الّتى تنزل من السّماء فى رعد شديد فتستعار لصيحة العذاب ولأىّ عذاب كان ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ (٤٤)﴾ اليها بان جائتهم بالنّهار ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ اى ما قدّروا على النهوض حين العذاب بل اصبحوا جاثمين ﴿وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ (٤٥)﴾ ممتنعين منه ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ اى واهلكنا قوم نوح لانّ ما قبله يدلّ عليه ويجوز ان يكون عطفا على محلّ فى عاد ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ اى قبل هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦)﴾ خارجين عن الطّاعة ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ بقوّة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧)﴾ قادرون من الوسع بمعنى الطّاقة ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهّدناها لتستقروا عليها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨)﴾ نحن ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأجناس ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ نوعين كالذّكر والأنثى والسّماء والأرض والشّمس والقمر والسّهل والجبل والصّيف والشّتاء والحلو والحامض والنّور والظّلمة وغير ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)﴾ فتعلمون انّ التّعدد من خواص الممكنات وانّ الواجب بالذّات لا يقبل القسمة والتّعدد قل لهم ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ من عقابه بالأيمان والطّاعة ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ﴾ اى من عذابه ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)﴾ بين الأنذار بالمعجزات ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ افرده لكونه اعظم ما يجب ان يفر منه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١)﴾ تكرير للتّاكيد ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر محذوف اى الأمر مثل ذلك اى تكذيبهم لك وتسميتك ساحرا او مجنونا ويجعل كالتّفسير له قوله ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا﴾ هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢)

---

[1] - سورة هود: ٦٥

أتواصوا به﴾ اى اوصى بعضهم بعضا بهذا القول ﴿بل هم قوم طاغون (٥٣)﴾ اى الّذى جمعهم عليه الشركة فى الطغيان لا التّواصى لتباعد ايامهم ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤)﴾ لانّك بذلت جهدك فى تبليغ الرّسالة ﴿وذكر﴾ عظ ولا تتركه ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين (٥٥)﴾ اى من قدر الله ايمانه او من آمن فانّه يزداد بها بصيرة ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون (٥٦)﴾ لمّا خلقهم على صورة تتأتى منهم العبادة بسهولة بان هداهم الى اسبابها ودواعيها من الادلة العقلية والنّقلية صارت كانّها غاية لخلقهم مترتبة عليه فادخل عليها لام الغرض مبالغة فى الخلق على تلك الصّورة وليس على حقيقته لانّ النّصوص قاطعة بانّ افعاله تعالى غير معلّلة بالغرض ولمنافاته حينئذ لقوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنّم كثيرا من الجنّ والإنس﴾[1] لانّ ما خلق لجهنّم لا يكون مخلوقا للعبادة ثمّ بيّن انّه انّما خلقهم وكلّفهم بالاوامر والنّواهى ليستعدّوا لفضله ورحمته ويجتنبوا عن سخطه وعقابه بالعبادة وترك الهوى لا لغرض دنيوىّ كما هو شأن السّادات مع عبيدهم فقال ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧)﴾ اى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل رزقى كمحتاج يستعين بعبده فى نيل الرّزق ولا فى قضاء حوائجى كغنىّ يستخدمه فى نحو طبخ طعام واحضاره بين يديه وغسل اوانيه والقيام على مصالح دوابه لكن اقتصر على ذكر الأطعام لانّ نفيه يستلزم نفى غيره بطريق الأولى لانّه اهمّ المنافع المطلوبة من المماليك بعد الارزاق وعلّل ذلك بقوله ﴿إنّ الله هو الرزّاق﴾ للخلق فيستغنى عمّن يكسب له الرّزق ﴿ذو القوّة المتين (٥٨)﴾ شديد القوّة فلا يحتاج الى خدمة احد ﴿فإنّ﴾ الفاء فصيحيّة اى اذا عرفت ما نزل بالكفرة المتقدّمة فانّ ﴿للّذين ظلموا﴾ انفسهم بتكذيبك ﴿ذنوبا﴾ نصيبا من العذاب ﴿مثل ذنوب﴾ نصيب ﴿أصحابهم﴾ الهالكين قبلهم قالوا متى هذا الوعد فقال ﴿فلا يستعجلون (٥٩)﴾ لانّه مرهون بوقته ﴿فويل للّذين كفروا من يومهم الّذى يوعدون (٦٠)﴾ اى يوم القيامة او بدر.

---

[1] – سورة الأعراف: ١٧٩

سورة الطور

مكيّة وآيها تسع وأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ (١)﴾ اى طور سينين وهو جبل بمدين كلم الله عليه موسى ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢)﴾ مكتوب وهو القرآن او ما كتب فى اللّوح المحفوظ او فى قلوب اوليائه من المعارف والتّنكير للأشعار بانّه ليس من المتعارف فيما بين النّاس وكذا ﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣)﴾ الرّق الجلد الّذى يرق لكتب فيه استعير لكلّ ما كتب فيه الكتاب والمنشور منه ما يبسط وينشر للقرائة ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤)﴾ اى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضّراح وهو فى السّماء الرّابع او السّابع بحزاء الكعبة حرمته كحرمتها وعمارته بكثرة زواره فانّه يزوره كلّ يوم سبعون الف ملك بالطّواف والصّلوة لا يعودون اليه ابدا او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥)﴾ اى السّماء ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦)﴾ اى المملوّ وهو المحيط اقسم بهذه الاشياء لنكتة ذكرت فى والذّاريات وجواب القسم قوله ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧)﴾ نازل لمستحقّه ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ﴾ ظرف لواقع ﴿تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩)﴾ اى تضطرب ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠)﴾ اى تصير هباء منثورا وهو يوم القيامة ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ فى الباطل ﴿يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ﴾ بدل من يوم تمور ﴿يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٣)﴾ اى يدفعون اليها بعنف بان تغلّ ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيلقون فيها ويقال لهم تبكيتا وتوبيخا ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ العذاب الّذى ترونه كما كنتم تقولون فى الوحى هذا سحر ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥)﴾ هذا كما كنتم لا تبصرون فى الدّنيا ما يدلّ عليه ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ اى ادخلوها على اىّ وجه شئتم

من الصّبر وعدمه هما ﴿سواءٌ عليْكُمْ﴾ اذ لا خلاص لكم عنها وعلّل ذلك بقوله ﴿إنّما تُجْزَوْنَ﴾ جزاء ﴿ما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) إنّ الْمُتّقِينَ فى جنّاتٍ ونعيمٍ (١٧)﴾ كلام مستأنف بشارة للمتقين او من جملة ما يقال للكفّار زيادة فى غمّهم وتحسّرهم والتّنكير امّا للتّعظيم او النّوعية اى لارادة ما خصّ بهم ﴿فاكهين﴾ متلذّذين ﴿بما آتاهُمْ﴾ اعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨)﴾ عطف على اتاهم ان جعل ما مصدرية اى متلذّذين باتيانهم ووقايتهم وحال باضمار قد ان جعلت موصولة ويقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ اكلا وشربا ﴿هَنِيئًا﴾ فهو صفة مصدر محذوف او حال بمعنى متهنّين وهو والمرئىّ صفتان من هنو الطّعام ومروه اذا كان سايغا لا يغصّ به ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩)﴾ اى بسببه او بدله ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال من الضّمير فى جنّات او كلوا واشربوا ﴿عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ بعضها الى جنب بعض وفى التّقييد اشارة الى انّهم فارغون عن الكلفة بالكلية فانّه مخصوص بالمتنعّم الفارغ منها ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)﴾ ولتضمّن التّزويج معنى الألصاق والقرن تعدّى بالباء وعطف على مدخولها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ اى قرّناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين فيتمتّعون تارة بملاعبة الحور وتارة بموانسة الاخوان المؤمنين ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ﴾ عطف على زوّجناهم ﴿ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ من الذّرية ان كانوا كبّارا ومن الآباء ان كانوا صغارا فانّ الصّغير يحكم بايمانه تبعا لأشرف ابويه ثم بيّن تلك المتابعة بقوله ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فى الكرامة والدّرجة وان لم يعملوا بعملهم تكرمة لهم باجتماع اولادهم اليهم لتقربهم اعينهم وقيل الموصول مبتدأ وهذا خبره واتبعتهم عطف على آمنوا او اعتراض لتعليل الألحاق ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ نقصناهم ﴿مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ لانّ اللاّئق بكمال لطفه ان يكون الألحاق بمجرّد التفضّل لا بتقسيم ما للأباء ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)﴾ اى نفسه مرهونة عند الله بعمله لانّه كالدّين الثّابت فان عمل صالحا فكها والاّ اهلكها وفائدة ادراجه هنا الدّلالة على انّهم فكوا رقابهم وانّ ذلك الفكّ من جملة اجزيتهم ولذا لم يؤخّره عن تمام قصّتهم حتى يكون بيان حال من قبلهم ايضا ولمّا اوهم السّوق انّهم

مجزيّون بمساوى اعمالهم دفعه بقوله ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ﴾ اى زدناهم وقتا بعد وقت ﴿بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢)﴾ كلمة ما للتّعميم اى من اى فاكهة ولحم اشتهوا ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ يتعاطون بينهم على طريق التجاذب بقصد التلاعب ﴿فِيهَا﴾ اى الجنّة ﴿كَأْسًا﴾ خمرا عبر عنها باسم محلّها ولذا انّث الضّمير فى الصّفة وهى ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣)﴾ اى لا يتكلّمون باللّغو والباطل فى اثناء شربها ولا يفعلون ما فيه اثم بل يتكلمون بالحكم ومحاسن الكلام كما هو عادة العلماء لعدم ذهاب عقولهم بها ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ بالكأس ﴿غِلْمَانٌ﴾ مماليك ﴿لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤)﴾ مصون فى الصّدف لانّه فيها احسن منه فى غيرها بياضا وصفاء والجملة صفة ثانية لغلمان ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥)﴾ حال من فاعل اقبل اى يسأل بعضهم بعضا عن اعمالهم فى الدّنيا الّتى بها وصلوا الى دار النّعيم بوعد الله ﴿قَالُوا﴾ اى المسئول عنهم فى جوابهم ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦)﴾ خايفين من عذابه وهو اصل التّقوى كلّها ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧)﴾ اى النّار النّافذة فى المسام كالرّيح السّموم فهو مستعار لها ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ اى فى الدّنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾ المحسن ﴿الرَّحِيمُ (٢٨)﴾ العظيم الرّحمة ﴿فَذَكِّرْ﴾ اى اذا كان فوز المتّقين بالسّعادة لأجر التّذكير والانتفاع بالموعظة فاثبت على التّذكير ولا تبال بما قالوا فى حقّك من انّه كاهن او مجنون ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بحمد الله وانعامه عليك حال والعامل فيه معنى النّفى ﴿بِكَاهِنٍ﴾ خبر ما ويعطف عليه ﴿وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩)﴾ أمْ﴾ هذه وما بعدها بمعنى بل الأضرابية والهمزة الأنكارية وكذا ما بعدها فيكون كلّ اضرابا من انكار الى انكار ﴿يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ صفته ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠)﴾ اى حوادث الدهر الّتى تورث قلقا واضطرابا للنّفوس فتهلكه كغيره من الشّعراء فالمنون الدّهر والرّيب بمعنى الرّائب المقلق حوادثه ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ اى انتظروا هلاكى ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١)﴾ هلاككم فوقع يوم بدر ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾ عقولهم ﴿بِهَذَا﴾ القول المتناقض اذ الكهانة لاقتضائها التّدبر والفراسة لا تجتمع

مع الجنون فى شخص ولا الجنون مع الشّعر لانّه كلام موزون قصدا وهو لا ينأتى من الجنون ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢)﴾ مجاوزون الحدّ فى العناد ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ اختلق القرآن من تلقاء نفسه لم يخلقه ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)﴾ استكبارا فيقولون اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ مخلتق ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)﴾ فى قولهم فهو ردّ للتقوّل وامّا سائر الأقسام فظاهر الفساد ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ اى خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥)﴾ انفسهم يعنى فكلاهما محال فلابدّ لهم من خالق هو الله الواحد فلم لم يوحّدوه ويؤمنوا برسوله وكتابه ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦)﴾ بما اعترفوا به من انّ خالقهم وخالق السّموات والأرض هو الله اذ لو ايقنوا به لما اعرضوا عن عبادته تعالى ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ من النّبوة والرّزق وغيرهما فيخصّوا من شاؤا بما شاؤا ﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (٣٧)﴾ المتسلّطون الغالبون عن الأشياء فيدبرونه كيف شاؤا ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾ مرقى الى السّماء صفته ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ صاعدين ﴿فِيهِ﴾ الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتّى يعلموا ماهو كائن فينازعونك ويدعون تقدّم هلاكك على هلاكهم ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ اى مدّعى الاستماع منهم ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨)﴾ اى بحجّة واضحة تصدق استماعه ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ﴾ بزعمكم انّ الملائكة بنات الله مع انّكم تكرهونها ﴿وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٣٩)﴾ يعنى انّكم بلغتم فى السّفاهة الى ان جعلتم الله ادون حالا منكم فكيف تدعون التّرقى بالرّوح الى عالم الملكوت والاطلاع على الغيوب ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على تبليغ الرّسالة ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾ اى غرم ذلك ﴿مُثْقَلُونَ (٤٠)﴾ محملون الثقل فلا يتبعونك لذلك ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ اى اللّوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهو بمعنى الغائب او تسمية المحلّ باسم حاله ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١)﴾ منه حتى يمكنهم المنازعة فى امر الآخرة بقولهم لم نبعث ولو بعثنا لم نعذّب ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك ليهلكوك كما فى دار النّدوة ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢)﴾ المغلوبون المهلكون فحفظه الله تعالى منهم ثمّ اهلكهم ببدر ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يحرسهم من عذابه ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)﴾ به من الآلهة

﴿وإن يروا كسفا﴾ قطعة من التّعذيب للعذاب ﴿من السّماء ساقطا﴾ كما قالوا فاسقط علينا كسفا من السّماء ﴿يقولوا﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم هذا ﴿سحاب مركوم (٤٤)﴾ تراكم بعضه على بعض ﴿فذرهم حتّى يلاقوا يومهم الّذي فيه يصعقون (٤٥)﴾ اى يماتون وهو عند نفخة الأولى ﴿يوم لا يغني﴾ بدل من يومهم ﴿عنهم كيدهم شيئا﴾ من الأغناء فى ردّ العذاب ﴿ولا هم ينصرون (٤٦)﴾ يمنعون من العذاب فى الآخرة ﴿وإنّ للّذين ظلموا﴾ اى كفّار مكّة او الكفار مطلقا ﴿عذابا دون ذلك﴾ اى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او البدر او القحط سبع سنين ﴿ولكنّ أكثرهم لا يعلمون (٤٧) واصبر لحكم ربّك﴾ بامهالهم ولا تضيّق صدرك ﴿فإنّك بأعيننا﴾ بمرئيّ منّا نراك ونحفظك وهو مثل فى الحفظ تشبيها له بمراقبة النّاظر ما ينظره وجمع الأعين للأتيان بضمير المتكلّم مع الغير للتّعظيم ﴿وسبّح﴾ ملتبسا ﴿بحمد ربّك﴾ اى قل سبحان الله وبحمده ﴿حين تقوم (٤٨)﴾ من اىّ مجلس كان لانّه ان كان خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة كما فى الحديث كفارة لغو المجلس ان يقال حين القيام: «سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلاّ أنت استغفرك وأتوب إليك عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فإنّه لا يغفر الذّنوب إلاّ أنت»[1] ﴿ومن اللّيل﴾ اى بعضه ﴿فسبّحه﴾ افرده بالذّكر لانّ العبادة فيه اشق على النّفس وابعد من الرّيا ﴿وإدبار النّجوم (٤٩)﴾ مصدر ادبر اذا ذهب وانصرف انتصب على الظّرفية اى سبحه وقت ادبارها بظهور ضوء الصّبح.

* * *

[1] - المستدرك على الصحيحين للحاكم: ٥/٢٦

سورة النجم

مكية وهي ثنتان وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والنَّجْمِ﴾ اقسم بجنس النّجوم او الثّريا لانّه صار علما له بالغلبة وهو سبعة انجم ستة منها ظاهرة وواحد خفيّ يمتحن النّاس به ابصارهم وعن ابى هريرة مرفوعا ما طلع النّجم اى الثريا قط وفى الأرض من العاهة شئ الارفع ﴿إِذا هَوى (١)﴾ اى انتشر يوم القيامة او غرب او طلع وجواب القسم ﴿ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ﴾ محمّد عن طريق الهداية يا قريش ﴿وَما غَوى (٢)﴾ اى ما اعتقد باطلا كما تزعمون ﴿وما يَنْطِقُ﴾ بما ياتيكم ﴿عَنِ الْهَوى (٣)﴾ هوى نفسه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ اى الّذى نطق به ﴿إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى (٤)﴾ من الله اليه ﴿عَلَّمَهُ﴾ اياه ملك ﴿شَدِيدُ الْقُوى (٥)﴾ وهو جبرائيل فانّه الواسطة فى ابداء الخوارق واهلاك المداين بشدته وقوّته ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ صحة الرأى والعقل وكان اذا على غير صورته الحقيقيّة فانه كان يتمثل بصورة دحية حين ينزل بالوحى ليتمكن النّبى من ضبطه الوحى وتلقّيه فاراد ان يراه على صورته الّتى خلقه الله عليها ﴿فَاسْتَوى (٦)﴾ على تلك الصّورة فرآه قيل ما رآه احد من الانبياء فى صورته غير محمّد عليه الصّلوة مرّتين مرّة فى السّماء عند السّدرة كما يأتى ومرّة فى الأرض فى جبل حرا كما قال ﴿وَ﴾ حال ﴿هُوَ﴾ جبرئيل ﴿بِالأُفُقِ الأَعْلَى (٧)﴾ اى جانب المشرق فملأه وسد الأرض فخرّ الرّسول مغشيا عليه فتمثّل بصورة الآدميّ فضمّه الى نفسه وجعل يمسح الغبار من وجهه ﴿ثُمَّ دَنى﴾ من النّبى ﴿فَتَدَلَّى (٨)﴾ اى زاد فى القرب وتعلّق به ﴿فَكانَ﴾ جبرائيل بمعنى قربه منه ليحمل عليه قوله ﴿قابَ﴾ قدر ﴿قَوْسَيْنِ﴾ عبارة عن كمال القرب لانّ المتعاقدين من العرب اذا ارادا تاكيد عهد وتوثيقه احضرا قوسين

وجمعا بينهما ورميا عنهما سهما واحدا يشيران بذلك الى الاتحاد الكلىّ وتاكيد المحبة والقربة بينهما ﴿وَ أَدْنَى (٩)﴾ من ذلك حتّى افاق وسكن روعه وكلمة او للشك من جهتنا كما انّ كلمة لعلّ كذلك فى مواضع فانّه عالم بمقادير الاشياء فخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة بيننا ﴿فَأَوْحَى﴾ جبرئيل ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ اى عبدالله وان لم يسبق ذكره لكونه معلوما ﴿مَا أَوْحَى (١٠)﴾ جبرئيل وفيه تفخيم لشأن الموحى به وقيل المراد بشديد القوى هو الله والضمائر كلها له وكذا كلمة ما الآتية وضمير رآه ودنوّه منه برفع مكانته وتدلّيه جذبه بشراشره الى جانب القدس ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ فؤاد النبى ﴿مَا رَأَى (١١)﴾ ببصره من صورة جبرئيل او الله تعالى على القيل ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ تجادلون ايّها المشركون ﴿عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ﴾ بصورته الحقيقية ﴿نَزْلَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى (١٣)﴾ لما اسرى به الى السّموات ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤)﴾ اى شجرة النبق اى الصنوبر على يمين العرش ينتهى اليها علم الخلائق واعمالهم فالأضافة للبيان وقيل هى شجرة الطّوبى الّتى منها جميع انواع ثمار اهل الجنّة واغصانها متدلّية فى جميع قصورها وقيل فضاء من الدرّة البيضاء فيها شجرة الطّوبى ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥)﴾ اى الّتى يأوى اليها ارواح المتقّين او الشّهداء ﴿إِذْ﴾ بدل من نزلة اخرى ﴿يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦)﴾ والأبهام لتعظيم وتكثير ما يغشاها من الملائكة الّتى على اوراقها او طيور من ذهب عليها او انوار الله فانّه تجلّى عليها لمآ وصل النّبى اليها كما تجلّى للجبل لمآ سئله موسى الرؤية لكن لم تتحرّك ولم يتزلزل محمّد عليه الصّلوة ﴿مَا زَاغَ﴾ مال ﴿الْبَصَرُ﴾ اى بصر النّبى عمّا رأى ﴿وَمَا طَغَى (١٧)﴾ تجاوز عنه حتى استيقنه واطلع على حقيقته او قصّر نظره عليه ولم يلتفت يمينا وشمالا على انّه وصف له بالتأدب والله ﴿لَقَدْ رَأَى﴾ تلك اللّيلة ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)﴾ مفعول رأى وما قبله حال اى رأى من آيات ربّه وعجائب ملكه وملكوته ماهى اكبرها ولمآ قرّر امر الرّسالة اتبعه ما ينبغى ان يبتدأ به الرسول وهو التّوحيد ومنع الخلق عن الاشراك

فقال منكرا على المشركين اشراكهم بعد ما تبيّن لهم من عظم شأنه ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّاتَ﴾ صنم من حجر لثقيف بالطّائف ﴿وَالْعُزَّى (١٩)﴾ شجر لغطفان كانوا يعبدونها فبعث عليه السّلام خالد بن الوليد فقطعها ﴿وَمَنَوٰةَ﴾ صخرة لهذيل وخزاعة فعلة من مناه اذا قطعه فانّهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منا ﴿ٱلثَّالِثَةَ﴾ صفة مناة للتّاكيد وكذا ﴿الْأُخْرَى (٢٠)﴾ لانّه بمعنى المغاير مطلقا ومغايرة موصوفه للاّت والعزّى ضروريّ فلا يفيد الاّ تأكيدا ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى (٢١)﴾ كما تقولون الملائكة بنات الله وهذه الأصنام هياكلها وجملة الأستفهام ساد مسدّ المفعول الثانى لافرأيتم والمعنى اخبرونى بعد ما تبيّن لكم حقيقة الرّسالة ورفعة شأن الله انّ هذه الأصنام هل هى بنات الله مع ودادكم البنين وكراهتكم ايّاهنّ فوضع الأنثى معرّفا بلام العهد موضع الضّمير لرعاية الفواصل والأشارة الى علّة الأنكار والتّوبيخ ﴿تِلْكَ﴾ القسمة ﴿إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢)﴾ جائرة حيث جعلتم له ما تكرهونه وهى فعلى بالضمّ من ضازه يضيزه اذا جار عليه لكن كسر فائه لتسلم الياء فانّه ليس فى الصفات فعلى بالكسر ﴿إِنْ هِىَ﴾ اى ما الأصنام باعتبار التّعبير عنها باسم الآلهة ﴿إِلَّآ أَسْمَآءٌ﴾ عارية عن مدلولاتها ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ آلهة ﴿أَنتُمْ﴾ تاكيد للفاعل ليعطف عليه ﴿وَءَابَآؤُكُم﴾ بهواكم ﴿مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ برهان تتعلّقون به ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ التفات من الخطاب الى الغيبة تحقيرا لهم ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ اى توهّم انّ ماهم عليه حقّ تقليدا وتوهّما باطلا ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ اى وما تشتهيه انفسهم ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ (٢٣)﴾ على لسان النّبى عليه السّلام بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عمّاهم عليه ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤)﴾ ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كلّ ما يتمنّاه فاقطعوا طمعكم فى شفاعة الآلهة وسائر امانيّاتكم ﴿فَلِلَّهِ الْءَاخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (٢٥)﴾ اى الدّارين فلا يقع فيهما الاّ ما يريده هو كما قال ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ اى كثيرا من الملائكة المكرّمين ﴿فِى السَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ اى لا يشفعون لا انّهم يشفعون ولا

تنفع ﴿إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ من النّاس ان يشفع له ﴿وَيَرْضَى (٢٦)﴾ بان يراه اهلا لذلك فكيف يشفع الأصنام الّتى هى اخس الموجودات لعبدتهم ولمّا كانوا يقولون عبادتنا انّما هى للملائكة لانّها بنات الله فتشفع لها وهذه الأصنام صورها نضعها بين ايدينا لنذكر بالشّاهد الغائب ردّ عليهم بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَى (٢٧)﴾ اى تسمية مثل تسمية الأنثى ﴿وَمَا لَهُم بِهِ﴾ اى بما يقولون ﴿مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨)﴾ فانّ الحقّ الّذى هو حقيقة الاشياء وما هى عليه فى نفس الأمر لا يدرك الا بالعلم اليقينىّ والظنّ لا اعتبار له فيها وان ادّى اليها على النّدرة وانّما العبرة به فى الاعتباريّات من نحو مباحث الشّرعية والعرفيّة ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا﴾ بالوحدانية وصفات العظمة ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ﴾ اى طلب الدّنيا ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ اى نهاية علمهم ان آثروا الدّنيا على الآخرة فالجملة اعتراض مقرّر لقصور همّهم بالدّنيا وتعليل الامر بالاعراض قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠)﴾ اى هو يعلم المجيب لك من غيره فلا تتعب نفسك اذ ما عليك الاّ البلاغ وقد بلّغت ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ خلقا وملكا ومنه الضّال والمهتدى يضلّ من يشاء ويهدى من يشاء ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ اى بعقاب ما عملوا من الشرك والمعاصى ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١)﴾ اى الجنّة ووصف المحسنين بقوله ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ الأضافة بمعنى من اى ما يكبر عقابه من الأثم وما رتّب الوعيد عليه بخصوصه مما يدلّ على قلّة اكتراث صاحبه بالدين وقيل ما اوجب الحدّ ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ اى ما فحش من الكبائر فهو من عطف الخاص على العام ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿اللَّمَمَ﴾ اى الصّغائر من نحو النّظر والقبلة واللّمس فانّها مغفورة من مجتنب الكبائر فانّ الصّلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهنّ اذا اجتنب الكبائر

كما قال: ﴿انّ الحسنات يذهبن السّيآت﴾[1] ﴿إِنَّ [illegible] لَغَفُورٌ﴾ له ان يغفر ما يشاء من الذّنوب صغيرها وكبيرها فلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهّم وجوب العقاب على الله وقرّر احاطة علمه بحال الفريقين الضّال والمهتدى بقوله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ اى باحوالكم منكم ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ اى خلق اباكم آدم من التّراب ﴿وَإِذْ﴾ حين ﴿أَنتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين فعيل بمعنى مفعول من جنّه اذا ستره وهو الولد مادام فى بطن امّه واذا خرج لا يسمّى الا ولدا وسقطا وحينئذ فائدة ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ المبالغة فى بيان كمال علمه وقدرته ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ اى لا تمدحوها بالمحاسن على سبيل الأعجاب وامّا على سبيل الأعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)﴾ منكم يعلمه قبل ان يخرج من صلب آدم فلا حاجة لديه الى التّزكية ولمّا امر الرّسول بالاعراض عمّن تولّى وعلّله بما سبق فرّع تعجبا وانكارا قوله ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣)﴾ عن الأيمان اى ارتدّ وهو الوليد بن مغيرة وقيل غيره عيّره بعض المشركين على اتّباع الرّسول ووعده ان يحمل عنه عذاب الله ان رجع الى شركه واعطى من ماله كذا فرجعه ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً﴾ من المال المسمّى ﴿وَأَكْدَى (٣٤)﴾ منع الباقى مأخوذ من اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اى الصّخرة الصّلبة فترك الحفر ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٥)﴾ اى يعلم انّ غيره يتحمّل عنه ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ﴾ اى اسفار التّورية او عشرة صحف قبله ﴿مُوسَى (٣٦) وَ﴾ صحف ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧)﴾ تمّم ما امر به وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصّبر على نار نمرود وذبح الولد وغير ذلك وقدم موسى لانّ صحفه كانت اشهر واكثر عندهم ويبدل من ما ﴿أَنْ لاَ تَزِرُ﴾ كلمة ان مخففة من المثقّلة اى انه لا تحمل ﴿وَازِرَةٌ﴾ نفس فارغة من شأنها الحمل ﴿وِزْرَ﴾ ذنب نفس ﴿أُخْرَى (٣٨)﴾ وما يحصل لها من التّسبب فيه والدّلالة عليه كما فى بعض النّصوص ليس للحمل ﴿وَأَن﴾ مخفّفة

---

[1] - سورة هود: ١١٤

ايضا عطف على ما قبلها ﴿لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى (٣٩)﴾ يعنى كما لا يؤاخذ بشرّ غيره لا ينتفع بخيره ما لم ينوله والاّ انتفع به لانّ العامل حينئذ كالوكيل له فيكون ما عمل سعيه حكما فلا ينافى النصوص القاطعة بانتفاع المرأ بدعاء غيره وشفاعته وعتقه وصدقته عنه واستغفار الملائكة وعمل الآباء وغير ذلك ممّا لا يحصى ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠)﴾ فى الآخرة ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ اى يجزى العبد سعيه فهو متعد الى مفعولين بنفسه المستتر المرفوع والبارز المنصوب ﴿الْجَزَاءَ الأَوْفَى (٤١)﴾ اى بالجزاء الأكمل فهو منصوب بنزع الخافض ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى (٤٢)﴾ اى انتهاء الخلق ورجوعهم فيجازيهم ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ﴾ اى من شاء افرحه ﴿وَأَبْكَى (٤٣)﴾ اى من شاء احزنه ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين ويبدل منهما ﴿الذَّكَرَ وَالأُنثَى (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ﴾ منى ﴿إِذَا تُمْنَى (٤٦)﴾ تصبّ فى الرّحم ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى (٤٧)﴾ الخلقة الأخرة بالبعث بعد ما خلقهم من النّطفة وفاء بوعده ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ النّاس بالكفاية بالاموال ﴿وَأَقْنَى (٤٨)﴾ اى اعطى المال المتخذ قنية زيادة على الكفاية ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (٤٩)﴾ كوكب خلف الجوزة يقال له العبور وهو اشدّ بياضا من الشعرى الأخرى الّتى يقال لها الغميصا وكان يعبدها ابو كبشة احد اجداد الرّسول مخالفة لقريش فى عبادة الأوثان فخصّها للاشعار بانّه عليه السّلام وان وافق ابا كبشة فى مخالفتهم خالف ايضا فى عبادتها والمعنى انّ الشّعرى ايضا مربوب فاعبدوا ربّه ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى (٥٠)﴾ اى القدماء لانّهم اولى الامم هلاكا بعد نوح وليس هناك عاد حتى ان يكون الاولى للأحتراز عن عاد الأخيرة بل عاد واحد اعقاب عاد بن عوص بن صبر بن سام بن نوح وقيل هى قوم هود والآخر قوم صالح او ارم ﴿وَثَمُودَ﴾ عطف على عادا ﴿فَمَا أَبْقَى (٥١)﴾ من الفريقين احد ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ عطف عليه ايضا ﴿مِن قَبْلُ﴾ اى قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢)﴾ من عاد وثمود لانّه دعاهم الف سنة الاّ خمسين عاما فلم يؤمنوا ومع

ذلك كانوا يؤذونه ويضربونه ويخنقونه حتى يقع من الحركة ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ اى القرى الّتى ائتفكت بأهلها اى انقلبت وهى قرى قوم لوط ﴿أَهْوَى (٥٣)﴾ اسقطها بعد ان رفعها الى السّماء فقلبها ﴿فَغَشَّاهَا﴾ اى الله من الحجارة ﴿ما غَشَّى (٥٤)﴾ وفى الأبهام تهويل وتعميم لما اصابهم ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ﴾ اى نعمه الدّالة على وحدانيّته وقدرته ﴿تَتَمارَى (٥٥)﴾ تتشك ايّها الأنسان والمعدودات نعم ونقم لكن عدّ الكلّ نعما من حيث ان نقمه مواعظ للمعتبرين وانتقامات للأنبياء والمؤمنين ﴿هَذا﴾ القرآن او الرّسول ﴿نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى (٥٦)﴾ من جنسهم وعلى منوالهم ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ (٥٧)﴾ صفة لمحذوف واللاّم فيها للعهد اى قربت القيامة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله اقتربت السّاعة فلذلك صحّ الأخبار عنها بالدّنو لا للجنس اذ لا فائدة فى ان يقال قرب جنس القريب ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ﴾ نفس ﴿كَاشِفَةٌ (٥٨)﴾ قادرة على كشفها اذا وقعت وانّما القادر على كشفها هو لكنّه لا يكشفها ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ اى القرآن ﴿تَعْجَبُونَ (٥٩)﴾ تكذيبا ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلاَ تَبْكُونَ (٦٠)﴾ لسماع وعده ووعيده ﴿وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (٦١)﴾ لاهون غافلون عمّا يطلب منكم ﴿فَاسْجُدُوا لِلّهِ﴾ الّذى خلقكم فقط ﴿وَاعْبُدُوا (٦٢)﴾ ايّاه دون غيره من الأصنام.

* * *

سورة القمر

مكيّة وقيل: الاّ (سيهزم الجمع) الاية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَتَرَبَّصْ سَاعَةُ﴾ اى قربت القيامة ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١)﴾ نصفين ذهب نصف نحو ابى قبيس ونصف نحو قعيقعالة وكان المشركون سئلوا النّبى عليه السّلام ذلك ليؤمنوا فجعل ينادى يا فلان يا فلان اشهدوا فقالوا سحرنا محمّد فلنستخبر السّفار والقادمين فكلمّا قدموا سألوهم فاخبروهم انّهم راو ذلك فتعجّبوا منه فقال تعالى ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً﴾ معجزة عظيمة كانشقاق القمر ﴿يُعْرِضُوا﴾ عن تأملها والأيمان بها ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)﴾ قوىّ من المرّة اى القوة او دائم مطرد ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ الباطلة ذكرها بلفظ الماضى مع كون المعطوف عليه مضارعا للاشعار بانّها من عادتهما القديمة ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣)﴾ اى منته الى غاية يتبيّن عندها حقيقته من كونه خيرا او شرّا حقّا او باطلا فهو وعيد لهم ووعد للرّسول ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ فى القرآن ﴿مِنَ الأَنبَاءِ﴾ اى اخبار الأمم المكذّبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤)﴾ مصدر ميمىّ اى ازدجار ونهى لهم عمّاهم عليه وتاء الأفتعال تقلب مع الدال والذّاء والزاى لهمسها وجهر الحروف دالا لمناسبة لها فى المخرج وللحروف فى الجهر ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ غايتها لا خلل فيها بدل من ما ﴿فَمَا﴾ نافية او استفهاميّة للأنكار فتكون مفعولا ﴿تُغْنِ النُّذُرُ (٥)﴾ جمع نذير بمعنى المنذر اى الأمور المنذرة لهم ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ لعلمك بان الأنذار لا يغنى فيهم ﴿يَوْمَ﴾ مقدّر باذكر او ظرف يخرجون الآتى ﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ اسرافيل ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦)﴾ منكر لانّ النّفوس تنكره لشدته وهو الحساب وهول القيامة ﴿خَاشِعًا﴾ اذلاء ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾ من الهول حال من فاعل ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ اى القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ (٧)﴾ فى الكثرة والتّموج

والأنتشار فى الامكنة والحيرة والجملة حال من فاعل يخرجون وكذا ﴿مُهْطِعِينَ﴾ اى مسرعين مادّى اعناقهم ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ صعب لانّه عليهم صعب كما فى المدثّر[1] يوم عسير على الكافرين ثم شرع فى ذكر بعض الأنباء فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قومك ﴿قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحا وهو تفصيل بعد اجمال فالفاء للتعقيب فى الذكر ﴿وَقَالُوا﴾ هو ﴿مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾ اى زجر عن التّبليغ بانواع الاذية ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾ اى بانّى ﴿مَغْلُوبٌ﴾ غلبنى قومى ﴿فَانْتَصِرْ ﴾ فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فانّهم كانوا يخنقونه حتى يخرّ مغشيا عليه فيفيق ويقول اللّهمّ اغفر لقومى فانّهم لا يعلمون ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ منصب بقوة وفى جعل الماء آلة لفتح ابواب السّماء مبالغة فى كثرته ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ اى جعلنا كلّها كانّها عيون متفجّرة واصله فجرنا عيون الأرض اى اسلنا ما فيها من العيون فعدل الى التّميز للمبالغة ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ اى ماء السّماء والأرض ولكونه جنسا لم يثنّ كانّنا ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ﴾ حال ﴿قَدْ قُدِرَ (١٢)﴾ قضى به فى الأزل وهو هلاك قوم نوح بالطّوفان ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ نوحا ومن معه ﴿عَلَىٰ﴾ سفينة ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾ اخشاب عرضية ﴿وَدُسُرٍ ﴾ مسامير جمع دسار ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأ منّا اى محفوظة فعلنا ذلك ﴿جَزَاءً﴾ انتصارا ﴿لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤)﴾ وهو نوح لانّه نعمة كفروها فانّ كلّ نبىّ نعمة ورحمة لامّته ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا﴾ اى ابقينا هذه الفعلة ﴿آيَةً﴾ يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمرّ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥)﴾ معتبر بها اصله مذتكر قلبت التاء دالا وكذا الذّال وادّغمتا ﴿فَكَيْفَ﴾ خبر ﴿كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦)﴾ اى انذارى استفهام تعظيم وتقرير بوقوع عذابه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ اى سهّلناه او هيّئناه ﴿لِلذِّكْرِ﴾ للاتّعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ او الحفظ بالأختصار وعذوبة اللّفظ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧)﴾ متعظ به وحافظ له استفهام امر اى احفظوه واتّعظوا به ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨)﴾ اى انذارى لهم بالعذاب قبل

---

[1] - آية: ٩

وقوعه اى وقع موقعه وبيّنه بقوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردا من الصرّ بالكسر وهو برد يضرّ النّبات او شديد الصّوت من صرّ الباب اذا صوّت ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ شوم ﴿مُسْتَمِرٍّ (١٩)﴾ دائم شومه وكان يوم الأربعاء آخر الشّهر كما مرّ فى حم فصّلت.[1] ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ تقلعهم روى انّهم كانوا يدخلون فى الشّعاب والحفر ويمسك بعضهم ببعض فتنزعهم الرّيح وتصرعهم على رؤسهم فتندق رقابهم وتبين رؤسهم عن اجسادهم ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ اصول ﴿نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠)﴾ منقلع من مغارسه ساقط على الارض وفيه اشارة الى قوّتهم وجسامتهم وثباتهم فى الأرض بحيث يقصدون المقاومة مع الرّيح وتذكير منقعر باعتبار لفظ النّخل كما انّ تأنيث خاوية فى الحاقة[2] باعتبار معناه وقيل لرعاية الفواصل فى الموضعين ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١)﴾ كرّره للتّهويل ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣)﴾ جمع نذير بمعنى الأنذار اى كذّبوا بالأنذارات والمواعظ الّتى انذرهم بها صالح ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا﴾ نتّبع ﴿بَشَرًا مِنَّا﴾ من جنسنا صفة بشرا وكذا ﴿وَاحِدًا﴾ منفردا لا اتباع له ﴿نَتَّبِعُهُ﴾ مفسّر للفعل النّاصب لبشرا ﴿إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤)﴾ جنون ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ﴾ الوحى ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ وفينا من هو احقّ منه اى لم يوح اليه بذلك ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥)﴾ متكبر بطر قال تعالى ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ اى فى الآخرة او عند نزول العذاب ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦)﴾ هو ام هم ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾ مخرجوها ﴿فِتْنَةً﴾ امتحانا ﴿لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ﴾ اى انتظرهم يا صالح ما هم صانعون وما يصنع بهم ﴿وَاصْطَبِرْ (٢٧)﴾ على اذاهم والطاء بدل من تاء الافتعال لانّها تبدل بها اذا كان الفاء صادا او ضادا او طاء او ظاء لما ذكرنا فى انقلابها دالا ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يوم لهم ويوم لها وفيه تغليب العقلاء ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿مُحْتَضَرٌ (٢٨)﴾ يحضره صاحبه فى نوبته فداموا على ذلك ثمّ عجزوا

---

[1] - آية: ١٩

[2] - آية: ٧

فهمّوا بقتلها ﴿فنادوا صاحبهم﴾ قدار بن سالف ليقتلها ﴿فتعاطى﴾ تناول السّيف ﴿فعقر (٢٩)﴾ اى قتلها به ﴿فكيف كان عذابى ونذر (٣٠) إنّا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ صيحة جبرئيل ﴿فكانوا كهشيم المحتظر (٣١)﴾ اى كالشّجر اليابس المتكسّر الّذى يجمعه المحتظر اى من يعمل الحظيرة لغنمه حفظا لها من الذّياب والسّباع ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذّكر فهل من مدّكر (٣٢) كذّبت قوم لوط بالنّذر (٣٣) إنّا أرسلنا عليهم حاصبا﴾ ريحا ترميهم بالحجارة فهلكوا ﴿إلّا﴾ لكن ﴿آل لوط نجّيناهم بسحر (٣٤)﴾ اى فى سحر من الأسحار ولذا نوّن ولو اريد به معيّن لمنع الصرف لانّه معرفة معدول عن السّحر لانّ حقّه ان يستعمل فى المعرفة بال ﴿نعمة﴾ مصدر علّة لانجينا اى انعاما ﴿من عندنا كذلك نجزى من شكر (٣٥)﴾ نعمتنا بالأيمان والطّاعة ﴿ولقد أنذرهم﴾ لوط ﴿بطشتنا﴾ اخذتنا اياهم بالعذاب ﴿فتمارَوْا﴾ تجادلوا وكذّبوا ﴿بالنّذر (٣٦) ولقد راودوه عن ضيفه﴾ اى طلبوا منه ان يخلّى بينهم وبين الملائكة الّتى اتوه بصورة الاضياف ليخبثوا بهم ﴿فطمسنا أعينهم﴾ عمّيناها وجعلناها بلا شقّ كباقى الوجه بصفقة من جناحى جبرئيل ﴿فذوقوا﴾ اى فقلنا لهم على السنة الملائكة ذوقوا ﴿عذابى ونذر (٣٧)﴾ اى وفائدة نذرى ﴿ولقد صبّحهم بكرة﴾ وقت الصّبح من يوم معيّن ﴿عذاب مستقرّ (٣٨)﴾ يستقرّ بهم حتّى يسلّمهم الى النّار ﴿فذوقوا عذابى ونذر (٣٩) ولقد يسّرنا القرآن للذّكر فهل من مدّكر (٤٠)﴾ كرّر ذلك فى كلّ قصة اشعارا بانّ تكذيب كلّ رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كلّ قصة مستدع للاذكار والأتعاظ واستينافا للتّنبيه والأيقاظ لئلاّ يغلبهم السّهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأىّ آلاء ربّكما تكذّبان وويل يومئذ للمكذّبين ونحوهما ﴿ولقد جاء آل فرعون﴾ قومه معه ﴿النّذر (٤١) كذّبوا بآياتنا كلّها﴾ اى التّسع الّتى اوتيها موسى ﴿فأخذناهم﴾ بالعذاب ﴿أخذ عزيز﴾ غالب ﴿مقتدر (٤٢)﴾ قادر لا يعجزه شيء ﴿أكفّاركم﴾ يا معشر العرب ﴿خير من أولئكم﴾ المذكورين قوّة وعدة فلم يعذبوا ﴿أم لكم براءة﴾ من العذاب وان كفرتم نازلة ﴿فى الزّبر (٤٣) أم يقولون نحن

جميع﴾ اى جماعة امرنا مجتمع ﴿مُنْتَصِرٌ (٤٤)﴾ من الأعداء لا يغلبنا احد ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥)﴾ اى الأدبار والأفراد لأرادة الجنس وقد وقع ذلك يوم بدر ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ اى موعد عذابهم الأصلىّ وما يحيق بهم فى الدّنيا فمن مقدّماته ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى﴾ اعظم بليّة ﴿وَأَمَرُّ (٤٦)﴾ اشدّ مرارة من عذاب الدّنيا ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ عن الحقّ فى الدّنيا ﴿وَسُعُرٍ (٤٧)﴾ اى نيران فى الآخرة ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ يجرّون ﴿فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ ويقال لهم ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨)﴾ اى اصابة جهنم لكم والمها وجعل كالتّعليل لهذا اى لجميع ما فى السورة قوله ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل يفسّره ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ ملتبسا ﴿بِقَدَرٍ (٤٩)﴾ اى بتقدير فى العلم الازلىّ واللّوح المحفوظ قبل وقوعه ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ لشئ نريد وجوده ﴿إِلَّا﴾ كلمة ﴿وَاحِدَةٌ﴾ وهى كن ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)﴾ فى اليسر والسّرعة ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ اشباهكم فى الكفر من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٥١)﴾ متعظ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ اى العباد. صفة وخبره كلّ مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ (٥٢)﴾ كتب الحفظة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ﴿مُسْتَطَرٌ (٥٣)﴾ مكتتب فى اللّوح المحفوظ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَنَهَرٍ (٥٤)﴾ اى انهار لانّ المراد الجنّس وكذا ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ من اضافة الموصوف الى الصّفة اى مكان مرضىّ وهو خبر ثان ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ﴾ مالك منزلة و مكانة لا مكانا والتّنكير للتّعظيم وكذا فى ﴿مُقْتَدِرٍ (٥٥)﴾ قادر لا يعجزه شيء.

* * *

سورة الرحمن

مكيّة أو مدنيّة أو متبعضة وآيها ستّ وسبعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾ لمّا كانت السّورة مقصورة على تعداد النّعم الدنيويّة الّتى منها جسام ومنها دون ذلك والاخرويّة الّتى كلّها جسام صدّرها بالرّحمن الّذى يوصف تعالى به باعتبار كلّ الثّانية والأولى من الاولى فيقال يا رحمن الدّنيا والآخرة ورحيم الدّنيا وقدّم تعليم القرآن لانّه اجلّ النّعم الدّنيوية واساس الدّين والحكمة الدّاعية الى خلق الانسان وتعليمه البيان اى النّطق الفصيح المعرب عمّا فى الضّمير الّذى به يتميّز عن سائر الحيوانات وترك العاطف فى الأخبار الثّلاثة لمجيئها على وجه التّعداد تنبيها على انّ كلّ واحدة مستقلّة فى الاعتداد والأعتناء بشأنها منفردة عن النّعم الباقية ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ يجريان ﴿بِحُسْبَانٍ (٥)﴾ اى بحساب معلوم مقدّر فى بروجهما ومنازلهما بان تقطع الشّمس بروج السماء ثلاثمأية وخمسة وستين يوما والقمر يقطعها ثمانية وعشرين ويتّسق بذلك امور الكائنات وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السّنون والحساب وهما نعماتان سماويتان فاتبعهما بنعمتين ارضيّتين فقال ﴿وَالنَّجْمُ﴾ اى كلّ نبات ينجم اى يطلع من الأرض ولا يبقى له ساق فى الشّتاء ﴿وَالشَّجَرُ﴾ اى الّذى يبقى ساقه ﴿يَسْجُدَانِ (٦)﴾ ينقادان لله فيما يريد منهما كانقياد السّاجدين فهو استعارة تبعيّة ولم يوردهما فعليّتين ولا ذكر فيهما ضمير الرّحمن حتى يطابقا ما قبلهما وما بعدهما فى الاتّصال به اشعارا بانّ وضوحه يغنيه عن البيان ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ محلاّ ورتبة فانّها منشأ اقضيته واحكامه ومحلّ ملائكته ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧)﴾ اى العدل بان وفّر على كلّ مستعد مستحقّه ووفّى كلّ ذى حقّ حقّه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السّلام بالعدل قامة السّموات والأرض او ما يعرف به مقادير الأشياء

من ميزان ومكيال ونحوهما ﴿أَنْ﴾ لان ﴿لَا تَطْغَوْا﴾ تتجاوزوا الأنصاف ﴿فِي الْمِيزَانِ (٨)﴾ اى العدل او آلة التّسوية ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ﴾ اى اجعلوا وزنكم مستقيما ملتبسين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ اى العدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا﴾ تنقصوا ﴿الْمِيزَانَ (٩)﴾ لانّ المقصود من وضعه ان يسوّى به وهو تكرير للمبالغة فى التّوصية لقوله ان لا تطغوا فى الميزان من حيث المعنى على انّ المراد هناك ايضا الآلة ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ اى خفضها مدحوة فوق الماء ﴿لِلْأَنَامِ (١٠)﴾ اى للخلق ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ ضروب ممّا يتفكّه به ﴿وَالنَّخْلُ﴾ المشهور خصّه لفضل ثمرته على سائر الفواكه ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١)﴾ اوعية طلعها جمع كمّ ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشّعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ التّبن ﴿وَالرَّيْحَانُ (١٢)﴾ اى البقل المشموم الطّيب الرّيح اصله رويحان من الرّوح فقلب الواو ياء وادغم ثمّ خفّف وهو عطف على الحبّ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾ ايّها الثّقلان دلّ عليهما قوله للأنام ﴿تُكَذِّبَانِ (١٣)﴾ كرّرت احدى وثلثين مرّة وقد مرّ وجهه فى اقتربت وكلّ ما اقترنت به فهو نعمة حتى الوعيد للأنزجار به عن المعاصى فان لم تطّلع عليه فارجع الى القاضى والاستفهام فيها للتّقرير بالنّعم لما روى انّه يستحب ان يقال عند كلّ منها ولا شئ من نعم ربّنا نكذّب فلك الحمد ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ طين يابس له صلصلة اى صوت اذا نقر ﴿كَالْفَخَّارِ (١٤)﴾ وهو ما طبخ من الطّين والتّفصيل فى الحجر ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ اى ابا الجنّ وهو ابليس ﴿مِنْ مَارِجٍ﴾ لهب خالص لا يشوبه شئ من الدّخان ﴿مِنْ نَارٍ (١٥)﴾ بيان لمارج ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧)﴾ مشرقى الشّتاء والصّيف ومغربيهما وفى ذلك فوائد لا تحصى ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ﴾ ارسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح ﴿يَلْتَقِيَانِ (١٩)﴾ يتجاوران ويتماس سطوحهما ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز من قدرة الله ﴿لَا يَبْغِيَانِ (٢٠)﴾ اى لا يبغى احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ اى من مجموعهما الصّادق باحدهما وهو الملح ﴿اللُّؤْلُؤُ﴾ كبار الدرّ ﴿وَالْمَرْجَانُ (٢٢)﴾ صغاره او الخرز الأحمر ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ السّفن جمع جارية ﴿الْمُنْشَآتُ﴾ اى

المرفوعات الشرع او المصنوعات فهو من انشأه بمعنى رفعه او خلقه ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤)﴾ اى كالجبال عظما وارتفاعا ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ اى الأرض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب ﴿فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ اى ذاته ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ اى العظمة والكبرياء ﴿وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ اى الفضل العام ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْأَلُهُ﴾ بالنّطق او بالحال ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما يحتاجون اليه من القوّة على العبادة والرّزق وغير ذلك ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ وقت ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)﴾ امر يظهره على وفق ما قدّره فى الأزل من احياء واماتة واعزاز واذلال واغناء واعدام واجابة داع واعطاء سائل وغير ذلك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠) سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ اى ستجرّد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانّه تعالى لا يفعل فيه غيره فهو استعارة تمثيليّة على تشبيه انتهاء شأون الدّنيا وبقاء شأن واحد وهو مجازات المكلّفين بالثّواب والعقاب بفراغ من يشغله شأن عن شأن عن اشتغاله وتجرّده لهمّ واحد واستعارة العبارة الموضوعة للثّانى للاوّل ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١)﴾ اى الأنس والجنّ لثقلهما على الأرض او لثقل رأيهم وقدرهم ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾ تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾ نواحى ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هاربين من قضاء الله ﴿فَانْفُذُوا﴾ اخرجوا امر تعجيز ﴿لَا تَنْفُذُونَ﴾ اى لا تقدرون على النّفوذ ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣)﴾ اى بقوّة وقهر وليس لكم ذلك ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ حين الخروج من القبور ﴿شُوَاظٌ﴾ لهب ﴿مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾ اى دخان لا لهب فيه او صفر مذاب يصبّ على رؤسهم ﴿فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥)﴾ تمتنعان من ذلك يسوقكم الى المحشر فتهربون منها الى ان تجتمعوا فى موضع واحد ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ اى انفجرت وصارت ابوابا لنّزول الملائكة او للسّقوط ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ اى مثلها محمرّة ويجعل خبر ثان او حال من الأسم قوله ﴿كَالدِّهَانِ (٣٧)﴾ اى مذابة كالدّهن فهو اسم لما يدهن به ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ﴾ اى يوم تنشقّ السّماء ﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩)﴾ هل هو مذنب ام لا لانّهم يعرفون بسيماهم من سواد

وجوه المجرمين وزرقة عيونهم وبياض وجوه المؤمنين وبهجتها ولا ينافى نحو ﴿فوربّك لنسألنّهم﴾[1] لانّه حين يحاسبون فى الموقف ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٤٠) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ﴾ الّذى ذكرنا ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالْأَقْدامِ (٤١)﴾ مجموعا بينهما ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٤٢)﴾ ثمّ يقال لهم على وجه التّقريع ﴿هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَها وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿آنٍ (٤٤)﴾ منقوص كقاض بمعنى شديد الحرارة يسقوا به اذا استغاثوا من حرّ النّار ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٤٥)﴾ ثمّ شرع فى بيان ثواب المتّقين الخايفين فقال ﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته ﴿جَنَّتانِ (٤٦)﴾ واحدة لفعل الطّاعات والاخرى لترك المعاصى او جنّة للخائف الأنسىّ والأخرى للخائف الجنّى فانّ الخطاب للفريقين والمعنى لكلّ خائفين منكما ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٤٧) ذَواتا أَفْنانٍ (٤٨)﴾ انواع من الشّجر والثّمار جمع فنّ ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٤٩) فِيهِما عَيْنانِ تَجْرِيانِ (٥٠)﴾ حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل قيل احديهما التّسنيم والآخر السلسبيل ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٥١) فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ (٥٢)﴾ صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ﴾ حال من قوله لمن خاف والجمع للحمل على معنى من والعامل ما فى الظّرف من معنى الاستقرار وقيل حال عاملها محذوف اى تنعّمون فيها متكئين ﴿عَلى فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ من الدّيباج واذا كانت البطائن كذلك فما ظنّك بالظهاير قيل هى من سندس اى الديباج الرّفيع النّاعم ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ اى بجنيهما مبتدأ خبره ﴿دانٍ (٥٤)﴾ قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٥٥) فِيهِنَّ﴾ اى فى الجنّتين وما اشتملتا عليه من العلالى والقصور ﴿قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾ من اضافة اسم الفاعل الى مفعوله اى نساء قاصرات اعينهنّ على ازواجهنّ وهنّ الحور او نساء الدّنيا وعلى هذا المراد بقوله ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ (٥٦)﴾ اى لم يمسّ الانسيات انس والجنيات جنّ بعد النّشأة الثّانية وفى نحو

---

[1] - سورة الحجر: ٩٢

هذه الآية تصريح بانّ الجنّ يثابون ويدخلون الجنّة لا كما قالت الحنفيّة من انّ مؤمنيهم يسقط عنهم العذاب فيجعلون ترابا وكفّارهم يعذبون بالنّار ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٥٩) كَأَنَّهُنَّ الْياقُوتُ﴾ فى حمرة الوجه ﴿وَالْمَرْجانُ (٥٨)﴾ اى اللؤلؤ فى بياض البشرة وصفائها ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٥٩) هلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ﴾ فى العمل ﴿إِلَّا الْإِحْسانُ (٦٠)﴾ فى الثّواب ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٦١) وَمِنْ دُونِهِما﴾ اى دون الجنّتين المذكورتين فى الفضل والقدر ﴿جَنَّتانِ (٦٢)﴾ للخائفين المذكورين ايضا او لمن دونهم من اصحاب اليمين ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٦٣) مُدْهامَّتانِ (٦٤)﴾ سوداوان من شدّة خضرتهما ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٦٥) فِيهِما عَيْنانِ نَضّاخَتانِ (٦٦)﴾ فوّارتان بالماء لا ينقطعان ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٦٧) فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمّانٌ (٦٨)﴾ من عطف الخاص على العام لبيان فضلهما فانّ ثمرة النّخل فاكهة وغذاء وثمرة الرّمان فاكهة ودواء ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٦٩) فِيهِنَّ﴾ اى فى الجنّتين وقصورهما ﴿خَيْراتٌ﴾ جمع خير مخفّف خيّر صفة لانّ خير الّذى بمعنى اخير لا يجمع ﴿حِسانٌ (٧٠)﴾ الخلق والخلق ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٧١)﴾ وبدل من خيرات ﴿حُورٌ﴾ جمع حوراء وهى شديدة سواد العين وبياضها ﴿مَقْصُوراتٌ﴾ مستورات ﴿فِي الْخِيامِ (٧٢)﴾ من درّ مجوّف فرسخ فى فرسخ وكلّ زاوية منها اهل للمؤمن لا يراهم آخرون لعلّها مضافة الى القصور شبيهة بالخدور ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ﴾ اى قبل ازواجهنّ ﴿وَلا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ﴾ اصحاب هاتين الجنّتين وهو حال كما تقدّم ﴿عَلى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ جمع رفرفة اى وسائد او بسط قيل يرفرف اى يطير بهم حيث شاؤا من خيامهم وازواجهم وقصورهم ﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ منسوب الى عبقر تزعم العرب انّه اسم بلد الجنّ فينسبون اليه كلّ شئ عجيب والمراد به الجنس وكذلك جمع ﴿حِسانٍ (٧٦)﴾ حملا على المعنى وقيل جمع عبقريّة اى طنافس ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٧٧) تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ (٧٨)﴾ اى تعالى اسمه الّذى افتتح به هذه السّورة فانّ ما فيها خرج من الرّحمة المفهومة منه.

سورة الواقعة

مكيّة وقيل: الاّ (فبهذا الحديث) الآية وآيها سبع وتسعون
وفى الحديث: من قرأها كلّ ليلة لم تصبه فاقة ابدا، وورد علموا نسائكم الواقعة فانّها سورة الغنى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١)﴾ قامت القيامة سمّاها واقعة مع انها لم تقع بعد لتحقّق وقوعها واذا لمجرّد الوقت مفعول به لاذكر مقدرا او للشّرط وجوابه العامل فيه محذوف اى كان كيت وكيت يعنى ما ياتى ولا يعمل فيه ليس لانّها مجرّدة عن الحدث بمنزلة ما النّافية وما لاحدث فيه لا يعمل فى الظّرف ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢)﴾ نفس تكذب بان تنفيها كما نفتها فى الدّنيا واللاّم للتّوقيت او التّعليل والجملة حال من الواقعة هى ﴿خَافِضَةٌ﴾ لأعداء الله بدخولهم النّار ﴿رَافِعَةٌ (٣)﴾ لأوليائه بدخولهم الجنة اسند ماهو فعل الله اليها مجازا من قبيل اسناد الفعل الى زمانه ﴿إِذَا﴾ متعلّق بخافضة رافعة على التّنازع او بدل من اذا وقعت ﴿رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤)﴾ حرّكت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل ﴿وَبُسَّتِ﴾ فتت ﴿الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً﴾ غبارا ﴿مُنْبَثًّا (٦)﴾ منتشرا ﴿وَكُنْتُمْ﴾ صرتم ﴿أَزْوَاجًا﴾ اصنافا ﴿ثَلَاثَةً (٧)﴾ اثنان فى الجنّة وواحد فى النّار ثمّ بيّنهم بقوله ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ اى الّذين يؤتون صحائفهم بيمينهم مبتدأ خبره ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨)﴾ اى اىّ شئ هم اقيم الظّاهر مقام الضّمير للمبالغة فى وصفهم بما دلّ على المدح والتّعجب من حالهم كانّه قيل ما تدرى مالهم من الخير والكرامة وعليه قس قوله ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الميسرة اى الّذين يؤتون صحائفهم بشمالهم ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ﴾ الى الأيمان والطّاعة بعد ظهور الحقّ بلا توان مبتدأ خبره ﴿السَّابِقُونَ (١٠)﴾ اى هم الّذين عرفت حالهم فيتحدان متعلّقا كقولهم انا ابوا النّجم

وشعرى شعرى او الّذين سبقوا الى الجنّة فيتغايران ﴿أُولٰئِكَ﴾ الموصوفون بالسّبق مبتدأ خبره ﴿الْمُقَرَّبُونَ (١١)﴾ عند الله منزلة ﴿فِي جَنّٰاتِ النَّعِيمِ (١٢)﴾ خبر بعد خبر او حال من المنوىّ فى المقربين ﴿ثُلَّةٌ﴾ خبر محذوف اى السّابقون المقربون جماعة كثيرة كائنة ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣)﴾ اى الأمم الماضية من لدن آدم الى محمّد ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤)﴾ اى امّة محمّد واقليّة سابقيها لا ينافى اكثريّة جميعها الدّال عليه حديث امّتى يكثرون سائر الأمم ولا يردّ ما فى الحديث بدل قوله فى حقّ اصحاب اليمين ثلة من الأوّلين وثلة من الآخرين لانّ كثرة الفريقين فى انفسهم لا ينافى اكثريّة احدهما اى هذه الأمة وفى الحديث انّهما من هذه الأمة اى كثير من سابقيها وقليل من آخريها فى آخر الزّمان ﴿عَلىٰ سُرُرٍ﴾ خبر بعد خبر للمحذوف ﴿مَوْضُونَةٍ (١٥)﴾ منسوجة بقضبان الذّهب مشبكة بالدّر والياقوة ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)﴾ حال من الضّمير فى على سرر ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدَانٌ﴾ اى غلمان جمع وليد وهو الّذى لم يبلغ بعد قيل اطفال للمشركين وقيل خدّام خلقوا فيها على صورة الغلمان ﴿مُخَلَّدُونَ (١٧)﴾ مؤبّدون على تلك الصّورة ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب اى اناء لا عروة لها ولا خرطوم ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ جمع ابريق اى ما له ذلك ﴿وَكَأْسٍ﴾ قدح شرب الخمر ﴿مِنْ مَعِينٍ (١٨)﴾ فعيل بمعنى فاعل اى خمر جارية من منبع لا ينقطع ابدا ﴿لاٰ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ اى ينالهم بشربها صداع فانّها لذّة بلا اذى بخلاف خمر الدّنيا فعن للسّببية والجملة استيناف او حال من ضمير عليهم ﴿وَلا يُنْزِفُونَ (١٩)﴾ بكسر الزاى من انزف اذا نفد عقله اى لا يذهب عقولهم بها ﴿وَفٰاكِهَةٍ﴾ عطف على اكواب ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠)﴾ اى يختارون ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)﴾ فمتى خطر ببالهم رأوه مشويّا عندهم فاذا اخذوا منه حظّهم طار كما كان ﴿وَ﴾ لهم للاستمتاع ﴿حُورٌ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها ﴿عِينٌ (٢٢)﴾ ضخام العيون جمع عيناء كحمراء والقياس ضمّ عينه لكن كسرت لمجانسة الياء والأصح انّ الحور العين نساء الدّنيا بخلاف الحور ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣)﴾ المصون فى الصّفاء والنّقاء يفعل ذلك بهم

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)﴾ اى للجزاء باعمالهم ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ كلاما باطلا لا فائدة له وان لم يكن كذبا ولا فاحشا من الكلام ﴿وَلا تَأْثِيمًا (٢٥)﴾ نسبة الى الاثم اى لا يقال لهم اثمتم ﴿إِلاَّ قِيلاً﴾ اى قولا ﴿سَلامًا سَلامًا (٢٦)﴾ بدل من قيلا والتكرير للدلالة على فشوّ السلام بينهم ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧)﴾ مرّ مثله هم ﴿فِي﴾ وسط ﴿سِدْرٍ﴾ شجر الصّنوبر ﴿مَخْضُودٍ (٢٨)﴾ لا شوك فيه كالّتى فى الدّنيا ﴿وَطَلْحٍ﴾ شجر الموز ﴿مَنْضُودٍ (٢٩)﴾ نضد بالحمل من اسفله الى اعلاه وليس فى الدّنيا ممّا فى الآخرة الاّ الاسم ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠)﴾ دائم على وفق واحد ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١)﴾ جار اين شاؤا وكيف شاؤا ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢)﴾ الاجناس ﴿لاَ مَقْطُوعَةٍ﴾ فى زمان ﴿وَلاَ مَمْنُوعَةٍ (٣٣)﴾ بثمن ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤)﴾ اى بسط رفيعة القدر كما هو الظّاهر او نساء مرتفعات على السّرر كما يدلّ عليه ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ لانّ الظّاهر انّ الضّمير لها وامّا على الاوّل فهو لحور العين ﴿إِنْشَاءً (٣٥)﴾ عجيبا من غير ولادة ابداء او اعادة ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦)﴾ كلّما اتاهنّ ازواجهنّ وجدوهنّ ابكارا ولا وجع ﴿عُرُبًا﴾ بضمّ الراء جمع عروب المتحببة الى زوجها عشقا له ﴿أَتْرَابًا (٣٧)﴾ جمع ترب اى مستويات فى السّن بنات ثلاث وثلثين مثل ازواجهنّ ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨)﴾ متعلّق بانشأنا او جعلناهنّ هم ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ﴾ حرّ نار ينفذ فى منافذ البدن كالريح السموم ﴿وَحَمِيمٍ (٤٢)﴾ ماء متناه فى الحرارة ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣)﴾ دخان شديد السّواد ﴿لاَ بَارِدٍ﴾ كغائب سائر الظّلال ﴿وَلا كَرِيمٍ (٤٤)﴾ اى لا نافع فى دفع اذى الحرّولو من غير برودة كما بعض الظّلال اى ليس فيه شئ من الفائدتين الموجودتين فى الظلّ وعلّل ذلك دفعا لتوهّم الظّلم بقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ اى فى الدّنيا ﴿مُتْرَفِينَ (٤٥)﴾ منعمين بما يشتهون لا يتعبون فى الطّاعة ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ﴾ الذّنب ﴿الْعَظِيمِ (٤٦)﴾ الشرك ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (٤٨)﴾

عطف بالواو على المستكنّ فى مبعوثون بلا تاكيد للفصل بهمزة الاستفهام وتكريرها للدّلالة على انكار البعث مطلقا خصوصا فى وقت كون لحومهم ترابا وعظامهم رفاتا سيّما آبائهم الذين اقدم منهم موتا وانحلالا ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠)﴾ الأضافة للبيان اى ما وقت به الدّنيا الّذى هو يوم معلوم عند الله ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١)﴾ بالبعث والخطاب لأهل مكّة وامثالهم ﴿لَآكِلُونَ مِنْ﴾ للأبتداء ﴿شَجَرٍ مِنْ﴾ للبيان ﴿زَقُّومٍ (٥٢)﴾ هو فى الفمّ مرّ وفى اللّمس حار وفى الرّائحة منتن وفى النّظر اسود لا يكاد آكله يسيغه ﴿فَمَالِؤُونَ مِنْهَا﴾ من الشّجر ﴿الْبُطُونَ (٥٣)﴾ من شدّة الجوع ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ﴾ تذكير للفظ الشجر كما انّ تانيث منها لمعناها ﴿مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤)﴾ لغلبة العطش وعطف عليه لبيان زيادة العذاب قوله ﴿فَشَارِبُونَ﴾ بحرص ﴿شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥)﴾ اى الابل التى بها الهيام اى داء معطش كالاستسقاء جمع اهيم للمذكر او هيماء للأنثى وكسر الفاء لمناسبة الياء ﴿هَذَا نُزُلُهُمْ﴾ ما اعدّ لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)﴾ الجزاء فما ظنّك بما يكون لهم بعد ما استقرّوا فى الجحيم ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا﴾ فهلاّ ﴿تُصَدِّقُونَ (٥٧)﴾ بالبعث اذ الاعادة اسهل على من قدر على الانشاء ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨)﴾ تريقونه فى ارحام النّساء من النّطفة ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ بشرا سويّا ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ اى قسمناه عليكم واقّتنا كلّ موت بوقت معيّن فاختلفت اعماركم بذلك ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠)﴾ اى بمغلو بين ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ﴾ منكم ﴿أَمْثَالَكُمْ﴾ اشباهكم اى نخلقهم مكانكم ﴿وَنُنْشِئَكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)﴾ من الصّور كالقردة والجنازير ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)﴾ انّ من قدر عليها قدر على النّشئة الأخرى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ من رأية البصراو العلم معلق عن المفعول الثانى بالأستفهام لا عن المفعولين معا فانه ضعيف ﴿مَا تَحْرُثُونَ (٦٣)﴾ تبرذون حبّه ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤)﴾ المنبتون وهذا لا دخل للعبد فيه بخلاف الحرث لانّ لاختياره دخل فيه ويستحب للحارث

ان يتعوّذ ثم يقرأ هذه الآية ثمّ بل الله الزّارع والمنبت والمبلغ فانّه امان لذلك الزّرع من جميع الآفات كالدّود والجراد وغير ذلك ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ نباتا يابسا متكسّرا لا حبّ له ﴿فَظَلْتُمْ﴾ اصله ظللتم بكسر اللاّم فحذفت تخفيفا اى اقمتم نهارا ﴿تَفَكَّهُونَ (٦٥)﴾ تتعجبون من يبسه بعد خضرته او تندمون على تعبكم فيه قائلين ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦)﴾ ما انفقنا على زرعنا ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ (٦٧)﴾ حرمنا رزقنا ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ السّحاب واحده مزنة ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ مَلِحا لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاّ ﴿تَشْكُرُونَ (٧٠)﴾ امثال هذه النّعم الضّرورية ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١)﴾ تقدحون يحك الزّند الاعلى وهو رطب على الزّندة السّفلى وفيها ثقب يقال لها الأنثى واذا اجتمعتا قيل زندان والجمع زناد ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ الّتى منها الزّناد كالمرخ والعفار ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾ اى نار الزّناد ﴿تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنّم الّتى هذه جزأ من سبعين جزأ من حرّها كما فى الحديث ﴿وَمَتَاعًا﴾ منفعة ﴿لِلْمُقْوِينَ (٧٣)﴾ اى المسافرين من اقوى القوم نزلوا بالقوا بالمدّ والقصر وهى القفر اى مفازة لا نبات فيها ولا ماء فانّهم اشدّ احتياجا اليها ولمّا ردّ على منكرى البعث بذكر ما يدلّ على صحّته وكمال قدرته تعالى وشمول علمه من خلق الانسان وما به بقائه عقّبه بالأمر بتنزيهه عمّا لا يليق بشأنه الاعلى من النقائص فقال ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ اى اوجد التّسبيح بواسطة ذكر اسمه العظيم على حذف المضاف او بواسطة ذكره تعالى على انّ الاسم مجاز عن الذّكر بعلاقة انّ اطلاق اسم الشّئ سبب لذكره فالتّسبيح عليهما منزّل منزلة اللاّزم والباء للآلة وقيل الباء زائدة اى فسبّح اسمه فانّه كما يجب تنزيه ذاته عن النّقائص يجب تنزيه اسمائه عن الرّفث وسوأ الأدب فيلزم منه تنزيه ذاته بالطريق الاولى وقيل الاسم ايضا زائد ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ اذ الأمر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتّاكيد ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥)﴾ بمساقطها لغروبها وتخصيص المغارب لما فى غروبها من زوال اثرها والدّلالة على وجود مؤثر

لا يزول تأثيره ﴿وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)﴾ لما فى المقسم به من الدّلالة على عظم القدرة وفيه اعتراض بين الموصوف والصّفة كما انّه بمجموعه اعتراض بين القسم والمقسم به وهو ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧)﴾ اى كثير النّفع ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨)﴾ مصون وهو اللّوح ﴿لاَ يَمَسُّهُ﴾ اى لا يطلع على اللّوح ﴿إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾ من الكدرات الجسمانيّة وهم الملائكة او لا يمسّ القرآن الاّ المطهّرون من الأحداث فيكون نفيا بمعنى النّهى ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)﴾ صفة ثالثة او رابعة للقرآن ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ اى القرآن ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١)﴾ متهاونون مكذّبون ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ من المطر اى شكره ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)﴾ انّه من الله حيث تقولون مطرنا بنوأ كذا ﴿فَلَوْلاَ﴾ فهلاّ ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الرّوح وقت النّزع ﴿الْحُلْقُومَ (٨٣) وَ﴾ حال ﴿أَنْتُمْ﴾ يا حاضرى الموت ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤)﴾ اليه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعلم ﴿وَلَكِنْ لاَ تُبْصِرُونَ (٨٥)﴾ اى لا تدركون ذلك ﴿فَلَوْلاَ إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦)﴾ مجزيّين يوم القيامة او مملوكين مقهورين ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ تردّون الرّوح الى الجسد بعد البلوغ الحلقوم ﴿إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)﴾ فيما زعمتم فلولا الثّانية تاكيد للأولى واذ ظرف ترجعون المتعلّق به الشّرطان والمعنى هلاّ ترجعونها ان كنتم غير مجزيّين مقهورين صادقين فى ذلك النّفى ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ الميّت ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨)﴾ السابقين ﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحة جواب لامّا او لان او لهما على اختلاف فى ذلك ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ رزق حسن ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩)﴾ ذات نعيم ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلاَمٌ لَكَ﴾ اى يقال له سلام لك يا صاحب اليمين ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١)﴾ اى من اخوانك يسلمون عليك ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢)﴾ اى اصحاب الشّمال ﴿فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا﴾ المذكور فى السّورة او فى شأن القرآن ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥)﴾ من اضافة الموصوف الى الصفة اى حقّ الخبر اليقين ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)﴾ مرّ بيانه.

* * *

سورة الحديد

مدنيّة أو مكيّة وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ اى نزّهه كلّ شئ فاللاّم مزيدة اشعارا بانّ ايقاع الفعل لاجله وخالصا لوجهه وفى الأتيان بما تغليب للأكثر ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾ حال يشعر بما هو المبدأ للتّسبيح ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي﴾ بالانشاء استيناف ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده ﴿وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ تام القدرة ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كلّ شئ بلا بداية ﴿وَالْآخِرُ﴾ الباقى بعد كلّ شئ بلا نهاية ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ وجودا لكثرة دلائله ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ حقيقة فلا يدرك كنهها العقول ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)﴾ يستوى عنده الظّاهر والخفىّ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ كالبذر والمطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنّبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرّحمة والعذاب والامطار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يصعد كالأعمال الصالحة والابخرة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بالعلم والقدرة ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)﴾ فيجازيكم عليه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانّه كالمقدّمة لهما ﴿وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)﴾ اى بما فيها من الأسرار والمعتقدات ﴿آمِنُوا بِاللّٰهِ﴾ يا كفار قريش بعد ما اوضحت لكم الدّلائل على انّه المستحقّ للعبادة ﴿وَرَسُولِهِ﴾ فيما يخبر به عنه ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ اى من الأموال الّتى جعلكم خلفاء فى التّصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او الّتى استخلفكم عمّن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها وفيه حثّ على الأنفاق وتهوين له على النّفس لانّها اذا

علمت انّها له تعالى او لمن قبلها وستنتقل منها الى غيرها هان عليها انفاقها طلبا لمرضاة الله وثواب الآخرة الموعود بقوله ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)﴾ اعاد ذكر الأيمان والأنفاق صريحا للمبالغة فى الدّلالة على سببيّتهما المفهومة من الفاء ﴿وَمَا﴾ استفهاميّة مبتدأ خبره ﴿لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ حال معمول للفعل المستنبط من ما او حرف الجرّ اى ما تصنعون او ما حصل لكم غير مؤمنين ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ بالحجج والآيات حال متداخل من فاعل يؤمنون ﴿لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ﴾ الله حال من مفعول يدعوكم ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ على الأيمان قبل ذلك بنصب الادلة والتّمكين من النّظر وليس المراد ما اخذ عليهم من يوم السّبت لانّهم لم يعلموه الاّ بقول الرّسول فلا يكون سببا لوجوب اجابتهم الرّسول فيما دعاهم اليه ﴿إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨)﴾ لموجب مّا والجواب محذوف اى فانّ هذا موجب لا مزيد عليه ﴿هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ اى المعجزات الّتى اعظمها القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ الله او العبد ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ اى من ظلمات الكفر الى نور الأيمان ﴿وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٩)﴾ حيث نبّهكم بالرّسول والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية ثم حرضهم على الانفاق بوجه آخر فقال ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ﴾ فيه ادغام نون ان فى لام لا اى اىّ شئ لكم فى ان لا ﴿تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللهِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يرث كلّ شئ فيهما ولا يبقى لأحد بمال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثّواب اولى ﴿لاَ يَسْتَوِى مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ فتح مكّة ﴿وَقَاتَلَ﴾ وقسيمه اى ومن انفق من بعده وقاتل محذوف للعلم به ولفهمه من قوله ﴿أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ اى بعد الفتح اذ عزّ الاسلام به وكثر اهله وقلّت الحاجة الى المقاتلة والانفاق ﴿وَكُلاًّ﴾ من الفريقين مفعول ﴿وَعَدَ اللهُ﴾ المثوبة ﴿الْحُسْنَى﴾ اى الجنّة ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)﴾ فيجازيكم على حسبه ثمّ حرّض على الأنفاق بوجه ثالث فقال ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ﴾ بان ينفق ماله فى سبيله

رجاء ان يعوّضه ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بان يبغى به وجه الله خاصة ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ من عشر الى اكثر من سبعمأية ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)﴾ حال من مفعول يضاعفه اى وذلك الاجر كريم فى نفسه ينبغى ان يطلب وان لم يضاعف كيف وقد يضاعف اضعافا كثيرة ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ تبصر ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ظرف لقوله وله اى للاستقرار الّذى تعلّق به او فيضاعفه او مقدّر باذكر ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ والمراد بالنّور حقيقته فانّ كلّ مثاب يحصل له النّور على قدر عمله كما فى الحديث او صحائف الأعمال فانّها تؤتى للسعداء من هاتين الجهتين فتكون سبب النّجاة من النّار والاهتداء الى طريق الجنّة كالنّور والجملة حال من مفعول ترى وكذا يقال لهم ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ اى دخولها اذ لا يصحّ حمل العين على الحدث ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ بدل من يوم ترى ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾ اى انتظرونا او انظروا الينا ﴿نَقْتَبِسْ﴾ اى نأخذ القبس والأضائة ﴿مِنْ نُورِكُمْ﴾ اذ يؤتون اوّلا نورا خديعة ثمّ ينطفى ﴿قِيلَ﴾ لهم استهزاء ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ الى الدّنيا ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ﴾ عطف على قيل ارجعوا متفرّع عليه ﴿بَيْنَهُمْ﴾ اى بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٍ﴾ حائط قيل هو الأعراف وقيل غيره وقيل استعارة تمثيليّة لحرمانهم عن اللّحوق باصحاب الأنوار وبقائهم فى ظلمة النّفاق ﴿لَهُ بَابٌ﴾ يدخل فيه المؤمنون ﴿بَاطِنُهُ﴾ اى السّور او الباب ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ لانّه يلى الجنّة او يؤدّى اليها على القيل الاخير ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ﴾ اى من جهته ﴿الْعَذَابُ (١٣)﴾ اى عذاب النّار لانّه يليها او عذاب الظّلمة المؤدّية الى السّقوط فى حفر النّيران ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ على الطّاعة ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ بالنّفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدّوائر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ شككتم فى دين الاسلام ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ كامتداد العمر ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ اى الموت ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ﴾ اى بحلمه وتأخيره العذاب عنكم ﴿الْغَرُورُ (١٤)﴾ فعول بمعنى فاعل اى الشّيطان او الدّنيا ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ فداء ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ

كَفَرُوا﴾ ظاهرا وباطنا ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ اولى بكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)﴾ هى ونزل فى المنافقين او فى طائفة من المؤمنين ما كان فيهم مزيد خشوع ورقة قلب او كانت فنقصت بعد الهجرة لرفاهية العيش ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ يحن ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ اى القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ عطف على تخشع ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ هم اليهود والنّصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ اى الأجل لطول اعمارهم وآمالهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)﴾ خارجون عن دينهم ومتابعة ما فى كتبهم لفرط القسوة ﴿اعْلَمُوا﴾ خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)﴾ استعارة تمثيليّة على تشبيه احياء القلوب القاسية بالخشوع المسبّب عن الذّكر وتلاوة القرآن باحياء الأرض الميتة بالمطر من حيث اشتمال كل منهما على البلوغ الى الكمال المتوقع خلوّه عنه ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القسوة ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ من التّصدّق اى المتصدّقين والمتصدّقات ﴿وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ معطوف على معنى الفعل فى مدخول اللاّم الموصولة عطف خاص على عام لانّه تصديق مقيد بكونه حسنا مقرونا بالأخلاص ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ قائم مقام الفاعل والجملة خبر انّ ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ اى المبالغون فى التّصديق ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذّبين من الأمم يوم القيامة ﴿لَهُمْ﴾ اى لأولئك المؤمنين ﴿أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ الموعودان لهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩)﴾ ولمّا ذكر حال الفريقين فى الآخرة حقّر امور الدّنيا بانّها ممّا لا يتوصّل به الى الفوز الآجل فقال ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ يتعب النّاس فيه انفسهم جدّا من غير فائدة ﴿وَلَهْوٌ﴾ يلهون به انفسهم عمّا يهمّهم ﴿وَزِينَةٌ﴾ كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرّفيعة ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾ بالانساب ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ اى الاشتغال فيها وقرّر ذلك بقوله ﴿كَمَثَلِ﴾ اى هى اعجابها لكم واضمحلالها بسرعة

كمثل ﴿غَيْثٍ﴾ مطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ الزّراع لانّهم يكفرون البذر اى يسترونه فى الأرض ﴿نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس بعد زمان قريب ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ افتاتا تضمحل بالرّياح ثمّ عظم امور الآخرة بقوله ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن آثر عليها الدّنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن آثرها على الدّنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠)﴾ لمن لم يطلب بها الآخرة ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ اى الى موجباتها ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لو وصلت احديهما بالأخرى واذا كان العرض كذلك فما ظنّك بالطّول ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ فيه دليل على انّ الجنّة مخلوقة وانّ الإيمان وحده كاف فى استحقاقها، وقد مرّ التّفصيل فى آل عمران[1] فراجعه. ﴿ذَلِكَ﴾ الموعود ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ من غير ايجاب عليه ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)﴾ فلا يبعد منه التّفضل بذلك وان عظم ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ كجذب وعاهة ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كمرض وفقد ولد ﴿إِلَّا﴾ مكتوبة ﴿فِي كِتَابٍ﴾ اى اللّوح المحفوظ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ نخلقها ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ اى الأثبات فى الكتاب ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا﴾ متعلّق بما يدلّ عليه الاّ فى كتاب اى اثبت وكتب ذلك لكيلا ﴿تَأْسَوْا﴾ تحزنوا ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من نعم الدّنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ اعطاكم الله منها فانّ من علم انّ الكلّ مقدّر هان عليه المحن والمصائب ولا يشتدّ فرحه بنيل المآرب ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبّر بما اوتى ﴿فَخُورٍ (٢٣)﴾ به على النّاس ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ بدل من كلّ مختال فخور لانّ المختال بالمال يبخل به غالبا من حيث انّ اختياله انّما هو لحبّه او مبتدأ خبره محذوف دلّ عليه قوله ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عن الأنفاق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عنه وعن انفاقه ﴿الْحَمِيدُ (٢٤)﴾ اى محمود فى ذاته لا يضرّه الأعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب اليه بشئ وانّما امر بالأنفاق لمصلحة المنفق ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ اى الملائكة الى الأنبياء او الأنبياء الى

---

[1] - آية: ١٣٣

الأمم ﴿بالْبيّنات﴾ اى الحجج القواطع ﴿وأنزلْنا معهُمُ الْكتاب﴾ اى الكتب لتبيين الحقّ وتمييز صواب العمل ﴿والْميزان﴾ اى اسبابه والأمر باعداده وقيل انزل بعينه الى نوح وقيل المراد به العدل وانزاله الامر به ﴿ليقُوم النّاسُ بالْقسْط﴾ اى العدل باتباع الكتاب واستعمال الميزان فينظّم امر دينهم ودنياهم وينالوا الفوز الابدىّ ثمّ اشار الى انّ تمشية قوانين الكتاب واستعمال ما يوزن به يتوقفان على دال صاحب السّيف يقيم به امر السّياسة وقهر من يجاوز القسط بقوله ﴿وأنزلْنا الْحديد﴾ مجاز بمعنى احدثناه وانّشاه من حيث انّ اوامره واحكامه تنزّل من السّماء او على حقيقته لما روى انّه تعالى انزل اربع بركات من السّماء النّار والحديد والماء والملح ﴿فيه بأْسٌ شديدٌ﴾ فانّ آلة الحروب متخذة منه والجملة حال منه ﴿ومنافعُ للنّاس﴾ اذ ما من صنعة الاّ وهو آلتها ﴿و﴾ انزله ﴿ليعْلم اللّهُ منْ ينصُرُهُ ورُسُلهُ﴾ باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفار اعزازا لدينه واعلاء لكلمته ﴿بالْغيْب﴾ حال من فاعل ينصره ﴿إنّ اللّه قويٌّ عزيزٌ (٢٥)﴾ لا يفتقر الى نصرة وانّما امرهم بالجهاد ليستوجبوا ثواب الامتثال فيه ﴿ولقدْ أرْسلْنا نُوحًا وإبْراهيم﴾ تفصيل لما اجمل من ارسال الرّسل بالكتاب ﴿وجعلْنا﴾ صيّرنا ﴿فى ذُرّيّتهما﴾ ثانى مفعولى جعلنا قدّم للأختصاص ﴿النُّبُوّةَ والْكتاب﴾ اى الوحى المتلوّ الّذى من شأنه ان يكتب ﴿فمنْهُمْ﴾ اى بعض الذّرية والفاء للتعقيب فى الذّكر ﴿مُهْتدٍ وكثيرٌ منْهُمْ فاسقُونَ (٢٦)﴾ خارجون عن الطريق المستقيم لم يقل ومنهم فاسق كما تقتضيه المقابلة مبالغة للذّم ودلالة على انّ الغلبة للضّلال ﴿ثُمّ قفّيْنا علَى آثارهمْ برُسُلنا وقفّيْنا بعيسى ابْن مرْيمَ﴾ اى اتبعنا نوح وابراهيم ومن عاصرهم من الرّسل رسولا بعد رسول من ذريتهما حتى انتهى الى عيسى وهو ايضا من ذريتهما من جهة الامّ ﴿وآتيْناهُ الإنْجيلَ وجعلْنا فى قُلُوبِ الّذينَ اتّبعُوهُ رأْفةً ورحْمةً﴾ فكان بعضهم يودّ بعضا ﴿ورهْبانيّةً﴾ اى مبالغة فى العبادة والرّياضة ورفض النّساء ولزوم الصّوامع منسوبة الى الرّهبان اى المبالغ فى الخوف من رهب منصوب بفعل يفسّره ﴿ابْتدعُوها﴾ من قبل انفسهم ﴿ما كتبْناها﴾ فرضناها

﴿عليهم ...﴾ لكن ابتدعوها ﴿ابتغاء رضوان الله فما رعوها﴾ اى ما رعوا جميعا ﴿حق رعايتها﴾ بل ضمّ بعضهم اليها التّثليث والقول بالاتحاد وقصد الرّياء والكفر بمحمّد وبقى بعض على الأيمان ورعاية حقوقها ﴿فآتينا الّذين آمنوا منهم﴾ وهم الأخر ﴿اجرهم وكثير منهم فاسقون ...﴾ وهم الاوّل ﴿يا أيّها الّذين آمنوا﴾ بالرّسل المتقدّمة ﴿اتّقوا الله وآمنوا برسوله﴾ محمّد ﴿يؤتكم كفلين﴾ نصيبين ﴿من رحمته﴾ لايمانكم واليهود وان لم يستمرّ دينهم الى وقت النّبى كالنّصارى لنسخه ببعثة عيسى لكن لا يبعد ان يثابوا ايضا عليه ببركة الاسلام ﴿ويجعل لكم نورا تمشون به﴾ على الصّراط وهو المذكور فى قوله: ﴿نورهم يسعى﴾[1] ﴿ويغفر لكم والله غفور رحيم (٢٨) لئلاّ يعلم﴾ متعلّق بمعنى الجملة الطّلبية المتضمنة لمعنى الشّرط ولا مزيدة اى ان تتقوا وتؤمنوا يأتكم ما ذكر ليعلم ﴿أهل الكتاب أن﴾ مخفّفة اى انه ﴿لا يقدرون على شيء من فضل الله﴾ فضلا عن ان يتصرّفوا فى اعظمه وهو النّبوة فيخصّوها ممّن ارادوا كما قال ﴿وأنّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢٩)﴾

* * *

[1] - سورة التحريم: ٨

سورة المجادلة

مدنيّة وقيل: العشر الأوّل مكي، وآيها سبعتان وعشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ الكلام ايّها النّبى ﴿فِي﴾ قول ﴿زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ وهى خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فسئلت النّبى عليه السّلام عن ذلك وكان اوّل ظهار فى الاسلام فقال حرمت عليه قالت ما طلقنى فقال حرمت عليه فكرّرت ذلك مرارا وهو يجيبها فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله وحدتها وفاقتها وانّها ان ضمتهم اليه ضاعوا او اليها جاعوا فنزلت هذه الآيات الأربع وفيه دليل على انّ من انقطع رجاه عن الخلق ولم يبق له فى مهمّه سوى ربّه كفاه الله ذلك المهمّ ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجعكما الكلام وفيه تغليب المخاطب ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ للأقوال ﴿بَصِيرٌ (١)﴾ بالأحوال ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ الظّهار ان يقول الرّجل لأمرأته انت على كظهر امّى مشتقّ من الظهر الّذى بمعنى العلو كانّه قال حرّمت علىّ العلو عليك وركوبك كامّى والحق به الفقهاء تشبيهها بجزأ انثى من محارمه وتخصيص العرب بالخطاب مع انّه بصحّ من كلّ احد حقّى الذمّى لتوبيخهم وتمجين عادتهم فيه فانّهم كانوا يجعلونه طلاقا مؤكّدا باليمين على الأحتناب ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ على الحقيقة ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ فلا يشبه بهنّ فى الحرمة الاّ من الحقها الله بهنّ ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ كذبا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢)﴾ لما سلف منه ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ اى الى قولهم بالتدارك والوصول الى ما فات بسببه بان تمسك المظاهر عنها فى النّكاح زمانا يمكن مفارقتها فيه ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ اى فعليهم اعتاق رقبة مؤمنة قياسا على كفارة القتل ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ بالوطى ﴿ذَٰلِكُمْ﴾

الحكم بالكفارة ﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾ فانّه يمنع ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقبة ولا قيمتها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ ولا ينقطع التّتابع بالوطئ المظاهر عنها ليلا ولا بالافطار لعذر بخلافه لغيره ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾ اى الصوم لهرم او مرض من من لا يرجى برأه او شدة اشتهاء الوطى او الطعام بحيث لا يصبر عنه ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ لكلّ مسكين مدّ من غالب قوة البلد كالفطرة ولم يذكر من قبل ان يتماسا اكتفاء بما سبق فرض ﴿ذَلِكَ﴾ البيان او تعليم الأحكام ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فى قبول شرايعه ورفض ما كنتم عليه فى جاهليّتكم ﴿وَتِلْكَ﴾ اى الاحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ لا يجوز تعدّيها ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ اى الذين لا يقبلونها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعادّونهما او يخالفونهما ﴿كُبِتُوا﴾ اذلوا واهلكوا ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ بمخالفتهم رسلهم ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دالّة على صدق الرّسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ (٥)﴾ ذو اهانة لهم ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ ظرف مهين او مقدّر باذكر ﴿جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ على رأوس الاشهاد ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ احاط به عددا ﴿وَنَسُوهُ﴾ لكثرته او تهاونهم به ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)﴾ لا يغيب عنه شئ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كليّا وجزئيّا ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ اى تناجيهم وتكالمهم سرّا ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ اى مصيّرهم اربعة من حيث انّه يشاركهم فى الاطلاع عليها والواحد من العدد اذا اضيف الى النّاقص بواحد عن المرتبة الّتى اشتق هو منها فهو لتصييره اليها وان اضيف الى عينها فهو بمعنى واحد منها ﴿وَلَا﴾ نجوى ﴿خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ﴾ كالواحد والاثنين ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ كالستّ فما فوقها ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ تفضيحا لهم وتقريرا لاستحقاقهم العذاب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ وهم اليهود والمنافقون كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم النّبى عليه السّلام

فلم ينتهوا عن ذلك ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ اى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرّسول ﴿وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾ فيقولون السّام عليك اى الموت فيوهمونك انّه سلام وكان عليه السّلام لا يفضحهم ولكن يقول فى الرد عليكم بدون الواو ﴿وَيَقُولُونَ فِى أَنفُسِهِمْ﴾ اى فيما بينهم ﴿لَوْلاَ﴾ هلاّ ﴿يُعَذِّبُنَا اللهُ﴾ لو كان محمّد نبيّا ﴿بِمَا نَقُولُ﴾ من التّحية ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابا ﴿يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨)﴾ هى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ مثلهم ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ﴾ للمؤمنين ﴿وَالتَّقْوَى﴾ من معصية الله ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ بالاثم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بتزيّنه وغروره ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ﴾ اى الشّيطان او التّناجى ﴿بِضَارِّهِمْ﴾ اى المؤمنين ﴿شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ اى بمشيّته وارادته ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)﴾ ولا يبالوا بنجواهم ووصل بذمّهم امر المؤمنين بتحسين الأدب فى مجالسة رسول الله كيلا يضيقوا عليه وان يتعاطف بعضهم على بعض بالتّوسيع عن طيب نفس فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ توسعوا ﴿فِى الْمَجَالِسِ﴾ اى كلّ مجلس اجتمعتم فيه للخير كذكر وجمعة وقرائة ووعظ وغير ذلك حتى يجلس من جائكم ويخرج من يمضيق عنه ان كان ﴿فَافْسَحُوا﴾ لما لم تتأذوا بذلك ﴿يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ﴾ فيما تريدون التّفسح فيه من المكان والرّزق والصّدر والجنّة وغير ذلك ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا﴾ اى قوموا لصلوة او جهاد او توسعة على اخوانكم فى المكان ﴿فَانشُزُوا﴾ ويجزم فى جواب الأمر قوله ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالنصر وحسن الذّكر فى الدّنيا والاسكان فى غرف الجنان فى الآخرة ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من عطف الخاص على العام اى ويرفع العلماء خاصة ﴿دَرَجَاتٍ﴾ بما جمعوا من العلم والعمل وفى الحديث: «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[1] ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)﴾ تهديد لمن لم يمتثل الأمر او

[1] - سنن ابي داود: ٤٩/١٠

استكرهه ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوٓا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ اى اردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ اى تصدّقوا قبلها ندبا كما يشعر به قوله ﴿ذٰلِكَ﴾ التّصدق ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لانفسكم من الزّينة وحبّ المال وقيل وجوبا كما هو مقتضى ظاهر قوله ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ ما تتصدّقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢)﴾ لا يؤاخذكم حينئذ بالمناجاة بدونها ولكن نسخ بعد ساعة او عشرة ايام قبل ان يتفق لهم مناجاة بنُزول قوله ﴿أَأَشْفَقْتُمْ﴾ اى اخفتم الفقر من ﴿أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ جمع لجمع المخاطبين او لكثرة التّناجى ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ فيما مضى ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بان رخّص لكم ان لا تفعلوه قبل ان تحتاجوه وليس المراد انّه تاب عن تقصيرهم وعدم ادائهم حتى يرد انّه لا يليق بمنصبهم لكن فيه اشعار بانّ اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما راى منهم ممّا قام مقام توبتهم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى سائر الأوامر فانّ القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)﴾ ظاهراً وباطنا ثم عاد الى ذمّ المنافقين بموالاتهم اليهود فقال ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى﴾ المنافقين ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ والوا ﴿قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ اى اليهود ﴿مَّا هُم﴾ اى المنافقون ﴿مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ بل مذبذبين بين ذلك ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ وهو ادعاء الاسلام ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤)﴾ انّ المحلوف عليه كذب ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥)﴾ فاصروا عليه ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ وقاية لدمائهم واموالهم ﴿فَصَدُّوا﴾ النّاس بها ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ اى الجهاد فيهم بقتلهم واخذ اموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦)﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم فلا تكرار وقيل الاوّل عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم﴾ الّتى حملتهم على النفاق والأيمان الكاذبة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ اى من عذابه ﴿شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧)﴾ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ ظرف لن تغنى او مقدّر باذكر ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ اى لله انّهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ فى الدّنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من نفع حلفهم والتّنجى به على علاّم الغيوب كما يتنجون

به عليكم فى الدّنيا ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ﴾ استولى وغلب وهو ممّا جاء على الأصل فى استعمال الفصحاء كاستصوب وان كان القياس استحاذ بقلب الواو الفا ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ قلبا ولسانا ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ جنوده واتباعه ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾ يخالفون ويجادلون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي﴾ جملة ﴿الأَذَلِّينَ (٢٠)﴾ اى من هو اذلّ خلق الله ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ فى اللوح او قضى ﴿لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجّة لكلهم فبالسّيف لبعضهم فقط ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على نصر اوليائه ﴿عَزِيزٌ (٢١)﴾ لا يغلب عليه فى مراده ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ صفة بعد صفة لقوم او حال منه والمراد زجر المؤمنين عن حبّهم بأبلغ وجه لا انّ من حبّهم صار منافقا مثلهم كما هو ظاهر الآية لانّ حبّهم كبيرة لا كفر فكانه قال لا ينبغى ان يوادوهم لانّهم اعداء الله ومحبّته بدون معاداة اعدائه حمق وسفاهة كما قال بعض العارفين تودّ عدوّى ثمّ تزعم انّنى صديقك ليس النوك عنك بعاذل ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ المحادون ﴿آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ﴾ الّذين لا يوادوهم بل يقاتلوهم كما وقع لجماعة من الصّحابة ﴿كَتَبَ﴾ اثبت ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ تعالى وهو نور القلب ﴿وَيُدْخِلُهُمْ﴾ على الأيمان ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعتهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه الموعود ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ الفائزون بخير الدارين.

* * *

سورة الحشر

مدنيّة وهي أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)﴾ نزلت الى قوله والله على كلّ شئ قدير فى بنى النضير من اليهود كانوا من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة وقريها فى فتن بنى اسرائيل انتظارا لبعثة رسول الله فلمّا هاجر الى المدينة صالحوه على انّهم لا له ولا عليه فلمّا غلب يوم بدر تاكد ظنّهم فيه وقالوا انّه المنعوت فى التّورية بالنصرة فلمّا هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونقضوا العهد وخرج رأيسهم كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكّة وحالفوا ابو سفيان فامر عليه السّلام اخ كعب من الرّضاع فقتله غيلة ثم حاصرهم حتى صالحوا على الجلاء بلا سلاح واموال وكان جائزا فى اوّل الاسلام فجلا اكثرهم الى الشّام وطائفة الى خيبر والحيرة ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ اى فى اوّل حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذلّ قبل ذلك ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ ايّها المؤمنون ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾ لشدّة بأسهم ومنعتهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ اى من بأسه ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ اى عذابه من الرّعب والاضطراب الى الجلاء ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لم يخطر ببالهم لقوّة وثوقهم ﴿وَقَذَفَ﴾ القى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ بحلا بها على المؤمنين ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ فانّهم كانوا ايضا يخربون ظواهرها نكاية وتوسعا لمجال القتال ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)﴾ اى اتعظوا بحالهم فلا تغدروا فى العهد او لا تعتمدوا على غير الله ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ﴾ قضى ﴿اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ اى الخروج من اوطانهم ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسّبى كما فعل ببنى قريظة من اليهود ايضا ﴿وَلَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣)﴾ استيناف لبيان انّهم وان نجوا فى الدّنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) ما﴾ شرطية مفعول ﴿قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ نخلة من نخلهم ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ الضّمير لما وتانيثه لانّه مفسّر باللّينة ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ اى بامره ﴿وَ﴾ اذن لكم فى القطع ﴿لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾ على فسقهم بما غاظهم لانّها كانت احبّ اموالهم اليهم ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ اعاده عليه بمعنى صيّره له ﴿مِنْهُمْ﴾ اى من بنى النضير ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ اسرعتم يا مسلمين جواب ما ﴿عَلَيْهِ مِنْ﴾ زائدة ﴿خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ لانّ قراهم كانت على ميلين من المدينة فذهبتم اليها مشاة والرّكاب ما يركب من الأبل غلّب فيه كما غلب الرّاكب على راكبه اذ يقال لراكب الفرس فارس ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ فقذف الرّعب فى قولبهم حتى صالحوكم بادنى قتال ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦)﴾ فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظّاهرة وتارة بغيرها فلا حقّ لكم فيه يا انصار بل هو كالغنيمة لمن جعله الله له فى ما جعله بيانا له من قوله ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ﴾ يأمر فيه بما شاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ قربة النّبى من بنى هاشم وبنى المطّلب ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ اى يستحقّه النّبى والاصناف الأربعة لكلّ من الأربعة خمس الخمس والباقى للنّبى يصرفه لما يشاء والآن يصرف خمس الخمس الى مصالح المسلمين المبيّنة فى الفقه والاخماس الأربعة الى المرتزقة المترصدين للجهاد ﴿كَيْلَا يَكُونَ﴾ الفئ الّذى حقّه ان يكون للفقراء ﴿دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ اى متداولا دائرا بينهم يتناولونه كما كان فى الجاهلية ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ اى اعطاكم من الفئ وغيره ﴿فَخُذُوهُ﴾ لانّه حلال لكم ﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى مخالفة رسوله ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)﴾ لمن خالف ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ بدل من اليتامى وما عطف عليه لا عن الرّسول وذوى القربى ايضا لانّه لا يسمّى فقيرا غنيّهم وفقيرهم سيّان فيه للذّكر مثل حظّ الأنثيين الاّ ان يخصّ الفئ بفئ بنى النّضير فيجوز الأبدال عنهم ايضا لانّه

خصّ بالفقراء ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الاّ لثلاثة بهم فقر ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ فانّ كفّار مكّة اخرجوهم واخذوا اموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ حال من واو اخرجوا توصيفا لهم بما يفيدهم فخامة الشأن ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بانفسهم واموالهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)﴾ فى ايمانهم ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانّهم لزموا المدينة والأيمان وتمكّنوا فيهما ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ اى قبل هجرة المهاجرين على حذف المضاف لا قبل المهاجرين حتّى يرد انّهم لم يلزموا الأيمان قبلهم ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ولا يثقل عليهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾ انفسهم ﴿حَاجَةً﴾ حسدا وغيظا ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ اى ممّا اعطى المهاجرين من الفئ وغيره ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة الى ما يؤثرون به والآية وان نزلت فيهم لكنّها عام فى كلّ من آثر غيره على نفسه فى حظوظ الدّنيا رغبة فى حظوظ الآخرة ان وثق بنفسه الصّبر وعدم التّعرض للسؤال والاّ فالأولى ان يقدّم نفسه وعياله كما نطقت به النّصوص ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حرصها على حبّ المال حتى يخالفها فى ذلك ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ الفائزون بالثّناء العاجل والثّواب الآجل ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ اى بعد المهاجرين والأنصار الى يوم القيامة عطف ايضا على المهاجرين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ اى اخواننا فى الدّين ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ حقدا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ فحقيق بان يجب دعائنا ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ كعبد الله بن ابى واصحابه ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم بنو النّضير اخوانهم فى الكفر ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ لام موطئة القسم وجوابه السّاد مسدّ جواب الشّرط قوله ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ وقيس عليه الاربعة الآتية ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ اى فى قتالكم او خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ من رسول الله والمؤمنين ﴿وَإِنْ﴾ حذفت منه اللاّم الموطئة ﴿قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١)﴾ فى ذلك كما فصّله بقوله ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ

ولئن نصروهم﴾ فرضا ﴿ليولّن الأدبار﴾ انهزاما ﴿ثمّ لا ينصرون (١١) لأنتم أشدّ رهبة﴾ خوفا ﴿في صدورهم﴾ اى المنافقين ﴿من الله﴾ ولذلك ينافقون ﴿ذلك بأنّهم قوم لا يفقهون (١٣)﴾ اى لا يعلمون عظمة الله وانّه الحقيق بان يخشى ثمّ بيّن جبنهم ورخاوة قلبهم تشجيعا للمؤمنين فقال ﴿لا يقاتلونكم﴾ اى اليهود والمنافقون ﴿جميعا﴾ مجتمعين متفقين ﴿إلاّ في قرى محصّنة﴾ بالدّروب والخنادق ﴿أو من وراء جدر﴾ اسوار ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ اذا حارب بعضهم بعضا يعنى ليسوا بضعفاء خائفين فى الواقع لكنّ الله القى روعكم فى قلوبهم ﴿تحسبهم جميعا﴾ مجتمعين متّفقين ﴿وقلوبهم شتّى﴾ جمع شتيت اى متفرقة لأختلاف عقائدهم ومقاصدهم ﴿ذلك﴾ التّشتت ﴿بأنّهم قوم لا يعقلون (١٤)﴾ ما فيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه مثلهم فى ترك الأيمان وما يأول اليه حالهم ﴿كمثل الّذين من قبلهم قريبا﴾ بزمن قريب وهم اهل بدر من المشركين ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ اى سوأ عاقبة كفرهم فى الدّنيا ﴿ولهم عذاب أليم (١٥)﴾ فى الآخرة ومثل المنافقين فى اغرائهم عن القتال ﴿كمثل الشّيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمّا كفر قال إنّي بريء منك إنّي أخاف الله ربّ العالمين (١٦)﴾ تبرأ عنه مخافة ان يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال ﴿فكان عاقبتهما أنّهما في النّار خالدين فيها وذلك جزاء الظّالمين (١٧)﴾ والمراد بالأنسان جنسه او ابو جهل قال له ابليس يوم بدر: ﴿لا غالب لكم اليوم من النّاس وانّى جار لكم﴾[1] الآية او راهب فى بنى اسرائيل اسمه برصيصا عبد الله برهة من الزّمان حتى صار مشهورا باستجاب الدّعوة وكان يبرأ على يده المجانين فاتى بمجنونة فزيّن له الشّيطان الوقاع بها حتى حملت فسوّل له قتلها حتى قتلها ودفنها فذهب الى اخوتها فى صورة رجل وقال انّ برصيصا زنى باختكم ثمّ قتلها ودفنها بموضع الفلانىّ فبلغ ذلك الى ملكهم فهدّده حتى اقرّ فصلبه فاتى اليه وقال اسجد لى سجدة واحدة اخلصك فسجد له ومات على الكفر ﴿يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله﴾ فى اداء الواجبات ﴿ولتنظر

---

[1] - سورة الأنفال: ٤٨

نفسٌ ما قدّمتْ لغدٍ﴾ اى ليوم القيامة لانّه غد ليوم الدّنيا وتنكيره للتّعظيم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى ترك المنكرات ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ فيجازيكم ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ اى تركوا طاعته ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ ان يقدّموا لها خيرا ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)﴾ بالنّعيم المقيم ولمّا بيّن فى القرآن هذه المواعظ المرغبة فى اكتساب الفوز والفلاح عظم شأنه فقال ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ وخلق فيه تميز كالانسان ﴿لَرَأَيْتَهُ﴾ مع غاية متانته ﴿خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً﴾ متشقّقا ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ فالانسان اولى بذلك لكن قساوة القلب وقلّة التّدبر حملته على عدم الخشوع ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ فيؤمنون ويخشعون ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ اى السّر والعلانية ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ البالغ فى النّزاهة عمّا لا يليق بشأنه ﴿السَّلاَمُ﴾ اى ذو السّلامة من كلّ نقص فانّه مصدر وصف به للمبالغة ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ معطى الأمن ﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ الرّقيب الحافظ لكلّ شئ مفيعل من هيمن يهيمن اذا كان رقيبا على الشئ ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوىّ ﴿الْجَبَّارُ﴾ جبر خلقه على ما اراد او جبر اخلالهم بمعنى اصلحه ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ عمّا لا يليق به ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ﴾ المقدّر للأشياء على مقتضى حكمته ﴿الْبَارِئُ﴾ الموجد لها بريّا من التّفاوة وعدم المناسبة واكثر استعماله فى اختراع الأجسام دون الأعراض ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ الموجد لصورها وكيفيّاتها كما اراد ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ مؤنّث الاحسن لانّها دالة على محاسن المعانى ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ينزّهه عن النقائص كلّها ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ تام القدرة والعلم فيكون جامع الكمالات كلّها.

* * *

سورة الممتحنة

مدنيّة وهي ثلاث عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ نزلت فى حاطب بن بلتعة كتب الى اهل مكّة انّ رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بنى المطّلب فاخبره جبرئيل بذلك فبعث جماعة من الصّحابة الى طريقها حتى اخذوا منها الكتاب واعتذر اليها حاطب بانّى ما خنتك منذ آمنت بك ولكن كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس فيهم من يحمى اهل لى فيهم فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت انّ كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدّقه رسول الله وقبل عذره ﴿تُلْقُونَ﴾ توصلون ﴿إِلَيْهِمْ﴾ اسرار رسول الله ﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ اى بسبب المودّة الّتى بيكم وبينهم والجملة استيناف لبيان اتخاذهم اولياء او حال من فاعل لا تتخذوا وكذا ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكّة حال من فاعل كفروا او استيناف لبيانه ﴿أَنْ﴾ اى لأجل ان ﴿تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ﴾ شرطيّة ﴿كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ عن اوطانكم ﴿جِهَادًا﴾ للجهاد ﴿فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ وجواب الشّرط محذوف دلّ عليه ما قبله اى فلا تتخذوهم اولياء ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ بدل من تلقون او منقطع عمّا قبله متضمّن الاستفهام الانكارىّ كانّه قيل اىّ فائدة لكم فى اسرار الأخبار بسبب المودّة ﴿وَ﴾ حال ﴿أَنَا أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ اى الاتخاذ والقاء السر اليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ ولا ينفعكم القاء المودّة اليهم ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ ما يسوئكم كالقتل والشّتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢)﴾ تمنّوا ارتدادكم وماضية هذا وحده للأشعار بانّهم ودّوا ذلك قبل كلّ شئ

ولا يزول عن قلبهم وان لم يثقفوكم ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الّذين توالون المشركين لأجلهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يفرق بينكم فيما حلّ بكم من الهول فيفرّ بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حقّ الله لمن يفرّ منكم غدا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣)﴾ فيجازيكم عليه ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ قدوة ﴿حَسَنَةٌ﴾ كائنة ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ ظرف لخبر كان ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ﴾ جمع بريّ كظريف وظرفاء ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ اى بدينكم او معبودكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ فتنقلبا الفة ومحبّة ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ استثناء من اسوة اى فليس لكم التّاسى به فى استغفاره لأبيه الكافر فانّه كان قبل النّهى او لموعدة وعدها ايّاه ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه حتى يرد انّ هذا القول ممّا يحسن التّاسى فيه ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)﴾ متّصل بما قبل الاستثناء ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بان تسلّطهم علينا فيفتنونا بعذاب اليم لا نتحمّله ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ما فرط ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)﴾ فمن شأنك ان تجير المتوكّل وتجيب الدّاعى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ تكرير لمزيد الحثّ على التّاسى بابراهيم ولذلك صدّر بالقسم وابدل اشتمالا قوله ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ من لكم فانّه يدلّ على انّه لا ينبغى لمؤمن ان يترك التّاسى بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقّبه بما فيه وعيد من قوله ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦)﴾ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ﴾ امتثالا لنهينا عن اتخاذهم اولياء ﴿مَوَدَّةً﴾ بان يهديهم للأيمان فيصير لكم اولياء ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك فانجزه بعد فتح مكّة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧)﴾ لما فرط منهم او منكم فى موالاتهم ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من الّذين ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ اى تفضوا اليهم بالقسط اى العدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ (٨)﴾ العادلين روى انّ قبيلة بنت عبد العزّى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدّخول فنزلت ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾ كمشركى مكّة فانّ بعضهم سعوا فى اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل اشتمال من الّذين ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾ لوضعهم الولاية فى غير موضعها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ اى المظهرات له او المشارفات عليه بالأمتحان ﴿مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ قيل بالحلف انهنّ ما خرجن الاّ رغبة فى الاسلام لا بغضا لأزواجهنّ الكفار ولا عشقا لرجال المسلمين وقيل بما يأتى من قوله: ﴿اذا جائك المؤمنات يبايعنك﴾[1] الآية ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ فلا سبيل لكم الى الاحاطة بحقيقة الحال وانّما عليكم الأمتحان ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ ظننتموهنّ بالامتحان ظنّا مؤكّدا ﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى﴾ ازواجهنّ ﴿الْكُفَّارِ﴾ لقوله ﴿لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ والتّكرير للمطابقة والمبالغة ﴿وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ اى اعطوا ازواجهم الكفّار ان كانوا من ذوى العهد وطلبوا ردهنّ ما دفعوا اليهنّ من المهور من بيت المال او من مال من اراد نكاحهنّ قرضا ﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ فانّ الاسلام حال بينهنّ وبين ازواجهنّ ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ غير ما اعطى ازواجهنّ فانّه لا يقوم مقام المهر الاّ ان اعطاه مريد النّكاح على سبيل القرض فانّه يجوز النّكاح عليه ﴿وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ جمع عصمة اى ما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب والمراد نهر المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات والمرتدّات ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ من المهور على نسائكم المرتدّات ممّن تزوجهنّ من الكفّار ﴿وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾ من مهور ازواجهم المهاجرات كما تقدّم انّهم يؤتونه ﴿ذَلِكُمْ﴾ اى جميع ما ذكر فى الآية ﴿حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ استيناف او حال من الحكم على حذف به ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾ يشرع ما تقتضيه حكمته ﴿وَإِنْ

---

[1] - آية: ١٢

فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ اى احد منهنّ او شئ من مهورهنّ ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ فان امتنعوا من الأداء ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ اى فجاأت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر ﴿فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ حال ﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ اى البنات بدفنهنّ حيّا خوف العار والفقر كما كان يفعل فى الجاهليّة ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ اى بولد مبهوت به اى ملقوط تنسبه الى الزّوج فتقول هذا ولدى منك وقوله ﴿يَفْتَرِينَهُ﴾ ملقا او مقدرا ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ وصف له بصفة الولد الحقيقىّ فانّه يسقط حين الوضع بين يدى الامّ ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ حسنة تأمرهنّ بها ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ بضمان الثّواب على الوفاء بهذه الأشياء نزلت يوم الفتح فلمّا فرغ عليه السّلام من بيعة الرّجال اخذ فى بيعتهنّ بالقول ولم يصافح واحدة منهنّ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ اى عامة الكفار او اليهود كان تولّاهم بعض المسلمين ليصيبوا من ثمارهم ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ اى ثوابها ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ الكائنون ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)﴾ اى المقبورون من خير الآخرة حين عاينوا منازلهم من النّار بعد ما رأوا مقاعدهم من الجنّة لو آمنوا.

* * *

سورة الصف

مدنيّة وقيل: مكيّة وهي أربع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ﴾ حذف الف ما الاستفهامية مع حرف الجرّ لكثرة استعمالهما معا ﴿تَقُولُونَ﴾ فى طلب الجهاد ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢)﴾ حيث انهزمتم بأحد ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ بغضا تميز من النّسبة ﴿عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا﴾ فاعل كبر ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ مصدر وقع حالا اى الصّافين ويجعل حالا من المستكن فيه قوله ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (٤)﴾ مستحكم ملزق بعضه ببعض فى تراصهم من غير فرجة ولماّ عيّر من لم يثبت فى موضع القتال وحثّ على الثبات فيه وبتعليمهم بلسان رسوله كيف ينبغى ان يكونوا حال القتال ذكر قصة موسى وعيسى وما حلّ بقومهما من مخالفتهما تحرزا عن مخالفة الرّسول فقال ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ بالعصيان والرّمى بالأدرة اى انفجار الخصية كذبا ﴿وَ﴾ حال ﴿قَد﴾ للتّحقيق ﴿تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ بما جئتكم من المعجزات ومن حق الرّسول ان يحترم ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ عدلوا عن الحقّ بايذائه ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ صرفها عن قبول الحقّ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾ اى الكافرين فى علمه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لعلّه لم يقل يا قوم كموسى لانّه لا نسب له فيهم ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم﴾ متعلّق برسول لانه بمعنى مرسل او ارسلت ولذا عمل فى الحال وهو ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قبلى ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ يعنى دينى التّصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اوّل الكتب المشهورة الّذى حكم به النّبيون والنّبى الّذى هو خاتم النّبيين ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدّالة على صدقه من نحو ابراء الاكمه والأبرص ﴿قَالُوا هَٰذَا﴾ اى المجىء به ﴿سِحْرٌ

مُبِينٌ (٦)﴾ قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ﴾ اى لا احد اظلم ممّن يدعى الى الاسلام الظّاهر المقتضى له خير الدّارين فيضع موضع اجابته الأفتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية اياته سحرا ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا﴾ منصوب بان مضمرة واللاّم مزيدة ﴿نُورَ اللهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ اى باقوالهم انّه سحر وشعر وكهانة ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ مبلّغه الغاية بنشره واعلانه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)﴾ ارغاما لهم ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ بالقرآن ﴿وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ اى يعلّيه على جميع الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)﴾ لما فيه من ابطال الشّرك قل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ﴾ تدبمون على الأيمان ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ استيناف مبيّن للتجارة والمراد به الأمر جيء بلفظ الخبر ايذانا بانّ ذلك ممّا لا يترك ﴿ذَلِكُمْ﴾ اى ما ذكر من الأيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ مجزوم فى جواب الأمر المدلول عليه بلفظ الخبر ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ اقامة ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَ﴾ لكم مع هذه النّعمة نعمة ﴿أُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ هى ﴿نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾ بما وعدتم آجلا وعاجلا عطف على قل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ﴾ اى كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ﴾ من اضافة احد المشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص اى من جندى متوجّها معى الى نصرة الله ليطابق قوله ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ اصفيائه وهم اوّل من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص سمّوا به لخلوصهم عن كلّ ما ينافى صفاء المحبة والأخلاص ﴿نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعيسى عليه السّلام وقالوا انّه عبد الله رفع الى السّماء ﴿وَكَفَرَت طَائِفَةٌ﴾ لقولهم انّه ابن الله رفعه اليه فاقتتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدْنَا﴾ قوّينا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الطّائفتين ﴿عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ اى الطّائفة الكافرة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿ظَاهِرِينَ (١٤)﴾ غالبين.

سورة الجمعة

مدنيّة وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)﴾ اتى هنا وفى التّغابن بصيغة المضارع وفى الحديد والحشر والصف بالماضى وفى سورة الاعلى بالأمر وفى بنى اسرائيل بالمصدر استيعابا لجميع ضروب صيغ التّسبيح فى كلامه المجيد واشارة الى انّ الممكنات من لدن اخرجها من العدم الى الوجود مسبّحة فى كلّ الاوقات لا يختصّ تسبيحها وقت دون وقت بل مسبّحة ابدا فى الماضى والمستقبل وفى كلّ حال ومن كل شى كما هو مقتضى المصدر المجرّد عن الزّمان والفاعل فى بنى اسرائيل روى انّه عليه السّلام كان يقرأ المسبّحات اى الخمسة الاولى قبل ان يرقد ويقول انّ فيهنّ آية افضل من الف آية ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ اى العرب جمع امّى وهو من لا يكتب ولا يقرأ منسوب الى امّة العرب او الى الأمّ لبقائه كيوم ولدته امّه وتخصيصهم العرب بالذّكر لا يستلزم نفى ما عداهم حتى يكون تمسّكا لاهل الكتاب انّه رسول اليهم خاصة ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ من جملتهم اميّا مثلهم ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ مع اميّته ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهّرهم من الشّرك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ اى الشّريعة ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)﴾ بيّن اى فى غاية الحاجة الى نبيّ يرشدهم ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطف على الاميّين اى فى الموجودين منهم والآتين منهم بعدهم ﴿لَمَّا﴾ لم ﴿يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ بعد وسيلحقون ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فى تمكينه الرّسول من هذا الامر ﴿الْحَكِيمُ (٣)﴾ فى اختياره وتعليمه ﴿ذَلِكَ﴾ الفضل الّذى امتاز به عن اقرانه ﴿فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)﴾ ولمّا بيّن انه عليه السلام بعث فى الأميين ومن بعدهم الى يوم القيامة

شرع فى ذم اليهود بعدم متابعته مع علمهم بصحة نبوته فقال ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ علموها وكلّفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بما فيها من نعت محمّد فلم يؤمنوا به ﴿كَمَثَلِ حِمَارٍ يَحْمِلُ﴾ حال عمل فيه معنى المثل ﴿أَسْفَارًا﴾ كتبا من العلم يتعب بها ولا ينتفع منها ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ مثل ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الدّالة على نبوّة محمّد ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ تهوّدوا ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ احبائه ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ كانوا يقولون ذلك ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦)﴾ تعلّق بتمنّيه الشرطان على انّ الاوّل قيل للثانى اى ان صدقتم فى زعمكم انكم اولياء والولىّ يؤثر الآخرة لكونها دار الكرامة ومبدأها الموت فتمنّوه ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بمحمّد ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧)﴾ فيجازيهم ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ البتة والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)﴾ بان يجازيكم عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ اى اذّن لها عند قعود الأمام على المنبر للخطبة لانّه لم يكن الاّ ذاك فى زمن النّبى وابى بكر وعمر ولمّا كثر المسلمون فى خلافة عثمان احتيج الى زيادة الأعلام فامر ان يزاد اذان على سطح داره واستحسنه الصّحابة كلّهم ﴿مِنْ﴾ بمعنى فى او بيان لاذا الّتى بمعنى الوقت ﴿يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ بضم الميم مصدر بمعنى الاجتماع سمّى به اليوم لاجتماع النّاس فيه للصلوة او لانّه تعالى جمع فيه خلق آدم وقيل لان الله فرغ من الأشياء فاجتمع فيه جميع المخلوقات وفى الحديث انّه خير يوم طلعت فيه الشّمس فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنّة وفيه اهبط الى الأرض وفيه تقوم الساعة ولذا شرع فيه وفى ليلته قراءة الكهف المشتملة على هول القيامة وهو عند الله يوم المزيد من مات فيه او فى ليلته امن من عذاب القبر وفيه ساعة الاجابة من قعود الخطيب على المنبر الى ان يفرغ من الصلوة على الأصح او بعد العصر على الصّحيح ﴿فَاسْعَوْا﴾ متقاربى الخطوات ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ اى الخطبة او الصّلوة ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ اى اتركوا المعاملة

لكن لا تبطل لانّ حرمتها ليست لعينها ﴿ذٰلِكُمْ﴾ السّعى ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من المعاملة ولا بأس بها فى الطّريق ولا فى الجامع ﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ﴾ امر اباحة ﴿وَابْتَغُوا﴾ الرّزق ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ اى الرزق او عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذكرا ﴿كَثِيرًا﴾ اى فى جميع احوالكم ولا تخصّوا ذكره فى الصّلوة ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)﴾ بخير الدّارين وكان عليه السّلام يخطب للجمعة فقدمت عير وضرب لقدومها الطّبل على العادة فخرج لها النّاس من المسجد الاّ اثنى عشر رجلا فنزل ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ افراد التّجارة بارجاع الضمير لانّه لا يثنى للعطف بأو او لانّها المقصودة الاّ انّه ذكر اللّهو ايضا للدّلالة على انّ منهم من خرج لمجرّد سماعه وقيل الكلام على الحذف للاختصار والتّقدير اذا رأوا تجارة انفضّوا اليها واذا راوا لهوا انفضّوا اليه ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ على المنبر ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الثّواب ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)﴾ فانّ كل من يرزق احدا انّما هو من رزقه تعالى فاطلبوه منه سيّما بعد صلوة الجمعة بنحو قولكم اللّهم انّى اجبت دعوتك فصليت فريضتك وانتشرت كما امرتنى فارزقنى من فضلك وانت خير الرّازقين.

* * *

سورة المنافقون

مدنيّة وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ اى المشهود به صادق ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)﴾ فى الشّهادة باعتبار تضمّنها خبرا كاذبا وهو الأخبار بما ليس فى قلوبهم الخبيثة او فى تسميتها شهادة لانّها انّما تكون عن موافقة القلب اللّسان وليس بهم ذلك ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ اى حلفهم الكاذب من نحو والله انّهم لمنكم ﴿جُنَّةً﴾ وقاية عن القتل والسّبى ﴿فَصَدُّوا﴾ بما ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ اى عن الجهاد فيهم ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢)﴾ من نفاقهم ﴿ذَلِكَ﴾ القول الشاهد على سوأ اعمالهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ اى بسبب انّهم ﴿آمَنُوا﴾ ظاهرا ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ سرّا ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اى ختم عليها لسوء افعالهم وانهماكهم فى الشّهوات حتى استحكموا فى الكفر ﴿فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ (٣)﴾ حقيقة الأيمان ولا يعرفون صحّته ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لضخامتها وبهجتها ﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته وحلاوته وكان ابن ابىّ فصيحا يحضر مجلس النّبى فى جمع مثله فتعجب بهيكلهم ويصغى الى كلامهم ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ مستندة الى الجدار فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والنّظر والجملة حال من الضمير المجرور فى قولهم ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ تصاح كنداء فى العسكر وانشاد ضالة واقعة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لما فى قلوبهم من خوف ان ينزل فيهم ما يبيح دمائهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم باللّعنة والهلاك ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)﴾ كيف يصرفون عن الحقّ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ معتذرين ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا﴾ عطفوا ﴿رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون

عن الاستغفار ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥)﴾ عن الاعتذار ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدى القوم الفاسقين (٦)﴾ الخارجين عن مظنّة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ للأنصار ﴿لا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ﴾ من فقراء المهاجرين ﴿حتى ينفضوا﴾ يتفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فهو الرّزاق للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ (٧)﴾ ذلك لجهلهم بالله ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ من غزوة بنى المصطلق ﴿لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ﴾ عنوا انفسهم ﴿مِنْهَا الأَذَلَّ﴾ عنوا رسول الله والمؤمنين ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الغلبة والقوّة ﴿وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ﴾ تشغلكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ﴾ اى تدبيرها والاهتمام بها ﴿عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ اى الصلوة وسائر العبادات ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ﴾ اللّهو بها ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩)﴾ لتبديل العظيم الباقى بالحقير الفانى ﴿وَأَنفِقُوا﴾ بالزكوة ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ اى بعض اموالكم ادّخارا للآخرة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ اى يرى دلائله ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي﴾ امهلتنى ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ اى اتصدّق بالزكوة منصوب فى جواب التّمنى فى لولا ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠)﴾ بالتّدارك والجزم للعطف على محلّ فاصدّق لانّه لولا الفاء لكان مجزوما بان مقدرة ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾ فيجازى عليه.

* * *

سورة التغابن

مكية او مدنيّة و هي ثمانية عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ثم شرع فيما ادّعاه فقال ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ مقدّر كفره موجّه اليه ما يحمله عليه ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ مقدّر ايمانه موفّق لما يدعوه اليه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢﴾ فيعاملكم بما يناسب اعمالكم ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ اى الحكمة البالغة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ اذ جعل شكل الآدميّ احسن الأشكال ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٣﴾ فاحسنوا سرائركم حتّى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٤﴾ فلا يخفى عليه ما يصحّ ان يعلم كليّا او جزئيّا وصف نفسه بالقدرة والعلم المحيط ثمّ شرع فى تهديد كفار قريش فقال ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾ كقوم نوح وهود وصالح ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبة كفرهم فى الدّنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥﴾ فى الآخرة ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الوبال والعذاب ﴿بِأَنَّهُ﴾ اى بسبب انّ الشّأن ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ اى المعجزات ﴿فَقَالُوا﴾ انكارا وتعجّبا من ان يكون الرّسول بشرا ﴿أَبَشَرٌ﴾ اسم جنس يطلق للواحد والجميع كما هنا بقرينة جمع ضمير ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا﴾ بالرّسل ﴿وَتَوَلَّوا﴾ عن التّدبر فى البينات ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن كلّ شئ فضلا عن طاعتهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ ٦﴾ يدلّ على حمده كلّ مخلوق ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن﴾ مخففة اى انهم ﴿لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى﴾ تبعثون ﴿وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ قسم اكد به الجواب ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ بالمحاسبة والمجازاة ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧﴾ فَآمِنُوا

بالله ورسوله﴾ محمّد ﴿والنّور﴾ القرآن ﴿الّذى أنزلنا والله بما تعملون خبير (٨) يوم﴾ ظرف لتنبؤنّ او مقدّر باذكر ﴿يجمعكم ليوم الجمع﴾ اى لأجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثّقلين ﴿ذلك يوم التّغابن﴾ الكامل يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السّعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التّجار لكنّها تهكميّة بالنظر الى اخذ الاشقياء منازل السّعداء من النّار اذ لا رغبة لهم فيها حتى يكون اخذها مشبها بالغبن ثمّ جعل كالبيان والتّفصيل للتغابن قوله ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل﴾ عملا ﴿صالحا يكفّر عنه سيّئاته ويدخله جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم (٩) والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنا﴾ القرآن ﴿أولئك أصحاب النّار خالدين فيها وبئس المصير (١٠)﴾ ولمّا بيّن انّ الأيمان مناط كل سعادة والكفر مناط كلّ شقاوة توهم انّه لو كان كذلك لسلم المسلمون فدفعه بقوله ﴿ما أصاب من مصيبة إلاّ بإذن الله﴾ اى تقديره وارادته يعنى انّها منوطة به لا بكفر او ايمان ﴿ومن يؤمن بالله﴾ وبانّ الكل منه ﴿يهد قلبه﴾ للصبر عليها والاسترجاع عند حلولها وجعل كالتقرير له قوله ﴿والله بكلّ شيء عليم (١١)﴾ حتى القلوب واحوالها ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرّسول﴾ فى كلّ الأوقات ولا يشغلكم المصائب عن ذلك ﴿فإن تولّيتم فإنّما على رسولنا البلاغ المبين (١٢)﴾ وقد بلّغ ﴿الله لا إله إلاّ هو وعلى الله فليتوكّل المؤمنون (١٣)﴾ لانّ ايمانهم بانّ الكلّ منه يقتضى ذلك ونزل فيمن كان يقعد عن الغزو او الهجرة ترحما ورفقا ببكاء اهله واولاده وفاقتهم ﴿يا أيّها الّذين آمنوا إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّا لكم﴾ تشغلكم عن طاعة الله ﴿فاحذروهم﴾ ان تطيعوهم فى التّخلف عن الخير ﴿وإن تعفوا﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة ﴿وتصفحوا﴾ بالأعراض وترك اللّوم عليها ﴿وتغفروا﴾ باخفائها وقبول معذرتهم فيها ﴿فإنّ الله غفور رحيم (١٤)﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضّل عليكم ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ اختبار لكم ﴿والله عنده أجر عظيم (١٥)﴾ لمن آثر محبّته على محبّتها ﴿فاتّقوا الله ما استطعتم﴾

ناسخة لقوله: ﴿واتقوا الله حقّ تقاته﴾[1] كما مرّ هناك ﴿واسْمَعُوا﴾ مواعظه ﴿وأطيعُوا﴾ اوامره ﴿وأنفقُوا﴾ فى وجوه الخير خالصا لوجهه يكن ﴿خيْرًا لأنفسكُمْ ومنْ يُوق شُحَّ نفْسه وأُولئك هُمُ الْمُفْلحُون (١٦)﴾ مرّ فى الحشر ﴿إنْ تُقْرضُوا الله﴾[2] اى تصرفوا المال فيما امر ﴿قرْضًا حسنًا﴾ اى باخلاص وطيب قلب ﴿يُضاعفْهُ لَكُمْ﴾ بجعل الواحد عشرا الى سبعمائة واكثر ﴿ويغْفرْ لَكُمْ﴾ ببركة الانفاق ﴿والله شَكُورٌ﴾ يعطى الجزيل بالقليل ﴿حليمٌ (١٧)﴾ لا يعاجل بالعقوبة ﴿عالمُ الْغَيْبِ والشَّهَادَة﴾ لا يخفى عليه شئ ﴿الْعزيزُ﴾ فى ملكه ﴿الْحكيمُ (١٨)﴾ فى صنعه.

* * *

[1] - سورة آل عمران: ١٠٢

[2] - آية: ٩

سورة الطلاق

مدنيّة وهي اثنتي عشر آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ اى اردتم تطليقهنّ خصّ النداء وعمّ الخطاب بالحكم لانّه عليه السّلام امام امّته فندائه كندائهم ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ اى فى وقتها وهو الطّهر فانّ اللاّم فى الأزمان وما يشبهها للتأقيت ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ اى اضبطوها وكمّلوها بثلثة اقراء ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ فى تطويل العدّة بان توقعوه فى الحيض او تراجعوها ثمّ توقعوه مرّة اخرى ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ اى مساكنهنّ وقت الفراق حتى تنقضى عدّتهنّ ﴿وَلاَ يَخْرُجْنَ﴾ من تلقاء انفسهنّ امّا لو اتفقا على الخروج جاز لانّ الحقّ لهما ﴿إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ اى زنى ثابتة فيخرجن لأقامة الحدّ عليهنّ ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ لانّه عرضها للعقاب ﴿لاَ تَدْرِى﴾ اى النّفس ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الطّلاق ﴿أَمْرًا (١)﴾ مراجعة ان لم يستكمل العدد ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ اى شارفن آخر عدتهنّ والعدد غير مكتمل ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ اى راجعوهنّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ اى بحسن عشرة وانفاق مناسب ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بايفاء الحقّ وانفاء الأضرار بان لا تراجعوهنّ ثمّ تطلقوهنّ تطويلا لعدّتهنّ ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على الرّجعة او الفرقة ندبا قطعا للتّنازع ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾ ايّها الشّهود عند الحاجة ﴿لِلَّهِ﴾ اى خالصا لوجهه ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فانّه المنتفع به ولمّا انجرّ البحث الى ذكر المؤمنين ذكر الوعد على ايمانهم واتّقائهم بالخلاص عن مضار الدّارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون فقال ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢)﴾ من كرب الدّنيا والآخرة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ اى لا يخطر بباله عنه عليه

السّلام انّى لأعلم آية يعنى هذه لو اخذ النّاس بها لكفتهم وشكى اليه عوف بن مالك الاشجعىّ لماّ اسر العدوّ ابنه سالم فقال ائق واكثر قول لا حول ولا قوّة الاّ بالله ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مأية من الأبل تغفّل عنها العدوّ فاستاقها ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ اى يبلغ ما يريده ولا يفوته مراده ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الشّدة والرّخاء وغيرهما من الحوادث المتجدّدة ﴿قَدْرًا (٣)﴾ تقديرا او ميقاتا لا يغيّره شئ وهو بيان لوجوب التّوكل وتقرير لما تقدّم من تاقيت الطّلاق زمان العدّة والأمر باحصائها وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض ﴿مِنْ﴾ للبيان ﴿نِسَائِكُمْ﴾ لكبرهنّ ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ اى شككتم فى عدتهنّ اى جهلتم ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ جواب الشّرط والجملة خبر اللاّئى ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصغرهنّ كذلك وهذان فى غير المتوفّى عنهنّ ازواجهنّ لانّ عدتهنّ ما فى آية ﴿يتربّصن بانفسهنّ اربعة اشهر وعشرا﴾[1] ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ﴾ مطلّقات كنّ او متوفى عنهنّ ازواجهنّ ﴿أَجَلُهُنَّ﴾ مبتدأ خبره ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ والجملة خبر اولات ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فى احكامه فيراعى حقوقها ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)﴾ اى يسهّل عليه امره ويوفّقه للخير ﴿ذَلِكَ﴾ اى ما ذكر من الأحكام ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فى احكامه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ فانّ الحسنات يذهبنّ السّيآت ﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥)﴾ بالمضاعفة ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ اى المطلّقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ اى بعض مساكنكم ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ اى وسعتكم وطاقتكم عطف بيان لقوله من حيث سكنتم او بدل لما قبل لم يعهد فى عطف البيان اعادة العامل ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾ فى السّكنى ﴿لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ فتلجئوهنّ الى الخروج ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فتنقضى عدّتهنّ وامّا غير الحامل من المعتدّات فلا نفقة لهنّ وكذا الحامل للمتوفّى عنها زوجها ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ بعد انقطاع علقة الطّلاق او قبله ان لم يسامحن ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على

[1] - سورة البقرة: ٢٣٤

الأرضاع ﴿وأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ اى ليامر بعضكم بعضا بجميل فى الأرضاع والأجر ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم بان كلّف واحد منكم الآخر فوق المعتاد ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦)﴾ اى الأب او الولد واللاّم زائدة ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ اى على قدره ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ فانّه تعالى لا يكلّف نفسا الاّ وسعها وفيه تطييب قلب المعسر ولذلك وعد له باليسر بقوله ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)﴾ اى عاجلا او آجلا ولمّا نهى عن تعدّى الحدود ذكر من تعدّوها من الأمم الماضية وما حلّ بهم تخويفا من التّقصير فى رعايتها فقال ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ اى اهلها ﴿عَتَتْ﴾ عصت و اعرضت ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ اى فى الآخرة عبّر بالماضى لتحقّق الوقوع ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨)﴾ منكرا قطيعا ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبة كفرها ومعاصيها ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩)﴾ خسارا لا ربح فيه اصلا ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير للوعيد تاكيدا وتمهيدا لقوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطف بيان للمنادى او نعت له ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠)﴾ اى القرآن وارسل ﴿رَسُولًا﴾ اى محمّدا الموصوف بقوله ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ اى من علم وقدّر انّه يؤمن ويعمل صالحا ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ اى من الضلالة الى الهدى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١)﴾ هو رزق الجنّة الّذى لا انقطاع له اصلا ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ خبره ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ حال من ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ فى العدد وسمك كلّ طبقة ومسافة ما بين كلّ اثنين منها وفى كلّ طبقة سكّان من خلق الله مبيّنة فى الآحاديث وقال بعض انّ طبقاتها مطبقة لا فتوق بينها بخلاف السّموات ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ اى يجرى امره وقضائه بينهنّ وينفذ حكمه فيهنّ ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ علّة لخلق ويتنزّل على سبيل التّنازع ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)﴾

سورة التحريم

مدنيّة ثنتان عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ وهى امته مارية القبطية امّ ابنه ابراهيم خلا بها فى بيت حفصة وكانت غائبة فاطّلعت على ذلك فعاتبته فيه وبكت فحرّمها عليه تطييبا لخاطرها فنزلت ﴿تَبْتَغِي﴾ بتحريمها ﴿مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ تفسير لتحرم او حال من فاعله ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لك هذه الذلّة فانّه لا يجوز تحريم ما احلّ الله ﴿رَحِيمٌ (١)﴾ بك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك ﴿قَدْ فَرَضَ اللهُ﴾ اى شرع ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ اى تحليلها بالكفّارة المذكورة فى سورة المائدة[1] ولا يلزم من جعل تحريم الأماء والنّساء فى حكم اليمين فى وجوب الكفارة كونه يمينا حتى يكون حجّة لمن يجعل تحريمهما او تحريم مطلق المباحات يمينا ﴿وَاللهُ مَوْلَاكُمْ﴾ اى متولّى امركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بما يصلحكم ﴿الْحَكِيمُ (٢)﴾ فى افعاله واحكامه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ يعنى حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ وهو تحريم مارية او انّ الخلافة بعده لابى بكر وعمر وقال لها لا تفشيه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ اى بالحديث لعايشة ظنّا منها ان لا حرج فى ذلك ﴿وَأَظْهَرَهُ اللهُ﴾ اطّلعه ﴿عَلَيْهِ﴾ اى على افشائه ﴿عَرَّفَ﴾ لحصفة ﴿بَعْضَهُ﴾ اى بعض ما فعلت ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ اى عن اعلام بعض تكرّما منه فانّ الكريم لا يبالغ فى العتاب ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا﴾ ظنّا ان عايشة انبأته ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)﴾ اى الله الاصل فى انبأ ونبّأ ان يتعدّى الى مفعولين الى الأوّل بنفسه والى الثّانى بحرف الجرّ وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف الاوّل او الثّانى اعتمادا على ما يدلّ عليه كما وقع فى هذه

[1] - آية: ٨٩

الآيات. ﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى اللهِ﴾ خطاب لحفصة وعايشة على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ علّة للجواب قائم مقامه اى فقد وجد منكما ما يوجب التّوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من موافقته عليه السّلام فى ما احبّ وكره حيث حبيتما ما كره من اجتناب مارية وانّما جمع القلوب لأستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ حذف فيه احد التّائين اى تتعاون عليه بما يسوئه ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قائم مقام الجواب ايضا اى فلم يعدم من يظاهره وينصره وهم هؤلاء المذكورين والمراد بالصّالح الجنس ولذلك عمّ بالأضافة ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤)﴾ اى متظاهرون ناصرون له فانّ فعيل يطلق على الواحد والكثير وفى قوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره الله به وتخصيص جبرائيل لتعظيمه ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ عمّم الخطاب للجميع بعد ما كان لاثنتين ﴿أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ والمعلّق بما لم يقع لا يوجب وقوعه فليس فى هذا الكلام دلالة على انّ فى النّساء خير منهنّ حتى ينافى ما تقرّر انّ افضل النّساء فاطمة فامّها خديجة وكان اولاده كلّهم منها الاّ ابراهيم فعايشة فسائر نسائه رضوان الله عليهم اجمعين ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ مقرّات لسانا بحقّية الأسلام ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مخلصات ﴿قَانِتَاتٍ﴾ مواظبات على الطّاعة ﴿تَائِبَاتٍ﴾ عن الذّنوب ﴿عَابِدَاتٍ﴾ متذلّلات لأمر الرّسول ﴿سَائِحَاتٍ﴾ صائمات سمّى الصّائم سائحا لانّه يسيح بالنّهار بلا زاد او مهاجرات ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)﴾ جىء بالواو بينهما لانّهما متنافيتان لا تجتمعان فى واحدة بخلاف الصّفات الاخر وقيل هى واو الثّمانية على ما هو قاعدة العرب فى العدّ حيث يقولوا سبعة وثمانية بزيادة واو ولمّا عاتب نساء النّبى ودلهنّ على الرّشد امر النّاس جميعا بالطّاعة والأنتهاء عمّا نهى وارشاد ازواجهم واولاد لهم الى الخير فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ بترك المعاصى وفعل الطّاعات ﴿وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالنّصح والتّاديب ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ اى تتقد بهما ايقاد غيرها بالحطب ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ﴾ تلى امرها وهم الزّبانية التّسعة عشر كما سيأتى فى

المدثّر ﴿غِلاظٌ﴾ اقوالا او قلوبا لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب ﴿شِدادٌ﴾ افعالا او خلقا وقوّة ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة او كما بين المشرق والمغرب كما فى الحديث لو ضرب احدهم بمقمعة ضربة واحدة سبعين الفا لهووا فى النّار ﴿لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ فيما مضى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)﴾ فيما يستقبل وبعد ما امر المؤمنين بترك المعاصى وفعل الطّاعات بيّن لهم انّ العذر لا يقبل يوم القيامة فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧)﴾ اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النّار لانّ العذر لا ينفعهم ثمّ نبّه المؤمنين على طريق وقاية النّفس من النّار بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ اى بالغة فى النّصح وهو صفة التّائب لانّه ينصح نفسه بالتّوبة وصفت به على الاسناد المجازىّ مبالغة وسئل علىّ رضى الله عنه عن التّوبة فقال يجمعها ستّة اشياء على الماضى من الذّنوب النّدامة وللفرائض الاعادة وردّ المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا يعود وان تربّى نفسك فى طاعة الله كما ربّيتها فى المعصية ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانّه تفضّل والتّوبة لا توجبه وانّ العبد ينبغى ان يكون بين الخوف والرّجاء ﴿يَوْمَ لاَ يُخْزِى اللهُ النَّبِيَّ﴾ ظرف ليدخلكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ عطف على النّبى فيجعل استينافا او حالا قوله ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ على الصّراط ﴿يَقُولُونَ﴾ اذا طفى نور المنافقين ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٨)﴾ ثمّ امر النّبى بالجهاد ودعاء كلّ طائفة الى ماهو الأصلح لها فقال ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسّيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بالحجّة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالأنتهار والمقت ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩)﴾ هى ولمّا حكم بهذا زعم الّذين بينهم وبين النّبى او المؤمنين نسبة انّهم ينتفعوا بها فنفى ذلك بقوله ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فى عدم انتفاعهم بالانساب ﴿امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ﴾ واستأنف لبيان حالهما توضيحا للتّمثيل قوله ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ بالنّفاق

كما ذكر فى سورة هود لا بالزّنى اذ ما زنت امرأة نبيّ قط لعدم لياقة ذلك بمنصبه ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ نوح ولوط ﴿عَنْهُما مِنَ اللهِ﴾ اى من عذابه بحقّ الزّواج ﴿شَيْئًا وَقِيلَ﴾ لهما عند موتهما او يوم القيامة ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)﴾ من كفّار قومهما ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ فى عدم تضرّرهم بوصلة الكافرين مثل ﴿امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ اى مثلها ومنزلتها عند الله مع كونها تحت اعدى اعداء الله وهى آسية آمنت بموسى فعذّبها فرعون بان اوتد يديها ورجليها والقى على صدرها صخرة عظيمة واستقبل بها الشّمس ﴿إِذْ﴾ ظرف للمثل المحذوف ﴿قَالَتْ﴾ عند التّعذيب وقيل ما وقع لها تعذيب بل ملّت عن صحبته واشتاقت الآخرة فقالت ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا﴾ اى قريبا من رحمتك وبيّنت مكان هذا القرب بقولها ﴿فِي الْجَنَّةِ﴾ فكشف لها فرأته قبل موتها ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ الخبيث ﴿وَعَمَلِهِ﴾ الشّر ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)﴾ اى القبط التّابعين له فى الظّلم ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ من الرّجال ﴿فَنَفَخْنَا﴾ من باب الاسناد الى سبب الأمر اى نفخ جبرائيل بأمرنا ﴿فِيهِ﴾ الضّمير للفرج على الاستخدام اذ المراد به جيب القميص لانّه ايضا يطلق عليه الفرج والنّفخ انّما كان فيه وقيل لا حاجة الى الاستخدام لانّه وصل منه الى الفرج فكانّه نفخ فيه ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ اى من روح خلقناه بلا توسّط اصل وهو روح عيسى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ اى شرائعه الموحية الى الأنبيائه ﴿وَكُتُبِهِ﴾ المنزّلة تخصيص بعد تعميم ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)﴾ اى المواظبين على الطّاعة والتّذكير للتّغليب والأشعار بانّ طاعتها لم تقصر عن طاعة الرّجال حتى عدّت من جملتهم.

* * *

سورة الملك

مكية ثلاثون اية،
وتسمى الواقية والمنجية لانّها تقى وتنجى قاريها من عذاب القبر.
وفى الحديث: انّها جنّة من النّار لمن يقرنها بعد صلوة العشاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ﴾ تنزّه عن صفات المخلوقين ﴿الَّذِي بِيَدِهِ﴾ مستعار للقدرة اى بقبضة قدرته ﴿الْمُلْكُ﴾ اى الاستيلاء على التصرّف فى الأمور الموجودة كلّها وجعل تكميلا لهذا اثبات قدرته على المعدومات فقال ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ مصدر شاء بمعنى المفعول كضرب الأمير بمعنى مشئ الوجود معدوما ممكنا شاء الله وجوده وهذا لا ينافى ما تقرّر عند اهل السّنة انّ الشئ خاص بالموجود لانّ ما شاء الله وجوده موجود فى الجملة ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ اى قدّرهما على ما هو اصل الخلق فلا يرد انّ الموت عدميّ وهو عدم الحيوة فكيف تعلّق به الخلق وقدّمه لانّه ادعى الى حسن العمل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ويظهر ما فى علمه الازلىّ ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ اصوبه واخلصه مفعول ثان لتضمن البلوى معنى العلم وليس من باب التّعليق لسبق المفعول الاوّل ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب الّذى لا يعجزه من اساء العمل عن الانتقام ﴿الْغَفُورُ (٢)﴾ لمن تاب منهم ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ مصدر نعت به اى طابقة بعضها فوق بعض من غير مماسّة ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ اختلاف وعدم تناسب صفة ثانية لسبع السّموات وضع فيها خلق الرّحمن موضع الضّمير للتّعظيم وفرّع عليها الأمر برجع البصر بالفاء السببية فقال ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ اى اعده اليها مرّة اخرى متأمّلا فيها ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ فيها ﴿مِنْ فُطُورٍ (٣)﴾ شقوق وخلل ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ اى رجعتين اخرتين فى طلب الخلل والمراد بالتّثنية التّكرير والتّكثير وكذا اجاب الأمر بقوله ﴿يَنْقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ

الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلا بعيدا عن اصابة المطلوب ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)﴾ كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ مؤنّث الأدنى اى قربى السّموات الى الأرض ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ اى الكواكب المضيئة باللّيل اضائة السّرج فيها والتّنكير للتعظيم ولا يمنع هذا كون الثّوابت مركوزة فى السّماء الثّامن وكون كلّ من السّبع السّيارة فى سماء كما اتفق عليه اهل الهيئة اذ التّزيين باظهارها فيه ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ المسترقين السمع بان تنفصل الشّهب منها فتحرقهم مع عدم زوالها من مكانها كالنّار الّذى يؤخذ منها القبس مع بقائها بكمالها فى موضعها فالرّجوم جمع رجم مصدرا سمى به ما يرجم به ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥)﴾ فى الآخرة بعد هذا الأحراق ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ من الشّياطين وغيرهم ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦)﴾ هى ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتا كصوت الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ (٧)﴾ تغلى بهم غليان المرجل بما فيه ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ تتفرّق ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ على الكفّار شبّه شدّة اشتعالها بهم وايصال الضّرر اليهم بحال المغتاظ على غيره المبالغ فى ايصال الضرر اليه فاستعير له الغيظ والاّ فليست من الأحياء حتى يكون لها غيظ ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة من الكفرة ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سؤال توبيخ وتبكيت ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)﴾ يخوفكم هذا العذاب ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ بمعنى الجمع لانّه فعيل ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ ايّها النّذر ﴿إِلاَّ فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ كلام الرّسل فنقبلهم من غير تفتيش اعتمادا على ما ظهر من صدقهم بالمعجزات ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ نتفكّر فى حكمه ومعانيه تفكّر المستبصرين ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ حين لا ينفعهم الأعتراف ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)﴾ مصدر مؤكّد لفعله الواجب الحذف سماعا اى ابعدهم الله بعدا عن رحمته ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ اى غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عن اعين النّاس ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)﴾ يصغر دونه لذائذ الدّنيا ونزل تجهيلا للمشركين لمّا قال بعضهم لبعض اسروا قولكم لئلاّ يسمعه آله محمّد

﴿وَأَسِرُّوا﴾ ايّها النّاس ﴿قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣)﴾ اى بما فيها فضلا عمّا نطقتم به ﴿أَلاَ يَعْلَمُ﴾ السّر والجهر ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ الأشياء على وفق حكمته ومنها سرّكم وجهركم ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ اى المتوصّل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً﴾ ليّنة للمشى فيها ﴿فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)﴾ من القبور فيسئلكم عن شكر ما انعم عليكم ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ﴾ سلطانه وقدرته وهو الله فمن مع صلته مفعول امنتم ويبدل منه بدل اشتمال ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ كما فعل بقارون ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ (١٦)﴾ تتحرك بكم وتغوّركم ﴿أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِى السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ اى ريحا شديدا ترميكم بالحصبا وهى الحصا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧)﴾ اى انذارى اذا شاهدتم ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨)﴾ انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرّسول وتهديد لقومه ثمّ شرع فيما يدلّ على قدرته على ما خوّفهم به فقال ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ فى الجوّ ظرف يروا ﴿صَافَّاتٍ﴾ باسطات اجنحتهنّ حال من الطّير ويعطف عليه ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ عطف فعل على الاسم للدّلالة على التّجدد اى ويضمنها اذا ضربن بها جنوبهنّ وقتا بعد وقت ليقدرن به على التّحرك ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ فى الجوّ مع اقتضاء طبعها السّقوط ﴿إِلاَّ الرَّحْمَنُ﴾ حيث هيّئهنّ للجرى فى الهواء ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ (١٩)﴾ يعلم كيف يخلق الغرائب وتدبير العجائب ﴿أَمْ مَنْ﴾ كلمة ام منصلة عديلة لهمزة اولم يروا ومن استفهاميّة مبتدأ خبره ﴿هَذَا﴾ ويبدل منه ﴿الَّذِى هُوَ جُندٌ﴾ اعوان ﴿لَكُمْ يَنصُرُكُمْ﴾ صفة جند كائنا ﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ والمعنى الم ينظروا الى آثار قدرتنا فيعلموا بذلك قدرتنا على تعذيبهم ام نظروا وعلموا لكنّهم اعتمدوا ما لهم من الجند الاّ انّه استفهم عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانّهم يعتقدون انّ آلهتهم تمنعهم من عذابه ولمّا ظهر الحقّ وحصل الالزام قال ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْكَافِرُونَ إِلاَّ فِى غُرُورٍ (٢٠)﴾ لا

معتمد لهم ﴿أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرّحمن ﴿رِزْقَهُ﴾ بامساك المطر وسائر الاسباب المحصّلة له ﴿بَلْ لَجُّوا﴾ تمادوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾ عناد ﴿وَنُفُورٍ (٢١)﴾ تباعد عن الحقّ لنفرتهم عنه ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا﴾ من باب الافعال للصّيرورة لا مطاوع كبّ كما قيل لانّه من الغرايب والمعنى صار ذا كبّ ووقوع حال ﴿عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ قائما سليما من السّقوط ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢)﴾ اهدى حذف اكتفاء بما قبله والمراد تمثيل الكافر والمؤمن بالسّالكين والدّينين بالمسلكين واكتفى فى الأول عن ذكر حال الطّريق بما فى الكب من الدّلالة عليه اشعارا بانّ ما عليه المشرك لا يستأهل ان يسمّى طريقا ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ لتسمعوا المواعظ ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ لتنظروا صنايعه ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ لتتفكّروا ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٢٣)﴾ باستعمالها فيما خلقت لأجلها ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)﴾ للجزاء ﴿وَيَقُولُونَ﴾ لك وللمؤمنين ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ اى الموعود من الحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ اى علم وقته ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا يطّلع عليه غيره ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ اى الحشر الموعود والعذاب بعده ﴿زُلْفَةً﴾ ذا زلفة وقرب منهم ﴿سِيئَتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾ لهم من جهة الملائكة ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧)﴾ تطلبون وتستعجلون وقوعه بكم ﴿قُلْ﴾ فى جواب قولهم نتربّص به المنون ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ﴾ اماتنى ﴿اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ بتأخير آجالنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨)﴾ اى لا ينجيكم احد من العذاب متنا او بقينا ﴿قُلْ هُوَ﴾ اى الّذى ادعوكم اليه مبتدأ خبره ﴿الرَّحْمَنُ﴾ مولى النّعم كلّها ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ للعلم بذلك ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ للوثوق عليه ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩)﴾ منّا ومنكم ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ مصدر وصف به اى غائرا فى الأرض ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠)﴾ اى جار على انّه فعيل من معن اذا جرى او ظاهر سهل المأخذ على انّه مفعول كمبيع من عينته اصبته بعيني.

سورة ن

مكية ثنتان وخمسون أية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓ﴾ متشابه ﴿وَالْقَلَمِ﴾ الّذى كتب به الكائنات الى يوم القيامة فى اللّوح المحفوظ وهو قلم من نور طوله خمسمأية سنة او مطلق ما يكتب به اقسم به لكثرة فوائده ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ (١)﴾ يكتبون الحفظة من الخير والصّلاح او اصحابه مطلقا وجواب القسم ﴿مَا أَنْتَ﴾ يا محمّد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢)﴾ خبر ما والعامل فيه معنى النّفى اى ما انت بمجنون منعما عليك بالنّبوة وصحة الرّأى واستقامته روى انّه عليه السّلام كان يأوى الى حراء فنزل عليه جبرائيل ذات يوم باقرأ باسم ربك وهى اوّل ما نزلت ثمّ نزل به قرار الأرض فتوضّأ وصلّى به ركعتين تعليما للصّلوة فذكر ذلك لخديجة فقصّته على ابن عمّها ورقة بن نوفل فقال سيأمر بالدّعوة ولو بقيت اليها لنصرته نصرا عزيزا فمات قبل ذلك ووقع ذلك فى السنة قريش فقالوا انّه مجنون فاقسم الله على نفى ذلك عنه فهذه السّورة من اوائل ما نزلت بعد اقرأ باسم ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ على احتمال اذيتهم من طعن الجنون بك وغيره او على الابلاغ ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣)﴾ مقطوع ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ اذ تحتمل من قومك ما لم يحتمله امثالك والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة ويطلق على الاخلاق الجميلة المرضيّة سواء الجبلية او الكسبية ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٦)﴾ ايّكم الّذى فتن بالجنون فالباء مزيدة او بايّكم الجنون على انّ الباء للالصاق والمفتون مصدر بمعنى الفتون اى الجنون كالمجلود بمعنى الجلادة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧)﴾ اى بالمجانين والعقلاء الاّ انّه وضع الضال والمهتدى موضعهما

اشعارا بانّ العاصى هو المجنون فى الحقيقة والمطيع هو العاقل ﴿فلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا﴾ تمنّوا ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾ تلين لهم بترك نهيهم عن الشّرك ﴿فَيُدْهِنُونَ (٩)﴾ يلينون لك بترك الطّعن عطف على تدهن بمعنى ودوا التّداهن لكن اخّروا ادهانهم حتى تدهن ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ﴾ كثير الحلف فى الحق والباطل ﴿مَهِينٍ (١٠)﴾ حقير الرأى ﴿هَمَّازٍ﴾ غيّاب ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١)﴾ اى ساع بالكلام بين النّاس على وجه الافساد بينهم ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ اى يمنع النّاس عن الخير من الأيمان والأنفاق والعمل الصّالح ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿أَثِيمٍ (١٢)﴾ كثير الآثام ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ المذكور من معايبه ظرف لقوله ﴿زَنِيمٍ (١٣)﴾ دعى فى قريش وليس من شحمتهم واصلهم وهو الوليد ابن المغيرة ادّعاه ابوه بعد ثمانى عشر سنة من مولده وقيل زنت امّه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية فذهب اليها وقال انّ محمّدا ذمّنى بعشر صفات وجدت منها تسعة فى نفسى وامّا الزّنيم فلا علم لى به فاخبرينى بحقيقة الحال والاّ ضربت عنقك فقالت انّ اباك كان غنيّا لا ذكور له فخفت ان يموت فتفرّق الورثة ما له فدعوت راعيا الى نفسى فانت منه ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤)﴾ اى لان متعلّق بما دلّ عليه قوله ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٥)﴾ والتّقدير يكفر ويكذب بآياتنا لانعامنا عليه ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦)﴾ اى سنجعل على انفه علامة يعير بها ما عاش فخطم انفه بالسّيف يوم بدر فبقى اثره وفى التّعبير عنه بالخرطوم استهانة له وتحقير لانّه لا يستعمل الاّ فى الفيل والخنزير وقيل المراد تسويد وجهه يوم القيامة لانّه مات قبل واقعة بدر ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ امتحنا اهل مكّة بالقحط ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ اى البستان الّذى كان دون صنعاء بفرسخين لرجل صالح ينادى الفقراء وقت القطع ويترك لهم ما اخطأه المنجل او القته الرّيح او بعد من البساط الّذى يبسط تحت النّخل فيجتمع لهم شئ كثير فلمّا مات قال بنوه ان فعلنا ما فعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنّها خفية عن المساكين كما قال ﴿إِذْ أَقْسَمُوا

بعضهم﴾ اى يقطعون ثمرتها ﴿مصبحين(١٧)﴾ داخلين فى وقت الصّباح ﴿ولا يستثنون (١٨)﴾ اى لا يقولون: ان شاء الله، وانّما سمّاه استثناء لما فيه من الإخراج الاّ ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج فى الاستثناء عينه والجملة استيناف او حال ثانية من فاعل ليصرمنّ ﴿فطاف عليها﴾ بلاء ﴿طائف من﴾ للأبتداء ﴿ربّك﴾ بان اصابتها نار باللّيل فأحرقتها ﴿وهم نائمون (١٩) فأصبحت كالصّريم (٢٠)﴾ اى كاللّيل الشّديد الظّلمة باحتراقها واسوادادها ﴿فتنادوا مصبحين (٢١) أن اغدوا على حرثكم﴾ غلتكم وكلمة ان تفسيريّة بمعنى اى اخرجوا اليه غدوة والتّعدية بعلى لتضمّنه معنى الأقبال ﴿إن كنتم صارمين (٢٢)﴾ مريدين قطعه ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون (٢٣)﴾ يتشاورون ﴿أن﴾ تفسيريّة ليتخافتون او مصدريّة اى بان ﴿لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين (٢٤)﴾ والمراد بنهى المسكين عن الدّخول المبالغة فى النّهى عن تمكينه من الدّخول كما فى لا اريننّك ههنا ﴿وغدوا على حرد قادرين (٢٥)﴾ اى اصبحوا قادرين على نكد لا غير والمعنى انّهم زعموا ان ينكدوا على المساكين فنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الاّ على النّكد ﴿فلمّا رأوها قالوا﴾ من اوّل الامر ﴿إنّا لضالّون (٢٦)﴾ طريق جنتنا ماهى هذه وبعد ما تأمّلوا فيها وعرفوها قالوا ﴿بل نحن محرومون (٢٧)﴾ ثمرتها بجنايتنا على انفسنا ﴿قال أوسطهم﴾ رأيا او سنّا ﴿ألم أقل لكم﴾ حين عزمتم على ذلك ﴿لولا﴾ هلاّ ﴿تسبّحون (٢٨)﴾ تذكرون الله وتتوبون من خبث نيّتكم ﴿قالوا سبحان ربّنا إنّا كنّا ظالمين (٢٩) فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون (٣٠)﴾ على ما فرّطوا ﴿قالوا يا ويلنا إنّا كنّا طاغين (٣١)﴾ متجاوزين حدود الله ﴿عسى ربّنا أن يبدلنا خيرا منها﴾ ببركة التّوبة والأعتراف بالخطيئة ﴿إنّا إلى ربّنا راغبون (٣٢)﴾ طالبون الخير وقبول التّوبة والى لبيان انّه تعالى منتهى طلبهم روى انّهم ابدلوا منها جنّة يقال لها الحيوان فيها عنب لا يحمل البعير منه الاّ عنقودا ﴿كذلك﴾ اى مثل ما بلونا به اهل مكّة واصحاب الجنّة ﴿العذاب﴾ فى الدّنيا ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (٣٣)﴾ ذلك لما خالفوا

امرنا وردّا لقولهم ان بعثنا كما يزعم محمّد ومن معه نعطى افضل منهم كما فى الدّنيا ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ اى فى الآخرة ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)﴾ هذا الحكم الفاسد والالتفات للتعجب منه ﴿أَمْ﴾ اى بل ا ﴿لَكُمْ كِتَابٌ﴾ منزّل ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧)﴾ تقرأون ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨)﴾ تختارونه وتشتهونه والجملة واقع موقع مفعول تدرسون الاّ انّه كسرت انّ لدخول لام الابتداء فى اسمها ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾ عهود مؤكّدة بالأيمان ﴿عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾ متناهية فى التّاكيد ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ متعلّق بالمقدّر المتعلّق به لكم ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩)﴾ جواب القسم لانّ ام لكم ايمان بمعنى ام قسمنا لكم ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم ﴿زَعِيمٌ (٤٠)﴾ كفيل يدعّيه ويصحّحه ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ يشاركونهم ويوافقونهم فى هذا القول ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١)﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ اى يشتدّ الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء يقال كشفت الحرب عن ساق اذا اشتدّ الأمر فيها ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ توبيخا على تركه ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢)﴾ لذهاب وقته وصيرورة ظهورهم طبقا واحدا ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تلحقهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ فى الدّنيا ﴿إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)﴾ فلا يأتون به ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ كلّه فانّى اكفيكه ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ اى ندنيهم من العذاب درجة درجة ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤)﴾ انّه استدراج بان نمهلهم ونزيدهم نعما حتى يحسبوه تفضّلا لهم على المؤمنين ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ اى امهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)﴾ شديد لا يطاق ﴿أَمْ﴾ عطف على ام لهم شركاء اى بل ا ﴿تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على الارشاد ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ﴾ غرامة ﴿مُثْقَلُونَ (٤٦)﴾ فلا يؤمنون لذلك ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ اى اللّوح الّذى فيه المغيبات ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧)﴾ منه ما يقولون ويستغنون به عن علمك ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو امهالهم وتأخير نصرك عليهم ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ يونس عليه السّلام اى لا يكن حالك

كحاله فى الضجرة والعجلة ﴿إذ نادى﴾ ربّه فى بطن الحوت ﴿وهو مكظوم (٤٨)﴾ مملو غمّا وحزنا فنبتلى ببلائه ﴿لولا أن تداركه﴾ تدركه ﴿نعمة من ربه﴾ بتوفيق التّوبة وقبولها ﴿ ﴾ طرح من بطن الحوت ﴿بالعراء﴾ اى الأرض الخالية عن الاشجار ﴿وهو مذموم ﴾ مليم مطرود من الرّحمة والكرامة حال هو الجواب حقيقة لانّه المنفىّ لا النّبذ لقوله تعالى ونبذناه بالعراء ﴿فاجتباه ربّه﴾ بان ردّ اليه الوحى ﴿فجعله من الصّالحين ﴾ اى الكاملين فى الصّلاح ﴿وإن﴾ مخففة ﴿يكاد الّذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ اى ينظرون اليك لشدة عداوتهم نظرا شديدا يكاد ان يصرعك ويسقطك من مكانك او يصيبونك بالعين لما روى انّه كان فى بنى اسد عيّانون فاراد بعضهم ان يعينه فعصمه الله ونزلت ﴿لمّا سمعوا الذّكر﴾ اى القرآن ﴿ويقولون﴾ حسدا وتنفيرا للنّاس ﴿إنّه لمجنون ﴾ بسبب القرآن الّذى جاء به ﴿وما هو﴾ اى القرآن ﴿إلاّ ذكر﴾ موعظة ﴿للعالمين (٥٢)﴾ لا يأتى به الاّ من كان اكمل النّاس عقلا فكيف يحدث بسببه جنون.

* * *

سورة الحاقة

مكيّة إحدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَاقَّةُ (١)﴾ اى القيامة الّتى يحق وقوعها على انها اسم فاعل من حقّ بمعنى وجب او الّتى يقع فيها حواقّ الأمور وثوابته من البعث والحساب والجزاء على انّها من حق بمعنى ثبت وصفت بوصف ما فيها مجازا وهى مبتدأ خبرها ﴿ما الْحَاقَّةُ (٢)﴾ اقيم فيه الظّاهر موقع الضمير زيادة لتفخيم شأنها وتعظيم هولها المستفاد من الاستفهام ﴿وما أَدْراكَ ما الْحَاقَّةُ (٣)﴾ اى ايّ شئ اعلمك ماهى اى انّك لا تعلم كنهها لانّه خارج عن طور البشر فكلّ من المائين مبتدأ خبره ما بعده والجملة الثّانية سادة مسدّ مفعولى الثّانى والثالث لأدرى ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعادٌ بِالْقارِعَةِ (٤)﴾ اى القيامة الّتى تقرع القلوب باهوالها وضعت موضع ضمير الحاقة ايضا زيادة فى وصف شدتها ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥)﴾ اى الصّيحة او الرّجفة المجاوزة للحدّ فى الشدّة ﴿وَأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديدة الصّوت او البرد من الصرّ بالفتح اى الصوت او الكسر اى البرد المضرّ ﴿عاتِيَةٍ (٦)﴾ قوية شديدة عتت على عاد فلم يقدروا على ردّها مع قوتهم وشدّتهم ﴿سَخَّرَها عَلَيْهِمْ﴾ اى ارسلها بالقهر استيناف او صفة ايضا ﴿سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾ متتابعات جمع حاسم لانّها كانت ايّام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الأربعاء الآخر وانّما سمّيت بذلك لانّها عجز الشّتاء او لانّ عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الرّيح فى الثامن فاهلكتها ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ﴾ ان كنت حاضرهم ﴿فِيها﴾ اى فى مهابّها او فى اللّيال والأيّام ﴿صَرْعَى﴾ موتى جمع صريع حال منهم لانّ الرّأية بصريّة وكذا ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ﴾ اصول ﴿نَخْلٍ خاوِيَةٍ (٧)﴾ متآكلة الأجواف بالية ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ﴾ نفس ﴿باقِيَةٍ (٨) وَجاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ اى من تقدّمه من الامم الكافرة

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ اى قرى قوم لوط والمراد اهلها ﴿بِالْخَاطِئَةِ (٩)﴾ بالفعلات ذات الخطأ ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ اى عصى كلّ امة رسولها ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠)﴾ زائدة فى الشّدة كزيادة اعمالهم فى القبح ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ جاوز حدّه المعتاد فى الطّوفان ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ اى آبائكم وانتم فى اصلابهم ﴿فِي الْجَارِيَةِ (١١)﴾ سفينة نوح ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ اى هذه الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عبرة ودلالة على قدرتنا ﴿وَتَعِيَهَا﴾ اى تحفظها ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢)﴾ حافظة لما تسمع على سبيل التّفكر فيه والعمل بموجبه واشاعته ولمّا بالغ فى تهويل القيامة وذكر مآل المكذّبين بما تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها فقال ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣)﴾ اى النّفخة الاولى الّتى عندها خراب العالم ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ من اماكنها بمجرّد القدرة الكاملة او بتوسّط زلزلة او ريح عاصفة ﴿فَدُكَّتَا﴾ اى ضربت الأرض والجبال ولعد كل جملة ثنى الضمير ﴿دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥)﴾ اى قامت القيامة ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦)﴾ ضعيفة مسترخية ﴿وَالْمَلَكُ﴾ اى الملائكة ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ جوانب السّماء جمع رجا بالقصر اى يقفون عليها حين انشقاقها ثم يهلكون ايضا اثر ذلك فلا يرد انّهم لابدّ ان يهلكوا كباقى الاشياء فى النّفخة الأولى فكيف يقفون على الأرجاء ويجوز ان يكون استعارة تمثيليّة على تشبيه هيئة خرابها بخراب البنيان والتجاء اهله الى اطرافه الباقية من غير ان يكون فى المشبّه اهل واطراف والتجاء ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ اى فوق الملائكة الّتى على الارجاء او فوق انفسهم على انّ الضّمير للثّمانية الآتى لتقدّمه رتبة ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧)﴾ من الملائكة لما روى انّهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى ولعلّه ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السّلاطين يوم خروجهم على النّاس للقضاء حيث يجلسون على السّرير وتقف الأعوان حوله فلا يكون تمسكا للمشبهة على انّه تعالى متمكن فى العرش والاّ لكان حمله عبثا وقوله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ استعارة تبعيّة تشبيها للمحاسبة بعرض السّلطان العسكر ليفرق احوالهم وهذا وان كان بعد النّفخة الثّانية الاّ ان اليوم عبارة عن زمان متسع يقع فيه

كلّ ما ذكر ﴿لا تَخْفَى مِنْكُمْ خافِيَةٌ (١٨)﴾ من السّرائر وفصّل العرض بقوله ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ﴾ لغيره فرحا ﴿هاؤُمُ﴾ اسم فعل بمعنى خذوا ﴿اقْرَؤُا كِتابِيَهْ (١٩)﴾ متنازع فيه اعطى العمل فيه للفعل والاّ لقيل اقرأوه والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسّكت والأصل حذفها وصلا لكن اتّفقوا على اثباتها اجراء له مجرى الوقف واتباعا لرسم الأمام ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاق�ٍ حِسابِيَهْ (٢٠)﴾ تيقّنت فى الدّنيا انّ الله يعنى ويحاسبنى فاجتهدت فى الطّاعات وترك السّيأت فنجّان الله بفضله من هول هذا اليوم ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (٢١)﴾ ذات رضى على انّها من باب النّسب كتامر ولابن او اسناد ما لصلحبها اليها مجازا ويجعل متعلّقا بها او بدلا منها على اعادة الجار قوله ﴿فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ (٢٢)﴾ اى مرتفعة المكان او الدّرجات ﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قطف وهو ما يجتنى ﴿دانِيَةٌ (٢٣)﴾ قريبة يتناولها القاعد والقائم والمضطجع ويقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ اكلا وشربا ﴿هَنِيئًا﴾ بلا تعب وجمع الضّمير لمعنى من ﴿بِما أَسْلَفْتُمْ﴾ قدّمتم من الحسنات ﴿فِي الْأَيّامِ الْخالِيَةِ (٢٤)﴾ الماضية فى الدّنيا ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فَيَقُولُ﴾ لما يرى من قبح العمل وسوأ العاقبة ﴿يا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ ما حِسابِيَهْ (٢٦) يا لَيْتَها﴾ اى الموتة فى الدّنيا ﴿كانَتِ الْقاضِيَةَ (٢٧)﴾ اى القاطعة لحياتى بان لا ابعث بعدها ﴿ما أَغْنى عَنِّي مالِيَهْ (٢٨)﴾ اى مالى او الّذى لى شيئا من العذاب وما الاولى نافية او استفهامية للانكار مفعول اغنى ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ (٢٩)﴾ ملكى وتسلطى على النّاس او حجّتى الّتى احجّ بها فى الدّنيا يقول تعالى لخزنة جهنّم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠)﴾ اى اجمعوا يديه الى عنقه فى الغل ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١)﴾ ادخلوه ﴿ثُمَّ﴾ قيل ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِراعًا﴾ بذراع الملك ﴿فَاسْلُكُوهُ (٣٢)﴾ اى ادخلوه فيها بان تلفوه على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة والتّقديم هنا وفيما قبله للأختصاص والأهتمام وثمّ لتفاوة ما بينها فى الشّدة الاّ ان الثانية لعطف المقول على القول والفاء لعطف المقول على المقول ﴿إِنَّهُ كانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ﴾ يحث ﴿عَلى﴾ بذل ﴿طَعامِ الْمِسْكِينِ (٣٤)﴾ فضلا ان يبذل من ماله وتخصيص الأمرين بالذكر لانّ اقبح العقائد الكفر بالله واشنع

الرّذائل البخل وقسوة القلب ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥)﴾ قريب يحميه اسم ليس وله خبرها والظرفان معمولان لما تعلّق به الخبر ﴿وَلاَ طَعَامٌ﴾ لبخله من الأطعام ﴿إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦)﴾ غسالة اهل النّار وصديدهم فعلين من الغسل روى انه لو وقعت قطرة منه على الارض لافسدت معايشهم ﴿لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِؤُونَ (٣٧)﴾ اصحاب الخطايا من خطئ الرجل كعلم اذا تعمّد الذنب ثمّ انّه تعالى ختم احوال القيامة واحوال السّعداء والاشقياء فيها بتعظيم القرآن فقال ﴿فَلاَ أُقْسِمُ﴾ مرّ بيانه فى الواقعة[1] ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ (٣٩)﴾ اى بالمشاهدات والمغيبات ﴿إِنَّهُ﴾ اى القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ يبلغه من الله فان الرّسول لا يقول عن نفسه ﴿كَرِيمٍ (٤٠)﴾ على الله وهو محمّد او جبرائيل ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما يزعمون تارة ﴿قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (٤١)﴾ اى تصدقون تصديقا قليلا لعنادهم ﴿وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ كما يدعون اخرى ﴿قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢)﴾ اى آمنتم وتذكرتم باشياء يسيرة مما اتى به النّبى فلم تغن عنكم شيئا هو ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣)﴾ على لسان جبرائيل ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ اى افترى الرّسول ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤)﴾ جمع اقوال جمع قول ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥)﴾ اى بيمينه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ﴾ بضرب العنق ﴿الْوَتِينَ (٤٦)﴾ نياط القلب وهو عرق متّصل به اذا قطع مات صاحبه وهو تصوير لأهلاكه باقطع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ الجلاد بيمينه كى يرى السّيف ويضرب جيده ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ اسم ما ومن زائدة ومنكم حال منه ﴿عَنْهُ﴾ اى عن القتل او المقتول ﴿حَاجِزِينَ (٤٧)﴾ دافعين خبر ما وجمع لانّ احد بمعنى الجمع لوقوعه فى سياق النّفى ﴿وَإِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨)﴾ لانّهم المنتفعون به ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩)﴾ فنجازيهم على تكذيبهم ﴿وَإِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠)﴾ اذا رأوا ثواب المصدّقين به وعقاب المكذّبين ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾ مرّ تحقيقه فى الواقعة.[2]

---

[1] - آية: ١

[2] - آية: ٧٤

سورة المعارج

مكيّة أربع وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ اى دعى داع ولذا تعدّى بالباء فى ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١)﴾ نازل لا محالة ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ متعلّق بواقع او صفة اخرى للعذاب وكذا ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢)﴾ يردّه والدّاعى النضر بن الحارث فانه قال استهزاء وتعنّتا: ﴿اللّهم ان كان هذا هو الحقّ﴾[1] الآية ﴿مِنَ اللهِ﴾ متعلّق بواقع ﴿ذِي الْمَعَارِجِ (٣)﴾ اى المصاعد وهى الدرجات المتفاوتة التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصّالح او السّموات فان الملائكة يعرجون فيها ﴿تَعْرُجُ الْمَلٰئِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ جبرائيل تخصيص بعد تعميم ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)﴾ وقد مر المراد منه والتّوفيق بينه وبين قوله فى يوم كان مقداره الف سنة فى سورة السّجدة[2] فراجعها. ﴿فَاصْبِرْ﴾ على سؤالهم واستهزائهم ﴿صَبْرًا جَمِيلاً (٥)﴾ لا يشوبه استعجال واضطراب قلب ﴿إِنَّهُمْ﴾ اهل مكة ﴿يَرَوْنَهُ﴾ اى العذاب ﴿بَعِيدًا (٦)﴾ من الامكان ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)﴾ منه او من الوقوع ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لقريبا او المفهوم من واقع ﴿تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨)﴾ وهو ما يبقى فى الكير ممّا يذاب من جواهر الأرض او دردىّ الزّيت ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)﴾ كالصّوف المنفوش فى الخفّة والطّيران فى الرّيح ﴿وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠)﴾ اى قريب قريبا عن حاله لاشتغال كل بما حلّ به ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ اى يبصر الأحماء بعضهم بعضا ويتعارفون ولا يتكلّمون والجملة استيناف او حال وجمع الضّميرين لعموم الحميم ويجعل استينافا او حالا من احدهما ﴿يَوَدُّ

---

[1] - سورة الأنفال: ٣٢

[2] - آية: ٥

لتفتدي من عذاب يومئذ ببنيه (١١) وصاحبته وأخيه (١٢) وفصيلته﴾ عشيرته الّتى فصل عنها ﴿تُؤْوِيهِ (١٣)﴾ تضمّه فى النّسب او عند الشّدائد ﴿ومَنْ فى الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الثّقلين او الخلائق ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤)﴾ الأفتداء عطف على يفتدى وثمّ للاستبعاد ﴿كَلَّا﴾ ردع للمجرم عن الودادة ﴿إِنَّهَا﴾ اى النّار المفهومة من ذكر العذاب ﴿لَظَى (١٥)﴾ اسم لجهنّم لانّها تتلظّى اى تتلهّب على الكفّار ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦)﴾ جمع شواة وهى جلدة الرأس ﴿تَدْعُوا﴾ تجذب وتحضر ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحقّ ﴿وَتَوَلَّى (١٧)﴾ عن الطّاعة ﴿وجمع﴾ المال حرصا ﴿فَأَوْعَى (١٨)﴾ امسكه فى وعائه لطول الامل فلم يؤدّ حق الله منه ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩)﴾ حال مقدّرة لانّه ليس خصلة ضرورية حاصلة بخلق الله الأنسان عليها بل من مقتضى النفس الأمارة والاّ لما قدر الانسان على ازالتها بالرّياضة وهى صفة مركبة من صفتين تفسيرها ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الضّر ظرف ﴿جَزُوعًا (٢٠)﴾ يكثر الجزع وقت مس الشرّ ﴿وإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ السّعة ﴿مَنُوعًا (٢١)﴾ مبالغ فى الأمساك ﴿إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣)﴾ لا يشغلهم عن ادائها فى اوقاتها شاغل ﴿وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤)﴾ كالزكوة والصّدقات الموظّفة ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)﴾ اى الّذى لا يسئل فيحرّم لظنّ غنائه ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦)﴾ اى الجزاء فيعملون له ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧)﴾ خايفون مع استغراقهم فى طاعته ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)﴾ لا ينبغى لاحد ان يأمن منه وان بالغ فى طاعته والجملة اعتراض ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الأماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ من الأجنبيات والذكران والبهائم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١)﴾ اى المتجاوزون الحلال الى الحرام ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣)﴾ يقيمونها ولا يكتمونها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤)﴾ اى يهتمّوا بحالها فيؤدوها على اكمل الوجوه

فلا تكرار مع مامرّ الاّ انّ فى ذكرها اوّلا وآخرا دلالة على فضلها ﴿أَفَلَنَا فى جنّات مُكْرَمُونَ (٣٥) فمال الّذين كفروا قبلك﴾ حولك ﴿مُهْطِعِينَ (٣٦)﴾ مسرعين حال ﴿عَنِ الْيَمِينِ وعَنِ الشِّمَالِ عزين (٣٧)﴾ حال ايضا جمع عزة اى فرقا شتّى كانوا يحتفون برسول الله والمؤمنين حلقا حلقا ويقولون استهزاء لئن دخل هؤلاء الجنّة لندخلنها قبلهم قال تعالى ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨)﴾ بلا إيمان ﴿كَلاَّ﴾ ردع لهم عن هذا الطّمع وعلّله بقوله ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ كغيرهم ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩)﴾ اى من نطف فلا يطمع بذلك فى الجنّة وانّما طمع فيها بالإيمان والتّقوى ﴿فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ﴾ نأتى بدلهم ﴿خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)﴾ اى مغلوبين عن ذلك ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢)﴾ مرّ آخر الطّور.[1] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ﴾ اى القبور ﴿سِرَاعًا﴾ الى الحشر جمع سريع ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ﴾ منصوب للعبادة من اصنامهم او علم للسبق ﴿يُوفِضُونَ (٤٣)﴾ يسرعون ايّهم يستلمه اوّلا ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ ذليلة خاضعة حال من فاعل يوفضون وكذا ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ ذَلِكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)﴾ فى الدّنيا.

* * *

[1] - آية: ٤٦

سورة نوح

مكية ثمان أو تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن﴾ بان ﴿أنذر﴾ اى بالانذار ﴿قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم (١)﴾ اى عذاب الآخرة او الطّوفان ﴿قال يا قوم إنى لكم نذير مبين (٢) أن﴾ بان ﴿اعبدوا الله واتقوه وأطيعون (٣) يغفر لكم من ذنوبكم﴾ اى بعضها وهو ما سبق فانّ الاسلام يغفر ما قبله لا ما بعده ﴿ويؤخركم﴾ بلا عذاب ﴿إلى أجل مسمّى﴾ هو اقصى ما قدّر لكم بشرط الأيمان والطّاعة ﴿إنّ أجل الله﴾ اى الأجل الّذى قدّره لعذابكم ان لم تؤمنوا ﴿إذا جاء﴾ على الوجه المقدّر به ﴿لا يؤخر﴾ فبادروا قبله ﴿لو كنتم تعلمون (٤)﴾ ذلك لآمنتم ﴿قال ربّ إنّى دعوت قومى ليلا ونهارا (٥)﴾ اى دائما ﴿فلم يزدهم دعائى إلاّ فرارا (٦)﴾ عن الأيمان والطّاعة ﴿وإنّى كلّما دعوتهم﴾ الى الأيمان ﴿لتغفر لهم﴾ بسببه ﴿جعلوا أصابعهم فى آذانهم﴾ لئلاّ يسمعوا كلامى ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ غطّوا رأوسهم بها لئلاّ يبصروني او لئلاّ اعرفهم فادعوهم ﴿وأصرّوا﴾ على كفرهم ﴿واستكبروا﴾ عن اتّباعى ﴿استكبارا (٧) ثمّ إنّى دعوتهم جهارا (٨)﴾ اى مجاهرا على رأوس الأشهاد ﴿ثمّ إنّى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا (٩)﴾ اى خلوت بالواحد فالواحد منهم واعلنته واسررته بالدّعوة ثمّ لتفاوت الوجوه زمانا ورتبة فانّ الظّاهر منها انّ كلمّا دعوتهم محمول على الدّعاء سرا فتكون مراتب دعوته ثلثة بان دعيهم اوّلا بالسرّ فعامله بالأمور الأربعة المذكورة ثم بالجهر الّذى اغلظ منه فلم يؤثر ثم بالجمع بينهما الّذى هو اغلظ ﴿فقلت﴾ لهم لمآ قالوا وقد امرتهم بالعبادة ان كنّا على حق فلا نتركه وان كنّا على باطل فكيف يلطف بنا من عصيناه او لما منعوا من المطر

اربعين سنة واعقم نسائهم ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ السّحاب ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١)﴾ كثير الدّرور ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)﴾ جارية ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣)﴾ اى لا تأملون وقار الله وتعظيمه اياكم ان آمنتم ولله بيان للموقّر كانّهم لما سمعوا مالكم لا ترجون وقارا قالوا من يوقّرنا فقيل لله ولولا التّقديم لكان صلة او صفة لوقارا ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)﴾ جمع طور وهو الحال فطورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة الى تمام خلق الأنسان فهو تام الحكمة عظيم القدرة على التّوقير وغيره فهو حال مقرّر للانكار ثم ايّد ذلك بآيات الآفاق فقال ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥)﴾ بعضها فوق بعض ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ نسبه اليهنّ مع كونه فى السّماء الدّنيا لما بينهنّ من الملابسة ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)﴾ من باب التّشبيه البليغ اى هى مثله فى انّها تزيل ظلمة اللّيل عن وجه الأرض كما يزيلها هو عمّا حوله ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧)﴾ انشئكم منها فهو استعارة تبعيّة على تشبيه الأنشاء بالأنبات لانّه ادلّ على التكوّن من الأرض ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨)﴾ بالحشر ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾ طرقا ﴿فِجَاجًا (٢٠)﴾ واسعة جمع فجّ ومن لتضمّن الفعل معنى الأتّخاذ ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ فيما امرتهم به ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١)﴾ اى اتبعوا رأسائهم البطرين بالنّعمة ﴿وَمَكَرُوا﴾ عطف على لم يزده والجمع لمعنى من ﴿مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢)﴾ بالضّم والتّشديد صيغة مبالغة اى عظيما جدّا بان كذّبوا نوحا واحتالوا فى اذاه ومن تبعه ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ اى عبادتنا ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣)﴾ هى اسماء اصنامهم وهو من عطف الخاص على العام ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ بها ﴿كَثِيرًا﴾ من النّاس باغرائهم على عبادتها ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤)﴾ فى مكرهم ومصالح دنياهم لا فى امر دينهم لانّ المبعوث للهداية لا يدعوا بذلك

على امته وهو عطف على ربّ انّهم عصونى عطف احد مقوليه على الآخر فالواو من كلامه تعالى لا من كلام نوح حتى يلزم عطف الانشاء على الأخبار ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ اى من اجلها وما مزيدة للتاكيد والتفخيم ﴿أُغْرِقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ اى عوقبوا بعذاب القبر عقب الأغراق ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥)﴾ كآلهتهم الّتى كانوا يرجون نصرتها ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦)﴾ احدا يسكن الدّار لانّه فيعال من الدّار اصله ديوار قلبت واوه ياء وادغم ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧)﴾ قال ذلك لما استقرى احوالهم وعلم طباعهم من لبثه فيهم الف سنة الاّ خمسين عاما ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ لملك بن متوشلخ وشمخاء بنت انوس وكانا مؤمنين كسائر اصوله واصول الأنبياء الى آدم ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ منزلى او مسجدى او سفينتى ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الى يوم الدّين ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)﴾ هلاكا فاهلكوا.

* * *

سورة الجن

مكية ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ﴾ يا محمّد للنّاس ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾ اى الشّأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقرائتى ﴿نَفَرٌ﴾ هو مابين الثلاثة الى العشرة ﴿مِنَ الْجِنِّ﴾ جنّ نصيبين وذلك فى صلوة الصّبح ببطن نخلة موضع بين مكّة والطّائف وهم المذكورون فى قوله: ﴿واذ صرفنا اليك نفرا من الجنّ﴾[1] الآية ﴿فَقَالُوا﴾ لمآ رجعوا الى قومهم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١)﴾ يتعجّب من فصاحته ودقّة معانيه وغير ذلك ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الأيمان والصّواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ﴾ اى الشأن ﴿تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ فاعل تعالى اى تنزّه جلاله وعظمته ممّا نسب اليه وبيّن ذلك بقوله ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ﴾ اى الشّأن ﴿كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ ابليس اومردة الجنّ ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤)﴾ صفة مصدر محذوف بتقدير مضاف اى قولا ذا شطط وبعد عن الحقّ وهو توصيفه بالصاحبة والولد ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ﴾ مخفّفة اى انه ﴿لَنْ تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ﴾ قولا ﴿كَذِبًا (٥)﴾ فلذلك صدقنا سفهائنا فيما نسبوا اليه تعالى فلما سمعنا القرآن وتبيّن الحقّ علمنا انّهم قد كذبوا عليه ﴿وَأَنَّهُ﴾ اى الشّأن ﴿كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ﴾ يستعيذون ﴿بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون فى سفرهم فى مخوف فيقول كلّ رجل اعوذ بسيّد هذا المكان من شرّ سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ اى زاد الانس الجنّ باستعاذتهم بهم ﴿رَهَقًا (٦)﴾ كبرا وعتوّا حيث قالوا سدنا الجن والأنس ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ اى الانس ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ ايّها الجنّ وهو وما قبله من كلام مؤمنى الجنّ لكفّارهم لما رجعوا ﴿أَنْ﴾ مخفّفة اى انه ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا

---

[1] - سورة الأحقاف: ٢٩

(٧)﴾ بالرّسالة بعد عيسى وموسى ساد مسدّ مفعولى ظنّوا ﴿وأنّا لمسنا السّماء﴾ طلبنا بلوغها استراقا للسّمع ﴿فوجدناها ملئت حرسا﴾ بفتحتين اسم جمع بمعنى حراسا جمع حارس ﴿شديدا﴾ اقوياء وهم الملائكة الّذين يمنعوهم عنها ﴿وشهبا (٨)﴾ جمع شهاب وهو نار يتولّد من الكواكب وحدوثه او كثرته من بعثة النّبى عليه السّلام ﴿وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد﴾ خالية عن الحرس والشّهب ﴿للسّمع﴾ متعلّق بنقعد ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا (٩)﴾ اى راصدا له يمنعه عن الاستماع بالرّجم ﴿وأنّا لا ندرى أشرّ أريد بمن فى الأرض﴾ بحراسة السّماء ﴿أم أراد بهم ربّهم رشدا (١٠)﴾ خيرا ﴿وأنّا منّا الصّالحون﴾ اى المؤمنون الأبرار قبل استماع القرآن ﴿ومنّا﴾ قوم ﴿دون ذلك﴾ وهم المتوسّطون قالوه لمّا دعوا اصحابهم الى الأيمان بمحمّد ويدلّ على انّه كان بعضهم من المؤمنين فى زمن موسى وعيسى ﴿كنّا طرائق﴾ اى ذوى طرايق ومذاهب ﴿قددا (١١)﴾ متفرّقة مختلفة جمع قدة ﴿وأنّا ظننّا﴾ علمنا ﴿أن لن نعجز الله﴾ كائنين ﴿فى الأرض ولن نعجزه هربا (١٢)﴾ هاربين منها الى السّماء ﴿وأنّا لمّا سمعنا الهدى﴾ القرآن ﴿آمنّا به فمن يؤمن بربّه فلا يخاف﴾ اى فهو لا يخاف ﴿بخسا﴾ نقصا فى حسناته ﴿ولا رهقا (١٣)﴾ ظلما بالزيادة فى سيّآته ﴿وأنّا منّا﴾ بعد سماع القرآن ﴿المسلمون ومنّا القاسطون﴾ اى الجائرون بكفرهم ﴿فمن أسلم فأولئك تحرّوا﴾ قصدوا ﴿رشدا (١٤)﴾ عظيما يبلغهم الى دار الثّواب ﴿وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبا (١٥)﴾ توقد بهم كما توقد بكفّار الانس الى هنا كلام الجنّ فكلمة انّ فى المواضع الأنثى عشر مكسورة ﴿وأن﴾ مخففة اى ان الشّأن وهو من جملة الموحى به عطف على انّه استمع وكذا ما بعده ﴿لو استقاموا﴾ اى الجنّ او الأنس او كليهما ﴿على الطّريقة﴾ اى طريقة الاسلام ﴿لأسقيناهم ماء غدقا (١٦)﴾ كثيرا من السّماء خصّه بالذكر لانّه اصل المعاش والاّ فالمراد مطلق توسيع الرّزق ﴿لنفتنهم﴾ نختبرهم ﴿فيه﴾ كيف يشكرونه ﴿ومن يعرض عن ذكر ربّه﴾ اى عبادته او القرآن ﴿نسلكه﴾ ندخله ﴿عذابا صعدا (١٧)﴾ شاقا يعلوا

المعذب مصدر وصف به ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ مختصة به ﴿فَلَا تَدْعُوا﴾ تعبدوا فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)﴾ اى اخلصوا له دعوة الحقّ ولا تكونوا كاليهود والنّصارى فانّهم يشركون اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم ﴿وَأَنَّهُ﴾ اى الشّأن من الموحى به ايضا ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمّد ذكر بلفظ العبد للتّواضع فانّه واقع موقع كلامه عن نفسه ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبده ببطن النّخلة ﴿كَادُوا﴾ اى الجنّ المستمعون لقرائته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩)﴾ كاللبد فى ركوب بعضهم بعضا ازدحاما حرصا على سماع القرآن وهو جمع لبدة وهى ما يلبد بعضه على بعض كلبدة الأسد ﴿قُلْ﴾ للجنّ عند ازدحامهم متعجّبين ممّا رأوا وسمعوا منه ﴿إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)﴾ وذلك ممّا لا يتعجّب منه انّما التّعجب ممّن يدعوا غير الله ويشرك به ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١)﴾ ضرّ نفعا على طريق ذكر السّبب وارادة المسبب ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ ان اراد بى سوأ ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢)﴾ منحرفا او ملتجأ ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ﴾ اى عنه استثناء من مفعول لا املك فانّ التّبليغ ايضا ارشاد وما بينهما اعتراض مؤكّد لنفى الاستطاعة ﴿وَرِسَالَاتِهِ﴾ عطف على بلاغا اى لا املك الاّ التّبليغ والرّسالة ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى التّوحيد فلم يؤمن اذ الكلام فيه فلا استدلال للمعتزلة فيها على خلود عصاة المؤمنين ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)﴾ حال مقدّرة من ضمير من فى له والجمع لمعنى من ﴿حَتَّى﴾ ابتدائيّة فيها معنى الغاية لمقدّر دلّ عليه السّوق اى لا يزالون على كفرهم حتّى ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ فى الدّنيا كوقت بدر او فى الآخرة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤)﴾ هو او هم فقالوا متى هذا الوعد انكارا فنزل ﴿قُلْ إِنْ﴾ اى ما ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥)﴾ غاية تطول مدّته اى انّه كائن لا محالة لكن لا يدرى وقته الاّ الله هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ﴾ يطلع ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦)﴾ من النّاس ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ﴾ للبيان ﴿رَسُولٍ﴾ من البشر يتلقى من الملك بالذات وربّما يتلقى من الله بلا واسطة الملك

والولىّ وان كان يطّلع على الغيب ايضا لكن لا يتلقى من الملك بالذات بل بواسطة النّبى فلا تمسك بالآية على ابطال الكرامات ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ﴾ يدخل ويسير ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ اى الرّسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧)﴾ حرّسا من الملائكة يحفظون الوحى من ان تسرقه الشّياطين فتلقيه الى الكهنة فيخبرون به قبل اخبار الرّسول ﴿لِيَعْلَمَ﴾ متعلّق بمحذوف دلّ عليه الكلام اى اخبرناه النّبى الموحى اليه بحفظ الوحى ليعلم ﴿أَنْ﴾ مخففة اى انه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ جبرائيل والملائكة المنزّلة بالوحى ﴿رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كما هى ﴿وَهُوَ﴾ الرّب ﴿قَدْ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ اى بما عند الله ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)﴾ تميز فى معنى المفعول اى احصى عدد كل شئ حتى القطر والرّمل.

* * *

سورة المزمل

مكيّة تسع عشر أو عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١)﴾ اى النّبى المتلفّف بثيابه من دهشة بدو الوحى واصله المتزمّل ادغمت التاء فى الزّاء ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ اى قم الى الصلوة فيه ﴿إِلَّا قَلِيلًا (٢)﴾ منه ﴿نِّصْفَهُ﴾ بدل من قليلا وقلّته بالنّسبة الى الكلّ ﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ﴾ اى من النّصف ﴿قَلِيلًا (٣)﴾ الى الثّلث ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ على النّصف الى الثّلثين واو للتّخيير بين قيام النّصف بتمامه والنّاقص عنه والزّائد عليه ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)﴾ اى اقرأه على سكينة وتبيين حروف بحيث تمكّن السّامع من عدّها لينفتح عليك وعلى من حضرك اسراره ويستنير القلوب بنوره ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ قرآنا ﴿ثَقِيلًا (٥)﴾ مهيبا او شديدا لما فيه من التّكاليف الشّاقة على المكلّفين سيّما عليك اذ تتحملها وتحملها امّتك والجملة اعتراض تسهّل عليه التّكليف بالتّهجد ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ مصدر كالعافية بمعنى القيام بعد النّوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ اى كلفة فهى اكثر ثوابا لانّ الخير على قدر المشقّة او ثبات قدم على العبادة فانّ النّهار زمان التّقلب للمعاش واضطراب القلب فلا يكون القائم للعبادة فيه ثابت القدم عليها ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)﴾ اى اشد مقالا او اثبت قرائة لحضور القلب وسكون الاصوات ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧)﴾ اى تقلّبا فى مهمّاتك واشتغالا بها فلا تتفرّغ فيه لمناجات الحقّ المستوعبة للفراغ فعليك بالتّهجد ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ اى دم على ذكره ليلا ونهارا وهو يتناول كلّ ما يذكر من تسبيح وتحميد وتهليل وصلوة وقرائة قرآن ودراسة علم ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ اى انقطع ﴿إِلَيْهِ﴾ بالعبادة ﴿تَبْتِيلًا (٨)﴾ وضعه موضع تبتلا لرعاية الفواصل وللاشارة الى انّ المقصود التّبتل لكنّه لا يحصل الاّ بتتبيل النّفس وقطعها عمّن سواه فكانّه

مؤكّد لفعله المحذوف المدلول عليه بالألتزام اى تبتّل اليه وبتّل نفسك عمّن سواه تبتيلا هو ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩)﴾ مسبّب عن التّهليل فانّ توحّده بالالوهيّة يقتضى ان توكّل اليه الأمور ولمّا ارشد رسوله الى كيفية معاملته مع ربّه اتبعه ببيان معاملته مع الخلق فقال ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ كفّار مكّة من الأذى ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠)﴾ بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافيهم وسلّمهم الىّ كما قال ﴿وَذَرْنِي﴾ اتركنى ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ فانا اكفيكهم واجازيهم وهم صناديد قريش ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ التّنعم ﴿وَمَهِّلْهُمْ﴾ زمانا ﴿قَلِيلًا (١١)﴾ وعلّل الأمر بالامهال بقوله ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ قيودا ثقلا جمع نكل بكسر النّون ﴿وَجَحِيمًا (١٢)﴾ نارا محرقة ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ يغصّ به فى الحلق كالضّريع والزّقوم ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣)﴾ غير ما ذكر لا يعرف كنهه الاّ الله ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لما فى لدينا من معنى الفعل ﴿تَرْجُفُ﴾ تزلزل ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا﴾ رملا مجتمعا ﴿مَهِيلًا (١٤)﴾ منثورا سائلا لا تتماسّ اجزائها وهو من هال يهيل واصله مهيول فاعلّ بنقل ضمّة الياء الى الهاء للثّقل ثمّ حذف الواو لالتقاء السّاكنين ثمّ كسر الهاء لمجانسة الياء ولمّا خوّفهم باهوال القيامة خوّفهم باهوال الدّنيا فقال ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا اهل مكّة ﴿رَسُولًا﴾ محمّد عليه الصّلوة ﴿شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة بما يصدر عنكم من طاعة او عصيان ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥)﴾ موسى لم يسم بذكر اسمه لانّ المقصود لا يتعلّق به ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ عرّفه بلام العهد لتقدّم ذكره ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦)﴾ ثقيلا ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ بقيتم على الكفر ﴿يَوْمًا﴾ اى عذابه مفعول تتقون ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ﴾ اى الأطفال لو فرض وجودهم حينئذ ﴿شِيبًا (١٧)﴾ لشدّة هوله جمع اشيب والأصل ضم شينه كسرت لمجانسة الياء ﴿السَّمَاءُ﴾ مع عظمها واحكامها مبتدأ خبره ﴿مُنفَطِرٌ﴾ منشق والتّذكير على تأويل السّقف او اضمار شئ ﴿بِهِ﴾ اى بشدّة ذلك اليوم فضلا عن غيرها ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ تعالى بمجيء ذلك اليوم ﴿مَفْعُولًا (١٨)﴾ كائنا لا محالة ﴿إِنَّ هَٰذِهِ﴾ الآيات المخوّفة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ ان

يتّعظ ﴿اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (١٩)﴾ طريقا بالأيمان والتّقوى ولمّا افرض فى اوّل السّورة القيام وامتثله النّبى واصحابه سنة حتى انتفخت اقدامهم خفّف عليهم بنسخ الوجوب فقال ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى﴾ اقلّ ﴿مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾ بالنّصب عطف على ادنى وكذا ﴿وَثُلُثَهُ وَ﴾ يقوم كذلك ﴿طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ اى جماعة من الصّحابة ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ اى لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الاّ هو ﴿عَلِمَ أَنْ﴾ مخفّفة اى انه ﴿لَنْ تُحْصُوهُ﴾ اى اللّيل لتقدروا المقدار الواجب فمنكم من يقيم الجميع احتياطا وذلك ممّا يشقّ عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ بالترّخيص فى ترك القيام المقدّر ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ اى صلوا ما تيسّر من صلوة اللّيل عبّر عنها بالقرائة كما عبّر عنها بسائر اركانها ثمّ استأنف بيان حكمة اخرى مقتضية للترّخيص فقال ﴿عَلِمَ أَنْ﴾ اى انه ﴿سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ اى يسافرون ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ كالتّجارة وتحصيل العلم ﴿وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كما تقدّم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبة ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بانفاق المال فى سائر سبل الخير ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ من الّذى تؤخّرونه الى الوصيّة عند الموت او من متاع الدّنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوا وهو تاكيد او فصل لانّ افعل من كالمعرفة لأمتناعه من التّعريف ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ فى جميع احوالكم لانّ الانسان لا يخلو من قصور ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)﴾ للمستغفرين.

* * *

سورة المدثر

مكية وآيها خمس او ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ... ﴾ اى النّبى المتدثّر المغطّى بالدّثار ارتعادا ورعبا من الملك الّذى ناداه جهرا على سرير بين السّماء والأرض كالنّور المثانى ﴿قُمْ﴾ من مضجعك ﴿فَأَنْذِرْ (٢)﴾ خوّف قريشا بالنّار ان لم يؤمنوا ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)﴾ اى صفه بالكبرياء بقول الله اكبر واعتقاد انّه منزّه عن الشّركاء والأشباه ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)﴾ عن النّجاسة بغسلها او تقصيرها حتى لا تنجرّ ذيولها على النّجاسة كثياب العرب فانّ تطهير الثياب واجب فى الصّلوة محبوب فى غيره وامّا تطهير البدن فواجب مطلقا الاّ لضرورة ﴿وَالرُّجْزَ﴾ اى الأوثان ﴿فَاهْجُرْ (٥)﴾ اى دم على هجره ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦)﴾ بالرّفع حال اى لا تعط شيئا طالبا اكثر منه لانّه غاية الحرص والبخل نهى تحريم خاص به عليه السّلام او تنزيه فى حق جميع المكلّفين لانّ ذلك ليس بحرام منهم لقوله عليه السّلام المستغزر اى من يهب شيئا طامعا فى اكثر منه يثاب على هبته اى يعوّض عنها ﴿وَلِرَبِّكَ﴾ اى لوجهه او امره ﴿فَاصْبِرْ (٧)﴾ على مشاق التّكاليف واذى المشركين ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨)﴾ اى نفخ فى الصّور النّفخة الثّانية الفاء جواب الأمر فتجعل ما بعدها سببا وشرطا له واذا ظرف لما دلّ عليه جزائها وهو قوله ﴿فَذَلِكَ﴾ اى وقت النّقر مبتدأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل منه الاّ انّه بنى على الفتح لأضافته الى اذ المبنىّ المنوّن عوضا عن المضاف اليه والخبر ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)﴾ عليهم تاكيد ناف لليسر عنهم بالكلّيّة لانّه نكرة فى سياق النّفى فيعمّ جميع افراده وفيه تعريض بانّه يسير على المؤمنين ﴿ذَرْنِي﴾ اتركنى ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١)﴾ حال من ضمير من المحذوف اى منفردا بلا اهل ومال وهو الوليد بن مغيرة

﴿وحيدا﴾ ولا تعلم احدا (١١) ﴿وجعلت له﴾ بسطت له (١٢) ﴿مالا ممدودا﴾ مبسوطا كثيرا نامیا من الزروع والمواشي والتجارة (١٣) ﴿وبنين﴾ عشرة او اكثر (١٤) ﴿شهودا﴾ حضورا معه بمكة يتمتع بهم لا يحتاج الى السفر لكثرة ماله وحشمه (١٥) ﴿ومهدت له﴾ بسطت له (١٦) ﴿تمهيدا﴾ الرياسة والجاه العريض حتى لقب بريحانة قريش (١٧) ﴿ثم يطمع﴾ بعد ذلك (١٨) ﴿ان ازيد﴾ في اعطيته مع كفرانه ومعاندته (١٩) ﴿كلا﴾ ردع له عن طلب الزيادة وعلله على الاستيناف بقوله (٢٠) ﴿انه كان لآياتنا﴾ القرآن (٢١) ﴿عنيدا﴾ معاندا قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان مال حتى هلك (٢٢) ﴿سأرهقه﴾ اكلفه (٢٣) ﴿صعودا﴾ مشقة العذاب او جبلا من نار يصعد سبعين خريفا فيه ثم يهوى ابدا كما في الحديث وعلل هذا الوعيد بقوله (٢٤) ﴿انه فكر﴾ فيما يقول طعنا في القرآن (٢٥) ﴿وقدر﴾ في نفسه ذلك (٢٦) ﴿فقتل﴾ لعن وعذب (٢٧) ﴿كيف قدر﴾ اي على اي حال كان تقديره فهو تعجب من تقديره استهزاء به (٢٨) ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ في الاستعظام واللعن من الأولى اي للتفاوت في الرتبة لا الزمان بخلافها في (٢٩) ﴿ثم نظر﴾ في امر القرآن مرة بعد اخرى (٣٠) ﴿ثم عبس﴾ قبض وجهه لما لم يجد فيه طعنا (٣١) ﴿وبسر﴾ زاد في القبض (٣٢) ﴿ثم أدبر﴾ عن الايمان (٣٣) ﴿واستكبر﴾ عن اتباع الرسول (٣٤) ﴿فقال﴾ عقيب نحوه وعدم قدرته الطعن فيه عنادا لا اعتقادا (٣٥) ﴿إن﴾ ما (٣٦) ﴿هذا﴾ القرآن (٣٧) ﴿إلا سحر يؤثر﴾ يروى ويتعلم جعل كالتأكيد له قوله (٣٨) ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ (٣٩) ﴿سأصليه سقر﴾ بدل من سأرهقه صعودا (٤٠) ﴿وما أدراك ما سقر﴾ تعظيم لشأنها ويجعل بيانا له قوله (٤١) ﴿لا تبقي﴾ اي لا ترحم على شئ القي فيه (٤٢) ﴿ولا تذر﴾ اي لا تدعه حتى تملكه او لا تبقي لهم لحما الا اكلته ولا تذرهم اذا اعيدوا خلقا جديدا الا اكلتهم مرة اخرى (٤٣) ﴿لواحة للبشر﴾ اي مغيرة مسودة لظاهر الجلد او لائحة للناس من مسير خمسمائة عام (٤٤) ﴿عليها تسعة عشر﴾ ملكا او صفا من الملائكة يلون امرها ووجه تخصيص هذا العدد في القاضي ولما سمع ابوجهل هذا قال لقريش ثكلتكم امكم ايعجز كل عشرة او مائة منكم ان يبطش بواحد

منهم وتخرجوا من النّار فقال ابو الاشد وكان من شجعانهم انا اكفيكم سبعة عشر واكفونى انتم الاثنين فنزل ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ ليخالفوا جنس المعذّبين فلا يرحموهم ولا يطاقون كما يتوقعون ﴿وما جعلنا عدتهم﴾ ذلك ﴿إلا فتنة﴾ ضلالا ﴿ليستيقن﴾ بان يقولوا استهزاء لما كانوا تسعة عشر وكيف يتولّى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثّقلين ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ صدق النّبى والقرآن لمّا رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ بتصديق اهل الكتاب له وموافقته لكتابهم ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ فى ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الأيمان ﴿وليقول الذين فى قلوبهم مرض﴾ شكّ ﴿والكافرون﴾ الجازمون فى التّكذيب ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ العدد ﴿مثلا﴾ حال من هذا العدد اطلق عليه على سبيل الاستعارة حيث شبّه بالمثل المضروب الّذى هو القول السّاير فى الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما بل ناقصا عنه بواحد والاستفهام لانكار انّه من عند الله اى اىّ شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل ﴿كذلك﴾ اى مثل اضلال منكر هذا العدد وهدى مصدّقه ﴿يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء﴾ ولمّا استقلّوا الخزنة قال تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ لكثرتها فلا يعسر عليه زيادة الخزنة ولكن له فى اختيار هذا العدد حكمة عجيبة منها التّنبيه على انّه لا يحتاج فى تعذيب الكفار والعصاة الى اعوان وانصار كثيرة ﴿وما هى﴾ اى سقر ﴿إلا ذكرى﴾ تذكرة وعظة ﴿للبشر (٣١) كلا﴾ ردع لمن انكرها ﴿والقمر (٣٢) والليل إذ أدبر (٣٣)﴾ اى مضى ﴿والصبح إذا أسفر (٣٤)﴾ اضاء ﴿إنها﴾ اى سقر ﴿لإحدى الكبر (٣٥)﴾ اى احدى البلايا العظام والجملة جواب القسم او تعليل لكلاّ والقسم بجوابه المحذوف معترض للتاكيد ﴿نذيرا﴾ تميز من النّسبة اى انّها لاحدى الكبر انذارا او حال من اسم انّ وحذف التّاء منه امّا لانّه فى تأويل شيئا نذيرا او من باب النّسب اى ذات نذير ﴿للبشر (٣٦) لمن شاء منكم﴾ بدل من البشر ﴿أن يتقدم﴾ الى الخير والجنّة بالأيمان ﴿أو يتأخر (٣٧)﴾ الى الشر والنّار بالكفر ﴿كل نفس بما كسبت رهينة (٣٨)﴾ مصدر

بمعنى المفعول اى مرهونة عند الله بمقابلة ما اوجب عليها من التّكاليف فلا تنفك ما لم تؤدّها ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩)﴾ فانّهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كائنين ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠)﴾ بينهم ﴿عَنِ﴾ احوال ﴿الْمُجْرِمِينَ (٤١)﴾ من [illegible] ﴿(٤٢)﴾ هذا بجوابه حكاية من قبل المسؤلين لما جرى بينهم وبين المجرمين بمعنى انّ المسؤلين قالوا لمن سألهم قلنا لهم ما سلككم فى سقر فاجابوا بان ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣)﴾ ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)﴾ ما يجب اعطائه ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ فى الباطل ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥)﴾ ﴿وَكُنَّا﴾ بعد ذلك كلّه ﴿نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)﴾ اى البعث والجزاء ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)﴾ الموت ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ﴾ الفاء سببية دخلت على المسبب اى اذا ثبت انّهم اعترفوا بذنوبهم ثبت انّه لا تنفعهم ﴿شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾ لو شفعوا لهم جميعا ولمّا بيّن انّ المجرمين لا تنفعهم الشّفاعة عجب عن اصرار كفّار مكّة واعراضهم عن التّذكر بالقرآن فقال ﴿فَمَا﴾ مبتدأ خبره ﴿لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ﴾ اى القرآن او ما يعمّه متعلّق بقوله ﴿مُعْرِضِينَ (٤٩)﴾ حال من الضّمير المجرور فى لهم وكذا ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾ جمع حمار ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠)﴾ والمعنى ايّ شئ حصل لهم معرضين عن الأتعاظ مشابهين بحمر نافرة وحشيّة ﴿فَرَّتْ﴾ هربت ﴿مِن قَسْوَرَةٍ (٥١)﴾ اى اسد ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ﴾ من الله ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢)﴾ تنشر وتقرأ عليه وذلك لانّهم قالوا للنّبى لن نتّبعك حتى تأتى كلاّ منّا بكتاب من السّماء فيه هذا كتاب من عند الله الى فلان بن فلان اتبع محمّدا ﴿كَلَّا﴾ ردع عمّا طلبوا ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣)﴾ فلذلك اعرضوا عن التّذكرة لا لامتناع ايتاء الصّحف ﴿كَلَّا﴾ ردع عن اعراضهم ﴿إِنَّهُ﴾ القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ (٥٤)﴾ عظة ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥)﴾ قرئه واتّعظ به ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذكرهم ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ﴾ اى حقيق بان يتقى عقابه ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)﴾ اى حقيق بان يغفر لعباده سيّما المتقين منهم.

* * *

سورة القيامة

مكيّة تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)﴾ اى المتقية الّتى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة او المطمئنّة اللاّئمة للنفس الأمّارة ضمّها الى يوم القيامة لانّ المقصود من اقامتها مجازاتها والكلام فى كلمة (لا) مرّ فى الواقعة[1] وجواب القسم محذوف انكم لتبعثنّ دلّ عليه ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ﴾ اى الكافر مطلقا او من نزلت فيه وهو عدىّ بن ربيعة قال للنبى لمّا اخبره بالبعث لو عاينت ذلك لم اصدّقك او يجمع الله هذه العظام ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣)﴾ بعد تفرقها ﴿بَلَى﴾ نجمعها ﴿قَادِرِينَ﴾ مع جمعها ﴿عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)﴾ وهو اطراف الأصابع اى نعيد عظامها كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ﴾ الثّبات على ماهو عليه من عدم التقييد بقيود الأيمان والطّاعة ﴿لِيَفْجُرَ﴾ اى ليدوم على الفجور ﴿أَمَامَهُ (٥)﴾ اى فيما يستقبله من الزمان وبل للعطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما على انّ الأضراب عن المستفهم عنه مع بقاء اصل الأستفهام على حاله كانه قيل منشأ انكار البعث حسبان عجزنا او ارادة المداومة على العصيان وان يكون ايجابا على انّ الأضراب عن الاستفهام الى الأخبار عن حال هو ادخل فى اللّوم عليه من الاوّل ﴿يَسْأَلُ﴾ استهزاء وتكذيبا ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧)﴾ تحيّر فزعا من رأيته ما كان يكذّبه ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨)﴾ ذهب ضوأه ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩)﴾ فى ذهاب الضوأ او الطّلوع من المغرب ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠)﴾ اى الفرار ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَزَرَ (١١)﴾

---

[1] - آية: ٧٥

اى لا ملجأ ثمة يتحصّن به ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ اى الى حكمه ﴿يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢)﴾ اى استقرار امور العباد فيحكم فيهم كما يشاء ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣)﴾ اى باوّل عمله وآخره او بما عمل من طاعة او معصية وبما لم يعمل من طاعة ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤)﴾ حجّة بيّنة من حيث انّه شاهد على نفسه تنطق جوارحه بعملها فلا يحتاج الى الأنباء ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)﴾ جمع معذرة على غير القياس فانّ قياسه معاذر اى ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه ولمّا كان عليه السّلام يهتمّ بحفظ القرآن فحرك لسانه قبل فراغ جبرائيل ويسأله فى اثناء القرائة عن مشكلات معانيه فنهاه عن ذلك بقوله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ﴾ اى بالقرآن ﴿لِسَانَكَ﴾ قبل ان يتمّ وحيه ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦)﴾ اى لتاخذه على عجلة خوف ان ينفلت منك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ فى صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ (١٧)﴾ اى اثبات قرائته فى لسانك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ عليك بلسان جبرئيل ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨)﴾ قرائته وتكرّر فيه حتى يرسخ فى ذهنك ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)﴾ اى بيان ما اشكل عليك من معانيه ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انّه وقع له عليه السّلام استعجال فى حفظه قبل فراغ جبرائيل فنهى عن ذلك فى اثناء الكلام او انّه لما اخبر عن الكفّار انّهم يحبّون العاجلة بقوله ليفجر امامه بيّن انّ العجلة مذمومة مطلقا حتى فى امور الدّنيا ﴿كَلَّا﴾ ردع للرّسول عن عادة العجلة واضرب عن هذا الرّدع معمّما للخطاب تنبيها على انّ الانسان مجبول على الاستعجال فينبغى ان يجاهد نفسه ولا يخلى بينها وبين ما جبلت عليه فقال ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠)﴾ الدّنيا ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)﴾ فلا يعملون لها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ اى فى الآخرة ﴿نَّاضِرَةٌ (٢٢)﴾ حسنة مضيئة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عمّا سواه لكن هذا فى بعض الأحوال فلا ينافى نظرها الى غيره ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤)﴾ شديد العبوس ﴿تَظُنُّ﴾ يتوقع اصحابها ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)﴾ داهية عظيمة تكسر فقار الظّهر ﴿كَلَّا﴾ ردع عن اختيار الدّنيا على الآخرة ﴿إِذَا بَلَغَتْ﴾ النفس المفهومة من الكلام ﴿التَّرَاقِيَ (٢٦)﴾ اعلى الصدر ﴿وَقِيلَ﴾ اى قال من

حوله ﴿بل لا [illegible]﴾ اى من بريقه ليشفى ممّا به ﴿وظنّ﴾ اى ايقن المحتضر حين عاين ملك الموت ﴿أنّه﴾ اى ما نزل به ﴿الفراق (٢٨)﴾ فراق الدنيا المحبوبة ﴿والتفّت الساق [illegible] (٢٩)﴾ اى احدى ساقيه بالأخرى عند الموت فلا يقدر على تحريكها او شدة فراق الدّنيا بشدة خوف الآخرة وجواب اذا محذوف دلّ عليه قوله ﴿إلى ربّك﴾ اى حكمه ﴿يومئذ المساق (٣٠)﴾ سوقه ﴿فلا صدّق﴾ الأنسان المذكور فى ايحسب الأنسان بما يجب تصديقه ﴿ولا صلّى (٣١)﴾ ما فرض عليه ﴿ولكن كذّب وتولّى (٣٢)﴾ عن الطّاعة ﴿ثمّ ذهب إلى أهله يتمطّى (٣٣)﴾ يتبختر افتخارا بذلك ﴿أولى لك فأولى (٣٤)﴾ من الولى بمعنى قرب اى اولاك الله ما تكرهه فاللاّم زائدة فى المفعول الأوّل كما فى ردف لكم او اسم تفضيل بمعنى احقّ واحرى لك الملاك ﴿ثمّ أولى لك فأولى (٣٥)﴾ المراد تكرير لذلك عليه مرة بعد اخرى كما فى فارجع البصر كرّتين ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى [illegible]﴾ مهملا لا يكلّف ولا يجازى ﴿ألم يك نطفة من منيّ يمنى (٣٧)﴾ يصب فى الرّحم ﴿ثمّ كان علقة﴾ المنى ﴿علقة فخلق﴾ الله منه الانسان ﴿فسوّى (٣٨)﴾ عدّل اعضائه ﴿فجعل منه﴾ اى من المنىّ الّذى صار علقة فمضغة ﴿الزّوجين﴾ الصّنفين ويبدل منهما ﴿الذّكر والأنثى (٣٩)﴾ يجتمعان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر اخرى ﴿أليس ذلك﴾ الفعال لهذه الاشياء ﴿بقادر على أن يحيى الموتى (٤٠)﴾ كان عليه السّلام يقول عند قرائتها بلى انّه على كلّ شئ قدير.

* * *

سورة الإنسان

مكية أو مدنية إحدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هل أتى﴾ استفهام تقرير وتقريب للماضى من الحال ﴿على الإنسان﴾ اى جنسه ﴿حين من الدهر﴾ طائفة من الزمان محدودة فى نفسها لكن مبهمة الحد فى علمنا ويجعل حالا من الأنسان ﴿لم يكن شيئا مذكورا (١)﴾ بالإنسانية بل كان شيئا خاملا لا يعرف وذلك حين كونه عنصرا او نطفة كما قال ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة﴾ او المراد بالأوّل آدم حيث اتى عليه اربعون سنة وهو جسد مصوّر من الطّين لم يعرف بالانسانية وبهذا بنيه ﴿أمشاج﴾ اخلاط جمع مشج لانّ المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكلّ منهما مختلفة الاجزاء فى الرّقة والقوام والخواص ولذلك يصير كلّ جزء منها مادة عضو ﴿نبتليه﴾ نختبره بالتّكليف والجملة استيناف او حال مقدّرة اى مريدين ابتلائه حين تأهّله ﴿فجعلناه﴾ بسبب ذلك ولذا عطف عليه بالفاء ﴿سميعا بصيرا (٢)﴾ ليتمكّن من مشاهدة الدّلائل واستماع الآيات ﴿إنا هديناه السبيل﴾ بيّنا له طريق الهدى ببعث الرّسل ﴿إما شاكرا وإما كفورا (٣)﴾ حالان من الهاء اى بينا له فى حالة شكره وكفره جميعا واما لتفصيل الأحوال ﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا﴾ بما يقادون الى النّار ﴿وأغلالا﴾ فى اعناقهم تشدّ فيها السّلاسل ﴿وسعيرا (٤)﴾ بما يحرقون ﴿إن الأبرار﴾ جمع برّ او بارّ وهم المطيعين ولو بعد التّوبة ﴿يشربون من كأس﴾ خمر تسمية للحال باسم المحلّ ﴿كان مزاجها﴾ اى ما يمزج بها ﴿كافورا (٥)﴾ ماء فى الجنّة يشبه الكافور فى رائحته وبياضه لا طعمه ومضرته ويبدل منه ﴿عينا يشرب بها﴾ الباء زائدة او حال من مفعول يشرب المحذوف اى يشربها ملتذّا بها ﴿عباد الله يفجرونها تفجيرا (٦)﴾ اى يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا والجملة صفة ثانية

لعينا او حال من عباد الله ثم استأنف ببيان ما رزقوه لاجله فقال ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ اى بما اوجبوا على انفسهم من الطّاعات فبما اوجب الله عليهم بطريق الأولى فهو ابلغ فى وصفهم باداء الواجبات ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ﴾ شدائده ﴿مُسْتَطِيرًا (٧)﴾ منتشرا وهو يوم البعث والجزاء وفيه اشعار بحسن عقيدتهم ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ حبّ الله او الطّعام او الأطعام ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨)﴾ محبوسا ولو من الكفّار قائلين بلسان الحال او المقال ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾ خالصا لطلب مرضاته روى انّ عايشة كانت تبعث الصدقة الى اهل بيت ثمّ تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله لتبقى ثواب الصّدقة لها خالصا عند الله ﴿لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاء وَلاَ شُكُورًا (٩)﴾ اى شكرا وعلّل ذلك بقوله ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا﴾ عذاب يوم ﴿عَبُوسًا﴾ تعبس فيه الوجوه لشدته ﴿قَمْطَرِيرًا (١٠)﴾ شديد العبوس ﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ بسبب خوفهم وتحفظهم منه ﴿وَلَقَّاهُمْ﴾ اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم ﴿نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ اى بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وصرف الأموال ﴿جَنَّةً﴾ ادخلوها ﴿وَحَرِيرًا (١٢)﴾ البسوه ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ﴾ السّرر فى الحجال حال من هم فى جزاهم كذا ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا (١٣)﴾ لا حرّا ولا بردا ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريبة عطف على محلّ لا يرون اى غير رائين ﴿عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا﴾ اى ظلال ما فيها من الاشجار اى لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظلة ﴿وَذُلِّلَتْ﴾ حال ايضا بتأويل ومذلّلة ﴿قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٤)﴾ اى جعلت ثمارها سهلة التّناول للقائم والقاعد والمضطجع سمّيت الثّمار قطفا لانه يقطف كما يسمى جنا لانه يجنى ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ﴾ جمع اناء كائنة ﴿مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب اى اقداح بلا عروة فيكون تخصيصا بعد تعميم ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥)﴾ خبر كان ان جعلت ناقصة وحال ان جعلت تامة بمعنى وجدت والجملة صفة اكواب وقوله ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ بدل منه للأيضاح والبيان من حيث بيّن انّها من فضّة بمعنى انّها جامعة بين صفاء الزّجاجة وبياض الفضّة

ولينها ويجعل صفة منها ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦)﴾ اى قدّر الشّاربون مقاديرها واشكالها فى انفسهم فجاءت كما قدروا وتمنّوا من غير زيادة ونقصان ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ خمرا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ ما تمزج به ﴿زَنجَبِيلاً (١٧)﴾ ماء يشبه الزّنجبيل فى بعض اوصافه ويبدل منه لدفع توهّم كونها لدوغة كالزنجبيل قوله ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً (١٨)﴾ لسلاسة نزولها فى الحلق ثم شرع فى ذكر اوصاف الخدم الّذين يطوفون عليهم بذلك المشروب فى تلك الأوانى فقال ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ بصفة الولدان لا يشيبون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحسنهم وانشارهم فى الخدمة وانعكاس شعاع بعضهم على بعض ﴿لُؤْلُؤًا مَنثُورًا (١٩)﴾ اى المتفرق من سلكه او صدفه وهو متفرقا احسن منه منظوما لوقوع شعاع بعضه على بعض ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ نزّل منزلة اللاّزم اى اذا وجدت منك الرّأية فى الجنّة وقيل مفعوله ثمه على انّه اسم لا ظرف اى اذا رأيت ذلك الموضع ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يوصف ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)﴾ واسعا لا غاية له وفى الحديث ادنى اهل الجنّة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه ﴿عَالِيَهُمْ﴾ حال من هم فى عليهم وفاعله ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ اى الديباج الرّفيع الفاخر ﴿خُضْرٌ﴾ صفة ثياب ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ عطف على (ثياب) بتقدير المضاف اى ثياب استبرق، وهو الدّيباج الغليظ الّذى له برق فى الرّحمن[1] انّه بطانة ﴿وَحُلُّوا﴾ عطف على (يطوف عليهم) لانّه ايضا مضارع ذكر بلفظ الماضى لتحقّق وقوعه ﴿أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ وفى موضع آخر ﴿من ذهب﴾[2] ويفهم من آخر[3] انّها من لولؤ. وقد مرّ فى الكهف[4] التّوفيق بينها ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)﴾ يريد نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه اليه ووصفه بالطّهوريّة فانّه مطهّر شاربه عن الميل الى اللّذات الحسّية والرّكون الى ما سوى الحقّ فيتجرّد لمطالعة جماله متلذّذا

---

[1] - آية: ٥٤

[2] - سورة الكهف: ٣١

[3] - سورة الحج: ٢٣

[4] - آية: ٣١

بلقائه وهو منتهى درجة الصّديقين ولذلك ختم به ثواب الأبرار يقال لهم ﴿إِنَّ هذا﴾ الثّواب المذكور ﴿كانَ لَكُمْ جَزاءً وَكانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (٢٢)﴾ مجازا عليه غير مضيّع ولما ذكر فى القرآن اصناف الوعد والوعيد وكان الأتعاظ به موقوفا على تصديق المبلّغ بيّن انّ ما بلّغه اليهم ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة بل هو وحى الهى تفرّد بتنزيله منجما آية بعد آية لحكمة اقتضته فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تاكيد ﴿نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بتأخير نصرك على من يعاديك ﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (٢٤)﴾ اى كلّ واحد من مرتكب الأثم الدّاعى لك اليه من الغالى فى الكفر الداعى اليه وأو للدّلالة على انّهما سيّان فى استحقاق العصيان والتّقسيم باعتبار ما يدعونه اليه ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥)﴾ اى داوم على ذكره او دم على صلوة الفجر والظّهر والعصر فانّ ما بعد الزّوال الى الغروب اصيل ﴿وَمِنَ﴾ اى بعضه ﴿اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ اى فصلّ له المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦)﴾ اى تهجّد له طائفة طويلة من اللّيل كما مرّ فى المزمّل[1] ﴿إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ﴾ الدّنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ اى خلف ظهورهم ﴿يَوْماً ثَقِيلاً (٢٧)﴾ شديدا لا يعملون له ﴿نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَشَدَدْنا﴾ قوّينا ﴿أَسْرَهُمْ﴾ اعضائهم ومفاصلهم بالاعصاب ﴿وَإِذا شِئْنا﴾ اهلكناهم و ﴿بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٨)﴾ فى الخلق وشدّة الاسر يعنى النّشاة الثانية ولذا جىء باذا او بدّلنا غيرهم ممّن يطيع واذا لتحقّق قوة الدّاعية او بمعنى ان لانّه لم يشأ ذلك ﴿إِنَّ هذِهِ﴾ السّورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩)﴾ طريقا بالطاعة ﴿وَما تَشاؤُونَ﴾ ذلك ﴿إِلاَّ﴾ وقت ﴿أَنْ يَشاءَ اللَّهُ﴾ مشيّتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً﴾ بما يستأهل كل احد ﴿حَكِيماً (٣٠)﴾ لا يشاء الاّ ما يقتضيه حكمته ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية والتّوفيق للطّاعة ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ اى الكافرين منصوب بنحو اوعد يفسّره ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (٣١)﴾

* * *

[1] - آية: ٧

سورة المرسلات

خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والمرسلات﴾ اى الملائكة الّتى ارسلهنّ الله باوامره ﴿عرفا (١)﴾ حال اى متتابعة يتلوا بعضها بعضا كعرف الفرس فهو من باب التّشبيه البليغ او الاستعارة ﴿فالعاصفات عصفا (٢)﴾ اى فعصفن ونزلن بشدّة عصف الرّياح فى امتثال امره ﴿والناشرات نشرا (٣)﴾ اى نشرن الشّرايع فى الأرض اتى فيه بالواو الدّالة على مطلق الجمع على خلاف ما قبله لانّه ليس ممّا يحصل عقيب الأرسال بلا مهلة بل بتراخى وتعب كثير من الأنبياء ﴿فالفارقات فرقا (٤)﴾ اى فرقن بين الحقّ والباطل عقب النّشر ﴿فالملقيات ذكرا (٥)﴾ اى القين الى الأنبياء الذّكر والوحى الى ان ينزل ﴿اليوم اكملت لكم دينكم﴾[1] وهذا ايضا عقب النّشر والفرق بلا مهلة ويجوز ان يكون المقسم به آيات القرآن المرسلة الى محمّد او النّفوس الكاملة المرسلة الى الأبدان او رياح العذاب ورياح الرّحمة والتّفصيل فى القاضى فراجعه ويدل من ذكرا على انّ المراد به الوحى ﴿عذرا﴾ للمحقّين مصدر لعذر اذا محى الأساءة ﴿او نذرا (٦)﴾ للمبطلين اسم مصدر بمعنى الأنذار والتّخويف وجواب القسم ﴿إنّما توعدون﴾ يا كفّار مكّة من البعث والجزاء ﴿لواقع (٧)﴾ كائن لا محالة ﴿فإذا النجوم طمست (٨)﴾ ذهب نورها ﴿وإذا السماء فرجت (٩)﴾ انشقت ﴿وإذا الجبال نسفت (١٠)﴾ فتتت وسيّرت كحبّ ينسف فى الهواء لتخليصه من التّبن ﴿وإذا الرسل أقتت (١١)﴾ اى عيّن لهم وقتهم الّذى يحضرون فيه للشّهادة على الأمم بحصوله فانّه لا يتعيّن لهم قبله وان تعيّن انّ لهم يوم مّا لذلك فلا يرد انّه تعيّن لهم فى الدّنيا فكيف يكون تعيّنهم من علامات القيامة ﴿لأيّ يوم أجلت (١٢)﴾

---

[1] – سورة المائدة: ٣

بتقدير القول والاستفهام لتعظيم ذلك اليوم والتعجب من هوله اى يقال لاىّ يوم اخّرت هذه الأمور المذكورة على انّه جواب اذا او لاىّ اخّرت الرّسل والأمور المتعلّقة بجمعهم على انّه حال من مرفوع اقّتت وجواب اذا حينئذ نحو وقع ما توعدون او جوزيتم على اعمالكم حذف لدلالة انّما توعدون لواقع عليه ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣)﴾ بيان ليوم التأجيل ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ اى من اين تعلم كنهه ولم تر مثله ﴿وَيْلٌ﴾ مبتدأ مخصّص بما خصّص به نحو سلام عليكم و ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرفه او صفته وخبره ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)﴾ ومر فى سورة القمر[1] وجه تكرير امثالها وقيّد القاضى بعضها بما يدفع التّكرار فراجعه والمقصود من هذه السّورة تخويف الكفار سواء بالأمور الأخرويّة او الدنيويّة ولذا قال ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦)﴾ كقوم نوح وعاد وثمود ﴿ثُمَّ﴾ نحن س ﴿نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧)﴾ ممّن كذّبوا ككفار مكّة ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل فعلنا بالمكذّبين ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨)﴾ اى بكلّ من اجرم فيما يستقبل ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ... أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠)﴾ ضعيف وهو المنى ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ...﴾ حريز وهو الرّحم ﴿إِلَى قَدَرٍ﴾ مقدار ﴿مَعْلُومٍ (٢٢)﴾ وهو تسعة اشهر او اقلّ الى ستّة او اكثر الى اربع سنين بحسب ارادة الله ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣)﴾ نحن ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ... أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥)﴾ مصدر كفت بمعنى ضمّ اى ضامة ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ...﴾ منصوبان بكفاتا على المفعولية اى تضمّ احياء الى ظهرها واموانا الى بطنها وتكريرهما للتبعيض لانّ المراد احياء واموات الأنس او للتعظيم كما فى ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾ اى جبالا مرتفعات ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧)﴾ عذبا بخلق الأنهار والمنابع فيها ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)﴾ يقال لهم فى ذلك اليوم ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ...﴾ من العذاب ﴿انْطَلِقُوا﴾ خصوصا ﴿إِلَى ظِلٍّ﴾ اى دخان جهنّم ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ...﴾ اى المتفرّق ثلاث فرق لعظمه ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ صفة ظلّ اى ظلّ غير ظليل لهم من حرّ ذلك اليوم فائدته ردّ ما اوهم لفظ الظلّ وقوله ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١)﴾ فى

---

[1] - آية ٤٠

موضع الحرّ عطف عليه اى وغير مغن عنهم من حرّ اللّهب شيئا ﴿إِنَّهَا﴾ اى النّار ﴿تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ جمع شررة وهو ما تطاير منها كلّ منها ﴿كَالْقَصْرِ (٣٢)﴾ اى من البناء فى عظمته وارتفاعه ﴿كَأَنَّهُ﴾ اى كلّ منها فى هيئته ولونه لما فيه من النّارية ﴿جِمَالَتٌ﴾ جمع جمل ﴿صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هذا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ (٣٥)﴾ فيه بشئ من فرط الدّهشة ولعلّه فى بعض المواقف لانّهم قد ينطقون ﴿وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦)﴾ عطفه على يؤذن ليدلّ على نفى الأذن والأعتذار عقبه مطلقا اذ لو جعل جوابا لاوهم انّ لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين الحق والمبطل قرّره وبيّنه بقوله ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾ ايّها المكذّبون من هذه الأمة ﴿وَالأَوَّلِينَ (٣٨)﴾ من المكذّبين قبلكم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلة فى دفع العذاب عنكم ﴿فَكِيدُونِ (٣٩)﴾ وهو تخجيل لهم بانّهم كانوا فى الدّنيا يدفعون الحقوق عن انفسهم بالحيل والتّلبيسات واظهار لعجزهم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)﴾ ولمّا بيّن اجتماع انواع العذاب على الكفار بيّن اجتماع انواع السّعادة فى حقّ من يضادهم وهم من اتقوا الشّرك بالأيمان لتضاعف حسرتهم فقال ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى ظِلاَلٍ﴾ جمع ظل اى تكاثف الأشجار اذ لا شمس يظلّ من حرّها وهو فى مقابلة ما للكفار من ظل ذى ثلث شعب ﴿وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢)﴾ يقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال اى متهنين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ من الطاعات ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ (٤٤)﴾ فى العقيدة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦)﴾ حال من المكذّبين بتقدير القول اى يقال لهم تذكيرا لهم بحالهم فى الدّنيا وايثارهم الفانى على الباقى لا اباحة الاكل اذ لا نصيب لهم فى الآخرة اصلا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ فى الدّنيا ﴿ارْكَعُوا﴾ صلوا او اطيعوا ﴿لاَ يَرْكَعُونَ (٤٨)﴾ لا يمتثلون الأمر ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ اى القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ (٥٠)﴾ جواب لشرط محذوف وتعجّب من حالهم اى اذا لم يؤمنوا به مع كونه معجزا مشتملا على الحجج الواضحة والمعانى الشّريفة فبايّ كتاب يؤمنون.

سورة النبا

مكيّة احدى واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ اى عن اىّ شئ يسئل بعض قريش بعضا كانوا يتسائلون فيما بينهم عن البعث فنزّله تعالى منزلة المجهول عنده واستفهم عنه تفخيما لشأنه كانّه لفاخمته خفى جنسه عليه فسأل عنه بما يسأل به عن المجهول واصله عن ما حذفت الألف كما هو قاعدتها مع حروف الجرّ تخفيفا او فرقا بين ما الاستفهاميّة والاسمية وادغم النّون فى الميم لقرب مخرجهما ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢)﴾ بيان للمفخّم متعلّق بمحذوف دلّ عليه المذكور اى يتسائلون عن النّبأ العظيم ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)﴾ بان يجزم بنفيه بعضهم ويشك فيه بعضهم ﴿كَلَّا﴾ ردع عن التّسائل ﴿سَيَعْلَمُونَ (٤)﴾ عاقبة استهزائهم ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥)﴾ تكرير للمبالغة وثمّ للتّراخى الرّتبى اى للاشعار بانّ الوعيد الثّانى اشدّ ثم ذكر ما يدلّ على كمال قدرته ليستدلّوا بذلك على صحّة البعث فقال ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)﴾ اى فراشا ممهودا يتقلبون عليها كما يتقلّب المرأ على فراشه ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧)﴾ تثبت بها الأرض كما يثبت الخيام بالأوتاد ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨)﴾ ذكورا واناثا ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩)﴾ راحة لأبدانكم ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠)﴾ غطاء يستتر بظلمته من اراد الأختفاء ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١)﴾ وقت معاش تنقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ اى سبع سموات ﴿شِدَادًا (١٢)﴾ جمع شديدة اى قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الدّهور ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ مصباحا ﴿وَهَّاجًا (١٣)﴾ وقادا مضيئا يعنى الشّمس ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ اى السحائب جمع معصرة اسم فاعل من اعصرت السّحاب اذا حان لها

ان يعصرها الرّياح فتقطر ومنه اعصرت الجارية اى حان لها ان تعصر الطّبيعة رحمها فتحيض ولولا هذا المعنى لقرأ بفتح الصاد اسم مفعول لانّ الرّياح تعصرها وقد مرّ فى سورة النّور[1] تفصيل محلّ نزول الأمطار ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ (١٤)﴾ منصبّا بكثرة يقال ثجّه وثج بنفسه ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ ما يقتات به كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا (١٥)﴾ اى ما يعتلف من التّبن والحشيش ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿أَلْفَافًا (١٦)﴾ ملتفّة بعضها ببعض جمع لفيف كشريف واشراف لمّا ذكر مايدلّ على صحّة البعث اتبعه بذكر مايكون ما ينتهى عنده هذا النّظام المحسوس فقال ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائف ﴿كَانَ﴾ فى علم الله ﴿مِيقَاتًا (١٧)﴾ حدّا يوقت به الدّنيا وتنتهى عنده ويجعل عطف بيان له او بدلا ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ النّفخة الأخيرة ﴿فِي الصُّورِ﴾ القرن ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨)﴾ جماعات مختلفة من القبور الى المحشر فى الحديث يحشر النّمامون بصورة القردة واكلة الحرام بصورة الخنازير واكلة الرّبا منكوسين مسحوبين على وجوههم والجائرون فى الحكم عمى والمعجبون باعمالهم صمّا بكما والعلماء الّذين خالف قولهم عملهم مدلاة الالسنة على الصّدور يمضغونها والمؤذون جيرانهم مقطعة ايديهم وارجلهم والسّارعون بالنّاس الى السّلطان مصلّبين على جذوع من نار والتّابعون للشّهوات المانعون حقّ الله اشدّ نتنا من الجيف والمتكبرون ملبوسين جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم وامّا المتقون فباحسن صورة لكن تختلف بحسب مراتبهم ولم يذكروا فى هذا الحديث رأسا لانّ الأهتمام هنا ببيان هيآت اهل العصيان ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ شققت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ﴾ صارت ﴿أَبْوَابًا (١٩)﴾ ذات ابواب ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ فى الهواء كالهباء ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠)﴾ اى كالسراب فانّها ترى بصورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتّت اجزائها كما انّ السراب يرى فى صورة الماء وليس به ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١)﴾ اسم للمكان الّذى يرصد فيه ويرقب كالمضمار اى موضع رصد يرقب فيه خزنة النّار الكفّار او خزنة الجنّة المؤمنين

---

[1] - آية: ٤٣

ليحرسوهم منها فى مجارهم عليها ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ حال من ﴿مَآبًا (٢٢)﴾ مرجعا ومأوى ﴿لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا (٢٣)﴾ دهورا متتابعة بلا نهاية كلما مضى حقب وهو سبعون الف سنة او ثمانون سنة تبعه اخر ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نوما ليستريحوا به ﴿وَلَا شَرَابًا (٢٤)﴾ ما يشرب تلذذا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿حَمِيمًا﴾ ماء حارا غاية الحرارة ﴿وَغَسَّاقًا (٢٥)﴾ ما يسيل من صديدهم جزوا بذلك ﴿جَزَآءً وِفَاقًا (٢٦)﴾ موافقا اى ذا وفاق لأعمالهم المبيّنة بقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧)﴾ لأنكارهم البعث ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨)﴾ تكذيبا ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من الأعمال وغيرها منصوب بفعل يفسّره ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿كِتَابًا (٢٩)﴾ مكتوبا فى اللّوح المحفوظ او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ذكر على طريق الألتفات للمبالغة ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١)﴾ فوزا او مكان فوز ويبدل منه بدل اشتمال او بعض ﴿حَدَآئِقَ﴾ بساتين جمع حديقة ﴿وَأَعْنَابًا (٣٢)﴾ انواع الاشجار المثمرة ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جمع كاعبة جوارى كعبت واستدارت ثديهنّ ﴿أَتْرَابًا (٣٣)﴾ اى مستويات فى السن جمع ترب بكسر التاء وسكون الرّاء ﴿وَكَأْسًا﴾ خمرا ﴿دِهَاقًا (٣٤)﴾ مصدر بمعنى مدهق اى مالية محالّها ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ اى فى شربها ﴿لَغْوًا﴾ من الكلام ﴿وَلَا كِذَّابًا (٣٥)﴾ تكذيبا من بعضهم بعضا لعدم ذهاب عقولهم بها كخمور الدّنيا ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ جزاهم الله بذلك جزاء بمقتضى وعده فيكون تفضّلا فى الواقع ولهذا المعنى ابدل عنه ﴿عَطَآءً﴾ اى تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ ﴿حِسَابًا (٣٦)﴾ كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتّى قال حسبى ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بدل من ربّك ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ صفة له ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ اى الخلق ﴿مِنْهُ﴾ تعالى ﴿خِطَابًا (٣٧)﴾ مكالمة معه واعتراضا فى ثواب او عقاب وذلك لا ينافى الشّفاعة باذنه وقرّر هذا بقوله ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لا يملكون او لا يتكلّمون او متنازع فيه لهما على مذهب من يجوّز توسّطه بين الفعلين ﴿يَقُومُ الرُّوحُ﴾ جبرائيل ﴿وَالْمَلَٰئِكَةُ صَفًّا﴾ حال اى

مصطفّين ﴿لا يتكلّمون﴾ مع كونهم اولى بذلك لمناسبتهم مع الله وقلّة الوسائط بينهم وبينه لا لكونهم اكثر ثوابا حتى يلزم كونهم افضل من البشر ﴿إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ فى الشفاعة بدل من واو لا يتكلّمون كما هو المختار وان جاز نصبه على الاستثناء ﴿وَقَالَ﴾ ذلك المأذون له فيها ﴿صَوَابًا (٣٨)﴾ بان يشفع لمن ارتضى الله ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم المتقدّم مبتدأ خبره ﴿الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ اى الكائن الثّابت لا محالة ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ اى ثوابه والأمن من عذابه فى ذلك اليوم ﴿مَآبًا (٣٩)﴾ مرجعا بالإيمان والطّاعة ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ﴾ يا كفّار مكّة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ اى عذاب الآخرة الآتى وكلّ آت قريب وانّ مبدأه الموت كائنا ﴿يَوْمَ يَنظُرُ﴾ يرى ﴿الْمَرْءُ﴾ اى كلّ امرء مؤمنا كان او كافرا ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير او شرّ ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي﴾ والمنادى محذوف اى يا قوم ليتنى او جرّدت كلمة يا عن طلب الأقبال او جعلت بمنزلة الا واما للتّنبيه مجازا ﴿كُنتُ تُرَابًا (٤٠)﴾ فى الدّنيا فلم اخلق ولم اكلّف وقيل يرجوا حال البهائم حين يقول الله لها بعد الأقتصاص من بعضها لبعض كونى ترابا.

* * *

سورة النازعات

مكيّة ست واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والنّازعات﴾ اى ملائكة الموت الّتى تنزع ارواح الكفّار من ابدانهم ﴿غرقًا (١)﴾ نزعا شديدا يغرقون فى نزعها لانّه من اقصى الأبدان ﴿والنّاشطات نشطًا (٢)﴾ اى وتنشط ارواح المؤمنين اى تخرجها برفق ﴿والسّابحات سبحًا (٣)﴾ اى ويسبحون فى اخراجها سبح الغوّاص الّذى يخرج الشئ من اعماق البحار ﴿فالسّابقات سبقًا (٤)﴾ اى ويسبقون عقب ذلك بارواح الكفّار الى النّار وبارواح المؤمنين الى الجنّة ﴿فالمدبّرات أمرًا (٥)﴾ اى فيدبّرون امر ثوابها وعقابها ويجوز ان يكون المقسم به اشياء اخر كما فى القاضى وجواب القسم محذوف اى لتبعثنّ يا كفار مكّة وهو عامل فى ﴿يوم ترجف الرّاجفة (٦)﴾ اى الواقعة الّتى يرجف ويتزلزل كل شئ عندها فوصفت بما يحدث منها ﴿تتبعها الرّادفة (٧)﴾ اى التّابعة اى النّفخة الثّانية بينهما اربعون سنة لكن اليوم واسع لهما وغيرهما والجملة حال من الرّاجفة ﴿قلوب يومئذ واجفة (٨)﴾ خائفة مضطربة ﴿أبصارها﴾ اى ابصار اصحابها ﴿خاشعة (٩)﴾ ذليلة من الخوف ﴿يقولون﴾ ارباب القلوب والأبصار الآن انكارا للبعث ﴿أئنّا لمردودون فى الحافرة (١٠)﴾ اى انردّ فى الحالة الأولى بالحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان الى حافرته اذا رجع من حيث جاء ﴿أئذا﴾ اى انردّ اذا ﴿كنّا عظامًا نخرة (١١)﴾ بالية وفيه زيادة استبعاد للبعث ﴿وانّما﴾ استهزاء ﴿تلك﴾ اى رجعتنا الى الحيوة مبتدأ و ﴿إذًا﴾ جواب وجزاء بمعنى ان صحّت والخبر ﴿كرّة خاسرة (١٢)﴾ من باب النّسب كتامر او من قبيل اسناد الفعل اى الطرف لى ذات خسران او خاسر اصحابها قال تعالى ﴿فإنّما هى﴾ علّة لمحذوف اى لا نستبعدوا تلك الكرّة فانّما هى ﴿زجرة﴾ صيحة ﴿واحدة (١٣)﴾ هى النّفخة الثّانية ﴿فإذا هم

بالسّاهرة (١٤)﴾ اى بوجه الأرض احياء بعد ماكانوا ببطنها امواتا ولما اشتدّ همّ الرسول من اصرارهم على انكار البعث والاستهزاء به سلاّه وهدّدهم بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم فقال ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ استفهام تقرير اى قد اتاك ﴿حديثُ مُوسى (١٥)﴾ عامل فى ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦)﴾ كما مرّ فى طٰهٰ[1] فقال: ﴿اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾ ميل ﴿إِلى أَنْ تَزَكّى (١٨)﴾ تطهر من الكفر والطغيان ﴿وأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ اى ارشدك الى معرفته ﴿فَتَخْشى (١٩)﴾ تخافه عقبها وتعمل ما يحبّه ويرضاه ﴿فَأَرَاهُ﴾ بعد ما ذهب وبلّغه ذلك ﴿الآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠)﴾ من آياته التّسع وهى العصا ﴿فَكَذَّبَ وَعَصى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الطّاعة ﴿يَسْعَى (٢٢)﴾ حال اى ساعيا فى ابطال امره ﴿فَحَشَرَ﴾ جمع السحرة او جنوده ﴿فَنَادَى (٢٣)﴾ فيهم ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلى (٢٤)﴾ لا ربّ فوقى ﴿فَأَخَذَهُ اللّٰهُ﴾ اى اهلكه بالغرق ﴿نَكَالَ الآخِرَةِ﴾ اى عقوبة كلمته الآخرة وهى هذه ﴿والأُولى (٢٥)﴾ وهى قوله قبلها ما علمت لكم من اله غيرى ﴿إِنَّ فى ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى (٢٦) أَأَنْتُمْ﴾ ايّها المنكرون للبعث ﴿أَشَدُّ﴾ اصعب ﴿خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ اشدّ خلقا ثمّ بيّن كيفية خلقها فقال ﴿بَنَاهَا (٢٧)﴾ ثمّ بيّن البناء فقال ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ اى جعل مقدار ارتفاعها من الأرض رفيعا بخمسمأية سنة وكذا ثخنها الذاهب فى العلو وثخن كلّ طبقة منها ومابين كلّ طبقتين منها ﴿فَسَوّٰاهَا (٢٨)﴾ جعلها مستوية بلا عيب او تمّمها وكمّلها بالكواكب ﴿وأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ اى اظلمه بان امر جبرائيل فمسخ بجناحه وجه علامتها وهو القمر فانطمس نوره لينفرق اللّيل والنّهار فالخطوط الّتى ترى فى وجهه امثال السّواد هى آثار ذلك المحو واضافة اللّيل الى السّماء لحدوثه بحركتها ﴿وأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩)﴾ ابرز ضوأ شمسها ﴿والأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ﴾ منصوب بفعل يفسّره ﴿دَحَاهَا (٣٠)﴾ بسطها ومرّ فى البقرة[2] بيان ما هو اسبق خلقا من السّموات والأرض ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بتقدير قد من المفعول ﴿مِنْهَا

---

[1] - اية: ١٢

[2] - اية: ١٦٤

[illegible]﴾ بتفجير عيونها ﴿[illegible]﴾ وهو فى الاصل اسم مكان اطلق على ما يرعى مجازا اى ما ترعاه النعم من النبات والشجر وما ياكله النّاس من الانواة والثّمار وسماه مرعى تغليبا ﴿[illegible]﴾ اثبتها على وجه الأرض لتسكن ﴿[illegible]﴾ تمتعا ﴿لكم [illegible]﴾ اى مواشيكم ولمّا بيّن كمال قدرته على البعث بيّن ما يكون عند وقوعه فقال ﴿[illegible]﴾ اى الّتى تطمّ اى تعلوا على سائر الدّواهى ﴿الكبرى﴾ الّتى هى اكبر الطامات وهى القيامة او النّفخة الثّانية وجواب اذا التّفصيل الآتى او يتذكّر المفهوم ممّا ابدل منه وهو ﴿[illegible] الإنسان ما سعى﴾ اى ما عمل فى الدّنيا من خير او شر بان يراه مدوّنا فى صحيفته بعد ما نسيه من فرط الغفلة او طول المدة ﴿[illegible]﴾ اظهرت ﴿[illegible]﴾ اى لكلّ راء بحيث لا يخفى على احد ﴿فأما من [illegible]﴾ كفر ﴿[illegible]﴾ باتّباع الشّهوات ولم يستعدّ للآخرة ﴿فإن [illegible]﴾ للفصل ﴿[illegible]﴾ اى ماواه فلام الجنس عوض عن المضاف اليه فى افادة ربط هذه الجملة بالمبتدأ وهو من طغى ﴿وأما من خاف﴾ لعلمه بالمعاد ﴿مقام ربه﴾ اى قيامه بين يديه ﴿[illegible]﴾ المردى ﴿فإن الجنة هى المأوى﴾ [illegible]﴾ كفّار مكّة استهزاء ايهاما لاتباعهم انّه لا اصل لها ﴿من الساعة أيان﴾ متى خبر ﴿[illegible]﴾ مصدر ميمىّ بمعنى ارسالها واقامتها ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ لهم استفهام انكار اى ما انت فى شئ من تبيين وقتها لهم لانّك لا تعلم وقتها مع انّ ذكر وقتها لا يهمهم الاّ عنادا فانت مبتدأ وفيم خبره ومن ذكراها متعلّق بما تعلّق به الخبر ﴿[illegible]﴾ اى منتهى علمها لا يعلمه غيره ﴿إنما أنت منذر من يخشاها [illegible]﴾ يخاف هولها فليس من وظيفتك تعيين وقتها وتخصيص من يخشى لانّه المنتفع به ﴿[illegible]﴾ فى قبورهم او فى الدّنيا ﴿إلا عشية أو ضحاها﴾ التّنوين عوض عن المضاف اليه اى عشيّة يوم او ضحاه ولكونهما من يوم واحد صحّ اضافة احدهما الى الآخر.

سورة عبس

مكية احدى واربعون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عبس﴾ اى قطب النبى وجهه ﴿وتولى (١)﴾ اعرض ﴿ان﴾ لان ﴿جاءه الأعمى (٢)﴾ وهو ابن ام مكتوم فانه اتى اليه عليه السلام وعنده رؤساء قريش يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلموا ويسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره عليه السلام قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت عتابا له على ذلك لما فيه بظاهره من توهم تقديم الأغنياء على الفقراء وقلة مبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة وان كان ابن ام مكتوم مستحق الزجر والتاديب لانه كان يسمع مخاطبة الرسول معهم ومع ذلك الح عليه وكان الاشتغال بهم اهم فكان عليه السلام بعد ذلك يقول له اذا جاء مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له ردائه ﴿وما يدريك﴾ اى اى شىء علمك بحاله وعاقبة امره وفى الأتيان بصيغة الغيبة ثم الألتفات الى الخطاب وذكر الأعمى الدال على انه معذور لا يليق استكراهه زيادة انكار على النبى ﴿لعله يزكى (٣)﴾ يتطهر من الذنوب بما يسمع منك ﴿او يذكر﴾ فيه ادغام التاء فى الذال وفيما قبله فى الزاى اى يتعظ ﴿فتنفعه﴾ بالنصب فى جواب الترجى حملا له على التمنى من حيث ان متعلق كل منهما غير موجود بل مطموع الحصول بعد ويحتمل ان تكون لعل ههنا للتمنى ﴿الذكرى (٤)﴾ اى موعظتك ﴿اما من استغنى (٥)﴾ عن طلب الخير ﴿فانت له تصدى (٦)﴾ بحذف احدى التائين تتعرض بالأقبال عليه ﴿وما عليك الا يزكى (٧)﴾ اى ليس عليك بأس فى ان لا يتزكى بالاسلام فلم تحرص على اسلامه حتى تعرض عمن اسلم ﴿واما من جاءك يسعى (٨)﴾ حال اى يسرع

طلبا للخير ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩)﴾ الله او كبوة الطّريق لعدم القائد له ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠)﴾ بحذف احدى التّائين ايضا اى تتشاغل ﴿كَلَّآ﴾ ردع عن ان يفعل مثل ذلك ﴿إِنَّهَا﴾ اى هذا العتاب او القرآن والتّأنيث لتأنيث الخبر وهو ﴿تَذْكِرَةٌ (١١)﴾ عظة للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ (١٢)﴾ حفظه واتّعظ به ﴿فِى صُحُفٍ﴾ صفة تذكرة او خبر ثان اى مثبتة فيها وما قبلها اعتراض ﴿مُّكَرَّمَةٍ (١٣)﴾ عند الله ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ القدر او فى السّماء ﴿مُّطَهَّرَةٍ (١٤)﴾ منزّهة عن مسّ الشّياطين كائنة ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (١٥)﴾ جمع سافر اى كتبة من الملائكة ينسخونها من اللّوح المحفوظ او ممّا انزل منه الى بيت العزة من السّماء الدّنيا على اختلاف فى ذلك للقرائة او للحفظ عندهم لحكمة اقتضته ﴿كِرَامٍ﴾ على الله او متعطفين على المؤمنين بالاستغفار ﴿بَرَرَةٍ (١٦)﴾ اتقياء وملّا وصف الرأساء بالاستغناء عن الهدى وهدّدهم بقوله فمن شاء ذكره دعى عليهم باشنع الدعوات وهو القتل على اسلوب العرب فى الدّعاء على من يعجزوا منه وعجّب عباده المؤمنين من عدم اتعاظهم فقال ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧)﴾ اى اعجبوا من فرط كفره بالله مع وضوح دلائل الوهيّته ووحدانيّته وكمال قدرته وكثرة نعمه عليه وبيّنها مبتدا باوّل ما انعم عليه فقال ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨)﴾ استفهام تحقير ولذا اجاب عنه بقوله ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩)﴾ اى هيّأه للأعضاء والاشكال ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠)﴾ اى سهّل عليه طريق خروجه من بطن امّه بان فتح فم الرّحم والهمه ان ينتكس ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١)﴾ جعله فى قبر يستره عدّها من النّعم لكون الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الأبديّة واللّذات الخالصة والأمر بالأقبار تكرمة وصيانة عن السّباع ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢)﴾ للبعث وفى اذا اشعار بانّ وقت النّشور غير متعيّن فى نفسه وانّما هو موكول الى مشيّته ﴿كَلَّا﴾ ردع للانسان عمّا هو عليه ﴿لَمَّا﴾ لم ﴿يَقْضِ﴾ بعد من لدن آدم الى الآن ﴿مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣)﴾ الله به اذ لا يخلوا احد من تقصير ممّا ثم اتبع النعم الذّاتية بالنعم الخارجيّة فقال ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤)﴾ وبيّن كيفية

احداث الطّعام بقوله ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ﴾ من السّحاب ﴿صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ بالنّبات ﴿شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧)﴾ كالحنطة والشعير ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨)﴾ وهو القت الرّطب سمّى بمصدر قضبه اذا قسمه لانّما تقضب مرّة بعد اخرى ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠)﴾ جمع اغلب او غلبا وهو فى الأصل لغيظ العنق سمّى به اى البساتين لكثيرة اشجارها ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١)﴾ ما ترعاه البهائم من ابّ اذا امّ لانّه يأمّ ويطلب فى موضعه ﴿مَتَاعًا﴾ تمتّعا ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾ بما ذكر من الطعام والعلف مدّة ما انتم فى الدّنيا ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣)﴾ اى النّفخة الثّانية وجواب اذا محذوف اى اشتغل كل احد بنفسه دلّ عليه ما ابدل منه بما بعده وهو ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦)﴾ لاشتغاله بشأنه وعلمه بانّهم لا ينفعونه وتأخير الأحبّ فالأحب للمبالغة كانّه ترقى من كلّ الى الآخر ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾ يكفيه عن الاهتمام بشأن غيره ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨)﴾ مضيئة من اسفر الصّبح ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩)﴾ لما ترى من النّعيم اولئك هم المؤمنون ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠)﴾ غبار وكدرة ﴿تَرْهَقُهَا﴾ تغشاها ﴿قَتَرَةٌ (٤١)﴾ سواد وظلمة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾ اى الجامعون بين الكفر والفجور.

* * *

سورة التكوير

مكيّة تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا الشَّمْسُ﴾ منصوب بفعل يفسّره ﴿كُوِّرَتْ (١)﴾ اى لفّ ضوئها فذهب انبساطه واثره ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢)﴾ انقضّت وتساقطت ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣)﴾ ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ النّوق الّتى اتى على حملها عشرة اشهر ﴿عُطِّلَتْ (٤)﴾ تركت بلا راع ومتولّى امر ولم يكن مال اعجب اليهم منها ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥)﴾ بعثت لأقتصاص بعضها من بعض ثم ردّت ترابا ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦)﴾ احميت بان يبعث عليها ريحا دبورا فتنفخ فيها فتصير كالنّار او امليت برفع الحاجز الّذى بينها الآن وتسوية الأرض وتفجير بعضها الى بعض حتى عادت بحرا واحدا وعمّت الأرض كلّها ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧)﴾ قرنت بابدانها ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ﴾ الجارية المدفونة خوف العار والفاقة ﴿سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾ تبكيتا لوالدها ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ اى صحف الأعمال ﴿نُشِرَتْ (١٠)﴾ فانّها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١)﴾ قلعت عن اماكنها وازيلت كما يكشط الجلد عن الشاة ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢)﴾ اوقدت ايقادا شديدا ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣)﴾ قربت من المؤمنين ليدخلوها ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤)﴾ جواب اذا المضافة الى الخصائل الثّنتا عشرة لانّ الستّ الاوّل وان كانت فى مبادى قيام السّاعة قبل فناء الدّنيا لا بعدها كالستّ الأخيرة الاّ انّ المراد زمان متسع شامل لكلّها هو المعمول لعلمت فى الحقيقة كانّه قيل الزّمان الّذى يقع فيه هذه الامور كلّها علمت فيه كلّ نفس ما احضرت ونفس فى معنى العموم وان لم تكن فى سياق النّفى لانّ النّكرة فى الأثبات ايضا قد يقصد بها

العموم مجازا بقرينة المقام كما (فى ثمرة خير من جراذة) ولمّا فصل ما يكون قبل فناء الدّنيا وبعده اقسم انّ القرآن قول جبرائيل ترغيبا لمنكرى البعث فى التّأمل فيه فقال ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥)﴾ اى الكواكب الرواجع جمع خانس من خنس اذا تأخر يعنى ما عدى النّيرين من السّيارات وهى عطارد وزهرة وزحل والمشترى والمريخ فانّها بينما ترى فى آخر البرج اذ كرّت راجعا الى اوّله كما وصفها بقوله ﴿الْجَوَارِ﴾ اى السّيارات ﴿الْكُنَّسِ (١٦)﴾ جمع كانس اى الّتى تختفى تحت ضوء الشّمس ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧)﴾ اقبل ظلامه او ادبر فانّه من الأضداد ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)﴾ اى اضاء عند اقبال روح ونسيم ﴿إِنَّهُ﴾ اى القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)﴾ وهو جبرائيل فانّه قاله عن الله ولذا اضيف اليه اى لا قول بشر كما زعمتم ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ شديد القوة كما مرّ فى النّجم.[1] ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ اى عند الله متعلّق بقوله ﴿مَكِينٍ (٢٠)﴾ ذى مكانة ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ اى تطيعه الملائكة فى السموات ﴿أَمِينٍ (٢١)﴾ على الوحى ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ محمّد عليه الصّلوة ﴿بِمَجْنُونٍ (٢٢)﴾ كما زعمتم افتراء والجملة عطف على انّه آه المقسم عليه وكذا ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ اى راى محمّد عليه السّلام جبرائيل على صورته الّتى خلق عليها ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣)﴾ اى بمطلع الشمس الأعلى البيّن ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمّد ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ اى على الأخبار عمّا غاب من الوحى وغيره ﴿بِضَنِينٍ (٢٤)﴾ اى بخيل اى لا يبخل بالتّبليغ والتّعليم ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ﴾ مسترق السّمع ﴿رَجِيمٍ (٢٥)﴾ مرجوم كما زعمتم انّه كهانة وسحر ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦)﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه من امر الرّسول والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ (٢٧)﴾ الانس والجن ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨)﴾ باتباع الحقّ بدل من العالمين لانّهم المنتفعون بالتذكير ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ﴾ الاستقامة على الحقّ ﴿إِلاَّ﴾ وقت ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾ اى الخلائق بمشيّتكم واستقامتكم عليه.

---

[1] - آية: ٥

سورة التكوير

مكيّة تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا الشَّمْسُ﴾ منصوب بفعل يفسّره ﴿كُوِّرَتْ (١)﴾ اى لفّ ضوئها فذهب انبساطه واثره ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢)﴾ انقضّت وتساقطت ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣)﴾ ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ النّوق الّتى اتى على حملها عشرة اشهر ﴿عُطِّلَتْ (٤)﴾ تركت بلا راع ومتولّى امر ولم يكن مال اعجب اليهم منها ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥)﴾ بعثت لأقتصاص بعضها من بعض ثم ردّت ترابا ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦)﴾ احميت بان يبعث عليها ريحا دبورا فتنفخ فيها فتصير كالنّار او امليت برفع الحاجز الّذى بينها الآن وتسوية الأرض وتفجير بعضها الى بعض حتى عادت بحرا واحدا وعمّت الأرض كلّها ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧)﴾ قرنت بابدانها ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ﴾ الجارية المدفونة خوف العار والفاقة ﴿سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾ تبكيتا لوائدها ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ اى صحف الأعمال ﴿نُشِرَتْ (١٠)﴾ فانّها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١)﴾ قلعت عن اماكنها وازيلت كما يكشط الجلد عن الشاة ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢)﴾ اوقدت ايقادا شديدا ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣)﴾ قربت من المؤمنين ليدخلوها ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤)﴾ جواب اذا المضافة الى الخصائل الثّنتا عشرة لانّ الستّ الاوّل وان كانت فى مبادى قيام السّاعة قبل فناء الدّنيا لا بعدها كالستّ الأخيرة الاّ انّ المراد زمان متسع شامل لكلّها هو المعمول لعلمت فى الحقيقة كانّه قيل الزّمان الّذى يقع فيه هذه الامور كلّها علمت فيه كلّ نفس ما احضرت ونفس فى معنى العموم وان لم تكن فى سياق النّفى لانّ النّكرة فى الأثبات ايضا قد يقصد بها

العموم مجازا بقرينة المقام كما (فى ثمرة خير من جرادة) ولمّا فصل ما يكون قبل فناء الدّنيا وبعده اقسم انّ القرآن قول جبرائيل ترغيبا لمنكرى البعث فى التّأمل فيه فقال ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥)﴾ اى الكواكب الرواجع جمع خانس من خنس اذا تأخر يعنى ما عدى النّيرين من السّيارات وهى عطارد وزهرة وزحل والمشترى والمريخ فانّها بينما ترى فى آخر البرج اذ كرّت راجعا الى اوّله كما وصفها بقوله ﴿الْجَوَارِ﴾ اى السّيارات ﴿الْكُنَّسِ (١٦)﴾ جمع كانس اى الّتى تختفى تحت ضوء الشّمس ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧)﴾ اقبل ظلامه او ادبر فانّه من الأضداد ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)﴾ اى اضاء عند اقبال روح ونسيم ﴿إِنَّهُ﴾ اى القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)﴾ وهو جبرائيل فانّه قاله عن الله ولذا اضيف اليه اى لا قول بشر كما زعمتم ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ شديد القوة كما مرّ فى النّجم.[1] ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ اى عند الله متعلّق بقوله ﴿مَكِينٍ (٢٠)﴾ ذى مكانة ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ اى تطيعه الملائكة فى السموات ﴿أَمِينٍ (٢١)﴾ على الوحى ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ محمّد عليه الصّلوة ﴿بِمَجْنُونٍ (٢٢)﴾ كما زعمتم افتراء والجملة عطف على انّه آه المقسم عليه وكذا ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ اى راى محمّد عليه السّلام جبرائيل على صورته الّتى خلق عليها ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣)﴾ اى بمطلع الشمس الأعلى البيّن ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمّد ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ اى على الأخبار عمّا غاب من الوحى وغيره ﴿بِضَنِينٍ (٢٤)﴾ اى بخيل اى لا يبخل بالتّبليغ والتّعليم ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ﴾ مسترق السّمع ﴿رَجِيمٍ (٢٥)﴾ مرجوم كما زعمتم انّه كهانة وسحر ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦)﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه من امر الرّسول والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ (٢٧)﴾ الانس والجن ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨)﴾ باتباع الحقّ بدل من العالمين لانّهم المنتفعون بالتذكير ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ﴾ الاستقامة على الحقّ ﴿إِلَّا﴾ وقت ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾ اى الخلائق بمشيّتكم واستقامتكم عليه.

---

[1] - آية: ٥

سورة الانفطار

مكيّة تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ (١)﴾ انشقّت ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ (٢)﴾ تساقطت متفرّقة ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣)﴾ فتح بعضها الى بعض فاختلطت العذب بالملح وصار الكلّ بحرا واحدا ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤)﴾ قلبت ترابها وبعث موتاها وقيل مركب من بُعِثَ وراء الأثارة كبسمل وحواب اذا ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ﴾ اى ما عملت بنفسها من عمل صالح او سيّئ ﴿وَأَخَّرَتْ (٥)﴾ اى عملته بعد موتها بان سنّته لمن بعدها حسنة كان او سيّئة ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ﴾ الكافر ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦)﴾ استفهام تجهيل وتوبيخ اى اىّ شئ خدعك ورغّب فى عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فانّ محض الكرم لا يقتضى اهمال الظّالم والاّ ينتفى الكرم بالنّسبة الى المظلوم ولا تسوية المطيع والعاصى وهو ظاهر فلا يرد انّ وصفه بالكرم لا يلائم السوق لانّ الكرم ممّا يدعوا الى الاغترار وله فائدتان اخريان فى القاضى ثمّ قرّر الربوبيّة منبها على القدرة على البعث بالوصف بقوله ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد ان لم تكن ﴿فَسَوَّاكَ﴾ اى جعلك مستوى الخلق سالم الاعضاء ﴿فَعَدَلَكَ (٧)﴾ اى جعل بنيتك معتدلة المزاج والكيفيات متناسبة الاعضاء ليس عضو اطول او اوسع من الآخر ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا﴾ زائدة ﴿شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله ثمّ اضرب الى ما هو الاصلى فى اغترارهم فقال ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩)﴾ اى الجزاء على الأعمال وردّ ما يتوقّعون من التّسامح فيه بقوله ﴿وَ﴾ حال ﴿إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠)﴾ من الملائكة لأعمالكم ﴿كِرَامًا﴾ على الله لجدّهم فى طاعته ﴿كَاتِبِينَ (١١)﴾ لها ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾

حتّى من افعال الجوارح والقلوب فانّهم يجدوا ريح المسك ممّن هم بحسنة وريح النّتن ممّن هم بسيّئة وقيل خاص بافعال الجوارح فانّ افعال القلوب من المغيبات الّتى لا يعلمها الاّ الله ثمّ بيّن ما يكتبون لأجله فقال ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ويقاسون حرّها ﴿يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦)﴾ اى لا يخرجون منها ابدا ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨)﴾ تعظيم لشأنه اى كنه امره بحيث لا تدركه دراية دارى اعنى ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ من المنفعة ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)﴾ لا امر لغيره فيه.

* * *

سورة المطففين

مكيّة أو مدنيّة ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ﴾ مبتدأ لانّه اسم وادى مخصوص فى جهنّم او لكونه دعاء بالهلاك فيتخصّص بما يتخصّص به نحو سلام عليك وخبره ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾ التّطفيف النّقص فى الكيل والوزن سمّى به لانّ ما ينقص شئ طفيف اى حقير وفى الحديث: «خمس بخمس ما نقض العهد قوم الاّ سلّط الله عليهم عدوّهم وما حكموا بغير ما انزل الله الاّ نشئ فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الاّ فشى فيهم الموت ولا طفّفوا الكيل الاّ منعوا النّبات واخذوا بالسّنين ولا منعوا الزّكوة الاّ حبسوا القطر»[1] ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢)﴾ الكيل والأتيان بعلى بدل من للدّلالة على انّ المأخوذ الحقّ الثّابت لهم على النّاس ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ من قبيل الحذف والأيصال اذ الأصل كالوا لهم ووزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ (٣)﴾ ينقصون ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤)﴾ استفهام انكار وضع فيه الظّن موضع اليقين تعجبا من حالهم بمعنى انّ من ظنّ ذلك لم يتجاسر على امتثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥)﴾ عظمه لعظم ما يكون فيه ويبدل من محلّ الجار والمجرور ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ اى لحكمه وقضائه ﴿كَلَّا﴾ ردع عن التّطفيف والغفلة عن البعث والجزاء ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾ مصدر بمعنى المفعول اى ما يكتب من اعمالهم او على اصله اى كتابة اعمالهم ليتضح مظروفيته لقوله ﴿لَفِي سِجِّينٍ (٧)﴾ اى ثابتة فى كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩)﴾ مسطور بيّن الكتابة وقيل هو مكان اسفل الأرض السابعة وهو

---

[1] - المعجم الكبير للطبراني: ٩/٢٥٧

مجلس ابليس وجنوده فالتّقدير ما كتاب سجين على حذف المضاف ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ (١٠) يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١)﴾ صفة موضحة لهم ﴿وما يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز عن النظر مقتصر على التّقليد ﴿أَثِيمٍ (١٢)﴾ منهمك فى الشّهوات ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ﴾ من فرط جهله واعراضه عن الحقّ هى ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٣)﴾ اى احاديثهم واخبارهم الكاذبة جمع اسطورة بالضم او اسطارة بالكسر ﴿كَلاَّ﴾ ردع عن هذا القول ثمّ ردّ قولهم وبين ما ادى بهم اليه بقوله ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اى غلب عليها وغشيها ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾ من المعاصى حتى احبّوها وصارت كالصّداء والوسخ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحقّ والباطل كما قال عليه السّلام: «انّ العبد كلّما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسوّد قلبه»[1] ﴿كَلاَّ﴾ ردع عن كسب الرّائن ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ فلا يرونه بخلاف المؤمنين ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦)﴾ اى لداخلوها ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم من الزّبانية ﴿هَذَا الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلاَّ﴾ تكرير للاوّل المعقّب بوعيد الفجار ليعقّب بوعد الأبرار اشعارا بانّ التّطفيف فحور والأيفاء برّ ﴿إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠)﴾ الكلام فيه ما مرّ فى نظيره ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١)﴾ اى يحضرونه فيحفظونه ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ﴾ السّرر فى الحجال ﴿يَنظُرُونَ (٢٣)﴾ الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤)﴾ بهجة التّنعم وحسنه ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ خمر خالصة من الدّنس ﴿مَخْتُومٍ (٢٥)﴾ اوآنيه لا يفك ختمه الاّ الأبرار ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ اى آخر شربه يفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِى ذَلِكَ﴾ اى الرّحيق او النّعيم ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦)﴾ اى فليرغب بالمبادرة الى طاعة الله المرتغبون ﴿وَمِزَاجُهُ﴾ اى ما يمزج به ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧)﴾ علم لعين بعينها سمّيت تسنيما لأرتفاع مكانها او رفعة شربها وينصب حالا منه او على المدح ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ اى

---

[1] - شعب الإيمان للبيهقي: ٢٤٩/١٥

يشربها ملتذا بها كما فى هل اتى.[1] ﴿الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾ فانّهم يشربونها صرفا لانّهم لم يشتغلوا بغير الله وممزّج لسائر اهل الجنّة ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ اى راساء قريش كابى جهل ونحوه ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩)﴾ اى كانوا يستهزئون بفقراء المؤمنين كعمّار وبلال ونحوهما ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ اى المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠)﴾ اى يشيرون اليهم بالأعين استهزاء بهم ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١)﴾ حال اى متلذّين بالسّخرية منهم ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ اى راوا المؤمنين ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢)﴾ لأيمانهم بمحمّد عليه الصّلوة والسّلام ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ﴾ اى على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ (٣٣)﴾ حال اى لم يبعثوا رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم ما يعتقدونه ضلالا وانّما امروا باصلاح انفسهم ﴿فَالْيَوْمَ﴾ اى يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ فى الجنّة ﴿يَنْظُرُونَ (٣٥)﴾ حال من واو يضحكون اى ينظرون اليهم من منازلهم وهو يعذّبون فيضحكون منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدّنيا كما قال ﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ جوزى ﴿الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾ نعم.

* * *

[1] - آية: ٦

سورة الانشقاق

مكيّة خمس وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١)﴾ بغمام تخرج منها فيها ملائكة العذاب وانشقاقها من المجرة الّتى ترى كالسحاب وهى باب السّماء ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ اى سمعت واطاعت له فى الانشقاق ﴿وَحُقَّتْ (٢)﴾ اى جعلت حقيقة بان تستمع وتطيع ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣)﴾ زيد فى سعتها كما يمدّ الأدم ولم يبق عليها بناء ولا جبال لتسع الخلائق باسرهم من الأوّلين والآخرين ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ اى فى جوفها من الكنوز والاموات ﴿وَتَخَلَّتْ (٤)﴾ اى تكلّفت التّخلى عنه حتى لم يبق فى باطنها شئ ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ اى سمعت واطاعت له فى الالقاء والتّخلى ﴿وَحُقَّتْ (٥)﴾ للأذن وذلك كلّه يكون يوم القيامة وجواب اذا محذوف اى لاقى الانسان عمله دلّ عليه قوله ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد ساع فى عملك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ اى الى لقاء جزائه ﴿كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦)﴾ اى ملاق عملك المذكور من خير او شر ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِ (٧)﴾ وهو المؤمن ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)﴾ بان يعرض عليه عمله ويعرف ماهو طاعة منه وماهو معصية ثم يثاب على الطّاعة ويتجاوز عن المعصية بلا تعب ومناقشة وطلب حجة والاّ لا نفضح كما قال عليه السّلام من نوقش فقد هلك ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ فى الجنّة ﴿مَسْرُورًا (٩)﴾ بذلك وسوف من الله واجب ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠)﴾ بان تقلع شماله من موضعها فتجعل وراء ظهره او تضرب فى صدره فتخرج من ظهره فيعطى الكتاب بها فلا تنافى ما فى الحاقة: ﴿وامّا من اوتى كتابه بشماله﴾[1] ولعلّ ذلك لانّه نبذ

[1] – سورة الحاقة: ٦٥

كتاب الله وراء ظهره ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا﴾ عند رأية مافيه ﴿ثُبُورًا (١١)﴾ ينادى هلاكه فيقول يا ثبوراه ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢)﴾ يدخل النّار الشّديدة ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ اى عشيرته فى الدّنيا ﴿مَسْرُورًا (١٣)﴾ بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤)﴾ يرجع على الله ﴿بَلَىٰ﴾ يرجع اليه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥)﴾ اى عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦)﴾ اى الحمرة الّتى ترى فى افق المغرب بعد الغروب ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧)﴾ ما جمع وستر من الدّواب وغيرها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع وتمّ بدرا وذلك فى اللّيالى البيض ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ ايّها النّاس اصله تركبونن حذفت نون الرّفع لاجتماع النّونات والواو لألتقاء السّاكنين ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩)﴾ اى حالا بعد حال وهو الموت ثمّ الحيوة وما بعدها من احوال القيامة ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ اى الكفّار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)﴾ بما يجب الأيمان به او بيوم القيامة لانّ الكلام مسوق لتوبيخ منكريه مجازا ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١)﴾ لا يخضعون بان يؤمنوا به لأعجازه او لا يسجدون لتلاوته ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢)﴾ بالقرآن ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣)﴾ يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)﴾ اى مقطوع او ممنون به عليهم.

* * *

سورة البروج

مكية ثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١)﴾ الأثنى عشر شبّهت بالقصور الّتى تنزل فيها الاشراف لانّها تنزلها السّيارات وتكون فيها الثّوابت ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢)﴾ يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ﴾ اى من يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق ﴿وَمَشْهُودٍ (٣)﴾ اى ما احضر فيه من العجائب وجواب القسم محذوف دلّ عليه ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤)﴾ اى انّ كفّار مكّة ملعونون كما لعن اصحاب الأخدود اى الشّق فى الأرض وبيانهم فى القاضى ﴿النَّارِ﴾ بدل اشتمال منه ﴿ذَاتِ الْوَقُودِ (٥)﴾ صفة لها بالعظمة وكثرة ما توقد به ويرتفع به لهبها حطبا كان او غيره ولولا ارادة هذا المعنى لم يبق للتوصيف فائدة ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦)﴾ ظرف لقتل اى لعنوا وقت كونهم قاعدين على حافة النّار لالقاء المؤمنين ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧)﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانّه قصّر فيما امره به روى انّ الله انجى المؤمنين الملقين فى النّار بقبض ارواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النّار الى من ثمه فاحرقتهم ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ اى ما انكروا ﴿مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ استثناء فيه تاكيد المدح بما يشبه الذم على طريق قوله ولا عيب فيهم غير انّ ضيوفهم تعاب بنسيان الاحبة والوطن وللاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد وصفه بقوله ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب الّذى يخشى عقابه ﴿الْحَمِيدِ (٨)﴾ المحمود للمخلوقات بلسان المقال او الحال اذ ما من ذرّة من ذرات الكائنات الاّ وقد تثنى عليه بكمال القدرة وبما انعم عليه من نعمة الايجاد وغيرها ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بلونهم بالأحراق وغيره من

الأذى ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)﴾ اى العذاب الزّائد فى الاحراق لأيذائهم المؤمنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١)﴾ تصغر دونه الدّنيا وما فيها ثمّ اكّد كلا من وعيد المجرمين ووعد المؤمنين فقال لتاكيد الاول ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢)﴾ مضاعف عنفه فانّ البطش اخذ بعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف واستدلّ على شدة بطشه بقوله ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ﴾ الخلق ﴿وَيُعِيدُ (١٣)﴾ لا يقدر عليهما غيره ولتاكيد الثانى ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب عن الكفر ﴿الْوَدُودُ (١٤)﴾ المحب بايصال الكرامة والأحسان لمن اطاع ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ اى خالقه ومالكه ﴿الْمَجِيدُ (١٥)﴾ بالرفع اى العظيم فى ذاته وصفاته ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ لا يعجزه شئ ولما ذكر قصة اصحاب الاخدود لتخويف كفّار قريش وتسليته عليه السّلام زاد ذلك بقوله ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨)﴾ بدل من الجنود واستغنى بذكر فرعون عن اتباعه ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩)﴾ لا يمتنعون عنه ومعنى الاضراب انّ حالهم اعجب من حال الجنود فانّهم سمعوا قصتهم ورأوا اثار هلاكهم وكذّبوا اشدّ من تكذيبهم ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠)﴾ لا يفوتونه ﴿بَلْ هُوَ﴾ اى ما كذّبوا به ﴿قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١)﴾ عظيم فريد فى النّظم ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)﴾ من تغيير شئ منه وهو فوق السّماء السابقة من درة بيضاء طوله ما بين السّموات والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب.

* * *

سورة الطارق

مكية تسع عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١)﴾ وهو فى الأصل لكل آت ليلا والمراد هنا النجم الظاهر ليلا كما قال ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ﴾ الثريا او كلّ نجم ﴿الثَّاقِبُ (٣)﴾ اى المضئ الثاقب للظلام بضوئه وجواب القسم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا﴾ الاّ ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)﴾ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشرّ ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ﴾ من اىّ شئ ﴿خُلِقَ (٥)﴾ ليعلم صحة اعادته فلا يلقى الى حافظه الاّ ما يسرّه فى عاقبته وجواب الاستفهام ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦)﴾ ذى اندفاق والمراد ماء الرّجل والمرأة عدّه واحدا لامتزاجه فى رحمها بحيث يصير واحدا ووصفه بالدافق لوجود الدفق فى بعض اجزائه وهو منىّ الرّجل ﴿يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ اى صلب الرّجل ﴿وَالتَّرَائِبِ (٧)﴾ اى ترائب المرأة وهى عظام الصّدر حيث تكون القلادة او بين الثّديين خصّا بالذكر لانّ اعظم الاعضاء معونة فى توليد المنى الدماغ وله خليفة فى الصلب وهى النّخاع وشعب كثيرة نازلة فى الترائب وهما اقرب الى اوعية المنىّ فلا يرد ان صحّ ما قال بعض الملاحدة من انّ ما ينفصل هو منه جميع الأعضاء واعظمها اعانة فى توليده الدّماغ ومقرّه عروق ملتف بعضها ببعض عند البيضتين ومخرجه الأحليل والصلب والترائب ليسا شيئا من ذلك فما وجه ذكرهما ﴿إِنَّهُ﴾ اى الخالق الدّال عليه خلق ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ بعث الانسان بعد الموت ﴿لَقَادِرٌ (٨)﴾ كما قدر على خلقه من ذلك الاصل الضعيف ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لرجعه ﴿تُبْلَى﴾ تختبر وتكشف ﴿السَّرَائِرُ (٩)﴾ اى ضمائر القلوب من العقائد والنّيات ﴿فَمَا لَهُ﴾ للأنسان ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ يمتنع بها عمّا اريد به ﴿وَلاَ نَاصِرٍ (١٠)﴾ يمنعه عن ذلك

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١)﴾ ترجع فى كلّ دورة الى موضع الّذى تتحرك عنه وقيل الرّجع المطر لانّه يرجع وقتا بعد وقت ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢)﴾ اى الشّق بالنبات والعيون ﴿إِنَّهُ﴾ اى القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣)﴾ اى فاصل بين الحقّ والباطل ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)﴾ اى باللّعب والباطل فانّه جدّ كلّه ﴿إِنَّهُمْ﴾ اهل مكّة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥)﴾ فى ابطاله واخفاء نوره ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦)﴾ اقابلهم بكيدى بان استدرجهم من حيث لا يعلمون ﴿فَمَهِّلِ﴾ يا محمّد ﴿الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾ وفى كلّ من التكرير وتغيير البنية زيادة تسكين له عليه السّلام اذ لكلّ جديد لذّة وتأثير وتعلّق قصد على حدة ﴿رُوَيْدًا (١٧)﴾ اى امهالا يسيرا فهو صفة مصدر محذوف اقيم مقامه او مصغّر رَوْدٍ بمعنى الأمهال لا اسم فعل.

* * *

سورة الأعلى

مكية تسع عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)﴾ نزّه اسمه عن الميل عن الحقّ والصواب فى تفسيره بان تفسّره بشيء يستحيل فى حقّه تعالى وعن اطلاقه على غيره زاعما انّهما فيه سواء وعن ذكره واستصحابه لاعلى وجه التّعظيم وقيل المعنى نزّه ربّك عمّا لا يليق به واسم زائد اتى به تعظيما للمسمّى ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ كلّ شئ ﴿فَسَوَّى (٢)﴾ خلقه بان جعله محكما سالما عن الخلل والنّقصان بحيث يتأتّى كماله وينتظم اسباب معاشه ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها جثة وشكلا وصفاتها حسنا وقبحا وافعالها وآجالها وارزاقها وغير ذلك ﴿فَهَدَى (٣)﴾ اى فوجّهه الى افعاله وما يضرّه وينفعه طبعا او اختيارا بخلق الميول والألهامات ونصب الدّلائل وانزال الآيات ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤)﴾ اى انبت ما ترعاه الدّواب ﴿فَجَعَلَهُ﴾ عقب الخضرة ﴿غُثَاءً﴾ يابسا هشيما ﴿أَحْوَى (٥)﴾ اسود لأحراقه بشدة الحرّ ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ اى سنجعلك قاريا بالهام القرائة حتّى تحفظ بالمرة الواحدة ﴿فَلا تَنسَى (٦)﴾ اصلا ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ نسيانه بان نسخ ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ اى جهرك بالقرآن مع جبرائيل ﴿وَمَا يَخْفَى (٧)﴾ اى ما دعاك اليه من مخافة النّسيان ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨)﴾ اى نعدّك ونوفقك للطّريقة اليسرى فى حفظ الوحى والتّدين والطّاعة ولتضمّنه هذا المعنى تعدى بنفسه دون اللاّم كما هو اصله وهو عطف على سنقرئك ﴿فَذَكِّرْ﴾ عظ بعد ما استقل لك امر الوحى والدّين ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩)﴾ بان تذكّر كلاّ بما ينفعه كان تذكّر الكافر بالأيمان لا الفروع لانّها لا تنفعه بدونه وتذكّر تارك الصّلوة بها وهكذا ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ يتعظ بها ﴿مَنْ يَخْشَى (١٠)﴾ الله فانّه يتأمل ويعلم

حقّيتها ﴿سيذكر من يخشى (١١)﴾ اى يتجنّب الذكرى ﴿الأشقى (١١)﴾ اى الكافر فانّه اشقى من الفاسق او هو بمعنى الشّقى ﴿الذى يصلى النار الكبرى (١٢)﴾ هى نار الآخرة والصغرى نار الدّنيا فانّها جزأ من سبعين جزأ منها كما فى الحديث ﴿ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى (١٣)﴾ حياة تنفعه ولمّا ذكر حال المتجنّب استأنف ببيان حال المتذكر فقال ﴿قد افلح من تزكى (١٤)﴾ تطهّر من الكفر والمعصية بسبب التذكّر ﴿وذكر اسم ربّه﴾ بقلبه ولسانه ﴿فصلى (١٥)﴾ اى فدعاه ذلك الى الصّلوة تعظيما له كقوله اقم الصّلوة لذكرى وحمل الذكر على تكبيرة التّحرم يقتضى ان لا تكون من الصّلوة بقرينة العطف كماهو مذهب الحنفيّة ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا (١٦) والآخرة خير وأبقى (١٧)﴾ اضراب عن بيان حال المتجنّب والمتذكّر الى بيان انّ ذلك البيان لا ينفع المتمرّدين لايثارهم الحيوة الدّنيا على الآخرة وقرّر هذا الايثار بقوله ﴿إن هذا﴾ النصح المذكور من قد افلح آه ﴿لفى الصحف الأولى (١٨)﴾ ولم يؤثر فيكم الى الآن ﴿صحف إبراهيم وموسى (١٩)﴾ وهى عشر صحف او ثلثين لابراهيم والتّورية لموسى وقيل انزل عليه قبلها عشر صحف ايضا.

* * *

سورة الغاشية

مكيّة ست وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هل أتاك حديث الغاشية (١)﴾ اى النّار فانّها تغشى الوجوه او القيامة التى تغشى الخلائق بشدائدها ﴿وُجُوهٌ﴾ اى اصحاب وجوه على حذف المضاف ولذا جاز وقوعها مبتدأ مع كونها نكرة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ظرف للخبر وهو ﴿خاشِعَةٌ (٢)﴾ ذليلة ﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ (٣)﴾ اى عملت وتعبت فى اعمال لا تنفعها يومئذ فهما ماضويّين فى قوّة ساخطة فى الآخرة عن عملها الدنيوى على خلاف راضية الآتية فيزيد حسن التقابل بين الوعد والوعيد ﴿تَصْلى﴾ تدخل ﴿نارا حامِيَةً (٤)﴾ شديدة الحرّ ﴿تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥)﴾ بلغت نهايتها فى الحرّ ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ (٦)﴾ يابس شوك ترعاه الأبل مادام رطبا والمقصود حصر طعامهم المقيّد بكونه ممّا تتجنّبه الأبل ولا تأكله لمرارته فى الضّريع فلا ينافى ان يكون لهم نوع آخر من الطّعام كالزّقوم[1] والغسلين[2] كما فى بعض الآيات ﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)﴾ والمقصود من الطّعام احد الأمرين ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناعِمَةٌ (٨)﴾ ذات بهجة وحسن ﴿لِسَعْيِها راضِيَةٌ (٩)﴾ اى رضيت بعملها الدّنوىّ لمّا رأت ثوابه ﴿فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ (١٠)﴾ محلا وقدرا ﴿لا تَسْمَعُ﴾ اى الوجوه ﴿فِيها لاغِيَةً (١١)﴾ مصدر بمعنى لغوا من الكلام ﴿فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ (١٢)﴾ اى يجرى مائها دائما ﴿فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣)﴾ سمكا او قدرا ﴿وَأَكْوابٌ﴾ جمع كوب اقداح لا عرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ (١٤)﴾ بين ايديهم على حافات العيون معدّات لشربهم ﴿وَنَمارِقُ﴾ وسائد جمع نمرقة ﴿مَصْفُوفَةٌ

---

[1] - سورة الدخان: ٤٣-٤٤

[2] - سورة الحاقة: ٣٥-٣٦

﴿ ١٥ ﴾ بعضها بجنب بعض يستند اليها ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بسط طنافس فيها خمل جمع زربيّة ﴿مَبْثُوثَةٌ ١٦﴾ مبسوطة ولمّا ذكر حال الفريقين ذكر ما يدلّ على ثبوته وكمال قدرته عليه فقال ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ نظر تأمّل واعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧﴾ خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لحمل الأثقال الى البلاد البعيدة فجعلها عظيمة نائخة للحمل ناهضة تحته منقادة لمن قادها طوال الاعناق لتنتهض بالاحمال ترعى كلّ نابت وتحمل العطش ثمانية ايّام بل قيل فصاعدا الى سنة ليتأتى لها قطع البوادى مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصّت بالذّكر لبيان الآيات المنبثّة فى الحيوانات الّتى هى اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانّما اعجب ما عند العرب من هذا النّوع ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨﴾ بلا عمد ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩﴾ فهى راسخة لا تميل ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠﴾ بسطت حتى صارت مهادا ﴿فَذَكِّرْ﴾ هم بنعم الله ودلائل توحيده ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ٢١﴾ فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ٢٢﴾ بمتسلّط ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ٢٤﴾ اى عذاب الآخرة ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ٢٥﴾ رجوعهم بعد الموت مصدر آب يئوب قلبت واوه ياء لكسر ما قبلها ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ فى المحشر لا نفوّته اصلا.

* * *

سورة الفجر

مكيّة وقيل: مدنيّة ثلثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ (١)﴾ اى فجر كلّ صبح او صلوته او فجر عرفة ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢)﴾ عشر ذى الحجّة كما هو المناسب بمكّية السورة اذ لا رمضان حينئذ او عشر رمضان الأخيرة وهى لاشتمالها على ليلة القدر افضل من الاولى وان كان ايّام الاولى افضل ايّام يعمل فيها صالح والتّنكير للتعظيم ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣)﴾ اى الأشياء كلّها زوجها ووترها فانّ اصنافها لا تخلوا عن احديهما فعبّر عنها بهما او شفع ليالى رمضان واوتارها الّتى ليلة القدر فيها ارجى فتأخيرها مع اشرفيّتها لرعاية الفواصل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)﴾ مقبلا ومدبرا ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ القسم ﴿قَسَمٌ﴾ حلف ﴿لِذِي حِجْرٍ (٥)﴾ عقل يعتبره ويأكد به ما يريد تأكيده وجواب القسم محذوف اى لتعذّبنّ يا كفّار مكّة دلّ عليه قوله ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦)﴾ اى اولاد عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وهم قوم هود سمّوا باسم ابيهم ﴿إِرَمَ﴾ عطف بيان على حذف المضاف اى احفاد ارم او اهل ارم على انّه اسم بلدتهم او اسم جنّة شدّاد بن عاد لما قيل انّه ملك المعمورة كلّها وسمع باسم الجنّة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنّة وسمّاها ارم فلمّا سار اليها باهله فلمّا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة فهلكوا وعن عبدالله بن قلابة انّه خرج فى طلب ابله فوقع عليها وعلى التقادير منع صرفه للعلميّة والتّانيث ولم يمتنع عاد لسكون وسطه ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ (٧)﴾ اى ذات البناء الرّفيع او القدود الطوال كان قدّ اطولهم اربعمأية ذراع كان احدهم يأخذ الصخرة العظيمة ويضعها على الحى فيهلكهم ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)﴾ صفة اخرى لارم والضمير لها بمعانيها ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا

الصخر ﴾ قطعوه واتخذوه منازل ﴿بالواد (٩)﴾ اى وادى القرى ﴿وفرعون ذى الأوتاد (١٠)﴾ لكثرة جنوده وخيامهم كان يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد ﴿الذين طغوا فى البلاد (١١)﴾ صفة للمذكورين كلّهم ﴿فأكثروا فيها الفساد (١٢)﴾ بالكفر والظّلم ﴿فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب (١٣)﴾ اى ما خلط لهم من انواع العذاب ﴿إنّ ربّك لبالمرصاد (١٤)﴾ اى المكان الّذى يرتقب فيه الرّصد وهو استعارة تمثيلية على تشبيه حاله فى كونه حفيظا لاعمال العباد مجازيا عليها لا خلاص لهم منه بحال من قعد على طريق السّائر ليترصّدهم وفرّع عليه قوله ﴿فأمّا الإنسان﴾ كانّه قيل فالانسان يؤاخذ لا محالة لانّه عند الغناء متكبر مفتخر بالدّنيا وعند الفقر جزع متكلّم بما لا ينبغى ﴿إذا ما ابتلاه ربّه﴾ اختبره بالغنى ايشكر ام يكفر ﴿فأكرمه ونعّمه﴾ بالجاه والمال ﴿فيقول ربّى أكرمن (١٥)﴾ فضّلنى بما اعطانى خبر للانسان والفاء لتضمّن امّا معنى الشّرط واذا لمجرّد الظّرفية معمول للخبر مؤخر عنه تقديرا وكذا قوله ﴿وأمّا﴾ الانسان ﴿إذا ما ابتلاه﴾ بالفقر ايصبر ام يجزع ﴿فقدر﴾ ضيّق ﴿عليه رزقه فيقول ربّى أهانن (١٦)﴾ لقصور نظره وسوء فكره فانّ التقدير قد يؤدّى الى كرامة الدّارين والتّوسعة قد تفضى الى الانهماك فى حب الدّنيا ولذا لم يقل فى الاخير فاهانه وذمّه على قوله وردعه عنه بقوله ﴿كلاّ﴾ مع انّ قوله الاوّل مطابق لأكرمه ولعلّه صفة الكافر لانّ الاكرام عند المؤمن بالتّوفيق للطّاعة والاهانة بالحرمان منها ثم اضرب الى فعلهم الاسوء من ذلك القول فقال ﴿بل لا تكرمون اليتيم (١٧)﴾ اى لا يحسنون اليه مع غناهم ﴿ولا تحاضّون﴾ اى لا تحثّون نفسكم واهليكم ولا غيركم ﴿على طعام المسكين (١٨)﴾ اى اطعامه ﴿وتأكلون التّراث﴾ اى الميراث واصله وراث قلبت الواو تاء ﴿أكلا لمّا (١٩)﴾ اى ذالمّ اى جمع بين الحلال والحرام فانّهم كانوا لا يورثون النّساء والصّبيان ﴿وتحبّون المال حبّا جمّا (٢٠)﴾ كثيرا مع حرص ﴿كلاّ﴾ ردع لهم عن ذلك وما بعده وعيد عليه ﴿إذا دكّت الأرض دكّا دكّا (٢١)﴾ اى دقّت وزلزلت زلزلة بعد زلزلة حتّى لم يبق عليها جبل ولا بناء فدكا الثّانى ليس تاكيدا للاوّل بل غيره ﴿وجاء

ربّك﴾ اى امره ﴿والملك﴾ اى الملائكة ﴿صفا صفا (٢٢)﴾ بحسب منازلهم ومراتبهم قيل هم سبع صفوف على عدد السّماء ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ تقاد بسبعين الف زمام كلّ زمام بايدى سبعين الف ملك لها تغيّظ وزفير كما فى الحديث ﴿يومئذ﴾ بدل من اذا دكّت والعامل فيها ﴿يتذكّر الإنسان﴾ الكافر ما فرط منه ﴿وأنّى له﴾ منفعة ﴿الذكرى (٢٣)﴾ استفهام انكار اى لا ينفعه تذكّر ذلك ﴿يقول﴾ مع تذكّره ﴿يا ليتنى قدّمت﴾ اعمالا صالحة ﴿لحياتى (٢٤)﴾ هذه او وقت حياتى فى الدّنيا ﴿فيومئذ لا يعذّب عذابه أحد (٢٥) ولا يوثق وثاقه أحد (٢٦)﴾ الضمير لله اى لا يتولّى عذابه ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الأمر كلّه له ويقال للنّفس المؤمنة عند الموت او البعث او دخول الجنّة ﴿يا أيتها النّفس المطمئنّة (٢٧)﴾ بذكر الله او الآمنة الّتى لا يزعجها خوف ﴿ارجعى الى﴾ امر ﴿ربّك راضية﴾ عن ربّك بما اوتيت من الثّواب حال وكذا ﴿مرضية (٢٨)﴾ عند الله بعملك ﴿فادخلى فى﴾ جملة ﴿عبادى (٢٩)﴾ الصّالحين ﴿وادخلى جنّتى (٣٠)﴾ معهم.

* * *

سورة البلد

مكيّة عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١)﴾ مكّة ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾ نعت بمعنى حالّ ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ (٢)﴾ جملة حالية من المقسم به جيء بها اظهارا لمزيد فضله او فضل النّبي واشعارا بانّ شرف المكان بشرف اهله وتوبيخا لقومه على قصدهم اخراجه عن مكّة مع انّ شرفها بحلوله فيها او اعتراضيّة على انّ الحلّ بمعنى الحلال اى حلال لك ان تفعل فيه ما تريد فهو ﴿وَوَالِدٍ﴾ اى آدم او ابراهيم عطف على هذا البلد ﴿وَمَا وَلَدَ (٣)﴾ اى ذريّته او محمّد عليه السّلام فاختيار ما على من للتعجّب من شأنهم لانّها قد تستعمل فى صفات العقلاء فتدلّ لأبهامها على انّ الوصف الّذى دلّ بها عليه بالغ الى اقصى غاية الكمال فتفيد فى مقام المدح تفخيم شأن الموصوف بانّه ممّا يكتنه فى كنهه اتصافه بذلك وجواب القسم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)﴾ تعب وشدّة لانّ مبدأه ظلمة الرّحم ومنتهاه الموت ومابعده وفيه تسليّة وتصبّر له عليه السّلام على ما كان يكابد من قريش وتعجّب من شدّة عداوتهم له والضّمير فى ﴿أَيَحْسَبُ﴾ لبعضهم الّذى كان يكابد منه اكثر كوليد بن مغيرة او يغترّ بقوّته كابى الاشدّين بلفظ التثنية او لكلّ واحد منهم او الانسان ﴿أَنْ﴾ مخفّفة ﴿لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥)﴾ فينتقم منه ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عداوة محمّد ﴿مَالاً لُبَدًا (٦)﴾ كثيرا بعضه على بعض ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ﴾ انه ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧)﴾ حين كان ينفق يعنى انّ الله يراه فيجازيه وبيّن ذلك بقوله ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩)﴾ لا يخفى فائدتها ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)﴾ طريقى الخير والشر ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١)﴾ اى لم يشكر تلك النّعم باقتحام العقبة وهى الطريق فى الجبل والمراد هنا الدّخول فى امر

شديد كما قال ﴿وما أدْراك ما﴾ اقتحام ﴿الْعقبةُ (١٢)﴾ هو ﴿فكُّ رقبة (١٣)﴾ من الرقّ بالاعتاق ﴿أوْ إطْعامٌ فى يوْمٍ ذى مسْغبَةٍ (١٤)﴾ مجاعة ﴿يتيمًا ذا مقْربةٍ (١٥)﴾ اى قرابة ﴿أوْ مسْكينًا ذا متْربةٍ (١٦)﴾ مسكنة وفاقة كانّه لصق بالتّراب لفقره ﴿ثمّ كان من الّذين آمنُوا﴾ عطف على اقتحم وثمّ لتباعد الأيمان عن العتق والاطعام فى الرّتبة لا الزّمان لانّه مستقلّ فى الانتفاع وانتفاع غيره من الطّاعات مشروط به فيجب ان يكون مقدّما عليها ﴿وتواصوْا﴾ بينهم ﴿بالصّبْرِ﴾ على تعظيم امر الله ﴿وتواصوْا بالْمرْحمة (١٧)﴾ اى الشفقة على خلق الله ومدار امر الطاعة على هذين ولذا قيل اصل التّصوف امران صدق مع الحقّ وخلق مع الخلق ﴿أُولئك﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أصْحابُ الْميْمنة (١٨)﴾ اى اليمين او اليمن ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩)﴾ اى الشمال او الشّوم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)﴾ مطبقة من اوصدت الباب اى اطبقته.

* * *

سورة الشمس

مكية خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ... ﴾ ضوئها اذا اشرقت ﴿ ... ﴾ اى تبع طلوعه طلوعها مرتيا عند غروبها آخذا فى الغروب بعد غروبها وذلك اوّل الشهر او تبع طلوعه غروبها ليلة البدر ﴿والنهار إذا ... ﴾ اى جلى الشمس من قبيل نسبة الفعل الى زمانه كما فى صام نهاره لانّ انجلائها يقع حين انبساطه لا انه يجليها ﴿ ... ﴾ يغطى ضوئها وهو ايضا من قبيل الاسناد الى الزّمان اذ المغطى حيلولة الأرض فى اللّيل بينها وبين ما وقع ضوأها عليه ﴿والسماء وما بناها ﴾ والأرض وما ... ﴾ بسطها ﴿ ... ﴾ التّنكير للتكثير ﴿وما سوّاها ﴾ فى الخلقة وكلمة ما فى الثّلاثة مصدريّة باضمار اسم الله فى الأفعال للعلم به او بمعنى من اختيرت لأراضة الوصف كما ذكرنا فى السورة المتقدمة ﴿ ... ﴾ اى افهمها وبيّن لها طريق الخير والشر وجواب القسم ﴿قد ... ﴾ حذفت منه اللاّم لطول الكلام ﴿من زكاها ﴾ طهّرها واثناها بالعلم والعمل ﴿وقد خاب﴾ خسر ﴿من دسّاها ﴾ نقّصها واخفاها بالجهالة والفسوق والاصل دسسها قلبت السين الأخيرة الفا تخفيفا كما فى تقضى البازى واستشهد على هذا الاخير بقوله ﴿ كذّبت ثمود﴾ نبيّها صالحا ﴿ ... ﴾ بسبب طغيانها اصله طغياها ﴿إذ انبعث﴾ اسرع ظرف كذبت او طغواها ﴿أشقاها ﴾ اى اشقى ثمود وهو قدار بن سالف الى عقر النّاقة برضاهم ﴿فقال لهم رسول الله﴾ صالح ذروا ﴿ ... ﴾ شربها فلا تردوها عنه وكان لها يوم ولهم يوم ﴿فكذّبوه﴾ فيما حذّرهم من حلول العذاب ان فعلوا ﴿فعقروها فدمدم عليهم ربّهم﴾ اى اطبق عليهم العذاب ومرّ فى الشّعراء[1] انّ فى امثاله ثلثة اوجه ﴿ ... ﴾ اى استوى الدّمدمة بينهم فلم يفلت منهم صغيرا ولا كبيرا ﴿ ... ﴾ حال ﴿ ... ﴾ تعالى ﴿ ... ﴾ عاقبة الدّمدمة.

---

[1] راجع ج ١٩٧

سورة الليل

مكية احدى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والّيل إذا يغشى (١)﴾ بظلامه النّهار او كلّما يواريه قدّم فى السورة المتقدّمة النّهار باعتبار الشّرف وهنا اللّيل باعتبار الاصل فانّ وجود النّهار بوجود الشّمس بعده ﴿والنّهار إذا تجلّى (٢)﴾ ظهر بزوال ظلمة اللّيل واذا لمجرّد الظرفية عمل فيه فعل القسم ﴿وما﴾ بمعنى من او مصدريّة ﴿خلق الذّكر والأنثى (٣)﴾ آدم وحوّى او كلّ ذكر وانثى ﴿إنّ سعيكم﴾ عملكم ﴿لشتّى (٤)﴾ جمع شتيت اى اشتات مختلفة فى الجزاء كما فصل بقوله ﴿فأمّا من أعطى﴾ حقّ الله ﴿واتّقى (٥)﴾ معاصيه ومن جملتهما الأصغاء لكلمة التّوحيد والاتقاء عن الاشراك وهما مقدّمان على التوحيد فلذا قدمهما على ﴿وصدّق بالحسنى (٦)﴾ اى الكلمة الحسنى الدّالة على حقّ ككلمة التّوحيد ﴿فسنيسّره﴾ نهيّئه ﴿للّيسرى (٧)﴾ اى الخصلة المؤدّية الى يسر وراحة كالجنّة ﴿وأمّا من بخل﴾ بحقّ الله ﴿واستغنى (٨)﴾ عن ثوابه بشهوات الدّنيا ﴿وكذّب بالحسنى (٩) فسنيسّره للعسرى (١٠)﴾ اى الخصلة المؤدّية الى العسرة كالنّار ﴿وما يغنى عنه ماله إذا تردّى (١١)﴾ فى النّار نفى او استفهام انكار ﴿إنّ علينا﴾ بمقتضى وعدنا لا الوجوب ﴿للهدى (١٢)﴾ تبيين طريق الهدى من طريق الضّلال ليمتثل امرنا ونهينا ﴿وإنّ لنا للآخرة والأولى (١٣)﴾ اى الدّنيا فنعطى فى الدّارين ما نشاء لمن نشاء ﴿فأنذرتكم﴾ يا كفّار مكّة ﴿نارا تلظّى (١٤)﴾ فيه حذف احد التّائين اى تتلهّب ﴿لا يصلاها﴾ اى لا يدخلها دخولا ابديّا ﴿إلّا الأشقى (١٥)﴾ اى الكافر لانّه اشقى من الفاسق وهو وان دخلها لم يتأبّد فيها وربّما لا يدخلها لانّه مفوّض الى المشيّة ﴿الّذى كذّب﴾ الحقّ ﴿وتولّى (١٦)﴾ عن الطّاعة

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يبعد عنها فلا يدخلها اصلا ﴿الْأَتْقَى (١٧)﴾ اى الّذى اتقى الشرك والمعاصى ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾ يصرفه فى وجوه الخير ﴿يَتَزَكَّى (١٨)﴾ حال اى متزكّيا عند الله بان يخرجه له لا رياء وسمعة ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ﴾ اى عند المعطى ﴿مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩)﴾ فيقصد باعطائه مجازاتها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)﴾ اى سيعطيه الله من الثّواب ما يرضى به.

* * *

سورة الضحى

مكّية احدى عشرة آية
وسن فى الصلوة وخارجها التّكبير فى خاتمتها وخواتم ما بعدها اتباعا له عليه السّلام ولفظه لا اله الاّ الله والله اكبر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَى (١)﴾ اى صدر النّهار اى وقت ارتفاع الشّمس خصّه لانّه وقت اشتداء الضّوء فسّر فى ﴿والشّمس وضحيها﴾[1] بالضّوء لاضافته الى الشّمس اذ لا معنى لاضافة صدر النّهار اليها وفى ﴿ان يأتيهم باسنا ضحى﴾[2] بالنّهار لوقوعه مقابلا لبياتا الّذى يعمّ اللّيل كلّهم وهنا بما ذكرنا لوقوعه مقابلا للّيل المقيّد بوقت اشتداد ظلامه كما قال ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢)﴾ سكن اهله او اشتد ظلامه بحيث لا يزداد فالاسناد مجاز من قبيل صام نهاره وجواب القسم ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ اى ما قطعك قطع المودّع ﴿وَمَا قَلَى (٣)﴾ اى ما ابغضك حذف المفعول اكتفاء بما قبله او مراعاة للفواصل نزل ردّا لقول المشركين انّ ربّه ودّعه وقلاه لمّا رأوا تأخّر الوحى عنه خمسة عشر يوما او اقلّ او اكثر لتركه الاستثناء كما مرّ فى الكهف[3] او لزجره سائلا ملحّا او لغير ذلك ممّا قيل او لحكمة لا يعلمها الاّ الله ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ﴾ لما فيها من الكرامات واللّذات الدّائمة ﴿مِنَ الأُولَى (٤)﴾ اى الدّنيا الفانية الجافية او لنهاية امرك خير من بدايته فانّك لا تزال فى تصاعد الرّتبة والكمال ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)﴾ والمراد جميع ما اعطاه من كمال النّفس واعلاء الدّين وما ادّخر له ممّا لا يعرف كنهه سواه واللاّم للأبتداء والمبتدأ بعدها مقدّر اى ولأنت

---

[1] - سورة الشمس: ١
[2] - سورة الأعراف: ٩٨
[3] - آية: ٢٣

سوف يعطيك ثمّ عدّد ما انعم عليه تنبيها على انّه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل فقال ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ استفهام تقرير اى قد علمك اوصادفك ﴿يَتِيمًا﴾ لفقد ابيك عبدالله قبل ولادتك او بعدها بثلثين يوما وهو مفعول ثان او حال ﴿فَآوَى (٦)﴾ اى فجعل لك مأوى تأوى اليه بان ضمّك الى جدّك عبد المطلب وامّك آمنة ثمّ الى عمّك ابى طالب الى ان بعثت نبيّا فنصرك مدّة مديدة ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عمّا انت عليه الآن من الشّريعة ﴿فَهَدَى (٧)﴾ اى هداك اليها بالوحى ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيرا ﴿فَأَغْنَى (٨)﴾ بمال خديجة والغنائم او بما قنّعك به من الرّزق وفى الحديث: «ليس الغنىّ عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النّفس»[1] ثمّ فرّع على منّته عليه بتوصيته على من مثله فقال ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩)﴾ باخذ ماله او غير ذلك ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠)﴾ اى لا تزجر ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾ فانّ التّحدث بها شكرها.

* * *

[1] - صحيح البخاري: ٧٩/٢٠

سورة الم نشرح

مكيّة ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١)﴾ استفهام تقرير اى فسحناه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا ﴿وَوَضَعْنَا﴾ حططنا ﴿عَنْكَ وِزْرَكَ (٢)﴾ حملك ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣)﴾ اثقله والمراد ما ثقل عليه من جهله بالحكم والأحكام او حيرته قبل البعث فى كيفية عبادة ربه وشكره على نعمه الجسام او ماكان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾ بالنّبوة وغيرها حتى قرننا اسمك مع اسمنا فى كلمتى الشّهادة اينما استعملت وجعلنا طاعتك طاعتنا ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ اى الشّدة كضيق الصدر والوزر المذكور ﴿يُسْرًا (٥)﴾ سهولة عظيمة كالشّرح والوضع المذكورين والتوفيق للاهتداء والطاعة فتيقّن بعد هذا انّه لا ينفكّ عسر مّا عن يسر عظيم فاىّ زمهرير لا يعقبه الرّبيع ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾ تاكيد وتقرير للجملة المتقدمة وتمكين لها فى القلوب او استيناف وعد بانّ العسر المذكور اوّلا متبوع بيسر آخر كثواب الآخرة فانّ الشّئ اذا اعيد معرّفا يراد به عين الاوّل واذا اعيد منكّرا كان فى الاغلب غير الاوّل ويؤيّده ايضا قوله عليه السّلام يقول الله خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وقولهم التاسيس خير من التّاكيد ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من التبليغ ﴿فَانْصَبْ (٧)﴾ اى اتعب فى العبادة شكرا للنّعم ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ دون غيره ﴿فَارْغَبْ (٨)﴾ بالسّؤال.

• • •

سورة التين

مكية ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١)﴾ اي الثمرتين المأكولين خصّهما بالقسم لكثرة منافعهما او جبلين بالشّام فيهما المأكولين او دمشق وبيت المقدس ﴿وَطُورِ سِينِينَ (٢)﴾ اى الجبل الذى كلّم الله موسى عليه وسنين وسيناء اسمان للموضع الذى هو فيه ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ﴾ اى مكة ﴿الْأَمِينِ (٣)﴾ اى الآمن اوالمأمون فيه يأمن فيه من دخله وجواب القسم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)﴾ تعديل لشكله وصورته وتسوية اعضائه وانتصاب قامته وتكمّله بالقوى الباطنة الّتي يتوسل بها الى الفضائل العملية والأخلاق المرضية حتى قيل انه العالم الصغرى المستجمع لجمع ما فى العالم الكبرى من الخواص والطبايع والاشكال وافق بعدم حنث من قال لزوجته انت طالق ان لم تكوني احسن من القمر ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ لانكاره تلك الخلقة الحسنة وعدم الشكر عليها ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥)﴾ وهو النّار ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ورتّب على الاستثناء مقررا له قوله ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦)﴾ مقطوع او ممنون به عليهم وقيل المراد باسفل السّافلين ارذل العمر والاستثناء منقطع مشعر بعدم نقصان اجر المؤمن بذلك وان نقص عمله كما فى الحديث: «اذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل» ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ الخطاب للنبى اى ايّ شئ يكذبك نطقا او دلالة او للإنسان على الالتفات اى ايّ شئ يحملك على الكذب ﴿بَعْدُ﴾ اى بعد ما ذكر من الخلق والردّ العجيبان ﴿بِالدِّينِ (٧)﴾ بالجزاء وحقق ذلك بقوله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ الفاعل لما ذكر ﴿بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)﴾ صنعا وتدبيرا بلى فيكون قادرا على الاعادة والجزاء وسنّ ان يقال هنا بلى وانا على ذلك من الشّاهدين.

سورة العلق

مكيّة تسع عشر آية وهى الى (مالم يعلم) اوّل ما نزلت وذلك بغار حراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ﴾ القرآن او اوجد القرائة مبتدأ او مستعينا ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾ كلّ شئ ثم افرد ماهو اشرف وادلّ على وجوب العبادة المقصودة من القرائة فقال ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)﴾ جمع علقة وهى القطعة من الدّم ﴿اقْرَأْ﴾ تاكيد للاوّل او جواب لقوله عليه السّلام عند الاوّل لست بقارئ ﴿وَ﴾ حال ﴿رَبُّكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿الْأَكْرَمُ (٣)﴾ الّذى لا يوازيه كريم بل هو الكريم وحده على الحقيقة لانّ حقيقة الكرم وهو اعطاء ما ينبغى لا لغرض انّما يوجد منه ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الخط ﴿بِالْقَلَمِ (٤)﴾ ليحفظ به العلوم المهمّة وتقيّد به كما قيل العلم صيد والكتابة قيد واوّل من خطّ ادريس عليه السّلام ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ بخلق القوى ونصب الدّلائل وانزال الآيات فيعلّمك القراءة وان لم تكن قاريا ﴿كَلَّا﴾ ردع له عليه السّلام عن تعلّم الخطّ لانّ كونه اميّا ابلغ فى اعجازه بالقرآن او لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن﴾ لان ﴿رَآهُ﴾ اى علم نفسه ولذا جاز كون فاعله ومفعوله ضميرين لشئ واحد والمفعول الثانى ﴿اسْتَغْنَىٰ (٧)﴾ بالمال اوّل السّورة يدلّ على مدح العلم وشرفه واخرها على مذمة المال وكفى ذلك مرغّبا فى الدّين والعلم ومنفرا عن الدّنيا والمال لكن كونه سببا للطّغيان انّما هو فى حقّ المحجوبين الّذين يعلمون الحياة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون بخلاف اولى البصائر والعرفان فانّ عرض الدّنيا لا يلههم عن مولاهم بل يتخذوه وسيلة اليه كسليمان وغيره من الأغنياء العارفين ولذا صحّ انّ الغنى الشاكر افضل من الفقير الصّابر ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨)﴾ اى الرّجوع خطاب لمن ردع لبيان انّ الانسان الطّاغى سوأ

حاله ووخامة عاقبته فى الغاية واستشهد على طغيان الانسان حال الاستغناء بما انزل فى حقّ ابى جهل لمّا قال لو لرأيت محمّدا ساجدا لوطأت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل ما لك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة من قوله ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى (٩) عَبْدًا﴾ اى النبى ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النّهى والدّلالة على كمال عبوديّة المنهىّ ﴿إِذَا صَلَّى (١٠)﴾ فالرأية بمعنى الأبصار اى اشاهدت هذا الناهى وعرفت طغيان الأنسان المستغنى الى انه لا يكتفى بكفرانه بل يتجاوز الى تكليف العبد الّذى ارسل للمنع عن الكفران بالكفران ثمّ وبّخه على تفويته حال السعيد وكسبه حال الشّقى فقال ﴿أَرَأَيْتَ﴾ اعلمت ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢)﴾ فانّه على ايّ فوز وسعادة يكون ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣)﴾ فانّه على ايّ عقوبة وخسران يكون فجواب كلّ من الشرطين محذوف قائم مقام مفعولى علمت وقوله ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤)﴾ تهديد ووعيد شديد له بعد التّوبيخ وما فى القاضى غير هذا فراجعه ﴿كَلَّا﴾ ردع للنّاهى ﴿لَئِنْ﴾ لام توطئة القسم ﴿لَمْ يَنْتَهِ﴾ عمّا هو عليه من الكفر والطغيان ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥)﴾ لنجرن بناصيته الى النّار وكتبت نون التاكيد فى مصحف عثمان بالالف على حكم الوقف ﴿نَاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة جوّزه وصفها مجازا بقوله ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧)﴾ اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الّذى يتندّى اى يتحدّث فيه القوم وكان قال للنبى لمّا غلظ عليه حين نهاه عن الصلوة اتهدّدنى ولا اكثر ناديا منّى ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨)﴾ ليجرّوه الى النّار وفى الحديث لو دعى ناديه لأخذته الزّبانية عيانا ﴿كَلَّا﴾ ردع ايضا له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ يا محمّد فى ترك الصلوة ﴿وَاسْجُدْ﴾ دم على سجودك ﴿وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾ اى تقرّب الى ربّك بالطاعة والسّجود وفى الحديث: «اقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد»[1]

* * *

[1] - صحيح مسلم: ٢٩/٣

سورة القدر

مكيّة او مدنيّة خمس او ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ اى القرآن جملة واحدة من اللّوح المحفوظ الى سماء الدّنيا وفى اضماره من غير ذكر واسناد انزاله اليه تفخيم لا يخفى ﴿فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)﴾ وهى فى العشر الأخير من رمضان وارجيها الأوتار فقيل الثالثة منها وقيل السّابعة وقيل غير ذلك وعلامتها انّها ليلة معتدلة تطلع الشّمس فى صبيحتها قليلة الشعاع لعظم انوار الملائكة النّازلين والصّاعدين فيها ولا ينال كمال فضلها الاّ من اطلعه الله عليها ويسنّ له الكتم وانّما اخفيت ليحيي من يريدها ليالى كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الأمور فيها ثمّ فخّم شانها بقوله ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢)﴾ اى اىّ شئ اعلمك غاية فضلها ومنتهى علوّ قدرها يعنى لا تعلم ثمّ بيّنه له بقوله ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)﴾ ولذا صحّ من قام ليلة القدر ايمانا اى تصديقا بها احتسابا اى لثوابها عند الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر وذكر هذا العدد للتكثير او لما روى انّه عليه السّلام ذكر اسرائيليّا لبس السّلاح الف شهر وهى ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر فتعجّب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدّة ذلك الغازى وبيّن ما به فضّلت على ذلك بقوله ﴿تَنَزَّلُ﴾ اى تتنزّل ﴿الْمَلَئِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ اى جبرائيل ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤)﴾ اى لأجل حل كلّ امر قدره الله لتلك السنة الى القابلة ﴿سَلَمٌ هِىَ﴾ مبتدأ وخبر وعكس النظم للحصر اى ما هى الاّ سلامة لانّها المقدرة فيها وامّا البلاء فيقدّر فى غيرها او ماهى الاّ سلام لكثرة ما يسلّمون فيها على المؤمنين ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)﴾ اى طلوعه روى انّه ينزل كلّ من جبرائل وميكائيل واسرافيل بسبعين الف

ملك فينصبوا علما اخضر من نور على قبر النّبي وآخر احمر على سطح الكعبة وآخر اصفر على بيت المقدس وسيطلع شعاع تلك الاعلام على جميع الدّنيا يطلع عليه من شاء الله ثمّ تتفرّق الملائكة لتبليغ سلام الله الى من يحيها فمن كان مصلّيا او مشغلا بذكر فيقال له السلام عليك ياعبد الله من عند الله ومن كان نائما فيدور الملك حوله سبعين مرّة فان استيقظ وذكر اسم الله سلّم عليه الملك والاّ فيقول له لا تلومنّ الاّ نفسك.

* * *

سورة البينة

مكيّة او مدنيّة تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ﴾ للبيان ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اى اليهود والنّصارى ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ اى عبدة الاصنام عطف على اهل وخبر يكن ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ اى زائلين عمّا هم عليه من دينهم ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١)﴾ حجّة واضحة ويدل منها ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢)﴾ من الباطل ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾ اى احكام مكتوبة ﴿قَيِّمَةٌ (٣)﴾ مستقيمة اى يتلو القرآن الّذى هو مصدّق ومطابق لتلك الصّحف فكانّه يتلوها فلا يرد انّه امىّ يتلقى القرائة عن ظهر قلب فكيف يقرأ الصحف ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بان آمن بعضهم وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤)﴾ وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين لما يختصّ بهم وهو قوله ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ فى كتبهم ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾ اللاّم بمعنى الباء او زائدة لانّ الأمر لا يتعدى به ﴿اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشّرك حال من فاعل يعبدوا وكذا ﴿حُنَفَاءَ﴾ مائلين عن العقائد الزائغة ففيه نوع تاكيد للأخلاص ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ ولكنّهم حرّفوا وعصوا ﴿وَذَلِكَ﴾ المأمور به ﴿دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾ اى دين الملّة المستقيمة فهو من اضافة العام الى الخاص لانّ الملّة المستقيمة اخصّ منه وان كان بينه وبين مطلق الملّة اتّحاد بالذات تغاير بالاعتبار ثمّ بيّن مآل كلّ من اهل الكتاب والمشركين وعقّبه بمدح اهل الحقّ وما لهم فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدّرة اى مقدّرا خلودهم فيها من الله ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)﴾ اى الخليقة لانّها فعيلة من البرأ بمعنى الخلق ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ثمّ استأنف بما يكون زيادة على جزائهم فقال ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من الجزاء والرّضوان ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾ فانّ الخشية هى الباعثة على كلّ خير فتحلب كلّ نفع.

سورة الزلزلة

مكيّة تسع ايات،
وفى الحديث انّها تعدل ربع القران وكذا تاليتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ذُلْزِلَتِ﴾ حرّكت ﴿الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١)﴾ الأضافة للعهد اى تحريكها الشّديد المناسب لعظمها او المقدر لها عند النّفخة الثّانية او الأولى ان جعل وقتهما وقتا واحدا ممتدا لقوله ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢)﴾ اى ما فى جوفها من الكنوز والاموات فان اخراج الاموات عند النّفخة الثّانية ﴿وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣)﴾ لدهشته من هولها وامّا قول المؤمن هذا ما وعد الرّحمن وصدق المرسلون فبعد ذهاب الدّهشة ورجوع عقله اليه فلا حاجة الى تخصيص الأنسان بالمنكر للبعث ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من اذا وجوابها ﴿تُحَدِّثُ﴾ الخلق بلسان الحال او المقال ﴿أَخْبَارَهَا (٤)﴾ اى ما لأجله زلزالها واخرجها او ما عمل عليها من خير وشرّ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥)﴾ اى بسبب انّه اوحى اليها بان احدث فيها ما يدل على الاخبار او انطقها بها ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ من قبورهم الى الموقف ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرّقين بحسب مراتبهم ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦)﴾ اى جزائها وفصل ذلك بقوله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ اى زنة ذرة وهى النملة الصغيرة او الهباء الذى يرى على شعاع الشمس ﴿خَيْرًا يَرَهُ (٧)﴾ فينبغى ان لا يجتنب عن الخير اليسير ولذا قال عليه السلام: «اتقوا النّار ولو بشق تمرة ومن لم يجد فبكلمة طيّبة» ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ فينبغى ان لا يتهاون فى الذنب اليسير ولعلّ حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص العقاب والثّواب وان كانت الأولى محبطة بلا ثواب والثانية مغفورة بلا عقاب فلا حاجة الى التّخصيص بغيرهما ولا الى جعل من الأولى مخصوصة بالسعداء والثّانية بالاشقياء كما قيل.

سورة العاديات

مكيّة أو مدنيّة إحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ اى خيل الغزاة التى تعدوا فى الغزو ﴿ضَبْحًا (١)﴾ وهو صوت اجوافها عند العدو وانتصابه على المصدر او الحال اى تضبح ضبحا او ضابحات ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ اى الّتى تورى وتخرج النّار بحوافرها اذا سارت فى الأرض ذات الحجارة باللّيل ﴿قَدْحًا (٢)﴾ اى تقدح قدحا او قادحات ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣)﴾ من قبيل الاسناد المجازى اى الّتى يغير اصحابها بسببها على العدوّ فى وقت الصباح لكونه وقت الغفلة وقلّة الظلمة ﴿فَأَثَرْنَ﴾ من باب الأفعال كاجبن اى هيّجن ﴿بِهِ﴾ اى بذلك الوقت او العدو ﴿نَقْعًا (٤)﴾ اى غبارا لشّدة حركتهنّ ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ اى توسطن بذلك الوقت او بالنّقع ﴿جَمْعًا (٥)﴾ من العدوّ اى صرن وسطه ولكون اسم الفاعل مع اللاّم فى معنى الفعل عطفت هذه الأفعال عليه وجواب القسم ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ﴾ متعلق ﴿لَكَنُودٌ (٦)﴾ كفور جاحد نعمه تعالى او عاص او بخيل اى طبعا الاّ من هدى الله فسعى على خلاف طبعه ففيه مدح للغزاة لمخالفتهم طبعهم ﴿وَإِنَّهُ﴾ اى الانسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ اى كنده ﴿لَشَهِيدٌ (٧)﴾ اى يشهد على نفسه بذلك بلسان الحال لظهور اثره عليه ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ اى لأجل حبّ المال متعلق ﴿لَشَدِيدٌ (٨)﴾ لبخيل ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ الأنسان الآن ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ بعث مرّ فى الانفطار.[1] ﴿مَا فِي الْقُبُورِ (٩)﴾ من الموتى ﴿وَحُصِّلَ﴾ بيّن وافرز ﴿مَا فِي الصُّدُورِ (١٠)﴾ من خير او شرّ وتخصيصه لانّه الاصل وجواب اذا محذوف اى انّ الله يجازيهم دلّ عليه ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١)﴾ فيجازيهم ولكونهم امواتا فى القبور احياء بعد البعث عبر عنهم بما لغير العقلاء ثم بضمير العقلاء.

---

[1] - ايه: ٤

سورة القارعة

مكية عشر آيات او ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ... ﴾ مرّ بيانه فى الحاقّة ﴿... ﴾ منصوب بمضمر دلّت عليه القارعة اى تقرع يوم ﴿... ﴾ اى الجراد المنتشر يموج بعضه فى بعض الى ان يدعوا الى الحساب ﴿... ﴾ اى الصوف المصبوغ الوانا المندوف المفرق بالأصابع لتفرق اجزائها وتطايرها فى الجوّ ﴿... ﴾ بان رجحت حسناته على سيّآته ﴿... ﴾ اى ذات رضى كالابن او باسناد وصف الفاعل الى المفعول او التسبب لانّها سبب الرّضاء ﴿... ﴾ بان رجحت سيّآته على حسناته او لم يكن له حسنة يعتدّ بها ﴿... ﴾ ماواه ﴿... ﴾ من اسماء النّار ولذا قال ﴿... ﴾ اى ذلك ما هية ﴿... ﴾ اثبت هاء السكت فى الوصل ايضا اجراء له مجرى الوقف هى ﴿... ﴾ شديد الحرارة.

• • •

سورة التكاثر

مكية ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألهاكم ﴾ شغلكم عن طاعة الله وما يعنيكم من امر الدين حذف للتعظيم والمبالغة ﴿ التكاثر ﴾ اى التفاخر بكثرة الأعداد والعشائر ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ اى حتى انتقلتم الى ذكر الأموات والتكاثر بهم بعد ان استوعبتم عدد الأحياء نزلت فى بنى عبد المناف وبنى سهم فانهم تفاخروا بالكثرة فغلبهم بالكثرة بنو عبد المناف فقال بنو سهم ان بغى الأعداء والقتال معهم اهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالأحياء والاموات فغلبهم بنو سهم وقيل معناه الهاكم التكاثر بالأموال والأولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا عما هو اهم لكم ﴿ كلا ﴾ ردع عن التكاثر ﴿ سوف تعلمون ﴾ تعرفون بسوء عاقبة تفاخركم عند النزع ﴿ ثم كلا سوف تعلمون ﴾ فى القبر او النشور ﴿ كلا لو تعلمون ﴾ تعرفون ما بين ايديكم ﴿ علم اليقين ﴾ اى علما يقينيا على انه من اضافة الموصوف الى صفته لشغلكم ذلك عن غيره حذف للتفخيم بالأبهام ثم ﴿ لترون الجحيم ﴾ جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم به منه بعد ابهامه تفخيما ولا يجوز جعله جواب لو لكونه محققا لا معلقا وكذا ما عطف عليه ﴿ ثم لترونها ﴾ تاكيد او المراد به الرؤية حين الورود وبالاول الرؤية من مكان بعيد ﴿ عين اليقين ﴾ صفة مصدر محذوف اى رؤية هى نفس عين اليقين فان علم المشاهدة للمحسوسات اعلى مراتب اليقين فلا يرد ان اعلى مراتب اليقينيات الاوليات قالوا علم اليقين ما اعطاه الدليل وعين اليقين ما اعطاه المشاهدة وحق اليقين استيلاء نور تجلى الحق على ظلمة رسم العبد وافناه ﴿ ثم لتسألن ﴾ فى موقف الحساب فثم للترتيب فى الأخبار لا لتراخى

زمان السؤال عن مشاهدة الجحيم وورودها ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾ أهل اديتم شكره باتخاذه تقوية لامتثال طاعة منعمكم ام كفرتم باتخاذه وسيلة الألتذاذ فقط والخطاب مخصوص بكلّ من الهاه دنياه عن دينه من الكفّار والفسّاق والنّعيم بما يشغله بقرينة ان ما سبق كلّه خطاب له وللنّصوص كقوله: ﴿من حرّم زينة الله﴾[1] ﴿كلوا من الطّيبات﴾[2] وقيل: يعمان اذ كلّ يسئل عن شكر ما انعم عليه الاّ انّ سؤال المؤمن تشريف وسؤال الكافر توبيخ.

* * *

[1] - سورة الأعراف: ٣٢

[2] - سورة المؤمنون: ٥١

سورة العصر

مكية وهى ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ (١)﴾ اقسم بصلوة العصر او الدهر لاشتماله على الاعاجيب وليكون تعظيمه تعريضا بنفى ما يذكر النّاس من شكواهم منه وردّا على الدّهرية انّه شريك البارى او عصر النّبوة لفضله واشتماله على الأعاجيب ايضا ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ اى كلّه ﴿لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾ التّنكير للتعظيم اى لفى خسر عظيم فى مساعيهم وصرف اعمارهم فى مطالبهم حتى يؤدّى بهم الى الخلود ان ماتوا على الكفر والدّخول فى النّار ان ماتوا على العصيان ان لم يغفر وفوت الدّرجات العالية ان غفر ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فانّهم اشتروا الآخرة بالدّنيا ففازوا بالسّعادة الأبديّة ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ اى اوصى بعضهم بعضا ﴿بِالْحَقِّ﴾ اى الثّابت الّذى لا يصحّ انكاره من اعتقاد او عمل من عطف الخاص على العام وكذا ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ على الحقّ والطّاعة وعن المعصية او على ما يبلوا الله عباده وهذه الأربعة سبب الربح ولم يذكر سبب الخسر تكرّما لانّ تعداد امثال القاصرين ليس من دأب الكريم.

* * *

سورة الهمزة

مكيّة أو مدنيّة تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١)﴾ اى كثير الهمز واللّمز اى الطّعن فى النّاس واظهار عيبهم لانّ بناء فعلة للأعتياد والتكثير والمقصود تقبيح هذين الوصفين ونهى الانسان عنهم وان نزلت فى من كان يغتاب النّبى والمؤمنين كأمية بن خلف والوليد بن مغيرة وغيرهما ﴿الَّذِى جَمَعَ مَالاً﴾ بدل بعض من كلّ او ذمّ منصوب باعنى او مرفوع بتقدير هو لانّه وصف معنوىّ لكلّ وفيه ايضا يجوز قطع النعت عن المنعوت لا لحوىّ لانّه اعرف ﴿وَعَدَّدَهُ (٢)﴾ اى جعله عدّة وزخيرة للحوادث او عدّد اصنافه اى جعله اصنافا متعدّدة من الغنم والأبل وغير ذلك ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣)﴾ صيّره خالدا فى الدّنيا فاحبّه كما يحبّ الخلود وهو حال من فاعل جمع او استيناف لبيان سبب اهتمامه بجمعه ﴿كَلاَّ﴾ ردع له من حسبانه او من الهمز واللّمز ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾ يطرحنّ من انبذ او نبذ لانّهما بمعنى وهو جواب قسم محذوف ﴿فِى الْحُطَمَةِ (٤)﴾ اى النّار الّتى تحطم وتكسر كلمّا القى فيها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥)﴾ هى ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ (٦)﴾ الّتى اوقدها الله وما اوقده لا يقدر ان يطفيه احد فهى منقدة ابدا لا تخمد ﴿الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧)﴾ اى تعلو وتشمل على القلوب وتخصيصها بالذّكر لانّها الطف ما فى البدن واشد تألّما لانّها محل العقائد الزّائغة ومنشأ الاعمال القبيحة ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨)﴾ مطبقة من اوصدت الباب اى اطبقته ﴿فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)﴾ اى فى اعمدة ممدودة مثل المقاطر الّتى تقطر فيها اللّصوص.

* * *

سورة الفيل

مكية خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ استفهام تقرير اى قد رأيت يا محمّد بتواتر الاخبار ومشاهدة الأثار عيانا لانّ الواقعة كانت عام مولده فلذلك يقال: هى من ارهاصاته والمقصود من ذكرها امّا تهديد الظّلمة او تسليته عليه السّلام بانّه سيجزى من ظلمه كما جزى اهلها معمول لقوله ﴿فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١)﴾ وهم ابرهة ملك اليمن وجيشه فانّه بنى بصنعاء كنيسة سمّاها القليس ليصرف اليها الحاج عن مكّة فخرج رجل من كنانة وتغوط فيها ولطّخ قبلتها بالعذرة احتقارا بها فحلف ليهدمنّ الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوىّ اسمه محمود وفيلة اخرى فلمّا تهيّأ للدّخول تقدّم الفيل فبرك وكان كلّما وجهوه الى الحرم برك ولم يذهب واذا وجهوه الى اليمن او جهة اخرى اسرع فارسل الله طيرا كلّ فى منقاره حجر وفى رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فرمتهم فكانت الحجر تقع فى رأس الرّجل وتخرج من دبره فهلكوا جميعا، كما قال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ استفهام تقرير اى قد جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ فى تعطيل الكعبة وهدمها ﴿فِي تَضْلِيلٍ (٢)﴾ خسار وهلاك ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾ اسم جنس اطلق هنا على آحاد الجنس وجماعته ﴿أَبَابِيلَ (٣)﴾ جماعات جماعات، قيل: لا واحد له، وقيل: واحده ابول او ابال او ابيل كعجول ومفتاح وسكّين، وهو صفة للطير، وكذا ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤)﴾ اى طين مطبوخ معرب سنك كِلْ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)﴾ اى كورق زرع وقع فيه الدّود فاكلته واحرجته عن الانتفاع.

• • •

سورة قريش

مكيّة وهى اربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١)﴾ مصدر آلف بالمدّ بمعنى الف اى لألفيّة قريش ولزومهم ومداومتهم او متعدّ لأيلاف الله والزامه اياهم ويبدل منه تفخيما لامره ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢)﴾ اى رحلة فى الشّتاء الى اليمن وفى الصّيف الى الشّام لجلب الطّعام والتجارة والجار متعلّق بقوله كعصف مأكول سواء كانتا سورة واحدة من غير فصل بسملة كما فى مصحف ابىّ بن كعب او سورتان مستقلتان بفصلها كما هو المشهور المجمع عليه لانّ ذلك لا يمنع التّعلق فيكون كالتّضمين الشعرى وهو ان يتعلّق معنى بيت بالبيت الّذى قبله تعلّقا لا يصحّ الاّ به او بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ لانّ الفاء جزائية فيجوز تقدم معمول مافى حيزها عليه للحصر لا تعقيبيّة حتّى يمتنع ذلك والمعنى انّ نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لأيلاف آه ﴿رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ بالرحلتين والتنكير للتعظيم ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾ خوف اصحاب الفيل او خوف ان ينالهم فى اسفارهم للتجارة مكروه من نحو قطّاع الطّريق فانّهم كانوا يعظّمون لكونهم جيران بيت الله وسكان حرمه.

• • •

سورة الماعون

مكيّة أو مدنيّة أو منصفة سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَأَيْتَ﴾ استفهام تعجّب والخطاب للنّبى او لكلّ عاقل والرأية بصريّة اى اشاهدت وعرفت ﴿الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١)﴾ اى الجزاء او الاسلام ﴿فَذَلِكَ﴾ مبتدأ خبره ﴿الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢)﴾ اى يدفعه بعنف ﴿وَلاَ يَحُضُّ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)﴾ لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتّب الجملة على التكذيب بالفاء السّببية اشعارا بانّ هذا الفعل القبيح بسببه وقيل جواب شرط محذوف والاستفهام للتقرير او على حقيقته والمعنى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء وان لم تعرفه فذلك هو الّذى يدعّ آه والمراد به ابو جهل كان وصيّا ليتيم فجاء عريانا يسئله من مال نفسه فدفعه او العاص بن وائل او الوليد بن مغيرة ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤)﴾ الفاء جزائية اى اذا كان اولئك مستوجبين للذم فويل لهؤلاء ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾ والسّاهى عنها ان لا يعرفها ماهى ولا يبالى برعاية شروطها واركانها واوقاتها وآدابها فيقوم وينحط ولا يدرى ما يفعل كما هو فعل المنافقين وذلك اشرّ من تركها لانّه استهزاء بالدّين بخلاف من يأتيها خالصا لله ومتذلّلا متضرعا لكن يلحقه سهو وغفلة فيها بوسوسة الشيطان وحديث النّفس وهو يدفعه بقدر الأمكان فانّه لا يوجب الذّم فانّه ربّما كان يقع للنّبى عليه السّلام فضلا عن غيره ولذا قيل الحمد لله على انّه لم يقل فى صلاتهم ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (٦)﴾ اى يرون النّاس اعمالهم ليروهم الثّناء عليها ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾ اى الزكوة بقرينة الصّلوة او ما يستعمل ويحتاجه كلّ احد كالقدوم والفاس والأبرة وغير ذلك فانّ البخل بهذه الاشياء فى غاية الدنائة والخساسة.

سورة الكوثر

مكيّة ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ يا محمّد ﴿الْكَوْثَرَ (١)﴾ اى الخير الكثير من النّبوة والعلم والعمل وشرف الدّارين او حوض على باب الجنّة مسيرة شهر فى شهر مائه احلى من العسل وابيض من اللّبن وابرد من الثّلج والين من العسل حافتاه الزبرجد عليها كيزان بعدد نجوم السّماء لا يظمأ من شرب منه ابدا ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ اى دم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف السّاهى عنها والمرائى فيها شكرا لانعامه تعالى فانّها جامعة لأقسام الشّكر ﴿وَانْحَرْ (٢)﴾ البدن الّتى هى خيار اموال العرب وتصدّق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون فهى كالمقابلة للسّورة المتقدّمة وقد فسّرت الصلوة بصلوة العيد والنّحر بالتضحية ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ باغضك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾ اى منقطع الخير والنّسل والذكر الحسن وامّا انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف.

* * *

سورة الكافرون

مكية ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ نزلت فى رهط من المشركين قالوا: يا محمّد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فالخطاب مع الرّسول بالنّسبة الى كفرة مخصوصين علم الله انّهم لا يؤمنون فلا يرد انّ مقتضى الأمر ان يقول كلّ مسلم ذلك لكلّ جماعة من الكفّار مع انّ الشّرع غير حاكم به ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ فيما يستقبل فانّ لا للاستقبال فى المضارع وما فيه للحال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الاصنام ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ فيما يستقبل لانّه فى مقابلة لا اعبد وان كان اسم الفاعل صالحا للأزمنة الثلثة ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ فى الحال او فيما سلف او كلاهما ﴿مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ فى شئ من الأزمنة لانّ الاسميّة تفيد الدّوام ﴿مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ انتم عليه لا تتركونه ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الذى انا عليه لا اتركه فليس فيه اذن فى الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال الاّ ان يفسّر بالمتاركة وتقرّر كلّ من الفرقين الآخر على دينه.

* * *

سورة النصر

مدنيّة ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ ايّاك على اعدائك ﴿وَالْفَتْحُ (١)﴾ فتح مكّة او وغيرها ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢)﴾ جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكّة جاء العرب من اقطار الأرض طائعين ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ اى نزّهه عن العجز فى تأخير ظهور الفتح حامدا على التأخير فانّ توقيته الأمور ليس الاّ لحكمة لا يعرفها الاّ هو ويجوز ان يكون امر بالتّعجب واحضار غرابة تيسر الله له ما لم يخطر ببال احد بعلاقة انّه جرى العادة بتكلم سبحان الله فى مقام التّعجب ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾ لمن استغفر مذ خلق المكلّفين كان عليه السّلام بعد نزول هذه السّورة يكثر من قوله سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وعلم بها انّه قد اقترب اجله لانّ الأمر بالاستغفار تنبيه على دنوّه او لدلالتها على تمام الدّعوة وكمال امر الدّين فيدلّ على ارتحاله عليه السلام فكان فتح مكّة فى رمضان سنة ثمان من الهجرة وتوفى هو يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشر.

* * *

سورة تبت

مكيّة خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ﴾ اى خسرت وهلكت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ اى نفسه من قبيل ذكر الجزء وارادة الكلّ او الاسناد الى السّبب لانّ اكثر الافعال تكسب بهما وذكر كنيته لاستهجان ذكر اسمه وهو عبد العزّى او لاشهرتها او للتنبيه على انّ تكنيته بها لانّه سيصلى نارا ذات لهب لا لما زعم قومه من انّها لاشراق وجهه وتلهّبها ومرّ فى آخر الشّعراء سبب نزولها ﴿وَتَبَّ (١)﴾ اخبار بعد اخبار كقولهم اهلكه الله وقد هلك والتّعبير بالماضى لتحقّق وقوعه وكان يقول لو كان ما يقوله ابن اخى حقّا فانا افتدى منه بمالى وولدى فقال تعالى ﴿مَا أَغْنَى﴾ اى يغنى ﴿عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢)﴾ اى كسبه اى ولده عتبة وقد افترسه اسد فى طريق الشام لدعائه عليه السّلام عليه لمّا تفل فى وجهه المباركة باللّهم سلّط عليه كلبا من كلابك وكان قد احاط به العير لخوف ذلك الدّعاء ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايّام وترك ثلاثا حتى انتنّ ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فالسّورة اخبار عن الغيب طابقه وقوعه ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣)﴾ اشتعال وهى نار جهنّم ﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ عطف على ضمير سيصلى وهى ام جميل اخت ابى سفيان ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤)﴾ اى الأوزار والآثام بمعاداة الرّسول وحمل زوجها على ايذائه استعير لها الحطب لانّها توقد بها نار جهنّم كما انّ الحطب توقد بها نار الدّنيا او الحطب الحقيقىّ فانّها كانت تحمل حزمة الشوك لا لنفسها بل لتنثرها باللّيل فى طريق النّبى فكان يطئه كما يطئ الحرير فعلى التّقديرين لا يقال انّها كانت من بيت العزّ والشّرف فكيف تحتطب بنفسها وهو حال منها وكذا ﴿فِي جِيدِهَا﴾ عنقها ﴿حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)﴾ اى ممّا يمسد اى يفتل وهو على الاول ترشيح للاستعارة وعلى الثّانى تصوير لها بصورة الحطابة الّتى تحمل الحزمة وتربطها فى جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها فى نار جهنّم فانّها يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنّم وفى جيدها سلسلة من النّار كما انّها فى الدّنيا على هذه الصّورة.

سورة الإخلاص

مكيّة او مدنيّة اربع ايات

وفى الحديث: انّها تعدل ثلث القران ولذلك جرى عادة النّاس على تكريرها عند الختم ثلاثا لقصد حصول ختمة على يقين امّا الّتى قرأت او الّتى حصلت بتكرير السورة يعنى لتكون جبرا للخلل الواقع فى القرائة وورد من قرأها مائتى مرّة غفر الله ذنوبه مائتى سنة. ومن قراها الف مرّة فقد اشترى نفسه من الله، ومن قرأها وتاتييها حين يمسى وحين يصبح ثلث مرّات يكفيه من كلّ شئ سيّما مع ضمّ الكفين والنفث فيهما ثمّ مسح الراس والوجه وما اقبل من الجسد بهما كما يفهم من حديث انّه عليه السّلام كان يفعل ذلك عند الأوى الى فراشه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ ۝﴾ الضمير للشان مبتدأ والجملة خبره ولم يحتج الى عائد لانّها نفسه ذاتا والمغايرة انّما هى بالاجمال والتفصيل وفائدة تفسير الشئ بعد ابهامه افادة التفخيم والأيقاع فى النفوس ولكن المناسب على ما روى انّ نزولها كان عند ما قال قريش يا محمّد صف لنا ربّك الّذى تدعونا اليه على ان يكون الضمير لما سئل عنه اى الّذى سئلتمونى عنه هو الله واحد خبر ثان او بدل عند من جوّز ابدال النكرة الغير الموصوفة عن المعرفة وفائدته بعد ذكر الله الدّال على جميع صفات الكمال سيّما الاحديّة لكونه علما للجزئىّ الحقيقىّ التصريح بما علم ضمنا تقريرا للمؤمنين على توحيدهم وردّا للمشركين عن شركهم سواء كان مستعملا فى امتيازه عن المشاركات فى الذات كما هو اصله او بمعنى الواحد الّذى هو عبارة عن انتفاء المشاركة فى الصفات وما فى القاضى انّما تستقيم على هذا فراجعه وامّا فائدة اثبات قل هذه ونظائرها فى المصحف والتزامها فى التّلاوة مع انّه ليس من آداب المأمور بها ان يتلفظ فى مقام الايتمار الاّ بالمقول فلانّ المأمور ليس المخاطب

به فقط بل كلّ احد ابتلى بما ابتلى به المأمور فاثبت ليبقى على مرّ الدّهور منّا على العباد فيعلم كلّ منهم انّه تعالى امره بهذا الأمر الجزيل المنجى لهم عن دنس الشرك الرّزيل او لانّ المخاطب بها نفس التالى كانّه تعالى علّم به انّ كلّ احد عند مقام هذا المضمون ينبغى ان يأمر نفسه بالقول به وعدم التجاوز عنه ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)﴾ اى السيّد المصمود اليه فى الحوائج وتعريفه لعلمهم بصمديّته دون احديّته وتكرير لفظ الله للاشعار بانّ من لم يتّصف بالصمدية لم يستحق الالوهية لانّ تعريف الطرفين يدلّ على انحصار الصمدية فيمن اتّصف بالالوهية وكونها من توابع الالوهية فيشعر بانّ ما لا يكون صمدا لا يستحق ان يكون الها لانّ انتفاء التابع يشعر بانتفاء المتبوع ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ولدا اذ لم يجانس احدا حتى يتولد منهما من يجانسهما ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه والاقتصار على نفى الولد عنه فى الماضى لعلم المستقبل منه بالمقايسة او لكونه ردا لمن قال الملائكة بنات الله والمسيح وعزير ابنا الله او ليطابق قوله ﴿وَلَمْ يُولَدْ (٣)﴾ من اصل لأنتفاء الحدوث والأفتقار الى شئ عنه ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ اى لم يكن احد يكافيه ويماثله من زوجة وغيرها فله متعلق بكفوا قدّم لانّه اهمّ اذ المقصود نفى المكافاة عن ذاته تعالى وتأخير احد للفواصل ولمّا كانت هذه الجمل الثلاثة نتائج الاحدية والصمدية اوقع بينها العاطف لعطف نتيجة على نتيجة.

* * *

سورة الفلق

مكيّة او مدنيّة خمس آيات

نزلت بما بعدها لما سحر لبيد اليهودى النّبى عليه السلام فى وتر بأحد عشر عقدة وخفاه فى بئر فاعلمه الله بذلك وبمحله فارسل عليّا فجاء به وبدأ بقرائة السّورتين فكان كلّما قرأ آية منهما انحلت عقدة ووجد خفة فانحلّت العقد كلّها وقام كما نشط من عقال ولا يوجب ذلك صدق الكفرة انّه مسحور لانّهم ارادوا به انّه مجنون بواسطة السحر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١)﴾ فعل بمعنى مفعول اى المفلوق عنه والمراد به جميع الممكنات الموجودة فانّه تعالى فلق عنها ظلمة العدم بنور الايجاد وهو اتمّ واعظم فى الاستعاذة او الصبح كما هو المراد به عرفا وحينئذ وجه التّخصيص ما فيه من تبدّل وحشة اللّيل بسرور النّور وممائلة فاتحة يوم القيامة من حيث انّهم فى اللّيل كالأموات وقبورهم كالقبور فيخرجون منها متفاوتة الأحوال عزّة وذلّة وغنا وفقرا كما انّ الحال كذلك بعينه يوم القيامة وللاشعار بانّ من قدر ان يزيل به ظلمة اللّيل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الربّ هنا انسب من سائر اسمائه لانّ الاعاذة من المضارّ تربية ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)﴾ خصّ عالم الخلق وهو عالم الشهادة بالاستعاذة منه لانحصار الشّر فيه فانّ عالم الأمر وهو عالم الغيب خير كلّه وشرّه طبيعىّ كاحراق النّار واهلاك السموم واختيارىّ لازم لا يتعدى اثره الى غير فاعله كالكفر وغيره من الآثار اللازمة ومتعدّ كالظلم لانّه شرّ وفعل قبيح للظّالم وشر مؤذ للمظلوم ويدخل فيه افتراس السباع ولدغ الحية والعقارب ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)﴾ اى اللّيل العظيم الظلام اذا دخل ظلامه لانّ المضار فيه تكثر ويتعذّر الدّفع ولذلك قيل اللّيل اخفى للويل او القمر المظلم الجرم اذا انمحق نوره فى

آخر الشّهر فانّه حينئذ يكون منموسا قليل القوّة ولذلك لا يشتغل السّحرة بالسحر الممرض الاّ فى ذلك الوقت وهذا يناسب سبب النّزول. وفى القاموس عن الغزالى وغيره نقلا عن ابن عبّاس: الذّكر اذا قام. ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)﴾ اى النفوس او النساء السّواحر اللاّتى يعقدن عقدا فى خيوط وتنفخ فيه بما تقول مع ريق او دونه كبنات لبيد المذكور وغيرها وافرادها بالتعريف لانّ كلّ نفاث شرير بخلاف كلّ غاسق وحاسد ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾ اظهر حسده وعمل بمقتضاه كلبيد المذكور فانّه اظهر الحسد من بين اليهود الحاسدين للنّبى وتخصيص الثلاثة بالذكر مع دخولها تحت ما خلق لخفاء امرها ولحوق شرّها الانسان من حيث لا يعلم.

* * *

سورة الناس

مكيّة أو مدنيّة ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١)﴾ خصوا بالذّكر تشريفا لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس فى صدورهم لانّه خاص بهم بخلاف المستعاذ عنها فى السّورة المتقدّمة فانها تعمّهم وغيرهم فلذا عمّم الاضافة او لانّ الاستعاذة فيما سبق من شرّ كل شئ فاقتضت الأضافة اليه وهنا من شر الوسواس فاقتضت ايضا ان تكون اليه لكن لمّا كان منحطا عن درجة اضافة الرب اليه اضيف الى المستعيذ ﴿مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣)﴾ بدلان او صفتان او عطف بيان واظهر المضاف اليه فيهما زيادة للبيان او تعظيما للأنسان ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ اسم مصدر بمعنى الوسوسة كالزّلزال بالفتح بمعنى الزّلزلة والمراد به الموسوس سمّى بالحدث الّذى هو فعله للمبالغة فى مباشرته حتّى كانّه نفسه ﴿الْخَنَّاسِ (٤)﴾ صيغة مبالغة او نسبة كالخبّاز والصّياغ وغيرهما اى الّذى عادته ان يخنس ويتأخر عن القلب كلّما ذكر الله ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥)﴾ اى قلوبهم اذا غفلوا عن ذكر ربّهم ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾ بيان للموسوس لانّه انسىّ وجنّى كقوله تعالى شياطين الأنس والجنّ بل وسوسة الانسىّ اشدّ لانّه يرى فيغترّ به ومعنى وسوسته فى القلوب ان يلقى فى الظّاهر ما تصل وسوسته الى القلب وتثبت فيه.

* * *

سورة فاتحة الكتاب

مكيّة وتسمى أمّ القرآن لأنّها مفتتحة ومبدأة فكأنّها أصله ومنشأه كالأمّ والشافية والشفاء لقوله عليه السّلام: هى شفاء لكلّ داء، والسّبع المثانى لأنّها سبع آيات بالاتّفاق إلاّ أنّ منهم من عدّ البسملة دون (أنعمت عليهم) ومنهم من عكس وتثنى فى الصلوة، وهى اوّل سورة كاملة نزلت أو المدثّر وهى مقولة على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرّك باسمه ويحمد على نعمه ويسئل من فضله، فيقدر من أوّلها قولوا خطابا لهم

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١)﴾ جُزء تام او ناقص من الفاتحة ومن كلّ سورة من سائر السور المأية وثلثة عشر عند الشافعى ومن تابعه وليست من القرآن اصلا عند قراء المدينة والبصرة والشّام وفقهائها ومالك ومن تابعهم من قدماء الحنفيّة اخذا من عدم نصّ ابو حنيفة فيها بشئ وجزء منه لا من السّور بل آية برأسها عند متأخريهم والكتب مشحونة بتوضيح معانيها وبيان اجزائها سيّما القاضى فراجعه ﴿اَلْحَمْدُ﴾ اى كلّ فرد من افراد الحمد الّذى هو الوصف بالجميل لغة وفعل ينبئ عن تعظيم المنعم لانعامه عرفا كالشكر غوى بخلاف العرف فانّه صرف العبد جميع ما انعم به عليه الى ما خلق لأجله واخصّ من تلك الثلثة مملوك ومستحق ﴿لِلّٰهِ﴾ اى الذات الواجب الوجود الّذى اقتضى ذاته وجوده وامتنع عليه العدم والتفصيل ايضا فى الكتب ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾ اى مالكهم ومربّيهم ومتولّى امرهم ابدا والعالم اسم لما سوى الله ممّا يعلم به الصّانع يطلق على كلّ جنس جنس منه فيقال عالم الانس وعالم الجن وعالم الافلاك وعالم النّبات وغير ذلك وعلى المجموع من حيث المجموع ايضا لكنّه جمع ليشمل ما تحته من الاجناس شمولا واضحا وغلب العقلاء على غيرهم فى جمعه بالياء والنّون كسائر اوصافهم ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (٣)﴾ صفتان مشبهتان من رحم بالكسر بعد نقله الى رحم بالضم وتنزيله منزلة الفعل الغريزى والرّحمن غلب عليه تعالى بحيث لا يطلق على غيره اصلا وهو لزيادة بنيته ابلغ امّا باعتبار الكمية بان يعمّ

المؤمن والكافر ولذا يقال يا رحمن الدّنيا لانّه يعمّهما ورحيم الآخرة لانّه يخصّ المؤمن او الكيفية وعليه قيل يا رحمن الدّنيا والآخرة ورحيم الدّنيا لانّ النّعم الاخروية كلّها جسام والدّنيوية جليلة وحقيرة ولا يعارضه الحديث الصحيح يا رحمن الدّنيا والآخرة ورحيمهما لجواز حمل الاوّل على جلائل نعم الدّارين والثّانى على دقائقها النّسبية والرّحمة ميل نفسانى يقتضى التفضل فيراد بها لاستحالتها فى حقّه تعالى غايتها اى الانعام مجازا من قبيل اطلاق السّبب على المسبب وكذا كلّ صفة استحال معناها فى حقّه تعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾ اى الجزاء وهو يوم القيامة خصّ بالاضافة لتعظيمه او لتفرّده تعالى بنفوذ الامر فيه لا ملك فيه لاحد اصلا والمالك هو المتصرف فى الاعيان المملوكة كيف شاء من المِلْك بالكسر اضيف الى الظّرف اجراء له مجرى المفعول به مجازا لتكون الأضافة لاميّة اذ المحقّقون لا يثبتون التى بمعنى فى وعلى تقدير اثباتها لا تتمشى هنا اذ المعنى عند التحليل مالك فى يوم الدين اى كائن فيه وهو غير جائز لانّ ظرف الزمان لا يقع خبرا ولا صفة للجثّة وذلك لا يقتضى كونه بمعنى الحال او الاستقبال حتى تكون الأضافة لفظيّة بل هو بمعنى الماضى اى ملك الأمر كله فى ذلك اليوم كما فى نادى اصحاب الجنّة او لاثبات المالكية له فى ذلك اليوم على وجه الاستمرار مع قطع النّظر عن احد الازمنة فساغ وقومه صفة للمعرفة واما الملك بكسر اللاّم كما فى بعض القرآات اى المتصرف بالأمر والنّهى فى المأمورين من الملك بالضم فهو صفة مشبهة لا يعمل النّصب فاضافته الى غير فاعله معنويّة ولكونه ادلّ على التّعظيم وقرائة اهل الحرمين رجّح لكن قال بعض الافاضل لا وجه للتّرجيح بعد ثبوتهما وصحّة اتصاف الرّب بهما انّى اصلّى بهذا فى ركعة وبهذا فى اخرى وعلى تقدير تسليم الارجحية فهى فى حق من لا يتمسك بقرائة ارباب الاولى لانّ المستحبّ لمن تمسّك بقرائة قار من السبع ان يقرأ القرآن كلّه عليها وامّا التلفيق بين قرائتين فى شيئين بينهما ارتباط فغير جائز اصلا لاستلزامه هيئة لم يقرأ بهما احد كرفع آدم وكلمات ونصبهما فى وتلقّى آدم من ربّه كلمات اخذ من رفع الاوّل من قرائة من نصب الثانى ورفع الثانى من قرائة من

نصب الاوّل وبالعكس فيهما ولمّا كان من العادة التّفنن فى الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية للكلام وتنشيطا للسّامع وقد ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام مشوّقة الى الخطاب معه مشافهة التفت من الغيبة اليه وقال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾ اى نخصّك بالعبادة والاستعانة فيها وفى سائر المهمات لا نعبد غيرك ولا نستعينه فتقديم المفعول للحصر كما انّه للتعظيم والاهتمام به والمستكن فى الفعلين ليس للقارى وحده على وجه التّعظيم اذ المقام مقام التّذلّل بل له وللحفظة ان كان مفردا او حاضرى الجماعة ان كان فيها او له ولسائر الموحدين ان كان خارج الصلوة ادرج عبادته فى تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلّها تقبل ببركتها ولهذا شرعت الجماعة وقدّمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رأوس الآى وليعلم منه انّ تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة ولانّه لمّا نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك اعتدادا منه بما صدر عنه فعقّبه بالاستعانة ليدلّ على انّ العبادة ايضا ممّا لا يتمّ ولا يتيسّر الاّ بمعونة وتوفيق منه تعالى وقيل الواو للحال باضمار المبتدأ بعدها والمعنى نعبدك مستعينين بك ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾ استيناف لبيان المعونة المطلوبة فكانّه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصّراط المستقيم اى الطريق الحقّ سواء كان نفس الاسلام او ما ينطوى هو عليه من الأفعال الجميلة والأخلاق الحميدة ويبدل منه على سبيل التّاكيد والتّنصيص على ماهو المراد منه قوله ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وهم المؤمنون لانّ الأيمان اكمل النّعم واجلّها فمطلقها ينصرف اليه او الانبياء على انّ اكمل النّعم النّبوة لانّ الايمان معتبر فيها مع زيادة وهو المناسب لقصد النّبى عليه السلام فى قرائته واختلفت اقوالهم فى تعريف الهداية والمشهور انّها عندنا الدّلالة على ما يوصل الى المطلوب وعند المعتزلة الدّلالة الموصلة اليه وقيل بالعكس لانّ الثانى بمعنى خلق الاهتداء والقائلون به نحن لا المعتزلة والاوّل منقوض بقوله تعالى: ﴿انّك لا تهدى من احببت﴾[1] لوجود الدّلالة على ما يوصل منه عليه السّلام قطعا والثّانى

[1] - سورة القصص: ٥٦

بقوله: ﴿وامّا ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾[١] اذ الظاهر انّ اختيارهم الضّلال لم يكن بعد الاهتداء والوصول الى المطلوب بل قبله بعد ارائة الطّريق بنصب الدلائل وارسال الرسل وان لم يكن دلالة فى اوّل الآية وآخرها على نفى حصول اهتدائهم دفع النّقض واحتمال التّجوز مشترك بينهما فلا ترجيح لأحدهما على الآخر على انّهما متحدان ان اريد من الايصال فيهما ما بالفعل وبالقوة الاّ ان يقال المتبادر منه فى الثانى ما بالفعل لكونه صفة للدّلالة ومن الاول ما بالقوة لكونه صفة الطّريق فربّما لم يسلكها من دلّ عليها حتى توصله الى المطلوب ومن الأفاضل من قال ان تعدّت الى المفعول الثانى بالى او اللاّم فهى بمعنى الاوّل وان تعدّت بنفسها كما فى اهدنا الصّراط المستقيم فهى بالمعنى الثانى فلا نقض بالآيتين المذكورتين اذ تقدير الاولى انّك لا تهدى من احببت الحق والثانية وامّا ثمود فهديناهم للحق او اليه وقيل المعنى واحد لانّ التعدية من قبيل الحذف والايصال وقيل هى مشتركة بين المعنيين المذكورين وعدم الاهلاك فلا نقض بالآيتين ايضا لانّ الاولى فرد للتعريف الاوّل والثانية فرد للثانى قال القاضى وهداية الله تتنوع انواعا لا يحصيها عدّ لكنّها تنحصر فى اجناس مترتبة الاوّل افاضة القوى الّتى بها يتمكن المرأ من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال: ﴿وهديناه النّجدين﴾[٢] وقال: ﴿وامّا ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾[٣] والثالثة الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب وايّاها عنى بقوله: ﴿وجعلناهم ائمّة يهدونا بامرنا﴾[٤] وقوله: ﴿انّ هذا القرآن يهدى للّتى هى اقوم﴾[٥] والرّابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى او الالهام او

---

[١] - سورة فصلت: ١٧

[٢] - سورة البلد: ١٠

[٣] - سورة فصلت: ١٧

[٤] - سورة السجدة: ٢٤

[٥] - سورة الإسراء: ٩

المناماة الصادقة وهذا قسم يختصّ بنيله الانبياء والاولياء وايّاه عنّى بقوله: ﴿اولئك الّذى هدى الله فبهديهم اقتده﴾[١] وقوله: ﴿والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾[٢] فالمطلوب امّا زيادة ما مُنِحُوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتّبة عليه فاذا قالو العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السّير فيك لتمحو عنّا ظلمات احوالنا وتُميط غواشى ابداننا لنستضى بنور قدسك فنراك بنورك ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود لقوله تعالى فى شأنهم: ﴿من لعنه الله وغضب عليه﴾[٣] ﴿وَلاَ﴾ اى غير ﴿الضَّالِينَ (٧)﴾ اى النصارى لقوله تعالى: ﴿قد ضلّوا من قبل واضلوا كثيرا﴾[٤] وهو بدل من الّذين على التاكيد والتّنصيص على انّ المنعم عليهم هم الّذين سلموا من الغضب والضلال او صفة مبيّنة له اذا اريد منه الانبياء او المؤمنون على راى من جعل الاعمال داخلة فى الأيمان او اريد منه الكامل المستتبع لثمراته من الاعمال او مقيّدة على رأى من لم يجعل الاعمال داخلة فى الأيمان واريد بحرّده وذلك انّما يصحّ باحد تأويلين اجراء الموصول بجرى النّكرة بان يراد به معهود ذهنى لا خارجى لكنّه جواب جدلى مبنىّ على الجواز فلا يلزمه مطابقة الواقع حتى يرد عليه انّه خلاف الظاهر وخلاف ما بيّن سابقا انّ المراد به المعهود الخارجى من المؤمنين او الانبياء او جعل غير معرفة بالاضافة لانّه اضيف الى ما له ضدّ واحد فيتعيّن كما فى عليك بالحركة غير السكون ويسنّ ختم هذه السورة بآمين للامام والمأموم والمنفرد سرا فى السرية وجهرا فى الجهرية ويستحب ان يكون تامين المأموم مع تأمين الامام لا قبله ولا بعده فان فاتت المعيّة عقّب وهو مقصورا ككريم او ممدودا كقابيل اسم فعل بمعنى استجب وتشديد ميمه مبطل للصلوة ان اريد به مجرد قاصدين كما هو معناه او لم يرد شئ بخلاف ما اذا اريد قاصدين اليك وانت اكرم من ان تخيب قاصدا.

---

[١] - سورة الأنعام: ٩٠

[٢] - سورة العنكبوت: ٦٩

[٣] - سورة المائدة: ٦٠

[٤] - سورة المائدة: ٧٧

هذا ما وفّقنى الله بمنّه وكرمه من تلفيق نبذة من عبارات تكلّموا بها فى كلامه الكريم. وبرهة من اسرار استخرجوها من غوامض كتابه العظيم وقبسة ممّا اقتبسوا من انوار بيانه السليم. وملخصة ممّا اطنبوا فى توضيح خوافى كنوز منهاجه القويم وارجوزة فاقت بتاييد الملك العليم الرؤف الرّحيم.

لعمرى هى المصباح ليس كمثلها ... منير القلوب من غواشى ظلامها

بنور لها تجلى العيون بنظرة ... ويعلوا على الافاق فيحان طيبها

اليس بحمد الله بدوة امرها ... وتوفيق ذى التوفيق مسك ختامها

وعن سر اسرار الكلام تكلمت ... وعن شرعة المختار يحكى لسانها

فان رمت تحقيقا لجلّة شأنها ... تشاهده من مقدار علو مرامها

وان شفت فيها عثرة ذات وقعة ... فاصلح بلطف منك رعيا لحقها

وقل يا الهى اغفر عبيدا بها اتى ... واكرمه نزلا من يامين فضلها

* * *

(فهرس)

سورة البقرة ٨
سورة آل عمران ٨٦
سورة النساء ١٢٤
سورة المائدة ١٦٤
سورة الأنعام ١٩٤
سورة الأعراف ٢٢٣
سورة الأنفال ٢٥٥
سورة التوبة ٢٦٩
سورة يونس ٢٩٤
سورة هود ٣١٠
سورة يوسف ٣٣٢
سورة الرعد ٣٥٣
سورة إبراهيم ٣٦٥
سورة الحجر ٣٧٥
سورة النحل ٣٨٥
سورة الإسراء ٤٠٩
سورة الكهف ٤٣٢
سورة مريم ٤٥٠
سورة طه ٤٦٣
سورة الأنبياء ٤٧٨
سورة الحج ٤٩٢
سورة المؤمنون ٥٠٥
سورة النور ٥١٦
سورة الفرقان ٥٣٣
سورة الشعراء ٥٤٥
سورة النمل ٥٥٩
سورة القصص ٥٧٣
سورة العنكبوت ٥٨٧
سورة الروم ٥٩٨
سورة لقمان ٦٠٨
سورة السجدة ٦١٤
سورة الأحزاب ٦١٩

سورة سبا ٦٣٤
سورة فاطر ٦٤٥
سورة يس ٦٥٤
سورة الصافات ٦٦٥
سورة ص ٦٧٩
سورة الزمر ٦٨٩
سورة غافر ٧٠١
سورة فصلت ٧١٢
سورة الشورى ٧٢١
سورة الزخرف ٧٣٠
سورة الدخان ٧٤٠
سورة الجاثية ٧٤٥
سورة الأحقاف ٧٥٠
سورة محمد ٧٥٧
سورة الفتح ٧٦٤
سورة الحجرات ٧٧١
سورة ق ٧٧٦
سورة الذاريات ٧٨٢
سورة الطور ٧٨٨
سورة النجم ٧٩٣
سورة القمر ٨٠٠
سورة الرحمن ٨٠٥
سورة الواقعة ٨١٠
سورة الحديد ٨١٦
سورة المجادلة ٨٢٣
سورة الحشر ٨٢٨
سورة الممتحنة ٨٣٣
سورة الصف ٨٣٧
سورة الجمعة ٨٣٩
سورة المنافقون ٨٤٢
سورة التغابن ٨٤٤
سورة الطلاق ٨٤٧
سورة التحريم ٨٥٠

سورة الملك ٨٥٤
سورة ن ٨٥٨
سورة الحاقة ٨٦٣
سورة المعارج ٨٦٧
سورة نوح ٨٧٠
سورة الجن ٨٧٣
سورة المزمل ٨٧٧
سورة المدثر ٨٨٠
سورة القيامة ٨٨٤
سورة الإنسان ٨٨٧
سورة المرسلات ٨٩١
سورة النبا ٨٩٤
سورة النازعات ٨٩٨
سورة عبس ٩٠١
سورة التكوير ٩٠٤
سورة الانفطار ٩٠٦
سورة المطففين ٩٠٨
سورة الانشقاق ٩١١
سورة البروج ٩١٣
سورة الطارق ٩١٥
سورة الأعلى ٩١٧
سورة الغاشية ٩١٩
سورة الفجر ٩٢١
سورة البلد ٩٢٤
سورة الشمس ٩٢٦
سورة الليل ٩٢٧
سورة الضحى ٩٢٩
سورة الم نشرح ٩٣١
سورة التين ٩٣٢
سورة العلق ٩٣٣
سورة القدر ٩٣٥
سورة البينة ٩٣٧
سورة الزلزلة ٩٣٨

سورة العاديات ٩٣٩
سورة القارعة ٩٤٠
سورة التكاثر ٩٤١
سورة العصر ٩٤٣
سورة الهمزة ٩٤٤
سورة الفيل ٩٤٥
سورة قريش ٩٤٦
سورة الماعون ٩٤٧
سورة الكوثر ٩٤٨
سورة الكافرون ٩٤٩
سورة النصر ٩٥٠
سورة تبت ٩٥١
سورة الإخلاص ٩٥٢
سورة الفلق ٩٥٤
سورة الناس ٩٥٦
سورة فاتحة الكتاب ٩٥٧